



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية



مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الاسلامية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

الكتابات التاريخية المشرقية والمغربية بين القرنين (7-9هـ/13-
15م) - دراسة مقارنة لنماذج مختارة -

أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ . تخصص: تاريخ وسيط

تحت إشراف :

أ د / الحاج عيفة

المشرف المساعد:

أ د / يمينة حضري بن صغير

إعداد الطالبة :

رفيقة قريشي

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/2023-2024م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية



مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الاسلامية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

الكتابات التاريخية المشرقية والمغربية بين القرنين (7-9هـ/13-
15م) - دراسة مقارنة لنماذج مختارة -

أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ . تخصص: تاريخ وسيط

تحت إشراف :

أ د / الحاج عيفة

المشرف المساعد:

أ د / يمينة حضري بن صغير

إعداد الطالبة :

رفيقة قريشي

تاريخ المناقشة :

أعضاء اللجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د الطاهر بن علي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة غرداية
أ.د. الحاج عيفة	أستاذ التعليم العالي	مقررا ومشرفا	جامعة الجزائر 2
أ.د. يمينة حضري بن صغير	أستاذ التعليم العالي	مشرفا مساعدا	جامعة غرداية
أ.د عبد الجليل ملاخ	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً داخليا	جامعة غرداية
أ.د الطيب بوسعد	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً خارجيا	جامعة البليدة
د. محمد مولاي	أستاذ محاضر (أ)	عضواً مناقشاً خارجيا	جامعة أدرار

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/2023-2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : " وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " الآية (115) سورة البقرة

إهداء



الحمد لله الذي أعانني ووفقني لإنهاء هذا العمل المتواضع الذي أتشرف بإهدائه إلى الذين لم يبخلوا عليّ بما لديهم، وأرشدوني حين الخطأ ووجهوني لكي أصيب، وأمهلوني الفرص لكي أصنع الأحسن أساتذتي الكرام.

إلى رمز الحنان والعطف والأمومة... إلى تلك التي سهرت ، وتألّمت لمعاناتي ، إلى تلك التي فعلت ما فعلت ولن أرد لها ولو ذرّة من كفاحها لأجلي.

أمي الحبيبة (مرزاقى فاطمة)

إلى رمز الأبوة والصداقة والأخوة... إلى ذلك الذي يرشدني وينصحنى، يوجهني ويسهر على راحتى.

أبي الحبيب (محمد عبد الله)

إلى الأب الروحي الذي لن أنساه ما حييت أستاذي المرحوم (مديني بشير) تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه .

إلى إخواني وأخواتي: الذهبي، محمد، لطيفة، خير الدين، نور الهدى ، موزيني ، سمرة، عبد الرحيم.

سامية ، وهيبة ، سهيلة ، فريال ، بشير. سدره.

إلى رفيقي في الحياة : حشاني عبد الكريم . وقرّة عيني ابني: صالح عبد الرؤوف

إلى منارات الأسرة: الكتاكيت عبد الغني، رتاج ، رحاب الجنة ، أريج ، روان ، ماريا ، آلاء ، عمر

شهاب الدين، يزن ، جاد. صالح ، ريتال ، أبرار. أتمنى لهم حياة مليئة بالنجاح والسعادة.

إلى رفقاء العلم وزميلاتي: خامذ عائشة ، رباحة آمال

إلى كل من جمعنا بهم مشعل العلم وصديقاتي كل بإسمها.

إلى عمّاتي وعمّي وروح خالي الطاهرة، وخالتي وزوجات إخواني وزوج أختي وعائلاتهم.

أهدي ثمرة جهدي إلى كل من أحبتي و أتمنى لي الخير والنّجاح ، وبالأخصّ لكلّ من عائلة قريشي

ومرزاقى وحشاني.

شكر وتقدير



جاء في الأثر " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ "

نتقدّم بالشُّكرِ الجزِيلِ في بادئِ الأمرِ إلى الله عزَّ وجلَّ على توفيقه لنا في إتمامِ إنجازِ هذا العملِ المتواضع .

ثمَّ أتوجه بالشُّكرِ الجزِيلِ إلى الأستاذ المُشرفِ الأستاذ الدكتور الحاج عيفة، والأستاذة الدكتورة (المشرف المساعد) بن صغير يمينة حضري على قبولهما الإشراف على هذه الرسالة بالرَّغم من كثرةِ ارتباطاتهما وانشغالاتهما، فلهما مِنِّي جزيلَ الشُّكرِ والعِرفانِ على توجيهاتهما ونصائِحهما القيِّمةِ التي أنمَّرت في إنجازِ هذا العملِ.

كما يسعُنِي في هذا المقامِ إلاَّ أن أتقدِّمَ بِأَسْمَى عباراتِ شُكري وامْتِناني، إلى كُلِّ مَنْ كان عَوْنًا وسَدَدًا لي في إنجازِ هذا العملِ.

وأخُصُّ بالشُّكرِ أساتذةَ قِسمِ التَّاريخِ بجامعةِ غرداية ، وبالأخصِّ القائمين على إدارةِ الكُليَّةِ. والشُّكرُ مَوْصُولٌ إلى السَّادةِ الأساتذةِ الأفاضلِ أعضاءِ لَجَنَةِ المُنَاقِشَةِ : كُلِّ مَنْ أ.د الطاهر بن علي ، أ.د عبد الجليل ملاح ، أ.د الطيب بوسعد ، د. محمد مولاي على قُبُولِهِمُ مُناقِشَةَ مُذَكِّرَتِي .

فَجَزَاهُمُ اللهُ عَنِّي خَيْرًا عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ .

مقدمة

مقدمة :

أ- طرح الموضوع :

تعد الكتابة رحلة تحوّل حضاري للإنسان وأخطرها في حياته وفق منظور عدّة دراساتٍ إذ انتقل فيها الإنسان نغلةً نوعيّةً منحته صفةً الإنسانيّة العنليّة التي تسمّح له بالتواصل عبر الزمن، كما أن اختراع الكتابة ساهم في استفادة الإنسان من تراكم المعرفة والخبرات بعد عملية تدوينها.

فالدليل على أن الكتابة تُعتبر حدثاً تاريخياً في حياة البشريّة مجموعة النّصانيف التاريخية التي قدّمها المؤرخون وعلماء الجيولوجيا في الحقبة التاريخية ما قبل التدوين أو ما بعدها . فبالعودة إلى تاريخ الحضارات الإنسانيّة فإننا لا نقف على أخبارٍ لم تُسجّل إلاّ بطريقة التدوين والكتابة سواءً كانت لغة رمزيّة أو أحرقت تساهم في نشأة المعلومات التي يتم تدوينها وتسجيلها في أيّ تاريخ بدأت منه فالشكل الحضاري للإنسان بدأ مع تخطيه بقلمه لجميع ما مرّ به من أخبارٍ أو أحداثٍ أو أفكارٍ.

أجمع المؤرخون على أن الكتابة التاريخية في العصور الوسطى صناعة ، إذ يقول القلقشندي: "الكتابة في اللغة مصدرٌ كتب يُقالُ كتب يكتب كُتِبَ وكتّاباً وكتّابةً ومكتّبةً وكتبه وكتاب ومغناها الجمع". ويُضف قائلاً: "أما اصطلاحاً: فهي صناعةٌ روحانيّة تظهرُ بالآلةِ جثمانية دالةٌ على المراد بتوسطِ نظمها..."⁽¹⁾. فالكتابة سمةٌ إنسانيّةٌ وصناعةٌ من جملة الصناعات البشريّة حسب ابن خلدون الذي يقول أن الكتابة صناعةٌ شريفةٌ ، أي من خواص الإنسانيّة التي يتميز بها الإنسان عن مختلف الكائنات الحيّة الأخرى؛ فهي بذلك تطلّع على كلّ ما في ضمائر البشر وتتأدّى بها الأشياء والأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات ، كما يطلّع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما دونه من علوم وأخبار - فهي بذلك شريفة بمختلف الوجوه والمنافع -⁽²⁾.

للكتابة أهميّة تكمن بالنسبة للمؤرخين في تدوين الأحداث والأخبار المتعلّقة بالأُمم والبلدان والمجتمعات عبر العصور التاريخية ؛ فهي من أرقى أنواع الكتابة العلميّة لأنها تحقّق أغراضاً فكريّةً تاريخيةً يتطلب من المؤرخ قبل الشروع فيها أن يُحدّد الموضوع وأهدافه كما يتوجّب عليه تحديد أفكاره وألفاظه التاريخيّة لإعداد فقراتٍ وجمل ذات معاني جديدة ؛ وهذه المرحلة تجعله يواجه مشكلةً تتطلب حلولاً وللوصول إلى هذه الأخيرة لأبد له من تعيين المعلومات التي يحتويها عمله المدوّن. ولا يتم ذلك إلاّ بالرجوع إلى مجموعة من المصادر التي يتوجب على المؤرخ العودة إليها وفي هذه الحالة يُدوّن موضوعه

⁽¹⁾ عبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1405م) : كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار وضبط المتن: خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت 2001م ، ج 1 ، ص 524.

⁽²⁾ أبي العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـ/1418م): صبح الأعشى ، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1922م ج1، ص 51.

الذي خطَّط له مُراعياً شروطَ عدَّةٍ مِنْهَا وُضِخَ الأفكارِ وسلامتها ومنطقيتها وإتساقها مِنْ جهةٍ ومن جهةٍ أخرى تَقْسِيمَ الموضوعِ وَفَقَّ حُطَّةً تَنْظِيمِيَةً مَرْفِقًا الكِتَابَةَ بِجَوَانِبِ الأسلوبِ كسلامةِ اللُّغَةِ.

فالتَّارِيخُ يَشْغَلُ نسبةً كبيرةً من المؤلِّفاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَصُدُرُ ببلادِ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ على حدِّ سواءٍ ومع ذلك لا زالتْ حَقِيقَةُ التَّارِيخِ ومكانتهِ بينَ العُلُومِ الأخرى وكذا طبيعتهِ وفوائدهِ مَوْضِعَ شَكِّ بَيْنَ المؤرِّخينِ والفلاسفةِ والمُفَكِّرِينَ رَغْمَ تعدُّدِ الصُّورِ الإيجابِيَّةِ الَّتِي وجَّهها العلماءُ عَبْرَ العُصورِ لأهلِ التَّارِيخِ مُحاولِينَ الدِّفاعَ عَنْهُمْ إذْ هُوَ عِلْمٌ نافعٌ يَشْغَلُ الإنسانَ بِأخبارِ الماضِيينِ وأساطيرِ الأوَّلِينَ.

فقدَ تعرَّضتِ الكِتَاباتُ التَّارِيخِيَّةُ لانتقاداتٍ خاصَّةٍ علمِ التَّارِيخِ عندَ المسلمينِ كونهُ يُعْرِضُ صاحبهُ للكذبِ لِأنَّه يُدَوِّنُ أحياناً أخباراً لم يَعايشها المؤرِّخُ أو اُقتبَسَتْ مِنْ مُؤلِّفاتٍ قد تكون هذه الأخبارُ صحيحةً أو غيرَ ذلك. كما رأى الآخرون أن تدوينَ الأخبارِ عَنَ الغائبينِ بالذَّمِّ والتَّقْدِيسِ في الإسلامِ غيبَةٌ والأدْهَى والأمرُ هُنالكِ مَنْ يَنكُرُ وجودَ التَّارِيخِ مِنْ أصلِهِ ، لِأنَّه يَعْتَنِي بما مضى مِنَ الأحداثِ. وهذا الأمرُ لا يُولِي له أهميَّةً اجتماعيةً فهُنا يَشْعُرُ بوجوديَّةِ التَّارِيخِ إلاَّ المؤرِّخينِ لِأنَّه صَناعَةٌ صَنَعَتْ بِفكرِهِمْ فذلِكَ كَرَّرْتُ كثيراً فكرةَ أَنَّ التَّارِيخَ لَعُو - مقولةٌ لهْزْرِي فورد-.

رَغْمَ ما قيلَ عَنَ التَّارِيخِ والمُؤرِّخينِ إلاَّ أَنَّ بلادَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ شَهِدَتْ حركةً تاريخيةً عريقةً كَوْنَتْ لَنَا مدارسَ تعودُ جذورها إلى القُرُونِ الأولى الهجريةِ إذْ اصطبغتِ الكِتَابَةُ فيها بطابعٍ دينيٍّ حَسَبَ الكثيرِ مِنَ الكِتَابِ. لَكِنَّ المُستَقْرَى للمصادرِ التَّارِيخِيَّةِ الإسلاميَّةِ المَشْرِقيَّةِ والمَغْرِبِيَّةِ فَإِنَّه يَقفُ على حقائقٍ أخرى تنفي ذلكَ بالأساسِ. ولعلَّ أبرزَ العلومِ الَّتِي أوليتَ لها عنايةً شديدةً علمِ التَّارِيخِ بجميعِ ميادينِهِ وفروعِهِ فقدَ نَسَجَ المؤرِّخونَ الأساسيونَ والثانويُّونَ دراساتهمُ المُتَشابِهةَ الأساليبِ والمناهجِ بَيْنَ النِّطاقينِ وبذلِكَ نُلَاحِظُ أَنَّ أَعْلَبَ المؤرِّخينِ المَشَارِقَةِ والمَغَارِبَةِ في دراساتهمُ التَّاريخيةِ قد صاغوها على شكلِ مدوناتٍ وموسوعاتٍ أو مجلداتٍ أو كُتُبٍ شاملةٍ لمختلفِ الحقولِ التَّاريخيةِ سواءِ الأيامِ ، علمِ الأنسابِ السِّيرِ والتراجمِ ، الطبقاتِ ، التَّارِيخِ المحليِ والعامِ.

فالفترةُ محلِّ الدِّراسَةِ ما بَيْنَ القرنينِ (7 - 9هـ / 13 - 15م) تعدُّ مرحلةً عصيبةً على الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ خاصَّةً في بداياتها نتيجةً للغاراتِ الخارجيةِ المتمثلةِ في الغزوِ الصِّليبيِّ ثُمَّ بعدها الغزوِ المَغُولِيِّ بالإضافةِ إلى تدهورِ الأوضاعِ الداخليةِ لعدَّةِ شُعبٍ وأمَمٍ شَهِدَتْ نزاعاتٍ بَيْنَ الملوكِ والسُّلاطينِ والقبائلِ المكوِّنةِ لها ، لِأَنَّ التَّأليفَ التَّاريخيَّ شَهِدَ نشاطاً كبيراً في مختلفِ العلومِ ، فبرزَ إثرَ ذلكَ علماءٌ أجلاءً شغلوا حياتهم بالتدوينِ، والدَّلِيلُ على ذلكِ كُبرى الخزانِ العامَّةِ والخاصَّةِ الَّتِي شَيَّدَتْ بالنِّطاقينِ آنذاك.

ارتأيتُ أَنَّ أقولُ حَقِيقَةً ؛ الكِتَاباتُ التَّاريخيةُ الحديثةُ قد ساهمتْ بِشكلٍ كبيرٍ في تناولِ مواضيعٍ تتعلَّقُ بالكِتَاباتِ التَّاريخيةِ لبلادِ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ الإسلاميِّ ، إلاَّ أَنَّ الإلمامَ بالمواضيعِ يتطلَّبُ جهداً. كما أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ احتواءَ كلِّ جُزْئِيَّاتِ الفترةِ في دراسةٍ واحدةٍ أو دراستينِ وبذلِكَ ارتأيتُ إلى تقديمِ عرضٍ آخرٍ ضَمَّنَ العُرُوضِ المُقدِّمةَ مِنْ قِبَلِ كبارِ الباحثينِ أو الأكاديميينِ فاختَرْتُ الموضوعَ الَّذِي يشملُ عِيَّاتٍ

لكتاباتٍ تاريخيةٍ ، مُعتمِدةً منهجاً تحليلياً مُقارناً لدراسة موضوعٍ تاريخيٍّ عنوانه: الكتاباتُ التاريخيةُ المشرقيةُ والمغربيةُ ما بين القرنين (7 - 9هـ/13 - 15م) - دراسة مقارنه لنماذج مختارة-.

الإطار الزماني والمكاني:

الإطار الزماني: الفترة الممتدة بين القرنين (7-9هـ/13-15م).

الإطار المكاني:

- الحدودُ السياسيةُ للمغرب الإسلامي (المغرب الأدنى ، المغرب الأوسط ، المغرب الأقصى) على عهد (الزيانيين والمُرِينيين والحفصيين).

- الحدود السياسية للمشرق الإسلامي (مصر ، بلاد الشام، بلاد الحجاز، العراق).

ب- دواعي اختيار الموضوع:

تنوعت وتعددت أسباب ودواعي اختياري للموضوع بين ذاتيةٍ وأخرى موضوعيةٍ أهمها:

- الموضوع اقترح من قبل لجنة المجلس العلمي على رأسها الأستاذ الدكتور بن علي الطاهر.

- كونَ الموضوع يشملُ جانبيين: فالجانبُ الأولُ يشملُ تأثيرَ الكتاباتِ التاريخيةِ المشرقيةِ في تطوُّرِ المدرسةِ التاريخيةِ المغربيةِ ؛ وهو ما تمَّ التَّطَرُّقُ إليه في عدَّةِ دراساتٍ . أمَّا الجانبُ الثاني فيشملُ تأثيرَ الكتاباتِ التاريخيةِ المغربيةِ في تطوُّرِ المدرسةِ التاريخيةِ المشرقيةِ فقد تمَّ التَّطَرُّقُ إليه من خلالِ الدِّراسةِ العامَّةِ لأدوارِ العلماءِ والمؤرخين ، وبعضِ المقالاتِ .

- إبرازُ أنَّ المؤرخين المغاربة وجدوا من المشرق الإسلامي أرضاً خصبةً لنشرِ أفكارهم وإيديولوجياتهم المُختلفة والعكس .

- يبيِّنُ الموضوعُ مدى تأثيرِ المؤرخين المغاربة والمشاركة في ازدهارِ الكتابةِ التاريخيةِ ما بين (ق7-9هـ/13-15م).

- مُواصلَةُ البحثِ على الكتاباتِ التاريخيةِ المغربيةِ والمشرقيةِ في شِقِّها .

- رغبتي الإثراءُ بموضوعٍ تاريخيٍّ يبرزُ التَّواصلَ الفكري بين المنطقتين .

- قلَّةُ الدِّراساتِ التي تُركِّزُ على مقارنةِ كتاباتِ المؤرخين المغاربة والمشاركة ، ودورهم في تطوُّرِ الكتاباتِ التاريخيةِ ؛ وهو ما جعلني أهتمُّ بالموضوع .

- إظهارُ المكانةِ التي ارتقاها المؤرخون المغاربة والمشاركة أمامَ أنظارِ المؤرخين المعاصرين لهم أو المُحدثين .

- الاطلاعُ على سيرٍ وتراجمِ بعضِ المؤرخين المغاربة والمشاركة الذين قلَّتِ الدِّراساتُ التاريخيةُ عن دراسةِ شخصياتهم .

- إثراءُ المكتبةِ الجامعيةِ بدراسةٍ تحليليةٍ مقارنة تُبرزُ التأثيرَ بين المنطقتين في ظلِّ التَّوجُّه نحو هذه المواضيع مؤخرًا .

تُعتَبَرُ بلادَ المغربِ والمشرقِ الإسلامي تاريخاً كاملاً من المنظومة الإسلامية العربية ، فلمؤرخيها دورٌ بارزٌ من خلال كتاباتهم التاريخية ومناهجهم.

ج - الإشكالية المطروحة :

إنَّ قراءتي لموضوع الكتابات التاريخية المشرقية والمغربية بين القرنين (7-9هـ/13-15م) جعلتني أتلّس الإشكالية التالية :

- ففيمّا تتجلى أنواع الكتابات التاريخية المشرقية والمغربية ومناهجها بين القرنين (7-9هـ/13-15م) وهل تعكس لنا مستوى تطوّر التّأليف التاريخي ؟.

تتفرغ عنها مجموعة أسئلة ألا وهي :

- ما هي عوامل تطور الحياة الثقافية والكتابات التاريخية ببلاد المشرق الإسلامي (مصر، بلاد الشام بلاد الحجاز ، العراق) خلال الفترة المدروسة ؟.

- من هم كبار مؤرخي بلاد المشرق والمغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة ؟.

- كيف انتشرت الكتابات التاريخية المغاربية ؟.

- ما هي أبرز إسهامات المؤرخين المغاربة في بلاد المشرق الإسلامي خلال الفترة المدروسة ؟ .

- ما هو الدور الذي لعبه المؤرخون المشارقة والمغاربة في التدوين التاريخي ؟.

- هل أثرت المدرسة التاريخية المغاربية على الكتابات التاريخية المشرقية أو العكس من خلال الدراسات المقارنة لنماذج مختارة ؟.

د- خطة البحث :

من خلال دراستي للموارد المتعلقة بالموضوع اعتمدت خطة وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول : ملامح الكتابة التاريخية المشرقية ما بين (7-9هـ/13-15م) وقسمناه إلى ثلاثة

مباحث : المبحث الأول : طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي(مصر ، بلاد الشام) . المبحث

الثاني : طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي(الحجاز ، العراق) . المبحث الثالث: حركة التّأليف

التاريخي ببلاد المشرق الإسلامي وتطور مناهجها .

الفصل الثاني : خصائص المدرسة التاريخية المغربية ما بين (7-9هـ/13-15م) وقسمناه إلى ثلاثة

مباحث: المبحث الأول : عوامل ازدهار الحركة الفكرية والتاريخية ببلاد المغرب الإسلامي ، المبحث

الثاني : التّأليف التاريخي بالمغرب الأوسط ومناهجه . المبحث الثالث : الكتابة التاريخية بالمغربين

الأدنى والأقصى ومناهجهما .

الفصل الثالث: نماذج عن مؤرخي المشرق والمغرب الإسلامي وكتابتهم التاريخية ؛ وقسمناه إلى ثلاثة

مباحث : المبحث الأول: التعريف بكبار مؤرخي مصر والشام وكتابتهم. المبحث الثاني: التعريف بكبار

مؤرخي الحجاز والعراق وكتابتهم. المبحث الثالث : نماذج عن التّأليف التاريخي ببلاد المغرب الإسلامي

خلال فترة الدراسة .

الفصل الرابع: دراسة مقارنة بين الكتابات المغاربية والتدوين المصري الشامي: قسم إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول: دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والمصريين ، نموذج (المقريزي صاحب "الخطط" وابن خلدون صاحب "العبر") ، أمّا المبحث الثاني: دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والشاميين؛ نموذج (ابن سعيد صاحب "المغرب في حلى المغرب" وابن العديم صاحب "بغية الطلب") لنصل إلى المبحث الثالث: نتائج الدراسة المقارنة.

الفصل الخامس : دراسة مقارنة بين الكتابات المغاربية والتدوين العراقي الحجازي: قسم إلى ثلاثة مباحث. المبحث الأول : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والحجازيين ؛ نموذج (تقي الدين الفاسي صاحب "العقد الثمين" وعمر بن فهد الهاشمي صاحب "الثر الكمين") ، أمّا المبحث الثاني : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والعراقيين ؛ نموذج (ابن الفوطي "تلخيص مجمع الآداب" وأبو العباس الغبريني صاحب "عنوان الدراية") لنصل إلى المبحث الثالث: نتائج الدراسة المقارنة.

هـ - الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لتتبع الكتابات التاريخية المغاربية على عهد الزيانيين والمرينيين والحفصيين من جهة، ومن جهة أخرى إظهار مدى مساهمة الحركة التاريخية الشرقية (مصر، بلاد الشام، بلاد الحجاز والعراق) من خلال تحليل بعض مؤلفاتهم وتتبع مناهجهم واتجاهاتهم الفكرية وتأثيرهم فيما بينهم ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، بهدف إبراز الدور الذي لعبه الفكرين المغاربي والمشارقي في تطور الكتابات التاريخية .

و - المنهج المتبع في الدراسة :

اعتمدت المنهج المقارن لكونه يُلائم دراسة الكتابات التاريخية وتحليل المادة التاريخية تحليلاً علمياً موضوعياً باعتماد مصادر ومراجع متنوعة الميادين ، والمقارنة بينها من حيث خصائص الكتابة والمنهج المعتمد ، بالإضافة إلى حُقول الكتابة التاريخية ، وطبيعة المصادر المعتمدة في كتابات المؤرخين . رغم أن مسألة المقارنة في سياق العلوم الإنسانية تبقى مسألة نسبية حسب أغلب العلماء .

ز - الدراسات السابقة :

1- دراسة المصادر والمراجع :

أ- المصادر: تُمثّل المصادر العصب الرئيسي للدراسة والبحث ، رغم النقائت فيما بينها شاغلة مختلف الميادين سواء التاريخ العام أو الطبقات والتراجم ، أو الموضوعات والحوليات . دون أن ننسى المصادر التاريخية الجغرافية ، أهمها:

- كتابات عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1405م): هو عبد الرحمان ابن محمد ابن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون ، أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي الأصل ولد عبد الرحمان ابن خلدون بتونس في غرة رمضان سنة (732هـ/1332م) ونشأ بها في بيت علم وفضل كبيرين ، بدت عليه منذ صغره علامات النجابة والدكاء، وسرعة البديهة، فحفظ القرآن الكريم

في سنِّ مُبَكِّرَةٍ، ودرس بشغفِ النَّحْوِ واللِّغَةِ ، والفقه ، والحديث ، وكذلك الشَّعْرَ ، وجُمْلَةً من العلوم العقلية والنقلية. وقد اختلفت المصادر التاريخية في تاريخ وفاة ابن خلدون ما بين سنة (808هـ/1406م) و(807هـ/1405م). لكنها اتفقت على مكان دفنه أنه توفي بالقاهرة ودفن بمقابر الصوفية . لكن بالعودة إلى مصدره الذي تركه لنا فقد ارتأى على سنة (808هـ/1406م) تاريخاً لوفاته كما وقفت على ذلك العديد من المصادر وبالضبط يوم الأربعاء 25 من شهر رمضان سنة (808هـ/1406م). من أهم مؤلفاته : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.الذي تأثر بكتابات العديد المؤرخين المشاركة مثل المقرئزي ودوتوا مؤلفاتهم التاريخية باعتباره مؤرخ علم الاجتماع والتاريخ الأول في عصره⁽¹⁾.

- كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لعبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت 902هـ/1498م):
يمثل أبرز الكتب التاريخية التي تطرقت للتراجم العلمية والتاريخية خلال القرن (9هـ/15م) ، منتهجاً منهج معجم الترتيب الهجائي ، وهو يعدُّ من الكتب النفيسة التي تضمنت تراجم من بلاد الشام ومصر وبلاد الحجاز واليمن ، كما تضم تراجم نسائية وتراجم لمن عاصروه أو توفوا في القرن التاسع من مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، واستفادتي منه في وصفي للتراجم مثل: المقرئزي، تقي الدين الفاسي، الأدفوي.. وغيرهم كثر⁽¹⁾.

- كتاب الوافي بالوفيات لصالح الدين بن أبيك الصفدي(ت764هـ/1363م): يُعتبر أبرز كُتُب التراجيم ببلاد المشرق الإسلامي ، تميّز بدراسته لتراجم الأعيان سواءً أكانوا حُكَّاماً وسلاطين وعلماء أو ذوي السلطة ، والمُميّز في طيات الكتاب أنه احتوى دراساتٍ لمشاركةٍ ومغاربةٍ وأندلسيين دون التفريق مُنتهجاً منهج الترتيب الهجائي للحروف ؛ وهذا الملف التوثيقي روى لنا أخبار التراجيم الأدبية والتاريخية دون تفريقٍ (أربع عشرة ألف ترجمة). كما أنه تضمن عدّة مصادر حتى قيل أن كتابه موسوعةٌ بيبوغرافيةٌ منها مؤلفات الذهبي ، ابن عساكر⁽²⁾.

- كتابات عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م): هو عبد الواحد بن علي التميمي ويلقب بمُحَيِّ الدين وكُنِيتهُ أبي مُحمَّد المراكشي المغربي ، وُلِدَ سنة (581هـ/1185م) بمدينة مراكش نَهَلَ العلم من حواضر عدّة مثل فاس والأندلس وفُرطبة وكما تجوّل في بعض بلدان المشرق وأملَى كتابه المُعجَبُ إجابةً لطلب وزيرٍ من خاصّة الناصر العبّاسي ومن أبرز مؤلفاته "المُعجَبُ في تلخيص أخبار المغرب" ؛ وهذا الكتابُ تكمنُ أهميتهُ في الاختصارات التي أُقيمتُ له مثل الذهبي ، الذي أشار إلى ذلك بقوله " ونقل عبد

(1) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مقدمة التحقيق.

(1) شمس الدين عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ/1498م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دط ، دار الجيل ، بيروت ، ج1، ص03.

(2) صلاح الدين بن أبيك الصفدي(ت 764هـ/1363م): الوافي بالوفيات ، تح: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى ، ط1 دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2000 ، ج1، ص ص 18-19.

الواحد المراكشي في كتابه المُعْجَب الَّذِي اخْتَصَرْتُهُ" ، وهذه الدِّراسة تَسْعَى إلى تَوْضِيحِ مَلامِحِ وخصائصِ الكتاباتِ المَغْرِبِيَّةِ مِنْ جِهَةِ والتأثيرِ المَغْرِبِيِ عَلَى مُؤَرِّخِي المَشْرِقِ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى⁽³⁾.

- كتابات ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م): أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي مؤرِّخٌ وأديبٌ مغربيُّ الأصلِ وُلِدَ بقلعةٍ يَخْصِبُ سنة (610هـ/1214م) ، نشأ واشتهرَ بها قام برحلةٍ طويلةٍ زارَ بها مَصْرَ والعِراقَ والشَّامَ ، نَهَلَ مِنَ العَدِيدِ مِنَ العُلَمَاءِ ، تَوَفِّيَ سنة (685هـ/1286م) تارِكًا عِدَّةَ مَوْلُفَاتٍ مِنْهَا التَّارِيخِيَّةُ: المَشْرِقُ فِي حَلِي المَشْرِقِ ، والمَغْرِبُ فِي حَلِي المَغْرِبِ ، جالٌ وصالٌ بهما ابن سعيد مُخْتَلَفِ الأَقْطَارِ الأَنْدَلُسِيَّةِ والمَشْرِقِيَّةِ. إِذْ جَاءَ فِي كِتَابِ السِّيُوطِيِّ عبارة " جاب في المَشْرِقِ وجاب في المَغْرِبِ" ، مَحَرَّرًا كِتَابانِ يَضُمَانِ مُخْتَلَفِ الجَوَانِبِ السِّيَاسِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالحَضَارِيَّةِ فِي عَصْرِهِ - لِلأسفِ ضَاعَتْ أَجْزَاءٌ مِنْ كِتَابِ " المَغْرِبِ " - ، مَعْتَمِدانِ فِي تَدْوِينِهِمَا عَلَى مِصَادِرِ مَكْتُوبَةٍ وَشَفْوِيَّةٍ⁽¹⁾.

- كتابات تقيِّ الدِّينِ الفاسي (ت 832هـ/1429م) : تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الفاسي المكي المالكِيِّ مَغْرِبِيُّ الأَصْلِ مِنْ مِوَالِيدِ مَكَّةَ سنة (775هـ/1375م) نشأ بالمدينة المنورة ثم مكَّةَ ، ونَهَلَ مِنْ جَمِيعِ شُيُوخِهَا ، بَدَأَ رِحَالَتهِ العِلْمِيَّةِ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى القَاهِرَةِ وَدمَشَقَ وَبَيْتِ المَقْدِسِ ثُمَّ مِصْرَ وَالشَّامَ ، بَلَغَ عَدْدُ شُيُوخِهِ 500عالمٍ ، تُوفِّيَ سنة (832هـ/1429م) تارِكًا عِدَّةَ مَوْلُفَاتٍ أَهمُّهَا: العَقْدُ الثَّمِينُ فِي تَارِيخِ البِلَدِ الأَمِينِ ، فَهُوَ مِنَ المَغَارِبَةِ الدِّينِ اسْتَقْفَرُوا بِالحِجَازِ حَتَّى أَصْبَحَ حَسْبُ البَاحِثِينَ مِنَ المِؤرِّخِينَ الحِجَازِيِّينَ ، وَالكِتَابُ يَدَوِّنُ لِمَدِينَةِ مَكَّةَ المَكْرَمَةِ مِنتَهَجًا فِي تَحْرِيرِهِ طَرِيقَةَ الحُرُوفِ الهِجَائِيَّةِ⁽²⁾.

- كتابات ابن القطان (ت 628هـ/1230م): هُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ فاسٍ ، أَقَامَ زَمَانًا بِمِراکشِ وَوُلِدَ سنة (562هـ/1167م) كان مَقْرِبًا مِنْ سِلاطِينَ دَوْلَةِ المُوَحِّدِينَ ، نَهَلَ العِلْمَ عَلَى يَدِ ثَلَاثَةِ مِنَ العُلَمَاءِ بِمِراکشِ وَالأَنْدَلُسِ وَعَنْ ذَلِكَ قالَ الذَّهَبِيُّ " عَلاقتُ مِنْ تَأْلِيفِهِ كِتَابِ الوَهْمِ وَالإِيهامِ " ، تَوَفِّيَ بِسِجْلَمَاسَةَ سنة (628هـ/1230م) تارِكًا عِدَّةَ مَوْلُفَاتٍ أَهمُّهَا: بَيانُ الوَهْمِ وَالإِيهامِ الوَاقِعِينَ فِي كِتَابِ الأَحْكامِ ، نَظْمُ الجِمانِ لِترتِيبِ ما سَلَفَ مِنْ أَخْبارِ الزَّمانِ ؛ فابن القِطانِ قَدْ سَعَى مِنْ خِلالِ الكِتَابِ الأَخِيرِ أَنْ يَسُدَّ الفِراغَ تَارِيخِ المَغْرِبِ وَالأَنْدَلُسِ فِي ظِلِّ دَوْلَتَيْ المِرابِطِينَ وَالمُوَحِّدِينَ ، وَقدِ انْتَفَعْتُ مِنْهُ فِي دِراسَتِي لِخصائِصِ الكِتابَةِ

⁽³⁾ عبد الواحد المراكشي(ت 647هـ/1250م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1963 ، مقدمة التحقيق.

⁽¹⁾ ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت 685هـ/1286م): المغرب في حلي المغربي ، تح: شوقي ضيف القاهرة، 1964 ، مقدمة التحقيق. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د ت ، ج 2 ، ص 209.

⁽²⁾ تقي الدين الفاسي(ت 832هـ / 1429م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: محمد حامد الفقي ، ط2، مؤسسة الرسالة بيروت ، 1986 ، ص ص 07-08.

التاريخية المغربية باعتبار كتابه قد نهلَ منه كبار المؤرخين الذين تتلمذَ عليهم مؤرخي العهد مثل : البيدق ابن صاحب الصلاة (3).

2 - المراجع : للمراجع أهمية بالغة لا يمكن التخلي عنها ، إذ تبين نظرات متعددة تسمح للباحث التقصي ، ومن المراجع التي استغذت منها مايلي :

✓ كتاب الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري لفرغلي إبراهيم ؛ الذي يحتوي على معلومات ثمينة تخص مصر و سوريا تاريخياً ، إذ تتبع المؤرخ أبرز المؤرخين وكتاباتهم مبيناً فقدان النطاقين لبعض المصادر نتيجة الأوضاع التي حلت بالمنطقة.

✓ كتاب الحركة الفكرية في مصر لحمزة عبد اللطيف ؛ تناول بالدراسة والوصف الحياة الفكرية لمصر منها التدوين التاريخي .

✓ كتاب نشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدوري.

✓ كتابي تاريخ المغرب في العصر الوسيط والتاريخ والمؤرخون العرب لعبد العزيز سالم السيد.

✓ كتاب دراسات في التاريخ الوسيط للغرب للجزائر والغرب الإسلامي لعلوة عمارة .

✓ كتاب التاريخ العربي والمؤرخون لمصطفى شاكور .

3- مقالات:

✓ مقال ابن خلدون والمقريري - دراسة مقارنة- للهكار زكرياء بمجلة الدراسات والبحوث سنة 2011: تميزت الدراسة بتحليل الكتابات المتعلقة بالمؤرخين مع بعض المقارنات التي لم تكمل صورة الدراسة كاملة نتيجة للتعميم الذي ساد الدراسة دون التخصيص، لكن دراسته ونتائجها وضعت لي الأسس الأولى لدراستي التاريخية .

✓ رسالة دكتوراه للحاج عيفة تحت عنوان إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري/12-15م ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجزائر (2009-2010): دراسة شاملة للعلماء في مختلف الميادين أما فيما يخص دراستنا فهي مخصصة للكتابات التاريخية ، لكن النتائج المتوصل إليها من قبل هذه الدراسة فتحت لي مجال البحث التفصيلي .

✓ مقال حقول التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني: التاريخ السياسي والتراجم نموذجاً لعبد الكريم حساين بالمجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية لجامعة سيدي بلعباس ديسمبر 2017 المجلد 03، ع06 ؛ وضحت لنا نتائج هذه الدراسة تنوع ميادين البحث التاريخي في الفترة محل الدراسة لجزء من المغرب الإسلامي ألا وهو المغرب الأوسط .

(3) ابن القطان المراكشي(ت628هـ/1230م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح: محمود علي مكي ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، مقدمة التحقيق.

✓ مقال ابن الفوطي لجواد مصطفى بمجلة المجمع العلمي العراقي بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة 1967م: تطرق لدراسة المؤلف بالتفصيل وكُنْبُهُ دُونَ المقارنة .

لا يخلو أيُّ بحثٍ علميٍّ من عراقيلٍ وصعوباتٍ لا بُدَّ للباحث من التَّحدي لِتَحْطِيبِهَا خاصَّةً ما يَخُصُّ الدِّراساتِ المُقارَنة . وأثناء إنجازي لهذه الرسالة ؛ واجهتني بعض الصُّعوباتِ والعراقيلِ نذكرُ منها:

• صعوبة التوفيق بين الالتزامات المهنية للتدريس في التعليم الثانوي ومزاولة البحث في موضوع الدراسة في آن واحد، خاصة وأن موضوع الدراسة يتطلب انقطاعاً ووقتاً طويلاً.

• طول الفترة الزمنية وتشعب موضوع الدِّراسة، والمتمثل في: " الكتابات التاريخية المشرقية والمغربية بين القرنين (7-9هـ/13-15م) - دراسة مقارنة لنماذج مختارة -"، وهذا ما ولد لدينا بعض الصُّعوبات في التعامل معها وفهم أسلوبها.

• تباين المصادر والدِّراسات المتخصصة التي غنيت بدراسة الموضوع.

• نقص المادة العلمية عن بعض الكتاب ودراساتهم، مثل: نقية الدين الفاسي والنجم بن فهد .

• اختيار نماذج الدراسة بدقة ووضوح.

• انتقاء المادة العلمية من مصادرٍ مختلفةٍ. ومتنوعة

• اختلاف المصطلحات المستخدمة من عصر لآخر ومن نطاق لآخر خاصَّةً بين مجالي الدِّراسة (المجال المغربي ، المجال المشرقي).

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أشكر كلَّ من ساعدني في إنجاز هذا العمل، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور الحاج عيفة حفظه الله ورعاه الذي لم يبخل عليَّ بنصائحه وتوجيهاته رغم كثرة انشغالاته ، فله مَّني جزيل الشُّكرِ والعرفان . والشُّكرُ موصولٌ لجميع أساتذتي في قسم التاريخ بجامعة غرداية ، وإلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بقبول مناقشة مذكرتي ، ولا شك أن ملاحظاتهم ستزيد هذا العمل تألقاً.

وبعد، فإنَّ أصبنا المحرِّزَ فذلك ما كنَّا نبغي، وإنَّ كانت الأخرى؛ فنحن نازلون عند من يرشدنا صوب المقاييس العلمية والنظم الجامعية، وما لا يؤخذ كلُّه لا يُترك جُلُّه.

والله ولي التوفيق وهو من وراء القصد

جامعة غرداية في يوم 21 ذو الحجة 1445هـ

يوافقه 27 جوان 2024م

الطالبة الباحثة

رفيقة قريشي

قائمة الاختصارات:

الاختصار	المعنى
مج	المجلد
ج	الجزء
ط	الطبعة
تح	تحقيق
د . ت	دون تاريخ
هـ	الهجري
م	الميلادي
ب ط	بدون طبعة
تر	الترجمة
ص	الصفحة
ش . و . ن . ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
P	PAGE
OPCIT	OPECITA

الفصل الأول: ملامح الحياة التاريخية المشرقية ما بين (70-130-150م)

- المبحث الأول: طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي (مصر - بلاد الشام)
- المبحث الثاني: طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي (بلاد الحجاز - العراق)
- المبحث الثاني: حركة التأليف التاريخي ببلاد المشرق الإسلامي وتطور مناهجها.

الفصل الأول : ملاحم الكتابة التاريخية المشرقية ما بين (ق7-9هـ/13-15م)

بلاد المشرق الإسلامي منطقةً جغرافيةً تاريخيةً تقع شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط والمعروف أنّ هذه التسمية أطلقت من قبل مسلمي إفريقيا والأندلس على العرب المتوطنين إلى الشرق فقيل أنّها تبدأ من مدينة السلام بغداد إلى أقصى مجمل المشرق وتضم مصر، بلاد الشام (سوريا ولبنان..) بلاد الحجاز، العراق⁽¹⁾. تميّزت ما بين القرنين(7-9هـ/13-15م) بتغيرات سياسية ودينية واجتماعية وتطورات ثقافية، اقتصادية.

فقد مثلت الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي مظهراً من مظاهر الحياة العربية الإسلامية، حيث أولى سلاطين الدول التي تعاقبت على المنطقة عناية كبيرة بالحياة العلمية والثقافية في بلادهم، ولعل ذلك يعود إلى عوامل كانت وراء ازدهار الحركة العلمية، نذكر منها: توفر المراكز الثقافية بدول المشرق الإسلامي (مصر، بلاد الشام، بلاد الحجاز، العراق)، والتي بدورها ساهمت في ازدهار وتنشيط العلم والمعرفة. حيث أجمع المؤرخون كذلك الذين تطرقوا لهذه الفترة من تاريخ المشرق الإسلامي على رعاية الدول والأسر للحياة الفكرية. لذلك يستوجب على أي باحث العناية بالحضارة والاهتمام بالتاريخ، وذلك من خلال الاطلاع على مصادره وفقاً للمقولة المعروفة عند المؤرخين " لا تاريخ بدون مصادر"؛ وهو الأمر الذي يجعل من وظيفة المؤرخ ذات غاية، ألا وهي تقصي الحقائق التاريخية باعتبار معلومة المصادر التاريخية تختلف عن المهن العلمية الأخرى. وللوصول إلى هذه الغاية يتطلب التقيد بضوابط التوثيق. وبهذا فقد امتازت الكتابة التاريخية بالتنوع والاستمرارية ويعود هذا التعدد والتنوع إلى مشاركة الكتاب وموظفي الدواوين والأدباء والفقهاء والمحدثين في تدوين التاريخ مما أدى إلى بروز مؤلفين كبار ألفوا موسوعات وكتب عدّة تاريخية ارتبطت بالحياة العلمية وشملت مدن حضارية مثل: القاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب وبغداد والموصل ومكة والمدينة المنورة وغيرها.

نتيجةً لمساهمة العلماء والمؤرخين في تطور الكتابة التاريخية المشرقية خلال الفترة(ق7-9هـ/13-15م)ارتأيت التطرق إلى ذلك، متناولةً ملاحم مختلفة للكتابة التاريخية المشرقية. وبذلك قسّمت الفصل الأول المعنون ب: ملاحم الكتابة التاريخية المشرقية ما بين(ق7-9هـ/13-15م):إلى ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول يشمل طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي (مصر-بلاد الشام) والثاني يتناول طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي(بلاد الحجاز - العراق).أما المبحث الثالث فيضم حركة التأليف التاريخي ببلاد المشرق الإسلامي وتطور مناهجها. ومن هنا نتساءل:بماذا تميّزت

(1) سوسن بهجت يونس : الأسواق في المشرق الاسلامي (العراق - بلاد فارس - بلاد ما وراء النهر) في عهد الرسول ﷺ إلى نهاية العصر البويهي ، مجلة كلية العلوم الاسلامية ، بغداد ، 2015 ، ع42 ، ص349.

الكتابات التاريخية الشرقية خلال (ق7-9هـ/13-15م)؟. مبيّنا نماذج عنها؟. وأهمّ المناهج المُعتمدة آنذاك؟.

1- المبحث الأوّل: طبيعة الحياة الثقافيّة ببلاد المشرق الإسلامي (مصر - بلاد الشام)

1-1- طبيعة الحياة الثقافيّة المصريّة ما بين (ق7-9هـ/13-15م):

أ- الحياة الثقافيّة بمصر على عهد الدولة الأيوبيّة (ق6-7هـ/12-13م): عرف العصر الأيوبي بمصرَ ازدهار الحياة الفكرية الثقافية والعلمية؛ حيث اعترف عدة مؤرّخين بفضلهم، والدليل على ذلك ما أشار إليه أحد الباحثين قائلاً: "والحق أننا نقرأ تاريخ الملوك الذين تعاقبوا على مصر من لدن صلاح الدين إلى آخر ملك من ملوك بني أيوب، فنوشك ألا نصادف فيهم ملكاً قليل العناية بالعلم أو فاتراً في تشجيع أهله، وتقريبهم إليه، بل أوشك أن يكون كل واحد من هؤلاء الملوك إما شاعراً أو فقيهاً، أو محدثاً أو ذا تصانيف ونحو ذلك" (1)؛ ونعني بذلك أنّ أغلب الملوك الأيوبيين اهتموا بالحياة الثقافية والعلمية وأولوا عناية شديدة بها إذ نستنتج منهم الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي عرف لدى المؤرخين بحنكته العسكرية وعدم الاهتمام بالعلم والعلماء ولا بتشجيع المدارس. واللأفث للانتباه الأدوار التي قام بها الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي حمل على كاهله عبء تأسيس الدولة وصيانتها من جهة ومن جهة أخرى أولى عناية شديدة بالعلم والعلماء ومختلف العلوم خاصّة العلوم الدينيّة، فقد كان يُصاحب العلماء سواء في مصر أو الإسكندرية أمثال: الشيخ أبي طاهر بن عوف والشيخ تاج الدين المسعودي (2). لكنّ تجدرُ الإشارةُ هنا إلى أنّ مرحلة حكم الملك صلاح الدين تعتبر مرحلة انتقاليّة لمصر من حكم الفاطميين إلى حكم الأيوبيين من حيث الأنظمة والسياسة المُتبعة؛ فالأيوبيون كانوا يدينون بالمذهب السنيّ فعملوا على نشره وطمس معالم المذهب الشيعي فاستوجب ذلك الاهتمام بالعلم والعلماء وتشجيع المراكز التعليميّة من مساجد ومدارس وغيرها من المؤسسات بهدف تخفيف أضرارها في زمنٍ قصير (3).

فقد عُرف الملك صلاح الدين الأيوبي بتردّده على الأئمة لإرساء دعائم الحياة الفكرية والعلمية من أمثال ذلك الأئمة السلفيين الذين كانوا يلتقون به أيّام الخميس والجمعة والسبت من كلّ أسبوع، كما كانت حاشيته تزدهر بالمؤرّخين والشعراء والقضاة والأدباء أمثال: القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني، فلم يكن الملك يبرح مواطن السلم والحرب إلّا وأولى عناية شديدة بالمطالعة حيث يشيرُ إلى ذلك ابن شداد قائلاً

(1) عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1968، ص149.

(2) نفس المرجع، ص149.

(3) إبراهيم فرغلي: الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري، ط1، دار العربي للنشر والتوزيع القاهرة، 2000، ص59.

عن حبِّ الملك لسماع الحديث: " وكان رحمه الله تعالى عليه يحبُّ أن يقرأ الحديث بنفسه وكان يستحضر في خلوته ويحضر شيئاً من كتب الحديث ويقرأها هو فإذا مرَّ بحديث فيه عبرة رقَّ قلبه ودمعت عينيه"⁽¹⁾. والواقع أنَّه ما كان لهذا الاهتمام بالكتّاب والعلماء إلا لكونهم يملكون سند الدولة والمدافعين عنها أثناء السلم والحرب خاصَّةً وأنَّ هذه الفترة شهدت أخطر الحروب الصليبية وحروب المغول⁽²⁾.

بالإضافة إلى الملك صلاح الدِّين برز ثلَّة من سلاطين الأسرة الأيوبية الذين كان لهم دور هامٌّ في إرساء وتطوير الحياة الفكرية أمثال السلطان العادل أبو بكر بن أيُّوب وابن أخيه الملك الناصر العزيز عثمان الذي ورث والدَه صلاح الدِّين في السُّلطة والحكم ونهج طريق سلفه، حيث عرف بشغفه لأهل العلم. وعن ذلك يقول ابن خلكان: " وكان ملكاً مباركاً كثير الخير واسع الكرم محسناً إلى النَّاس معتقداً في أرباب الخير والصَّلاة وسمع بالإسكندرية الحديث من الحافظ السلفي والفقهاء أبي الطاهر ابن عوف الزهري وسمع بمصر من العلامة أبي محمد ابن بري النَّحوي وغيرهم " ⁽³⁾.

كما اشتهر السلطان الكامل بحبِّه وولعه للعلم والعلماء مثله مثل سلفه ويؤكد ذلك المقريزي قائلاً: "وكان يحبُّ أهل العلم، ويؤثر مجالستهم بسماع الحديث النَّبوي. وحدث بالإجازة من أبي محمد ابن بري وأبي القاسم البوصيري، وعدَّة من المصريين وغيرهم... وكان يناظر العلماء وعنده مسائلٌ غريبةٌ من فقه ونحوٍ يمتحن بها. فمن أجاب عنها قدمه، وحظيَّ عنده، وكانت تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم: كالجمال اليمني النَّحوي والفقهاء عبد الظَّاهر وابن دحية والأمير صلاح الدِّين الإربلي - كان أحد الفضلاء - فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه..."⁽⁴⁾.

لاقى المؤرِّخون مكانةً لدى السُّلطة الأيوبية لكونهم أضلاً أعلاماً في مختلف ضروب العلم، ومن المؤرِّخين المشهورين في تلك الحقبة المؤرِّخ الشهير الفدَّ أبو الفداء إسماعيل (ت732هـ/1331م) صاحب

(1) أبو المحاسن بهاء الدين ابن شداد(ت683هـ/1284م): سيرة صلاح الدين الأيوبي المسمى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، دط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، 2012، ص11.

(2) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، ط1، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص156. إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص55.

(3) شمس الدين أبو العباس الشافعي ابن خلكان (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس ، ط1، دار صادر، بيروت، 1978، مج 3 ، ص251.

(4) تقي الدين المقريزي (ت845هـ/1442م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1997، ج1، ص380-381.

كتاب " المختصر في أخبار البشر"، بالإضافة إلى الأدباء والشعراء أمثال: بهرام شان بن فرخشاه صاحب بعلبك (ت628هـ / 1230م) (1).

لقد تنافس أغلب أمراء السلطنة الأيوبية على إنشاء مراكز ثقافية لتوطيد دعائم الدولة الفكرية. وإلى جانب السلاطين الذين تم ذكرهم برز الملك الناصر بن الملك المعظم عيسى بولعه وانشغاله بتحسين الكتب العلمية ذات قيمة معرفية، والملك المؤيد الأيوبي الذي أنشأ عدة خزائن شملت مئات الآلاف من المجلدات.. وغيرهم (2).

وفي الأخير يُمكننا القول؛ أن السلطنة الأيوبية سعت جاهدة لإرساء دعائم الفكر في مختلف أقطار مصر والفضل في ذلك يعود لحركة السلاطين العسكرية والفكرية والأدوار الثقافية التي قاموا بها، حيث لم يربكو الثقافة التي كانت سائدة قبل ذلك وإنما نمت وتطورت من خلال تشييد المدارس والكتاتيب وعقد مجالس علمية والتأثير والتأثر الداخلي بين المدن المصرية وكذا الخارجي بينها والمدن المشرقية والمغربية.

ب - الحياة الثقافية في مصر في عهد المماليك (ق7-9 هـ/13-15م): بالرغم من الاضطرابات السياسية والظروف العصيبة التي عرفها حكم المماليك بمصر إلا أن الحياة الثقافية لم تتأثر بتعدد سلاطينها ولا بكثره الفن والمشاكل التي حلت على المجتمع آنذاك. فلذلك سُميت حقبتهم التاريخية بأسماء ونوعت عدة منها: عصر المماليك أو العصر المغولي... وغيرها. ومن محاسن عصرهم الاهتمام بالحياة الثقافية من خلال تشييد المدارس والزوايا في عدة مدن بدءاً من القاهرة خلافاً للحياة السياسية المضطربة. الواقع أن عصر المماليك قد شهد زخماً علمياً بفضل بعض السلاطين، حيث أكد ذلك الرحالة البلوي المغربي (3) عندما زار مصر آنذاك سنة (337هـ/1339م) مُشيراً إلى كونها تمثل منبع العلم مبدياً إعجابه الشديد بالحياة العلمية والانجازات والمراكز التي تم تشييدها على يد المماليك سواء كانت مساجد

(1) محمد شاکر الکتیبي (ت 764هـ/1363م): فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1973، ج1 ص20. تاج الدين السبكي (ت 771هـ/1370م): طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود الطاحني، عبد الفتاح الحلو، ط2 دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1992، ج4، ص349.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1972، ص118.

(3) البلوي: نسبة إلى قبيلة تعرف بالبلويين العربية التي تعد فرع من فروع قضاة اليمنية، فيها جماعة من الصحابة أمثال: كعب بن عجرة، أبو الهيثم ابن الهيجان - رضي الله عنهما - عز الدين علي بن محمد ابن الأثير (ت 630هـ/1230م): اللباب في تهذيب الأنساب، دط، مكتبة المثنى، بغداد، دت، ج1، ص177.

وجوامع ومدارس ، مكاتب و خزائن خاصة في الإسكندرية التي كانت محطته الأولى والقاهرة وغيرها من المدن⁽¹⁾.

ويعود الفضل في ازدهار الحركة الثقافية المصرية كذلك إلى المماليك الذين ساروا على نهج الأيوبيين، حيث يشير أحد الباحثين إلى ذلك بالقول: "أجل إن هناك أسباب كثيرة لنهضة العلم وازدهاره في العصر المملوكي، لكن هذه الأسباب مع كثرتها وقوتها لم تكن لتنهض بعبء هذه الحركة العلمية وازدهارها لو لم تكن لدى سلاطين المماليك إرادة في ذلك، كما لم يكن هذا العصر عصر تخلف عقلي أو وجداني أو انحطاط علمي وأدبي؛ وإنما هو على العكس من ذلك، فقد شهد نشاطا ثقافيا رائعا ويحسب له أنه كان الوعاء الذي وسع تأليف الموسوعات والمراجع في مختلف العلوم والفنون"⁽²⁾.

فقد وصف المؤرخ أبو المحاسن في كتابه "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" السلطان الظاهر بيبرس قائلاً: "وكان الملك الظاهر يحب أن يطلع على أحوال أمرائه، وأعيان دولته حتى لم يخف عليه من أحوالهم شيء، وكان يقرب أرباب الكمالات في كل فن وعلم". فبتشجيعه للعلم والعلماء ازدهرت فترة حكمه مضيافاً أنه عظم المؤرخين والتاريخ بقوله: "وكان يميل إلى التاريخ وأهله ميلاً زائداً ويقول سماع التاريخ أعظم من التجارب"⁽³⁾. ومن المؤرخين والأدباء الذين لاقوا عناية شديدة على عهده وذاع صيتهم نجد: ابن خلكان وجمال الدين بن واصل وغيرهم⁽⁴⁾.

واللائق للانتباه أن ثلثة من السلاطين توجهوا هم وأبنائهم ليشغلوا في تدريس مختلف العلوم سواء التاريخ أو الفقه أو اللغة العربية أو الحديث في عدة مدارس تم تشييدها من قبلهم ، ومن قبل سلاطين سابقين لهم ومن أبرز هؤلاء السلطان الفذ الغوري الذي كان يعقد مجالس علمية ودينية بالقلعة مرة أو مرتين أو أكثر في الأسبوع الواحد⁽⁵⁾. وقد تعددت عوامل ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في عهد المماليك ويُمكن حصرها فيما يلي:

(1) خالد بن عيسى البلوي (ت 780هـ/1378م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح: الحسن السائح، دط ، نشر اللجنة المركزية ، الرباط ، 1978 ، ج1، صفحات 36-51-53.

(2) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص ص54-55.

(3) جمال الدين أبو المحاسن ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د ط ، مطبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة، القاهرة ، 2016 ، ج 7 ص182.

(4) محمد جمال الدين سدور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1938 ص159.

(5) عبد الوهاب غرام: مجال السلطان الغوري، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، 2012، ص47.

الرغبة في إحياء أمجاد الخلافة العباسية : فقد حاول ثلثة من السلاطين إحياء الخلافة العباسية لغرض الظهور بصفة الحاملة وليكسب التّشريف والمقام السياسي لإمارتهم، لكن أغلب المحاولات باءت بالفشل⁽¹⁾ بينما نجح الظاهر بيبرس في الفترة المدروسة وحقق ذلك بفضل التغيرات والتحويلات التي شهدتها البلدان الإسلامية من ضعف وانحطاط فكان لأبّد من وجود قائد إسلامي يؤدّي الدور القيادي ففي سنة (1261م/659هـ) بدأ عملية الإحياء باستدعاء أحد أمراء بني عباس إلى القاهرة، لكنّه لم يخضر وصادق حضور الأمير العباسي أبو القاسم أحمد بن ناصر⁽²⁾ الفار من ويلات المغول فاستقبل بحفاوة من قبله - الظاهر بيبرس - ومجموعة من علماء مجلسه وقضاة وأعيان الدولة. وفي اليوم الموالي تمت مبايعة أبي القاسم بالخلافة ثم تلاه الظاهر بيبرس وتوّدّي به كأول خليفة عباسي في مصر. ويقول عن ذلك المقرئ: " فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره... فلما تمّ ذلك كان أوّل من بايعه القاضي تاج الدين ثمّ بعده قام السلطان وبايع أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا القاسم أحمد ابن الإمام الظاهر على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ... فلما تمت البيعة قلّد الإمام المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية وما ينضاف إليها"⁽³⁾.

وكان لسقوط الخلافة العباسية ببغداد سنة (1258م/656هـ) على أيدي المغول وبلاد الشام على يد الصليبيين وبلاد الأندلس على يد نصارى الإسبان ، وبلاد المغرب شهدت على إثرها عودة الاضطرابات والفتن فهو وقع سلبي على العلم والعلماء ممّا أدّى بهم للهجرة إلى مصر التي كانت الوحيدة التي تعرف الأمن والاستقرار، حيث يذكر السيوطي في كتابه "حسن المحاضرة" ذلك بالقول: " واعلم أنّ مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محلّ سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء؛ وهذا سرّ من أسرار الله أودعه في الخلافة النبوية"⁽⁴⁾. أصبحت مصر مركزا للتنافس بين العلماء في مختلف الميادين باعتبار عصر المماليك سمي عصر الموسوعات العلمية⁽⁵⁾، ومن ثلثة العلماء الذين هاجروا إلى مصر أبو إسحاق إبراهيم

(1) محاولة المظفر قطز الذي نهج الناصر في التفكير على إقدام أمير عباسي، حين قدم دمشق يدعى أبا العباس أحمد وإرساله إلى مصر لكنها باءت بالفشل. محمد سهيل طقوس: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس بيروت، 1997، ص93.

(2) المقرئ: السلوك ، ج6، ص ص528-529.

(3) نفس المصدر، ص530.

(4) عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ/1505م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ط1، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1968، ج2، ص94.

(5) سليم محمود رزق: الأدب العربي في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دط، مطابع دار الكتاب العربي القاهرة، 1957، ص ص10-11.

بن يخلف التنسي (680هـ/1281م) درس بمسقط رأسه ثم رحل إلى القاهرة والتقى بعدة علماء ونهّل منهم عدة مصنّفات ، كما نال الكثير من الإجازات العلميّة. فعرض عليه الأمير طيبرس بن عبد الله وظيفة التدريس بمدرسة الطبريشية لكنّه رفض وظلّ بمصر ينهّل من مختلف العلوم سواءً التقلية كالحديث أو العقلية كالمنطق⁽¹⁾.

بالإضافة إلى مجموعة من العلماء سواءً علماء المغرب الأوسط مثل: ابن مزروق الخطيب (ت781هـ/1379م) والذي حظي بمكانة مزموقة عند العلماء المصريين⁽²⁾. وكذا محي الدين أبو عبد الله محمد المالكي التلمساني وُلد سنة (606هـ/1209م) الذي تصدر التدريس مدة طويلة بالإسكندرية⁽³⁾. أو علماء بلاد الشام مثل: ابن العديم كمال الدين عمر بن جراد الحنفي (ت660هـ/1262م) المؤرخ المحدث الذي نشأ وتعلّم في حلب ودمشق وفلسطين ثم انتقل إلى مصر وهناك توفي وغيرهم⁽⁴⁾.

وفي الأخير يُمكننا القول ؛ أنّ وجود الخلافة بمصر كان الداعم لدولة المماليك في شتى المجالات رغم أنّ المماليك لم يكن لديهم إرادة وعزيمة لتحقيق التطور. فبعد سقوط بغداد ورثت مصر النشاط الفكري في المنطقة الإسلاميّة، وهذا لا ينفي أنّها لم تشهد نهضة فكرية بفضل تشجيع السلاطين للعلم والعلماء. وكذا الاهتمام بإنشاء ودعم المراكز التعليميّة العامّة والخاصّة.

ج - المنشآت التعليميّة المشرقيّة في العُضرين الأيوبي والمملوكي: يقصد بالمنشآت التعليميّة مختلف المدارس والمكتبات وغيرها، فقد اشتهر سلاطين بني أيوب وكذا المماليك بإنشاء المدارس والمكتبات الخاصّة على نهج نور الدين وصلاح الدين الأيوبي اللذان اشتهرا بتشييد مدارس شبيهة بالجامعات أو معاهد التعليم العالي في وقتنا الحالي منتهجة مذاهب متنوّعة. والبعض منها يشمل أربع فروع للمذاهب الأربعة. وليس ذلك فقط وإيما المدارس لم تكن مركّزة على العلوم الدينيّة من فقه وحديث وتفسير فقط بل غدت مراكز لتدريس التاريخ والفلسفة والنحو والعلوم الطبيعيّة⁽⁵⁾.

ولو نعود لتاريخ المدرسة خلال الحقبة السابقة للدراسة فإننا نلاحظ الدور الكبير للسلطان نور الدين الذي شيّد المدرسة في دمشق ووقف عليها، بالإضافة إلى مدارس أخرى في حلب وحمص منتهجة مذهب

(1) تقي الدين المقرئ (ت845هـ/1442م): المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت، 1998، ج2، ص383. أبي عبد الله ابن مريم التلمساني (ت771هـ/1369م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، ط1، مطبوعات الجامعة، الجزائر، 1986، ص67.

(2) ابن مريم التلمساني: نفس المصدر، ص67.

(3) نفسه ، ص67.

(4) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1977، ج2، ص ص75-78.

(5) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص62.

الإمام أبي حنيفة والمذهب الشافعي وكذلك أصبحت المدارس الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي الذي تحمّس للأمر ووضع خطة تقوم على تعليم الناس المذهب السني ومحاربة العقائد الفاطمية من جهة ومن جهة أخرى إثارة الحماس الديني ضدّ الفرنج في الحروب الصليبية⁽¹⁾.

ج-1- المنشآت التعليمية بمصر خلال العهدين الأيوبي والمملوكي:

أولاً : إنشاء المدارس والمكتبات والمراكز الدينية:

1- المدارس العلمية: لم يهتّم المماليك بالمراكز الدينية في مجال التعليم، بل امتد ذلك ليشمل إنشاء مراكز تعليمية الهدف الرئيسي من وجودها نشر التعليم. وقد اشترك في ذلك ثلّة من السلاطين والأمراء والوزراء بل حتّى التجار، ويظهر ذلك جلياً في تعدد المدارس وهذه الأخيرة في مصر كان لها الدور الأساسي في محور آثار التشييع. والمماليك لم يكونوا السباقين وإنما ساروا على نهج الأيوبيين وعادت في عهدهم مصر مركزاً حضارياً للعلم ونشر التعليم ومن أبرز المدارس خلال عهد الأيوبيين والمماليك نجد مايلي:

- المدرسة القمحية: أنشأت بجوار الجامع العتيق بمصر (دار الغزل) على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي جاعلاً إياها مدرسة لفقهاء المالكية، وذلك بدءاً من سنة (566هـ/1170م) ثم استمرت في تقديم رسالتها إلى غاية سنة (825هـ/1421م) حينما أخرج السلطان الأشرف برسباني بعض أوقافها وأنعم عليها مملوكين ليكون إقطاعاً لهما⁽²⁾.

- المدرسة الصلاحية: أنشأها السلطان صلاح الدين سنة (572هـ/1176م) مولياً تدريسها لجماعة من العلماء والأعيان وبلغ عدد المعيددين بها أحياناً عشرة، فتولى نظرها عدة شيوخ منهم الشيخ تقي الدين بن دقيق وغيره. واستمرت طيلة العصر المملوكي⁽³⁾.

- المدرسة السيوفية: شيدها كذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي كوقف للحنفية؛ وتولى التدريس فيها مجموعة من المشايخ أمثال: الشيخ مجد الدين محمد ابن الجبتي، وهي أول مدرسة وقفت على الحنفية بتاريخ (572هـ/1176م) حسب المقرئ⁽⁴⁾.

نستنتج ممّا سبق الدور الذي قام به صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه الذين اهتموا بالمدارس وعملوا على زيادتها والإنفاق عليها وتمويلها. وهذا ليس بالغريب أن نلاحظ طائفة من رجال بيته وكبار رجال دولته اقتدوا به و أنشأوا مدارس من ثرواتهم الخاصة وأوقفوا عليها الأوقاف، ممّا جعلها لا تقل أهمية عن المدارس السلطانية.

(1) عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق، ص ص 81-82.

(2) المقرئ: الخطط، ج 4، ص 201.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة، ج 2، ص ص 257-258.

(4) المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ص 204.

- المدرسة الفاضلية : أنشئت على يد القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بالقرب من داره بتاريخ (580هـ/1184م) وذلك لتدريس المذهب المالكي والشافعي فقط ، فقد استفتح التدريس يوم السبت مستهل المحرم سنة ثمانين وخمسائة رتب فيها دروس على المذهبين وجعل فيها قاعة للإقراء، درس فيها الإمام الشاطبي وأوقف فيها خزانة كتب تحمل جملة من الكتب في مختلف العلوم، وظلت مفتوحة طيلة عصر المماليك حتى تلاشت⁽¹⁾ .
- مدرسة العادل أو ابن شاس: أنشأها الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخ صلاح الدين، وهي من المدارس المالكية وظلت عامرة طيلة فترة المماليك (عهد المقريري)⁽²⁾.
- المدرسة الكاملية: أنشأها السلطان الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أيوب بتاريخ (622هـ/1225م). حيث أشار السيوطي إلى كونها أول دار عملت للحديث في عهد الأيوبيين، وظلت عامرة حتى سنة (806هـ/1403م)⁽³⁾.
- المدرسة الصالحية: شيدها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (639هـ/1241م) بالقاهرة، تتكون من أربع مدارس مذهبية وأتم بناءها سنة (641هـ/1243م)، وظلت طيلة العهد المملوكي محل اهتمام السلاطين والأمراء⁽⁴⁾.
- المدرسة القطبية: شيدها السيدة عصمة الدين مؤنسة خاتون وأوقفت عليها أوقافاً تشمل المذهبين الشافعي والحنفي ، ظلت عامرة طيلة عصر المماليك⁽⁵⁾.
- المدرسة الصحابية البهانية: شيدهت بالقرب من الجامع العتيق على يد علي بن سليم ابن حنا وزيد الظاهر بيبرس سنة(654هـ/1256م)؛ وأوقف لها عدة أوقاف، وخصص لها كتباً ثمينة. وأول من درس فيها الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير بهاء الدين وعدد من أبنائه إلى غاية(813هـ/1410م)⁽⁶⁾.
- المدرسة الظاهرية: أنشأها الملك الظاهر بيبرس سنة(662هـ/1263م)؛ تعتبر حسب بعض المؤرخين من أهم المدارس التي أوقف عليها أوقاف عدّة ، وألحقت بها خزانة كتب في شتى العلوم. حيث يصفها المقريري قائلاً: "من أجل مدارس القاهرة، إلا أنها تقادم عهداً فرثت"⁽⁷⁾.

(1) المقريري: الخطط ، ج4، ص204.

(2) نفس المصدر، ج4، ص 203-219. السيوطي: حسن المحاضرة ، ج2، ص262.

(3) المقريري: المصدر السابق ، ج4 ، ص219.

(4) نفس المصدر ، ج4 ، ص217.

(5) نفسه ، ج4 ، ص245.

(6) نفسه ، ج4، ص211.

(7) نفسه ، ج4 ، ص224. السيوطي: المصدر السابق ، ج2، ص264.

- المدرسة المجدية الخيلية : تأسست بمصر العتيقة وعمرها الشيخ الإمام مجد الدين أبو محمد عبد العزيز الخيلي سنة (663هـ/1264م)، وأوقف عليها أوقافاً للشافعية. كما تولى التدريس فيها ابن مؤسسها الصاحب الوزير فخر الدين عمر .
- المدرسة الصحابية: أنشأها الصاحب صفى الدين عبد الله علي بن شكر كوقف على المالكية. وبها درس وأنشأ خزانة كتب شهيرة ، وبعد وفاته تولى شؤونها أولاده إلى غاية سنة (758هـ/1356م)⁽¹⁾.
- المدرسة الفارقانية: أسسها آق سنقر الفارقاني السلحدار بحارة الوزيرية فتحت سنة (676هـ/1277م) وحُصِّصت منها أوقافٌ للشافعية والحنفية⁽²⁾.
- المدرسة المنصورية: اقتنى السلطان المنصور قلاوون الدار القطبية وما جاورها، وأنشأ هذه المدرسة على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي سنة (683هـ/1277م)، مرتباً فيها دروساً للمذاهب الأربعة وجاعلاً عليها أوقافاً فكانت العملية التعليمية بداخلها منظمة مشابهة للجامعات في الوقت الحالي⁽³⁾.
- المدرسة الحسامية: بناها الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة في عهد السلطان المنصور قلاوون والمعروف أنه شيدها قبل وفاته سنة (689هـ/1290م)، مخصصة لفقهاء الشافعية⁽⁴⁾.
- المدرسة المنكوتيرية: شيدها الأمير منكوتر الحسامي نائب السلطنة في عهد السلطان لاجين المنصوري سنة (698هـ/1298م) ورتب فيها درساً للمالكية وآخر للحنفية، وجعل فيها خزانة للكتب ومقرها حارة بهاء الدين بالقاهرة⁽⁵⁾.
- المدرسة القراسنقرية: شيدها الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب السلطنة في عهد السلطان لاجين المنصوري سنة (700هـ/1300م)، اشتهرت باستقبال كل من قدم من الشام.
- المدرسة الناصرية: مدرسة أسسها صلاح الدين الأيوبي، رتب لها بعض الأراضي والعقارات للإنفاق من ربحها على مصاريف المدرسة، ودفع مرتبات المدرسين والطلبة⁽⁶⁾.

(1) المقرئزي: الخطط، ج4، ص ص213-259.

(2) نفس المصدر، ج4، ص209.

(3) نفسه، ج4، ص226. السيوطي: المصدر السابق، ج2، ص264.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ص236.

(5) نفس المصدر، ج4، ص238.

(6) نفسه، ج4، ص ص200-240.

- المدرسة الناصرية: تمّ تشييدها من قبل السلطان الملك العادل كتبغا المنصوري، لكنّه سرعانَ ما تمّ خلعها فأنتمها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (703هـ/1303م)، وهي ليست المدرسة التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي بجوار قبّة الشافعي، ولا المدرسة الناصرية التي بجوار الجامع العتيق أوقف عليها الناصر محمد أوقافاً عدّة، منظماً بها حركة التدريس وفق المذاهب الأربعة وزوّدها بخزانة حفظت مختلف الكتب⁽¹⁾.
- المدرسة الخروبية الأولى والثانية: فالأولى أنشأها كبير الخرابية بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي بعد سنة (750هـ/1349م). أمّا الثانية تقع على شاطئ النيل أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين بن علي الخروبي سنة (785هـ/1385م) و أوقف عليها أوقافاً ورتّب بها مدرسا للحديث⁽²⁾.
- المدرسة الحجازية: أنشئت على يد السيّد الجليّة الكبرى خوندتشر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (760هـ/1359م) برحبة باب العيد بالقاهرة - جوار قصر الحجازية -، درست بالمدرسة عدّة دروس على المذهبين الشافعي والمالكي، كما زوّدت بخزانة كتب كما ألحق بها مكتباً لتعليم القرآن الكريم⁽³⁾.
- المدرسة البشيرية: أنشئت من قبل الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجمدار الناصري خارج القاهرة سنة (761هـ/1359م) وجعل بها خزانة كتبٍ لمختلف العلوم⁽⁴⁾.
- مدرسة الجاي: شيدها الأمير الكبير سيف الدين الجاي سنة (768هـ/1366م) بالقرب من قلعة الجبل. جعل بها دروساً للشافعية والحنفية مزوّدا إياها بخزانة كتبٍ وقال عنها المقرئزي أنّها من المدارس الجديدة ذات المكانة المرموقة⁽⁵⁾.
- مدرسة أم السلطان: بُنيت من قبل السيّد بركة أم السلطان الأشرف شعبان بن الحسين سنة (771هـ/1369م) بالقرب من قلعة الجبل، جعلت بها دروساً كغيرها من المدارس الجليّة للشافعية والحنفية⁽⁶⁾.
- مدرسة البوبكرية: بناها الأمير سيف الدين استبغا ابن الأمير سيف بن بكتمر البوبكري الناصري سنة (772هـ/1370م)، بجوار درب العبّاسي بالقاهرة، وجعلها وقفاً للحنفية⁽⁷⁾.

(1) المقرئزي: الخطط، ج 4، ص 200-229. السيوطي: حسن المحاضرة، ج 2، ص 265.

(2) المقرئزي: المصدر السابق، ج 4، ص 210.

(3) نفس المصدر، ج 4، ص 230.

(4) نفسه، ج 4، ص 256.

(5) نفسه، ج 4، ص 257.

(6) نفسه، ج 4، ص 258.

(7) نفسه، ج 4، ص 244.

- **المدرسة البقرية:** أنشأها الرئيس شمس الدين شاکر بن غزبل المشهور بابن البقري (ت772هـ/1370م) بالقرب من الجامع الحاكم، جعلها وقفاً للشافعية ووظف فيها عدداً كبيراً من الفقهاء.
- **المدرسة الظاهرية:** شيدها السلطان الظاهر برقوق بدءاً من سنة (783هـ/1381م)، مُسنداً مشيختها للعلامة علاء الدين السيرمي مدرس الحنفية بها، وجعل بها ثلاثة أساتذة أحدهم للملكية ألا وهو الشيخ شمس الدين ابن مكين، وثانيهم للمذهب الشافعي الشيخ وحيد الدين الرومي وثالثهم للحنبلية ألا وهو الشيخ صلاح الدين ابن الأعمى، وعين كذلك مدرّبين للحديث والقراءات والتفسير... وغيرهم⁽¹⁾.
- **مدرسة الأمير جمال الدين الاستادار:** أنشئت من قبل الأمير جمال الدين محمود الاستادار سنة (810هـ/1407م)، وبدأت العمل سنة بعد ذلك بدروس الحنفية والشافعية والحنبلية. وجعل لها أوقافاً لكن نتيجة لبطش الملك الناصر برقوق بمؤسسها قام بهدم المدرسة والاستئثار بأوقافها سنة (818هـ/1409م) ومنذ ذلك اليوم تغيرت معالم المدرسة على يد كاتب سره فتح الدين فتح الله اسمها المدرسة الناصرية، لكن بعد زوال الحكم برقوق استطاع أحفاده إعادة أمجاد جمال الدين⁽²⁾.
- **مدرسة فرج بن برقوق:** بُنيت المدرسة شمال القاهرة على يد السلطان فرج بن برقوق، لكن تمّ تعميمها على يد السلطان الناصر بعد وفاة السلطان فرج سنة (801هـ/1398م) وانتهجت نظاماً محكماً لم يشترط فيها الأوقاف لأيّ مذهب، والدليل على ذلك تؤولها من قبل فقهاء المذاهب الأربعة⁽³⁾.
- **مدرسة قايتباي:** أنشأها سلطان الأشرف أبو النصر قايتباي، عندما تولى السلطنة بصحراء خارج القاهرة سنة (877هـ/1472م) بالضبط وأنشأ جوارها مكتباً وخزانة للكتب⁽⁴⁾. هناك مدارس أخرى شيّدت من قبل السلاطين أو الأمراء أو الأعيان لم يتمّ ذكرها أهمها: الطبرسية المهدبية- القبة- المنصورية- الحسامية- السلطان الناصر حسن- الصرغتمشبية- المهندارية- الملكية- السابقة- الأيتمشبية- الأينال- الزمامية... وغيرها⁽⁵⁾. تثبت كثرة المدارس التنافس الذي كان بين السلاطين الأيوبيين، وكذلك منافسة سلاطين الدولة المملوكية لهم إلا أنّ ذلك لم يقف حجر عثرة أمام تقدّم السياسة التعليمية والحركة الثقافية، إنّما يؤكد حرص الطبقة الحاكمة على العلم وطلبه ونشره والحفاظ عليه في خزائن الكتب.
- وخلص القول يُمكننا القول أن؛ المدارس في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي نوعان المدرسة الحكومية التي تم تشييدها من قبل سلاطين البيتين الأيوبي والمملوكي؛ وما يميّزها مواقع اختيارها كانت بعناية شديدة تسمح لها بالبقاء والاستمرار لفترة طويلة والأكثر من ذلك بنيت بجوار جوامع عظمى

(1) المقرزي: المصدر السابق، ج4، صص 224-244.

(2) نفس المصدر، ج4، ص 261.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج13، صص 64-65.

(4) عبد الرحمن محمود عبد التواب: قايتباي المحمدي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978، ص186.

(5) المقرزي: المصدر السابق، ج4، صفحات 226-231-236-257-260.

بمصر مثل: المدرسة الناصرية الأولى والمدرسة القمحية وغيرها، على غرار المدرسة الأهلية التي شيدت بإمكانيات الأفراد التي لا تُضاهي إمكانيات الحكومات سواء الأيوبية أو المملوكية لكن نستثني مدارس الأمراء والوزراء التي كانت شبيهة نوعاً ما بمدارس السلاطين والملوك مثل: المدرسة السيفية والمدرسة الفخرية وغيرها ، أمّا بقية الطوائف فإن المدارس التي إنشأوها رغم بساطتها، إلا أنها لاقت إقبالا واسعاً مثل المدارس التي بناها التجار .

2- المراكز الدينية (المساجد، الخوانق، الزوايا، والربط): تعددت أقوال مؤرخي العصرين الأيوبي والمملوكي حول عدد المساجد والزوايا والربط التي شيدت بمصر، فقد تمّ تشييدها من قبل السلاطين أو الأمراء والخوندات وكبار رجال الدولة وأبرزها:

أ- المساجد والجوامع: إن مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي شهدت نشاطاً دينياً وتعليمياً وثقافياً واسعاً استلزم إعادة إعمار عدداً كبيراً من المساجد والجوامع والتي لاقت إقبالا للطلبة من داخل وخارج مصر مثل: جامع عمر بن العاص الذي أعاد تعميمه كل من السلطان صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس سنة (666هـ/1267م)، بالإضافة إلى جامع ابن طولون الذي قام بتجديده السلطان لاجين سنة (696هـ/1296م) بأمر من الأمير علم الدين سخر الزيني⁽¹⁾. كما لقي الجامع الأزهر مكانة بفضل حب الأيوبيين للعلم والعلماء، خاصة صلاح الدين الذي يعود إليه الفضل في تجديده وإلى الظاهر بيبرس الذي عمل على ذلك بعد الذي أصاب مصر سنة (665هـ/1267م)⁽²⁾ ونفس الأمر طرأ على الجامع الحاكم الذي تعرّض للهدم إثر الزلزال الذي ضرب مصر كذلك سنة (702هـ/1302م) حيث تمّ تجديده على يد الأمير بيبرس الجاشنكير⁽³⁾.

نصف إلى مجموع الجوامع جوامع أخرى لم تكن أماكن عبادة فحسب بل كانت مراكز تعليمية أو مجالس لاجتماع مختلف الطبقات سواء العلماء أو الفقهاء أو القضاة أو المؤرخين مثل: جامع الظاهر الذي شيد له الملك الظاهر بيبرس سنة (665هـ/1266م)⁽⁴⁾، والجامع الناصري الذي عمره القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله باسم السلطان الناصر حسن ابن قلاوون سنة (712هـ/1312م)⁽⁵⁾. دون أن ننسى جامع القلعة كذلك الذي شيدته الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (718هـ/1318م)⁽⁶⁾ وغيرها من

(1) المقرئزي: الخطط، ج2، ص ص 246-268.السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص ص 241-250.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 275. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 364.

(3) المقرئزي: المصدر السابق، ج2، ص 278. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت732هـ/1332م): نهاية

الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ج32، ص 58.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج2، ص 299. نفس المصدر، ج31، ص ص 85-86.

(5) نفس المصدر، ج2، ص 304.

(6) نفسه، ج2، ص 325.

الجوامع التي تفرعت خدماتها وتنوعت وظائفها فغدت مؤسسات للعلم وضمت عدداً كبيراً من الطلبة والعلماء والكتب المتنوعة القول.

ب- الخوانق: يشير المقريري إلى أن الخوانق هي جمع خانقات وأصل الكلمة فارسي معناه الموضع الذي يأكل فيه الملك فقد شيدت لكي تكون ملاجئ ومنازل للفقراء في أول الأمر، لكن أصبحت أغلبها تمثل دور علم وفقه وأبرز الخوانق في العهدين المملوكي والأيوبي بمصر مايلي:

- **خانقاه سعيد السعداء:** أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (569هـ/1173م) مُعتبراً إيّاها مقراً للفقراء الوافدين على البلاد، مُتولياً مشيختها كبار الصوفية آنذاك منهم أولاد الشيخ بن حموية الجويني ودامت طيلة العصر المملوكي تنشط. ففي سنة (780هـ/1388م) تولى نظرها الأمير يلغا السالمي بأمر من السلطان بقوق شاملة في أرجائها أكبر خزائن الكتب العلميّة والفقهية⁽¹⁾.

- **الخانقات البيبرسية:** شيدها ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصور سنة (706هـ/1306م) بالقاهرة أتمّ انجازها سنة (709هـ/1309م) شملت مجموعة عُرف منها غرفة العلم والحديث، لكنّها عانت من عدّة اضطرابات لذلك أصبح لا يسمح دخولها إلا لِدَوِي العلم والفقهِ وأهل الخير⁽²⁾.

- **خانقاه سرياقوس:** شيدها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون شمال القاهرة ، بأول بني إسرائيل بسماسم سيرياقوس سنة (723هـ/1323م)، وأتمّ انجازها سنة (725هـ/1324م) بإشراف من قبل الأمراء والقضاة من بينهم شيخ الخانقاه الشيخ مجد الدين موسى ابن أحمد ابن محمود الأقصر⁽³⁾.

- **خانقاه بكتمر:** بناها الأمير بكتمر الساقى (726هـ/1325م) في سفح الجبل طرف القرافة وعين على رأس المشيخة الشيخ شمس الدين الرومي الصوفي فقد شملت تدريس مختلف العلوم، لكن للأسف خربت سنة (806هـ/1403م) بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية التي عانت منها مصر⁽⁴⁾.

- **الخانقان العلانية:** أنشئت على يد الأمير علاء الدين مغضاي الجمالي الناصري سنة (730هـ/1329م) على أساس مذهب أبي حنيفة مرتباً لمشيختها القاضي الفذ علاء الدين علي ابن القاضي فخر الدين عثمان المارديني الحنفي، وكانت تشمل غرف للتدريس وخزائن للكتب⁽⁵⁾. فكان هذا الخانقاه من الدور التعليمية والمراكز الدينية الجليلة التي تتلمذ على يدها أبرز مشايخها وأهمهم العلماء والمؤرخين الذين برزوا على مرّ التاريخ بمؤلفاتهم.

(1) المقريري: الخطط، ج2، ص416. السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص260.

(2) المقريري: المصدر السابق، ج2، ص417.

(3) نفس المصدر، ج2، صص422-423.

(4) نفسه، ج2، ص424.

(5) نفسه، ج2، ص392. أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م): الدرر الكامنة في أعيان المائة

الثامنة، د ط، دار الجيل، بيروت، د ت، ج3، ص84.

- **خانقاه شيخو:** شيدت على يد الأمير سيف الدين شيخو العمري سنة (756هـ/1355م) في حي الصليبية اتجاه الجامعة وفرغ من إنشائها سنة (757هـ/1356م) مرتباً فيها دروساً على المذاهب الأربعة الحديث بالإضافة إلى مختلف العلوم الأخرى لذلك تخرّج منها كثير من أهل العلم فيشير السيوطي إلى وجود عدد كبير من الذين تولوا مشيخة الخانقاه بعد سنة (786هـ/1384م) أي بعد وفاة البابرتي منهم ابن العجمي. كما أشار المقرئ إلى اضطراب أحوالها منذ تولي السلطة من قبل الملك الناصر فرج⁽¹⁾. نستخلص ممّا سبق؛ أنّ الجوامع و الخانقاوات ساهمت في إثراء الحياة الثقافية والعلمية منذ عهد الأيوبيين، كما يعود الفضل في تطور الحركة الفكرية في العهد المملوكي إلى الأمراء والسلاطين؛ حيث أوضحت الاستراتيجيات العلمية آنذاك أعلى مظاهر التنظيم وأساليب التدريس واعتلاء نخبة من العلماء الإشراف على الحلقات.

ج- **الزوايا:** تعددت بنى إيواء المنقطعين للعلم والزهد والعبادة خلال العهدين الأيوبي والمملوكي مرتبة بأسماء شخصيات دينية مشهورة بالفقه والعلم ولها مكانة لدى السلاطين والأمراء ومن أبرزها:

- **زاوية الشيخ خضر:** عُرفت باسم الشيخ خضر ابن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي التي ظلت قائمة على ذاتها منذ سنة (671هـ/1272م) إلى غاية (676هـ/1277م)⁽²⁾.

- **زاوية الطرطرية:** أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (740هـ/1339م)، وأشرف عليها القاضي شرف الدين النشو برسم من قبل الأخوين محمد وأحمد الطرطرية⁽³⁾. ويمكننا القول أنّ الزوايا مثلها مثل سائر المراكز الدينية الأخرى من حيث الأهمية الثقافية ويعود الفضل في ذلك إلى دور الشيوخ و زهاد الزوايا الذين ركزوا على تدريس العلوم للطلبة المنتمين لها مثلها مثلًا لأربطة كذلك التي كانت دوراً تعليمية ومراكز اجتماعية وعلمية بما تقدّمه من خدمات ثقافية مثل: رباط الآثار⁽⁴⁾، رباط الأفرم⁽⁵⁾... وغيرها.

3- المكتبات: لقد شهدت مصر أنواعاً عدّة من المكتبات لكن أغلبها مكتبات خاصة وذلك للمكانة التي احتلتها المؤلفات عند السلاطين الأيوبيين والمماليك. وبعدها آل الحكم لآل أيوب، أبطل صلاح الدين الأيوبي المذهب الشيعي وقضى على خزائنها ومكتباتهم لكونها كانت متعلّقة بمذهب الفواطم. فتشتت

(1) المقرئ: الخطط، ج2، ص 421. السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 266.

(2) المقرئ: المصدر السابق، ج2، ص 431.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 432.

(4) رباط الآثار: أنشأها العالم صاحب تاج الدين محمد بن صاحب خارج القاهرة، بالقرب من بركة الحبش مطل على نهر النيل، وتحتوي على خزانة كتب قيمة. نفسه، ج2، ص 429.

(5) رباط الأفرم: سيده الأمير عز الدين أيبك الأفرم سنة (663هـ/1264م)، وكان الهدف من بنائها تحقيق الأهداف التعليمية والدينية. نفسه، ج2، ص 429.

أغلب الكتب بيعا وعتاءً لبعض العلماء أو تقديمًا كهدايا للمقربين. فبالرغم من قيام الدولة الأيوبية على أساس جهادي إلا أن الحياة الثقافية تميزت بتعدد المدارس العلمية، حيث أنشئت أزيد من ست وعشرين مدرسة في القاهرة فضلاً عن بعض المدارس بالإسكندرية والفيوم ولهذه المدارس مكتبة التحصيل والاستزادة من العلم⁽¹⁾ ومن مكتبات العصر الأيوبي والمملوكي مايلي:

- **مكتبة المدرسة الفاضلية:** أنشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم البسياني (596هـ/1205م) بجوار داره تحتوي كتب شتى في مختلف العلوم كما أنشأ مكتبته الخاصة في داره التي آلت لابنه الأشرف أحمد بعد وفاته⁽²⁾.

- **مكتبة المدرسة الكاملية:** أنشأها الملك الكامل ناصر الدين محمد سنة (622هـ/1225م) فكانت تتألف من ثمانية وستين ألف مجلد⁽³⁾.

- **مكتبة الثالثة:** أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بمدرسته سنة (639هـ/1241م)⁽⁴⁾، ولم يقتصر وجود المكتبات في العصر الأيوبي على المدارس وخدها بل وجدت مكتبات خاصة، فضلاً عن المكتبات الملحقة بالمدارس والجوامع عرفت بنظامها المحكم مما جعل علماءها يتنافسون على التأليف كما ورث المماليك عن الأيوبيين والمماليك جميع النظم العلمية والتعليمية، فلذلك زخرت مصر بأنواع عدة:

أ- **المكتبات الخاصة:** تمثل قاعدة المكتبات من حيث أسبقية الظهور والانتشار خاصة وأن غريزة التملك لدى السلاطين كانت مجالاً للانطلاق نحو امتلاك الكتب؛ فحيثما قرأنا كتاباً في التراجم أو السير إلا وجدنا دلالات عن ذلك كقولهم: "كان يفتني الكتب النفيسة" أو "كان جماعاً للكتب"... وغيرها⁽⁵⁾. فسلاطين المماليك أولوا عناية شديدة بالكتب واحتفظوا بأمهات الكتب في قلعة الجبل مقر السلطان المملوكي التي شملت خزانة كتب جلييلة تحوي أزيد من ثمانية وستين ألف مجلد، لكن للأسف وقع حريق سنة (691هـ/1291م) بالقلعة أدى إلى إتلاف أغلبها في شتى علوم الفقه والحديث والتاريخ وغيرها⁽⁶⁾. وإذا كانت السنة الحريق قضت على المكتبة السلطانية إلا أن عصر سلاطين المماليك شهد عدة مكتبات سلطانية خاصة تشمل عدة كتب ثمينة أهمها:

(1) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص 336.

(2) المقرئزي : الخطط ، ج 4 ، ص ص 204 - 205.

(3) نفس المصدر ، ج 4 ، ص 223.

(4) السيد السيد النشار : تاريخ المكتبات في مصر - العصر المملوكي - ، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، 1993 ص 71.

(5) نفس المرجع ، ص 73.

(6) المقرئزي : السلوك ، ج 2 ، ص 233.

- مكتبة السلطان ناصر حسن ابن قلاوون: من رواد العلم حيث اشتغل بنسخ عدّة كتب بخطّ يده منها: كتاب "دلائل النبوة" للبيهقي⁽¹⁾.
- مكتبة السلطان الغوري: عرف بمكتبته الغنية بالكتب، ومن ضمنها كتاب "تاريخ التتار"⁽²⁾.
فقد كان للفقهائ والعلماء والقضاة أيضًا مكتبات خاصة أوقفوها على طلبة العلم أهمها:
- خزانة الشيخ الصالح المحدث أبو الفتح محمد الكافي (1267/هـ/1267م): أوقفها على طلاب العلم⁽³⁾.
- خزانة القاضي إبراهيم ابن عبد الرحيم ابن محمد بن سعد الله بن جماعة (790/هـ/1388م): التي تمّ اقتناؤها من قبل الأمير محمود الأستادار الذي يعدّ من ورثته⁽⁵⁾.
- خزانة العالم أحمد ابن أسد بن عبد الواحد الأسيوطي: اعتنى بالكثير من كتبه، حيث جعل لها حواشي وتعليقات كما عرف باقتناء أمهات الكتب⁽⁶⁾.
- خزانة الشيخ الإمام ناصر الدين شافع الكناي العسقلاني (733/هـ/1332م): أضخم الخزائن التي تحوي ثمانين عشرة خزانة للانتفاع الطلّابي⁽⁷⁾. الحقيقة أنّ أغلب الكتب والمصنّفات المجموعة من قبل بعض السلاطين كانت بغرض الانتفاع بها، لكن كانت هنالك زمرة منهم يجمعونها للتباهي وليس للعلم مثل: إبراهيم بن أحمد بن الفرس (888/هـ/1483م) الذي نقل عنه قوله: "إذا عانيت الموت ألقيتها في البحر"؛ ومن هنا نقول أنّ المكتبات الخاصة تُعدّ مظهرًا للثراء عند البعض من السلاطين والعلماء⁽⁸⁾.
- ب- المكتبات العامّة: عمرت العديد من المؤسسات العامّة خلال العصر المملوكي التي تشيّد مكتبات سواء في المساجد والجوامع أو المدارس العامّة أو البيمارستانات أو الربط أو الخوانق أبرزها:
- ب-1- مكتبات المساجد والجوامع: كانت تُؤدّي وظيفتها الدينية وتعدّد مجالس علميّة؛ لذلك كانت تحتوي على مكتبات ثريّة، ومن هذه المكتبات: خزانة كتب بجامعة ابن طولون: يذكّر عنها السيوطي قائلًا: "أنّها ضمت كتبًا في الفلسفة والحكمة والنجوم والطب والفلك والتاريخ"⁽⁹⁾.

(1) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج2، ص40. السيد النشار: المرجع السابق، ص74.

(2) عبد الوهاب عزام: المرجع السابق، ص49.

(3) بدر الدين محمود العيني (ت855/هـ/1451م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: محمود رزق محمود، ط2

ج2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث - القاهرة، 2010، صص31-32.

(5) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1، قسم1، صص38-39.

(6) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، د ط، مؤسسة التاريخ العربي ووكالة

المعارف الجليلة، استانبول، 1951، ج1، ص133.

(7) الزركلي خير الدين: الأعلام، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1986، ج3، ص152.

(8) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص13.

(9) السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص249.

- مكتبة الجامع الأزهر: أوقف عليها سنة (878هـ/1473م) الشيخ عيسى بن عبد الرحمن الزواوي المغربي كتب برواق المغاربة⁽¹⁾.
- مكتبة الجامع الحاكمي: شملت مختلف العلوم، لكنها تعرضت للزلازل سنة (702هـ/1302م)، ثم جددت بوقف أزيد من خمسمائة مجلداً منها ربيعة شريفة مكتوبة بماء الذهب على ورق بغدادي⁽²⁾.
- مكتبة جامع الخضيرى: أسسها الأمير عز الدين أيدمر الخضيرى سنة (737هـ/1337م)⁽³⁾.
- مكتبة الجامع المؤيدي: أسسها السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة (822هـ/1419م)، وأشار المقرئى إلى أن السلطان حمل إليها كتباً قيمة⁽⁴⁾.
- ب- 2- المكتبات المدرسية: شملت كل مدرسة مكتبة أو خزنة متعددة المؤلفات والميادين، فكل مدرسة تم الإشارة إليها أنفاً ذكرت فيها مكتبة ومن الإشارات مايلي:
- مكتبة المدرسة الظاهرية: أوقف عليها الظاهر بيبرس خزنة كتب تحمل أمهات العلوم والمذاهب⁽⁵⁾.
- مكتبة المدرسة المنصورية: كانت تحتوي كتب و ربعات شريفة، إضافة إلى خزنة كتب⁽⁶⁾.
- مكتبة المدرسة الصحابيَّة البهائيَّة: تشمل خزانه كتب قيل عنها لا يعرف بديار مصر مثلها، إذ كان بها أربعة آلاف مجلداً⁽⁷⁾.
- ب- 3- مكتبات الربط والخوانق والمقابر والزوايا: اشتهروا بأبرز خزانات الكتب التي رُتبت و جهزت بأحدث التجهيزات آنذاك، و من بينها خزنة خانقات البكتيرية سنة (726هـ/1326م)⁽⁸⁾، وخزنة أخرى برباط الآثار وخزنة في القبة المنصورية⁽⁹⁾، وكانت خلوة الكماخي بالقاهرة تضم كذلك مكتبة⁽¹⁰⁾.
- وصفوة القول يُمكننا أن نعتبر المكتبات وسيلة تربية هامة مثلما هو الحال في العصر المعاصر ولا يمكن الاستغناء عنها. فالكمل الهائل للمكتبات دليل على الإيمان العالي لرجال العصر سواء الأيوبيين أو المماليك، التي اكتسبت من خلالها جميع فئات المجتمع مكانة ثقافية خاصة طلاب العلم والمعرفة.

(1) السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص ص 251 - 252.

(2) النويري: نهاية الأرب، ج32، ص60.

(3) المقرئى: الخطط، ج2، ص312.

(4) عبد العليم فهمي: جامع المؤيد شيخ، ط1، مطابع هيئة الآثار المصرية، القاهرة، دت، ص ص 12-13.

(5) المقرئى: الخطط، ج4، ص226. السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص264.

(6) المقرئى: المصدر السابق، ج4، ص227.

(7) نفس المصدر، ج4، ص212.

(8) نفسه، ج4، ص ص 296-298.

(9) نفسه، ج2، ص273.

(10) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص256.

د- العلوم السائدة في مصر خلال العهد الأيوبي والمملوكي: عرّف هذان العصران حركةً نشيطةً في حركة التأليف، حيث دُوِّنت عدّة موسوعاتٍ جامعةٍ لمختلف أنواع المعارف و العلوم، فضلاً عن المُتون والشُّروح خاصّةً علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه. كما برزَ مجموعة من الشعراء والأطباء و من أهمّ العلوم التي أُلِّفت في الفترة المدروسة مايلي:

- **علم الحديث والتفسير:** يأتي في مقدمة العلوم الدينيّة، فقد حظي العصران بعناية العلماء على اختلاف طرائقهم ومناهجهم ممن فسّر القرآن الكريم أو أوجزه⁽¹⁾. نذكرُ بعض العلماء الذين نبغوا في ذلك:
 - أبو حطاب عمر بن حسن الأندلسي المعروف بابن دحية (ت633هـ/1235م): فقد كان حافظاً للحديث، بارعاً في اللغة العربيّة. استوطن مصر ودرس في دار الحديث الكاملية.
 - زكيّ الدين أبو محمّد عبد العظيم ابن عبد القوي ابن عبد الله المعروف بالإمام الحافظ المنذري (ت656هـ/1256م): برع في الفقه وتولى مشيخة المدرسة الكاملية، وله عدّة مؤلّفات منها: "الترغيب والترهيب" و "شرح التنبيه في الفقه"⁽²⁾.
 - ناصر الدين الجدامي الاسكندراني المعروف بابن المنير (ت683هـ/1284م): كان عالماً فاضلاً مفتياً بارعاً في عدّة علوم خاصّة التفسير والأدب، ومن مصنّفاته "تفسير القرآن"⁽³⁾.
 - شمس الدين ابن القيم بن الجوزيّة (ت751هـ/1350م): تفقه في المذهب الحنفي، وكان عارفاً بالتفسير، أهمّ مصنّفاته "كتاب أمثال القرآن"⁽⁴⁾.
 - جمال الدين محمّد بن سلمان المعروف بابي النقيب (ت698هـ/1298م): كان بارعاً في علوم القرآن درس في الأزهر، صنّف تفسيراً يتكوّن من 50 مجلداً تحت عنوان "التحرير وتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير"⁽⁵⁾.
 - تقيّ الدين محمّد بن مجد الدين علي من وهب المنفلوطي المعروف بابن دقيق العيد (ت702هـ/1302م): أكثر العلامة الذين وصلوا في الفقه إلى درجة الاجتهاد المطلق، عرف بمؤلّفاته خاصة "شرح مختصر ابن الحاجب" و"شرح عمدة الأحكام"⁽⁶⁾.

(1) جلال يوسف العطاري: حركة التأليف العلمي في مصر والشام في العصر المملوكي الأول، ط1، دار الفكرعمان 2011م، ص53.

(2) عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق، ص178.

(3) الكتبي: فوات الوفيات، ج1، ص149. نفس المرجع، ص192.

(4) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج3، ص400.

(5) حسين الجبراني: الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول، ط1، دار غيداء، عمان 2017، ص448.

(6) عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق، ص178.

- شمسُ الدّشين أبو الخير محمّد بن محمّد الشهير المعروف بابن الجزري (ت833هـ/1429م): شيخ شيوخ القراء وسند المُقرئين صاحبُ تصانيف عدّة ، أبرزها مؤلّف "النّشر في القراءات العشر"⁽¹⁾.
- مُحَيّ الدين محمّد بن سليمان الكافيجي (ت879هـ/1474م): له مشاركة حسنة في الفقه والتفسير. ومن أبرز مؤلفاته "التيسير في قواعد علم التفسير"⁽²⁾. كما كان لعلم الفقه والسيرة مكانةً بمصر خلال الفترة المدروسة - وما يثبت ذلك المصادر التي وصلتنا - .
- أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن علي المعروف بابن رفعة (ت710هـ/1310م): من أهمّ كتاب الفقه الشافعي قال ابن حجر: "اشتهر بالفقه حتّى صار يُضربُ به المثل وإذا أطلق الفقيه أنصرف إليه من غير مُشارك، مع مشاركة في العربيّة والأصول" ، أمّا السبكي فقال عنه: "حاملُ لواء الشافعية بمصر". ويُضيف ابن العماد ذاكراً مُصنّفاته قائلاً: "صنّف التّصنيفين العظيمين: الكفاية في شرح التّنبية والمطلب في شرح الوسيط في نحو أربعين مجلداً في الفقه الشافعي"⁽³⁾.
- نجمُ الدّين بن أبي عبد الله ابن حمدان الحراني (ت695هـ/1295م): من أبرز كتاب الفقه الحنبلي عُرفَ بكتابه "الرعاية الكبرى والرعاية الصغرى"⁽⁴⁾.
- علاءُ الدّين علي ابن بليان الفارسي المصري (ت731هـ/1330م): الفقيه الحنفي عُرفَ بمؤلفاته "شرح تلخيص الجامع الكبير".
- تقيُّ الدّين المقرئ (ت845هـ/1441م) : صاحب كتاب "الخبر عن البشر"، وهو في ستّة أجزاء تناول فيه نسب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ونسب القبائل المختلفة⁽⁵⁾.
- اللّغة العربيّة واللّسانيات: إنّ عناية أهل العلم خلال العُصرين بعلوم الدّين وإحيائها، جعل اللّغة تحلّ المرتبة الثانية ومن أبرز علوم اللّغة علم النّحو الذي يعدّ من علوم الثّقافة العامّة التي يحتاجها المفكّرون والعلماء في تدوين مختلف التّخصّصات.

(1) شمس الدين أبي الخير محمد الشهير بابن الجزري (ت833هـ/1428م): النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2009، ج1، ص ز.

(2) محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (ت879هـ/1474م): التيسير في قواعد التفسير، تح: مصطفى محمد حسين الذهبي، ط1، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص11.

(3) السبكي: طبقات الشافعية، ج9، ص24. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح (ت1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1989، ج6، ص22.

(4) البغدادي: هدية العارفين، ج1، ص102.

(5) علاء الدين علي بن بليان الفارسي (ت739هـ/1338م): الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، تح: كمال يوسف الحوت، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ج1، ص20.

- اللُّغَة: فقد برزَ في اللُّغَة عدَّة علماء نذُكر على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:
- محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المشهور ابن منظور (ت852هـ/1449م): صاحب معجم "لسان العرب"⁽¹⁾.
- شهاب الدِّين أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني (ت853هـ/1449م) : صاحب المؤلَّفات التَّالِيَة "لسان الميزان" وكتاب "تهذيب التهذيب"⁽²⁾.
- النَّحْو: تخصص بعض العلماء في النَّحو، حيث انتشرَتْ مؤلَّفاتُهم في مختلفِ الأُمصار العربيَّة نذكر:
- محمَّد بن عبد الله بن جمال الدِّين أبو عبد الله الطائي الجبالي المعروف بابن مالك (ت672هـ/1272م): صاحب كتاب "الألفية" و"تسهيل الفوائد"⁽³⁾.
- جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت761هـ/1360م) له عدَّة مؤلَّفاتٍ منها: "أوضَح المسالكِ إلى ألفِيَّة ابن مالك" و"مغنى اللَّبيب" و"شُدُور الذَّهب"⁽⁴⁾.
- عبد الله بن عبد الرَّحمن بن عقيل (ت769هـ/1368م) صاحب كتاب "شرح الألفِيَّة" المعروف بـ "شرح ابن عقيل"⁽⁵⁾.
- الفلسفة: أكَّدتْ أغلبُ الدِّراساتِ التَّاريخِيَّة أنَّ سلاطينَ الدَّولة الأيُّوبيَّة والمملوكِيَّة حاربوا الفلاسفة واضطهَدوهم وكرهوا كلَّ من تَقَلَّسِف، لأنَّهم رأوا في ذلك بدعةً وتركاً للكتاب والسُّنة. والأكثرُ من ذلك خوفُ السُّلاطين من يَفْظَة الشَّعب ومن الفلاسفة الدِّين ظهرتْ كتابتهم نذكر:
- عبد الرَّحمن ابن عبد الغفَّار الايجي (ت753هـ/1352م) صاحب مؤلَّف "مواقف الإسلاميين"⁽⁶⁾.
- شمس الدِّشين الكرمانِي المكنى محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد (ت786هـ/1385م) صاحب مؤلَّف "النَّمُودج الكشاف" يشملُ ثلاثةَ ركائزٍ وهي: الأولى: بيان الرَّمخشري لشواهدَ معيَّنة. والثانية: في وجهه نظر السيرافي الغالي. والثالثة: في جوابِ الكرمانِي⁽⁷⁾.

(1) جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، طبع بمطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، 1965، ج1، ص248.

(2) عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، تح: حسن خالد، ط1، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1988م، ج1، ص51.

(3) الزركلي: الأعلام، ج6، ص233.

(4) عادل نويهض: المرجع السابق، ج1، ص330.

(5) نفس المرجع، ج1، ص313.

(6) الزركلي: المصدر السابق، ج3، ص295.

(7) عادل نويهض: المرجع السابق، ج2، ص656.

- مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين المعروف بالتقازاني (ت793هـ/1392م) صاحب المؤلف المعروف بـ"حاشية على الكشاف" للزمخشري⁽¹⁾.

• **الجغرافيا:** كثيراً ما اعتنى علماء مصر خلال العصرين بنواحي الأرض وتغيراتها من جهة ، ومن جهة أخرى ركز البعض على تقاويم الأرض وأقطارها. فلذلك صنّف بعضهم كجغرافيين أو رحالة. ومن أبرز العلماء الذين اشتهروا بهذا العلم نذكر:

- أبو العباس النويري (ت733هـ/1333م): الذي خصص مجلداً عن الأرض والسما والكوكب والظواهر الطبيعية والليالي والأيام والشهور والجبال والبحار وغيرها في موسوعته "نهاية الأرب في فنون الأدب"⁽²⁾.

• **الطب:** ألفت عدة مؤلفات في تخصص الطب الذي شهد تقدماً خلال العصرين خاصة العصر المملوكي. ومن أبرز المؤلفات والمؤلفين نذكر:

- علاء الدين ابن النفيس (ت696هـ/1296م): صاحب كتاب "المختار من الأغذية"، بالإضافة إلى كتاب "المهذب في الكحل المجري"، وكتاب "موجز القانون" أو "الموجز في الطب". ولعل أبرز مؤلفاته "شرح تشريح القانون" الذي وصف فيه اكتشاف الدورة الدموية، مكتشفاً كون عضلات القلب تتغذى من الأوعية الدموية وليس من الدم⁽³⁾.

- شمس الدين محمد بن إبراهيم بن سعيد الأنصاري الشهير بابن الأكفاني (ت749هـ/1349م): صاحب المؤلف المشهور "كشف الرين في أحوال أمراض العين"، الذي رتبته في ثلاث مقالات: الأولى: "في أحوال العين وخواصها وحفظ صحتها وأسقامها". أما المقالة الثانية: "في ذكر أمراض العين وأعصابها وعضلاتها والتشنج في العين"، أما المقالة الثالثة: "في الأدوية المفردة مرتبة على حسب الحروف الأعجمية والعقاقير المركبة"، وأوله الحمد لله منور الأبصار والبصائر... وغيره⁽⁴⁾.

خلاصة القول فإن الحياة العلمية بمصر لم تخص العلوم المذكورة آنفاً فقط وإنما شملت ميادين أخرى مثل: علم الحيوان، علم الفروسيّة والحرب وغيرها. فلذلك عرفت ازدهاراً ثقافياً ساهمت في إيصالها عدة عوامل ومؤسسات مثل: المدارس، المكتبات، والمصادر المذكورة هي جزء من أمهات الكتب التي برزت خلال العصرين، وكثيراً منها لا يزال مخطوطاً، وما يهمننا من ذلك التأليف التاريخي ومنهجه، وهو ما سيتّم التطرق إليه من خلال تتبع حركة التأليف التاريخي وكذا دراسة بعض النماذج.

(1) عادل نويهض: المرجع السابق، ج2، ص670.

(2) النويري: نهاية الأرب، ج1، ص11.

(3) كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي، ط1، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1985، ج2، ص70-71.

(4) محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ج2، ص79.

1-2- طبيعة الحياة الثقافية الشامية ما بين (ق7-9هـ/13-15م):

أ- الحياة الثقافية ببلاد الشام على عهد الدولة الأيوبية والمماليك (ق7-9هـ/13-15م): ازدهرت الحياة الثقافية في بلاد الشام على عهد الأيوبيين كمثلتها مصر انطلاقاً من منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، سواء في دمشق أو طرابلس أو حلب أو بيت المقدس وغيرها من المدن الحضارية. حيث شهدت حركة علمية واسعة شملت جميع العلوم المعروفة آنذاك بقسميها العقلية والدينية فإلى جانب علوم اللغة والأدب والشعر والتاريخ والهندسة والفلك والطب وغيرها ازدهرت علوم القرآن الكريم من تفسير وقرآيات وعلم الحديث والفقه وعلم الكلام⁽¹⁾. فقد اتبع السلطان صلاح الدين الأيوبي نهج سلفه نور الدين الزنكي في الاهتمام بالعلم والعلماء رغم انشغاله بالجهاد ومُجابهة الخطر الصليبي ، فقد أدرك أهمية العلم ودوره في حياة المسلمين وحرص عليه خاصة علم الحديث وفي سيرته يقول ابن شداد: "وكان - رحمه الله - سن العقيدة كثير الذكر لله تعالى، فقد أخذ عقيدته عن الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء"⁽²⁾.

فقد طلب السلطان صلاح الدين من العلامة يوسف بن رافع المعروف بابن شداد(632هـ/1234م) لقاءه في دمشق لسماع الحديث، بل لم يفارقه طيلة غزواته ، أمّا بالنسبة للملك الأفضل علي بن يوسف بن نجم الدين فقد تربي تربية علمية ينهل العلم من كبار العلماء في عهد والده حيث كان يتردّد على العالم تاج الدين الكندي(613هـ/1216)⁽³⁾. كما اشتهر السلطان العادل أبو بكر بن نجم الدين أيوب بعفة الدين وميله الشديد للعلم، فتلقى علوم الحديث على يد ثلثة من الحفاظ منهم الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد السلفي(576هـ/1180م)⁽⁴⁾. ونفس الأمر بالنسبة للملك الأيوبي المعظم عيسى بن العادل أبو بكر الذي عرف بهمته العالية في طلب العلم ومختلف العلوم سواء الأدب والتاريخ والفقه والحديث والنحو فصنف فيها وأخذ منهم أمثال : الفقيه محمود بن أحمد الحصري(636هـ/1238م)⁽⁵⁾.

(1) عمر عبد السلام تدمري: الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، ط1، دار فلسطين للتأليف والترجمة ، بيروت، 1972، ص14.

(2) بهاء الدين ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، سيرة صلاح الدين، تح: جمال الدين الشيال، ط2 مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1994م، ص33.

(3) نفس المصدر، ص54. أبو شامة المقدسي الدمشقي (ت665هـ/1266م) : تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تح: عزة العطار الحسين ، ط2، دار الجيل، بيروت ، 1974م ، ص ص 95-98.

(4) المقرئزي : السلوك ، ج 1 ، ص194.

(5) شمس الدين أبو العباس المعروف بابن خلكان(ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس، ط1 ، دار صادر، بيروت ، 1978م ، مج3، ص499.

ولا يمكننا نسيان دور الملك الناصر داوود بن المعظم عيسى الذي سار على نهج والده منشغلاً بالعلم، فكان لا يفارق والده، مستمعاً لعدّة شيوخٍ في بلاد الشام منهم محمد بن أحمد القطيعي⁽¹⁾، كذلك الأمر بالنسبة للملك الأشرف موسى بن العادل أبو بكر أيوب الذي وصف بحبّه للعلماء وتشبيده لمراكز التعليم كما سمع عن عدّة شيوخ أمثال: المحدث أبي الزبيدي الحسين أبي بكر (631هـ/1233م) الذي سمع عنه صحيح البخاري في قلعة دمشق⁽²⁾.

أما الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب كان متضلعاً في العلم، ومن شيوخه الذين سمع عليهم الفقيه المحدث محمد بن أحمد بن عبد الله اليونيني (658هـ/1259م) حيث تمّ استدعاؤه من بعلبك إلى دمشق لتذاكر بعض المسائل الفقهية⁽³⁾. كما كان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد غازي بن أيوب ممّن وصف في المصادر بحبّه للعلماء والعلم، لكنّ المصادر لم تمدنا بأسماء العلماء الذين نهل عنهم سوى بعض الذين كانوا في خدمته⁽⁴⁾.

اللافتُ للانتباه أنّ الحياة الثقافيّة في العهد الأيوبي امتازت بكثرة العلماء في بلاد الشام، وهو الأمر الذي يؤكّد ازدهارها وتقدّمها العلمي؛ حيثُ جمعت كلُّ من دمشق والحواضر الأخرى الشامية الأدباء والمفكرين والمؤرّخين الذين لاقوا اهتماماً من قبل السُلطة الحاكمة سواء بالإنفاق عليهم أو الاجتماع بهم في مجالسهم العلمية، أو من خلال تشييد مراكز علميّة تعليميّة، وبذلك لم تترك سلاطين الدولة سفيرا ولا أرضاً إلا ونشروا فيها مختلف العلوم سواء النقلية أو العقلية.

ب- عوامل ازدهار الحياة العلميّة ببلاد الشام خلال العصر الأيوبي:
-اهتمام سلاطين الدولة الأيوبية بالحركة العلميّة :

أكد العديد من العلماء والمؤرّخين ازدهار الحياة العلميّة وما لقيته من عناية واهتمام من قبل السلاطين الدولة الأيوبية خلال القرن (7هـ/12م)، حيث تنافسوا في العناية بالمنشآت التعليميّة وتشبيدها

(1) قطب الدين موسى اليونيني (ت726هـ/1326م): ذيل مرآة الزمان ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ، 1945م، مج1، ص ص 127-128 .

(2) شمس الدين بن عثمان الذهبي(ت748هـ/1348م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- حوادث وفيات (631-640هـ)-، تح: عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1998، ج46، ص ص60-62.

(3) المقرئزي: السلوك ، ج1، ص ص260-261.

(4) صلاح الدين الصفدي: تحفة نوي الألباب ، تح: إحسان نمت وآخرون ، ط1 ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992 مج2، ص115.

والإنفاق، ممّا أثار على نشاط الحركة العلميّة. ويظهر ذلك جليّاً في كتابات علماء التّراجم ممّن دخل مدن بلاد الشّام خاصّة دمشق.

فبما أنّ الحركة العلميّة سلسلة متصلة المراحل فإنّ الازدهار ليس وليد الفترة المدروسة، وإنما ثمرة العهد السّابق، حيث أولى الأتابكة الزنكيين عناية كبيرة بذوي العلم، فالسلطان نور الدّين الزنكي يعد ركيزة فريدة لسلاطين البلاط وقُدوة يُحتدى بها في ذلك حيث يقول عنه ابن العماد الأصفهاني: "وهو الذي أعاد رُوْنق الإسلام إلى بلاد الشّام فاستفتحت معانها واستخلص عقايلها .. وأحيا معالم العلوم الدوارس وبنا لمذاهب السنة والجماعة المدارس...."⁽¹⁾.

كما أشرنا سابقاً، فقد حرص سلاطين الدولة الأيوبيّة على نهل العلم والاهتمام بالعلماء سواء الملك صلاح الدّين الأيوبي أو السلطان الكامل، أو الملك النّاصر وغيرهم، ويظهر دورهم جليّاً من خلال اجتماع جمهرة من العلماء والأدباء والمفكرين بالعاصمة دمشق، وهذا ما لم نره في عصر من العصور ويعود ذلك إلى :

- اشتغال سلاطين بني أيّوب بطلب العلم وأخذه من كبار علماء العالم الإسلامي .
- تشييد المدارس والمعاهد العلميّة ممّا كان له أثراً بليغاً في جذب العديد من العلماء نحو دمشق .
- ضخامة النّفقات على مراكز التّعليم وتشجيع العلماء من خلال ذلك .
- احتضان علماء من مختلف المذاهب الإسلاميّة الأربعة .
- تحقيق الوحدة الإسلاميّة على يد صلاح الدّين الذي يعدّ من سلاطين بني أيّوب الدّين أولوا أهميّة بالعلماء وتقريبهم وتشجيعهم على البحث والتّأليف، ومن بينهم العلامة الفقيه بهاء الدّين ابن شداد (632هـ/1234م) الذي قال عنه : "وكان الرجل إذا أراد أن يتقرّب إليه يحثه على الجهاد أو يذكر شيئاً من أخبار الجهاد ، ولقد ألف له كتب عدة في الجهاد، وأنا ممّن جمع له فيه كتاباً ..."⁽²⁾.
- وكان للأطباء كذلك مكانة عنده مثل: الطّبيب يوسف ابن حيدرة بن الحسن الرّجبي (631هـ/1233م) طبيب من أطباء صلاح الدّين الذي أحسن إليه وأكرمه⁽³⁾، أما عنايته بالأدباء فلا تقلّ بحال علماء الشّريعة والطّب فكانوا معه في مجالسه وأسفاره، يصلّهم بالعطايا السّخية، وكذا في ميادين الجهاد أمثال : الأثير الأحمسيكي، يعتبر من أشهر شعرائه⁽⁴⁾ .

⁽¹⁾ عماد الدين الأصفهاني(ت 597هـ/1201م): سنا البرق الشامي (562هـ/1166م - 583هـ/1187م)، تح: فتحية النبراوي، دط، مكتبة الخانجي، مصر، 1979، ص 16.

⁽²⁾ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 54 .

⁽³⁾ أحمد ابن القاسم السعدي ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1269م) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: عامر النجار، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1996، ج 2، ص ص 672 - 673.

⁽⁴⁾ الأصفهاني: المصدر السابق، ص 327.

كما أشرنا سابقاً عندما تطرقنا للحياة الثقافية أن أغلب سلاطين الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين انتهجوا نهجه من حيث العناية بالعلماء واهتموا بإنشاء مراكز تعليمية سواء كانت مدارس أو دور علم كما بذلوا جهداً في تشييدها .

- اهتمام الوزراء والأعيان بالحركة العلمية : برز نشاط الوزراء في الحركة العلمية من خلال بناء المدارس التعليمية والإنفاق عليها طلباً للثواب الأخير، ومن هؤلاء الوزراء القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن الحسن البيساني (596هـ/1199م) كاتب صلاح الدين ووزيره ومستشاره الذي شيد مدرستين بمصر ودمشق، وأوقف عليهما الأوقاف والأجر بذلك كان يفتح فيهما الدرس بذاته وكذا ولده أحمد بن عبد الرحيم بن علي (643هـ/1235م) وزير السلطان العادل أبي بكر بن أيوب الذي أقبل على طلب العلم (الحديث- الفقه) رافضاً الوزارة بعد وفاة سلطانه وأوقف دار الحديث بالجامع الأموي مؤسساً فيها خزانة كتب زاخرة العلوم⁽¹⁾.

كما ظهرت دولة المماليك في بلاد الشام مع الاكتساح المغولي لها، وذلك لتوقف زحفهم في معركة عين جالوت الشهيرة سنة (658هـ/1260م) مؤكدة أنها جديرة بحكم المنطقة، بل لم يتوقف المماليك عند هذا الحد بل حرصوا على الاستقرار مظهرين أنهم حُماة المسلمين وزعماء حركة الجهاد الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى عملوا على تنظيم البلاد إدارياً وتقسيمها إلى أقسام منها : نيابة دمشق، حلب طرابلس، حماة، صغد، الكرك⁽²⁾.

أما في الجانب الثقافي فقد اتبع المماليك نفس إستراتيجية الأيوبيين سواء بلاد الشام أو مصر، فقد حرص سلاطين المماليك على تشجيع العلم والعطاء، بل كانوا يشتمونهم في أمور قضايا الدولة، فقد عرف الظاهر بيبرس مجلساً يتكون من العلماء والمؤرخين والأدباء إلى جانب حاشيته لما عزم الخروج لمجابهة التتار سنة (675هـ/1277م)، حينما جاءت الأخبار بأن التتار قد خرجوا إلى بلاد الشام ووصلت أوائلهم إلى حلب ، كما أنه استشارهم مرة ثانية عندما نفذت أموال الخزائن والأخذ من أموال الرعية، فأفتاه علماء الشام بإجازة ذلك⁽³⁾. وما عرف على الظاهر بيبرس ببلاد الشام تقريبه لأرباب الكمالات من كلِّ فنِّ وعلم كذلك.

(1) الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ/1374م): طبقات الفقهاء الشافعيين، تح: أنور الباز، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، 2004 ، ج2، ص 309.

(2) مفيدة الزبيدي : العصر المملوكي ، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009 ، ص ص191-195.

(3) جلال العطاري: المرجع السابق، ص ص 11-12.

ج - المنشآت التعليميّة في بلاد الشّام عصر الأيوبيين والمماليك: قبل البدء في تعداد هذه المنشآت التعليميّة الدينيّة والدنيويّة لأبّد من التعريف بها وإبراز صفاتها :

1- المدارس: كانت المدرسة في بلاد الشّام في العصر المملوكي تتألف من إيوان للمحاضرات وبيوت للمدرسين، وسكن للطلّبة بالإضافة للمرافق العامّة، وقد كانت المدارس من حيث التّخصّص بصفة عامّة موزعة بين مختلف العلوم كمدارس للقرآن الكريم والحديث الشّريف وعلوم الفقه وكذلك الطّب والحرب ومن أبرزها:

ج-1- دور القرآن: وكان عددها في دمشق وحدها سبعاً وهي :

- دار القرآن الخيضرية: موقعها شمالي دار الحديث السكّرية بالقصاعين في دمشق⁽¹⁾ أنشأها قاضي القضاة قطب الدّين أبو الخير محمّد بن محمّد بن عبد الله بن خيضر الخيضرى الدّمشقي الحافظ⁽²⁾ صاحب مؤلفات عدّة منها: طبقات الشّافعيّة، شرح الألفيّة (ألفية العراقي) ، شرح التنبيه⁽³⁾ .

- دار القرآن الجزرية : تقع بدرب الحجر⁽⁴⁾ أنشأها محمّد بن محمّد بن يوسف الحافظ الإمام مقري شمس الدّين بن الجزري⁽⁵⁾.

- دار القرآن الدلامية: تقع بالقرب من الماردانية بالجسر الأبيض أنشأها الجناح الخواجكي الرئيسي الشهابي أبو العبّاس أحمد بن المجلس الخواجكي زين الدّين الدلامة ابن عزّ الدّين نصر الله البصري أجل أعيان الخواجكية بالشّام سنة(847هـ/1446م) ورثب لها إماماً⁽⁶⁾ .

- دار القرآن الرشائية: تقع بدرب الخزاكية شمالي الخانقاه السميّساطية بباب الناطفانيين الملاصقة للجامع الأموي ، أنشأها رشا بن نظيف بن ما شاء الله أبو الحسن الدّمشقي في حدود سنة (400هـ/1009م)⁽⁷⁾.

(1) عبد القادر بن محمد النعيمي(ت978هـ/1571م): الدارس في تاريخ المدارس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1990، ج1، ص07 .

(2) ولد سنة (821هـ/1420م) بدمشق، نشأ فيها وحفظ القرآن الكريم، كما اشتغل في الحديث وسمع بمكة المكرمة والقدس ويعلمك ومصر، وتفقّه من التقي ابن القاضي شهبه. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج7، ص269.

(3) نفس المصدر، ج7، ص55.

(4) يقع أواخر السوق الكبير من الباب الشرقي. الحافظ ابن كثير(ت774هـ): البداية والنهاية، دط ، مكتبة المعارف بيروت ، 1990، ج13، ص204.

(5) ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق، ج7، ص204.

(6) النعيمي: المصدر السابق ، ج1، ص08.

(7) نفس المصدر، ج1، ص09. عبد القادر بدران: مناداة الأطلال ومسيرة الخيال، دط، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، 1379، ص16.

- دار القرآن السنجارية: تقع اتجاه باب الجامع الشمالي المسمى الناطفانيين⁽¹⁾ أنشأها علاء الدين علي بن إسماعيل بن محمود السنجاري سنة (735هـ/1334م) وكان أحد التجار الصدق الأخيار ذوي اليسار المسارعين إلى الخيرات⁽²⁾.
- دار القرآن الصابونية : تقع خارج دمشق قبلي باب الجابية غربي الطريق العظمى، ومزار أوس الصحابي - رضي الله عنه- وبها جامع حسن بمنارة تقام فيه الجمعة وتزية الواقف وأخيه وذريتهما أنشأها المقر الخواجكي أحمد الشهابي القضائي ابن علم الدين ابن سليمان ابن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني⁽³⁾.
- دار القرآن الوجيهية : تقع قبلي المدرسة العسرونية والمسروية وغربي الصمصامية التي هي شمال الخاتونية وإلى زقاقها يفتح بابها⁽⁴⁾، أنشأها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا التنوخي، رئيس الدماشقة (ت711هـ/1310م) وكان صدراً محترماً ديناً محباً للأخيار، أنشأ دار للقرآن الكريم بدمشق ورباط بالقدس ، وناظراً بالجامع الأموي⁽⁵⁾.
- ج-2- دار الحديث : اهتم المسلمون كذلك برواية الحديث لفهم السنة والكتاب والفقہ ، وأوّل من بنى دار حديث في الشّام وربّما كانت المدرسة الأولى من نوعها هو نور الدّين محمود بن زنكي، وكثرت دور الحديث بعد ذلك، فكان في دمشق وحدها 16 داراً للحديث⁽⁶⁾ ومن بين دور الحديث التي أنشئت في العصر المملوكي نجد :
- دار الحديث الأشرفية : جوار باب القلعة فلقد اشترى الملك الأشرف الدار من الأمير فايماز وبنائها داراً للحديث⁽⁷⁾.
- دار الحديث البهائية : داخل باب توما في دمشق، أنشأها بهاء الدّين أبو محمد القاسم ابن الشيخ بدر الدّين أبي غالب المظفر ووقف آخر عمره داره المعروفة (دار الحديث) ، توفي سنة (723هـ/1322م) وليس لها اليوم أثر⁽⁸⁾.

(1) النعيمي: الدارس، ج1، ص11.

(2) نفس المصدر، ج1، ص11.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص13.

(4) النعيمي: المصدر السابق، ج1، ص13.

(5) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج4، ص ص38-39.

(6) النعيمي: المصدر السابق، ج1، ص50.

(7) علي كرد: خطط الشام، ط2، مكتبة النوري، دمشق، دت، ج6، ص72.

(8) نفس المصدر، ج6، ص72. والنعيمي: المصدر السابق، ج1، ص43.

- دار الحديث الحمصية : المعروفة بحلقة صاحب حمص، لم نقف على ترجمة لمؤسسها، وهذه لم تكن دار حديثة مستقلة، وإنما كانت حلقة في الجامع الأموي لإقراء الحديث، وكان لها وقف يقوم بمصالحها.⁽¹⁾

- دار الحديث الدوادية والمدرسة والزباط: تقع داخل باب الفرج وهو باب المناخلية اليوم، وفي سنة (998هـ/1497م) وقف الأمير علم الدين سنجر الدوادار رواقه داخل باب الفرج، دار حديث ومدرسة وولي مشيخته الشيخ علاء الدين العطار⁽²⁾ والأمير سنجر كان من نجباء التُّرك وشجعانهم وعلماهم وله مشاركات جيدة في الفقه والحديث⁽³⁾، توفي في رجب عن بضع وسبعين سنة.

- دار الحديث السَّامرية : تقع إلى جانب الكروسية بدمشق، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام بناها من حجارة منحوتة كلها⁽⁴⁾ وهي موجودة اليوم ، ولم يبقَ منها غير المدفن ويُقال للحَيِّ زقاق السلمي⁽⁵⁾، وقد صارت اليوم دوراً للسكن فانمحي أثرها وأندرت أطلالها ولم يبقَ منها سوى أحجار في أساس جدار تشير إليها⁽⁶⁾. وأوقفها الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السَّامري نسبة إلى مدينة سرّ من رأى، وهي بلدة على الدجلة. أما دور الحديث الأخرى تتمثل في:

- دار الحديث الشَّقيشقية : التي تقع بدار البانياس، أنشأها ابن شَّقيشقية المحدث نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ مظفر بن عقيل الشَّيباني الدِّمشقي ، توفي سنة (656هـ/1255م)⁽⁷⁾.

أما دار الحديث العروية: فتقع بمشهد ابن عروة بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي قبلي الحلبية ويعرف قديماً بمشهد علي رضي الله عنه، أنشأها ابن عروة شرف الدين محمد بن عروة الموصلية المنسوب إليه مشهد ابن عروة بالجامع الأموي لأنه أول من فتحه، وكان مقيماً بالقدس فانتقل إلى دمشق إلى أن توفي فيها⁽⁸⁾. أما فيما يخصُّ دار الحديث القلانسية: التي تقع غربي مدرسة أبي عمر رحمه الله وجامع الأسماء يكون مبارك ، أنشأها الصَّاحب عزّ الدين أبو ليلي حمزة ابن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن عزّ الدين غالب بن المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي ولد سنة (649هـ/1248م)⁽⁹⁾.

(1) النعيمي : الدارس ، ج 1 ، ص 45. عبد القادر بدران : المرجع السابق ، ص 35.

(2) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 49. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، ج 5 ، ص 311.

(3) ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر، ج 5، ص 311 .

(4) النعيمي : المصدر السابق، ج 1 ، ص 55.

(5) كرد علي : المرجع السابق، ج 6 ، ص 72.

(6) عبد القادر بدران : المرجع السابق ، ص 44.

(7) ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 96.

(8) نفس المصدر، ج 2، ص 115. النعيمي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 61.

(9) النعيمي : نفس المصدر، ص ص 71-72.

- ج-3- الزوايا بعد القرن (11هـ/11م) بدمشق: الزوايا تقام بها الأبنية، وقد كثرت لكثرت الطرق والمشايخ المعتقدين أبرزها⁽¹⁾:
- الزاوية الأرموية: تقع بجبل قاسيون، أنشأها عبد الله بن يونس الأرموي المتوفي سنة (631هـ/1230م) وهي الآن خراب⁽²⁾ وكان صاحب هذه الزاوية زاهداً صالحاً متواضعاً مطرحاً للتكلف يمشي وحده ويشترى الحاجة ، وله أحوال ومجاهدات⁽³⁾.
- الزاوية الرومية الشرقية: بسفح قاسيون، أنشأها شرف الدين محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي صاحب⁽⁴⁾.
- الزاوية الحريرية: تقع بالشرق القبلي ظاهر دمشق، أنشأها الشيخ علي الحريري أبو محمد بن مسعود الدمشقي⁽⁵⁾.
- الزاوية الدهستانية: تقع عند سوق الخيل بدمشق، أنشأها الشيخ إبراهيم الدهستاني توفي سنة (720هـ/1319م)، وقد أسس وعمر وكان يحضر هو وأصحابه تحت قبة النسرة، دفن في زاويته وله من العمر 104 سنة⁽⁶⁾.
- الزاوية الداودية : تقع بسفح قاسيون تحت كهف جبريل ، أنشأها الشيخ الصالح العالم الزباني زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر بن داود القادري الصوفي الصالح، ميلاده سنة (783هـ/1382م) أنشأ هذه الزاوية التي لا نظير لها في دمشق، عرف عليه مساعدة المظلوم ، وكان يتردد إليه نائب الشام وأعيانها ، توفي سنة (856هـ/1453م) ودفن بزوايته هذه⁽⁷⁾.
- الزاوية السراجية : تقع بالصاغة العتيقة داخل دمشق⁽⁸⁾ أنشأها الإمام العلامة الزاهد بهاء الدين أبو الأدب هارون الشهير بعبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن عبد الولي الأخيמי المراغي المصري ثم الدمشقي الشافعي، وكان عارفاً بالمعقولات ، وروي لنا عن يونس ابن إبراهيم الدبابيسي⁽⁹⁾.

(1) عبد القادر بدران: المرجع السابق، ص 299 .

(2) نفس المرجع ، ص 299.

(3) النعيمي: الدارس ، ج2، ص153.

(4) نفس المصدر، ج2 ، ص ص 153-154.

(5) كرد علي: المرجع السابق ، ج6، ص136.

(6) النعيمي: المصدر السابق، ج2، ص156.

(7) نفس المصدر، ج2 ، ص 158.

(8) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص92 .

(9) النعيمي: المصدر السابق، ج2، ص159 .

ج-4- المدارس : تقسم على النحو الآتي:

ج-4-1- المدارس الدنيوية في بلاد الشام:

1- المدارس الطّبية : تتمثل أهم المدارس الطّبية فيمايلي:

- المدرسة الدخوارية : موقعها بالصاغة العتيقة،⁽¹⁾ بقرب الخضراء قبلي الجامع الأموي⁽²⁾، وهي اليوم دور للسكن، أنشأها مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار سنة(621هـ/ 1220م)⁽³⁾ ومن أبرز مدرسيها نذكر: مهذب الدين الدخوار، أنشأها وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب ، وأوصى أن يكون المدرس من بعده شرف الدين علي ابن الرحبي، ويعتبر هذا الأخير أوجد عصره وفريد دهره وعلامة زمانه ، انتهت إليه رئاسة صناعة الطب ومعرفتها وتحقيق كلياتها وجزئياتها كتب في الطب واشتغل بالعربية على الشيخ الكندي، اشتغل بالطب على الشيخ رضي الدين الرجي واشتغل أيضا عللا فخر الدين المارديني بدمشق(579هـ/1178م)، شيء من القانون لابن سينا وقد صنّف في صناعة الطب كتب كثيرة قيل بلغت أكثر من مئة مجلداً منها: مقالة في الاستفراغ ، كتاب الجنينة، اختصر " كتاب الأغاني" واختصر كتاب الحاوي للرازي قال أبو شامة: "توفي الدخوار شيخ الأطباء بدمشق سنة(628هـ/1227م) وهو الذي وقف داره مدرسة للأطباء بنواحي الصاغة العتيقة⁽⁴⁾ .

- مدرسة الدنيسرية الربيعية (طبية): تقع غربي باب البيمارستان النوري والصّلاحية بأخر الطريق من قبله⁽⁵⁾ درست وضاعت معالمها، أنشأها عماد الدين محمّد الربيعي الدنيسري وصفه ابن أبي أصيبعة فقال: "هو ذو نفس فاضلة والمروءة الكاملة والأريحة التامة والعوافر العامة والذكاء الوافر"، ولد بدنيسر سنة (605هـ/1204م)، واشتغل بالطب ذو أدب وفقه قدم بالقلعة بدمشق والبيمارستان وكان له شعر جيد⁽⁶⁾. فمن أعلام هذه المدرسة وممن اشتغل بها القاضي جمال الدين الباجريقي الدنيسري، اشتغل بالموصل ثمّ قدّم دمشق وخطب بجامعها توفي سنة (699هـ/1298م)⁽⁷⁾.

(1) النعيمي: الدارس ، ج2، ص 100.

(2) أبو شامة : الذيل على الروضتين، ص159.

(3) عز الدين ابن شداد: الأعلام الخظيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح: يحي زكريا عبارة ، ط1، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، 1991، ج2، ص265 .

(4) أبو شامة: المصدر السابق ، ص159 .

(5) النعيمي: المصدر السابق ، ج2، ص104.

(6) أحمد ابن القاسم ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1269م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دط، المطبعة الوهبية مصر، 1882، ج2 ، ص ص 267-268.

(7) شهبة أحمد ابن قاضي الدمشقي (ت851هـ/1448م): طبقات الشافعية، تصحيح: عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب بيروت ، 1987 ج2 ، ص180.

ومما أشاد لنفسه عماد الدين الدنيسري قوله:

يا الله يا قارئاً شعري وسامعه
أسبل عليه رداء الحكم والكرم
واستر بفضلك ما تلقاه من زلي فإن علمي قد أثري من العدم⁽¹⁾.

- **المارستان الصغير بدمشق:** ذكر ابن العماد في "شذرات الذهب" المارستان الصغير بدمشق أقدم من المارستان الثوري وكان موقعه في قبلة مطهرة الجامع الأموي وأول من عمره أبو الفضل الأحناوي وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع وينسب إلى أنه عمارة معاوية أو ابنه وهو عبارة عن بيت خرب ورسوم المارستان منه⁽²⁾.

- **البيمارستان الكبير النوري:** ملك السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي دمشق سنة (549هـ/1154م) وهو أحسن ما بنى من البيمارستانات بالبلاد ومن شروطه: أنه على الفقراء والمساكين إذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعجز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ومن جاء إليه مستوصفاً فلا يمنع من شرايه، وبهذا جاء إليه نور الدين وشرب رحمه الله، توفي سنة (774هـ/1373م)⁽³⁾ وقال ابن أبي أصيبعة: لما أنشأ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي البيمارستان الكبير جعل أمر الطب فيه إلى أبي المجد بن أبي الحكم - الباهلي-. وكان يتردد إليه ويعالج المرضى ويتفقد أحوالهم ويعتبر أموالهم فكان كل ما يكتب للمريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولو ثواني في ذلك⁽⁴⁾. وذكر كرد علي: "ظلّ مستشفى الثوري عامراً إلى سنة (716هـ/1317هـ) وكان أطباؤه وصيادلته لا يقلون عن عشرين رجلاً". ومن أهم الأطباء الذين عملوا في البيمارستان النوري الكبير:

- مهذب الدين بن النقاش: هو الشيخ الإمام أبو الحسن علي ابن هبة الله النقاش، مولده ونشأته ببغداد عالم بعلم العربية والأدب، اشتغل بالطب وكان له مجلس علم للمستغلين عليه وكانت وفاته سنة (574هـ/1173م).

- موفق الدين بن المطران: توفي سنة (587هـ/1191م) بدمشق.

- موفق الدين عبد العزيز: الذي توفي في دمشق سنة (604هـ/1207م).

- أبو الفضل بن عبد الكريم: المهندس الذي توفي سنة (599هـ/1202م).

- كمال الدين الحمصي: الذي توفي بدمشق سنة (612هـ/1215م)⁽⁵⁾.

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج2، ص 268.

(2) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج3، ص 407.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12، ص 274. حوادث سنة 569هـ، مخطوط مأخوذ من تاريخ البيمارستانات.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج2، ص 155.

(5) علي كرد: المرجع السابق، ج6، ص 260.

- المدرسة اللبودية : مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشري (1) أنشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي سنة (664هـ/1263م)، وقال الشيخ يحيى الدين: في سنة (649هـ/1248م) صارت تل تراب ثم جعلها مسجداً يرسم تأديب الأطفال محمد بك الرومي (2). أما المدرسون الأطباء :
- الشيخ موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي الطيب، عرف بابن أبي أصيبعة، له تاريخ الأطباء في عشر مجلدات. وكذا بهاء الدين القاسم بن محمود بن عساكر الطبيب، توفي سنة (723هـ/1322م) (3).
- بيمارستان حران : تقع على طريق الموصل والشام، وهي الآن بولاية حلب وذكر ابن جبير (4) الرحالة المغربي في رحلته إلى المشرق حوالي سنة (580هـ/1197م) أن بلدة حران مدرسة وبيمارستان ، وهذا يعود إلى العصر الأيوبي ثم استمر تفعيله في العصر المملوكي.
- بيمارستان الرقة: الرقة مدينة مشهورة من بلاد الجزيرة على الفرات بالقرب من حران بينها وبين حران مسافة قريبة حوالي 03 أيام لأنها من جانب الفرات الشرقي هي وحران تقعان شرقي حلب، لم نعرف على هذا البيمارستان شيئاً سوى ما ذكره ابن أبي أصيبعة من أن الحكيم بدر الدين ابن قاضي بعلبك خدم بالرقة في البيمارستان الذي بها وصنّف مقالة حسنة في مزاج الرقة وأحوال أهويتها وما يغلب عليها وأقام بها سنين (5) .
- بيمارستان نصيبين: قال ابن بطوطة الرحالة المغربي: زرنا مدينة نصيبين حوالي سنة (720هـ/1319م) وهي مدينة عتيقة متوسطة، قد خربت أكثرها وهي بسيط أفسح فيه المياه الجارية وبساتين الملتقة والأشجار المنتظمة والفواكه الكثيرة ، وبها يصنع ماء الورد الذي لا نظير له في العطرة والطب ويدور بها نهر يعطف عليها انعطاف السوار، منبعه من عيون في جبل قريب منها وبهذه المدينة مارستان ومدرستان أهلها أهل صلاح ودين (6).
- بيمارستان صفد: وقال محمد بن شاعر الكتبي: " أن في صفد بيمارستان عمرة الأمير الكبير سيف الدين تذكر نائب السلطنة في الشام في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون " (7).

(1) النعيمي: الدارس ، ج2 ، ص106.

(2) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج8 ، ص383.

(3) النعيمي : المصدر السابق ، ج2 ، ص107.

(4) أبو المحاسن محمد ابن جبير (ت614هـ/1218م) : الرحلة، ط1، دار صادر، بيروت، دت ، ص247.

(5) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012 ، ص201-202.

(6) محمد بن عبد الله بن محمد ابن بطوطة (ت779هـ/1377م): رحلة ابن بطوطة- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار-، تح: محمد عبد المنعم العريان ، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت ، 1987 ، ج2، ص140.

(7) الكتبي : فوات الوفيات، ج1، ص92.

- **بیمارستان الصّالحيّة أو القيمري:** البیمارستان القيمري أو الصّالحيّة أنشأه و أوقفه الأمير سيف الدّين أبو الحسن علي بن يوسف القيمري الكندي أكبر أمراء القيامة ومن أبطالهم وهو ابن أخت صاحب قيمر كانوا يقفون بين يديه، كما تعامل مع الملوك، ومن أكبر حسناته وقفه المارستان الذي بسفح قاسيون بالصّالحيّة ، وكانت وفاته سنة (653هـ/1252م) ودفن بالسفح، في قبته⁽¹⁾.

- **بیمارستان آخر بحلب:** على باب الجامع الكبير الشّمالي بحلب بيمارستان وله بوابة عظيمة ينسب لابن خرخار ، والآن أغلق بابه⁽²⁾.

- **المارستان النوري في حماه:** وهو الآن شبيه بالمندرس يستعمله معظمهم للسكن وذهبت أوقافه إلا قليلاً وقد وجد على حجر في المارستان بالجانب الغربي من أعلى البنين كتابتان الأولى سنة (705هـ/1304م) وهي رسم الملك الأمر بختشايوي الكامل بحماه بإبطال ما كان يؤخذ من البيمارستان بغير طريقة ، وأن وقفه يصرف على ما وقفه الواقف على السكر والأثرية وذلك بأمر السّيفي، والثاني سنة (803هـ/1403م) حضر الجانب العالي السّيفي المارستان الثّوري بحماة داود بن المقر السّيفي درداص الخاصكي كافل المملكة الحموية⁽³⁾.

ج-4-2- المدارس الحربية بالعصر الأيوبي والمملوكي:

1-القوات الشّامية في الدّفاع عن دولة المماليك: إنّ من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها سلاطين المماليك التي أدت في النّهاية إلى سقوط دولتهم هو عدم الاحتفاظ بقوات عسكريّة كافية في بلاد الشّام لاستخدامها في صدّ الطّامعين أكثر في دولة المماليك وتعود أسباب عدم الاحتفاظ بقوات مملوكية كبيرة في بلاد الشّام إلى أسباب شتى منها: خوف السّلطان من أن تتحالف هذه القوات مع أحد الطّامعين وتتوجه للإطاحة به بدل القضاء على أعدائه الخارجين.

ومن هذا المنطلق فقد كان السّلطان الغوري ومن سبقه يؤثرون إرسال تجريدات محدودة تؤدي مهمتها على عجل ثم تعود وقد ظهرت هذه السّياسة جلياً في عهد الأشرف قايتباي الذي أرسل دواداره في حملتين كبيرتين: الأولى سنة (875هـ/1470م) والثانية سنة (885هـ/1480م)⁽⁴⁾، وفي عصر قايتباي بالذّات قامت القوات المملوكيّة في الشّام بدور هامّ في الدّفاع عن دولة المماليك، لأنّ قايتباي لم يكتف بإرسال دواداره بل أمر جميع نواب الشّام بالانطواء تحت لوائه بما لديهم من جند وعتاد، وعندما قامت الفوضى السّياسية في دولة المماليك في السّنوات الخمس بين سنة (901هـ - 906هـ/1496-1501م)

(1) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج3، ص313 .

(2) أحمد عيسى: المرجع السابق ، ص230.

(3) علي كرد : المرجع السابق ، ج6، ص ص161-162.

(4) محمد بن أحمد ابن إلياس الحنفي (ت930هـ/1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 ، ج3، ص ص170-173.

وتحطمت معظم القوّة المملوكيّة على أسوار دمشق وفي بقية بنايات الشّام حاول الغوري إنشاء قوات من المماليك (الجلبان) وأبقاها على مَقْرِبَةٍ منه ليستعين بها في الوقت المناسب (1).

2- دور الشّعب : يمثّل دور السُّكّان في بلاد الشّام في دفاعهم عن دولة المماليك في 03 مواقف : الموقف الأوّل: تجلّى في الأحوال التي كانوا يدفعونها - طوعاً أو كرهاً- لتصرف على الحملات المتوجهة لقتال العثمانيين، حيثُ بعث نائب حلب كتاب استغاثة إلى دمشق فجمع قجماس نائب دمشق علمائها وأعيانها وقرأ عليهم الكتاب، ولذلك تدخل علماء دمشق لدى سكانها واعتبروا الدّفع لهذه الغاية فرضاً فجمع بذلك مبلغاً كبيراً ، وهذه لمحة موجزة عن تربية الفارس المملوكي بالمدارس الحربيّة أو الخشداشيات التي تُؤهل هذا الجندي وترقيه في هذه الطباق حتّى يصير أميراً مائة ومقدم ألف .

3- تربية فارس مملوكي : يمرُّ بمراحل متعددة :**الطباق** : فقد كان يرسل السُّلطان مشترياته من المماليك إلى الطباق حيث ينزل كلّ منهم في طبقة جنسه "يرسم الكتابة" على قول المقرئزي (2). ويضف قائلاً أنّ السُّلطان الناصر محمّد بن قلاوون هو الذي بنى الطباق بساحة الإيوان بالقلعة وأسكنها المماليك السُّلطانية سنة (729هـ / 1328م) (3)، كما تؤكد المصادر المملوكية المعاصرة وجود 18 طبقة، مما يرجع أنّ هذه الأطباق لم توجد كلّها في وقتٍ واحدٍ، بل طرأ عليها كثير من التّعديل والتّغيير وهي :- طبقة الرفرف- طبقة الطازية - طبقة الزمام - طبقة الأشرفية - طبقة الحوش - طبقة الغور- طبقة المقدم - طبقة الصندلية .

4- المماليك الكتابيّة : يكاد يكون المقرئزي ينفرد بشرح تربية المماليك في الطباق بالقلعة : وخلصته أنّ الرّسم كان في أوّل عهد السُّلاطين المماليك إلّا كجلب النُّجار للمماليك الصغار، فأوّل ما يبدأ به فيما يصطلح العرف على تسميته برسم الكتابة هو أنّ يحفظ القرآن والخطّ وآداب الشريعة والصّلوات والأذكار فإذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئاً في الفقه وأقرأه فيه مقممة، فإذا بلغ سن البلوغ بدأ تعليمه أنواع الحرب من رمي السّهام ولعب الرُّمح...، وإذا ركبوا إلى لعب الرمح لا يجسر جندي ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم وينقل المملوك بعد تمرينه وعتقه إلى الخدمة وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة حتّى يصبح من الأمراء (4).

(1) ابن إلياس : بدائع الزهور ، ج3، ص466.

(2) المقرئزي: الخطط ، ج3، ص327.

(3) نفس المصدر ، ص189.

(4) نفسه ، ص ص 347-348.

- **أطباق الكتابية:** إنَّ المصادر المملوكية المعاصرة تؤدِّي إلى الاعتماد بوجود أطباق خاصَّة ملحقَّة ببعض الطباق الكبرى ولاسيما طبقة الزِّمام وطبقة الطازية ، فالمملوك برسباي الذي تسلطن فيما بعد نزل في طبقة الزمام مع جملة مماليك الأطباق الكتابية ، وأقام قايتباي كذلك بين الكتابية بطبقة الطازية (1).
- **كتابة الأمراء والمتعممين:** لم يقتصر اقتناء المماليك الكتابية على السلاطين فحسب بل اقتنى بعض الأمراء وغيرهم أعداد منهم فكان برقوق من جملة المماليك الكتابية النَّابعين للأمير يلغا العمري زمن السلطان النَّاصر حسن (2). واقتنى من الأميرين حjasو دون أحد أمراء الألو ف على عهد السلطان برسباي. والزيتي استدار السلطان جقمق عددا من الكتابية (3).
- **التَّعليم الديني بالطباق:** أمَّا تفاصيل الدِّراسات التي يتلقاها المملوك في الطباق، فالمعروف أنَّ بعض المماليك الكتابية حفظ القرآن الكريم كلُّه على ظهر القلب وحرص على تجويده، فاشتهر الأمير أزدمر الإبراهيمي الظَّاهري جقمق بتلاوة القرآن الكريم والقراءة مع قراء الجوق (4) ومن الذين اشتهروا بحسن الخطِّ والتَّنَاقُ فيهِ الأمير القجماسي الأسحافي الظاهري جقمق الذي يُقال أنَّه كتب بخطِّه قصيدة البُرْدَة للبوصيري وقَدَّمها لأستاذه فاستحسنها (5)، أمَّا العلوم الدينية فالمعروف أنَّ السلطان تنكز المتوفي سنة (740هـ/1340م) سمع صحيح البخاري غير مرة من ابن الشحنة وسمع كتاب الآثار للطحاوي وصحيح مسلم (6). كما سمع الأمير أرغون شاه الدوادار صحيح البخاري كذلك، وبرع في الفقه وأذن له بالإفتاء والتدريس (7). كما اشتهر الأمير الثغري برمش بمعرفة الفقه والحديث والتاريخ والأدب، ونظم الشعر بلغتين العربيَّة والتركيَّة (8) أمَّا يعقوب شاه الرزنجاني مهمندار برسباي فاشتهر بقراءة المطالعات من الرُّوم والنثر والعجم والهند، كما عرف بإجادة اللغتين التركيَّة والعربيَّة (9). واشتغل الأمير بلباي الدمرداش بعلم الهيئة واهتم بجمع المدائح النَّبوية إذ وجد في تركية عند موته خمسة وتسعون مجلداً كلُّها مدائح (10).

(1) ابن إلياس: بدائع الزهور، ج2، صفحات 15-16-90 .

(2) السخاوي : الضوء اللامع، ج3، ص 10.

(3) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تح: مُجَّد مُجَّد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، دط ، الهيئة العامة المصرية ، القاهرة، 1984، ج2، ص 162.

(4) العسقلاني : الدرر الكامنة، ج1، ص229.

(5) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج1، ص 181-338.

(6) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج10 ، ص260. العسقلاني : المصدر السابق ، ج1 ، ص 523.

(7) ابن تغري بردي: المصدر السابق ، ج1، ص 186.

(8) نفس المصدر ، ص 404.

(9) السخاوي : الضوء اللامع، ج10، ص281.

(10) العسقلاني : المصدر السابق ، ج3، ص30.

ولم يختلف تعليم أبناء السلاطين أو تعليم أبناء الأمراء عن مناهج الطباق الكتابية بل تعلم بعض المماليك الكتابية فعلاً مع أبناء السلاطين والأمراء في مكتب خاص في بيوتهم، ومن الأدلة على ذلك ما كان للأمير سيف الدين كوندك الساقى من المكانة عند السلطان السعيد بن بيبرس لأنه ربى معه في المكتب⁽¹⁾. ومن أبناء السلاطين الذين اشتهروا بالتبحر في العلوم الدينية محمد بن جقمق الذي حفظ القرآن الكريم واشتغل بالفقه والفرائض والحديث والمنطق والعربية، فلما تسلطن أبوه زاد طلبه للعلم فقرأ على ابن حجر العسقلاني، وحضر على سعد الدين في الفقه والتفسير، وأثنى عليه ابن حجر بالفهم والحفظ⁽²⁾.

نستخلص من خلال المدارس الدنيوية في العصر المملوكي، أن المماليك اهتموا ببناء البيمارستانات وجهزوها بأحدث الأجهزة الممكنة في كل الأقسام وادخلوا عليها العنصر الطبي المتخصص في كل المجالات والناجح بعمله، وإن لم يتوفر بحثوا عنه ويأتوا به من خارج السلطنة حتى بدت البيمارستانات منتشرة في جميع مدن بلاد الشام، أما الاهتمام الثاني فهو تربية الفارس في ظل طباق معينة فريدة من نوعها يعلمونه أصول الكتابة وهو صغير، ثم الفروسية على أنواعها حتى بدا هذا الفارس مخلصاً عند التخرج لدولته، لأن المماليك كما نعلم كلهم أجلاب من الخارج ومشتريات من تجار يأتون بهم من بلاد القبحاق وبحر قزوين في حين لم تهتم دولة المماليك ببعض التخصصات كعلم الفلك والفلسفة والتاريخ والجغرافيا، ولم ينشأ لها مدارس خاصة تخرج طلاباً بهذه التخصصات.

5- أنواع المدارس ببلاد الشام واتجاهاتها في العصرين الأيوبي والمملوكي :

5-1- أنواع المدارس قبل المدارس النظامية الحديثة حتى هذا العصر:

أ- الكتاب لتعليم القراءة والكتابة : بدأت القراءة تنتشر مع الكتابة في جزيرة العرب ولكنها ببطء حتى لما جاء الإسلام كان عدد القرشيين الذين يستطيعون الكتابة والقراءة سبعة عشرة رجلاً فقط⁽³⁾. فقد استخدمهم الرسول صلى الله عليه وسلم كلهم بين يديه⁽⁴⁾، ويتطرق العالم الأندلسي أبو بكر العربي (542هـ/1141م) فيما يتعلق بالتعليم: " وللقوم في التعلم سيرة بديعة وهي أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب، فإذا عبر المكتب أخذه بتعليم الخط والحساب والعربية. فإذا حذقه كله أو حذق منه ما قدر له خرج إلى المقرئ فلقنه كتاب الله فحفظ منه كل يوم ربع حزب أو نصفه أو حزباً..."⁽⁵⁾.

(1) المقرئ: السلوك، ج 2، ص 119.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج 7، ص 210.

(3) أبي العباس أحمد البلاذري (ت 279هـ/892م): فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، دط، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص 660.

(4) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، دط، دار الكشاف للنشر والتوزيع، القاهرة، 1954، ص 45.

(5) أبو بكر بن العربي: أحكام القرآن، تخريج: محمد عبد القادر عطا، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج 4، ص 349.

وما سجّله الرحالة ابن جبیر (614هـ/1213م) في رحلته حيث يقول: "وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها تنزيهاً لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو، وقد يكون في أكثر البلدان الملقن على حدا والمكتب على حدا فينفصل من التلقين إلى التكتيب"⁽¹⁾، وهذا ما سجّله ابن بطوطة (779هـ/1378م) إذ يقول: "ومعلم الخط غير معلم القرآن، يعلمهم بكتب الأشعار وسواها ولا يكتبون القرآن في الألواح تنزيهاً له فينصرف الصبي من التعليم إلى الكتاتيب لأن معلم الخط لا يعلم غيره"⁽²⁾.

- كتاتيب أولية: كان يتعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة ويحفظون القرآن ومبادئ الدين وأوليات الحساب.

- كتاتيب قانونية: كانت لتعليم الأطفال والشباب علوم اللغة والآداب وكانوا يتوسعون فيها بعلوم الدين والحديث وسائر صنوف العلوم الأخرى بصورة عامة⁽³⁾.

نستنتج مما سبق أن؛ هنالك نوعان من الكتاتيب أحدهما لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي والآخر لتعليم القراءة والكتابة والحساب، وظهر نوع آخر من الكتاب الخاص بالأيتام وكان الغرض من إنشائها تعليم الأيتام وأبناء الفقراء وأبناء الجند، وقد وفر هذا النوع من التعليم الرعايا العلمية والاجتماعية. ب- الربط والخانقاوات: الربط عدا عن كونه موقعاً دفاعياً، فقد كان المجاهدون فيه يتلقون التدريبات القتالية والفنون الحربية وعلوم العصر وفنونه؛ وهو عبارة عن حلقات صوفية زاهدة، أما الخانقاوات وإن كانت قد أعدت بيوتاً للصوفية والدرابيش والفقراء، وإن كانت قد تركت أثارا اجتماعية سيئة وخطيرة بما أشاعت من حياة الزهد وتقشف فإنها ساهمت في ذلك الوقت بقسطٍ وافرٍ في مجال التنقيف الديني والانضباط السلوكي الذي انعكس على أفراد المجتمع، وكان صلاح الدين أول من أنشأ خانقاً سنة (569هـ/1168م) ووقف عليها الأوقاف للإنفاق وخصص لها أرزاق كل يوم⁽⁵⁾.

وقد شهدت المؤسسات التربوية الصوفية نوعين من أعداد الصوفيين: نوع أصيل سار في طريق العلم سير العلماء واجتهد في الطلب وحصل على العلم الغزير ومالت نفسه إلى الزهد واحتقار الدنيا ونوع آخر أتجه إلى العلم حتى حصل منه زاد يسيراً ثم أنصرف إلى مجاهدة الصوفية والسعي إلى كسب الجاه بين الجماهير بمظاهر من التقى والقدرة والأعمال الخارقة فالتفت حولهم العوام وتمسكوا بهم تمسكاً شديداً حتى تحولت الطريقة إلى شيء أشبه بجمعية دينية اجتماعية⁽⁶⁾.

(1) ابن جبیر: الرحلة، ص 272.

(2) ابن بطوطة: الرحلة، ج1، ص213.

(3) محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 70.

(5) المقرئزي: الخطط، ج4، ص373.

(6) حسين مؤنس: عالم الإسلام، دط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1973، ص ص 215-216.

ولقد لعب الربط دوراً تربوياً حيث برزت كمؤسساتٍ للتربية العسكرية والدينية، فالناحية العسكرية ظهرت من خلال توافد المسلمين على حدود الدول الإسلامية للتدريب بسبب تريض دول معادية لها أما من ناحية التربية فظهرت من خلال ما ينفقه المریدون من التَّعبد ولما يتلقون من الإرشاد وتوجيه من شيوخهم .

ج- المساجد : يعتبر المكان الرئيسي لنشر الثقافة الإسلامية، وقد قامت حلقات الدراسة فيه منذ أن نشأ واستمرت كذلك على مدار السنين والقرون، لأنَّ إحساس المسلمين بأن البيوت الخاصة تضيق باجتماعاتهم ولا تمنحهم حرية العبادة واللقاء كما يشتهون وبمرور الزمن زاد عدد المساجد زيادة كبيرة حتى بلغ عددها في البصرة وحدها على ما ذكر اليعقوبي 70000 مسجد⁽¹⁾.

ويقول ابن جبیر عن مساجد الإسكندرية : " وهي أكثر بلاد الله مساجد ومنهم من يقول أن مساجدها 12 ألف مسجد وتكون الأربعة و الخمسة في موضع"⁽²⁾ وعن الجامع الأموي يحدِّثنا ابن جبیر ويقول: "فيه حلقات للتدريس للطلبة وللمدرسين منها إجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيها الطلبة المغاربة ولهم إجراء معلوم ومرافق هذا الجامع للغرباء وأهل الطلبة كثيرة واسعة وأغرب ما به أن سارية من سواريه وهي بين المقصورتين القديمة والحديثة لها وقف معلوم يأخذه المستند إليها للمذاكرة والتدريس ..."⁽³⁾ .

فقد درس في المساجد الطب والميقات، فالسُّيوطي يروي أن دروساً مختلفة رتبت في الجامع الطولوني وقد شملت التفسير والحديث والفقہ على المذاهب الأربعة والقراءات والطب والميقات، ويقول البغدادي : " إنَّ درساً في الطب كان يُلقى في الأزهر في منتصف النهار من كلِّ يوم"⁽⁴⁾.
لقد أصبحت بعض المساجد وحلقاتها مطلباً ومطمحاً لبعض العلماء، لما تعطيه لهم من مكانة علمية واجتماعية ورغبة في نشر العلم بين أكبر عدد من طلاب العلم كالجامع الأموي مثلاً، وكان المسجد مركزاً للتعليم العالي، وقد أثر في نمو العلوم وانتشارها لا يتَّصّاله بالدين وكونه مكاناً للعبادة حيث قسّم طلبته إلى قسمين :

(1) أحمد ابن إسحاق اليعقوبي (ت بعد 292هـ/905م) : كتاب البلدان، دط ، المكتبة المرتضوية والمكتبة الحيدرية، النجف الأشرف (العراق)، 1918 ، ص 118.

(2) ابن جبیر : الرحلة ، ص 43.

(3) نفس المصدر، ص ص 266-273.

(4) أحمد خالد جيدة: المدارس والنظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان، 2001، ص 65.

- طلاب منتظمون في الدراسة: لا ينقطعون عن الدرس إلا بعد إتمام المنهج والحصول على إجازة من الأستاذ المختص وهؤلاء يتفرغون للعمل لسنوات عدّة فيحضرون للجامع من الصّباح الباكر طيلة النّهار ويقضونه بالدرس.

- طلاب مستمعون غير منتظمين: وهؤلاء يذهبون لاستماع بعض الدروس كما نذهب نحن لاستماع بعض المحاضرات العامّة دون تقيد بمنهج معين ، أمّا من حيث النّفقات فقد قامت الأوقاف بدور كبير من أجل تدعيمها وتمكينها من أداء رسالتها على أكمل وجه، فقوة الشّعور الديني أدت إلى ازدهار الأوقاف وانتشارها ولهذا يعتبر من أهمّ معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقهاء.

5-2- مكتبات بلاد الشّام: لقد قدمت حضارة بلاد الشام القديمة المنجزات الحضارية الهامّة في تاريخ العالم القديم، وساهمت في غنائه الفكري والعلمي، وقد وجدت مجموعات من الألواح الطينية في مناطق مختلفة عكست لنا حضارات المجتمعات القديمة في بلاد الشام ومن هذه المكتبات:

- مكتبة القصر الملكي في أوغاريت: حيث تأسست مملكة أوغاريت في النّصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد⁽¹⁾. وفي عام 1929م عثرت بعثة فرنسية في موقع رأس شمراء شمالي مدينة اللاذقية على مدرسة ملحقة بالمعبد الديني، ويعود تاريخها إلى القرن 8 ق م وقد احتوت على نصوص كتب بالخطّ المسماري وبالأحرف الأبجديّة الفينيقيّة، وقد اجتمعت نصوص الأدب الكنعاني والفينيقي والأساطير التاريخية والدينية بالإضافة إلى الرسائل والعقود المبرمة والمعاجم اللغوية والوثائق⁽²⁾.

- مكتبة القصر الملكي في أبيلا: تقع هذه المملكة في تلّ مريخ جنوبي مدينة حلب، ويرجع تاريخها إلى ألف الثالث قبل الميلاد وقد اكتشفت بعثة إيطالية سنة 1975م المكتبة والأرشيف في عاصمة أبيلا وهي مؤلفة من غرفتين برفوف خشبية رُتّب عليها نحو 20000 لوح طيني حسب تصنيف معين بالنسبة للمواضيع بخطّ مسماري، وهي نصوص معجميّة وأدبيّة وتشريعية وقضائية والمراسيم الإداريّة، والأوامر العسكريّة . كذلك تتحدث عن معلومات تاريخيّة لتاريخ أبيلا وتاريخ بلاد الرافدين والشّرق القديم⁽³⁾.

- مكتبة القصر الملكي في ماري: تأسست في الألف الثاني قبل الميلاد، وقد اكتشفت سنة 1935م من خلال تمثال وُجد في منطقة شمال شرق سورية في موقع تلّ الحريري قرب دير الزور، وقد كانت بها مدرستان لتعليم القراءة والكتابة المسماريّة، كذلك عُثِر على ألواح طينية مجففة بالشّمس، بلغ مجموعها 20000 لوح بالخطّ المسماري تتحدث عن مواضيع سياسيّة، اجتماعيّة، اقتصاديّة، فكريّة⁽⁴⁾.

(1) نوفل هائل: تاريخ الكتب والمكتبات، ط2، جامعة دمشق، دمشق، 1987، ص 38.

(2) نفس المرجع، ص 38.

(3) نفسه، ص ص 42-43.

(4) منذر حميدي الحسين: مكتبات مصر وبلاد الشام في عصر المماليك، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الجنان، طرابلس- لبنان، 2014، ص 92.

د- العلوم السائدة في بلاد الشام خلال العصرين: رغم ما خلفته التّحديات السياسيّة لدى أهل الشام على اختلاف شرائح المجتمع إلاّ أنّهم اندفعوا نحو تأكيد هويتهم العربيّة الإسلاميّة، ذلك ما أفرزته الحركة العلميّة آنذاك، وهو ما سنوضّحه من خلال تتبع العلوم السائدة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي في الصّفحات الآتية:

- العلوم الشّرعية : اضطلعت مؤسسات التعليم بتدريس العلوم الإسلاميّة إذ أولوا عنايةً شديدةً بعلوم القرآن (القراءات والتفسير) بالإضافة إلى علوم الفقه والحديث وأصولها.

- علوم القرآن: شملت علوم القرآن خلال العصرين مسائل عديدة تتعلّق بنزول القرآن الكريم وجمعه وكتابه وقراءته وكذا تفسيره دون أن ننسى الإعجاز والإعراب والتّجويد باعتبارها ركائز.

- القراءات : تختصّ القراءات بالقرآن الكريم فلذلك برز العديد من القراء بقراءاتهم العشر والسّبع ومن أبرز هؤلاء القراء ببلاد الشام خلال العصرين :

- قراء القراءات السّبع : برز في دمشق كل من :

• محمّد بن عبد العزيز بن صدقة الدميّاطي الدمشقي(ت693هـ/1293م)؛ قرأ القراءات السّبع في الجامع الأموي.⁽¹⁾

• محمّد بن عبد الكريم التبريزي الدمشقي(ت704هـ/1304م) ؛ برع في القراءات السّبع، فقد تلا السّبع على السخاوي.⁽²⁾

• أبو بكر بن عمر بن سبع الجزيري (ت713هـ/1313م) ؛ قرأ القراءات السّبع في الجامع الأموي ولي مشيخة الإقراء بدار الحديث في دمشق⁽³⁾. أمّا في حلب فقد برعت ثلّة أخرى نذكر منهم :

• شرف الدّين أحمد بن إبراهيم بن ضياء القراري الشافعي (ت705هـ/1305م).⁽⁴⁾

• عبد الرّحمان بن إبراهيم بن علي الزيلعي المقرئ(ت732هـ/1331م): كان من كبار قراء عصره للقراءات السّبع.⁽⁵⁾

• شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الدّمشقي الشّافعي(ت706هـ/1306م): الذي اشتهر بالقراءات والفقه.⁽⁶⁾

(1) تاج الدين السبكي: معجم الشيوخ، تح : بشار عواد معروف وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004 ج1، ص 433 .

(2) شمس الدين ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971 ، ج2، ص 154.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 166 .

(4) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج14، ص 38 .

(5) الزركلي : المصدر السابق ، ج2، ص 178 .

(6) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، ج8 ، ص 27 .

- قراء القراءات العشر: نذكر كل من :

• محمّد بن أحمد بن علي الرقي (ت 742هـ/1341م)⁽¹⁾.

• نصر الله بن أبي بكر محمد بن نصر الله الدمشقي (ت 776هـ/1374م)⁽²⁾.

كما برزت عدّة مؤلفات في علم القراءات على شكل شروحٍ نذكر منها : شرح عَمّ الدّين القاسم بن أحمد اللّورقي (ت 661هـ/1262م)، كما صنف أحمد بن محمّد بن جبارة المقدسي الصّالحي (ت 728هـ/1327م) شرحاً للشّاطبية والرّائية بالإضافة إلى تنظيم قصيدة من قبل سريج بن محمّد بن سريج الملطي في القراءات سمّاها " نهاية الجمع في القراءات السّبع " الّتي بلغت ألفاً ومائتي بيت⁽³⁾.

- علم التّفسير: يساهم التّفسير في تحصيل قدرة الاستنباط الشّرعي فلذلك اهتمّ به كل من الأيوبيين والمماليك خاصّة البحرية، ومنّ المفسّرين الدّين برعوا في كتابته نذكر كالأتي:

• عزّ الدّين بن عبد السّلام بن مهذب السلمي الدّمشقي (ت 660هـ/1261م): يعتبر من الأئمة البارزين فلذلك لقب بسطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام ، له كتاب التّفسير⁽⁴⁾.

• جمال الدّين العسقلاني الدّمشقي (ت 692هـ/1299م): عُرف بكتابه " تفسير القرآن"⁽⁵⁾.

• تقي الدّين أحمد بن تيمية (ت 728هـ/1327م) : عُرف بمصنّفه في تفسير القرآن المشهور بـ"رمضان الجنّات"⁽⁶⁾.

• أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ/1372م): أشهر مفسّري القرآن الكريم، عرف كتابه بـ " تفسير ابن كثير"⁽⁷⁾.

- علم الحديث : بلاد الشّام (دمشق وحلب خاصّة) كغيرها من الأوطان الإسلاميّة برزت في هذا المجال وشمل مختلف الفروع سواء المُتون أو السّند أو الجمع و الكتابة ، وممّن تشتهر بهم بلاد الشّام نذكر :

• علي بن محمّد أحمد بن عبد الله اليونيني (ت 701هـ/1301م) : أكبر حفاظ المتون والأسانيد⁽⁸⁾.

(1) عفيف الدين عثمان بن علي الناشري الزبيدي (ت 848هـ/1445م): الدر النظم لرواية حفص عن عاصم، تح: خليل رجب الكبيسي ، ط1 دار مجد للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص 51.

(2) المقرئزي : السلوك، ج7، ص 423 . جلال العطاري : المرجع السابق، ص 49 .

(3) محمود رزق سليم: الأدب العربي ، مج4 ، ص15.

(4) مهند عبد العزيز الفلوجي : معجم الفردوس ، ط1، مكتبة العبيكان ، الرياض، 2012، ص 385 .

(5) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص 62 .

(6) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14، ص 134. الكتبي: فوات الوفيات، ج1، ص 74 .

(7) ابن كثير الدمشقي: تفسير القرآن الكريم، تح: ابن حزم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2000م، ص07.

(8) نفس المصدر ، ص 20 . العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج3، ص 98 .

- فخر الدين أبو الحسن المقدسي المشهور بابن البخاري : كان فريد عصره في علوم الإسناد ممّا جعل مشيخته أبرز المشيخات آنذاك⁽¹⁾.
 - ومن أبرز المصنّفات في علم الحديث خلال العصرين نذكر:
 - مصنّفات " شرح السّنة للبيغوي " و " تحفة الباري في صحيح البخاري"، وكذا " المنهاج " و"شرح صحيح مسلم"... وغيرها لمُحَيِّ الدين بن شرف النَّووي(ت676هـ / 1275م)⁽²⁾.
 - مؤلف "تكملة كمال الإكمال والأحاديث المنتقاة، والتحفة في الحديث" لمحمّد بن علي الصّابوني (ت680هـ/1281م)⁽³⁾.
 - كتاب "المحرر في الأحكام" لشمس الدين محمّد بن عمر المقدسي(ت744هـ/1343م)⁽⁴⁾.
 - مصنّف " ميزان الاعتدال في نقد الرجال" لمحمّد بن أحمد الذهبي (ت748هـ / 1347م)⁽⁵⁾.
 - "شرح الترميذي" لعبد الرّحمان بن أحمد بن رجب السّلامي الدّمشقي(ت795هـ/1392م)⁽⁶⁾.
- علم الفقه : نال هذا العلم عناية كبيرة من قبل العلماء كل حسب مذهبه لكونه يستتبط من الأحكام الشرعية ومن أدلّتها الكتاب والسّنة والإجماع، ومن أبرز الشخصيات التي برعت في هذا المجال نذكر: برع في الفقه الحنفي ثلّة من الفقهاء على رأسهم الفقيه علي بن محمّد بن الحسن الخلاطي الحنفي (ت708هـ/1308م) الملقب بالقادوس ولي إمامة الظّاهرية⁽⁷⁾، بالإضافة إلى إبراهيم بن أحمد بن أحمد بن إسماعيل الجعفري الدّمشقي الحنفي (ت 774هـ/1333م) الذي تولى التدريس والقضاء في حلب منذ سنة (721هـ/1321م)⁽⁸⁾، كما برع من علماء القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أبو المواهب خليل بن عيسى العجمي الحنفي(ت801هـ/1398م) مدرس المعظمية⁽⁹⁾.
-
- (1) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج2، ص 120 .
- (2) محي الدين النوري(ت676هـ/1278م) : منهاج الطالبين وعمدة المفتين، تح: محمد ظاهر شعبان، ط1، دار المنهاج جدة ، 2005 ، ص12.
- (3) الصفدي: المصدر السابق، ج4 ، ص134 .
- (4) ابن رجب البغدادي(ت795هـ/1393م) : الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دت، ج2 ص ص 436-139.
- (5) الكتبي : فوات الوفيات ، ج3، ص 315.
- (6) العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج2، ص ص 321-322 .
- (7) نفس المصدر، ج3، ص 101 .
- (8) نفسه ، ج1، ص 08 .
- (9) أبي الفضل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ط3، دار البشائر الإسلامية - دار ابن حزم بيروت، 1988، ج1، ص 67.

وقد نشط في مجال الفقه الشافعي ثلثة من العلماء والفقهاء كذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عثمان بن علي بن إسماعيل الطائي الحلبي ابن خطيب الشافعي (ت738هـ/1338م) له في الفرائض عدّة مؤلفات منها: " شرح التّعجيز " و " شرح الشّامل الصّغير" (1)، حيث لم يتفان في التّأليف علماء القرون المدروسة فبرز كذلك : فرج بن محمّد الأرديلي (ت749هـ/1348م) صاحب تصنيف " شرح منهاج البيضاوي" (2). وعثمان بن عبد الكريم القرشي الشّافعي (ت772هـ/1370م) الذي كان لا يدّرس إلّا في أصول الفقه. (3)

هذا لا يعني أنّ علماء مذهب الحنبلي لم يُولوا اهتماماً بالفقه، وإنّما برعوا من خلال تصانيفهم كغيرهم نذكر من بينهم: الفقيه نجم الدّين سليمان بن عبد الله الطّوفي الصّرصري الحنبلي (ت710هـ/1310م) الذي له تصنيف " مختصر الرّوضة في أصول الفقه". (4) وإبراهيم بن أحمد بن بدر الزّرععي الحنبلي (ت 741هـ/1340م) الذي درس بالمدرسة الحنبليّة. (5) بالرّغم من انتشار الضّئيل للمذهب المالكي إلّا أنّ بلاد الشّام منطقة شهدت عدّة دراساتٍ بفضل ثلثة من العلماء والفقهاء منهم: الفقيه علي بن محمّد بن فرحون المدني المالكي (ت746هـ/1345م) الذي له عدة تصانيف في الفقه المالكي. (6) بالإضافة إلى إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصّنهاجي المالكي (ت796هـ/1393) ولي قضاء المالكيّة بدمشق (7) .

- اللّغة العربيّة وآدابها : لا يمكن الفصل بين الجانب الدّيني واللّغة العربيّة لأنّ هذه الأخيرة تساهم في فهم معاني ومقاصد القرآن الكريم والأحاديث الشّريفة، فلذلك تضلع زمرة من الأدباء والمفكرين في شتّى المجالات نذكر منهم:

- خليل بن أبيك ، صلاح الدّين الصّفدي (ت764هـ/1364م): الذي ولع بالأدب وله كتاب " شرح لامية المعجم" و " التّنبيه على التّشبيه" (8) .
- علاء الدّين بن المظفر بن إبراهيم الدّمشقي (ت716هـ/1316م) عرف بمؤلّفه " التّدكرة الكنديّة" الذي يشمل خمسين مجلّدًا (9).

(1) أبي الفضل المرادي: المرجع السابق ، ج2، ص 443 .

(2) العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج3، ص ص 230-231.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 441 .

(4) نفسه، ج 2 ، ص154.

(5) نفسه، ج1، ص ص 15-16 .

(6) نفسه ، ج3، ص ص 115-116.

(7) نفسه، ج1، ص30 .

(8) نفسه، ج2، ص 87 .

(9) نفسه، ج3، ص ص 130-132 .

- علي بن عبد الله بن يوسف التبريزي الحلبي (ت794هـ/1391م) : بارع في الأدب خاصة النظم والنثر والإنشاء⁽¹⁾ . كما تخصص ثلثة من العلماء بعلم الصّرف والنحو والبلاغة والعروض أمثال: جمال الدين بن مالك (ت672هـ/1273م) صاحب "إيجاد التعريف في علم التصريف"⁽²⁾، وأحمد بن علي السبكي (ت773هـ/1371م) صاحب "شرح تلخيص المفتاح"⁽³⁾ كما ظهر عالم العروض شمس الدين محمد ابن أحمد بن حسين بن سباع المعروف بابن الضائع(ت720هـ/1320م) الذي شرح مقصورة ابن دريد⁽⁴⁾ .
- العلوم الرياضية والفلك : برع زمرة من علوم الرياضيات كالحساب والجبر والهندسة بالإضافة إلى علم الفلك، حيث اشتهر مجموعة من الأطباء شغلوا الطبّ والفلك أمثال :
 - الطبيب نجم الدين ابن اللبودي(ت670هـ/1271م): عالم الرياضيات والفلك مؤلفاته " كافية الحساب في علم الحساب" ، "الرسالة الكامنة في علم الجبر والمقابلة" ، " الزّاهي في اختصار الزيج المغرب المبني على الرصد المجرب"⁽⁵⁾ .
 - العالم علي بن طبيغا الحلبي المؤقت(ت793هـ/1390م): كان عارفا بالجبر والحساب وأخذ عنه كبار علماء حلب⁽⁶⁾ .
- الجغرافيا : صنّف العديد من العلماء الجغرافيين عدّة تآليف ، فقد برز عدّة جغرافيين أمثال : عماد الدين زكرياء بن محمد بن محمود القزويني(ت682هـ/1283م) الذي ألف كتابه " آثار البلاد وأخبار العباد وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"⁽⁷⁾ . وكذا أبو الفداء إسماعيل بن علي حمود⁽⁸⁾ المعروف بالملك المؤيد(ت732هـ/1331م) صاحب كتاب " تقويم البلدان" ، دُون أن ننسى ابن فضل الله العمري (ت749هـ/1348م) صاحب كتاب " مسالك الأبصار" الموسوعة التاريخية الجغرافية الضخمة⁽⁹⁾ .

(1) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج3، ص ص 75-76 .

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج1، ص 165 . الكتبي : فوات الوفيات ، ج3، ص 407.

(3) العسقلاني : المصدر السابق ، ج1، ص 210 .

(4) السيوطي: بغية الوعاة، ج2، ص10.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 262 .

(6) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج3، ص 57.

(7) زكريا القزويني (ت682هـ/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، ط1، دار صادر، بيروت ، دت، ص ص 9-10 .

(8) شهاب الدين أبو الفداء (ت732هـ/1331م): تقويم البلدان ، ط1، دار صادر، بيروت، دت، ص 01 .

(9) ابن فضل بن يحيى شهاب الدين أحمد العمري(ت749هـ/1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تج: كامل سليمان الجبوري ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج1، ص 69 .

- العلوم العقلية: تشمل عدّة علوم منها الفلسفة والكلام والجدل ومن بين قراء المنطق والفلسفة بدمشق الفيلسوف تقي الدين أبو عمر عثمان بن الصلاح (ت643هـ/1245م)⁽¹⁾ ، بالإضافة إلى شمس الدين محمود بن أبي القاسم بن أحمد الأصبهاني (ت725هـ/1324م) صاحب كتاب " شرح المطالع " في المنطق⁽²⁾. كما برع قطب الدين محمد بن محمد الرازي المعروف بالقطب التحتاني (ت796هـ/1393م) في مختلف العلوم العقلية⁽³⁾ .

- العلوم الطبيعية: يصنف علم الصيدلة والكيمياء والطب ضمن ذلك ومن أبرز مشاهير هذه العلوم: أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1269م) صاحب مصنف "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" ، بالإضافة إلى سليمان بن داود بن سليمان الدمشقي (ت732هـ/1331م) الذي اختص في العلاج الطبي⁽⁴⁾. كما برع بالكيمياء الكيميائي علي بن الحسن بن عبد الله الجابي (ت701هـ/1301م) الذي برع في كتابة علم الكيمياء⁽⁵⁾ ، ولا ننسى الصيدلاني سليمان بن داود بن سليمان الدمشقي (ت732هـ/1331م) رئيس الأطباء الذي اشتغل بالطب واختصّ بالعلاج⁽⁶⁾.

المبحث الثاني: طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي (بلاد الحجاز - العراق)

2-1- طبيعة الحياة الثقافية ببلاد الحجاز ما بين (ق7-9هـ/13-15م): لعبت المدن الحجازية دوراً هاماً في الحياة الثقافية والعلمية أثناء العصر الأيوبي على رأسها مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث مثّلت الدور القيادي في الحفاظ على تراث العرب والمسلمين بالنسبة للعقيدة من جهة، ومن جهة أخرى بالنسبة للثقافة والعلم منذ ظهور الإسلام، فقد أشار ابن جبير إلى حلقات العلم بالمسجد الحرام في مكة المكرمة، حينها زارها في عصر السلطان الأيوبي صلاح الدين⁽⁷⁾. لكن قد انتاب النشاط الثقافي والعلمي بعض الفترات نتيجة عوامل غير واضحة خاصة خلال ثلاثة قرون من الزايع إلى السادس الهجري/من العاشر إلى الثاني عشر الميلادي، حيث برزت عدّة بيوت لطلب العلم في القرن (6هـ/12م) وهم ينتسبون

(1) النعيمي: الدارس ، ج1، ص16 .

(2) حسن بن عمر بن حبيب (ت779هـ/1377م) : تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه، تح:محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، ط1، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1982، ج2، ص150 .

(3) محمد بن محمد قطب الدين الرازي (ت766هـ/1365م): الإلهيات من المحاكمات بين شرحي الإشارات، ط1، ميراث مكتوب، د م ، 2000، ص18 .

(4) العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج2، ص 151 .

(5) نفس المصدر، ج3، ص 39 .

(6) نفسه ، ج2، ص151 .

(7) ابن جبير : الرحلة، ص ص 59-60.

لقبيلة قريش، بالإضافة إلى عائلة آل ظهيرة وآل الطبري الذين اعتلوا رئاسة التدريس وطلب العلم بمكة خلال العهد الأيوبي متولين الإمامة والخطابة في المسجد الحرام باعتباره مركز ذلك⁽¹⁾. فنتيجة لكثرة رحلات العلماء والأدباء والكتاب إلى مكة المكرمة نشطت الحركة الفكرية خاصة وأنها بعيدة كل البعد عن الفتن والخلافات السياسية فلذلك تمكن العلماء من تأدية رسائلهم فيها وتدوين مؤلفات عدة في شتى المجالات⁽²⁾.

فبالرغم من دور الكتاتيب في الحياة العلمية والثقافية في بلاد الحجاز خلال العصر الأيوبي باعتبارها مؤسسات فكرية وتعليمية إلى جانب المساجد، إلا أن المدارس والمكتبات التي تطورت في مكة المكرمة والمدينة المنورة كان لها الدور الرئيسي في نشر العلوم الفعلية والمعرفة الفكرية ومن أبرزها مدرسة الأرسوني، الزنجيلي، طاب الزمان الحبشية، مدرسة النهاوندي، مدرسة ابن أبي زكرياء مدرسة ابن الحداد المهدي، المدرسة الشرايية... وغيرها⁽³⁾.

أما المدينة المنورة كان لها أيضا نصيب من العلماء والفقهاء والمؤرخين الذين اتخذوها موطناً وأثروا في الحياة الثقافية والعلمية في الحجاز أثناء العصر الأيوبي، حيث يشير السخاوي في كتابه "التحفة اللطيفة" إلى تواجد العديد منهم أمثال العالم الفذ أحمد بن عبد الله بن محمد شيخ الحجاز فيما وصفه بن الذهبي المحب أبو جعفر، وأبو العباس الطبري المكي الشافعي صاحب مؤلف "النخبة المدنية" الذي سمع منه في جمادى الأولى سنة (647هـ/1249م) بالروضة النبوية المحدث أبو محمد بن عبد الله بن عبد القوي المهدي مع القسطلاني والجمال الطبري القاضي وغيرهم⁽⁴⁾.

وفي الأخير يمكننا القول أن مدن بلاد الحجاز لم تقل أهمية عن الحواضر الإسلامية الكبرى سواء القاهرة، بغداد، القيروان، دمشق، فقد استوطنها عدة علماء وفقهاء ومتبحرين في مختلف العلوم وليس ذلك فقط وإنما تركوا لنا آثاراً ومؤلفات بالغة الأهمية إلى يومنا هذا.

يعتبر القرنين الثامن والتاسع الهجري/الرابع عشر والخامس عشر الميلادي من قرون النشاط في شتى الميادين العلمية والدينية والأدبية وغيرها في بلاد الحجاز؛ حيث حظيت هذه الأخيرة باهتمام الحكام المسلمين بالخصوص مكة المكرمة والمدينة المنورة ومن بين الحكام السلاطين المماليك الذين اهتموا من

(1) طرفة عبد العزيز العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1966، ص56.

(2) نادية بنت عابد أحمد مفتي: تاريخ التعليم في المشرق الإسلامي، إشراف محمود محمد كناوي، بحث لنيل درجة الماجستير في التوعية الإسلامية، جامعة أم القرى، 1408، ص143.

(3) ناجي معروف: المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة، ط1، مطبعة الرشاد، بغداد، 1965، ص307.

(4) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج1، ص117-

أول عهدهم بالعلم والعلماء، وخصّصوا الأوقاف وما يتحصل منها للإنفاق على المدرّسين والعلماء والمهتمين بأمورها. فبالرغم من اختلاف أوصار العالم الإسلامي من حيث قوّة وضعف الحركة الفكرية ودور الخلفاء والحكام والأمراء والوزراء فهناك أوصار شهدت نهضة بفضل دور واهتمام الحكّام بالعلم فقد برز العديد منهم كمحبيين ومشاركين فيه رواية وعلماء فكان لا بد من تقريبيهم للعلماء والاهتمام بهم وإشراكهم في المجالس العلميّة، ومن أشهر تلك المجالس مجالس حسن بن عجلان⁽¹⁾ وابنه بركات وحفيده محمّد في عصر المماليك التي كانت تمثل ندوة كبار العلماء⁽²⁾.

أمّا ابنه حسن بن عجلان (ت829هـ/1425م) وقد كان يجلّ العلماء ويكرّمهم من بينهم علي بن محمّد يحيى البعداني (ت831هـ/1427م) الذي كان يوقّره فلذلك قال عنه "ما رأيتُ من المشايخ أعرف بأحوال الطوائف على اختلاف طبقاتهم منه، وترجمته محتملة التطويل"⁽³⁾. وهذا يبيّن مطالعته لكتب الحديث والتّاريخ، حيث تحدث عن عدّة علماء فنهل منهم مختلف العلوم وقد خرّج له الحافظ تقي الدّين محمّد بن فهد الهاشمي المكي (ت871هـ/1422م) أربعين حديثاً عن أربعين صحابياً، في بعض معجزات أهل البيت سمّاها "المصابيح المشرقة الزّاهرة في معجزات المصطفى ومناقب عشرته الطّاهرة"، وله مؤلفات أخرى منها "غاية القصد والمراد من الأربعين العالية الإسناد"⁽⁴⁾.

كما أنشأ رباطين حسن بن عجلان أحدهما للرّجال والآخر للنّساء بهدف إرساء التعاليم التي كانت تدرّس بالمدارس خاصّة المدرسة المجاهدية باعتبار الرّباط لأول شيد سنة (803هـ/1400م) بالمقابل لها وجعل له وقفا بمكّة⁽⁵⁾ ومن غيرها. فمن بين العلماء الدّين أقاموا به الشيخ عبد الله بن محمّد الشّيرازي البصري (ت893هـ/1487م)⁽⁶⁾، وتولى مشيختها العالم الفاضل محمّد بن عبد السّلام بن عيسى التبريزي (ت843هـ/1339م) والرياض الثاني أنشأه سنة (816هـ/1413م)⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ حسن بن عجلان بن رمثية الحسين المكي (الملقب بدر الدين): أمير مكة ونائب السلطنة بالأقطار الحجازية، ولي إمارة مكة من غير شريك، أحد عشرة سنة وتسعة أشهر. تقي الدين الفاسي (ت832هـ/1429م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد سيّد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ج4، ص86.

⁽²⁾ طرفة عبد العزيز العبيكان: المرجع السابق، ص57.

⁽³⁾ السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص ص26-27.

⁽⁴⁾ نفس المصدر، ج9، ص ص281-282. عز الدين عبد العزيز بن عمر الهاشمي (ت922هـ/1517م): غاية المرام بأخبار سلطة البلد الحرام، تح: فهيم محمد شلتوت، ط1، جامعة أم القرى، 1988، ج2، ص352.

⁽⁵⁾ تقي الدين الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تح: لجنة كبار العلماء والأدباء، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه - مكتبة النهضة الحديثة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1956، ج1، ص ص332-335. الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص119.

⁽⁶⁾ السخاوي: المصدر السابق، ج5، ص30.

⁽⁷⁾ الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص119.

لم يكن عصر المماليك كما قيلَ عنه عصرَ ظلامٍ وضالَّةٍ علمية وثقافيةٍ فإننا من خلال تتبع الواقع التعليمي والعلمي والدور الذي لعبه الأمراء والسلاطين نلاحظ أن القيمة العلمية للحركة العلمية والثقافية تساهم في كثرة المؤلفات خاصة من قبل أهل مَكَّة والمدينة المنورة، حيث نقل هؤلاء العلماء ودَوَّنوا توجيهات العصر في مؤلفات أدبية وجغرافية وتاريخية. كما تضافرت الأسباب المؤدية للنهضة الثقافية والفكرية لدى المدن الحجازية خلال (ق7-9هـ/13-15م) نذكر منها:

- اهتمام أمراء وسلاطين الحجاز بالحركة العلمية، حيث برزت على غرار ذلك عدة مظاهر منها: الاهتمام بالعلم ، تقريب العلماء وإكرامهم وإشراكهم في المجالس العلمية.
 - الإنفاق غير المحدود من قبل السلاطين، وذلك من خلال إنشاء المؤسسات كالمكتبات والمدارس⁽¹⁾.
 - مساهمة الأسر العلمية في تنشيط الحركة التاريخية، تعدُّ الأسر المكيضة والمدنية مظهراً رئيسياً لإثراء الحركة الثقافية والتاريخية نذكر أهمها: أسرة الطبري⁽²⁾، أسرة القسطلاني⁽³⁾، أسرة العسقلاني⁽⁴⁾، أسرة الفاسي⁽⁵⁾، أسرة بن ظهيرة⁽⁶⁾، أسرة ابن فهد⁽⁷⁾.
 - الرحلات العلمية: ساهمت رحلات المؤرخين إلى مكة والمدينة المنورة في تأثر المؤرخين ببعضهم البعض مثل: العبدري المغربي⁽⁸⁾ ابن بطوطة⁽⁹⁾ وغيرهم.
- أ- المنشآت التعليمية في المدن الحجازية (مكة - المدينة المنورة):

أ-1- المدارس في مكة : تميزت مكة المكرمة بكثرة مدارسها والتي أخذت على عاتقها مهمة التدريس ونشر العلم بين المسلمين هذا بالرغم من تأخر ظهورها في مكة إلى الربع الأخير من القرن السادس

(1) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج3، ص ص210-211.

(2) أكبر الأسر العلمية في مكة المكرمة ، والتي برز منها ثلة من العلماء والمؤرخين. الفاسي: العقد الثمين، ج8 ، ص20.

(3) تنتسب هذه الأسرة إلى الحسن بن عبد الله بن أحمد بن راشد القتيبي القسطلاني. الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج4 ص261. نفس المصدر، ج2 ، ص230.

(4) تنتسب هذه الأسرة إلى عسقلان. شهاب الدين ياقوت الحموي (ت626هـ/1229م): معجم البلدان، د ط ، دار صادر بيروت ، د ت ، ج4 ، ص122.

(5) أشهر علماء هذه الأسرة : محمد بن أحمد بن علي بن محمد الحسيني تقي الدين الفاسي(ت832هـ/1428م). الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص331.

(6) أكبر الأسر المكية عددا في العصر المملوكي قريشية مخزومية من أبنائها عطية بن ظهيرة بن مرزوق القريشي المخزومي (ت647هـ/1249م). نفس المصدر، ج6 ، ص107.

(7) السخاوي : الضوء اللامع ، ج9 ، ص231.

(8) أبي عبد الله محمد بن سعود العبدري (ت700هـ/1300م): الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاحة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة(الجزائر)، 2007م ص08.

(9) ابن بطوطة: الرحلة، ج1، ص ص153-154.

الهجري الحادي عشر الميلادي، حيث تنافس الأمراء والحكام على تأسيس هذه المدارس هذا ما أدى إلى كثرتها ، وكان مؤسسوها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي من العراق واليمن والحجاز ... وغيرها من الدول الإسلامية الأخرى ، ومن أشهر المدارس التي وجدت في مكة⁽¹⁾ نجد :

1- المدارس في العصر الأيوبي:

- مدرسة الزنجيلي: أسس هذه المدرسة الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي⁽²⁾، نائب عدن وهو منسوب إلى زنجيلية إحدى قرى دمشق؛ حيث أوقف مدرسته على الفقهاء الحنفيين سنة (579هـ/1200م) تقع عند باب العمرة خارج المسجد الحرام. وقد بنى بجانبها رباطاً خاصاً لسكن المدرسين فيها. وأشهر مدرسي هذه المدرسة: صديق بن يوسف بن قريش الحنفي المولود سنة (537هـ/1142م).

- مدرسة طاب الزمان الحبشية: أسستها عتيقة الخليفة المستضيء العباسي السيدة طاب الزمان الحبشية سنة (580هـ/1184م) بدار زبيدة ، ووقفتها على عشرة فقهاء الشافعية المقيمين بمكة⁽³⁾ .

- مدرسة النهاوندي : تقع عند الدريبة ، وذكر الفاسي أن لها 20 سنة⁽⁴⁾ .

- مدرسة ابن أبي زكريا: تقع بقرب المدرسة المجاهدية بالجانب الجنوبي للمسجد الحرام ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى علي بن أبي زكريا الذي أوقفها سنة (635هـ/1237م)⁽⁵⁾ .

- مدرسة ابن الحداد المهدي : أسسها عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الحق المهدي المعروف بابن الحداد ، أوقفها سنة (638هـ/1240م) على الطلبة المشتغلين بمذهب الإمام مالك ابن أنس، وعرفت أيضا بمدرسة الأشراف الأدارسة، ومن أشهر الذين درسوا بها : محمد بن عمر بن التوزري⁽⁶⁾ .

- مدرسة الشرايية: أسسها إقبال الشرايي خدام المستنصر بالله العباسي سنة (641هـ/1244م)، تقع على يمين الدّاخل إلى المسجد الحرام من باب السلام ، حيث اختصت هذه المدرسة بتدريس فقه المذاهب الأربعة ودروس النحو والأدب⁽⁷⁾. ولم يكن طلابها من العرب فقط بل خليط بين العرب والعجم؛ حيث أوقف عليها أوقافاً كثيرة بوادي النخلة ووادي مر، وكانت ترسل حصيلتها إلى المدرسة .

- المدرسة المنصورية (المظفرية): أوقفها صاحب اليمن الملك المنصور السلطان عمر بن رسول، تقع بالجانب الغربي لمسجد الحرام على فقراء الشافعية المحدثين، أما عمارتها فكانت على يد الأمير فخر

(1) ناجي معروف: المدارس الشرايية ، ص 308.

(2) ابن نجار البغدادي: شفاء الغرام، ج1، ص ص228-229. الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص 117. ج3، ص 169.

(3) الفاسي: نفس المصدر، ج1، ص 269 . ناجي معروف: المرجع السابق، ص 309 .

(4) الفاسي : شفاء الغرام، ج1، ص 330. نفس المرجع، ص 309.

(5) نفس المصدر، ج1، ص 330 . نفسه، ص 309.

(6) نفسه ، ج1، ص 330 . نفسه، ص 310 .

(7) نفسه ، ج1، ص327.

الدِّين الشَّلاح سنة(641هـ/1244م)، عرفت بعدة تسميات منها : الفخرية - مدرسة الشَّلاح - المدرسة المنصورية ...، ومن أشهر مدرسيها: محمد بن عمر محمد التوزي - سمي بإمام الحديث بالمدرسة-أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمان ، محمد النجم الأنصاري الذروي ، عبد العزيز بن علي العقيلي النويري.ومن أشهر طلابها: عبد الواحد بن الزَّين الدِّين محمَّد بن الزَّين أحمد بن محمَّد الطَّبْرِي المكي (ت827هـ/1423)⁽¹⁾ .

2-مدارس مَكَّة في العصر المملوكي :

- المدرسة المجاهدية: مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن ، تقع في الجانب الجنوبي من مسجد الحرام وقفها على فقهاء الشَّافعية سنة(739هـ/1334م)، وضع فيها إماماً ومؤذناً ومدرساً، وطلبة وأيتاماً من أهمِّ مدرسيها: - أحمد بن محمَّد بن إبراهيم (قاضي مَكَّة)، شهاب الدِّين أبو الفضل (ابن قاضي مَكَّة) . القاضي أحمد بن محمَّد العقيلي المشهور بمحب الدِّين النويري المكي الشَّافعي (قاضي الحرمين وخطيبهما).- محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي المكي (قاضي مَكَّة وخطيبها)⁽²⁾.

- المدرسة الأفضلية: تقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام، وهي للملك الأفضل عبَّاس بن الملك المجاهد صاحب اليمن أوقفها قبل سنة(770هـ/1365م)، ابتداءً للتدريس بها سنة(770هـ/1365م) على المذهب الشَّافعي⁽³⁾. ومن أهمِّ مدرسيها: محمَّد بن أحمد القرشي العقيلي(ت820هـ/1415م)⁽⁴⁾ .

- مدرسة الأشراف: أنشأ الأشراف مدرستين خلال القرن(8هـ/14م) هما: مدرسة الشَّريف عجلان سنة(772هـ/1367م) ومدرسة الشَّريف جار الله بن حمزة ابن راجح التي تقع بدار العجلة سنة(789هـ/1384م) ، كما أنَّها كانت ملاصقة للمسجد الحرام⁽⁵⁾ .

- مدرسة دار العجلة: بناها أرغون النَّاصري عند زيارته لمَكَّة حاجاً سنة(720هـ/1320م)، تقع على يسار الداخل لمسجد الحرام اقتصر التَّعليم فيها على مذهب أبي حنيفة، وقد أوقف مؤسسها وقفاً مضافاً لقاضي الحنفية في القاهرة ، أصبحت فيما بعد تحت إشراف أولاد راجح بن أبي نمي لكنَّها خربت، إلاَّ أنَّها

⁽¹⁾ علي الخزرجي(ت812هـ/1410م): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، د ط، مطبعة الهلال الفجالة (مصر)، 1911، ج1، ص49. ناجي معروف: المدارس الشراعية، ص 310. الفاسي: العقد الثمين ج2 ، ص ص 230-233

⁽²⁾ الفاسي: نفس المصدر، ج6 ، ص158. الفاسي: شفاء الغرام ،ج1، ص328. ناجي معروف: نفس المرجع ص ص 312-313.

⁽³⁾ ناجي معروف: نفسه ، ص ص 313-314 .

⁽⁴⁾ الفاسي : المصدر السابق، ج1، ص 328.

⁽⁵⁾ ناجي معروف: المدرسة الشراعية ، ص 314 .

رُمِّمَتْ من طرف الشَّريف أبي منيف جار الله حمزة بن راجح سنة (789هـ/1387م) وفتح لها باب في جدار الحرم الملاصق لها. وأهداها للسُّلطان الظَّاهر برفوق سنة(794هـ/1391م) ومن بين مدرسيها: يوسف بن الحسن الحنفي (1).

- **المدرسة الغياثية (البنجالية)** : أسَّها الملك المنصور غياث الدين بن المظفر أعظم شاه صاحب بنجاله من الهند، حيث أرسل خادمه ياقوت الحبشي سنة(813هـ/1410م) بأمواله في مكة وشراء أوقاف لها وهما منزلان متلاصقان مجاوران للمسجد الحرام ، حيث هدمهما وأنشأ هذه المدرسة وانتهى من إنشائها سنة(814هـ/1411م)⁽²⁾.

- **المدرسة الباسطية** : أسَّها خليل بن إبراهيم الملقب بالزيني عبد الباسط عام(834هـ/1430م) تقع على يسار الداخل إلى الحرم من باب العجلة، حيث اشترى دار أرغون النَّاصري نائب سلطة بمصر لابن مولاه الناصر محمَّد بن قلاوون وأمر بتعميرها في مكة⁽³⁾.

- **المدرسة الزَّمامية** : أنشأها الطواشي خشدقم الزمام عام(835هـ/1431م) تقع بمكان مدرسة دار العجلة عين بها شيخا من الصُّوفية، وضع لها صهريجا لجمع الماء من سطح المسجد الحرام، ووقف عليها الربيع الَّذي بالمسعى والمعروف بريع التوريزي ناظرها الشَّيخ شمس الدِّين الشَّامي متولي عمارة المدرسة وتولى مشيختها أحمد الشاذلي الواعظ (ت850هـ/1446م)⁽⁴⁾.

3- الأربطة: انتشار التعليم بين المسلمين خلال القرنين (7-8هـ/13-14م) بكثرة أدَّى إلى استغلال عدَّة مؤسسات تعليمية كالأربطة التي فتحت أبوابها لطلاب العلم الدِّين يأتون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وهي عادة مخصصة لسكن عدد محدود من الفقراء المجريدين غير المتأهلين المتفرغين للتعبد أمَّا الأربطة التي أنشأت في مكَّة من طرف أهل الخير حيث كان الحجاج وطلاب العلم يقيمون فيها أثناء موسم الحجِّ حيث تؤمن لهم المأكل والسكن وتستغل لطلب العلم والتفقه في الدِّين، والبعض منها دعم بعدد من الكتب كوقف مما أتاح للنُّزلاء فرصة للمطالعة ، فقد أدَّت الأربطة دوراً هاماً في المجتمع المكي. حيث أوقفت عليها وعلى نزلائها أوقاف كثيرة من قبل الخلفاء والسلاطين، وتتَّوعت الأوقاف بين المباني والأموال والكتب⁽⁵⁾.

(1) أمل مطر العصيمي: المدارس في مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال العصورين الأيوبي والمملوكي - دراسة استقرائية تحليلية تاريخية -، د ط ، دار الطبع ، د م ، 2009، ص 12. ناجي معروف: المرجع السابق، ص 312.

(2) ناجي معروف : نفس المرجع ، ص 315.

(3) نفسه ، ص 317 .

(4) أمل مطر العصيمي: المرجع السابق ، ص ص 15-16 .

(5) البغدادي: المصدر السابق ، ج1، ص ص 330-331 . الفاسي: العقد الثمين، ج7، ص 499.

4- **المساجد** : يعتبر المسجد أقدم مؤسسة تعليمية في الإسلام، فالعلم كان مرتبطاً به خاصة في الأمور الدينية فكان مكان للعبادة ومعهد لتعليم القرآن ودراسة الحديث النبوي، وبعد الهجرة أصبح فيها مكان مخصص للتدريس، فالمعلم يجلس في ركن من أركان المسجد ويتعلق حوله طلاب العلم على شكل حلقات اقتداء بجلسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تنوعت أدوار ومهام المسجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وحياة الخلفاء الراشدين مابين العبادات وتدارس أمور المسلمين وعقد ألوية الجيوش ومكاناً للقضاء بين الناس و داراً لاستقبال وفود القبائل، وما يميز المسجد هو تكافؤ الفرص التعليمية وحرية نشر العلم فيه، إذ يستطيع أي مسلم أن ينظم إلى الحلقة التي يريد، والشيوخ الذين يعجبهم والموضوع الذي يرغب فيه، وقد حوت مكة عدداً كبيراً من المساجد ، أهمها المسجد الحرام حيث كانت حلقاته تزخر بالطلاب والمتعلمين⁽¹⁾ ، ومن أهم المدرسين في المسجد الحرام نذكر منهم :

- الخضر بن عبد الواحد الخضر : قاضي بمكة (ت631هـ/1231م) كان يدرس بالحرم ويفتي .
- محمد بن أبي بكر بن عبد الله العسقلاني المكي ، شيخ الحرم ومفتيه (ت695هـ/1295م) .
- محمد بن محمد بن أحمد العسقلاني القيسي الملقب بأمين الدين .
- إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم بن سعيد الأربلي ، مقرئ الحرمين (ت745هـ/1345م)⁽²⁾ .

5- **المكتبات** : تعتبر المكتبات مؤسسات اجتماعية تربوية وعلمية وليست مكاناً لتخزين الكتب فقط كان لها دور في الحركة العلمية والتعليمية، أما فيما يخص المكتبات في مكة فتعتبر مكتبة الحرم المكي من أوائل المكتبات في مكة وتأسيسها ارتبط بوجود الكتب والمصاحف في الحرم المكي الشريف أما اتخاذ خزائن للكتب في المسجد الحرام فيعود هذا للقرن (5هـ/11م)، حيث كانت تحفظ هذه الخزائن المحملة بالكتب بموقع تحت قبة تقع بين زمزم وبيت الشراب⁽³⁾، ومن جهة أخرى فقد أوقفت أعداداً كبيرة من الكتب في بعض الأريطة والمدارس التي ساعدت على تكوين بعض المكتبات⁽⁴⁾ . ومن أهم هذه الأوقاف :

- أمر ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين الرسولي بإنشاء رباط في مكة وأوقف فيه كتباً منها :

المجمل لابن فارس الاستيعاب لابن عبد البر، وهذا سنة (594هـ/1197م) .

- أوقف عبد الله بن أبي بكر المعروف بالكردي كتباً كثيرة⁽⁵⁾ .

(1) طرفة عبد العزيز العبيكان: المرجع السابق، ص 61.

(2) نفس المرجع، ص ص 86-87.

(3) الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص93. أمين بكري: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ط2، دون دار نشر حلب، 1978، ص 176.

(4) طرفة عبد العزيز العبيكان: المرجع السابق، ص 81.

(5) الفاسي: المصدر السابق، ج5، ص 116.

- أما سنة (1241هـ/1241م) أسس الشَّرابي المدرسة الشَّرابية وأقام بها مكتبة وأوقف عليها كتباً.
 - أوقف محمود بن جمال الدِّين ابن أبي طاهر الهروي كتباً وجعل مقرها برباط الخوري⁽¹⁾.
 - أنشأ ملك فارس شاه شجاع رباطاً اتجاهاً باب الصفا وأوقف فيه كتباً سنة (727هـ/1326م)⁽²⁾.
- 6- الكتاتيب :** يعتبر الكتاب من أقدم المؤسسات التعليمية، فقد ظهرت منذ العصر النبوي؛ حيث تقوم بتربية النشء وتعليمه. لهذا فقد كان لها دور كبيراً في الحركة التعليميّة في بلاد الحجاز وأخذ في الانتشار بسبب حاجة الدولة لمتعلمين يحسنون القراءة والكتابة والقراءة والعلوم الدينيّة واللُّغة، وقصص الأنبياء والتركيز على قراءة القرآن الكريم وتحفيظه وتجويده، لهذا نجد جميع علماء المسلمين تتلمذوا في الكتاتيب كما شهدت مئةً خلال القرنين (7-8هـ/13-14م) انتشاراً للكتاتيب ومن بين الذين تولّوا التعليم في الكتاتيب:
- محمّد بن ثابت الأنصاري المراكشي (ت749هـ/1349م) كان يؤدّب الأطفال بمئةً عند باب الأحياد من الحرم الشريف⁽³⁾.
 - يوسف بن علي بن سليمان القروي (ت764هـ/1364م) كان مؤدّباً بالمسجد الحرام⁽⁴⁾.
 - عبد الرّحمان بن عبد الله الجبرتي أدب الأطفال بمئةً (ت773هـ/1373م) مهتم بعلم القراءات⁽⁵⁾.
 - يوسف بن عيسى بن عياش التجيبي الأندلسي المكيّ (ت794هـ/1394م)⁽⁶⁾.
- أ-2- المدارس في المدينة المنورة في العصر الأيوبي :** من أبرز المدارس نذكر:
- المدرسة اليازكوجية : بناها يازكوج أحد أمراء الشّام وتقع أمام باب النساء في مكان دار أبي بكر الصّديق رضي الله عنه وتعرف بدار ربطة و زاوية السمان .
 - المدرسة الشّهابية: بناها الملك المظفر شهاب الدِّين بن أيوب بن شادي ، تقع في مكان دار أيوب الأنصاري مقابل الرُّكن الجنوبي الشرقي للحرم النبوي الشريف، تتكوّن من قاعتين كبيرى وصغرى جمعت بين تدريس الفقه على مذهب الشّافعية والحنبلة، من بين مدرسيها نجد أبو إسحاق وأبو عبد الله الغرناطي⁽⁷⁾.
- 1- المدارس في المدينة المنورة في العصر المملوكي :** أبرز مدارسها على عهد المماليك نذكر:

(1) الفاسي: العقد الثمين ، ج5 ، ص 137.

(2) نفس المصدر، ج5 ، ص 04.

(3) نفسه ، ص 435.

(4) نفسه، ج7، ص 488.

(5) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج2 ، ص 333.

(6) الفاسي : المصدر السابق ، ج7، ص 489.

(7) أمل مطر العصيمي: المرجع السابق ، ص 20 .

- المدرسة الشيرازية: مؤسسها من أهل شيراز، وكان المشرف عليها إبراهيم الرُّومي (ت730هـ/1329م) حيث قام بترميمها واشترى نخلاً وأوقفه عليها، خلفه في إدارتها سليمان الونشريسي⁽¹⁾.
- المدرسة الجوبانية: أنشأها جوبان بن تدوان أبو سعيد بن خربند نائب المملكة القائنية، موقعها دار عبد الله بن مكمل، غربي المسجد النبوي⁽²⁾.
- المدرسة الأشرفية: أنشأها السلطان الأشرف قايتباي عام(887هـ/1472م) بعد الحريق الذي نشب في المسجد النبوي، تقع بين بابي السلام والرحمة، بعد عام من إنشائها أرسل السلطان قايتباي خزانة كبيرة من المصاحف والكتب وجعلها في المدرسة وفقاً على طلبه العلم، كما وقف عليها قرى بمصر يحمل ريعها إليها، وهي قاعة بأربعة أواوين كلها بالحجارة المنحوتة والشبابيك الكبيرة في وسطها ميدان مفروش بالبلاط، شبابيكها مطلة على داخل الحرم النبوي من جهة الغرب⁽³⁾.
- المدرسة البنجالية: أنشأها السلطان الهندي غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه، صاحب بنجاله في الهند، تقع بالمدينة المنورة عند الحصن العتيق عند باب السلام وقيل عند باب الرحمة وكلاهما من أبواب الحرم النبوي، ووضع لها مدرسين وطلبة وجعل لها وقفاً⁽⁴⁾.
- المدرسة الكلبرجية: أنشأها السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه سلطان كلبرجة بالهند، قرب باب الرحمة عام(831هـ/1428م)؛ حيث أرسل مالا ليعمر له مدارس بمكة والمدينة والقدس، تولى مشيختها الشيخ طاهر الخجندي (ت841هـ/1438م)⁽⁵⁾.
- المدرسة الباسطية: نسبة إلى مؤسسها القاضي عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي (ت854هـ/1450م)، تأسست سنة (840هـ/1436م)، وهي مقابلة للمدرسة الأشرفية. من روادها: الشيخ علي بن إبراهيم بن محمد الحسيني الشافعي⁽⁶⁾.
- المدرسة المزهرية: أنشأها أبو بكر الزيني أبو بكر بن مزهر - رئيس ديوان الإنشاء بمصر -، أوقفها عام(893هـ/1477م)، تقع جهة باب الرحمة⁽⁷⁾.

(1) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، طبع أسعد طرايزوني الحسيني، المدينة المنورة، 1979، ج1 ص ص 154 - 155. ج2، ص 189.

(2) نفس المصدر، ج1، ص431. الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص447.

(3) نفسه، ج1، ص64. السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص247.

(4) الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص322. السخاوي: نفس المصدر، ج2، ص313.

(5) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص ص 256 - 277.

(6) نفس المصدر، ج5، ص158. الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص51. ج3، ص211.

(7) نفسه، ج11، ص88. نفس المصدر، ج1، ص64.

2- الأربطة في المدينة المنورة (العصر المملوكي) :تعتبر الأربطة من المراكز الهامة لطلب العلم في مختلف البقاع الإسلامية وفي المدينة تلقى طلبة العلم بعض علومهم على يد العلماء على مستوى هذه الأربطة والتي كان يسكنها بعض من جاؤوا لطلب العلم وكان عددها كبير . نذكر منها:

▪ رباط المغاربة: يعرف برباط سيّدنا عثمان رضي الله عنه، وكان موقوفاً على طلاب العلم من المغاربة ويلازم فيه الفقراء من المغاربة وسُمي أيضا برباط دكالة وهما رباطان أحدهما للرجال والآخر للنساء .

▪ رباط ريحان الهندي: أسس الخادم الهندي ريحان في المدينة رباطين ويعتبر من خدام المسجد النبوي ومشهور بكثرة المعروف، منه رباطان وسقاية وقد عم النفع بهما .

▪ رباط الشستري: أنشأه الشيخ شمس الدين الشستري، وذكر أنّ هذا الرباط كان يقابله بيت ورُفاق وعن طريقهما يصل الناس للرباط.

▪ رباط السبيل: أنشأه القاضي كمال الدين أبو الفضل محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري في موضع دار عمرو بن العاص وكان مخصّصاً للرجال .

▪ رباط غياث الدين: أقامه غياث الدين سلطان بنجاله عام(814هـ/1411م) في دار مروان بن الحكم .

▪ رباط المراغي: أنشأها قاضي القضاة أبي بكر المراغي(ت816هـ/1413م) .

▪ رباط ابن أبي شاکر : أنشأه ابن أبي شاکر أواخر سنة(821هـ/1418م)⁽¹⁾.

3- المكتبات في المدينة المنورة في العصر المملوكي:

بما أن المسجد النبوي يعتبر منارة علمية هامة فقد وجدت فيه عدد من خزائن الكتب التي أوقفت من طرف الوجهاء والعلماء والصالحين في العصر المملوكي، حيث أوقف الشاه شجاع بن محمّد بن مظفر اليزدي سلطان بلاد فارس (ت787هـ/1387م) خزانة كتب للمسجد النبوي عند زيارته للمدينة المنورة .

قام السلطان قايتباي بتعويض مكتبات الحرم النبوي الشريف عمّا أحرق من مصاحف وكتب دينية مختلفة وأرسلها عن طريق مؤرخ المدينة السهمودي، وعين ناظراً للحرم النبوي ليشرف على إعادة بناء خزائن الكتب⁽²⁾. بالإضافة إلى وجود خزائن للكتب في المدارس حيث زودت بالكثير من الكتب في مختلف المجالات المعرفيّة تلبية لحاجات المدرسين والطلاب، وخصص لهذه الخزائن أماكن خاصّة ، فلم تكن مدرسة إلا و بها مكان خاص لخزانة للكتب داخل تصميمها المعماري، نالت مدارس المدينة نصيبا من وقفيات الكتب فقد أوقف محي الدين ابن زكريا الحوراني خزانة للكتب على المدرسة الشهابية، ومن

(1) حسن أحمد حسن بركة : المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2015، ص ص 203- 204.

(2) عبد الرحمان مديرس المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي- دراسة تاريخية -، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المدينة المنورة ، 2001، ص ص 208-209 .

جهة أخرى توجد خزائن للكتب داخل الأربطة والزوايا والخانقوات من بيوت الصوفية التي كانت منتشرة في المدرسة بكثرة وبها عدد كبير من الطلبة، وتوجد أيضا خزائن الكتب الخاصة أو ما تسمى بخزائن العلماء خاصة الأغنياء منهم كانوا يمتلكون خزائن خاصة للكتب منهم: رشيد عبد الله شهاب الدين والذي كان يشتري الكتب ويوقفها، كما أوقف إبراهيم بن رجب بن حماد العاري السلمي الشافعي كتباً قيمة على المسجد النبوي أشار السخاوي على أن بلاد الحجاز في العصر المملوكي عرفت الفهرسة الخاصة بالكتب في خزانتها⁽¹⁾.

ب- العلوم السائدة ببلاد الحجاز خلال العهدين الأيوبي والمملوكي: الجدير بالذكر أن بلاد الحجاز لعبت دوراً قيادياً في الحفاظ على التراث الإسلامي العربي من جهة، وكذلك برزت تقطع رئيسي بالنسبة للحركات العلمية آنذاك، ولا زالت تمثل مركز العقيدة الإسلامية إلى يومنا الحالي، ربما يخطر للذهن أن كل من الحواضر الحجازية سواء مكة أو المدينة المنورة مراكز تقتصر على العلوم التقليدية بحكم الكعبة والمسجد النبوي. لكن من خلال دراسة الوضع الثقافي وشخصيات علماء العهدين تبين أنهم شموليين ومتنوعي الدراسات العلمية.

ب-1- العلوم الدينية: المعروف أن العلوم الدينية انتشرت في مختلف الأقطار الإسلامية، والجزيرة العربية ساهمت في نشر هذه العلوم فلم يكن علماء هذا البلد يستقون معلوماتهم ومعارف من علمائهم فقط وإنما تعدوا ذلك من خلال الرحلات العلمية سواء إلى مصر أو العراق أو الشام، كما أنهم تأثروا بعلماء وافدين بحكم الحج والزياره، فمثلاً في مكة والمدينة خلال الفترة المدروسة برزت ثلثة من الفقهاء والمفسرين والمحدثين والقراء نذكر منهم:⁽²⁾

- علم التفسير: كان لمكة الكثير من الدراسات الدينية، والدليل على ذلك ثلثة الطلاب الذين درسوا في مكة "علم التفسير" أمثال:

- أحمد بن عبد الله بن ظهيرة القريشي المخزومي المكي الشافعي (ولد سنة 789هـ/1389م)⁽³⁾.

(1) عبد الرحمان مديرس: المرجع السابق، ص ص 210-211.

(2) سليمان عبد الغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (بعد منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة (1401هـ/1981م)، ص 324.

(3) ولد يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وسبعمائة بمكة، درس الفقه والتفسير والمنطق والفرائض والحساب والفلك على يد شيوخه أمثال: ابن صديق وأجاز له الأسيوطي والتتوخي وابن حاتم والبلقيني... وغيرهم. السخاوي: الضوء اللامع، ج 2، ص 134.

- محمد الدّين الطّبري المكيّ الملقب بشيخ الحراك المكي (ولد سنة 615هـ/1215م) وغيرهما⁽¹⁾.
كما ولع ثلّة من الطّلاب في المدينة المنورة نذكر منهم:
- محمّد عبد الله بن حجاج المغزي الشهير مكشوف الرأس (ت701هـ/1301م) الذي قال عنه السخاوي:
"جمع غرائب الكتب ونفائسها أحمالاً" وصرف في تحصيلها وتصحيحها أعماراً وأموالاً.⁽²⁾
- عبد المعطي بن أحمد بن محمّد بن محمّد السخاوي المدني (كان حيّاً سنة ستين وتسعمائة)⁽³⁾.
- علم القراءات: برز عدة علماء بمكة ورسخوا قواعده وصنّفوها ضمن كتب عدّة ومن هؤلاء نذكر: محمّد عبد الله الدلاصي المكي (ت723هـ/1323م) بمكة⁽⁴⁾، بالإضافة إلى أحمد بن محمّد بن محمّد الشهاب المصري المكي الحنفي الشاذلي المقرئ المعروف بالمسدي (ت865هـ/1465م) وغيرها من القراء⁽⁵⁾. أما بالمدينة المنورة فقد برز كل من: أبو عبد الله محمّد بن محص القوي الأنصاري (ت723هـ/1323م) الذي يعدّ عالم زمانه في القراءات، نضف إلى ذلك من قراء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي القارئ أبو عبد الله الوادي آشي (ت750هـ/1349م)، الشيخ عبد الواحد الجزولي (ت716هـ/1316م) وغيرهم ممن جاور المدينة ومكة وفي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي برز اسم الشيخ القارئ إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي (ت863هـ/1458م) أحد خدام الحجرة النبوية المعروف بالقراءات العشر، وغيره من قراء عصره⁽⁶⁾. والمعروف في مكة كانوا يفصلون قراءة نافع أمّا في المدينة كانوا يفضلون قراءة ابن كثير.

- علم الحديث: يعدّ الحديث المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلاميّة حيث يكتسي أهميّة بالغة بعد القرآن الكريم فقد كان لمكّة المكرمة والمدينة المنورة حظهما في ذلك على يد ثلّة من رواة الحديث فطلابه الدّين اهتموا بدراسته في مختلف أقطار العالم الإسلامي وممن برز في هذه الفترة نذكر: بالنسبة

(1) درس وأفتى كان شيخ الشافعية ومحدث الحجاز، صنف كتابا كبيرا في الأحكام، توفي سنة أربع وتسعين وستمائة.

الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7، ص ص 90-91.

(2) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج2، ص ص 310-312.

(3) الفقيه العلم لمصنف الجامع له تأليف عدة منها تفسير القرآن وتاريخ المدينة وشرح الشامل وغيرها. بابا التنبكتي: نيل

الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهدامة، ط2، منشورات دار الكتاب، طرابلس، 2000، ص 287.

(4) الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص ص 64-65.

(5) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص 205.

(6) عبد الرحمن مديريس: المرجع السابق، ص ص 294-295.

لمكة المكرمة برز المحدث نصر بن محمد بن محمد بن علي بن أبي الفرج بن علي بن أبي الفرج الهمداني النهاوندي البغدادي الملقب ببرهان الدين الذي جاور مكة (ت618هـ/1218م)⁽¹⁾.

وكذا عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان بن موسى الشناوي المكي (ولد سنة 705هـ/1305م)⁽²⁾.

أمّا في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي المعروف بشدة اهتمام المكيون بالحديث فقد برز المحدث علي بن هاشم بن علي بن مسعود بن غزوان القرشي الهاشمي المكي الشافعي الملقب بدر الدين (ت826هـ/1426م)⁽³⁾.

زخرت المدينة المنورة بأسر علمية انفردت في علم الحديث أبرزها أسرة ابن فرحون التي برزت منها محدثين ورعين هما: البدر عبد الله بن محمد وأخوه علي⁽⁴⁾ إلى جانب أسرة المراغي التي نذكر من أبنائها المحدثين شرف الدين أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين⁽⁵⁾. أما من العلماء الذين برعوا في علم الحديث بالمدينة نذكر القارئ المحدث المذكور آنفا أبو عبد الله الوادي آشي صاحب "مقدمة في الحديث"⁽⁶⁾.

- علم الفقه: كان الانتشار المذهبي بمكة المكرمة والمدينة المنورة الأثر البالغ في تدريس الفقه وقد استقطبت الحجاز عدد كبير من علماء الفقه، ويتجلى ذلك في وجود الأئمة الأربعة وكذلك بالنسبة للقضاة والهدف إلقاء الضوء على هذا العلم وسوف نذكر بعض العلماء الذين عاشوا بمكة والمدينة على حدٍ سواء خلال الفترة محل الدراسة، حيث برز بمكة كل من الشيخ أحمد بن علي بن محمد القيسي المصري المالكي (ت636هـ/1237م)⁽⁷⁾. وكذا الشيخ الشافعي عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان

(1) إمام الحنابلة بالحرم الشريف، قرأ القرآن الكريم على يد قلة من الشيوخ أمثال: أبي بكر محمد بن عبد الله بن الزعواني وأبي الكرم الشهرزوري، وسمع من جماعة من الحفاظ منهم برهان الدين وابن النجار وقد اختلف في وفاته لكن جزم على أنه بالمعجم من بلاد اليمن. الفاسي: العقد الثمين، ج7، ص ص 332-334.

(2) سمع من الرضا الطبري لصحيح البخاري والأربعين للثقي والأربعين البلدانية للسلفي. العسقلاني: الدرر الكامنة، ج2 ص301.

(3) سمع الحديث كثير على جماعة من شيوخنا منهم جمال الدين إبراهيم الأميوطي والعفيف الشناوي وابن صديق، وتقصد كثيرا لقا في مكة جمال الدين ابن ظهيرة. الفاسي: المصدر السابق، ج6، ص274.

(4) تونسيين الأصل، مدني المولد والمنشأ فالأول له تأليف "الدار المخلص من التقصي الملخص"، والثاني له كتاب "نزهة النظر ونخبة الفكر". إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون (ت 799هـ/1396م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ج2، ص ص 454-455. ج2، ص ص 125-126.

(5) السخاوي: الضوء اللامع، ج7، ص ص 162-163.

(6) عبد الرحمان مديرس: المرجع السابق، ص 294.

(7) المعروف بابن القسطلاني، كان من أعيان الفقهاء المالكية وقال المنذري: "كان قد جمع الفقه والزهد وكثر الإيثار، مع الإكثار والانقطاع التام، مع مخالطة الناس". ابن فرحون: الديباج المذهب، ج1، ص ص 239-240.

اليافعي المكي (ت768هـ/1369م) اللذان كانا على اطلاع واسع بالفقه⁽¹⁾ وغيرهما من المتصوفة وما يلفت الانتباه أنّ المذهب الشافعي كان أكثر رواجاً خاصة على عهد المماليك.

أمّا بالمدينة المنورة برز علماء الفقه المالكي مثل: الشيخ شمس الدين بن فرحون (ت721هـ/1321م)⁽²⁾ وأبنائه وأحفاده ، وقد ألف حفيده إبراهيم بن علي (ت799هـ/1391م) كتاباً في الأحكام سماه "منزدة الحكام"، وكتاب آخر في طبقات المالكية⁽³⁾، بالإضافة إلى فقهاء الشافعية إذ برز محمّد بن عيسى الأزدي الدوسي اليميني الشافعي (ت674هـ/1275م) صاحب كتاب "المقتضب"⁽⁴⁾. وفي الفقه الحنفي برز الفقيه شمس الدين محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي الذي درس الفقه بالحرم النبوي⁽⁵⁾.

ب-2 - العلوم اللغوية: لا يمكن المحافظة على أصول اللغة العربية إلاّ بوضع قواعدها الأساسية، إذ يعدّ النحو من أبرز علوم اللغة العربية كما اهتم الأدباء بالشعر لاعتباره المرآة التي تعكس الشخصية العربية الإسلامية فمكة المكرمة والمدينة المنورة كغيرهما من الأمصار الإسلامية التي حفلت بعدد من النحويين والشعراء، نذكر منهم ببلاد الحجاز:

• الحسن بن محمّد الصلخاني (ت650هـ/1251م): عرف بترحاله جاور مكة وتلمذ على يد أئمة كبار في النحو واللغة⁽⁶⁾.

• أحمد بن محمّد بن عبد المعطي الملقب بنحوي الحجاز (ت788هـ/1388م): جاور مكة، وتولى التدريس فيها مشغولاً بتعليم اللغة العربية وأصولها⁽⁷⁾.

(1) عفيف الدين أبو السعادات وأبو عبد الرحمان ولد قبل السنة السبعمئة سنتين أو ثلاث أخذ عن عدة مشايخ باليمن مثل: العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهني المعروف بالبصال وسمع الحديث من الرضى الطبري، وكانت وفاته في العشرين من جمادى الآخرة سنة (768هـ/1368م). العسقلاني: الدرر الكامنة، ج2، ص ص 248-249.

(2) الشمس أبو عبد الله ابن دي الكشين التونسي المولد، المدين، المالكي، سكن المدرسة الشهابية. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، ص 707.

(3) أبو الوفا ولد بالمدينة ونشأ بها، سمع من مشايخها: الوادي آشي، الزبير بن علي الأسواني الجمال المطري، توفي وعمره سبعين عام. العسقلاني: المصدر السابق، ج1، ص 48.

(4) معروف بابن إخشيش الشافعي ولد سنة إحدى وستمائة وتوفي بالمدينة له عدة مؤلفات منها "المقتضب". الفاسي: العقد الثمين، ج2، ص 246.

(5) صنّف كتب عديدة في الفقه والحديث ثم رحل إلى شيراز فولى بها القضاء حتى مات سنة سبع وثمان وأربعين. العسقلاني: الدرر الكامنة، ج4، ص 296.

(6) يكنى أبا الفضائل، ويلقب بالرضا الصقاني أصلاً، سمع بمكة من الحصري، سمع ببغداد من سعيد بن الرزّان توفي في رمضان سنة خمسين وستمائة ببغداد. الفاسي: العقد الثمين، ج4، ص 176.

(7) أجاز لنفسه قائلاً: لم تغمض العين بعد الهجر أجفانا لا وأخذ الله بالهجران أجفانا. نفس المصدر، ج3، ص 152.

- أحمد بن موسى المكي، شهاب الدين المعروف بابن الوكيل الشافعي، المكنى بأبي العباس (ت 791هـ/1391م)⁽¹⁾.
- حمد بن يعقوب بن محمد الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي (ت 817هـ/1417م): نزيل مكة وكان يقول الشعر⁽²⁾.
- أبو البركان أيمن بن محمد السعدي التونسي المالكي (ولد سنة 659هـ/1260م): نزيل المدينة عرف بشعره، وتوفي في المدينة سنة (734هـ/1333م)⁽³⁾. كما برزت أسر علمية بالمدينة: مثل أسرة ابن فرحون أسرة الخجندي وغيرهما⁽⁴⁾.
- ب-3- العلوم العقلية: فضلاً عما سبق فقد عرفت المدينتان المقدستان العديد من العلوم التي اهتم بها العلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة كالطب والرياضيات والحساب والعلوم الطبيعية والمنطق والفلسفة ومن ذلك نذكر: علماء مكة أبرزهم :
- العالم أحمد بن موسى بن علي شهاب الدين بن الحداد الزبيدي الحنفي (ت 792هـ/1392م): كان عارفاً بالفرائض التي تعتمد على الرياضيات بالرغم من صيغتها الدينية⁽⁵⁾.
- حسين بن علي بن محمد بن داود البيضاوي المكي الزمزمي (ت 821هـ/1421م): عني كثيراً بالفرائض والحساب وأخذ ذلك عن قاضي مكة شهاب الدين أحمد بن ظهيرة، وله كذلك خبرة بالهندسة والفلك وعلم التقاويم وتوليف في الفرائض والحساب، أمّا علم الفلك فقد أخذه عن جمال الدين المارديني⁽⁶⁾.
- علماء المدينة المنورة: أبرزهم:
- محمد حسين بن علي بن رستم الشمس الشيرازي "فقيه فاضل، اشتغل بالطب ورحل إلى الشام وخالط الصوفية ورأس فيهم". حسب ابن فرحون⁽⁷⁾.

(1) سمع بمكة من محمد بن عبد المعطي وغيره من شيوخها وطلب العلم بها فأخذ بها، فأخذ الفقه والعلم والنحو من أبي العباس بن عبد المعطي، وضياء الدين العقيقي، له تواليف منها "مختصر المبهمات للأسنوي وغيرها. الفاسي: العقد الثمين، ج 3، ص 187.

(2) نزيل مكة، لقي جمعا وقيراً من الفضلاء ونهل عنهم أمثال: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 2، ص 392-394.

(3) نزيل طيبة، كان أعجوبة الزمان وطرفة الأخوات من أدب وشعر. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج 1، ص 352.

(4) عبد الرحمان مديرس: المرجع السابق، ص 308.

(5) العسقلاني: إنباء الغمر، ج 1، ص 404.

(6) الفاسي: العقد الثمين، ج 4، ص 205.

(7) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج 3، ص 561.

• برهان الدّين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرّحمن بن حسين بن حسن بن قاسم المدني الشافعي المعروف بابن القطان (ت890هـ/1490م) ولد بالمدينة المنورة ، قيل أنه برع في الكيمياء بالقاهرة واشتغل فيها بالمدينة المنورة⁽¹⁾.

• محمّد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المالكي المعروف بالوانوغي (ولد 759هـ/1359م- توفي819هـ/1416م): نزيل الحرمين الشريفين، أخذ عن القاضي ولي الدّين عبد الرّحمن بن خلدون المنطق والأصليين وعلوم الحساب والهندسة⁽²⁾.

• محمّد بن علي بن يحيى بن علي الأندلسي القرطاني (ت716هـ/1315م): كان بارعاً في مذهبي مالك والشافعي، عارفاً بالنحو وعلم الفلك⁽³⁾.

فمن خلال استعراض هذه القائمة من علماء العلوم العقلية فإن أغلبهم عاش في أحضان مكة المكرمة أو المدينة المنورة رغم أن أغلب الباحثين يظن أنها فترة ركود فكري، كما أن أكثر العلماء فيهما لم يكونوا من أهل مكة أو المدينة فقط بل أغلبهم وافدين عليهما، الأمر الذي يدل على إقبال الحواضر الإسلاميّة للعلماء في مختلف الأقطار الإسلاميّة .

2-2- **طبيعة الحياة الثقافية في العراق (ق7- 9هـ/13-15م):** شهد منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في العراق نفوذ الدولة العباسية والغزو المغولي، ثم سقوط الدولة السلجوقية، ممّا أدّى إلى تعدد المواقف إزاء المشتغلين بالعلوم العقلية والفلسفية خاصّة سيطرة السلفية المتشددة، فقد نتج عن ذلك انتشار العلوم العقلية والتطبيقية واستخدام الجدل وتزايد نشاط الفرق الإسلاميّة المخالفة للسلفية في ظلّ امتداد نشاط الأمامية والحنفية في العراق بالخصوص على عهد خلافة الناصر لدين الله (575-622هـ/1175-1222م) الذي ألف في مناقبه المؤرّخ البغدادي ابن الساعي كتاباً بخمسة مجلّدات⁽⁴⁾ .

اعتلى السُلطة بعد وفاة الناصر⁽⁵⁾ ابنه محمّد الظاهر بأمر الله (622-623هـ/1222-1223م)⁽⁶⁾ الذي رغم الفترة القصيرة لحكمه والاضطرابات والمشاكل التي كانت تحف به إلا أنه كان موصوفاً بالحكمة

(1) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص ص 57-58.

(2) الفاسي: العقد الثمين ، ج1، ص309.

(3) نفس المصدر، ج2، ص ص 218-219.

(4) محمد مفيد آل ياسين: الحياة الفكرية في العراق (في القرن السابع الهجري)، ط1، دار العربية للطباعة، بغداد 1979م، ص 36 .

(5) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، مج10، ص 97 .

(6) خطب له والده بولاية العهد، عمر رباط الأخلاطية والتربة ورباط الحريم وغيرها . شمس الدين سبط ابن الجوزي (ت656هـ/1257م) : مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تح: إبراهيم الزبيق، ط1، دار الرسالة العلمية، بيروت 2013 ، ج22، ص 676 .

والعدل وحبّ أهل العلم، تولى بعده المستنصر بالله أبو جعفر المنصور الخلافة (623-640هـ/1223-1240م)؛ الذي اشتهرت فترة حكمه بازدهار العلم والعناية بالعلماء وكذا تشييد المعاهد حيث أنشأ مكتبة لنفسه تعم بمختلف أنواع العلوم ، وبنى المدرسة المستنصرية على شاطئ دجلة سنة (631هـ/1231م) التي قال عنها ابن الساعي: "منقبة لم يسم إليها الأولون" ويضيف الأربلي قائلاً: "كعبة الأنام وقبة الإسلام، مجمع سائر الدّين ومذاهب المسلمين"⁽¹⁾. وقد أعقب المستنصر ابنه المستعصم بالله (640-656هـ/1240-1256م) الذي تزامنت فترة حكمه خطر المغول، إلا أنه رغب تقفي أثر والده علي بن الناصر، ثم أنشأ خزانة جديدة سنة (641هـ/1241م) في عقر داره، وأجاب العديد من المدارس المختلفة المذاهب.

صبغت الكتابات التاريخية طيلة القرن (7هـ/13م) بالتيار الصوفي الذي كان شائعاً في أخريات العهد العباسي⁽²⁾. وما يبرز ذلك ولع المؤرخين بلقاء الصوفية أمثال: ابن الغوطي الحنبلي، وكذا اهتمام مؤرخي هذا العصر بتدوين الأخبار الدينية كابن الديبشي (ت637هـ/1237م)، وابن النجار (ت643هـ/1243م) ، وابن الساعي (ت664هـ/1204م)؛ حيث نجد في مؤلفاتهم التاريخية التركيز على مناقب رجال الحديث، وإيراد رواياتهم وذكر مشايخهم وأماكن عباداتهم ودراساتهم من مدارس ومساجد وربط وزوايا. ومن هنا نستنتج شيوع ازدواجية التفكير لديهم القائمة على غلبة التفكير الديني على ثقافة هؤلاء المؤرخين بالإضافة إلى غلبة الاتجاه السلفي على العصر العباسي أجمع، إذ لا ينفى هذا استمرار الاتجاه العقلي والدراسات الفكرية⁽³⁾.

أكد المؤرخين شيوع الاتجاهات الفكرية الخمسة في هذه الحقبة الزمنية في العراق نتيجة انتشار الواسع لتياري السير والمناهج ألا وهي: الاتجاه العقلي، الإمامي الشيعي، الحنفي السلفي المتشدد، الصوفي سواء في ميدان العلوم النقلية أو العقلية، والاختلاف دليل على حرية الفكر والتفكير التي كانت سائدة آنذاك⁽⁴⁾. أمّا عن ما آلت إليه الكتابات بعد هذه الفترة، فقد أثر المغول في الحياة الفكرية بالسلب خاصة العاصمة بغداد، واستباحوا الخزائن والكتب، حيث يشير إلى ذلك ابن الساعي قائلاً: "ويقال أنهم بنو إسطنبول الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء عوضاً عن اللبن" ويعني بذلك الغزو المغولي⁽⁵⁾.

(1) عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي البغدادي (ت723هـ/1324م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة

السابعة، دط، المكتبة العربية، بغداد، دت، ص 58.

(2) محمد مفيد آل ياسين: المرجع السابق، ص 77.

(3) نفس المرجع، ص ص 86-87.

(4) نفسه، ص ص 92-93.

(5) تاج الدين ابن الساعي البغدادي (ت674هـ/1276م): مختصر أخبار الخلفاء، ط1، المطبعة الأميرية، بولاق

1309، ص 127.

ويضيف ابن تغري بردي قائلاً: "وخربت بغداد الخراب العظيم، وأحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا، قيل إنهم بنو بها جسرا من الطين والماء عوضا من الأجر"⁽¹⁾.

أبرز المؤرخين الذين رافقوا المغول عند غزو بغداد نذكر المؤرخ نصير الدين الطوسي (ت672هـ/1272م) الذي رافق هولاكو لكنه لم يذكر مسألة الكتب، وكذا مؤرخ المغول رشيد الدين بن فضل الله الهمداني (ت718هـ/1318م) الذي لم يشر إلى القضية المتعلقة بالكتب ومثلها سار المؤرخ البغدادي ابن الفوطي (ت724هـ/1324م)؛ الذي لم يرد ذكر ذلك في كل مؤلفاته، وحتى المؤرخين المتأخرين لم يركزوا على ذلك أمثال: أبي الفدا (ت732هـ/1331م) والدّهبي (ت748هـ/1348م) وابن العماد الحنبلي (ت1089هـ/1679م)⁽²⁾.

شهدت العراق منذ منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حرية التفكير حيث تركت أثرها على التأليف والكتابة التاريخية، فألفت العديد من الكتب منها: كتاب ابن الطقطقا "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية"، وكذا كتاب ابن الفوطي "تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب" وغيرها. ويمكن القول أن ضعف التعصب المذهبي وقلة الفرق المذهبية ساهما في ذلك من جهة وكذا استمرار اللغة العربية طيلة العهد الإيلخاني من جهة أخرى⁽³⁾.

يمكن القول أن التراث الفكري العراقي خلال (ق 7-9هـ/13-15م) خصب حافل بوجود جمهرة من العلماء والمؤرخين رغم الاضطرابات السياسية، سواء على يد العباسيين أو عهد المغول الإيلخانيين فمن خلال ذكر العوامل التي ساهمت في تطور الحياة الثقافية آنذاك نثبت ذلك. إلى جانب اهتمام الخلفاء بالعلم والعلماء وإنشاء المؤسسات العلمية نذكر منها عدة أماكن ساهمت في حركة التعليم والثقافة ببغداد واسط، الحلة، الكوفة، البصرة وغيرها من المدن الأخرى.

اشتهرت العراق بوفرة عدة مراكز دينية علمية، وفي بغداد كان للمكتبات العامة الدور البارز في مجال الثقافة، كخزانة الكتب المسناة⁽⁴⁾، ومكتبة الوزير ابن العلقمي⁽⁵⁾، أمّا الخزائن الخاصة فقد كانت

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص51.

(2) محمد مفيد آل ياسين: المرجع السابق، ص102. اليونيني: المصدر السابق، مج1، ص85 وما بعدها.

(3) نفس المرجع، ص137.

(4) مصطفى جواد، أحمد سوسة: دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، ط1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، مدينة المنصورة، 1958، ص187.

(5) نفس المرجع، ص255.

حِكراً على أصحابها. بالإضافة إلى المساجد والربط التي لعبت دوراً اجتماعياً وعلماً منها: مسجد القمرية⁽¹⁾ ومسجد المأمونية وغيرهما التي كانت تقام فيهما المناظرات⁽²⁾. ومن الربط التي أسهمت في حركة التعليم والتأليف في هذا العهد: الرباط الشريف بالمأمونية، ورباط الحلية، رباط الخلطية، رباط باب الأزج وغيرها⁽³⁾.

أمّا عن الزوايا فقد تمّ الاهتمام بها من قبل شيوخ العصر كزاوية الشيخ كمال الدين أحمد بن عمر المراغي المعروف ببببيان سنة (675هـ/1275م) حيث احتوت كل زاوية أو ربط بخزانة كتب تحوي أمّهات الكتب والمصادر التي استفاد منها كبار الباحثين والعلماء والمؤرخين⁽⁴⁾. ومن جوهرة هذه المراكز أنشئت عدّة مدارس ببغداد حتى وصل عددها حسب أحد المؤرخين عند سقوط بغداد بأيدي التتار المغول سنة (656هـ/1256م) ما يقارب ثمانية وثلاثين مدرسة تختلف من حيث المستوى منها: المدرسة المستنصرية، المدرسة البهائية، المدرسة النظامية، المدرسة البشيرية وغيرها في العصر العباسي، أمّا خلال العصر المغولي نذكر على سبيل المثال: المدرسة الأمامية، المدرسة العلانية، المدرسة المرجانية المدرسة الإسماعيلية، المدرسة الوفائية وغيرها⁽⁵⁾.

فقد سطع نور العلم والفكر مدينة عراقية عظيمة ألا وهي واسط التي تعد مركزاً فكرياً بفضل علمائها وطلبتها أمثال: الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الواسطي الذي وصف بعلمه العاقل⁽⁶⁾. وما يدّتل على ذلك وجود مجلة باسم (مجلة الوراقين) والعديد من المدارس ودور القرآن والمقرئين والمدرسين نذكر منها: مدرسة خطلبرس، المدرسة البرانية، مدرسة الغزنوي، مدرسة ابن الكيال الواسطي، مدرسة ابن ورام مدرسة عبد المحسن الواسطي، مدرسة ناصر الدين صاحبجي، والمدرسة الشرايية الشافعية الوحيدة آنذاك⁽⁷⁾. بالإضافة إلى الربط التي احتوت الطلبة الفقراء والزهاد مثل: رباط قراجة، رباط عمر الدورقيرباط القرشي وغيرها⁽⁸⁾.

(1) جامع القمرية: يقع في الضفة الغربية على شاطئ دجلة المقابل للرباط البسطامي كان يشمل خزانة للكتب. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 04.

(2) مصطفى جواد، أحمد سوسة: المرجع السابق، ص 254.

(3) نفس المرجع، ص ص 212-213. ابن الفوطي: المصدر السابق، ص ص 250-253.

(4) نفسه، ص 214. نفس المصدر، ص 253.

(5) نفسه، ص ص 247-249.

(6) أبو عبد الله بدر الدين ابن جماعة (ت 767هـ/1366م): مشيخة قاضي القضاة، تح: موفق بن عبد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 مج1، ص 116.

(7) ناجي معروف: مدارس واسط، ط1، مطبعة الرشاد، بغداد، 1966، صفحات 16-17-18-19-20.

(8) نفس المرجع، ص 21.

تعدُّ الحلة أبرز المدن العراقية الإيلخانية التي برزت فيها النهضة الفكرية منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وموطن كبار العلماء والأدباء والمؤرخين الذين انكبوا على الإنتاج العلمي والتاريخي من بينهم: الحافظ والمؤرخ أبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الديبشي (ت637هـ/1237م)⁽¹⁾ والمؤرخ كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (ت723هـ/1323م)⁽²⁾ وغيرهما. كما عرفت الكوفة بكثرة رجال الفكر والعلم فمنهم تقي الدين ابن الصباغ الأسدي الكوفي، الذي سمع عنه ودرس الكثير، وما يدل على كونها مركزاً فكرياً توفر خزائن كتب مهمة خاصة بمؤرخين وأدباء أمثال: المؤرخ محمد بن سعيد المعروف بابن الديبشي (ت637هـ/1237م) والمؤرخ عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي (ت681هـ/1281م)⁽³⁾. أمّا البصرة مثلها مثل المدن الأخرى أو أكثر مكانة علمية باعتبارها أول دار كتب في الإسلام، ولم ينقص إشعاعها في هذه الفترة وإنما أضيف عن ما سبق العديد من المدارس منها: مدرسة الحنابلة مدرسة الطب، مدرسة ابن دويرة⁽⁴⁾، بالإضافة إلى الربط الصوفية التي أنشئت على يد ناصر الدين قتل شاه صاحبها، وغيرها من المدن العراقية التي أنجبت وأسست للمدرسة التاريخية العراقية من القرن (7هـ - 9هـ/13م-15م) مثل: تكريت- النجف.... وغيرها⁽⁵⁾.

اتخذت الحياة الفكرية العراقية خلال القرون (7-9هـ/13-15م) اتجاهات متعددة مع العباسيين الإيلخانيين، كما أن مراكز الفكر لم تكن حكرًا على اتجاه معين بل اشتملت مختلف أرجاء العراق سواء كانت مدارس أو ربط أو خزائن كتب أو مساجد شهدت نشاطاً فكرياً ومكانة علمية .

أ- العلوم السائدة في العراق خلال الفترة المدروسة: ينار العلم من خلال كتابات العلماء . وفي هذه الورقة أتطرق إلى أهم فروع المعرفة التي سادت العراق ، نذكر منها :

أ-1- العلوم الدينية: برز ثلّة من العلماء البارعين في دراسة القرآن الكريم وعلومه، ففي التفسير ألقت العديد من المجلّدات والكتب منهم: يحيى بن الزبيد بن سليمان الواسطي البغدادي (ت606هـ/1206م)⁽⁶⁾.

(1) محمد بن سعيد ابن الديبشي (ت627هـ/1228م) : المختصر المحتاج إليه من تأريخ الحافظ أبي عبد الله ، تح: مصطفى جواد، ط1 ، مطبعة الزمان، بغداد، دت، ص08.

(2) ابن الفوطي الشيباني : مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح: محمد الكاظم، ط1، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران، 1416هـ، مج1، ص 13 .

(3) محمد مفيد آل ياسين: المرجع السابق، ص 241 .

(4) نفس المرجع، ص ص 244 - 245 .

(5) نفسه ، ص ص 249 - 253 .

(6) عالم من علماء واسط ، كان على حد قول أبو شامة: " عالماً عارفاً بالتفسير والمذهب والأصول والخلاف"، أما ابن التّجار فقال عنه : " كان إماماً كبيراً وقوراً نبيلاً، حسن المعرفة بمذهب الشافعي". السبكي: طبقات الشافعية ، ج 8 ، ص ص 393-394.

كما ألف الشيخ الفقيه جمال الدين الحسن بن يوسف ابن المطهر المعروف بالعلامة الحلي (ت726هـ/1326م) كتابين في تفسير القرآن، ومن المؤلفات التي كتبت بأسمائها : كتاب فضائل القرآن وكتاب المفيد في القراءات العشر، فنتيجة لذلك أنشئت دور للقرآن ببغداد نذكر: دار القرآن المستنصرية المشهورة في القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي⁽¹⁾.

ألف علماء العراق دراسات عدّة تخصّ علوم الحديث منهم : مُحَيِّ الدين بن محمود بن الحسن المعروف بابن النّجار البغدادي(ت643هـ/1243م)⁽²⁾ ورضي الدين بن الحسن بن محمّد الصغاني (ت650هـ/1250م)⁽³⁾ وغيرهما. ومن أبرز مؤلفات الحديث كتاب " الذيل على كتاب الإكمال لابن ماكولا" وكتاب "القمر المنير في المسند الكبير" وغيرهما⁽⁴⁾ كما نلاحظ عناية شديدة بالعلماء العراقيين أو الوافدين من خلال تقديم إجازات علمية .

حظي الفقه كذلك بمكانة علمية برز على إثرها فقهاء عدة بالعراق ألفوا ودوّنوا مؤلفات فقهية لها الأثر البالغ إلى يومنا هذا، ومن كبار الفقهاء نذكر: نجم الدين جعفر، المعروف بالمحقق الحلي (ت676هـ/1276م)⁽⁵⁾، وجمال الدين الحسن المعروف بالعلامة الحلي(ت726هـ/1326م)⁽⁶⁾.
أمّا من بين المؤلفات الفقهية المشهورة آنذاك نذكر: "مختلف الشيعة في أحكام الشريعة" ، تذكره الفقهاء " وكتاب "قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام"⁽⁷⁾ وغيرهم .

(1) البغدادي: هدية العارفين ، ج1، ص 284.

(2) كان شيخا جليلا وقورا نبيلًا، محبا لأهل العلم والفضل والدين، دفن بمشهد علي - رضي الله عنه - . ابن الفوطي: مجمع الآداب ، ج5 ، ص 338.

(3) الشيخ وقته ومقدم أهل زمانه في علم اللغة وفن الأدب مع معرفة بعلم الحديث والتفسير والفقه عن مذهب أبي حنيفة قدم بغداد سنة خمسة عشرة وستمئة. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 263.

(4) القمر المنير لمحي الدين محمد ابن محمود ابن النجار: تناول فيه كل من له ميول لعلم الحديث. حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت ، ج2، ص 1356.

(5) كان محقق الفقهاء ومدقق العلماء وحاله في الفضل والنبالة والعلم والفقه والجلالة . يوسف بن أحمد الجراني: لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم الرجال الحديث ، تح: محمد صادق، بحر العلوم ، ط 1، مكتبة فخرآوي ، المنامة ، 2008 ص ص 218- 219.

(6) شيخ الرافضة المعتزلي شارح المختصر لابن الحاجب، كان عالما بالمعقولات وله عدة تصانيف. ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج9 ، ص 267.

(7) محمد مفيد آل ياسين: المرجع السابق، صفحات 274 - 275 - 283.

أ- 2- الدِّراسات اللُّغوية والأدبية : برز ثلَّة من علماء اللغة والنَّحو والبلاغة بالعراق منهم : رضي الدِّين الحسن الصاغاني (ت650هـ/1250م)⁽¹⁾ ، والنَّحوي محيي الدِّين أبو البقاء عبد الله الحسين العكبري البغدادي (ت616هـ/1216م)⁽²⁾ .

كما ظهر دور العالم العراقي عزُّ الدِّين عبد الحميد المعروف بابن أبي الحديد(ت656هـ / 1256م)⁽³⁾. وأديب المقامات الأدبية شرف المعالي معد بن نصر الله المعروف بابن الصَّقيل الجزري (ت701هـ/1301م)⁽⁴⁾، فنسجوا على موال السابقين مؤلِّفات عدَّة: كتاب "العباب الزَّاخر واللباب الفاخر" وكتاب " اللِّباب في علل النَّحو" كتاب " شرح نهج البلاغة" وكتاب " نظم الدُّررِ الناصعة في شعراء المائة السابعة" وغيرها من المؤلِّفات اللُّغوية والأدبية⁽⁵⁾.

ب - الجغرافيا : تنوعت الدِّراسات الجغرافية بين الجغرافية الفلكية (علم تقويم البلدان) أو الجغرافية الوصفية(علم المسالك والممالك) وكذا رسم المصوِّرات الجغرافية (الخرائط)، إذ لَمع في هذا العلم جغرافيون عدَّة اشتهرت من خلالهم العراق منهم عماد الدِّين بن محمود القزويني(682-958هـ/1282-1558م) الذي ألف سفرًا ضخماً من قسمين وهو كتاب " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات "⁽⁶⁾.

ج - العلوم العقليَّة : مختلف العلوم العلميَّة من فلسفة ومنطق وعلوم بحتة وتطبيقية كالرياضيات وعلم الفلك والنَّجوم والطب والصيدليَّة والكيمياء، ومن أشهر علماء هذه الاختصاصات نذكر:

- برهان الدِّين محمَّد بن محمَّد النسفي الحنفي(ت687هـ/1287م): شيخ الفلاسفة بغداد صاحب تصانيف عدة في الجدل والكلام.

- جمال الدِّين الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة الحلبي(ت726هـ/1326م): فيلسوف ذو انتماء عقلي .

- عضد الدِّين المبارك البغدادي(ت645هـ/1245م): رياضي برع في علم الهندسة والرياضيات.

- عماد الدِّين عبد الله المعروف بابن الخوام(ت724هـ/1324م) : عالم حساب ورياضيات .

(1) الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل القرشي العدوي العمري، صنف عدة كتب في اللغة منها : مجمع البحرين، العباب الزاخر واللباب الفاخر ومشارق الأنوار. أبي المعالي محمد رافع السلامي (ت 774هـ/1372م): تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار، ط2، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2000م ، ص ص 39- 40.

(2) برع في المذهب والخلاف والأصول، وقرأ العربية على يحيى بن نجاح وابن الخشاب حتى حاز قصب الشيق. السيوطي: بغية الوعاة ، ج2، ص ص 38-39.

(3) محمد مفيد آل ياسين : المرجع السابق، ص290.

(4) ابن صقيل الجزري(ت 701هـ/1301م): المقامات الزينية ، ط1، دار المسيرة ، عمان ، 1980م ، ص 32.

(5) محمد مفيد آل ياسين : المرجع السابق ، ص ص 284-293.

(6) نفس المرجع ، ص ص 315-316 .

- كرز الدين إسحاق الديلمي البغدادي (ت680هـ/1280م): عالم نجوم وتقاويم .
- شمس الدين أبو منصور بن عمر الواني (ت683هـ/1283م) : طبيب مستصري معروف بمهارة الطب.

- مجد الدين عبد المجيد المعروف بابن الصباغ (ت715هـ/1315م): طبيب بارع.

- عز الدين عبد السلام بن الكبوش البصري (ت676هـ/1276م): كيميائي نال اهتمام المغول⁽¹⁾.

يمكننا القول أنّ المشاركة قد برهنوا من خلال مساهماتهم العلمية على فرض وجودهم في الحياة الثقافية الإسلامية ما بين القرنين (07-9هـ/13-15م) ؛ حيث لم يقصّر أي من علمائها أو مؤرخيها في تدوين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. وليس ذلك فقط بل أثبتوا أن بلاد المشرق الإسلامي المركز الأساسي واللبنة الأولى للتدوين في الأقطار الإسلامية الأخرى سواء مصر أو بلاد الشام أو بلاد الحجاز أو العراق (كل واحدة بدرجة معينة). وإن ركزنا في جملة المؤلفات المذكورة أثناء البحث سواء المطبوعة أو التي لا تزال مخطوطات لاحظنا ذلك، كما أكدت أغلب الكتابات الحديثة إسهامات المؤرخين والعلماء المشاركة في ازدهار الحضارة الإسلامية عامة.

المبحث الثالث: حركة التأليف التاريخي ببلاد المشرق الإسلامي وتطور مناهجها ما بين (ق07-9هـ/13-15م):

ازدهرت حركة التأليف عامّة في العصرين الأيوبي والمملوكي وذلك بفضل النشاط العلمي الزاخر لمنطقة المشرق الإسلامي حيث برز ذلك من خلال المؤلفات التي لامست مختلف العلوم من تاريخ وعلوم اللغة والحديث والأدب ، ومصر بلغت ذروة التأليف من حيث عدد الكتب والرسائل خلال الفترة المدروسة كابن حجر العسقلاني الذي بلغت مؤلفاته حوالي المائة وخمسين مؤلفاً⁽²⁾ والسيوطي الذي قيل عن كتبه أنّها قربت على ستمائة⁽³⁾.

وإن عدنا إلى المؤلفات التي تناولت دور الكتب في مصر خلال العصرين سواء العامّة أو الخاصّة فقد أثبتت أنّ أغلب المؤلفات ضاعت بعد بسط نفوذ العثمانيين على مصر سنة (923هـ/ 1517م) وإزالة الحكم المملوكي. فقد نهبت ثروات البلاد العلمية خاصّة المؤلفات التي نقلت إلى الأستانة، لكن هذا لا يُدل على عدم بقاء زخم كبير من المؤلفات التي لا زالت مخطوطات لم يتم تحقيقها إلى يومنا هذا⁽⁴⁾.

(1) محمد مفيد آل ياسين : المرجع السابق ، ص ص 318-321.

(2) ابن تغري بردي: المنهل صافي، ج 2 ، ص 17-18.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة ، ج 1، ص 157.

(4) سليم محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، دط ، المطبعة النموذجية ، القاهرة 1962، ج2، ص ص 91-92.

نعني بالتأليف التاريخي بيان حركة التأريخ والمؤرخين في تأريخهم للأحداث مع التعريف بكبار المؤرخين، باعتبار التاريخ لفظاً عربيّة جذورها (ورّخ) وهو جذر سامي نقل عن لغة اليمن الجنوبيّة، أمّا اصطلاحاً فيعني الفن الذي يبحث فيه عن أحداث ووقائع الزّمن، أي العناية بتتبع مواليد ووفيات الأئمة والحكام والعلماء وحياتهم، ونشوء الدول وسقوطها، وقد يتوسع فيه فيندرج تحته قصص الأنبياء والخلق وما يقع في الكون من تغيّرات وتحولات⁽¹⁾.

2-1- حركة التأليف التاريخي بمصر وتطور مناهجها ما بين (ق 07 - 9هـ / 13-15م) :

ندرس تطوّر حركة التأليف التاريخي بمصر حتّى نهاية القرن السّابع الهجري الثالث عشر الميلادي سواء من حيث تتبع التأليف التاريخي أو التعريف بالمؤرخين الذين برزوا خلال الفترة المدروسة، خاصّة وأنّ الدّراسات التاريخية ولدت في رحم مصر التي ساهمت منذ صدر الإسلام في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية وحفظ الثّراث المادي واللامادي للعالم الإسلامي⁽²⁾.

فقد برع العديد من الرّواة في رواية الأحاديث النّبوية والأخبار التاريخية وتدوين أخبار الفتح الإسلامي بمصر أمثال: ابن لهيعة (ت 173هـ/791م)، وأبي قبيل بن هانيّ المعافري (ت 128هـ/745م) بالإضافة إلى مصادر أخرى لأحداث السّير والمغازي، وكلّها كان شاهداً أو حاضراً لتلك الأحداث⁽³⁾.

من خلال تتبع مراحل حركة التأليف التاريخي وتطورها يمكننا القول أنّ مدرسة التاريخ الإسلامي بمصر وضع لبنتها الأولى ابن عبد الحكم (ت 257هـ/874م)، فاستفاد من كتاباته أوائل القرن الرّابع الكندي (ت 350هـ/967م)؛ الذي اشتقّ منه بالنّقل مجموعة من مؤرّخي الفترة المدروسة مثل: المسبحي القضاعي، المقرئزي، ابن حجر العسقلاني، ابن تغري بردي، السخاوي، السيوطي، ابن إياس، الذين يمثلون أقطاباً باهرة للمدرسة التاريخية في العصور الوسطى⁽⁴⁾.

فالمدرسة التاريخية المصريّة خلال القرن (7هـ/13م) تطوّرت بفضل التّحولات السياسيّة التي حدثت في العالم الإسلامي خاصّة الضّغط الفرنجي من الغرب والهجوم المغولي من الشرق، مما سمح لكتابة تاريخ الفترة كدفاع وتحدي للصّليبيين، وتذكير للمسلمين بتاريخهم الزّاهر ووحدهم الإسلاميّة. فالجدير بالذّكر أنّ المؤرّخين المصريين وكتاباتهم خلال العصرين الأيوبي والمملوكي يختلفون في مذاهبهم وإيديولوجياتهم كثيراً مما أدى بالباحثين إلى تقسيمهم تارة بالأسلوب وتارة أخرى بالطبقات على النّحو الآتي:

(1) السخاوي: الإعلان بالتويخ، ص 17.

(2) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص 85.

(3) فتحة النبروي: علم التاريخ - دراسة في مناهج البحث -، دط، القاهرة، 1993، ص ص 198 - 199.

(4) محمد عبد الله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ الإسلامي، ط 1، هيئة الكتاب، القاهرة، 1969، ص

أ- تقسيم حسب الأسلوب: قسّم الباحثون المؤرّخون المصريون على النحو الآتي : جماعة تلتزم السّجع وتراعي في كتاباتها أنواع البديع، وجماعة كبيرة تعتمد الأسلوب السّهل الممتع وليست مقيدة بشيء .

ب- تقسيم حسب الطبقات: رتب الباحثون المؤرّخون المصريون خمس طبقات وهي :

- كتاب السير الخاصّة - طبقة تواريخ المدن والبلدان - طبقة التّراجم العام - طبقة التاريخ العام، وهناك من قسم المؤرّخين حسب مواضع دراستهم أو طريقة تأليفهم⁽¹⁾.

نستنتج ممّا سبق أنّ اختلاف الجماعات المذهبية ساهم في تعدد المؤلفات وتوّعها من حيث الأسلوب والأداء وطريقة الكتابة، فبرزت المناظرات ودوّنت النصوص مسجلة مختلف الحوادث، وللتاريخ عظمة احتوت الخزانات مجلّدات من كتبهم فلذلك اكتسبت أهمية ومكانة لا تقل أهميّة عن روايات الحديث ففي مصر ورع المكنى ابن العميد وابن ميسر في الفكر التاريخي مستوطنين القاهرة التي تمثل مركز المؤرّخين المصريين.

ليس هذا فحسب وإنما اختصّت مدن أخرى بعناية بعض المؤرّخين المصريين مثل الإسكندرية التي استأثرت بالنشاطين السياسي والفكري، فبرزت عدة موسوعات منها " رسالة في فضائل الإسكندرية" لمؤلف مجهول، " الذرة السنية في تاريخ الإسكندرية" لمنصور بن سليم (ت674هـ/1275م)، " فضائل الإسكندرية" لأبي الحسين بن عمر بن الحسن الصباغ⁽²⁾.

لقد ترك لنا المؤرّخين تراثاً ضخماً متنوع المناهج والاتجاهات في التأليف التاريخي فمنهم من ألف في التاريخ العام مبينا شعور الانتماء إلى العالم الإسلامي وأبرزهم:

- ألف الذهبي كتابه " تاريخ الإسلام" الذي يزيد عن عشرين مجلداً⁽³⁾.

- كتاب " التاريخ العام" لأبي شكر بطرس ابن الراهب القبطي (ت681هـ/1282م): دون فيه الأيام من سيّدنا آدم عليه السّلام إلى قضاة بني إسرائيل، فملوك الرّوم إلى غاية مجيء المسيح، ثم سير البطارقة والخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى غاية أيامه⁽⁴⁾.

- مؤلف " المجموع المبارك" لجرجيس المكنى ابن العميد (ت672هـ/1273م): يشمل المؤلف جزءان يبدأ فيه " من بدء الخليقة إلى ظهور الإسلام" في الجزء الأول، أما الجزء الثاني فيبدأ من ظهور الإسلام إلى غاية سنة (658هـ / 1259م)⁽⁵⁾.

(1) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص 104 - 105.

(2) نفس المرجع، ص 107.

(3) الشوكاني: المرجع السابق، ج 2، ص 110.

(4) سليم محمود رزق: المرجع السابق، مج 2، ص 132.

(5) كارل بروكلمان: المرجع السابق، ج 6، ص 144 - 145.

- أكثر الأنواع رواجاً وعدداً، وأوفرها عنايةً وضبطاً كتب التراجم والأعلام؛ فقد اعتنوا بترجمة أعلام العصر والحياة العلمية والسياسية والاجتماعية آنذاك أبرزها:
- كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت681هـ/1282م) : يشمل أزيد من ثمانمائة ترجمة لأهل القرن السابع⁽¹⁾.
 - "معجم الشيوخ" لابن الأنماطي أبي البركات إسماعيل ابن عبد الله (ت619هـ/1222م).
 - "أكمال الإكمال، التقييد لمعرفة رواة الأسانيد" لابن نقطة أبي بكر محمد بن عبد الغني (ت629هـ/1232م) .
 - "تاج المجامع والمعاجم" للقوسي شهاب الدين أبي المحامد إسماعيل ابن حامد الأنصاري (ت653هـ/1255م) ويشمل 03 مجلدات.
 - "التكملة لوفيات النقلة" للمنزري زكي الدين أبي محمد عبد العظيم ابن عبد القوي (ت656هـ/1258م) الذي طبع منه 04 مجلدات.⁽²⁾
 - حرص المؤرخون على حفظ كتب الأنساب وتأليفها خاصة الجماعة المنتسبة لآل البيت. وأبرز هذه المؤلفات خلال القرن (7هـ/13م) مايلي:
 - كتاب "الحاوي لأنساب الناس" للشريف الهاشمي أبي طالب عبد الرحمن بن محمد (ت621هـ/1224م) وهي أنساب مدونة في أكثر من عشر مجلدات.
 - "حظيرة القدس" للشريف المروزي عزيز الدين إسماعيل بن الحسين العلوي (ت642هـ/1235م).⁽³⁾
 - جاء من بعد العهد الأيوبي أصحاب النفوذ فاحتاج الأمر كتابة تاريخ قوانين المال والإدارة لإرشاد الحكام ومن أبرز المؤلفات مايلي:
 - "قوانين الدواوين" لابن مماتي شرق الدين الأسعد ابن المهذب (ت660هـ/1209م)، وهو من الكتب المطبوعة.
 - "لمع القوانين المصنعة" وكتاب "حسن السيرة في وصف الجزيرة" وكتاب "إظهار صنعة الحي القيوم في وصف الفيوم" لأبي عمرو عثمان ابن إبراهيم المعروف بالنابلسي (ت660هـ/1262م) ، أوجدت كذلك مجموعة من المؤلفات التي تأثرت بالكتابات التي كانت سائدة في العصر الفاطمي وقد شملت أخبار الولاية والقضاة والوزراء والأطباء والصوفية والعجائب والمسامرة نذكر منها مايلي:
 - "كتاب القضاة" لابن ميسر محمد بن علي المؤرخ (ت677هـ/1278م) .

(1) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص 128.

(2) مصطفى شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون - دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام -، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979 ، ج2، ص 175.

(3) نفس المرجع، ج2، ص ص 175 - 176.

- كتاب "تاريخ الصوفية" وكتاب "تاريخ الأولياء" للحسين بن علي ابن أبي المنصور بن ظافر الأسدي (ت 660هـ / 1262م).
- كتاب "عجائب الأخبار"، وكتاب "الإفادة والاعتبار" لابن اللباد عبد اللطيف (ت 629هـ / 1231م).
- كتاب "أسرار الأهرام" لجمال الدين محمد بن عمر المعروف بالشريف الحاوي الإدريسي (ت 645هـ / 1247م).
- كتاب "بدائع البدائة" لابن ظافر جمال الدين علي بن الحسن الأسدي (ت 613هـ / 1215م).⁽¹⁾
- كما شهدت المدرسة المصرية نهضة واسعة للتأليف والحركة التاريخية خلال (ق 8هـ / 14م) والدليل على ذلك العدد الضخم من المؤرخين ومؤلفاتهم وليس عدداً فقط وإنما نوعاً كذلك ويندرج ذلك في إطار التحدي واليقظة ضد الأخطار الأجنبية على منطقة المشرق الإسلامي عامة ومصر خاصة. وتتبع أنواع المصنفات طيلة القرن (8هـ / 14م) أحسن دليل على ذلك، فمنهم من ألف للتاريخ العام، أو للتراجم أو الأنساب وغيرها، وهذا ما سنوضحه فيما يلي: فمن أبرز الكتابات التاريخية للتاريخ العام نذكر:
- كتاب "المختصر في تاريخ البشر" للملك المؤيد أبو الفدا (ت 732هـ / 1331م): ويشمل المرحلة الممتدة من بدء الجاهلية ثم الإسلام إلى غاية سنة (729هـ / 1328م) وهو في أربعة أجزاء كاملة.⁽²⁾
- كتاب "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" لركن الدين بيبيرس المنصوري الداودار (ت 725هـ / 1324م) وهو يشير لتاريخ الدول الإسلامية عامة، منذ بدءها إلى غاية سنة (724هـ / 1323م) مرتباً إياه في أحد عشر مجلداً حسب السنين.⁽³⁾
- كما شهدت كتب التراجم والأعلام انتشاراً واسعاً مع عودة مصر إلى المذهب السني أيام الأيوبيين ودام طيلة القرون التي بعدها يحتل مكانة تاريخية ملاء من خلالها الميدان التاريخي.⁽⁴⁾ ومن أبرز كتب تراجم والأعلام خلال القرن (8هـ / 14م) نذكر:
- كتاب "فوات الوفيات" لابن شاعر الكتبي (ت 764هـ / 1362م)؛ وهو ملحق للكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان ويضم عشرات التراجم لأهل القرن الثامن الهجري/ الثالث عشر الميلادي.⁽⁵⁾

(1) مصطفى شاعر: المرجع السابق، ص ص 176 - 179.

(2) الكتبي: فوات الوفيات، ج 1، ص 20. الشوكاني: المرجع السابق، ج 1، ص ص 151 - 152.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة، ج 1، ص 266. سليم محمود رزق: المرجع السابق، ج 2، ص 114.

(4) مصطفى شاعر: المرجع السابق، ج 2، ص 174.

(5) زيدان جورجي: تاريخ آداب اللغة العربية، دط، دار الهلال، القاهرة، 1931، ج 3، ص 178.

- كتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، وكتاب "الطالع السعيد جامع لأسماء نجباء الصعيد" للمؤلف كمال الدين جعفر الأدفوي (ت748هـ/1347م)؛ الذي شمل في طياته تراجم لأكثر من خمسمائة وتسعون ترجمة لأعلام الصعيد ممن سبقهم وعاصروه⁽¹⁾. بالإضافة إلى ما سبق برزت عدّة مؤلفات تهتم بالثقافة النظامية والإدارية والمالية، ومن أهمّها:

- موسوعة "نهاية الأرب في فنون الأدب"، فهي موسوعة ذات تصميم روائي تضمّ واحد وثلاثين مجلداً ضخماً، كل مجلد يشغل جزئيين، مزج فيهم مختلف النواحي الأدبية والعلمية، كما تمّ توزيع مجموعة من المعارف العامة الثقافة النظامية والإدارية والمالية⁽²⁾.

رغم تأخر المدرسة المصرية في إبراز مؤرّخ ذو هبة تاريخية بعد النويري ومعاصريه، إلا أنّها بلغت ذروتها خلال القرن (9هـ/15م) بفضل علماء أبدوا هوية للتاريخ على غرار العلوم العقلية والدينيّة الأخرى مثل: تقي الدين المقرئ (ت845هـ/1441م)، ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م) وغيرهما⁽³⁾.

فقد أثبتت عدّة دراسات أنّ عدد الدّين ساهموا في علم التاريخ بمصر يزيد عن 295 عالماً، أغلبهم انصرفوا في كتاباتهم إلى التاريخ وحده، والبعض الآخر كان يدخل التاريخ من أبواب معارف وعلوم أخرى كالحديث والمرويات الدينية، ومن بين هذه الثلّة ما يقارب 23 مؤرخاً فذاً لكثرة ما دوّنوه في التاريخ، والتي تطوف حول ما يزيد عن 456 كتاباً بعضها في مجلّد واحد أو مجلّدين أو ثلاثين مجلداً، في حين إذا ما قرنت بكتابات 295 عالماً من الثانويين التي لا تزيد عن 325 كتاباً، أقصاها 10 مجلّدات، معظمهم كتبوا في صميم المادة التاريخية على غرار كتابات الثانويين التي حملت في طياتها جزئيات التاريخ⁽⁴⁾. وهذه الإحصائيات تثبت الانتشار الواسع لعلم التاريخ بين المثقفين والدّارسين باعتبار المرحلة التاريخية بمصر متشعبة التّدخلات الأجنبية والانقسامات الدّينية ومن أبرز التّأليف التي تميّزت بها المرحلة مايلي:

1- كتابات المؤرّخين البارزين: نذكر أبرز الكتابات التي تميّزت بها المرحلة:

• كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" لتقي الدين المقرئ (ت845هـ/1441م) : وهو من الكتب خطط والآثار يتحدث فيه عن القاهرة و طوبوغرافيتها التقليدية، وتطوّرات الخطط والشوارع والأرض والأسواق وغيرها⁽⁵⁾.

(1) السخاوي: الضوء اللامع ، ج1، ص02. زيدان جورجي : المرجع السابق، ج3 ، ص 184. الأدفوي ، الشافعي أبي الفضل كمال الدين (ت748هـ/1348م) : الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تح: سعد محمد حسن وطه الحاجري ، د ط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر، 1966 ، ص10.

(2) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص ص 62-64.

(3) مصطفى شاكر: المرجع السابق، ج3 ، ص 140.

(4) نفس المرجع ، ج3 ، ص202.

(5) المقرئ : الخطط ، ج1 ، ص06.

- كتاب "الدّثر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م): الذي ترجم فيه علماء وفقهاء وحفاظ القرن الثامن الهجري/ الثالث عشر الميلادي⁽¹⁾.
- كتاب "الصّوء اللّاضع في علماء القرن الثّاسع" لشمس الدّين السخاوي (ت 902هـ/1497م): وهو من مؤلفات التاريخ والتّراجم المطبوعة في اثنتي عشرة جزء مع الفهارس⁽²⁾.
- كتاب "المنهل الصّافي والمستوفى بعد الوافي" لابن تغري بردي (ت 874هـ/1464م): من كتب التّراجم التي ترجمت للأعيان و قيل أنه تكلمة لمعجم الصّخّم " الوافي بالوفيات" الذي ألفه الصّفي⁽³⁾.
- كتاب "شفاء القلوب في مناقب بني أيوب" لعزّ الدّين أبو البركات أحمد بن البرهان الكناني العسقلاني (ت876هـ/1471م): تمّ تأليفه للملك العادل الأيوبي سليمان بن غازي وابنه أحمد، فهو يعدّ من كتّاب التّراجم حيث قسم ملوك بني أيوب إلى طبقات. وترجم لهم طبقة طبقة في عشر طبقات، حيث ترجم فيه لأزيد من 167 شخصاً في كل من حُماة وحصن وحيفا خلال القرنين (8-9هـ/14-15م) وقام بتحقيقه ناظم رشيد مع مقدمة (من وزارة الثقافة، بغداد، 1978)⁽⁴⁾.
- كتاب "نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزّمان" لعلي بن داود بن إبراهيم المعروف بابن الصّيرفي الجوهري: وهو من الكتب العامة التي تناولت الماضي وعصر المؤلف، وقيل أنه كان يريد به أن يكون موسوعة تاريخية (منذ صدر الإسلام إلى زمنه)، تمعناً في أجزائه فإنه ينقسم إلى قسمين، القسم الأول كان خاصاً "بأنساب الرّسل والأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام"، والقسم الثاني خاص بسيرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وقد سمّاه "الجوهريّة في سيرة الرّسول"⁽⁵⁾.

1- كتابات المؤرّخون الثّانويين:

- سمي كذلك لقلّة إنتاجهم في التراث التاريخي، ومن أبرز المؤرّخين على درجات من فهم التاريخ وإنتاجه نذكر:
- كتاب "تعاليق تاريخية" لأبي محمّد تقي الدّين بن هبة الله الزبيري (ت813هـ/1408م) الذي استمد منه ابن حجر العسقلاني في كتابه "إنباء الغمر"⁽⁶⁾.

(1) السخاوي: الصّوء اللّامع، ج2، ص ص36-40.

(2) نفس المصدر ، ج1، ص ص2-3. مصطفى شاكر: نفس المرجع، ج3، ص 178.

(3) ابن تغري بردي: المنهل الصّافي، ج1، ص 09. مصطفى شاكر: المرجع السابق ، ج3، ص 169.

(4) نفس المرجع، ج3، ص ص 173-174.

(5) ابن داود الصيرفي (ت900هـ/1495م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزّمان، تح: حسين حبشي، دط ، مطبعة

دار الكتاب، القاهرة 1970، ج1، ص ص8-9. مصطفى شاكر: المرجع السابق، ج3، ص 176.

(6) نفس المرجع ، ج3، ص 224.

• كتاب "التقاط الجواهر والذُرر في معادن التاريخ السير" لأبي عبد الله محمد بن قيسر المعروف بابن القطان (ت813هـ/1408م) وهو من كتب السير والتراجم حيث كان معظمه في الوفيات (يشمل مجلدين)⁽¹⁾.

• كتاب "العقود الدرية في الأمراء المصرية" لمحمد بن الحسن البني (ت826هـ أو 825هـ/1419م أو 1420م) ، عبارة عن حوليات مرتبة على السنين إلى غاية أيام برسباي⁽²⁾.

• كتاب "تاريخ مصر" لابن خلكان (ت839هـ/1437م) : وهو من كتب تاريخ الدول والمدن، حيث تناول بالوصف تاريخ مصر وفضائلها وأخبار ملوكها، لينتهي بنهاية سنة (839هـ/1437م)⁽³⁾.

وفي الأخير يمكننا القول أن ؛ الكتابات التاريخية المصرية خلال القرن (9هـ/15م) كانت غنيّة ومتنوعة الميادين والمناهج فكان لعلم التاريخ منها نصيب في دور الكتب، ولعل أبرز ما ميّز الحركة التاريخية كتب التراجم والموسوعات، التي بفضلها ازدهرت الحياة الفكرية بمصر وتطوّرت تطوّراً منقطع النظير إذا ما قرّنت بالقرون السابقة.

2-2- حركة التأليف التاريخي ببلاد الشام وتطور مناهجها ما بين (ق07- 9هـ/13-15م):

شهدت مدرسة بلاد الشام أقصى نشاطها التاريخي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر الميلاديين على غرار القرون السابقة ، ويعزى ذلك إلى اهتمام الحكام بشؤون الدولة سواء الزنكيين من قبل أو الأيوبيين والمماليك، ممّا نتج عن ذلك ظهور العديد من العلماء والفقهاء والمؤرخين ممن برزوا كأعمدة للمدرسة بفضل نتاجهم العلمي المتخصص فمنهم من كان موسوعياً في كتاباته ومنهم من كان محلياً أو مدنياً ، والبعض الآخر كتاب تاريخ الدولة، أو تراجم لأهمّ النبلاء والعلماء والفقهاء. وفي هذه الدراسة نستنتج تطور التأليف التاريخي ببلاد الشام بدءاً من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى غاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

فلقد ترك كبار المؤرخين في الشام آثار موزعة في مختلف المدن سواء دمشق، حمص، حلب القدس وغيرها لتعدد الرؤوس السياسية في تلك الفترة وعند الحديث عن التاريخ والمؤرخين في الشام فيمكننا القول أن المدرسة الشامية سارت على نفس النهج منذ تأسيسها، فقد برز في حلب المؤرخ ابن

⁽¹⁾ إسماعيل باشا الباباني البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد عبد القادر عطا، دط ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1941، مج4، ص93. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ، دون دار

الطبعة ، دمشق، 1957-1961، ج11، ص117.

⁽²⁾ مصطفى شاكر: المرجع السابق، ج3، ص236.

⁽³⁾ نفس المرجع، ج3، ص237.

العديم(ت660هـ/1262م) وابن شداد(ت684هـ/1285م)، وفي دمشق ابن خلكان(ت681هـ/1282م) وجواره ابن أبي أصيبعة(ت668هـ/1270م) من خلال موسوعاتهم.⁽¹⁾

اللافت للانتباه أنّ كتابات مؤرّخي الشام خلال القرن (7هـ/13م) كانت متسترة زمانياً ومكانياً بدءاً من أواسط القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، إذ نجد أعظم المشاريع التاريخية ومؤرّخها أمثال: ابن عساكر (ت571هـ/1175م) ومؤلفه "تاريخ دمشق"، الذي يشمل ثمانية مجلدات. وابن أبي طي(ت630هـ/1233م) ومؤلفاته الكثيرة في التاريخ، وياقوت الحموي(ت626هـ/1228م) صاحب "معجم البلدان".⁽²⁾ فقد برزت المعاجم التاريخية لتعيد طموح المؤرّخين الشّاميين الذين كانت نشاطاتهم التاريخية محدودة، ويعود ذلك إلى عودة الحياة السياسية إلى بلاد الشام وبروز سلطات محفزة للتأليف التاريخي كما تدفع للهجرة العلمية.

كما توطدت خطوط التاريخ في مسرّي تاريخ المدن والتاريخ العام، فالخطّ التاريخي الأوّل تركز انتباهه على مدينتي "دمشق وحلب"، فقد وضحت موسوعة ابن عساكر ترجمة واسعة لكل ما شهدته مدينة دمشق من علماء وكبار الإسلام، وكذا كتاب "تاريخ حلب" لابن العديم هذا من جهة، ومن جهة أخرى ألفت تواريخ ذات حجم أصغر مثل: "المذيل في تاريخ دمشق" لابن القلانسي (ت555هـ/1160م) أستاذ ابن عساكر، وكذا ابن أبي طي صاحب كتاب "سلك النظام في تاريخ الشام"، وأبو عبد الله المقدسي (ت643هـ/1246م) صاحب كتاب "فضائل الشام" وغيرها من المؤلفات، وهذه المؤلفات تعبير تاريخي عن الدور الرئيسي الذي لعبته المدينتين خاصة في مواجهة الصليبيين.⁽³⁾

أمّا التّواريخ العامّة فقد كانت تعبيراً تاريخياً عن انتماء بلاد الشّام للعالم الإسلامي من خلال التصدي للحروب الخارجية والدفاع عن حاضره، ويعود ذلك إلى الوجود الصليبي وبروز العصر الأتابكي - الأيوبي ركيزة العالم الإسلامي سياسياً وثقافياً ولما لا اقتصادياً، حيث دفع العديد من السلاطين الأيوبيين والعلماء والمؤلفين لتدوين الأحداث آنذاك.

وهذا ما أثبتته الإحصائيات فقد بلغ في النّصف الأوّل من القرن السّابع الهجري/الثالث عشر الميلادي أحد عشر مؤلفاً تاريخياً بين مدينتي حلب ودمشق اثنان لياقوت الحموي وهما كتابي "المبدأ والمال"، كتاب الدول⁽⁴⁾. اثنان لابن أبي طي الحلبي هما كتاب "حوادث الزّمان"، و"معادن الذهب"⁽⁵⁾

(1) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج3، ص10

(2) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص108.

(3) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج2، ص221. إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص109.

(4) البغدادي : هدية العارفين، ج2، ص513.

(5) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج2، ص253.

اثنان لابن أبي أصيبعة هما كتاب "المختار من عيون التاريخ"، وكتاب "معالم الأمم" وأخبار ذوي الحكم⁽¹⁾، وواحد لسبط ابن الجوزي هو "كتاب مرآة الزمان"⁽²⁾.

نصف إلى ذلك كتاب "الكشف والبيان في حوادث الزمان"، وكتاب "التاريخ للمظفري" لابن أبي الدم الحموي بالإضافة إلى كتاب "التاريخ الكبير" للقبطي دون أن ننسى كتاب "الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم" لابن سعادة الحولي⁽³⁾.

وقد أثبت المؤرخ الفذ مصطفى شاکر صاحب مؤلف "التاريخ العربي والمؤرخون" أن التأليف التاريخي الشامي كان يشمل أغلب الأنواع التاريخية آنذاك غير أنها متفاوتة، حيث تمّ التركيز على التاريخ العام والخاص الذي يزيد عن مائة وخمسة وعشرين مؤلفاً، وعن تاريخ المدن الذي بلغ تعدادها حوالي الأربعين، أما كتب السير وتواريخ الدول والأسر والأحداث فقد بلغ عددها حوالي الخمسة والخمسين مؤلفاً بينما لا تزيد كتب التراجم عن خمسين مؤلفاً، ومثلها تتناول تاريخ البلدان والقلاع والغناء والسياسة والأنساب والحسبة وغيرها⁽⁴⁾.

فبالرغم من الثروة التاريخية التي شهدتها المدرسة الشامية خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، إلا أن بعض الآثار التاريخية اندثرت خاصة تراث ابن أبي طي والقبطي القيم والهام في التاريخ الإسلامي، ويعود ذلك إلى الهجمة المغولية التي دمرت مدينة حلب سنة (660هـ/1262م) وأتت على جوامعها ودورها وأهلها ومكاتبها التي تحوي ثروة كتب غنية الاتجاهات⁽⁵⁾. ومن الذين اختصروا بعض كتاب المدن أبو شامة المقدسي (ت665هـ/1267م) الذي اختصر كتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر مرتين الأولى في خمسة عشر مجلداً، والثانية في خمسة مجلدات⁽⁶⁾.

الحق يُقال أن أغلب المؤرخين الشاميين اهتموا في هذه الحقبة التاريخية بميدان التراجم والسير حيث نجد على رأسهم المؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1270م) الذي صنّف كتاباً في "طبقات الأطباء". كما نجد من علماء هذا العصر شمس الدين ابن خلكان (ت681هـ/1282م) الذي ألف كتاباً في التراجم بعنوان "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"⁽⁷⁾. وعن الشافعية ألف أبو زكريا النووي (ت676هـ/1277م)

(1) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج 2، ص 269.

(2) نفس المرجع، ج 2، ص 261.

(3) نفسه، ج 2، ص 221-222.

(4) نفسه، ج 2، ص 223.

(5) نفسه، ج 2، ص 224. إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص 109.

(6) جلال العطاري: المرجع السابق، ص 85.

(7) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج 4، ص 23.

كتاباً عن "طبقات الشافعية"⁽¹⁾ وغيرها من المؤلفات التي ألغت وفق مذاهب أخرى⁽²⁾ كما نجد من صنّف طبقات للحفاظ والثقات والقراء وغيرهم⁽³⁾.

ساهم الحراك الذي عرفته معظم الحواضر الشامية في نمو الحركة التاريخية خلال (ق8هـ/14م) وكذا نشاط المؤرخين ورحلاتهم إلى البلدان الإسلامية التي تولي عناية شديدة بالعلم ولعلماء، فعندما تتبعنا ذلك وجدنا أنّ المؤرخين قد برزوا في عدّة ميادين سواء الموسوعات أو التاريخ العام أو التراجم والسير وغيرها سواء الشاميين بالأصل أو الوافدين (بالموطن) من مختلف الأقطار الإسلامية.

فقد ترك لنا العالم والمؤرخ الموسوعة شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1347م) موسوعة تاريخية بعنوان "تاريخ الإسلام"⁽⁴⁾، وكذلك دُون ابن شاعر الكتبي (ت764هـ/1363م) موسوعة تاريخية عنوانها بـ "عيون التواريخ"⁽⁵⁾. وليس ذلك فقط وإنما كثيراً ما يصنّف المؤرخين موسوعة ابن فضل الله العمري (ت749هـ/1350م) ضمن الموسوعات التاريخية للعصر والموسومة بـ"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"⁽⁶⁾.

كان الحضور الشامي لمدته خافتاً في كتابة مواضيع الطبقات والسير والتراجم، فلذلك لمع ثلّة من الكتاب بكتاباتهم التي تتناول ذلك بالوصف وذكر سيرة وأعمال الحكام وتاريخهم سواء زلفى أو عن قناعة من جهة، ومن جهة أخرى دُونوا سير العلماء والمشايخ والمتصوفة، وبعد شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1347م) نموذجاً فذاً لمؤرخي التراجم والسير والطبقات ومن أبرز مؤلفاته في هذه الحقول "طبقات الحفاظ" و "طبقات الشيوخ"، و"طبقات القراء"، كما خلف ثاني كتبه الكبرى والعظمى في ميدان السيرة والتراجم المعروف بـ"سير أعلام النبلاء" الذي يشمل 14 مجلداً، بالإضافة إلى تراجم أخرى من بينها "ترجمة أبي حنيفة"، "ترجمة أبي يوسف القاضي"، "ترجمة الشافعي"، "ترجمة أبي مالك بن أنس وغيرها"⁽⁷⁾.

ومن هنا جاءت أهمية شمس الدين الذهبي وتأثيره، كما أن هذا لا ينفي وجود كتابات في نفس الحقل سبقت كتاباته إلا أنها لم تكتسب أهمية بالغة مثل كتاباته نذكر على سبيل المثال: كتاب "السيرة

(1) مصطفى شاعر: المرجع السابق، ج4، ص21.

(2) عبد العزيز سالم: مناهج البحث في تاريخ الإسلام والآثار الإسلامية، ط1، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية 2010، ص182.

(3) جلال يوسف العطاري: المرجع السابق، ص87.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزهرة، ج10، ص182.

(5) مصطفى شاعر: المرجع السابق، ج4، ص75.

(6) نفس المرجع، ج4، ص69.

(7) نفسه، ج4، صفحات 54-58-61-68.

النبوية المعروف بالسيرة الحلبية " أيضاً والمعروف بـ"المورد العذب المهني في سيرة عبد الغني" لقطب الدين الحلبي (ت735هـ/1235م)⁽¹⁾.

المعروف أن التاريخ العام يتميز بشمولية موضوعاته وعالميتها، حيث يتناول تاريخ الأمم والشعوب فلم يعن الشامية كثيراً بكتابات التاريخ العام خلال الفترة محل الدراسة، كما أن أغلبها مفقود وأبرز الكتب المذكورة في طيات المدونات نذكر "كتاب المختصر في أخبار البشر" لإسماعيل أبو الفدا (ت732هـ/1332م)⁽²⁾ بالإضافة إلى كتاب "حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه" المسمى بالتاريخ لشمس الدين الجزري (ت833هـ/1429م)⁽³⁾.

اللافت بالانتباه كثرة تأليف المختصرات وذيول المؤلفات خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، حيث خلف مؤرخو هذا العصر تركة غزيرة وقيمة نذكر منها: قطب الدين اليونيني (ت726هـ/1326م) الذي عرف بمختصره الشهير المؤلف بسيط ابن الجوزي "مرآة الزمان".⁽⁴⁾ كما لاحظنا عدة مختصرات من تأليف شمس الدين الذهبي منها: "مختصر الروضتين في أخبار الدولتين" لأبي شامة⁽⁵⁾. أما زين الدين ابن الوردي (ت749هـ/1350م) فقد دون مؤلفاً عنوانه بـ"تنمة المختصر في أخبار البشر". وثمة ذيول عدة رافقت المختصرات في الكتابات الشامية آنذاك نذكر منها: "ذيل على تاريخ المكين ابن العميد" لفضل الله الصقاعي (ت726هـ/1240م)⁽⁶⁾، "المقتضى التاريخ" وهو ذيل لكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لابن شامة" ألّفه علم الدين البرزالي (ت739هـ/1240م) وغيرها من الكتابات⁽⁷⁾.

أبدع مؤرخو الشام خلال القرن (9هـ/15م) وتنوعت اتجاهاتهم ومناهجهم، فمنهم من اتجه إلى التاريخ العام والذبول نذكر على سبيل المثال كتابات ابن كثير الابن الثاني الذي ذيل لتاريخ والده⁽⁸⁾ كما ذيل كذلك دواوين ناصر الدين الحصكفي (ت820هـ/1414م) مؤلفاً عنوانه بـ"روضة الألباب في تاريخ الأطباء"⁽⁹⁾.

(1) مصطفى شاكرك: المرجع السابق، ج4، ص43.

(2) نفس المرجع، ج4، ص39-40. أبو الفدا: المختصر، ج1، ص8.

(3) مصطفى شاكرك: المرجع السابق، ج4، ص46.

(4) نفس المرجع، ج4، ص37.

(5) نفسه، ج4، ص37.

(6) نفسه، ج4، ص67-72.

(7) نفسه، ج4، ص39.

(8) العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص184.

(9) مصطفى شاكرك: المرجع السابق، ج4، ص186.

نصف إلى ذلك مؤلفين في التاريخ العام أحدهما ألفه المؤرخ زين الدين ابن الشحنة الحلبي (ت815هـ/1411م) سماه "روض المناظر في علم الأوائل والأواخر"؛ انتهى فيه إلى سنة (807هـ/1403م)، وهو مجلد واحد طبع قديماً على هامش الكامل لابن الأثير⁽¹⁾، والآخر ألفه بدر الدين العيني (ت855هـ/1451م) عنوانه بـ "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان"، وهو تاريخ عام يبدأ بدء الخليقة حتى سنة (850هـ/1446م)⁽²⁾.

إلى جانب الكتب التاريخية في التاريخ العام صنّف مؤرخو الشام كتباً عن بعض الدول نذكر منها قيام ابن طاهر ابن حبيب الحلبي (ت779هـ/1379م) بإتمام كتاب والده في تاريخ المماليك إلى غاية سنة (802هـ/1398م) وسماه بـ "درة الأسلاك في دولة الأتراك"⁽³⁾.

على نحو القرون السابقة برع مؤرخو المدرسة الشامية في كتابه الطبقات والسير والتراجم نذكر منها: شهاب الدين الحسباني (ت815هـ/1411م) الذي دَوّن مؤلفاً عن "طبقات الشافعية" وآخر عن "طبقات القراء"⁽⁴⁾، كما ألف تقي الدين الحصني (ت819هـ/1415م) عن طبقات الصوفية تحت عنوان "سير السالك في أسنى الممالك"⁽⁵⁾، واللافتُ كثرة الكتابات عن طبقات القراء، حيث سار على نفس النهج أبو الخير شمس الدين المعروف بابن الجزري العربي الدمشقي (ت833هـ/1429م) صاحب كتاب "نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات" وبدأه من سنة (772هـ إلى غاية 744هـ/1372م) إلى غاية (1374م) ويشمل عدّة مجلدات، كما أنه ألف كتاباً آخر عنوانه "غاية النهاية في طبقات القراء" الذي بدأه من سنة (783هـ إلى غاية 795هـ/1383م إلى غاية 1395م) وسماه "الطبقات الصغرى" وهو في مجلدين⁽⁶⁾.

لمع في مجال السير مجموعة من المؤلفين وكتاباتهم أبرزهم شهاب الدين الحسباني (ت815هـ/1411م) صاحب كتاب "الدُر المنظوم في سيرة النبي المعصوم"⁽⁷⁾، كما ترك محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الله الكفيري العجلواني (ت831هـ/1427م) كتاباً تحت عنوان "مختصر الرّوض الأنف"⁽⁸⁾ وما كان رائجاً آنذاك سير الملوك والسلطين التي شغلت أغلب المؤرخين فصنّف ابن عرب شاه

(1) شوقي ضيف : المرجع السابق، ج 6 ، ص 115.

(2) نفس المرجع ، ج 6 ، ص 115.

(3) نفسه، ج 6 ، ص 117

(4) نفسه ، ج 6 ، ص 118. الزركلي: الأعلام ، ج 1، ص 97.

(5) نفسه ، ج 4 ، ص 187.

(6) مصطفى شاكر: المرجع السابق ، ج 4 ، ص 97.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج 1 ، ص 237.

(8) مصطفى شاكر: المرجع السابق ، ج 4 ، ص 187.

الدمشقي (ت854هـ/1450م) سيرة مفصلة لتيمورلنك تعقب فيها مولده ونشأته وملكه ودولته ومن خلفوه إلى غاية سنة (ت874هـ/1473م) وسمى هذه السيرة بـ" عجائب المقدور في نواب تيمور"⁽¹⁾، كما ترك لنا بدر الدين محمد ابن أبي بكر الدمشقي(ت874هـ/1470م) سيرتان الأولى "سيرة لنور الدين" والثانية "سيرة السلطان قايتباي"، أمّا شمس الدين ابن طولون الصالحي الدمشقي(ت953هـ/1546م) فقد كتب سيرة لابن العربي المنصوف⁽²⁾.

تعتبر المدن جزء من تاريخ الدول والأمم فقد عرضنا أثناء بحثنا مؤلف ابن حبيب الابن (ت807هـ/1404م) الذي اختصر كتاب ابن العديم "بغية الطلب في تاريخ حلب" ، وسمّاه "حضرة النديم من تاريخ ابن العديم"⁽³⁾، كما أكمل محمد بن الشحنة(ت890هـ/1486م) نفس الكتاب وسمّاه "نزّهة النواظر في روض المناظر"⁽⁴⁾.

2-3 - حركة التأليف التاريخي ببلاد الحجاز ما بين (7-9هـ/13-15م):

ألّف المسلمون الكثير من التأليف التاريخية التي تناولت التاريخ المحلي والإقليمي والعالمي، وفي فترة الدّراسة اُتّمت الكتابة التاريخية بالموسوعية والنقل عن مؤرخين سابقين، مترجمين لمعاصريهم من مختلف ربوع العلم، غير أنّ بلاد الحجاز نحصّ بالذكر المدينتين المقدستين مكّة المكرمة والمدينة المنورة اللتان تعرضا لإهمال تاريخي، مؤكداً ذلك المؤرخ المكي تقي الدين الفاسي الذي أشار إلى ذلك بالقول: "وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكّة في تاريخ لها على المنوال الذي جمعه خصوصاً من الشّيخ قطب الدين القسطلاني لأنه جمع شيئاً يتعلق بتاريخ اليمن، والعمرى لو جمع ذلك لبلده كان أحسن. فإنّ الحاجة إليه داعية وفي ذلك فوائد غير خافية"⁽⁵⁾.

أ- الكتابة التاريخية في المدينة المنورة: اكتسب التاريخ مكانة في العلوم التي تطوّرت خلال الفترة المدروسة، وذلك بفضل تواجد المسجد النبوي وآثاره المتصلة بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، مما شجع التدوين التاريخي رغم أنّ عدداً وثيراً من الكتاب اختصرت كتاباتهم على ذكر الفضائل والمعالم أكثر من الأحداث التاريخية والبعض الآخر ترجم لرجال ونساء المدينة⁽⁶⁾.

فقد تعددت الكاتبات المتصلة بالمدينة المنورة سواءً من أهلها أو الوافدين عليها، نذكر من ذلك كتاب "الدرة الثمينة في أخبار المدينة" لمحمد ابن محمود بن الحسن بن هبة الله بن النّجار البغدادي

(1) شوقي ضيف: المرجع السابق، ج6، ص112.

(2) نفس المرجع، ج6، ص112.

(3) البغدادي: هدية العارفين، ج1، ص431.

(4) مصطفى شاكر: المرجع السابق، ج4، ص94.

(5) الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص10.

(6) عبد الرحمن مديرس: المرجع السابق، ص300.

(ت643هـ/1245م)، وهو من المؤلفات التاريخية ذات قيمة ذكر من خلاله أخبار المدينة المنورة وفضائلها وآثارها ومعالمها إلى غاية القرن (7هـ/13م)، مشيراً إلى كتب عدة مفقودة اعتمدها أثناء التدوين⁽¹⁾. ضُفَّ إلى ذلك المؤرخ الفذ أبو اليمن عبد الصمد ابن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي المكي (ت686هـ/1384م) صاحب كتاب "إتحاف الزائر وإطراف المقيم السائر"، الذي تمَّ الإشارة إليه في كتاب "ملء العيبة" لابن رشد⁽²⁾.

كما برز عدَّة مؤرِّخين خلال القرن (8هـ/14م) نذكر منهم المؤرخ محمَّد بن أحمد بن أمين بن معاذ الآقشهري (ت737هـ/1336م) صاحب كتاب التراجم المعروف بـ"الروضة الفردوسية والحظيرة القدسية" حيث أشار فيه إلى أسماء كل من دفن في البقيع أثناء عصره من الصَّحابة والتابعين حيث انتهى من تأليفه سنة (718هـ/1318م) في المدينة⁽³⁾.

ومن ثلَّة المؤرِّخين وكتاباتهم أثناء هذا العصر ألف جمال الدين بن محمد أحمد المطري (ت741هـ/1340م) الذي ترك لنا مؤلفاً بعنوان "التَّعريف بما أنسب الهجرة من معالم دار الهجرة" تناول فيه أخبار المدينة والمسجد النَّبوي وفضائله. كما سار ابنه عفيف الدِّين عبد الله المضر (ت769هـ/1367م) على نهج والده فبرع بكتابه الموسوم بـ"الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام"⁽⁴⁾.

كما برع مجموعة من القضاة مثل: القاضي والمؤرخ البدر عبد الله بن محمَّد بن فرحون (ت769هـ/1367م) مؤلف "تصيححة المشاور وتعزية المجاور" في ترجمة عدد ضخم من العلماء والقضاة والفقهاء والوزراء والكتاب وغيرهم⁽⁵⁾ فقد دوَّن أن كتاب "بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار" لصاحبه أبو محمَّد عبد الله بن عبد الملك البكري المرجاني المدني (ت769هـ/1367م) الذي تناول فيه تاريخ المدينة سنة (751هـ/1350م)⁽⁶⁾

دَوَّنت عدَّة مؤلفات تاريخ المدينة نذكر من بينها كتاب "تحقيق النَّصرة بتلخيص معالم دار الهجرة" للمؤرخ أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي (ت816هـ/1413م)⁽⁷⁾. لكن أكثر مؤلف أوصل المدينة

(1) عبد الرحمن مديرس: المرجع السابق، ص300. الزركلي: الأعلام، ج7، ص86.

(2) الفاسي: العقد الثمين، ج5، ص432 - 433. محب الدين ابن رشد الفهري (ت721هـ/1321م) : ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهاة إلى الحرمين مكة وطيبة، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج5، صص 145-146.

(3) عبد الرحمن مديرس: المرجع السابق، ص301. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، صص 463-464.

(4) السخاوي: نفس المصدر، ج2، صص 384-387.

(5) نفسه، ج2، ص403.

(6) نفسه، ج2، ص354.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص29.

تاريخاً و معالماً كتاب محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ/1396م) الذي ترجم فيه لأهل المدينة والوافدين إليها من مختلف الأقطاب الإسلاميّة المسمّى " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، حيث عاصره المؤرّخ نور الدّين علي بن عبد الله السمهودي (ت823هـ/1420م) صاحب عدة مصادر عن المدينة أبرزها كتاب "الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى المعروف " بتسمية أخرى "اقتضاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" ، وكذلك كتاب آخر لخص فيه تاريخ المدينة من خلال مؤلفات مؤرّخين سابقين مثل: ابن النجار، المراغي سمّاه " الوفاء بأخبار دار المصطفى" ، كما قدم من خلاله أوضاع المدينة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة خلال العصر المملوكي⁽¹⁾.

يمكن الإشارة في الأخير إلى كتاب "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" لمحمد بن عبد الرّحمان السخاوي الذي قال فيه عن سبب تأليفه: "وكان مما حداني على هذا الجمع الذي تقرّبه لعين ويصفى إليه صحيح السّمع، أنّي لم أجد فيه مصنفا يشفي الغليل"⁽²⁾. أي ألفه لوجود قصور من سابقه في كتابة تاريخ المدينة .

ب - الكتابة التاريخيّة في مكّة المكرّمة: تشير أغلب الدّراسات إلى عدم وجود مدرسة تاريخيّة مكّيّة خلال الفترة المدروسة رغم توفر بحوث ورسائل تتناول قضايا التاريخ المكي، ويعود ذلك إلى تبعية تاريخ مكّة ومؤرّخها لمراكز حضارية أخرى كالمدرسة المصرية أو الشّامية، شارك عدّة مؤرّخين تدوين تاريخ مكّة خلال الفترة (ق7-9هـ/13-15م) حيث ألف المحب الطبري (ت694هـ/1294م) كتاباً عن فضل مكّة، ولزيد بن هاشم بن علي بن المرتقي الحسني (كان حياً سنة 676هـ/1277م) كتاباً عن "تاريخ مكّة" لكن لا يدري الفاسي أين تم تدوينه⁽³⁾. كما استأثرت مكة المكرمة اهتمام المؤرخ محمد بن محفوظ بن محمد بن غالي الجهيني الشبكي المكي (ت770هـ/1368م)؛ حيث يذكر الفاسي عنه: " كانت له عناية بالتاريخ ووجدت بخطة تاريخا يسيرا من انقضاء دولة الهواشم إلى بعد التسعين وستمئة " . ويضيف قائلاً: "إلاّ أنّه تخلل سنين كثيرة، لم يذكر فيها شيئاً وهو معذور"⁽⁴⁾.

ومن مشاهير مكّة المؤرّخ سعد الله بن عمر بن محمد بن علي الاسفراييني (ت786هـ/1384م) الذي اختصر المؤلف الأول عن تاريخ مكّة للأزرقي وسماه "زبدة الأعمال و خلاصة الأفعال في فضل الحرمين الشّريين" أضف من خلاله على الأوّل أحاديث عدة مروية عن فضل أيام العمرة والحج آنذاك قال حاجي خليفة: "أولها الحمد لله ذي العظمة والكبرياء والجلال.."، وجعله في بابين باب في ذكر

(1) السخاوي : الضوء اللامع ، ج5، ص ص 245 - 246.

(2) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج1 ، ص19.

(3) السبكي : طبقات الشافعية ، ج2 ، ص ص 18 - 19. الفاسي: العقد الثمين ، ج1، ص9.

(4) الفاسي : نفس المصدر، ج2 ، ص348.

فضيلة الكعبة وفيه أربعة وخمسون فصلاً ، وباب في ذكر فضيلة المدينة المنورة وفيه خمسة وعشرون فصلاً⁽¹⁾.

أمّا خلال القرن (9هـ/15م) برز مؤرّخ المؤرّخين المكيين تقي الدين الفاسي أغورهم تدويناً تاريخياً وأقومهم منهجاً وأوسعهم علماً، والدليل على ذلك استعادة عدّة مؤرّخين ونقلهم منه أمثال: النّجم بن فهد النهروالي، ابن حجر العسقلاني ، السخاوي مشيراً إلى أسباب تأليفه قائلاً أن ذلك يعود إلى قلّة المصادر المكيّة التي تتناول تاريخ مكّة بعد الأزرقى (ت250هـ/864م) والفاكهي (ت272هـ/885م) حيث يقول: "وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الأزرقى للتأليف على منوال تاريخه ومن تركهم تأليف لتاريخ مكة"⁽²⁾. ومن مصنفاته التاريخية موسوعة بعنوان "العقد الثمين" الذي يعد من كتب التّراجم الهامّة حيث بدأ بتأليفه سنة (805هـ/1402م)، ويتكوّن من 8 مجلّدات (سيتمّ دراسته بالتّفصيل في فصول أخرى)⁽³⁾. كما دوّن مؤلفاً آخر بعنوان "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" في مجلّدين، وله عدّة مختصرات منها "تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام"، ومجلّد آخر بعنوان "تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام" وغيرها من المختصرات⁽⁴⁾. اشتهرت مكّة بثلّة من العلماء والمؤرّخين عاصروا تقي الدين الفاسي أو من بعده أمثال:

- محمّد بن علي بن محمّد أبي بكر العبدي المكي الشّيباني (ت837هـ/1433م) صاحب كتاب "الشّرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة المعلا"⁽⁵⁾.
- أبو البقاء محمّد بن أحمد القرشي (ت854هـ/1454م): صاحب كتاب "تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المشرفة والقبر الشريف"⁽⁶⁾.
- تقي الدين ابن فهد (ت871هـ/1466م): عرف بعدّة مؤلفات في التاريخ والتّراجم والسّيرة منها كتاب "المطالب السّنية بما لقريش من المفاخر والمعالي"⁽⁷⁾.

(1) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج2 ، ص122. حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت ، ج2 ، ص ص 950-951.

(2) الفاسي : شفاء الغرام ، ج1 ، ص ص 04-05.

(3) الفاسي : العقد الثمين ، ج1 ، ص ص 343-344.

(4) الفاسي : شفاء الغرام ، ص "ك".

(5) العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج3 ، ص530.

(6) أبو البقاء بهاء الدين ابن الضياء المكي (ت854هـ/1450م) : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المشرفة والقبر الشريف ، تح : علاء الأزهري أيمن الأزهري ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 ، ص08.

(7) عمر بن فهد المكي (ت885هـ/1480م) : الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تح : عبد الملك بن دهيس ، ط1 ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2000 ، ج1 ، ص06.

• النّجم عمر بن فهد(ت885هـ/1480م): ألف عدة كتب في علم التاريخ منها كتاب " الكمين بذيل العقد الثمين"، وهو تنمة لكتاب العقد الثمين⁽¹⁾.

أظهرت لنا هذه اللائحة التاريخية مؤرخين ومؤلفات أن بلاد الحجاز خاصة لمدينتي المقدستين لم تشهد أثناء العصر المملوكي ضالة تاريخية، بل من الأمور المكتشفة حسب الدراسات السابقة تطور الدّراسات التاريخية بشكل كبير أمثال مصنفات الفاسي ابن فرحون، النّجم عمر بن فهد الذين تركوا مخلفات أصبحت اليوم إرثاً تاريخياً، وذلك نتيجة الدور الهام للأمرء والسلاطين من خلال جهودهم الكبيرة لتنشيط الحركة التاريخية في الحجاز، وكذا التغيرات السياسية التي مرت بها المنطقة والتي كانت الحافز نحو التدوين.

2-3- تطوّر حركة التأليف التاريخي بالعراق وتطوّر مناهجها ما بين(ق07- 09هـ/13-15م):

مثلت المدرسة العراقية نموذجاً آخرًا للنشاط التاريخي ببلاد المشرق، وذلك بفضل اهتمام الخلفاء العبّاسيين والمغول الإيلخانيين بالعلم والعلماء والمنشآت العلمية وتطوير العلوم خاصة الدّراسات التاريخية التي تعد محل دراستنا. والتي شهدنا تعدداً في حقول التدوين التاريخي بدءاً من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي سواء كان تاريخ عام أو تراجم وطبقات وسيّر وغيرها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أبرز المؤرخين الذين مثلوا هذه المدرسة واحتوت كتاباتهم العديد من تفاصيل الأحداث اليومية التي شاعت بمدنها الأصيلة ، ومن المؤرخين الذين بدأ على يدهم السخاء والعطاء التاريخي المؤرخ الفدّ عزّ الدين ابن الأثير الجزري(ت630هـ/1233م). فقد غلب عليه حب التاريخ فكان حسب ابن خلكان: " إماما في حفظ الحديث ومعرفته، وما يتعلق به، وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة"⁽²⁾. دون أن ننسى براعته في تتبع أنساب العرب وأخبارهم وما يثبت ذلك كتابه الشهير "الكامل في التّاريخ"⁽³⁾.

يتوازي معه المؤرخ العراقي جمال الدين بن يحيى البغدادي المعروف بابن الدبيثي (ت639هـ/1231م)، الذي دون كتباً تاريخية وذيولاً منها : كتاب " ذيل تاريخ بغداد" ذكر فيه ما لم يذكره الخطيب والسمعاني من تراجم وأخبار⁽⁴⁾، كما ألف كتاب " تاريخ واسط"⁽⁵⁾.

(1) عمر بن فهد: المصدر السابق، ج1، ص31.

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج3، ص348.

(3) مصطفى شاكر: المرجع السابق، ج2، ص112.

(4) الفقيه والمحدث جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد البغدادي. نفس المرجع، ج2، ص116.

(5) العسقلاني : الدرر الكامنة، ص 365.

يختلف محبُّ الدِّين البغدادي المعروف بابن النِّجَّار (ت 643هـ/1245م)⁽¹⁾ عن سابقه كونه كثير الرحلة والتأليف حتَّى وصف كونه النَّمُودج الأَكْمَل للعالم المحصل المنتج في عصره ، دوّن مؤلفات خاصة نذكر منها :كتاب " التاريخ المجدد لمدينة السلام"⁽²⁾، كتاب " الدُّرَّة الثَّمِينَة في تاريخ المدينة"⁽³⁾. وإنَّ جُلَّ الدِّراسات التاريخية العراقيَّة الَّتِي تناولت التدوين التاريخي في العراق تقف وقفة اعتراف بدور المؤرِّخ الكبير البارِع الَّذِي نافَس سابقه ومعاصريه وترك بضمَّةً عندما نهل منه المؤرِّخ تاج الدِّين أبي طالب علي بن أنجب بن عثمان المعروف بابن السَّاعي البغدادي(ت 674هـ/1276م)⁽⁴⁾، الَّذِي ألف مؤلفات متنوعة الميادين والحقول التَّاريخية نذكر على سبيل المثال في التاريخ العام كتابه المعنون بـ "الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السِّير"؛ رتب فيه الحوادث والوفيات عبر السنين إلى غاية سنة 656هـ، ويشمل خمسة وعشرين مجلِّدًا⁽⁵⁾، أمَّا في التَّاريخ المحلي اشتهر بذيله عن " التَّاريخ المجدد لمدينة السَّلام" لأستاذه ابن النِّجَّار، يحتوي ثلاثين مجلِّدًا وغيرها من المؤلفات متعددة الحقول كالمناقب والطَّبقات وتواريخ الخلفاء⁽⁶⁾. وما يؤكِّد إطلاعه الواسع عمله خازنًا للكتب في دار العلم ببغداد وبالمدرسة المستنصرية النِّظامية العامرتين بعشرات الآلاف من المجلِّدات⁽⁷⁾.

ما يميِّز هذه الفترة بروز رجال السِّياسة في مجال التدوين التاريخي عقب الغزو المغولي للعراق حيث برز المؤرِّخ والسِّياسي علاء الدِّين أبو المظفَّر عطا ملك بن الصَّاحب محمَّد بن علي (ت 681هـ/1283م) الَّذِي أسهم بكتبه الفارسيَّة ككتاب " جهان كشا" المعروف باللُّغة العربيَّة "تاريخ فاتح العالم" المدوَّن في ثلاثة أجزاء أو مجلِّدات ؛ ويقصد به " تاريخ جَنكيز خان"، كما ألف ذيلًا حول نصير

(1) هو من كبار المحدثين والمؤرخين، ساح وارتحل أغلب أقطار العالم الإسلامي بين خراسان إلى مكة ومصر والشام ترك لنا عدة مؤلفات حديثة وتاريخية. لكن للأسف ضاعت الكثير منها وما بقي منها إلا عناوين. مصطفى شاکر: المرجع السابق، ص 117.

(2) قال عنه السخاوي: "وهو أحفلها ادخل فيه ما في كتاب ابن السمعاني وابن الديبشي، وزاد وأفاد، بحيث كان سبعة عشر مجلدا بخط الجمال بن الظاهري في الأوقاف. السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص 241.

(3) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج 2، ص 117.

(4) " كان مولده تاج الدين علي بن أنجب بن عبد الله بن عمار بن عبد الله المعروف بابن الساعي المؤرخ سنة ثلاث وتسعين وخمسائة، كان أديبا فاضلا، .. كتب عنه الشيخ زكي : ما زال تاج الدين طول المدى - من عمره يعنق في السِّير ". ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 386.

(5) حاجي خليفة: كشف الظنون، مج 1، ص 573.

(6) نفس المرجع، مج 1، صفحات 278-279-288.

(7) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج 4، ص 305.

الدّين الطوسي عن أحداث بغداد سمّاه " تسليية الإخوان" ، وكذا " ذيل تسليية الإخوان " . وقيل رغم ما احتوته هذه الكتب إلا أنّ قلمه كبح الكثير بسبب مكانته السياسية⁽¹⁾.

كثيراً ما يرفق علم التاريخ بالجغرافيا والمؤرّخ أبو يحيى عماد الدّين زكرياء القزويني الأنصاري (ت682هـ/1283مبواسط)، جمع الاثنين في كتابه " آثار البلاد وأخبار العباد" ذكر فيه أخبار الأمم وأحداث المدن والقرى والكائنات الحيّة⁽²⁾.

استطاع كذلك المؤرّخ ظهير الدّين ابن الكازروني(ت697هـ/1288م) الوفي للأسر العباسيّة أن يؤلف مجموعة موفقة من الكتب، لكن لم يبق منها إلا كتاباً تاريخياً واحداً ألا وهو " روضة الأريب " الذي تناوله في كتاب طبقات الشّافعية المؤرّخ ابن القاضي شهبة. ومن المؤرّخين الدّين نقلوا عنه ابن حجر في كتابه " الدرر الكامنة" عندما أشار إلى إبراهيم بن حموية الجويني قائلاً: " قال الظّهير الكازروني في تاريخه تزوّج صدر الدّين أبو المجمع بنت علاء الدّين صاحب الدّيون"⁽³⁾.

اشتهر خلال القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي مجموعة من المؤرخين مثل المؤرخ صفي الدّين محمّد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا الحسني(ت709هـ/1309م) ؛ الذي نشأ وترعرع بالموصل ، ثم ترأس نقابة العلويين بالحلّة والنّجف وكربلاء، عرف بكتابه " الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة "، ألفه لفخر الدولة عيسى بن هبة الله النصراني صاحب الموصل، متميّزاً بأسلوبه السهل الممتنع ودقة التعبير وقوة السّبك وحرية التفكير وسعة الأفق، دون أن ننسى نقده وتمحيصه للأحداث ومناقشتها مناقشة تاريخيّة. وبذلك يكون قد أسهم بجزءٍ مهمّ في بناء صرح عراقي باعتبار مؤلفاته ذات غاية سامية⁽⁴⁾.

نصف إلى ذلك كتابه الموسوم بـ "منية الفضلاء في تاريخ الرّواء" الذي صُبغ بصبغة تاريخيّة لكن للأسف كغيره لم يتم العثور عليه. والراجح أنه دون لعز الدّين بن إبراهيم الطيبي حاكم شيراز وبلاد فارس - أحد ملوك آل زنكي -، جمع فيه التاريخ الإسلامي بحلّة أدبيّة مقدماً إياه لخزّانة كتب الصّاحب الأعظم جلال الدين الزنكي شاه ابن بدر الدين الدامغاني، تم ترجمته إلى اللغة الفارسية من قبل هندوشاه النخجواني الذي انتهى من تأليفه سنة 724هـ مسمى إياه " تجارب السّلف" ، و من بين المؤلّفين وجود

(1) مصطفى شاکر : المرجع السابق ، ج 4 ، ص ص 313 - 314.

(2) نفس المرجع ، ج 4 ، ص ص 314 - 315.

(3) نفسه ، ص 317 . العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج 1، ص 67 .

(4) محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا(ت709هـ/1309م) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة ، دط دار صادر ، بيروت ، ص ص 13 - 16. ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب من معجم الألقاب ، ط 1 ، وزارة الثقافة والارشاد القومي - مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، 1962 ، ج 4 ، ق 3 ، ص 277. مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج 4 ، ص 319.

لبس عند المؤرخين المعاصرين، لكن زال اللبس لاختلاف الفكر والرأي⁽¹⁾. كما أن لابن الطقطقا مؤلفات أخرى مثل كتاب " الغايات"⁽²⁾.

شاع صيغ أديب ألف كتاباً تاريخياً نهل منه كبار المؤرخين وهو الأديب المؤرخ عبد الرحمن بن إبراهيم سبط بن قنينوا الإربيلي (ت 717هـ/1317م)⁽³⁾ منتج كتاب " خلاصة الذهب المسبوك في مختصر من سير الملوك " تحدث فيه عن تاريخ الإسلام، يشبه كثيراً مؤلف " مختصر التاريخ" للكارزوني⁽⁴⁾. كما لخص بن قنينوا كتاب " تاريخ الخلفاء " ابتداءً من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى منتهى الدولة العباسية فهو رغم تلخيصه إلا أنه ذو أهمية لولا الأخطاء التي أثرت عليه، فقد وجد مخطوطاً في مكتبة كوبريللي تحت رقم 1078 تحت عنوان " الدر الثمين " ، كما أنه نسب خطأ لبدر الدين محمد بن شهبة الدمشقي. وفي دار الكتب المصرية - الخزانة الزكية - هناك نسخة منقولة عنها كما طبع بطريقة سيئة في مطبعة بيروت سنة 1885م؛ وهي مطبعة القديس جاورجيوس، ثم أعيد الطبع بمكتبة المثني ببغداد تحت تصحيح مكّي السيد جاسم⁽⁵⁾.

إذا ذكرت سجلات المغول ذكر معها المؤرخ القدير الخواجه رشيد الهمذاني (ت 718هـ/1318م) وزير الدولة⁽⁶⁾ متقناً مجاريها التاريخية من خلال مؤلفاته ك " جامع التواريخ" المسمى تاريخ غازاني الذي يقع في ثلاث مجلدات، جمع فيه الأحداث من عهد رشيد الدين إلى تاريخ المغول ، والمؤلف واضح البيان وجامع المادة التي برهننت على ثقافته الواسعة⁽⁷⁾.

أما أبرز مؤرخي العراق في النصف الأول من القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي المؤرخ كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد المعروف بابن الفوطي الشيباني البغدادي (ت 723هـ/1323م) الذي برع في كتابة التاريخ مما استوجب تفويضه من قبل علاء الدين الجويني - صاحب ديوان العراق - لكتابة التاريخ والأحداث . مما ساهم في تأليفه آثار عدة منها : ذيل لكتاب

(1) عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، ط1، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد 1975، ص ص 132-133.

(2) ابن الفوطي : التلخيص ، ج4، ق2، ص784.

(3) اشتهر بالبلاغة وحسن النظم، امتدح ملوك الملوك وعانى التجارة ،من تلاميذه ابن الساعي. عباس العزاوي: المرجع السابق، ص 137.

(4) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج 4 ، ص 320.

(5) نفس المرجع ، ج 4، ص 320. عباس العزاوي: المرجع السابق، ص 138.

(6) " فضل الله ابن أبي الخير بن غالي الهمذاني الوزير رشيد الدولة أبو الفضل كان أبوه عطارا يهوديا فأسلم، واتصل بغازان فخدمه. ألف عدة كتب للأسف احترقت ". العسقلاني: الدرر الكامنة ،ج3، ص 232.

(7) عباس العزاوي: المرجع السابق، ص 139. مصطفى شاکر: المرجع السابق، ج 4 ، ص ص 324-325.

أستاذه ابن السّاعي - ذيل على كتاب الجامع المختصر - (1)، وكذا مؤلفه الكبير المعروف بـ " مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب" (2). عرف ابن الفوطي بسعة علمه وثقافته وجزارة مادته التي ساهمت في تطهيره، كما أنّه شغل منصب الأمر على خزانة كتب الرّصيد بمراعة بتاريخ (679هـ/1279م)، ثم عيّن للإشراف على خزانة المستنصرية الحاوية لعشرات ألوف الكتب (3).

وقد فعل مثل ذلك شيخ العراق على الإطلاق المؤرّخ صفّيّ الدّين أبو محمّد عبد المؤمن البغدادي الحنبلي المعروف بابن الشمائل (ت739هـ/1338م) عندما صنّف عدّة تصانيف عن التاريخ في مستهلها " مختصر تاريخ الطبري" الشّامل لأربعة مجلّدات ، وكذا كتاب " مرصد الاطّلاع في الأمكنة والبقاع " الذي اختصر فيه معجم البلدان باعتباره مؤلف جغرافي تاريخي (4).

كانت سمة التّدوين التاريخي شائعةً في القرن (9هـ/15م) سواء بعلمائها ومؤرّخيها، لكنّ الظروف لم تسمح ببقائهم فكثرت هجراتهم نحو مراكز أخرى مثل مصر وبلاد الشام . نتيجة الغزو التيموري على العراق إبّان الحُكم الجلائري، وتعرّض مدينة بغداد لغزوتين على أيديهم الأولى سنة (759هـ/1393م) والثانية سنة (802هـ/1401م) (5) وقتل على إثرها كفاءات علميّة ممّا أدّى إلى تدهور النشاطات الفكرية.

ليس ذلك فقط وإنما حرص تيمور على تهجير ونقل العديد من المؤرخين إلى سمرقند لكتابة تاريخه والأحداث التي وقعت في عهده ، وكان من بين من هجر المؤرّخ جمال الدّين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت828هـ/1424م) صاحب كتاب " عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب" (6) الذي ألفه بطلب من تيمور يحوي معلومات إدارية وسياسية قيّمة عن العراق قبيل الغزو التيموري

(1) حاجي خليفة : كشف الظنون ، مج 1 ، ص 572.

(2) ابن الفوطي : مجمع الآداب ، مج 1 ، ص 11.

(3) نفس المصدر، مج 1 ، ص 12.

(4) هو أبو محمد صفّي الدين عبد المؤمن بن أبي محمد كمال الدين عبد الحق البغدادي ، عالم بغداد ، ولد سنة (658هـ/1260م) ، اشتغل بالكتابة التاريخية فألف " منتهى الرسوخ في ذكر من أروى عنهم من الشيوخ ، مرصد الاطلاع في الأمكنة والبقاع " وغيرهما. العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج2، ص 419. عباس العزاوي : المرجع السابق ، ص ص 174-175.

(5) طارق الحمداني : التّدوين التاريخي في العراق ، ط 1 ، شركة بيت الوراق للنشر ، بغداد ، 2010 ، ص 78.

(6) " جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبة الأصغر بن علي عنبة الأكبر ابن محمد ابن يحيى بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد المعروف بابن الرومية، ابن داوود الأمير ابن موسى الثاني ابن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ". جمال الدين أحمد المعروف بابن عنبة (ت828هـ/1424م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني ، ط 2 ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1961 ، ص 12.

وبالإضافة إلى أخبار أشراف مكة ما بين القرنين السابع إلى التاسع الهجريين / الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلاديين، والروابط التي تربطهم بالحكام الجلائريين⁽¹⁾.

للأسف تكاد الحياة الفكرية العراقية بعد حكم الجلائريين تنعدم من حيث النشاط التاريخي سواء تحت سلطة فترة قرنيو (813- 872هـ/1410-1476م)، أو الآق قونيلو (872-905هـ/1467-1508م) لأن ما وصلنا عن العلماء والمؤرخين قليل لقلّة العناية بالتاريخ وحفظ التراث، إلا ما صورّه لنا المؤرخ العراقي الوحيد عبد الله بن فتح الله البغدادي المعروف بالغيثي (كان حيا 891هـ/1486م) في كتابه الشهير "التاريخ الغيثي"⁽²⁾.

صفوة القول فإنّ التدوين التاريخي في العراق خلال الفترة المدروسة يشهد تحولات نتيجة التغيرات السّياسية آنذاك خاصّة تعدد الأقوام التي تعاقبت على الحكم بداية من المماليك فالمغوليين الايلخانيين وكذا فترة الحكم الجلائري - التركماني، حيث يذكر المؤرخ طارق الحمداني في كتابه أنّ حالة التدوين التاريخي شابه الكثير من الغموض بسبب ما أصاب العراق، بالرغم من ذلك إلا أن العراق لم تكن خالية من المؤرخين داخلها أو خارجها⁽³⁾.

أمّا عن المناهج التاريخية فقد سلّم مؤرخو المدارس الشرقية خلال الفترة الممتدة (ق7-9هـ/13-15م) منهجين تاريخيين أساسيين أثناء التدوين التاريخي وهما: التاريخ حوالي (أي حسب السنين) والتاريخ حسب الموضوعات إمّا للدول أو الحكّام والسلاطين، أو لطبقاته أو السير.

أ- التاريخ الحولي (حسب السنين): يطلق عليه منهج الخبر الحولي أي يؤرخ المؤرخ للأحداث التاريخية سنة بعد سنة، أو يتمّ جمع مختلف الأحداث الواقعة في تلك السنة عن طريق ترتيبها بمصطلحات أو كلمات تدلّ على ذلك مثل: قول المؤرخ "وفيها"، وإذا أتمت تلك السنة، انتقل مباشرة إلى السنة التي تليها مستخدماً أدوات الربط أو جمل تشير إلى الانتهاء كقوله "ثمّ دخلت سنة كذا"..⁽⁴⁾ فقد عرف القرن (7هـ/13م) قلّة من مؤرخي الحوليات، فمن أمثلة المؤرخين الذين استخدموا هذا المنهج نذكر على سبيل المثال: ابن أبي طي (630هـ/1233م) الذي ربّ كتاب أحداث الزّمان على الأحرف الأبجدية في خمسة مجلّدات، وابن أصيبعة (668هـ/1271م) الذي اعتمد المنهج في كتابه "المختار في عيون التاريخ" وغيرهما⁽⁵⁾.

(1) للمؤلف كتابين شهيرين الأول؛ " بحر الأنساب"، والثاني؛ " عمدة الطالب". ابن عنبه: المصدر السابق، ص13.

(2) طارق الحمداني: المرجع السابق، ص 8.

(3) نفس المرجع، ص9.

(4) عبد الرحمن حسين العزاوي: التاريخ والمؤرخون في العراق (334-447هـ/945-1055م)، دط، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بغداد، 1993، ص 141. إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص146.

(5) إبراهيم فرغلي: نفس المرجع، ص ص 147-148.

أمّا في القرن (8هـ/14م) نذكر على سبيل المثال لا الحصر من المؤرخين الذين انتهجوا هذا المنهج في كتاباتهم التاريخية: ركن الدين الدوادر (ت725هـ/1324م) الذي رتبّ تاريخ الدول الإسلامية حسب السنين في كتابه "زبدة الفكر في تاريخ الهجرة في مصر"⁽¹⁾.

برز كذلك المنهج الحولي في كتابات مؤرخي (ق9هـ/17م) مثل: كتاب "العقود الدرية في الأمراء المصرية" لمحمّد بن الحسن بن عبد الهادي (ت826هـ/1419م) الذي رتبّ الأحداث حسب السنين إلى غاية أيام برسباي في مصر⁽²⁾. بالإضافة إلى قيام ابن الشحنة الجبلي (ت815هـ/1411م) بترتيب أحداث الأوائل والأواخر حسب السنين كهامش لكتاب ابن الأثير سمّاه "روض المناظر في علم الأوائل والأواخر". ببلاد الشام وغيرهما⁽³⁾. ومن الضروري تأكيد أن نماذج الحوليات كثيرة ليست هذه الوحيدة خاصّة إذا عدنا لكتابات التواريخ العامة التي كثيراً ما اعتمدت على هذا المنهج.

وفي الأخير يمكننا القول أنّ المنهج الحولي خاصّة الأبجدي لم يلق اهتماماً من قبل العامة، كما أن البعض انتقدوه بقولهم أنّه من العيب أن يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة المتواصلة حسب السنين، لكون المؤرخ سيعتمد على انتقاء الحوادث التي تخصّ سنوات الدراسة من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحادثة تبقى متفرقة ممّا يصعب على القارئ تتبعها أو دمجها⁽⁴⁾.

ب - التاريخ حسب الموضوعات: لا بدّ على المؤرخ أن يلتزم بها أثناء الدراسة التاريخية، ونعني بالموضوعات جمع الأحداث المترابطة المعلومات والاتجاهات وتصنيفها في عنصر واحد بالتسلسل دون تشتيتها حسب السنين مثل ما هو معمول به في منهج الحوليات. يتبع المؤرخ طريقة التأريخ إمّا للدول أو العهود الحكّام والخلفاء والسلاطين وغيرهم⁽⁵⁾.

ج - التاريخ للدول: ركّز فريق من المؤرخين المشاركة على الكتابة التاريخية حسب الأسر الحاكمة أو الدول أو العهود، كما ألف بعضهم في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين بهدف حفظ المسائل الأخلاقية والإدارية آنذاك ومثال على ذلك خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ المؤرخ الحسين الفاسي (ت660هـ/1262م) الذي ألف كتاب "تاريخ الأولياء" بمصر⁽⁶⁾، والمؤرخ أبو شامة كاتب كتاب "الرؤسيتين في أخبار الدولتين النورية والصّلاحية" وغيرهما⁽⁷⁾.

(1) السيوطي : المحاضرة، ج1، ص266. محمود رزق سليم: المرجع السابق، ص114.

(2) مصطفى شاكر: المرجع السابق، ج3، ص236.

(3) شوقي ضيف: المرجع السابق، ج6، ص115.

(4) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص149.

(5) محمد أحمد ترخيني: المؤرخون والتأريخ عند العرب، ط1، دار الكتب العلمية ودار الريف، بيروت، ص141.

(6) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص149.

(7) مصطفى شاكر: المرجع السابق، ج2، ص176-179.

أمّا القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي فقد لمع فيه النويري (ت732هـ/1332م) بموسوعة "نهاية الأدب في فنون الأدب" بمصر⁽¹⁾ والمؤرخ الشامي علم الدين البرزالي (ت739هـ/1240م) صاحب كتاب "المقتضى في التاريخ"⁽²⁾. فقد برع مؤرخو القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي كذلك نذكر منهم المؤرخ المصري تقي الدين المقرئ (ت845هـ/1441م) في كتابه الخطط المقرئية⁽³⁾، وكذا المؤرخ الشامي ابن الشحنة (ت890هـ/1486م) في كتابه "نزهة النواظر في روض المناظر"⁽⁴⁾، لكن ما يُعاب على هذا النوع من الكتابات المبالغة في وعظ العلماء وإهمال الأحداث البارزة.

د- التاريخ حسب الطبقات: عرف هذا النوع من المناهج في كتابات علماء الحديث وعندهم التركيز على العلماء الذين على دروسا السيرة والتراجم، لكن ذلك اكتسح ميدان التاريخ والدليل على ذلك كتابات مؤرخي مصر والشام والحجاز خلال الفترة ما بين (ق7-9هـ/13-15م) مثل: معاجم الشيوخ وتراجم الوفيات وكتابات الطبقات وغيرهم على يد ابن أبي أصيبعة الذهبي ابن أبي الدم وابن خلكان وابن شاعر الكتبي...⁽⁵⁾، ما يُلفت الانتباه الأسلوب التاريخي الذي واكب المنهج المتمتع بالبساطة والوضوح وكثرة استخدام السجع رغم ابتعاد العرض التاريخي من الآداب ومن هنا يمكننا القول أنّ الكتابة التاريخية تميّزت بأسلوبين الأسلوب المرسل الذي عرف عند معظم المؤرخين والأسلوب الأدبي الذي يجمع الأدب بالتاريخ⁽⁶⁾.

هـ- التاريخ العام والمحلي: نتج عن الشعور القومي اهتمام المؤرخين بالتاريخ العام للبلدان والأقاليم اعتزازاً بوطنيتهم وارتباطهم للأرض، مع العلم أنّ أغلب الكتابات التاريخية صبغت بصبغة دينية، وما وصلنا من مؤلفات أثبتت ذلك أمثال كتابات: ابن مسير، ابن العديم وغيرهما. كما وضعت مختصرات بهذه المؤلفات مثل الكتابات المختصرة لابن عساكر، ابن نضيف، ابن أبي دم وغيرهم⁽⁷⁾.

وخلصنا القول يمكننا الإشارة إلى تطور الكتابة التاريخية وأسلوبها خلال الفترة (ق7-9هـ/13-15م) حيث ركز المؤرخون على توثيق المادة التاريخية دون إسناد الخبر أحياناً وبأسلوب سهل ممتنع ومعتمدين على مناهج متنوعة الميادين.

(1) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص ص 62-64.

(2) مصطفى شاعر: المرجع السابق، ج4، ص 39.

(3) المقرئ: الخطط، ج1، ص 06.

(4) مصطفى شاعر: المرجع السابق، ج4، ص 94.

(5) محمد ترحيني: المرجع السابق، ص ص 143-144. السيد سالم: المرجع السابق، ص 140.

(6) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص 153. مصطفى شاعر: المرجع السابق، ج1، ص ص 399-400.

(7) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص 151.

وختلصة الفصل الأول يمكننا القول أنّ؛ هناك عوامل عدّة مكنت المشاركة من توفير مناخ ثقافي شجعهم على النشاط العلمي والفكري في مختلف العلوم أبرزها علم التاريخ، لكن إنتاجهم التاريخي كان متفاوتاً من حيث تنوع خصائص الكتابة والمناهج وفي فترات زمنية مختلفة . وذلك نتيجة الظروف التي حلّت على المراكز الثقافية المشرقية (مصر، بلاد الشام، بلاد الحجاز، العراق)، وعلى هذا وجدت المؤلفات التاريخية بكثرة رغم أنّ النشاط الفكري في المشرق الإسلامي للوهلة الأولى صبغ بصبغة دينية. ولا يمكن التغاضي عن كثرة الوسائط الثقافية التي لعبت دوراً هاماً في حركية النشاط الفكري التاريخي للمشرق الإسلامي، التي كانت تعجّ بالمؤرخين والعلماء والشيوخ الذين قصدوها لطلب العلم أو للتوظيف لأنّ من عادة المشاركة والمغاربة في العصور الوسطى الارتحال لنهل مختلف العلوم والاحتكاك بثقافات أخرى من أجل الارتقاء وتطوير معالم الحضارة العربية الإسلامية.

الفصل الثاني: خصائص المدرسة التاريخية المغربية ما بين (ق7 - 9هـ / 13-15م)

المبحث الأول : عوامل ازدهار الحركة الفكرية والتاريخية ببلاد المغرب الإسلامي ما بين (ق7 - 9هـ / 13-15م) .

المبحث الثاني: التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط ومناهجه

المبحث الثاني: التأليف التاريخي بالمغربين الأدنى والأقصى ومناهجهما

الفصل الثاني: خصائص المدرسة التاريخية المغربية ما بين (ق7 - 9هـ / 13-15م):

نال المغرب الإسلامي نصيباً عالياً من العلم والمعرفة ، عكس ما وصله الأمراء الحفصيين والزيانيين والمرينيين من وعيٍ فكري وثقافي، وكذا وجود طبقة مثقفة من العلماء والأدباء والفقهاء وغيرهم من ذوي الكفاءة الفكرية متنوعة الحقول ، بامتداد المغرب الإسلامي الذي تمتد أراضيه المباركة من الغرب المصري شرقاً إلى غاية المحيط الأطلسي غرباً، لتشمل المغرب الأدنى والأوسط والأقصى.

فالحديث عن النشاط الفكري للمغرب الإسلامي يُظهر الصورة السياسية المستقرة لهذه البلدان من جهة، ومن جهة أخرى النماء الذي شهدته الإنسانية جمعاء والمغاربة خصوصاً في هذه الحياة المليئة بالتوازنات والتنافسات والتأليف المتميز الذي ارتقى إلى الموسوعات البارزة في حقب زمنية سابقة ، وإزالة الغبار عن العلم والعلماء الذين عاشوا في هذه الحقبة ساهم في إنشاء منشآت تعليمية متنوعة. فالمدرسة مثلت الوسيلة والغاية في آن واحد لنشر الوعي الفكري الإسلامي المغربي آنذاك مؤدية أواراً دينية ودينيّة، باعتبارها ملُتقى توعوي للطلبة والمعلمين من مختلف أقطار العالم الإسلامي، بالتماثل مع مهام الكتابيب والجموع والمساجد وغيرها من المنشآت التعليمية التعلمية.

والتخصّص العلمي ميزة القرون الوسطى ، فقد لاحظتُ في المشرق الإسلامي من خلال تطريقي في الفصل الأول لطبيعة الحياة الثقافية وتنوع الحقول خاصّة حقول التاريخ التي تمثّل محل اهتماماتنا ونفس الشيء بالنسبة للمغرب الإسلامي. حيث دَوّنت (الفقه ، العلوم ، الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية) ، والأهم من ذلك الحياة الفكرية لأُم جعلت من علمائها وأدبائها ومؤرّسخيها الممثل الشرعي والرسمي لأدوارها.

علم التاريخ يعدُّ العلم الذي سجّل تاريخ العلوم الأخرى من خلال موسوعات تاريخية عميقة التدوين، ومتنوعة الميادين التاريخية. فبرز على غرار ذلك نفرٌ من المؤرّخين الذين سنتطرق إليهم ولمؤلفاتهم التي ألّفت خلال الفترة محل الدّراسة. ونتيجة لذلك عُنونْتُ الفصل الثاني بخصائص المدرسة التاريخية المغربية ما بين (ق7 - 9هـ / 13-15م). حيث يتضمّن ثلاثة مباحث فالمبحث الأول عنونته بـ "عوامل ازدهار الحركة الفكرية والتاريخية ببلاد المغرب الإسلامي". أمّا المبحث الثاني تناولت فيه التّأليف التاريخي بالمغرب الأوسط ومناهجه. لنصل إلى المبحث الثالث الذي تطرّقت فيه إلى التّأليف التاريخي بالمغربين الأدنى والأقصى ومناهجهما. ومن هنا نطرح السّؤال التالي: فيما تكمن خصائص المدرسة التاريخيّة المغربيّة؟.

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحركة الفكرية والتاريخية ببلاد المغرب الإسلامي:

1-1- المغرب الأوسط ما بين (ق7-9هـ/13-15م):

كثيراً ما يتبادر إلى الأذهان أن الحياة الفكرية والثقافية تسير على نفس النهج المتعلق بالظروف السياسية والعسكرية لأي شعب من الشعوب ولكن الغريب في الأمر أنه عكس ذلك، إنما تتبعنا المغرب الأوسط⁽¹⁾ خلال القرون التالية (ق7-9هـ/13-15م). فمختلف التغيرات والاضطرابات السياسية والعسكرية لم تُوقف النمو المعرفي والفكري الذي شهد أوج العطاء العلمي وخاصةً التاريخي خلال القرن (8هـ/14م) ليمتد ذلك إلى غاية القرن (9هـ/15م) وهي فترة حصاد الإنتاج الذي يعود إلى فترة الموحدين⁽²⁾. ومن هنا نتساءل ما هي العوامل التي ساهمت في تحقيق الرقي والتطور العلمي والتاريخي للمغرب الأوسط خلال فترة الدراسة؟. وكان الجواب على النحو الآتي:

أ- اهتمام السلاطين بالحركة الفكرية : تميّزت الحياة الفكرية للمغرب الأوسط بالتجديد والازدهار ويعود ذلك إلى عناية أمراء الدولة الزيانية بالعلم والعلماء، وتشبيدهم لمراكز ثقافية ومؤسسات تعليمية منذ تأسيس دولتهم إلى سقوطها، حيث يُمكن أن ندرج ذلك ضمن التنافس الذي ساد المنطقة فكرياً.

فبالرغم من الابتلاء الذي بلي به المسلمين في عدة مناطق من العالم مغرباً ومشرقاً، إلا أن المغرب الأوسط شمل مركزاً حضارياً ألا وهي تلمسان⁽³⁾؛ التي كانت الكتابات تغفل ازدهارها الثقافي ونهضتها الأدبية لولا الدراسات البحثية التي أشارت إلى كثرة العلماء وإنتاجهم الفكري واصفةً ذلك التطور بالنمو، كما سُميت بتسميات عدة منها: "الحركة الفكرية"، "الازدهار الثقافي" و"النُبوغ الأدبي" وغيرها وهي نعوت كانت تطلق على الإنتاج التاريخي أو الفقهي أو الأدبي كدليل لمصطلح الثقافة⁽⁴⁾.

(1) المغرب الأوسط : عبارة عن إقليم يشمل مدن عدة قاعدتها مدينة تلمسان وحد المغرب الأوسط من وادي مجمع، وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان وبلاد تازة من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد "...". مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، دت، ص176.

(2) خالد بالعربي: ملامح الحركة العلمية في تلمسان خلال القرن (8هـ/14م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ع2، 2002-2003، ص225.

(3) تلمسان: مدينة تقع في الشمال الغربي للمغرب الأوسط، وقيل أن أصل اللفظ أمازيغي مركب من شقين "تلم" التي تعني "تجمع"، و"سن" تعني اثنان. وقيل كذلك في "تقويم البلدان"، وكونها تقع من المغرب الأقصى متاخمة للغرب الأوسط الشرقي فاس يميله إلى الشمال، تميزت بأهمية بالغة ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م) باعتبارها الشعاع الفكري للمغرب الأوسط وعاصمة دولة بني زيان. الفلشندي: صبح الأعشى، ج5، ص ص 149-150. مؤلف مجهول: الاستبصار، ص176.

(4) محمد بن أحمد بن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية - دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني -، د ط، دار الثقافة للتوزيع، الدار البيضاء، 1985، ص131.

وتجدرُ الإشارة إلى دور تلمسان منذ النِّصف الأوَّل من القرن السَّابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وكذلك توجهات ملوكها منذ تأسيس الرِّيائيَّة على يد يغمراسن بن زيَّان بن ثابت⁽¹⁾ الذي ما وَطَّئَتْ أقدامه السُّلطة إلاَّ وضع من بين اهتماماته العناية بالعلم والعلماء ، حيث يشير إلى ذلك التنبيه في كتابه "تاريخ بني زيَّان" قائلاً: ".واستعمل ما يورث الملك كمالاً وجمالاً في هديه وسمته فانتخب الوزراء والحجاب، وانتقى القواد والكتاب.."، وإن قلنا الكتاب إشارة لوظيفة الكتابة التي لاقت اهتمام السُّلاطين والملوك في مختلف الأقطار الإسلامية.⁽²⁾

يمكنُ استرجاع ريادة تلمسان الثقافيَّة إلى النُّزعة العلميَّة والثقافيَّة التي مثلت منطلقها أولى سلاطينها وأمرائها المُتمتعين بالرَّغبة وإرادة قويَّة للعلم والعلوم كالآداب والتاريخ والعلوم الشرعيَّة بالخصوص، ممَّا جعل تلمسان قبلةً للمغاربة والأندلسيين وكذا المشارقة، حيث يؤكدُ ذلك ابن خلدون في كتابه "المقدِّمة" بالقول: "وأما المغرب فانتقل إليه من دولة الموحدين من الأندلس حظٌّ كبيرٌ من الحضارة..⁽³⁾

تنافس أمراءُ وسلاطين المغرب الأوسط في مجال العلوم والآداب، كما أنَّ العلماء كانوا يرون من انتمائهم لبلاطاتهم تشريفاً وتكريماً، وعن يغمراسن يُقال: "لَهُ في أهل العلم رغبةٌ عاليةٌ يبحثُ عليهم أين ما كانوا ويستقدِّمهم إلى بلده ويقابلهم كما همُ أهلُه"⁽⁴⁾. وهذه الميزة جعلتهُ يبذلُ مجهوداتٍ للبحث عن أيِّ عالمٍ ليسبقه إلى بلاطه قبل أن يبيح احتوائه من الحُصَّيين أو المرينيين المنافسين لهم كذلك. فقد سار أبو سعيد عثمان (ت703هـ/1303م) على نفس النهج الثقافي الذي وضع أسسه والده فنبغ بلاطه بمن توسَّم فيهم النَّباهة والبراعة الأدبية العلميَّة⁽⁵⁾.

(1) يغمراسن بن زيَّان بن ثابت: ولد سنة (603هـ/1206م)، وامتدت فترة حكمه من (633-681هـ/1236-1283م). عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980، ص 354-355.

(2) محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م) : تاريخ بن زيَّان ملوك تلمسان، تح، محمود آغا بوعبيد، دط ، طبعة وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، الجزائر، 2011، ص115.

(3) عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ، د ط ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ، 1968، ص126.

(4) التنسي : المصدر السابق ، ص126

(5) أبو سعيد عثمان: ولد سنة (639هـ/1239م) عرف بشهامته وحبه للعلم والعلماء فأوى العديد من الكتاب وأكرمهم فبالرغم من منحاه العسكري إلا أن فترة حكمه أبرزت الشعاع الفكري لدولة بني زيَّان إلى غاية وفاته يوم السبت عشرة ذي القعدة سنة ثلاث وسبعمئة وعمره أربع وستون سنة. أبي زكريا يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تح: عبد الحميد حاجيات، طبعة خاصة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011، ج1، ص 229-232.

كما جعل السلطان أبو حمو موسى الأول (ت 718هـ/1318م)⁽¹⁾ . تلمسان حاضرة علمياً ومقصد العلماء من خلال تشييد عدة مدارس في المغرب الأوسط وكذلك انتهج أبو تاشفين الأول (737هـ/1337م)⁽²⁾ . أما السلطان أبو حمو الثاني (ت 791هـ/1389م)⁽³⁾ وقد تميز بشخصيته العلمية في التأليف كشاعرٍ وأديبٍ وناقدٍ ، ممّا سمح له بإعطاء العلماء والطلبة فرص الارتقاء الفكري فلذلك تعتبره الدراسات فريد عصره. وأشاد به عدّة مؤرّخين منهم الذي قال عنه : " وبالجملة فالسلطان حمو هذا رحمه الله تعالى كان أوحّد الملوك في استجماع خصال الفصل علماً وأدباً وجوداً وشجاعةً وغيرها من الخصال البر. أمّا العلم فقد كان طالباً له في صغره معتنياً به في كبره...". ويضيف قائلاً : "قال بعض المؤرّخين وأما اعتناؤه بالعلم وأهله فأمر بقصر اللسان على الإحاطة به"⁽⁴⁾.

وقد أثرى الحركة الثقافية السلطان أبو زيان محمّد الثاني (ت 801هـ/1399م)⁽⁵⁾ من خلال تأليفه "الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمانة" ، وكذا لشغفه بجمع المؤلفات التي اختوتها خزنة المسجد الأعظم بتلمسان فقليل أنه كان يجالس أهل الفضل والعلم مشجعاً إيّاهم على التصنيف⁽⁶⁾.

أمّا إسهامات السلاطين الزيانيين لإثراء الحياة الثقافية فتظهر جلياً في مساندة العلماء والمؤرّخين على التدريس والتأليف بمدينة تلمسان مثل تشجيع يغمراسن بن زيان للشيخ العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680هـ/1306م)⁽⁷⁾ ، وأخوه أبو الحسن (ت 706هـ/1306م) ، كما استدعى لبلاطه الشيخ أبي بكر محمّد بن عبد الله بن خطاب المدسي الأندلسي (ت 686هـ/1287م) من أجل كتابه لرسائل السلاطين الجوار آنذاك، وعلى نفس النهج سار السلطان أبو سعيد عثمان الذي أبقى بمختلف علماء

(1) أبو حمو موسى الأول : تميزت فترة حكمه (707-718هـ/1308-1318م) بإصلاح كل ما تم تهديمه على يد المرينيين وكذا استعادة كل ما فقدته الدولة وذلك تجسيد السياسة يغمراسن. مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية - الأحوال السياسية- ، د ط ، منشورات الحضارة ، الجزائر، 2009 ، ج1، ص ص 10-11.

(2) أبو تاشفين الأول: أقوى أمراء الدولة بعد يغمراسن، شهدت تلمسان على عهده ازدهاراً في شتى المجالات، كما شيّد مدرسة استمرت حتى فترة الاحتلال الفرنسي دامت فترة حكمه (718-737هـ/1318-1337م). نفس المرجع ، ج1 ص12.

(3) أبو حمو الثاني: تمكن من الوصول إلى السلطة بعد الأميران أبو سعيد وأبو ثابت (749هـ/1350م) حيث استطاع أن يعيد تلمسان إلى أمجادها رغم الأخطار الخارجية المرينية والحفصية. نفسه ، ج1 ، ص ص 13-16.

(4) أبو العباس سيدي أحمد بن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، د ط ، طبع بمطبعة فونتانة ، الجزائر 1902 ، ص166.

(5) أبو زيان محمّد الثاني : بويح المولى أبو زيان في غرة شهر ربيع الثاني من سنة ستة وتسعين، فأقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في نظم مجالسها واتساقها. التنسي : المصدر السابق ، ص210.

(6) نفس المصدر ، ص211.

(7) ترك أبو إسحاق سمعة علمية طيبة في مختلف الأقطار التي زارها. عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني ، د ط موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002 ، ج2 ، ص330.

ومؤرخي بلاط والده⁽¹⁾. قرّب السّلتطان أبو حمو موسى الأول مجموعة من أهل الفكر مثل الإمام⁽²⁾ أبي زيد وأبي موسى المتخصصان في الفتوى والشورى، كما برز الفقيه أبو موسى عمران المشذالي البجائي (ت745/هـ/1345م)⁽³⁾ على عهد السلطان أبو تاشفين الأوّل ومن الأسر العلمية التي ذاع صيتها علماً وأدباً وتدويناً للتاريخ نذكر أسرة بني الملاح التي اشتهر منها قاضي الجماعة وكاتب السير أبو عبد الله محمّد بن منصور المعروف بابن هديمة القرشي (ت735/هـ/1335م)⁽⁴⁾.

فالريادة العلمية والفكرية اكتسبتها الدولة الزيانية من إقبال أهل العلم، فقد برع في ذلك من الأمراء السّلتطان أبو حمو موسى الثاني الذي وصفه ابن الأحمر قائلاً: "تمسك بالعلم فسما في سماء المعالي وتحلّى بالحلم فعلا على المعاني وبرع في نظم القريض، وجمع نور روضة الأريض وجاز من الشرف بذلك، ما أنسى به شرف كل مالك وعقله عقل به جماح الأمور، وبهاؤه بذكره الركبان (تدور؟)"⁽⁵⁾. وهذه الملكات الزيانية ساهمت في إثراء الفكر بتلمسان، حيث تحرّرت الأفكار من التدهور وأتاحت فرص عدّة للبحث والحوار العلمي والحياتي باعتبار أغلب الأمراء يتمتعون بثقافة عميقة الحقول، ساهمت كذلك اتصالات أمراء بني زيان برجال الفكر في ازدهار الحياة الثقافية من العائلات العلمية التي لاقت عناية

(1) عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 321.

(2) ابني الامام : يقول عنهما ابن مرزوق: "هؤلاء قداماء أصحابنا الذين أدركنهم في حضرته ، وبعد استيلائه على مدينة تلمسان لازمه الشيخان الإمامان الأوحدان إماما عصرهما الأخوان الشقيقان أبو زيد محمد بن عبد الرحمن ، وأبو موسى عيسى". محمد ابن مرزوق التلمساني (ت781/هـ/1379م) : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن تاح: ماريا خيسوس بغيرا ، دط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981، ص265.

(3) الشيخ الفقيه المتقن أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي ، له مشاركة في علم المنطق وعلم العربية ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني (ت714/هـ/1314م) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ط1 ، دار البصائر للتوزيع والنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص ص105 - 106.

(4) بن هديمة القرشي: فقيه وقاضي بمدينة تلمسان، عرف بنباهته وصرامته ، فقد كان أثيراً عند سلطانه لإصابة عقله وأصالة رأيه ، كاتباً بليغاً للرسائل المطولة في المعاني الشاردة ، ذا حظ وفير من علم العربية واللغة والتاريخ ، أبو الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأندلسي (ت بعد792/هـ/1390م): تاريخ قضاة الأندلسي - سماه كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاة والفتيا- تح : لجنة إحياء التراث العربي ، ط5 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983 ، ص ص 134-135.

(5) أبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر(ت708/هـ/1308م): أعلام المغرب والأندلس - وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان - ، تح : محمد رضوان الداية ، دط ، مؤسسة الرسالة ، وهران ، 1975 ، ص 110.

أميرية عائلة التنسي على رأسها أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي⁽¹⁾ الذي أشار إليه محمد بن عبد الله التنسي قائلاً : "وله في أهل العلم رغبة عالية يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهلهم، ومن أعلم من كان في زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، كانت الفتاوى تأتيه من إفريقية وتلمسان إلى تنس"⁽²⁾، كما برز في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني علم الشرفاء أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى⁽³⁾.

نستنج مما سبق أن الحركة الفكرية للمغرب الأوسط خلال فترة الدراسة امتازت بإزدهار ملحوظ في مجالات عدة، حيث حظيت العلوم الإنسانية بعناية قصوى، وذلك نتيجة تشجيع الأمراء الزيانيين وولاتهم لكون أغلبهم لهم نصيب كبير من العلم، وكانوا يستقبلون العلماء والكتّاب ويهتمون بهم ، فبعد نظرة عامة عن فترة الموحيدين ومقارنةً بالفترة الزيانية توصلنا إلى أن مرحلة الموحيدين تطوّرت فيها العلوم الدينية والعلوم اللسانية على غرار فترة الزيانيين التي ازدهرت فيها العلوم الاجتماعية والطبيعية. ولم تكن تلمسان المركز الثقافي الوحيد أثناء (ق7-9هـ/13-15م) وإنما ظهرت مراكز ثقافية ثانوية أخرى بالمغرب الأوسط نذكر من بينها:

- 1- وهران: برزت كمدينة حضارية ثقافية خاصة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي التي استقر بها عدة علماء وشيوخ، كما تأسست بها زاوية على عهد الشيخ محمد بن عمر الهواري⁽⁴⁾.
- 2- معسكر: تراجع الدور الريادي للدولة الزيانية أدى رجال الزوايا إلى تشييد مؤسسات داخل أراضي الدولة الزيانية وخارجها منها زاوية رأس الماء التي تمّ بناؤها على يد محمد ابن يوسف الملياني⁽⁵⁾.
- 3- قلعة بني راشد: مثلت بؤرة توتر بالنسبة للفقهاء باعتبارها إحدى أراضي الدولة الزيانية ، نتيجة تفشي البدع والخرافات ، فكان لا بدّ من محاربتها⁽⁶⁾.

(1) أبو إسحاق التنسي: فقيه جليل وحافظ وأديب من أكابر علماء تلمسان ومحققها. أبي عبد الله محمد الملقب بابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة: محمد ابن أبي شنب، دط ، طبع في المطبعة الثعلبية الجزائر، 1908، ص248.

(2) التنسي: المصدر السابق، ص126.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد ابن القاسم بن حمود بن علي بن عبد الله بن ميمون بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهكذا وجد نسبه بخط والده عبد الله الشريف رضي الله عنه الشريف الحسني التلمساني إمامها وعالمها بل إمام المغرب قاطبة . ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص164.

(4) مختار حساني : المرجع السابق ، ج 2 ، ص235.

(5) نفس المرجع ، ص247.

(6) نفسه ، ص258.

4- بجاية: تعتبر قبلة للعلماء والفقهاء والمؤرخين، وذلك راجع إلى موقعها الاستراتيجي وقربها الجغرافي من مختلف الثغور المغربية والأندلسية ففي العهد الحفصي برزت بأعلام كثير ترجم لهم الغبريني في كتابه "عنوان الدرابة" حيث يقول: "وقد رأيتُ أن أصب بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبي مدين والشيخ أبي علي المسيلي والفقهاء أبي محمد عبد الحق الإشبيلي" (1).

5- تلمسان مركز الحضارة بالمغرب الأوسط :

دعمَ بنو زيّان الحركة الفكرية بتلمسان مُسايرةً لدرب الموحدين (2) ، لكنهم تميّزوا بسياسية ثقافية تتعلّق بالأمور الدينية والدنيوية، فشيدت لتسهيل تلك الأمور زوايا ومساجد ومدارس لتدريس مختلف العلوم منها الفقه وفق المذهب المالكي (3)، وسُميت هذه المرحلة بالفترة الانتقالية من انتشار المبادئ الموحدية إلى المذهب المالكي، حيث فتح المجال من قِبَل الدولة لتدريس كتب دينية نذكر على سبيل المثال: كتاب "الموطأ" للإمام مالك (ت179هـ/745م) والمُدونة لابن سحنون (ت240هـ/854م) ، فسار على ذلك المذهب المالكي هو المذهب الرّسمي للمغرب الأوسط منذ النّصف الأوّل من القرن السّابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ليس دولة فقط وإنما مذهب المجتمع كذلك، أمّا المذاهب الأخرى لم يكن لها صدى خاصّة المذهب الشّيوعي (4).

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص07.

(2) الفكر الموحدي : يشير محمد المنوني إلى الطابع السائد عند الموحدين دينياً قائلاً: "ويظهر طابعهم الديني اهتمامهم به على أتم ما أعرف ، فقد كانت لهم همة عالية في الجهاد، وكان يعقوب يريد أن يجعل من الأندلس دار إسلام" . ويضيف قائلاً: " وبالجمال كانوا يريدون أن ينشروا حضارة مطبوعة بطابعهم الثلاثي: العظمة ، الدين ، التجديد". محمد المنوني: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989، ص ص 12- 13 .

(3) المذهب المالكي: " ما ذهب إليه الامام بن مالك رحمه الله من آراء في المسائل الاجتهادية وما ذهب إليه أتباعه فيها بناء على قواعده وأصوله ، وأما ما كنت أحكامه منصوصة في الكتاب والسنة فإن هذا لا يعد مذهباً له ، وإنما ينسب إلى الله ورسوله". محمد المختار محمد المامي: المذهب المالكي - مدارسه ومؤلفاته، خصائصه وسماته -، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين (الإمارات)، 2002، ص24 . عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص377.

(4) المذهب الشيعي الإمامي: يطلق على فرقة يعتقدون أن الإمامة أي رئاسة الدولة قد حصرها الله سبحانه وتعالى في اثني عشر إماماً ابتداءً بأمر المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وانتهاءً بمحمد بن الحسن العسكري المولود سنة 256هـ والمتوفى سنة 261هـ وتسمى الشيعة الإمامية أو الجعفرية لأنهم اعتمدوا على مذهب أحد أئمتهم في الفقه هو جعفر الصادق. أحمد محمد التركماني: التعريف بمذهب الشيعة الإمامية، ط1، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان، 1983 ص ص 09- 10.

كما كان لبعض التيارات الفكرية دور في المنطقة مثل : تيار الاجتهاد⁽¹⁾ ، التصوف⁽²⁾، السلفي⁽³⁾ مع المذهب الأشعري⁽⁴⁾ الذي ساد تلمسان تحت الرعاية السامية لسلاطينها⁽⁵⁾.

ويتضح من هذه الفقرة أنّ الاختلاف المذهبي بالمغرب الأوسط كان لاكتساب المزيد من المساندة الشعبية والظفر بالمكانة الرفيعة لدى مختلف شرائح المجتمع سواء حكام أو محكومين. وعلى العموم رغم الاختلاف إلا أنّ ذلك يُعتبر إيجابياً من حيث فتح آفاق التفكير والتعاشير الفكري مما ساهم في منح المنطقة مكانة من جهة وجعلها تنتعش مثلها مثل المشرق الإسلامي والأندلس بداية من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى غاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. كما أشرنا سابقاً ظلت تلمسان مركزاً حضارياً وبلد علم وعلماء ومركز مذاهب السنة والجماعة طيلة فترة الدراسة ، وذلك بفضل جهود سلاطين الدولة الزيانية الذين وصلتنا انجازاتهم في كتب التاريخ والتراجم ، التي أشارت إلى مؤلفاتهم مختلفة العلوم والمعارف، كما ساهمت الرحلات العلمية والتنافس العلمي بين ملوك الدولة في تنشيط الحركة العلمية فعمرت الكتابات وكثرت حلقات العلم⁽⁶⁾.

1-2- الرّحلات العلميّة لعلماء المغرب الأوسط إلى الحواضر المشرقيّة ودورها في الحياة الفكرية: أتنى المؤرخون على دور الرّحلة العلمية في الازدهار الفكري باعتبارها المنفذ الجغرافي والثقافي للإنسان طلباً للرزق أو للمعرفة ، خاصة وأنّ الإنسانيّة منذ الأزل تمتعت بالهجرة والرّحلة لأهداف وغايات متنوعة فلذلك أشارت إلى أهميّة الرّحلة الباحثة فردوس أحمد بت قائلة : فهي منابع ثريّة لمختلف العلوم يُمكن أن يُقال

⁽¹⁾ تيار الاجتهاد : يشير ابن مريم التلمساني إلى وجود صنفين من حيث درجة الاجتهاد فالصنف الأول: "مجتهد بإطلاق وهو المطلع على قواعد الشريعة المحيط بمداركها العارف بوجوه النظر..". أما الصنف الثاني: "يجتهد في مذهب معين وهو الذي يطلع على قواعد هامه ويحيط بأصوله ومآخذه التي يستند إليها ويعتمد عليها..." ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص ص 178-179.

⁽²⁾ التصوف: تعددت مفاهيم التصوف في كتاب الرسالة القشيرية للإمام أبو القاسم القشيري ومن الإشارات المذكورة قال الكتاني: التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء" وغيرها. أبو القاسم القشيري (ت465هـ/1073م): الرسالة القشيرية ، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، دط ، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة 1989، ص466.

⁽³⁾ السلفية : هناك اختلاف في حياتنا الفكرية حول مصطلح السلفية فهناك من يراهم تيار محافظ ورجعي ، وهناك من يراهم كذلك تيار تحرري . محمد عمارة : السلفية ، ط1 ، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة ، دت ، ص05.

⁽⁴⁾ المذهب الأشعري : انتشر على يد مؤسسه أبي الحسن الأشعري (ت324هـ/935م) وكذا على يد الباقلاني (ت403هـ/1012م) ، عبد الله سهلي : الأطوار العقديّة في المذهب الأشعري ، ط1 ، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع الرياض ، 2014 ، ص ص 10-11.

⁽⁵⁾ عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج2 ، ص387.

⁽⁶⁾ نفس المرجع ، ج1 ، ص ص 141-145.

إنَّها بحرٌ من المعارف والاكتشاف وسجل حقيقي لمظاهر الحياة المختلفة⁽¹⁾. فالرحلة ركيزة أساسية لانتقاء مختلف العلوم العقلية والنقلية ومقصد علمي امتثالاً كما حثت عليه الشريعة الإسلامية حيث ورد في القرآن الكريم ذكرها بقوله تعالى "إِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)" صدق الله العظيم⁽²⁾. كما روَتْ الأحاديث النبوية فضل الرحلة لطلب العلم منها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"⁽³⁾.

فقد أكدَّ علماء المغرب الأوسط قيمة الرحلة علمياً حيث يقول ابن قننذ القسنطيني (ت810هـ/1410م) : "وكانت الرحلة وما زلت شرفاً لكل طالب علم وكان اقتصار طالب العلم على شيوخ بلده يقدح في قيمة ما يحمله من علم"⁽⁴⁾.

لدى شدِّ الرِّحْلِ عدَّة علماء من المغرب الأوسط نحو أقطار إسلامية زاخرة بالثقافة والعلوم مغرباً ومشرقاً، ونخصُّ بالذِّكر هذه الأخيرة التي شهدت أزهى الفترات الفكرية في ظلِّ اهتمام الحكام بالعلماء وطلبة العلم ، والتي أثرتْ وأثروا على كتاباتهم بأرائهم وأفكارهم المتنوعة والمختلفة ، ولذلك عجت القاهرة وبغداد ودمشق والمدينة المنورة ومكة وغيرها بوجودهم الذي أضفى على الحركة الفكرية آنذاك. فبرز إثر ذلك عدَّة علماء ومؤرخين مغاربة يتمتعون بغزارة التأليف والحجَّة في الفقه والتفسير والنحو والأدب والتاريخ تاركين لنا آثاراً علمية وتاريخية من خلالها تكوَّنت المدرسة التاريخية والعلمية بالمغرب الأوسط ما بين (ق7-9هـ/13-15م)⁽⁵⁾.

فقد انتقل علماء المغرب الأوسط إلى بلاد المشرق الإسلامي نذكر منهم الفقيه أبا إسحاق إبراهيم التنسي (ت680هـ/1281م) الذي تتلمذ على يد علماء القاهرة والشَّام، وكذلك أبا عبد الله محمد بن إبراهيم

(1) فردوس أحمد بت : أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية ، مجلة اللغة، الكتاب الثاني، ع2 ، دم ، يناير مارس1437هـ/2016 ، ص26.

(2) سورة قريش (الآية 1 و2).

(3) أبي عيسى الترمذي (ت679هـ/1279م) : الجامع الكبير، تح ، بشار عواد معروف ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1996 ، مج4 ، ص386.

(4) ابن قننذ القسنطيني : شرف الطالب في أسنى المطالب ، تح: عبد العزيز صغير دخان، ط1، مكتبة الرشد ناشرون الرياض ، 2003 ، ص22.

(5) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 327-328.

الآبلي (757هـ/1356م)⁽¹⁾ الذي انتقل إلى مصر وبغداد ليستقر بكريلاء⁽²⁾، وكذا أبا عبد الله محمد الحسيني المعروف بالشريف التلمساني (771هـ/1369م)⁽³⁾ الذي حضر عدة مجالس بمصر والحجاز بالإضافة إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب (781هـ/1379م)⁽⁴⁾، حيث اختلفت الكتابات التاريخية عن عدد سفراته إلى بلاد المشرق سواء الحج أو طلب العلم، أما أبا عبد الله محمد بن محمد مرزوق الحفيد (842هـ/1438م)⁽⁵⁾ فقد غرب وشرق لنهل العلم حتى أصبح مشهوراً في حاضرتي مصر والحجاز خاصةً. دون أن ننسى كل من محمد بن إبراهيم بن الإمام التلمساني (845هـ/1441م)⁽⁶⁾

(1) قال عنه تلميذه المقري أنه أخذ العلم بتلمسان على أبي الحسن التنسي وابن الامام ثم سافر في آخر السابعة للمشرق الإسلامي مرتحلاً ما بين مصر والشام والحجاز والعراق ليعود إلى تلمسان بعد ذلك. أما نظرتة للتأليف فكان يقول أن الكثرة منه أفسدت العلم. لازم عدة سلاطين في المغرب الأوسط والأقصى، كما التقى بعدة علماء شرقاً وغرباً إلا أن وفاته المنية بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمئة. أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1631م) : **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تح: إحسان عباس ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، دت ، مج5 ، ص244. أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، تقديم: عبد الحميد الهزامة ، ط2، منشورات دار الكتاب ، طرابلس، 2000، ص ص 411-416. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص215. أحمد ابن القاضي المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1973 ، ص ص 304 - 305.

(2) عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص330.

(3) إمام المغرب قاطبة ؛ كان أعلم أهل عصره ، أخذ العلم من عدة شيوخ ، كما تتلمذ على يد ثلة من العلماء ، ارتحل إلى تونس والمغرب مملأ المغرب معارف ، كما اعتلى عدة مجالس علمية مثل مجلس السلطان أبو عنان بفاس وكذلك بمصر والحجاز. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص ص 164-184.

(4) من أهل تلمسان كان مولده سنة عشر وسبعمئة ، ارتحل مع والده إلى المشرق وجاوروا الحرمين الشريفين ، ثم عاد إلى القاهرة ليقوم فيها ، فقرأ على يد برهان الدين الصفاقسي المالكي وأخيه وبرع في عدة علوم. عاش فترات الاستقرار والاضطرابات التي شهدت المغرب والمشرق. عبد الرحمن ابن خلدون : **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً** ، دط منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ، 1979 ، ص50.

(5) ولد سنة (766هـ/1364م) من أسرة أصلها قيرواني ، استقرت بتلمسان. عرف بالترحال حيث اتصل بالمشرق فدخل مصر والقاهرة آخذاً ممن لقي بها من حلة العلماء ، كما لقي بمكة جمع آخر ونهل منهم. الشوكاني: **البدر الطالع** ، ج2 ص ص 119 - 120.

(6) هو محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان ابن محمد بن الامام أبو الفضل التلمساني كان إماماً علامة محققاً حجة نظاراً معاصر للحفيد أبي مرزوق، من بيت علم وشهرة وجلالة "ويصف قائلاً التنبكتي:" وقال السخاوي: رحل في عام عشرة وثمانمئة فأقام بتونس شهر ثم قدم القاهرة، فحج وعاد إليها ثم سافر في اثني عشر فزار القدس وتزاحم عليه الناس بدمشق لفضله واجلوه". أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج** ، تح: محمد مطيع ، دط ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 2000 ، ج2 ، ص156.

الذي أدخل غرائب الكتب المشرقية إلى بلاد المغرب وقاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م)⁽¹⁾ . نستنتج ممّا سبق أنّ رحلة علماء المغرب الأوسط نحو المشرق الإسلامي ساهمت في تطوير مختلف المجالات الثقافية والفكرية وبالتالي انتشرت لتشمل عامة الشعب ، وذلك يعود إلى عوامل مساهمة في ذلك من بينها حرية التنقل بين الحواضر رغم الاضطرابات التي كانت تعاني منها المنطقتين سياسياً وكذا تشجيع السلاطين للعلماء من أجل البقاء وتناول المعارف وتبادل الإجازات. إنّ قلنا الحركة الفكرية حققت التطور والازدهار بفضل السلاطين وانتقال العلماء من المغرب الأوسط نحو الحواضر الإسلامية، فإنّ المؤلفات لا يمكن أن تنتشر إلا بوجود دار الوراقة والاستنساخ والتجليد بهدف حفظها كتراث مادي.

أ- الوراقة ودورها في حفظ التأليف بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م):

تعددت العوامل المساهمة في تطور الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط على عهد بني زيّان، فإن كان للسلاطين دور في ذلك، فإنّ الدعائم التي وفروها لا تقل أهمية أبرزها فن النسخ الذي لولاه لما وصلتنا أمّهات الكتب سواء الدينية أو الأدبية أو العلمية حيث يقول في ذلك "ابن خلدون" كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط ، وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة"⁽²⁾ ؛ وهذه الصناعة ساهمت في تعدد التأليف العلمية والدواوين مما أدى للتطور الحضاري.

تنامت عملية النسخ في المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة على يد مجموعة من العلماء واللغويين والمؤرخين، كما تنافس السلاطين الزيانيين على نسخ المصاحف والكتب وتحبيسها باسم المساجد والزوايا والمدارس، فلم تكن حكراً على المنطقة وإنما أرسلت في ظلّ العلاقات المغربية المشرقية إلى البقاع المقدّسة كوفيف للحرميين والقدس⁽³⁾.

اختلف مؤرخي العصر في تعريف الوراقة وإبراز أهميتها ومن بين التعاريف نذكر :

(1) حاصل العلوم ودرجات الاجتهاد قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني الامام أبو الفضل ولي قضاة تلمسان صغيراً محرراً العلم في صغره ، مما سمح له بتعليم العلوم وتدريس المعوم والمعلوم ، حجّ في سنة ثلاثين ، وحضر إملاء بن حجر بمصر واستجازه حجر فأجازه. نفس المصدر ، ج 2 ، ص 11. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص ص 147-148.

(2) عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ، تح: عبد الله محمد الدرويش ، ط 1 ، دار البلخي ، مكتبة الهداية ، دمشق ، 2004 ج 2 ، ص 128.

(3) عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 128.

- القلقشندي: في كتابه "صبح الأعشى" يشير إلى ذلك بالقول: "الورق (بفتح الراء) اسم جنس يقع على القليل والكثير ، واحده ورقة ، وجمعه أوراق ، وجمع الورق ورقات ، وبه سمي الرجل الذي يكتب ورقاً"⁽¹⁾.

- يعرج ابن خلدون من خلال الفصل الحادي والثلاثون فيما يشمل صناعة الوراقة قائلاً: "وجاءت صناعة الوراقية المعانين للاستنساخ والتصحیح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران"⁽²⁾.

- يصف تاج الدين السبكي في كتابه " معيد النعيم ومبيد النقم" تعريفاً لأهميّة الوراقة والورق قائلاً: "الوراق وهي من أجود الصنائع بما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ، ووثائق الناس وعهدهم"⁽³⁾.

نستنج مّا سبق أنّ الوراقة هي مختلف الخطوات التي يتم من خلالها إعداد مخطوط انطلاقا من صناعة المادة وانتهاءً بالتشفير بالإضافة إلى تثمين الكتاب ، أمّا خلال فترة الدراسة فإننا نجد الونشريسي صاحب "المعيار" يتطرّق لهذه الصناعة ضمن فتوى مطوّلة لأحد أعلام المغرب الأوسط الذين ذاع صيتهم ألا وهو محمّد ابن مرزوق الحفيد التلمساني(ت842هـ/1438م) أطلق عليها " تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الرّوم" الذي انتهى من تحريره سنة(812هـ/1412م) عندما سُئل عن الكاغد الرّومي وجواز استعماله والاستنساخ فيه أم لا؟. فأجاب بما يقضي الإباحة استنتاجاً من نصوص مالكيّة صنّفها ثلاثة أصناف متعاملاً معها بواقعية.⁽⁴⁾ فقد اتقن علماء المغرب الأوسط والخطاطين وطلاب العلم نسخ الكتب بدءاً بالمصاحف، فأصبحت هذه الحرفة تشتت في النّاسخ جودة الخطّ ووضوحه وضبطه ومهارة التوثيق والأمانة في النّسخ تقادياً لخلط المؤلفين أو تحريف المعاني والأفكار.⁽⁵⁾ ولعلّ من أهمّ وأبرز النّاسخين المغاربة خلال الفترة الزّيانية نذكر:

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 476.

(2) ابن خلدون : المقدمة ، ج 2 ، ص 128.

(3) تاج الدين السبكي: معيد النعيم ومبيد النقم ، تح : محمد على النجار ، أبو زيد شلبي ، محمد أبو العيون ، ط 1 ، طبع بدار الكتاب العربي بمصر ، القاهرة ، 1948 ، ص 132.

(4) أبي العباس بن يحيى الونشريسي (ت914هـ/1508م) : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج : محمد حجي ، دط ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ودار الغرب الإسلامي ، بيروت- الرباط ، 1981 ، ج 1 ، ص 75.

(5) عن نية الناسخ وكيفيةها ينظر: أبو عبد الله العبدري المعروف بابن الحاج (ت737هـ/1337م) : كتاب المدخل ، دط مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ج 4 ، ص ص 83 - 84 .

- أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت1379هـ/1379م) : قال القلصادي في رحلته عنه مايلي: " حل كنف العلم والعلاء وجل قدره في الجلة الفضلاء ، قاطع الليلي ساهراً ، وقطف من العلم أزهاراً فأثمر وأورق ، وغرب وشرق...⁽¹⁾ . فقد كان له دُكَّان بالقيصرية بتلمسان ، يبيع فيه السلع ، وينسخ فيه المصاحف وهي ميزة الأجداد حيث كان جدّه ينسخ المصاحف والكتب الدّينية ، باعتبار الأسرة عريقة الخطّين المغربي والمشرقي ولاقت الأرض الخصبة بتلمسان⁽²⁾ .

- السُّلطان أبو زيّان الثاني: أشار التنسي إلى حركة النّسخ التي انتهجها السُّلطان قائلاً: "نسخ رضي الله عنه بيده الكريمة نسخاً من القرآن وحبسها ونسخة من "صحيح البخاري" ونسخاً من "الشفاء" لأبي الفضل عياض حبسها كلها بخزانته التي بمقدم الجامع الأعظم من تلمسان المحروسة"⁽³⁾ . فالتاريخ والمؤرّخون أكدوا اهتمامه وشغفه لجمع الكتب ونسخها بخطّه سواء كانت دينية أو علمية أو أدبية حتى نال إعجاب الشعراء ومدحوه من بينهم الشّاعر محمّد بن يوسف الثغري الذي قال فيه:

لئن كان بحراً من العلوم فإنّ في
بنان يديه للندى أبحراً عشريناً

ويضف قائلاً عن النّسخ:

فما همّه إلاّ كتابٌ وسنةٌ
بنسخها قدّ أحرزَ الفخر والأجر

فنسخ كتاب الله جلّ جلاله
ونسخ البخاري ضامناً له النّصراً⁽⁴⁾ .

وصفوة القول فإنّ ؛ أبي زيّان الثاني يعتبر أكثر السُّلاطين الرّيانيين الذي عكست ثقافتهم تطوّراً أدّى إلى بلوغ الوراقة والنسخ مكانة ساهمت في انتشار حركة التّأليف (موسوعات ومصنّفات ومؤلفات وفهارسها) وبروز طبقة الوراقين ، التي أرست بفضل هذه الدعائم على ظهور خزائن عدّة ومكتبات خاصّة وعمامة في مختلف المنشآت التعليمية كالمدارس والمساجد وغيرها .

- الإمام القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن اللّجام : قاضي الحضرة ، عرف بعدله وصرامته في الحقّ ، أمّا فيما يخصّ النّسخ فإنّ له خطّاً بارعاً⁽⁵⁾ .

- الأديب الوادي آشي الأندلسي: نساخ وافد إلى تلمسان ، فقد كان كثير النّسخ والتقييد ، حيث يقول أحمد المقري ذلك: " حتّى إنّي رأيت في خزائن أهل تلمسان بخطة نحو المائة سفر، ورأيت بفاس نحو

⁽¹⁾ أبي الحسن القلصادي (ت1491هـ/1491م) : رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجنان ، دط ، الشركة التونسية للتوزيع تونس ، 1978 ، ص96.

⁽²⁾ عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص337.

⁽³⁾ التنسي : المصدر السابق ، ص 211.

⁽⁴⁾ نفس المصدر، ص 219.

⁽⁵⁾ يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ، ص156. خالد بلعربي : بنية الجهاز القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الزياني ، مجلة كان التاريخية - دورية الكتروني محكمة- ، السنة الرابعة ، ع12، دم ، يونيو 2011 ، ص108. عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص377.

الثامن مئة وأخبرني مولانا شيخ الإسلام عمنا مفتي تلمسان، سيدي سعيد بن أحمد المقرئ رحمه الله أنه نسخ (بخطه) نحو العشرين نسخة من توضيح خليل، وكان يحترف بالنسخ ، رحمه الله⁽¹⁾ .

كما لمع ثلثة من النَّاسخين إلى جانب العلماء والسلاطين المذكورين آنفاً، فقد اهتمَّ الفقيه أبو عبد الله عبد الملك بنسخ المصاحف والكتب، حيث قيل خطه شبيه بخط ابن مرزوق الخطيب، وكذلك اشتهر الإمام الشَّيخ الحسيني بنسخ المصاحف وغيرهم من الخطَّاطين التلمسانيين الذين لعبوا دوراً هاماً في توفير الكتب للقراء أو البيع خلال الفترة الزَّيانية⁽²⁾.

وخاصةً القول أنه لولا نسخُ الكتب أثناء العهد الزَّياني لما انتعشت الحركة الثقافيَّة الفكريَّة بالمغرب الأوسط خاصَّةً وأنها زادت من وتيرة تكوين خزائن الكتب التي لولاها لما حفظت لنا عدَّة مخطوطات ومؤلفات علمية وتاريخية شملت مختلف الأحداث والأفكار والآراء التي كانت متداولة آنذاك.

د - المنشآت التعليميَّة ودورها في ازدهار الحياة الفكريَّة بالمغرب الأوسط خلال فترة الدِّراسة:

1- المدارس: تعتبر المدارس الإضاءة العلمية والأدبية للمغرب الأوسط بفضل النماء الفكري الذي تحقق فالرَّغم من أن المدرسة أوَّل ما بنيت كانت بالمشرق حسب أغلب الدراسات التاريخية التي أكدت إنشاءها الحقيقي كان على يد الوزير السَّلجوقي نظام الملك الذي شيَّد مدرسة نظامية ببغداد سنة (457هـ/1064م) وافتتحت سنة (459هـ/1066م)، حيث يقول عن ذلك السبكي في كتابه "طبقات الشافعية": "وقدم بغداد مراراً مع السلطان ، وقوبل من قبل الخليفة بنهاية الإجلال والتعظيم ، وبنى ببغداد مدرسة ورباطاً"⁽³⁾. وبعدها انتشرت المدارس بمختلف المدن العراقية وبلاد الشام ومصر وبلاد الحجاز كما أشرنا سابقاً. لكن هنا نتساءل : إن كانت المدرسة ولدت بالمشرق ، فمتى ترعرعت بالمغرب الأوسط ؟.

- للإجابة عن التساؤل لا بد من تتبع مختلف الدِّراسات التاريخية التي تناولت المدرسة بالمغرب الأوسط خاصَّةً خلال فترة الدِّراسة :

يشير حسن الوزَّان في كتابه "وصف إفريقيا" إلى تلمسان عاصمة الإقليم في الفصل الحادي عشر ذاكراً المدارس التي تمَّ بناؤها قائلاً: "علاوة على خمس مدارس رئيسية مزخرفة من إنشاء بعض ملوك زناتة ، ولها دخل للإنفاق على عدد من الطلبة الذين يقيمون بها ، ويدرسون على أسانيد جميع العلوم

(1) أبي العباس أحمد المقرئ التلمساني (ت 759هـ/1358م): أزهار الرياض في أخبار عياض ، تح: مصطفى السقاوي وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة فضالة المحمدية ، الرباط ، 1939 ، ج 3 ، ص 308.

(2) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 2 ، ص 338.

(3) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تح : عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، دط ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1918 ، ج 4 ، ص 313.

الطَّبِيعِيَّةِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِدِينِهِمْ"⁽¹⁾. أمَّا ابن الأحمر ففي كتابه "تاريخ الدولة الزَّيَّانِيَّةِ بِتَلْمَسَانَ" يشير بالقول: "ويكفي أن نذكر المدارس الخمس الكبرى التي أنشئت فيها في أيام تلك الأسرة الطويلة العمر"⁽²⁾.

كما أشار أغلب المؤرِّخين إلى كون المدارس الزَّيَّانِيَّةِ وجدت من أجل المذهب المالكي ، وإبطال الوجود الموحي وبدهم ومذهبهم ، كما أنَّ أغلبها مدارس حكوميَّة رسمية تشرف عليها الدولة تمويلًا وتعيينًا للأساتذة والمدرسين الذين كانوا أغلبهم مالكيين ، أمَّا وظيفتها فتمثلت في استقبال الطلبة قصد تعليمهم وتخريجهم كإطارات داعمةً للسُّلْطِ السَّلْطَوِيِّ، لكن يبقى الهدف الأسمى من تأسيسها نشر الثقافة والمذهب المالكي⁽³⁾ . حيث ساهمت عدَّة مدارس في نشر العلم والمعرفة من أبرزها نذكر:

• **المدرسة الزَّيَّانِيَّةِ:** هي المدارس التي تمَّ تشييدها من قبل الزَّيَّانِيِّين والتي ذكرت في أغلب المصادر التاريخية، مشيدة على يد سلاطين الدولة الذين عُرفوا بجنكتهم العلمية والثقافية أهمها:

- مدرسة ابنا الإمام " المدرسة العتيقة " : تمثل أولى المدارس الزَّيَّانِيَّةِ ببلاد المغرب الأوسط، التي شيدها بأمر من السُّلْطَانِ أَبِي حَمُو مُوسَى الْأَوَّلِ (ت1318هـ/م)، وكان البناء سنة (710هـ/1310م) تعظيمًا لجلالة الفقيهين أبي زيد عبد الرَّحْمَانِ (ت743هـ/1342م)⁽⁴⁾، وأخوه أبو موسى عيسى (ت749هـ/1348م)⁽⁵⁾ اللذين عُيِّنَا على رأس هيئة التدريس، مكلفين بالإدارة التعليمية. فلذلك سميت

(1) مارمول كريخال (ت1008هـ/1600م): وصف إفريقيا ، تح: محمد حجي وآخرون ، دط ، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1989 ، ج2 ، ص298.

(2) ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزَّيَّانِيَّةِ بِتَلْمَسَانَ ، تح : هاني سلامة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد الظاهر 2001 ، ص48.

(3) ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987 ، ص ص 353-354. عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 325-326.

(4) أبو زيد عبد الرحمن (ت743هـ/1342م): هو الإمام العلامة الجليل الكبير المجتهد الشهير هو وأخوه شقيقه أبو موسى عيسى بابني الامام التلمسانيان العالمان "الراسخان"، ويصف قائلا : "لهم التصانيف المفيدة والعلوم النفسانية" . توفي أبو زيد سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة هجري". التنبكي: المصدر السابق ، ص 245.

(5) أبو موسى عيسى: عيسى بن محمد ابن الامام فقيه من أهل تلمسان تعلم هو وأخوه في تونس ثم رحل إلى المغرب الأوسط ليستقر على عهد السلطان أبي الحسن المريني الذي صاحبه أخيه ، عاش بعد أخيه ست سنين وتوفي بتلمسان . خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج5 ، ص 108.

باسميهما، الواقعة في الناحية الغربية لمدينة تلمسان باتجاه كشوط المشهورة بباب سيدي بوجمعة في يومنا هذا لم يبق منها إلا المسجد الصغير بمنارته⁽¹⁾.

أمّا عن أسباب تشييد المدرسة فقد أشار التنسي إلى ذلك بالقول: " وكان هذا السلطان المرحوم صاحب آثار جميلة وسير حسنة، محباً في العلم وأهله، ورد عليه بعد موت يوسف بن يعقوب الفقيهان العلمان الجليلان أبو زيد وأبو موسى ابن الإمام ، فلم ير ما يؤدي به شكر الله على النعمة التي من الله عليه بها من قتل عدوه، وتعجيل الفرج، إلا الاعتناء بالعلم ، والقيام بحقه، فأكرم مثواهما واحتفل بهما و بنى لهما المدرسة التي تسمى بهما"⁽²⁾ ؛ يعني ذلك تشييد المدرسة كان احتفاءً بالإنجازات العلمية المقدّمة من قبل ابني الإمام وتكريماً للدور التعليمي الذي لعباه في تلك الأثناء الذي بفضل حقه المنطقة زخاءً علمياً فتح للتأليف والتدوين الأبواب بالريانية تدويناً للأخبار والأحداث التي سادت الفترة. حققت المدرسة آنذاك إنجازات عظيمة باعتبارها المدرسة الأولى في المغرب الأوسط، فقد اعتلى التدريس فيها ثلّة من الشيوخ والعلماء الذين ذاع صيتهم وشهرتهم مشارق الأرض ومغاربها كأولاد الإمام كما تخرج منها أغلب العلماء المغاربة كابن مرزوق الخطيب والأبلي والإمام المقرّي الجد وغيرهم الذين تم تكوينهم في شتى العلوم⁽³⁾.

فألقوا كتب عدّة زخرت بها الحياة الفكرية أمثال: الحافظ التنسي(ت899هـ/1494م) صاحب كتاب "نظم الدرر و العقيان"، الذي أشير في مؤلفه إلى ذلك بالقول: "وإذا قمنا بإحصاء العلوم والفنون التي درسها شيوخ التنسي أو درسها نفسه فيما بعد توصلنا إلى أنه في إمكان التنسي أن يأخذ كل العلوم التي كانت من أوّل زمانه في جامعات العالم الإسلامي، وهي العلوم التي كان يدرسه أسيّاخه"⁽⁴⁾.

- المدرسة التاشفينية "المدرسة الجديدة": أسست على يد السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأوّل⁽⁵⁾ بالقرب من المسجد الكبير في تلمسان، اكتست نفس الأهمية التي تمتعت بها المدرسة المذكورة آنفاً تم تشييدها وتدشينها في شهر صفر سنة (725هـ/1325م) ، وقد وصف لنا المقرّي ما رآه في دائرة مجرى الماء المكتوب بمدرسة تاشفين قائلاً:

انظر بعينك بهجتي وسنائي وبيع إتقاني، وحسن بنائي

(1) عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص142.

(G) .Marçais :les villes d'arccélébres telmcan ,edition du tell,algérie,2003,p47.

(2) التنسي: المصدر السابق ، ص139.

(3) التنبكي: المصدر السابق ، ص 248.

(4) التنسي: المصدر السابق ، ص18.

(5) قيل أنه كان مولعا بتحبير الدور وبناء القصور، مخلداً آثار لم تكن من قبله ولا من بعده ، وأحسن ما تركه بنائه للمدرسة الجليلة العديمة النظير التي بناها باتجاه الجامع الأعظم. نفس المصدر ، ص ص 140-141.

وبديع شكلي، واعتبر فيما ترى من نشأتي بل من تدفق مائي⁽¹⁾.

وهنا نخلص بالقول أنّ أمير المسلمين ابن تاشفين الزيّاني حقيقة كان مولعاً ببناء القصور والاهتمام بالرّخارف هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى ولعه بالعلم والعلماء، فقد وفد عليه بتلمسان جماعة من العلماء الذين دخلوا مدرسته كأساتذة وكذلك وفود من الطلبة الذين انتفعوا وانتفعت بهم المدرسة وغيرها من مدارس المغرب الأوسط وأنزل العديد منهم منزلة الكرامة والتشريف⁽²⁾. دامت المدرسة تقدّم وظائفها التعليمية مدّة خمس قرون إلى أن قامت الإدارة الاستعمارية سنة 1876م بتهديمها دون إعطاء قيمة للفن والتاريخ ونقلت بعض آثاره إلى متحف تلمسان والمتحف الكولوني الذي يمثل فن لم تشهد الإنسانية من قبل وتاريخ حضارة مغربية إسلامية⁽³⁾.

- المدرسة اليعقوبية: أسسها السلطان أبو حمو الثاني (ت 791هـ/1388م) تخليداً لذكرى والده أبو يعقوب يوسف الذي وافته المنية سنة (763هـ/1362م) الذي طلب وأمر بدفنه في رياض بالقرب من باب إيلان ناقلاً لرفات عميه أبا سعيد وأبا ثابت إلى جوار ضريح والده هذا بسبب تشييد المدرسة، أمّا عن المدرسة وهيكلتها فإنها افتتحت في 5 من شهر صفر سنة (765هـ/1363م) مستغرقة لإنشائها أزيد من سنة ونصف، مجهزاً لبنائها أبرز المهندسين وأمهـر الفنانين والبنائين الذين جعلوا منها تحفة فنية⁽⁴⁾.

احتضنت المدرسة عدد هائل من الطلبة، فكانت قاعاتها مراكز لحلقات العلم وفضاء الإلقاء الدروس التي اعتلاها ثلة من العلماء أمثل العالم الفقيه أبي عبد الله محمد بن الشريف التلمساني (ت 771هـ/1370م) الذي استدعاه السلطان للتدريس حيث يقول عنه التنسي مآثر عدة من مآثر أبو حمو قائلاً: "وفي دولته كان الإمام المتفتن البحر، الحبر شريف العلماء وعالم الشرفاء، أبو عبد الله محمد بن القاسم بن حمود من سبط ادريسي"⁽⁵⁾. رغم ذلك إلا أنّ مدرسة سيدي إبراهيم المصمودي أو المدرسة اليعقوبية فالتسمية الأولى نسبة لدفن العالم بها سنة (805هـ/1402م) أمّا التانية فقد ذكر أنفا السبب

(1) أحمد المقرئ : المصدر السابق، مج 6، ص 47.

(2) التنسي : المصدر السابق، ص 141.

(3) عائشة بوشقيف: إسهام مدارس تلمسان في الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)

مجلة القرطاس، ع3، جانفي 2017، ص 227. عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق، ج2، ص 142-143.

(4) عبد العزيز فيلاي: نفس المرجع، ج 1، ص 144.

(5) التنسي : المصدر السابق، ص 179.

تعرضت للاندثار وطُمست آثارها فلم يبقى منها إلا الاسم ، كما أنها تعرّضت للإزالة التامة على يد السلطات الفرنسية مُحولَةً إيّاها إلى ساحة عامّة شيّدت على إثرها البلدية الحالية⁽¹⁾ .

- مدرسة الحسن بن مخلوف : إنَّ أغلب المصادر التاريخية التي تناولت الدّراسة لم تحدّد تاريخ إنشائها بالتحديد، لكن المعروف أنها فكرة السّلطان زيّان أحمد العاقل⁽²⁾ . لكون التنسي عندما أشار إلى دولة أبي العباس أحمد العاقل يقول: " وكانت له عناية عظيمة بالولي الزّاهد القطب الغوث، شيخ الزّهاد وقُدوة العباد، السيّد أبو الحسن بن مخلوف فكان يكثر من زيارته، ويقتبس من إشارته ومدار أكثر أموره عليه، و بنى بزوايته المدرسة الجديدة وأوقف عليها أوقافا جليّة"⁽³⁾ .

وبما أنّ فترة حكم السّلطان أحمد العاقل ما بين (834-866هـ/1430-1462م) فإنّ المدرسة قد شيّدت في هذه الأثناء تكريماً للوالي الصّالح الحسن بن مخلوف أبركان (ت857هـ/1453م)⁽⁴⁾؛ لكن بالرجوع إلى المقولة المذكورة آنفاً فإننا نلاحظ قول التنسي المدرسة الجديدة أي أنّ الزّاوية شيّدت أولاً بمدرستها التي قد اندثرت أولم يكن لها صدى فأعاد تجديدها السّلطان ويبقى هذا فقط رأي قد يحتمل الصّحة والخطأ. فبالنسبة للمدارس المذكورة فإنّها أربع مدارس من بناء السّلاطين الزيّانيين، وبما أنّ أغلب المؤرّخين الذين تطرقوا لذلك أشاروا لوجود خمس مدارس التي وجدت ببقاياها فالمدرسة الخامسة هي مدرسة العباد التي تمّ بناؤها بإزاء من قبل السّلطان المريني أبو الحسن وهي المدرسة الخامسة الرئيسية وهذا لا يعني عدم وجود مدارس أخرى بالمغرب الأوسط وتلمسان.

(1) الحاج بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف محاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2011 ، ج 1 ، ص 89.

(2) أحمد العاقل : هو " أحمد بن أبي حمو موسى الثاني بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيّان ، أبو العباس المشهور بالعاقل؛ الملك الخامس عشر من ملوك الدولة الزيّانية بتلمسان في دورها الثاني، اعتلى العرش (834هـ/1431م)". عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر ، ص 213.

(3) التنسي: المصدر السابق ، ص 248 . عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 1 ، ص 145.

(4) الحسن بن مخلوف : " هو سيدي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي أبو علي الشهير بأبركان الامام العالم العلم الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير أخذ عن الامام سيدي إبراهيم المصمودي والإمام ابن مرزوق الحفيد وأخذ عنه الحافظ التنسي وسيد علي التالوتي... وكان يقول رأيت المشايخ والأولياء فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان كان لا يخلف في الله لومة لائم". ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص 74. نهل عن عدة مشايخ حيث يقول الطمار: " أخذ عن المصمودي وابن مرزوق الحفيد ، وأخذ عن الحافظ التنسي والشيخ السنوسي". محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ، دط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، دت ، ص 146.

• المدارس المرينية بتلمسان: نعني بذلك المدارس المشيدة من قبل السلاطين المرينيين الذين دخلوا المغرب الأوسط (تلمسان) خلال (ق7-9هـ/13-15م) تاركين آثار جسيمة مثلت الثقافة المرينية الممزوجة بالثقافة الزيانية.

- مدرسة أبي مدين بالعباد: أسسها السلطان أبو الحسن المريني عندما تمكن من الاستيلاء على تلمسان والمغرب الأوسط ، واستقرَّ به المقام هناك ، فقد أرسى الزيانيون قواعد الحركة العلمية وساروا على نهجهم المرينيين الذين شيّدوا هذه المدرسة المعروفة بتسميات عدّة منها: مدرسة سيدي بومدين، نسبة للولي الصالح ، أو المدرسة الخلدونية نسبة لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م) الذي تتلمذ بها⁽¹⁾. لكن التسمية الأكثر رواجاً فهي مدرسة العباد نسبة لقرية العباد التي يشير إليها ابن مرزوق في كتابه "المسند الصحيح" قائلاً: "وبالعباد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع الذي قدّمت ذكره، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان"⁽²⁾.

أنشئت المدرسة تحت إشراف السلطان أبو الحسن تكريماً وتشريفاً للوالي الصالح أبي مدني (ت594هـ/1194م) حيث تمّ تشييدها بالقرب من ضريحه وذلك سنة (747هـ/1347م) حسب ما هو منقوش في رقبّة قبة قاعة الصلاة بالمدرسة فقد ذكر صالح بن قرية وآخرون في كتابهم من خلال الأبيات

الشعرية التالية:	الإسلام أمير المسلمينا	بنائي كي قيم لدى دنيا
	تفوق النظم بالنوم الثمينا	أبو الحسن الذي فيه المزايا
	بما أجرى به الأعمال دنيا	إمام لا يعبر عنه وصف
ويضف قائلاً:	خلون من السنين وأربعينا	الشهر الربيع الثاني لسبع
	محوه مقاصده فنونا	إلى سبع ميين فدام سعد ⁽³⁾

علاوة على ما سبق؛ فإنّ تلمسان اكتسبت حلةً بمدرسة العباد التي عرفت بزخارفها والنقوش و الأفرشة البديعة من جهة ، كما أنّها حاضرة علمية استقبلت طلبة في مختلف العلوم والتخصصات توالى على تدريسهم خيرة العلماء والفقهاء نذكر منهم :ابن مرزوق الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون⁽⁴⁾؛ حيث

(1) صالح بن قرية وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، دط ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر ، 2007، ص ص 170-171.

(2) ابن مرزوق التلمساني : المصدر السابق ، ص406.

(3) صالح بن قرية وآخرون: المرجع السابق، ص ص 173-174.

(4)فايزة بوساخ: المدارس العلمية بتلمسان على عهد نبي زيان-إشعاع فكري وحضاري- ، مجلة عصور الحديثة ، ع2 عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة وهران ، الجزائر ، 2011/1432هـ ، ص183.

يؤكد ذلك المؤرخ غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" قائلاً: " وكانت تدرس العلوم والتاريخ فيها أيام العرب" (1) .

- مدرسة سيدي الحلوي: بُنيت المدرسة على عهد السلطان المريني أبي عنان فارس لما حاصر تلمسان سنة (754هـ/1344م) بجوار ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشونزي الأشبيلي المعروف بسيدي الحلوي (ت أوائل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) (2) الذي قدّم اسمه لها وللمسجد والزاوية (3). والمعروف أنّ السلطان أبا عنان أكثر السلاطين المرينيين الذي اعتنوا بالعلم لتتلمذه على يد أكبر علماء عصره مثل الألبلي والمقري التلمساني وابن الصفار حتّى وصفه ابن بطوطة قائلاً: " ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم إلى هذه النهاية" (4).

- مدرسة منشّر الجلد: هناك مدرسة لم تشب إليها كثيراً من المصادر التاريخية لكن ابن إبراهيم التلمساني في كتابه "البستان" عندما أشار إلى سيدي محمّد بن عمر الهواري (ت843هـ/1439م) ذكر مدرسة تسمى منشّر الجلد أسست في تلك الأثناء حيث لم يذكر تاريخ ولا مكان إنشائها قائلاً: "وأنا أعرف أنّ الشّيخ سيدي محمّد ابن مرزوق عنده ولدان فجئت إلى تلمسان فقدمتُ على الشّيخ سيدي الحسن وسلّمته عليه وأردت أنّ أخبره بما قال الشّيخ فقال لي لا تذكر شيء حتّى تذكره للشّيخ سيدي محمّد ابن مرزوق فطلعت وكان وقت حرّ وقائلة فجئت إلى مدرسة منشّر الجلد فقلت لا يمكن أن أذهب إلى الشّيخ في هذا الوقت لكن أدخل أتبرد في هذه المدرسة" (5).

فإذا كانت تلمسان حاضرة علمية زاخرة بالمدارس التي اشتهرت في العهد الزناتي، إلّا أنّ بلاد المغرب الأوسط بحواضره العلمية الأخرى تزوّد بمدارس أشارت إليها بعض المخطوطات تسعى إلى التثمين الأرشيفي لها باعتبار تراث ثقافي، وهذا التثمين لا يتحقق إلا بالبحث والتقصي، وفي هذه الورقة نذكر بعض منها والتي وصلتنا في طيّات الرّحلات والمصادر التاريخية:

يذكر حسن الوزان في كتابه "وصف إفريقيا" إلى وجود مدارس عدة أثناء فترة الدراسة بالمغرب الأوسط ففي قسنطينة برزت مدرستين إحداهما شيدها السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم بن زكرياء

(1) غوستاف لوبون: حضارة العرب ، تح: عادل زعيتر ، دط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، 2012 ص272.

(2) سيدي الحلوي: " كان قد ولي القضاة باشبيلية في دولة الموحدين وتعمق في دراسة التصوف فأتهم بالقول بمذهب الوجود". حسن الفاتح قريب الله : فلسفة وحدة الوجود ، ط1، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1997، ص126.

(3) عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص144.

(4) ابن بطوطة: الرحلة ، ص673.

(5) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص230.

يحي الأؤل مبرزاً ذلك بقوله "ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالجامع الكبير، والمدرستين والزوايا الثلاث أو الأربع⁽¹⁾ ويضف قائلاً: "ويعتقد العامة أنه كانت هناك قبل مدرسة آداب كان أستاذها وتلامذته فجرة"⁽²⁾. وممّا نستنبطه كؤن قسنطينة كانت تشمل مدرسيه قبل فترة الدراسة، أمّا الثانية فهي التي بناها السلطان الحفصي. يضيف قائلاً عن مدارسومدينة وهران مايلي : " مدينة وهران: وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط، بعيدة بنحو مائة وأربعين ميلاً من تلمسان. وبها من البناءات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس وملاجئ..."⁽³⁾ لكن ما يُعاب على ما ذكر أنّ حسن الوزان لم يذكر أسماء هذه المدارس لا ندري سهواً أم لم يكن على علم بذلك أو سمع عنها و فقط .

عن بجاية والمدارس التي سادتها خلال الحقبة التاريخية المدروسة يقول مجدداً حسن الوزان: "بجاية مدينة عتيقة بناها الرومان على ما يراه بعضهم في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط. ودورها كلها جميلة، وفيها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم"⁽⁴⁾. أمّا ابن مرزوق فأشار بالقول عن الجزائر في العصور الوسطى كانت تتواجد بها عدّة مدارس لتدريس مختلف العلوم فيما يلي: " وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان".⁽⁵⁾ والظاهر أنّ حسن الوزان كان على أنّ الاستعداد لعدّ المدارس التي عرفتها المنطقة ما بين (7-9هـ/13-15م) لكن تبقى فقط إشارات وإحصائيات لا يُعرف أسماؤها ولا مواقعها والأغلب من ذلك عدم الفصل في تواريخ إنشائها، وإن ذلك يعود إلى تعاقب الدويلات على المنطقة أثناء التوترات والاضطرابات السياسية كما أنها لم تحض بنفس المكانة السلطوية لعدم تحقيق الاستقرار السياسي والعلمي آنذاك.

2- الزوايا والرباط : تشير عدة مصادر إلى أن هذا العهد تعددت فيه أماكن العبادة المتمثلة في الزوايا والمساجد والأربطة التي كان لها الدور الأمثل في الحياة الفكرية فالزاوية تعتبر مدرسة إعدادية انفصلت عن الرباط منذ عصر الموحدين⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ حسن الوزان : وصف إفريقيا، تح: محمد حجي، مجد الأخضر، ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983 ، ج2 ص56.

⁽²⁾ نفس المصدر، ج2 ، ص59.

⁽³⁾ حسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص30.

⁽⁴⁾ نفس المصدر ، ج2 ، ص50.

⁽⁵⁾ ابن مرزوق التلمساني : المصدر السابق ، ص406.

⁽⁶⁾ مجد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر الجديدة ، 1987 ، ص40.

تعددت تسميات الزاوية في المغرب نذكر من بينها "دار الكرامة"، "دار الضيوف"، "الرباطة" إلى أن انفصلت⁽¹⁾، وقد تزامن انتشارها في المغرب الأوسط ابتداءً من منتصف القرن (7/هـ/13م)، نتيجة تعدد اتجاهات التصوف وانتشاره تعليمياً وعملاً، ثم توسعت أركانها ووظائفها في القرن (8/هـ/14م).

والزاويا في المغرب الأوسط اتخذت نماذج متعددة حسب المبادرة، الأعداد والإنشاء، وعلى هذا المنطلق نجد صنفين هما:

- **الزاويا الرسمية:** هي أماكن شُيِّدَتْ من قِبَل السلطة لإطعام المحتاجين والواردين شاملة أكبر خزائن الكتب التي تدل على همّة عقول أصحابها آنذاك.

- **الزاويا الشعبية:** هي أماكن شُيِّدَتْ من قِبَل شيوخ وزعماء الحركة الصوفية مهمتها التلقين الديني والإيواء، شملت كغيرها أكبر المكتبات المتنوعة الكتب⁽²⁾.

أ- نماذج لزاويا المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة:

- **زوايا تلمسان:** أنشأها ذوو السلطة في الأغلب باعتبارها تشمل نفس النطاق المعماري للمسجد والمدرسة ووظائفها متشابهة فإننا نجدنا بنفس تسميتها ومن أبرزها نذكر:

- **زوايا العباد:** أنشأها أبي الحسن المريني مابين سنتي (739-747/هـ/1339-1347م) بالتزامن مع المدرسة، مايميزها تخريج العديد من المتصوفة الذين تركوا لنا أمهات الكتب النفيسة⁽³⁾.

- **زاوية الأمير يعقوب:** أنشأها السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني سنة (765/هـ/1364م)؛ إذ تعد من أكثر الزاويا شهرة إلى جانب المدرسة، عُيِّن على رأسها الفقيه أبا عبد الله الشريف الحسني (ت 771/هـ/1370م)⁽⁴⁾ مدرساً للعلوم الدينية.

- **زاوية سيدي الحلوي:** شَيِّدها كذلك السلطان أبي عنان فارس المريني سنة (754/هـ/1353م) بنفس تسمية المدرسة وهناك من يشير إلى كونها واحدة، لكنها في الأصل حسب ابن مريم مدرسة وزاوية لأنها

(1) أراد المؤرخ وعضو المجلس الإسلامي الأعلى المهدي البوعبدلي-رحمه الله- أن يفرق بين الزاوية والرباط قائلاً: "والحقيقة أن الرباط غير الزاوية، فإذا وجدنا الرباط مرتبطاً بعهد الفتوحات الإسلامية، فإن الزاوية عرفت في أوائل القرن الثامن الهجري". ويضيف قائلاً: "سميت في بادئ أمرها بدارالكرامة التي بناها الملك يعقوب المنصور الموحي في مراكش". المهدي البوعبدلي: الرباط والفدا في وهران، مجلة الثقافة الإسلامية، 6، الجزائر، 2010، ص ص 17-18.

(2) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص350.

(3) أنشأ لسلطين المرينيين مدارس شبيهة بالزاويا والأربطة فلذلك صنعت أغلبها كمدارس وزوايا في آن واحد. صالح بن قرية وآخرون: المرجع السابق، ص175.

(4) أبا عبد الله الشريف الحسني (ت 771/هـ/1370م) استخلصه واختاره السلطان أبو عنان لمجلسه العلمي مع ثلة من المشايخ والأكثر من ذلك رحل به إلى عاصمة المرينيين فاس لكنه ذعر من ذلك. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ص165.

ظلتا قائمتين حتى أوائل القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي⁽¹⁾، حيث يشير ابن مريم في كتابه "البستان" إلى ترجمة سيدي أحمد بن الحسين قائلاً: "وبقي يُحي الليل سنين كثيرة في جامع زاوية الشيخ سيدي الحلوي رضي الله عنه على ما سمعت من كثير ممّا أتق به ممن كان ساكناً بالزاوية"⁽²⁾.

- زاوية الحسن بن مخلوف أبركان: أسست رفقة المدرسة على يد السلطان الزياني أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى الثاني (العاقل) بين سنتي(834-866هـ/1430-1462م)⁽³⁾. وهناك زوايا أخرى شيدت في تلمسان لا تقل شأنًا ومكانة عن المذكورة آنفا نذكر زاوية الشيخ أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق(ت681هـ/1281م)⁽⁴⁾، زاوية الشيخ أبي عبد الله⁽⁵⁾، زاوية الإمام محمد السنوسي⁽⁶⁾.. وغيرها.

إنّ المكانة الفكرية التي تبوّأتها تلمسان مردها إلى تنوع المنشآت التعليمية التي تسنمها السلاطين والعلماء أسهمت في تعليم المجتمع، وعملت على ترقية العلوم النقلية والعقلية، وتوريثها للأجيال جيل بعد جيل بفضل تتلمذ وتخرّج كبار العلماء والفقهاء والمؤرخين، فمثلت بذلك سرحاً علمياً حيث تنوعت اختصاصات الكتب المؤلفة، التي حملتها خزائن الكتب لقرون، وهذا يدل على مدى إدراك العامة والخاصة لدورها في التدريس والتأليف.

ب- زوايا الحواضر والمدن الجزائرية الأخرى خلال الفترة محل الدراسة: صنّفها أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي على النحو التالي:

(1) صالح بن قرية وآخرون: المرجع السابق، ص 177.

(2) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص 33.

(3) التنسي: المصدر السابق، ج 2، ص 248.

(4) كان من الفقهاء والأولياء، محدثاً فقيهاً متصوّفاً، له كرامات ومكاشفات أخذ عن ثلثة من أهل العلم مثل: أبي زكرياء العبدري، أبي إسحاق التنسي، الشيخ الصالح الكفيف، أبي عبد الله المالقي.. وغيرهم، توفي في أوائل رجب من سنة (681هـ/1281م) ودفن بإزاء من أمير المسلمين يغمراسن بن زيان في دار الراحة من الجامع الأعظم تبركاً بجواره. نفس المصدر، ج 1، ص 152.

(5) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج 1، ص 265.

(6) ينسب إلى قبيلة بني سنوس الشهيرة في ضواحي تلمسان؛ اختلفت الدراسات حول تاريخ ميلاده، لكن المؤكد أنّه ولد بعد سنة (839هـ/1427م)، وتوفي بتلمسان سنة (895هـ/1490م). وقيل فيه: "كان من أكابر الأولياء، وأعلام العلماء وتأليفه تدل على تحقيقه وغزارة علمه..". أبي عبد الله السنوسي: أم البراهين، تح: خالد زهري، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت، 2009، ص ص 07-08. أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 1، ص 265.

- زوايا العاصمة: وصلتنا زاوية ضمن زوايا العهد العثماني تعود جذورها إلى القرن (9هـ/15م) ألا وهي زاوية العالم سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وهذا الأخير عُرف بالزهد والتصوف وعنه يقول التنبكتي: "العالم العامل الزاهد الورع ولي الله الناصح الصالح"⁽¹⁾.

- زوايا قسنطينة: زخرت المدينة بعدة زوايا وصل تعدادها أثناء الفترة العثمانية 16 زاوية⁽²⁾ لكن الحسن الوزان أشار لوجود ثلاث أو أربع زوايا خلال فترة الدراسة قائلاً: "والمدرستين والزوايا الثلاث أو الأربع"⁽³⁾، من بين هذه الزوايا الزاوية الملاية التي شيدها الشيخ الصالح يعقوب بن عمران البويوسفي (630-717هـ/1230-1317م)، حيث يذكر ذلك ابن قنفذ قائلاً: "هو الشيخ ولده جدِّي للأم يعقوب بن عمران البويوسفي". ويضيف قائلاً: "فأقام به زاوية ووجد ببركته مكانة سنة"⁽⁴⁾. ومن هنا يمكننا القول أن قسنطينة ازدهرت بفضل نبوغ علمائها وتشبيدهم لمراكز دينية علمية، ومنعت من خلالها اللبنة الأولى للإنتاج والتأليف العلمي خلال القرن (8هـ/14م).

- زوايا بجاية: فصلت الدراسات في منتصف القرن (7هـ/13م) بين الرابطة والزاوية التي ارتبطت بظاهرة التصوف ومن أهم الزوايا التي شيّدت خلال فترة الدراسة نذكر: زاوية أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت 622هـ/1263م)⁽⁵⁾، زاوية الشيخ أحمد بن إدريس البجائي⁽⁶⁾، زاوية الشيخ العيدلي⁽⁷⁾.

(1) تتلمذ على يده جملة من العلماء نذكر من بينهم: الشيخ العالم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف والشيخ السنوسي، علي التالوني أخيه من أمه، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي. توفي في 23 رمضان المبارك سنة (875هـ/1471م) دفن بجبانة الطلبة في مدينة الجزائر تاركاً أزيد من التسعين مؤلفاً. أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 1، ص 263. التنبكتي: المصدر السابق، ص 257. السخاوي: الضوء اللامع، ج 4، ص 152. التنبكتي: نفس المصدر، ص 260. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 91.

(2) أبو القاسم سعد الله: نفس المرجع، ج 1، ص 264.

(3) حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 56.

(4) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1407م): أنس الفقير وعز الحقيير، تصحيح: محمد الفاسي أودلف فور، دط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 40.

(5) فقيه ورع صالح متعبد، مولده بقرطبة بها ترعرع ثم رحل، كراماته لا تعد وفوائده لا تحصى، وعن دوره في الزاوية ذكر معاوية الزواوي وهو من خدامه قائلاً: "جئت يوماً لأراه فلما وقفت عند باب الزاوية أصابتنني هيبة وسمعت كلاماً بداخلها ومذاكرة فتأديت ووقفت ثم بعد ساعة سكنت الأصوات". الغبريني: المصدر السابق، ص 79-81.

(6) زاهد وإمام ورع له تصانيف عدة، نقل عنه الكثير من العلماء كالشيخ أبي العباس القلشاني، والإمام محمد بن بلقاسم المشدالي... وغيرهما توفي بعد الستين وسبعمئة. التنبكتي: المصدر السابق، ص 99.

(7) من مواليد قرية تامقرة ببني عيدل خلال القرن (9هـ/15م). أسس لنفسه زاوية بمسقط رأسه ولا زالت قائمة إلى يومنا الحالي، عاصر عدة شيوخ مثل عبد الرحمن الثعالبي وأحمد زروق البرنوسي. يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ج 1، ص 42.

- زوايا وهران: انتشرت الزوايا متأخرة بوهران حتى القرن (9هـ/15م) ومن أبرزها نذكر زاوية محمد بن عمر الهواري (ت843هـ/1439م)⁽¹⁾. التي لعبت دوراً هاماً في ازدهار الثقافة، حيث كان لا يخلو من المعارف الدينية والعلمية ولعلها العامل الرئيسي لكثرة التأليف وتنوعه⁽²⁾. فقد وضحت الدراسات أنّ هذه الزاوية ازداد نشاطها الفكري على عهد تلاميذ مؤسسها من بينهم إبراهيم التازي (ت866هـ/1462م)⁽³⁾ الذي تميّز بنشاطاته واهتمامه بالعلماء المتعاقبين على المدرسة من الشرق والغرب محملين بأهمّات الكتب المحفوظة في مكاتبها التي تعرّضت للنهب عند سقوط وهران على يد الإسبان وخربت الكتب النفيسة وبذلك تراجع دورها الثقافي بعد ما كانت مركزاً ثقافياً⁽⁴⁾.

ج- زوايا الأرياف: عرف التصوف انتشاراً واسعاً في أرياف المغرب الأوسط ، وذلك يعود إلى توغل العلماء والمتصوفة بها بهدف محاربة البدع والخرافات ونشر المذاهب ومن الزوايا التي سطع نورها:

- زاوية سعادة الرّحمانى⁽⁵⁾: شيدها الفقيه في منطقة طولقة بدايات القرن (8هـ/14م) على نهج الطريقة السّنية واستمرت تنشط بعد وفاة مؤسسها إلى غاية (740هـ/1339م)⁽⁶⁾.

- زاوية سيدي أعراب بني سويد وبني عامر: أنشأها الفقيه محمد بن عبد الرّحمان الكفيف السّويدي⁽⁷⁾ وأحمد الحاج العامري -له زاوية في وطنه بحدوش من تاسالة-⁽⁸⁾ أيام السّيطرة الحفصية على المنطقة

(1) محمد بن عمر بن الهواري (ت843هـ/1439م): فقيه متصوف ذائع الصيت، ولد في مغراوة وانتقل إلى بجاية ، سافر إلى فاس، والقاهرة ، ومكة والمدينة المنورة ، زار بيت المقدس ودمشق، له عدة تأليف منها: التسهيل ، تبصرة السائل. عادل نويهض: المرجع السابق ، ص337.

(2) مختار حساني : المرجع السابق ، ج 2 ، ص235.

(3) إبراهيم التازي : أبرز الشخصيات الصوفية التي عرفها المغرب الأوسط خلال (ق9هـ/15م) بوهران كان زاهداً حتى في اقتناء الكتب، فكل ما بناه وأشرف عليه جعله حبيساً على الزاوية. الزهرة بن عمات: الشيخ إبراهيم التازي ومآثره بوهران مجلة عصور ، ج 1 ، الجزائر، 2010 ، ص67.

(4) مختار حساني : المرجع السابق ، ج 2 ، ص238.

(5) سعادة الرّحمانى : يقول عنه ابن خلدون: "ونزل طولقة من بلاد الزاب، وأخذ بنفسه في تغيير المنكر على أقاربه وعشيرته ومن عرفه وأصحابه". ويصف قائلاً: "وبلغ الخبر إلى أصحابه بمشائهم فظهروا إلى الزاب، ورؤسائهم أبو يحيى بن أحمد ابن عمر شيخ أولاد محرز، وعطية بن سليمان شيخ أولاد سباع وعيسى بن يحيى شيخ أبو عساكر، ومحمد بن حسن شيخ أولاد عطية ، ورياستهم جميعاً راجعة لأبي يحيى بن أحمد. ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص ص 51-52.

(6) نفس المصدر ، ج 6 ، ص53.

(7) الفقيه محمد عبد الرّحمان الكفيف السّويدي: أخذ علومه من عدة شيوخ منهم محمد بن عبد الجبار المتقدم وأبي عبد الله الشامي التلمساني ، أوصى حين حضرته الوفاة بقراءة القرآن سنة(945هـ/1443م). ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ص ص 288-289.

(8) نفس المصدر ، ص 287.

تقع هذه الزاوية بنواحي "بحدوش" من تاسالة، تميزت بإدارة وتسيير محكم، بالإضافة إلى الاهتمام بطلاب العلم والفكر مما جعلها مركزاً فكرياً⁽¹⁾.

وفي الأخير يمكننا القول أن الزوايا ليست فقط مراكز للعبادة وإنما دورها الريادي في مجال التعليم ونشر الثقافة الدينية ساهم في توجه العديد من علمائها للتدوين والتأليف الذي سمح لكل مؤسسها بإنشاء خزائن كتب خاصة حفظت أغلب الكتب الدينية التي تحتوي على أحداث ومعلومات تاريخية.

3- المساجد: اشتهرت فترة الدراسة بتنوع المساجد مما ساهم في ازدهار الحركة الفكرية والعلمية، فقد قسّمها الباحثون إلى قسمين: وهي المساجد الجامعة، مساجد الأحياء، خاصة في مدن المغرب الأوسط الكبرى (تلمسان، بجاية، وهران، الجزائر، قسنطينة... وغيرها)⁽²⁾.

ونستجّ أبرزها هذه المدارس من خلال اللائحة:

أ- **مساجد تلمسان:** تميّزت تلمسان ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م) بكثرة جوامعها ومساجدها حيث تم إحصاء أزيد من ستين مسجداً تعرضت أغلبها للاندثار نتيجة الكوارث الطبيعية والحروب⁽³⁾ ومن أشهرها نذكر: مسجد أغادير⁽⁴⁾، الجامع الأعظم بتاجرارت⁽⁵⁾، مسجد سيدي أبي الحسن⁽⁶⁾، بالإضافة إلى مسجد

(1) ابن مريم التلمساني : المصدر السابق ، ص 287.

(2) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 1 ، ص 145.

(3) (Ch)-brosse Lard : **les inscriptions de Telmcen**, in revue Africaine, 3ème année ,N14 1858, P83.

(4) **مسجد أغادير:** أسسه إدريس بن إدريس سنة (174هـ/790م)، أما في فترة الدراسة فقد قام يغمراسن بن زيان بترميمه حيث لا تزال آثاره قائمة بمدينة تلمسان. عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 1 ، ص ص 145-146. علي ابن عبد الله ابن أبي زرع (ت 741هـ/1340م) : **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** دط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 21.

(5) **الجامع الأعظم بتاجرارت :** شيده يوسف بن تاشفين سنة (473هـ/1080م)، ورممت عدة مرات إلى غاية عهد يغمراسن بن زيان الذي أضف عليها عدة ركائز منها بيت الصلاة والصحن والمئذنة ، تميزت بكبار علمائها منهم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680هـ/1280م)، وأضف عليها السلطان أبو حمو موسى الثاني خزانة كتب قيمة. حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - عصر المرابطين والموحدين -** ، ط 1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1980 ص ص 396-397. التنسي: المصدر السابق ، ص 125.

(6) **مسجد سيدي أبو الحسن :** بناه السلطان الزياني مع الجامع أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة (696هـ/1296م) نسبة إلى العالم الشهير أبو الحسن بن يخلف التنسي، يشتهر بمعالمه وركائزه وزخارفه التي أبهرت العديد من المؤرخين. التنسي: نفس المصدر ، ص 09. عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 1 ، ص ص 146-147.

أولاد الإمام⁽¹⁾ مسجد سيدي إبراهيم المصمودي⁽²⁾، جامع أبي مدين بالعباد⁽³⁾ مسجد سيدي الحلوي⁽⁴⁾.. وغيرهم.

تعتبر المساجد المذكور أنفا كبرى المؤسسات الدينية بتلمسان، وهذا لا يعني أن تلمسان ساهمت في الحياة الفكرية من خلالها فقط ، وإنما هناك مساجد أخرى شُيِّدت أو رُمِّمت من قِبَل سلاطين وأمراء وأهل العلم الذين أولوا عناية شديدة بالعلم. فمن خلال تتبعنا لبعض المصادر والمراجع التي عالجت موضوع المساجد في تلمسان خلال العهد الزياني لاحظنا لائحة كبيرة منها نذكر: الجامع الكبير بندرومة مسجد المشور، مسجد سيدي البناء، مسجد سيدي مخلوف، مسجد أبو عبد الله الشريف، مسجد سيدي

(1) مسجد أولاد الإمام: شيده السلطان أبو حمو موسى الأول سنة(710هـ/1310م) كملحق للمدرسة العتيقة التي بناها ابن الامام، لكن للأسف لم يبقى منها إلا بعض الآثار كالقبيبة ومئذنتها، يقع بين مسجدي أبي الحسن وإبراهيم المصمودي . عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 1 ، ص 147.

(2) مسجد سيدي إبراهيم المصمودي: نسبة للشيخ العالم الصالح، الولي الزاهد التي تعود أصوله إلى قبيلة صنهاجة قرب مكناسة، بها ترعرع، نهل العلم من عدة شيوخ أمثال: موسى العيدوسي ومحمد الأيلي، كما تتلمذ على يده أغلب أهل العلم كابن مرزوق الحفيد، توفي سنة (804هـ/1410م) ودفن بروضة آل زيان، ألقت في مناقبه مؤلفات مثل تأليف تلميذه ابن مرزوق المعنون بـ"مناقب الشيخ الولي الصالح الزاهد إبراهيم المصمودي". ابن مريم التلمساني : المصدر السابق صفحات 64 - 66 - 211. أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي (ت862هـ/1458م) : برنامج المجاري ، تح: محمد أبو الأجفان ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1982، ص ص 132 - 133. أما المسجد فقد شيده من قبل السلطان الزياني أبو حمو الثاني سنة(765هـ/1363م) تكريماً لوالده رفقة المدرسة والزاوية. عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ج 1 ، ص 147.

(3) جامع أبو مدين : أنجزه السلطان المريني أبي الحسن سنة(739هـ/1339م)، ينسب للولي الصالح سيدي أبي مدين شعيب ، ولا زال قائماً إلى اليوم، وفي ذلك يقول ابن مرزوق: "وأما الجامع الذي بناه حذاء ضريح شيخ المشايخ وقدوة الأمة المتأخرين من المتصوفين أبي مدين شعيب بن الحسين رضي الله عنه، فهو الذي عَزَّ مثاله واتصفت بالحسن والوثاقة أشكاله. أنفقا فيه مقدراً جسيماً ومالاً عظيماً". ابن مرزوق التلمساني : المصدر السابق ، ص 403.

(4) مسجد سيدي الحلوي: شيده السلطان أبو عنان المريني، يشمل بيت صلاة ذو خمس بلاطات عمودية على جدار المحراب، و صحن مربع في الزاوية الشمالية الغربية ، ومدخل مزخرف ، شبيه كثيراً بمسجد أبي مدين والبناء تم (754هـ/1353م) تخليداً للولي الصالح المذكور أنفا، أبو عبد الله الشوذي. وعنه يقول ابن الحاج النميري في كتابه" فيض العباب : "وكم أبقى بتلمسان من آثار حسان، ومصانع يعجز عن وصفها كل لسان. ولا كجامع الخطبة الأعظم الذي أمر باختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي - رضي الله عنه - وهو من أجمل الجوامع". ابن الحاج النميري(ت768هـ/1367م) : فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب إعداد: محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1990، ص 488. رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي -، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 ، ج 3 ، ص ص 503 - 504.

زكري مسجد سيدي عبد الله الحوتي، مسجد القيصرية ، مسجد الرّحمة بالعباد، جامع الحفلاويين مسجد ابن حجاج، مسجد درب الصّباغين وغيرها من المساجد التي وجدت خلال العهد الزّياني⁽¹⁾.

ساهم حصاد مساجد تلمسان في إثراء الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط ؛ حيث كانت تعقد فيها المجالس الدّينية وحلقات العلم ،بالإضافة إلى دروس الوعظ والإرشاد فضلاً عن المناظرات وغيرها بين الفقهاء والعلماء والأدباء، وما يمكن قوله تنوّعت الدّروس في شتّى العلوم والميادين بين ذوي الاختصاص العلمي آنذاك، وبمقاييس علمية عالية. ففضلها تطوّرت العلوم العقلية والنقلية، وبرز فيها علماء ومؤرخين تلمسانيين تميّزوا بانجازات عميقة التفكير، وتحصيل غزير تمخض في كتابات فقهية وأدبية وتاريخية مغربية ومختلطة نتيجة للتواصل الفكري وتعدّد الرّحلات وهذا ما أثبتته خزائن الكتب التي احتوتها هذه المساجد وتأثيرها في شتّى المجالات من الحياة، وتمّ دراسة العديد منها من قبل باحثين لكونها بقيت مخطوطات لم يتم تحقيقها لفترة زمنية من التاريخ العريق بتلمسان خاصة والمغرب الأوسط.

ب- مساجد الجزائر: تشمل مدينة الجزائر عدة مساجد نذكر منها:

- الجامع الأعظم: هو أكبر الجوامع بالعاصمة تعود جذور بنائه إلى فترة حكم يوسف بن تاشفين المرابطي، حيث اختلفت المصادر التاريخية في تحديد تاريخ التشييد ،لكن مايفيدنا حالته أثناء العهد الزياني فقد قيل أن الجامع تهدمت منارته لأسباب مجهولة، فجدد بناءها أبو يوسف ابن تاشفين عبد الرّحمن أبي حمو موسى الأوّل سنة (723هـ/1322م)⁽²⁾.

- جامع القشاش(الجامع القديم): يقع بجوار الجامع الأعظم تعود جذوره إلى سنة(798هـ/1397م) وكان يسمّى بالجامع القديم إلى غاية (ق11هـ/17م) أين أصبح يسمى بجامع القشاش فقد ذكره هايدو الذي زار الجزائر سنة(1569م) عندما أشار إلى مساجد الجزائر في القرن 16م التي وجدت فقط : مسجد القشاش، مسجد خضر باشا⁽³⁾.

صفوة القول فإنّ مساجد الجزائر خلال العهد الزّياني قصدتها ثلّة من الطّلبة والعلماء من داخل وخارج البلاد لطلب العلم أو التدريس بها مما ساهم في انتشار الثقافة الإسلامية، فقد مثلت إلى جانب

⁽¹⁾ يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، دط ، تلمسان عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر، 2007 ، ص ص 37-38. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص ص 33-135. كما يذكر الأخوان جورج مارسيه وشقيقه وليام لائحة محتويات تشمل عدة مساجد زيانية. « Table des Matières :grand Mosquée ,P140-358.W Marsais, G, Marçais :les monulents arabes de Tlemcen. Paris ,1903, P358.

⁽²⁾ نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، ط2 ، دار الحضارة ، بئر توتة (الجزائر) ، 2006 ، ص ص 155-157.

⁽³⁾ مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوطات ديفولكس والوثائق العثمانية ، ط1 ، دار الأمة ، الجزائر، 2007، ص47. الحسن الزاوي، مليكة برواق: البعد الجمالي للعمارة العثمانية بمدينة الجزائر- دراسة معمارية أثرية وجمالية لجامع كتشاوة - ، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ، الجزائر 2017، ع6 ، ص230.

تلمسان الحواضر الفكرية والمراكز العلميّة، وليس ذلك فقط وإنّما برزت كذلك بجاية ، مستغانم، قسنطينة كحواضرٍ أخرى ذات ريادة آنذاك.

ج - مساجد قسنطينة: من أبرز المساجد التي عرفتها قسنطينة خلال الفترة محلّ الدّراسة نذكر:

- الجامع الكبير: هو أقدم جامع بالمدينة، يعود تشييده إلى القرن (7/13م) أي العهد الحفصي هو لازال قائماً إلى يومنا هذا مُحْتَقِظاً بمكانته رَغْمُ المُنافسة التي شهدتها في القرون الحديثة⁽¹⁾.

د- مساجد بجاية: تمثّل بجاية حاضرة من حواضر العصور الوسطى التي لعبت دوراً هاماً في المجال الدّيني والعلمي ، فقد عبّر عن ذلك ثلّة من الرّحالة والمؤرّخين أمثال : حسن الوزان الذي وصف مالها من مدراس وجوامع آنذاك قائلاً : "وبها عدد من المساجد وعدد من المدارس العتيقة تدرس بها العلوم وتحيط بها البساتين ولاسيما من جهة الشّرق..."⁽²⁾. وعن الأهميّة التي اكتسبتها بجاية بفضل المساجد المشيدة من السّلاطين والأهالي يشير العلامة أبي عبد الله الشريف (771/1369م) في زيارته قائلاً: "دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدتُ العلم ينبغ من صدور رجالها كالماء الذي ينبغ كم حيطانها فصرتُ أكتب في ظل مسجد سؤلاً وأتركه هناك وصل أمره إلى السلطان"⁽³⁾. ومن هنا يمكننا القول أنّ القرنين السّابع والثامن الهجريين/ الثالث والرّابع عشر الميلاديين عصور نهضة دينية وعلمية ازدهرت فيها العلوم والآداب ببجاية والمغرب العربي قاطبةً، حيثُ استقطبت المنطقة والمدينة خيرة الطلاب والعلماء الذين قدّموا من كل فجّ لطلب العلم والتّعلم على يد شيوخ أجلاء.

فقد قُسمت المساجد ببجاية إلى قسمين: فالقسم الأوّل يُعرف بالمساجد الجامعة المشيدة من قبل السّلاطين والأمراء والولاة التي أغلبها تعود إلى العهد الحمادي الذين اعتنوا بها منذ البناء ممثلة ثروة علميّة، أمّا القسم الثاني فهي مساجد الأحياء المشيدة من قبل الأهالي الذي شيّدوها متولين الإنفاق عليها وفي هذه الورقة سنذكر مجموعة من المساجد في كلا القسمين:

د-1- المساجد الجامعة: من بين المساجد الجامعة نذكر مسجدين مثلاً الدور الكبير للعلم والتعليم والمساهمة في بناء الحركة الفكرية وتطوُّرها في بجاية:

- الجامع الأعظم: شبيه بالمساجد الجامعة التي بنيت في مختلف مدن المغرب العربي قاطبة والمغرب الأوسط خصوصاً، أمّا عن تاريخ التأسيس فتعود إلى القرن (5/11م) على عهد الحاكم المنصور بن الناصر الحمادي (481-498هـ/1088-1104م)، فلذلك أطلق عليه تسمية المسجد المنصوري، مقرّه

(1) فاطمة الزهراء قشي: معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ع19-20 ، الجزائر، جانفي - جوان ، 2003 ، ص13.

(2) حسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص377.

(3) سيدي الحسين بن محمد الورثياني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دط ، طبع في مطبعة بيبير فونتانا الشرقية ، الجزائر ، 1908 ، ص 28.

بجانب اللؤلؤة⁽¹⁾. فعن المكانة التي تمتع بها المسجد خلال القرن (7هـ/13م) يعيّر العبدري قائلاً: "ولها جامع عجيبٌ منفرد في حسنه غريب. من الجوامع المشهورة الموصفة المذكورة وهو مشرفٌ على برها وبحرها. وموضوع بين سحرها ونحرها فهو غاية في الفرجة والأنس، ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس وأهلها يواظبون على الصلاة في مواظبة رعاية ولهم في القيام به تهمهم وعناية"⁽²⁾. ومن العلماء الذين تعلموا وتفقّهوا بها العلامة الجليل أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت704هـ/1304م) الذي جالس عدّة شيوخ من بينهم الشّيخ أبو علي حسن بن علي بن محمّد المسيلي⁽³⁾ حيث يقول عن ذلك في كتابه "عنوان الدّراية" مايلي: "فوصله رسوله وهو جالس بالجامع الأعظم بمحلّ تدريسه"⁽⁴⁾.

- **جامع القصبّة:** اختلفت الدّراسات حول تاريخ تأسيسه، لكن الهادي روجي ادريس في كتابه "الدولة الصنهاجية" أشار إلى أنّه يعود إلى الفترة الموحدية قائلاً: "أما القصبّة فيرجع تاريخها على الأرجح إلى العهد الموحدّي، وليس لدينا حول طوبوغرافيا بجاية، سوى بعض الروايات التي يرجع تاريخها إلى مابعد العصر الصنهاجي"⁽⁵⁾ وهذا يعني أنه خلال القرن (6هـ/12م) كان موجوداً. ومن أبرز جالسيه للتدريس نذكر العلامة الجليل عبد الرحمن بن خلدون الذي اعتلى الخطابة والتدريس بها إذ يقول في كتابه "التّعريف بابن خلدون" أنّ الأمير الحفصي أبي عبد الله حياً⁽⁶⁾ قدومه إلى بجاية وخلع وحمل من أجله قائلاً: "ثمّ وصلت إلى السّلطان فحبا وفدى، وخلع وحمل، وأصبحت من الغد، وقد أمر السّلطان أهل الدولة بمباكرة يابي، واستقلت بحمل ملكه، واستفرغت جهدي في سياسية أموره وتدبير سلطانه وقد منّي للخطابة بجامع القصبّة، وأنا مع ذلك عاكفٌ بعد انصرافي من تدبير الملك غدوة إلى تدريس العلم

(1) رشيد بورويبة: المرجع السابق ، ص ص 208-209. فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق ، ص106.

(2) أبي عبد الله محمد العبدري البننسي (ت700هـ/1300م) : الرحلة المغربية ، تقديم : سعد بوفلاحة ، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، بونة (الجزائر) 2007، ص 49.

(3) الامام علي الحسن بن محمد المسيلي كان يسمى بالحامد الصغير، جمع العلم والتعليم الظاهر والباطن ، له عدّة مصنفات منها " التذكرة في أصول علم الدين". الغبريني : المصدر السابق ، ص13.

(4) نفس المصدر ، ص15.

(5) الهادي روجي إدريس : الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م ، تح: حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993 ، ج2 ، ص109.

(6) "يبيع يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربعة وتسعين وستمائة (694هـ) 04 نوفمبر 1295م...". أبو عبد الله ابن الشماخ (ت863هـ/1459م) : الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح: الطاهر بن محمد المغموري ، دط الدار العربية للكتاب ، بسكرة ، 1984 ، ص 83.

أثناء النهار بجامع القصبه لا أنفك عن ذلك⁽¹⁾. بالإضافة إلى أبي عبد الله بن غريون البجائي (ت733هـ/1333م) خطيب القصبه⁽²⁾.

دون أن ننسى الأستاذ الصالح أبي عبد الله المعافري خطيب جامعي الأعظم والقصبه فهذا يدل على مكانته العلميّة إتقانه لعلوم الدّين، حيث لا يعتلي منابر هذه الجوامع ببجاية آنذاك إلا ذوي الهمة والبراعة الدّينية فعنه يقول الغبريني: "وانتقل إلى بجاية واستوطنها وقرأ بها وجلس للأستاذيّة وانتفع الناس به وكان معروفاً بالصّلاح وكان مرفقاً مكرماً"⁽³⁾. ويضف قائلاً: "فإنّما لا يركن إلى الجلوس فإذا قرأ غيره ممّن يعينه يجلس وذلك بجامع القصبه المحروسة شرفه الله بذكره خطب بالجامعين الجامع الأعظم ثمّ غلب على الخطبة بجامع القصبه لما علم من فضله وعلم من جلاله وصالح عمله"⁽⁴⁾.

د-2- مساجد الأحياء: انتشرت عدّة مساجد في الأحياء البجاوية وهذا دليل على تدين أهاليها وأدائهم للشّعائر الدّينية، وحبّهم لمزاولة أبنائهم تعاليمهم في ربّيعان طفولتهم لتكون الرّكيزة الأساسيّة فلم يبق حيّ إلاّ شديد به مسجد، وقد أحصيت حسب الدّراسات التاريخيّة حوالي ثلاثة وسبعين مسجد تعرض للاندثار على مرّ العصور خاصة على يد الاحتلال الإسباني لبجاية بداية في سنة 1510م⁽⁵⁾. ومن بين هذه المساجد نذكر:

- مسجد المرجاني: ينتسب المسجد للعابد الصّالح أبو زكرياء المرجاني الموصلي، معروف الآن بحومة اللؤلؤة، يمثل مكان ديني مقدّس لاجتماع الفضلاء على الكتاب والسنة⁽⁶⁾.
- مسجد أبي زكرياء الزّواوي: ينتسب للعالم المتصوّف أبي زكرياء يحيى الزّواوي (ت611هـ/1215م) الذي ذكره ابن الزّيان في كتابه "التشوف إلى رجال التّصوف" قائلاً: "سمعت محمّد بن إبراهيم

(1) عبد الرحمن بن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، دط ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت ، 1979 ، ص ص 104-105.

(2) محمد المحيي : المرجع السابق ، ص 107.

(3) الغبريني : المصدر السابق ، ص 65.

(4) نفس المصدر ، ص 65.

(5) يقول رشيد مصطفى في مجلة الأصالة مايلي: " وإذا أردنا الآن أن نقدر عدد سكانها بالتقريب فلنعلم أنه كان بها ثلاثة وسبعون مسجداً بقببها ومنارتها البيضاء فلما احتلها الإسبان هدموا عشرة منها". رشيد مصطفى : بجاية في عهد الحماديين ، مجلة الأصالة ، السنة الأولى ، صادرة عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، 1971 ع 1 ، ص 84.

(6) الغبريني : المصدر السابق ، ص 82.

الأنصاري يقول: حضرت مجلس أبي زكرياء يوماً⁽¹⁾. ويصف الغبريني قائلاً كذلك: "وكان يجلس لعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم التذكير"⁽²⁾.

وذكرت عدة مساجد في المراجع التي تناولت الموضوع أو الدولة الحفصية وانجازاتها العلمية والدينية كمسجد الريحانة، مسجد الموحدين، مسجد النطاعين، مسجد عين الجزيري وغيرها التي مثلت قبلة ومركز ديني لطلاب العلم والعلماء البجائيين أو الخارجين مما ساهم في تحقيق التطور والازدهار الفكري⁽³⁾. فقد تنامت الحركة الفكرية بفضل أدوار السلاطين والأمراء والأهالي في الحواضر المذكورة آنفاً وكذا حواضر أخرى مثل بونة التي اشتهرت بمساجدها خاصةً مسجد سيدي مروان⁽⁴⁾. وكذا ورجلان التي عرفت بجوامعها التي استقطبت خيرة علماء المغرب الإسلامي من بينها الجامع العتيق⁽⁵⁾.

هـ - دور خزائن الكتب في حفظ المؤلفات ببلاد المغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م): ازدهرت بلاد المغرب بكبرى خزائن الكتب أو ما يعرف بالمكتبات، فاعتبارها سمة تعود جذورها إلى مراحل تاريخية ماضية، كما أنها تنوعت بتنوع المؤسسات المذكورة آنفاً فقد حرصت السلطة والعامّة والخاصة خلال الفترة المدروسة على إنشائها وتزويدها بأهمّات الكتب المتنوعة العلوم، حيث لم تخلُ مدينة أو أي مسجد، مدرسة، قصر، بيت عالم، رباط أو زاوية إلا واحتوت مجموعة من الكتب باختلافها من حيث الكم والنوع والمستوى⁽⁶⁾. وفي هذه الورقة سنقوم بتصنيفها على النحو الآتي:

1- المكتبات العامّة: عبارة عن خزائن كتب ألحقت بالجوامع والمدارس والزوايا ساهمت في تحقيق المغرب الأوسط ازدهاراً باعتبارها فضاءات لاستقطاب عامّة الناس خاصّة خلال القرن (8هـ/14م)

(1) أبي يعقوب التادلي المعروف بابن زيان (ت617هـ/1220م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب ومطبعة النجاح الجديدة، الرباط-الدار البيضاء، 1997، ص429.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص62.

(3) روجي إدريس: المرجع السابق، ص111. محمد مجدي: المرجع السابق، ص108.

(4) لازال موجوداً إلى يومنا هذا، وفيما يخص تأسيسه فإن المؤرخ أحمد البوني يذكر أن تشييده يعود إلى سنة (425هـ/1033م). أحمد بن القاسم البوني: التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تح: دحمانى سعيد دط، دار الهدى، عين مليلة، 2001، ص73.

(5) يشير ابن خلدون إلى مروان السلطاني أبو زكرياء على ورجلان ومسجدها المعروف حالياً بمسجد أو جامع لالة مالكية قائلاً: "مرّ بهذا العصر فأعجبه وكلف بالزيادة في تمصيره، فاختلفت مسجده العتيق ومأذنته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ صنعه نقشاً في الحجر وهذا البلد لهذا العهد باب ولوج السفر". فقد كان التشييد سنة (636هـ/1228م). ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص70.

(6) مصطفى زكي عليان: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999 ص ص 113-114.

فالدراستات التاريخية تؤكد أنّ هذا التطور يعود لتولي أولي الأمر مسؤولية دعم النهضة الفكرية في دولهم⁽¹⁾، ومن الخزائن المثيرة التي وصلتنا خلال الفترة محلّص الدراسة نذكر مايلي:

- مكتبة الجامع الأعظم بتلمسان الأولى: شيدها السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1388م) سنة (760هـ/1359م) ومقرها يمين المحراب، فقد قيل أنّه تمّ تدوين هذه العبارة على إحدى أبوابها "أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو بن الأمر الراشدين أيّد الله أمره وأعزّ نصره ونفعه بما وصل نوى وجعله من أهل التقوى وكان الفراغ من عملها يوم الخميس ثالث عشر لذي القعدة عام سبعمائة وستين". فقد شملت أمّهات الكتب النقلية والعلمية. إلا أنّها تعرضت للدمار سنة (1266هـ/1850م) على يد الفرنسيين الذين سعوا لترميمها لكنّها فقدت مضمونها الإسلامي⁽²⁾.

- مكتبة الجامع الأعظم بتلمسان الثانية: أمّا الحاج محمّد بن رمضان شاوش ففي كتابه "باقة السوسان" فيشير إلى وجود مكتبات فالأولى هي المكتبة المذكورة آنفاً، أمّا الثانية فإنّها موجودة في القسم الأمامي من الجامع الأعظم، ثمّ نقلت سنة 1905م إلى المدرسة الإسلامية العربية وبعد ذلك نقلت كذلك إلى ثانوية الحكيم بن الزرجب أيام الثورة وهي من بناء السلطان أبي زيان الثاني سنة (796هـ/1394م)⁽³⁾ فقد كانت تحوي كتب نفيسة عظيمة منها، صحيح البخاري وكتاب الشفاء للقاضي عياض⁽⁴⁾.

- مكتبة مدرسة أولاد الامام: هناك لبس تاريخي عن تاريخ بنائها وعلى يد من تأسست، إلا أنّها كانت مشهورة لكبر حجمها ومجموع الكتب النفيسة التي هي منّظمة في رفوفها، فقد زارها ثلّة من الشيوخ من بينهم العلامة أحمد المقري الذي زار مدرسة أولاد الامام ورافقه الفقيه سيدي علي بن محمّد بن علي بهلول حيث صرّح في كتابه "الرحلة" مايلي: "وظفنا على رسومها الباقية حتّى وصلنا خزانة الكتب المشهورة فألفيناها بباب خاوية على عروشها وقد ملئت بالزبل". وهذا المنظر المقرّف جعل الفقيه سيدي علي يقول:

(1) عيسى كروم: أحباس الكتب المخطوطة في المغرب الأوسط- مواصفاتها وأشكال الانتفاع بها (7-10هـ/13-16م) مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، ع7، الجزائر، 2016، ص96.

(2) نفس المرجع ، ص 97.

(3) محمد رمضان شاوش: المرجع السابق ، ص183.

(4) التنسي: المصدر السابق ، ص211.

خزانة للكتب مملوءة بالزبل في مدرسة أولاد الامام⁽¹⁾ .

احتوت المكتبة عدة مخطوطات نفيسة تاريخية مثل: كتاب "الذُرر والعقبان في بيان شرف بني زيان"، وكتاب "عجائب الأسفار" للعلامة الحافظ أبي الراس النَّاصري⁽²⁾.
 2- المكتبات الخاصة: أشرنا سابقاً إلى دور الوراقة في حفظ المؤلفات فقد تمّ ترتيب تلك النسخ كذلك من قبل العلماء والفقهاء والأدباء في بيوتاتهم بعد عملية جمعها، سميت هذه المكتبات بالمكتبات الخاصة أي موجهة لاستعمالات الفئات العلمية الخاصة، مع إمكانية استفادة العلماء والطلاب منها خاصة أصحاب الثقة، ففي تلمسان برزت العديد منها مثل: أسرة ابن مرزوق التي عرف فيها حبهم لنسخ الكتب الدينية والمصاحف في بيته وكذا أحفاده⁽³⁾.

أما في بجاية فقد لمع عدة أدباء امتلكوا مكاتب خاصة زاخرة بأَمْضهات الكتب مثل : مكتبة النَّحوي أبي عبد الله محمد بن الحسن القلعي(ت673هـ/1273م) التي كانت عطاء علمي لطلبته حيث يقول في ذلك الغبريني مستدلاً ببيتين شعريين :

كتبي لأهل العلم مبنولة يدي مثل أيديهم فيها⁽⁴⁾

3- مكتبات الجوامع والزوايا وخزائن الكتب: تزوّدت الزوايا بالمغرب الأوسط سواء (تلمسان، بجاية الجزائر، قسنطينة.. وغيرها) بمكتبات مهمتها خدمة الطلاب وتسهيل التحصيل العلمي ومن أبرز الزوايا التي احتوت مكتبات متنوعة الكتب مذكر منها:

- مكتبة الجامع الكبير في الجزائر: اشتهرت هذه المكتبة بتعدد خزائنها حتى قيل أنها شبه مكتبة خاصة مالكية، بالإضافة إلى الخزانة العامة الدولية التي كان مقرها الجامع الجديد الحنفي، التي تواجدت بها

(1) أبي العباس أحمد المقرئ : رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر، دط ، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2004، ص ص 140-141.

(2) أبي الراس الناصري: عالم وإمام المعقول والمنقول ، رحل كثير الطلب العلم فجاب مشارق الأرض ومغاربها، مؤلفا عدة كتب زود بها كبرى المكتبات. أبي القاسم أحمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف ، دط ، طبع بمطبعة بيبير فونتانة الشرقية ، الجزائر ، 1906 ، ص ص332-333.

(3) عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج2، ص 337.

(4) الغبريني : المصدر السابق ، ص34.

بعض الوثائق التاريخية المشهورة من قبل الفترة محل الدراسة تعود جذورها إلى أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي⁽¹⁾.

- مكتبة زاوية محمد الهواري: تُعرف كما ذكرنا سابقاً بزاوية التازي في وهران التي أنشئت خلال (ق9هـ/15م). ففي إشارة للإزدهار الثقافي الذي تميّزت بها الزاوية ثم ذكر المكتبة والمشاكل التي تعرضت إليها من قبل المؤرخ مختار حساني قائلاً: "فقد نُهبَت مكتبتها التي كانت بزاوية محمد الهواري والتي كانت تحتوي على نفائس الكتب لعلماء المغرب الإسلامي والأندلس، فنقلت من طرف الكاردينال خسيمانس"⁽²⁾. وهذا يعني أنّ المكتبة قد نُهبَت من بعد سقوط وهران على يد الإسبان سنة 1509م.

تمتعت المكتبات مابين القرنين (7-9هـ/13-15م) بنظامها الذي يُعدُّ جزءاً من المنشأ التعليمي التابعة له سواء مدارس أو مساجد أو زوايا والمعروف من خلال المادة التاريخية التي وصلتنا عن بعض المكتبات أنّ كتبه كانت مُنظمة ومُرتبة ومُبوّبة حسب فنونها وتخصّصها لِيَسْهُل على طلاب العلم والعلماء الوافدين إليها أو النَّاسخين الاستفادة منها دون عناء حيث يقول المؤرخ عبد العزيز فيلالي: "لأنّ المكتبة تعدُّ عصب المدرسة وشريانها، وكانت الكتب فيها تُبوّب وترتب حسب فنونها وتخصّصها، حتّى يسهل على الدّارس الحصول عليها"⁽³⁾.

لكن كانت هناك بعض أصناف الكتب التي لم تكن تُحَبَّدُ عند أمناء المكتبات لمخالفتها آراء وعقائد الفقهاء والعلماء المتوافدين عليها مثل كتب الفلسفة حيث قال أيضاً فيلالي: "كانت المدارس والمساجد تحتوي على المكتبات (الخرانات)". ويضف قائلاً: "والظاهر أنّ أمناء المكتبات والمشرفين عليها، صاروا لا يُقْتَنون كتب الفلسفة..."⁽⁴⁾. أمّا بالنسبة لدوام المكتبات فقد كانت تفتح أبوابها طيلة أيام الأسبوع ويزداد الإقبال عليها ما بين صلاتي العصر والمغرب دون الإعارة الخارجية حيث لم يدُم ذلك طويلاً فأصبح من عادة المدرّسين إخراج الكتب لهم ولطلبتهم شرط كم الكتاب الواحد دون الاثنین مع فرض قانون يخضع لنظام الأحباس⁽⁵⁾.

خلاصة القول يمكننا أن نعتبر المكتبات ليست مستودعات فقط خلال الفترة ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م) بل عبارة عن أدوات ووسائل تربويّة تبرز النشّاط الطلابي وتفاعلهم، كما أنّها وعاء

(1) المهدي أبو عبدلي: مراكز الثقافة وخرائن الكتب بالجزائر، مجلة الأصالة، مجلة تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، دط، مطبعة البعث، قسنطينة، 1392هـ/1972م، ج1، ص103.

(2) مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص238.

(3) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص326.

(4) نفس المرجع، ج2، ص360.

(5) نفسه، ج2، ص350. أبي العباس الونشريسي (ت914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- دار الغرب الإسلامي، الرباط- بيروت 1981، ص ص 340-341.

لتحقيق الرُّقي والازدهار الثقافي لعدّة شعوبس. فقد حققت نماءً علمياً وثقافياً ساهم في تنوع العلوم والمعارف.

و- قراءة للعلوم السائدة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م):

إنّ تضافر عدّة عوامل كما أشرنا سابقاً ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية والعلمية بالمغرب الأوسط منها ما أبداه سلاطين بن زيّان من اهتمامٍ للعلماء والعلم، وكذا عنايتهم وذوي العلم بإنشاء مؤسسات علميّة استقطبت كفاءات علميّة سواء للتّعلم أو للتعليم، أضف إلى ذلك إسهامات الرّحلات العلمية التي أذكت روح التنافس والازدهار الثقافي. فما إن انطفأ نور القرن (7هـ/13م)، إلّا وأُنير نورُ القرن (8هـ/14م) بفضل جيلٍ من العلماء الأكفاء في شتّى المجالات وضعوا بأعمالهم بساطَ الفكر خلال القرن (9هـ/15م) حتّى قيل أنّ المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة حاضرة فكرية عربية إسلامية، ومن هنا نتساءل فيما تتمثل أبرز العلوم النقلية والعقلية التي كانت سائدة في المغرب الأوسط خلال الفترة ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م).

المغرب الأوسط مثله مثل الحواضر العربية الإسلامية خلال فترة الدّراسة تميّز بانتشار علوم عدّة مثلت المضمون الفكري الثقافي لمنطقة المغرب الإسلامي نذكر منها:

و-1- العلوم النقلية: نالت الحظّ الأوفر من العناية سواء عند الطبقة السُلطانية أو عند العلماء بالمغرب الأوسط، فلذلك لقيت علوم القرآن والسنة من تفسير وقراءاتٍ وحديث وفقهٍ وتصوّفٍ اهتمامهم فأسسوا لها مساجدَ وزوايا وأربطة كأرضٍ خصبة لتطويرها.

- علوم القرآن: علم يهتمّ بدراسة جميع الأبحاث المتعلّقة بالقرآن الكريم، حيث يعرفه الزّرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن" كونه. "مباحث تتعلّق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ويقع الشبه عنه، ونحو ذلك"⁽¹⁾.

- علم القراءات: يعرف ابن الجزري القراءات بأنّها " علمٌ بكيفية أداءِ كلمات القرآن واختلافها بعزو النّاقلة. خرج النّحو واللّغة والتّفسير وما أشبه ذلك."⁽²⁾

فقد كانت الدّراسات القرآنية ببلاد المغرب الأوسط قبل الفترة محل الدّراسة محدودة جداً، على غرار فترة الدراسة التي برز فيها عدّة علماء في علم القراءات بداية من القرن (7هـ/13م) وطيلة القرنين (8-9هـ/14-15م) ومن أبرز علماء هذا العلم نذكر:

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1943، ج1، ص27.

(2) ابن الجزري : منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تح: ناصر مجدي محمد جاد ، ط1 ، دار الأفاق للنشر والتوزيع ، القاهرة 2010 ، ص39.

- شيخ مقرئ المغرب أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي (ت750هـ/1350م): هو أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الزواوي، شيخ القراء قرأ على مقرئ فاس علي القرطبي، ومالك ابن المرغل، فقد قال عنه ابن حجر في كتابه "الدرر الكامنة" مايلي: " وعمل فهرسة مقروءاته ومروياته في مجلدة سمعها منه شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد السلاوي"⁽¹⁾.

- ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م): عُرف ببراعته في شتى لمجالات خاصة علم القراءات وعلم اللغة لأنه أخذ العلوم على جماعة من الشيوخ فقال التنبكتي " الأستاذ المقرئ المجدد النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي المسلك المتخلق الولي الصالح العارف"⁽²⁾.

- محمد بن عبد الله التنسي(ت899هـ/1494م): نذر حياته للعمل حتى صنف كإمام ومقرئ ومؤرخ، ففي علم القراءات برز بمصنّفه المعروف "الطراز في شرح ضبط الخراز"، وهو شرح على مورد الظمان في رسم أحرف القرآن؛ الذي يعدّ أجزوة نظمها محمد بن إبراهيم الشريشي المعروف بالخراز وفي ذلك يقول ابن مريم التلمساني: " وله تأليف منها نظم الدر والعقبان في دولة آل زيّان وتأليف في الضبط أي في رسم الخراز سمّاه الطراز....."⁽³⁾.

هذه نماذج عن أبرز علماء القراءات الذين اشتهرت بإسهاماتهم في منطقة المغرب الأوسط أضف إلى ذلك علماء آخرين لمعوا في قلعة بجاية أبرزهم:

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعافري: ذكره الغبريني في كتابه قائلاً: " الأستاذ المقرئ الصالح المبارك المعروف بابن الخراط"⁽⁴⁾. وهذا يدل على نباهته ووجاهته، فحبّه للعلم جعله يحضر عدّة مجالس لينهل من مشايخها القراء أمثال: أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي والمقرئ الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفراء وغيرهم⁽⁵⁾.

(1) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1، ص289. عادل نويهض: المرجع السابق، ص161.

(2) التنبكتي: المصدر السابق، ص499. عبد الرحمن الثعالبي(ت875هـ/1471م): تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي معوض - عادل عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ

العربي، بيروت- لبنان، 1418، ج1، ص14.

(3) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص248.

(4) الغبريني: المصدر السابق، ص64.

(5) نفس المصدر، ص65.

- محمد بن مزي القلعي: زاهد اعتزل بأهله وسكن قلعة بني حمّضاد في مكان وعِرّ بالجبل، حيث شيّد مكان له في المسجد الجامع الكبير⁽¹⁾.

- علم التفسير: بما أن علم التفسير هو "علمٌ يبحثُ فيه أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلّقة بالأحكام"⁽²⁾. فقد تمّ تقسيمه إلى قسمين انطلاقاً من مبدئه ومصدره وهما: التفسير المأثور والتفسير بالرأي⁽³⁾؛ حيث راج كلا الصّنفين ببلاد المغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م) على يد ثلاثة من علماء التفسير نذكر منهم هؤلاء الشيوخ والكتابات التفسيرية الرّائعة آنذاك: -مساهمة الشيخ أبو عبد الله الشّريف التلمساني (ت771هـ/1369م) الذي لازم المفسرين والقراء حتّى برع في العلم وما يؤكد ذلك قول الفقيه المقري في حضرة السّلطان أبي عنان عن الشيخ أبو يحيى المطغري "فسّر أبو عبد الله بحضرة العلماء كافة في دار السّلطان"، وذلك بعدما طلب من العالم المقري الإقراء والتفسير فرفض في حضرة الشيخ أبو عبد الله⁽⁴⁾.

- مساهمة سعيد العقباني التلمساني(ت811هـ/1480م): ساهم من خلال شرحه سور قرآنية منها "سورة الفاتحة"⁽⁵⁾.

ونظراً للمكانة التي عرّفها علم التفسير أنصب عدّة مفسرين تلمسانيين ووهرانيين وقسنطينيين وغيرهم على دراسة علم التفسير، وقد أوجد لنا المغرب الأوسط شخصيات بارعة مثل: عبد الرّحمان الثعالبي(ت875هـ/1490م)⁽⁶⁾، وأحمد بن محمد بن زكري(ت899هـ/1442م)⁽⁷⁾، بالإضافة إلى ناصر

(1) محمد الحفناوي : المرجع السابق ، ص ص506-507.

(2) عبد العظيم الزرقاني : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 04.

(3) محمد علي الصابوني : التبيان في علوم القرآن ، ط 3 ، دار إحسان للنشر والتوزيع ، إيران ، 2003 ، ص ص 67-155.

(4) التنبكتي : المصدر السابق ، ص ص 435-436.

(5) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج 1 ، ص 394 . شمس الدين الداودي (ت975هـ/1538م) : طبقات المفسرين ضبط لجنة من العلماء ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983 ، ج 1 ، ص ص 189-190.

(6) يقول التنبكتي عنه: "صاحب التصانيف المفيدة ، كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين"، قال السخاوي : " كان إماماً علامة مصنفاً اختصر تفسير ابن عطية في جزأين وشرح الحاجب الفرعي في جزأين وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها" . التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص ص 257-258. الحفناوي : المرجع السابق ص 64.

(7) مفسر وعلامة له عدة تآليف منها مسائل القضاء والفتيا وبغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب والمنظومة الكبرى في علم الكلام وغيرها. وقيل مؤلفاته أصابها يد البطش والتهجير. عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 159. التنبكتي: المصدر السابق، ص ص 129-130.

الدِّين المشذالي (ت731هـ/1331م)⁽¹⁾، وكذا إبراهيم بن موسى الزَّواوي (ت857هـ/1458م) وغيرهم من المفسرين⁽²⁾.

- علم الحديث: "هو علم يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية"⁽³⁾؛ نعني بذلك العلم المتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم وأُمَّته، من خلال دراسة الحديث النبوي سنداً ومتوناً ينقسم إلى ثلاثة أصناف: الحديث الصحيح، والحسن، والضَّعيف، الغرض منه رواية ودراية حفظ الحديث من الاندثار والتميز بين الأحاديث⁽⁴⁾.

فقد أشرف عدَّة مُحدثين بالمغرب الأوسط على هذا النوع من العلوم وذلك بتعدد وتنوع إنتاجاتهم الفكرية، ومن العلماء الذين أولوا عناية به، وذكرتهم عدَّة مجالس بذكر العلم نذكر: الشَّيخ المحدث أبو إسحاق التنسي (ت680هـ/1280م)⁽⁵⁾، والمقرئ المقرئ الجد (ت759هـ/1358م)⁽⁶⁾.

(1) مفسر وفقه عرف بدروسه الحسنة المنقحة، كثير البحث، برع في تفسير كتاب الله تعالى وحديث رسول صلى الله عليه وسلم كونه من أهل الفتيا والشورى. الغبريني: المصدر السابق، ص105.

(2) يقول عنه السخاوي: "ولم ينفك عن الاشتغال والاشغال حتى برع في جميع هذه الفنون لاسيما الفقه وعمل تفسيراً وشرح ألفية ابن مالك في مجلد وتلخيص المفتاح في مجلد أيضاً". من كتبه "تفسير القرآن". السخاوي: الضوء اللامع ج1، ص116. عادل نويهض: معجم المفسرين - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر -، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1988، مج1، ص18.

(3) قسم علم الحديث إلى قسمين منها علم الحديث الخاص بالرواية، الذي يشمل كل ما نقل من أقوال وأفعال وروايات لرسول ﷺ وضبطها وتحديد ألفاظها. وعلم الحديث الخاص بالدراية وتعني به معرفة حقيقة الرواية شروط، أنواع أحكام حال الرواة، شروطهم، وأصناف مروياتهم. جلال الدين السيوطي: تدريب الرواي، تح: أبو قتيبة الفاريابي، ط2 مكتبة الكوثر، بيروت، 1415هـ، ج1، ص25-26.

(4) أول مصنف في الصحيح "صحيح البخاري"، وأما قول الترمذي وغيره، حديث حسن صحيح، ونعني بالضعيف مالم يجمع صفة الصحيح أو الحسن. محي الدين بن شرف النووي (ت676هـ/1278م): التقريب والتسيير لمعرفة سنن البشير النذير، تح: محمد عثمان الخشت، ط1، در الكتاب العربي للنشر، بيروت، 1985، صفحات25-26-29-31.

(5) أما الشيخ أبو عبد الله بن الإمام ابن العباس أشار إلى ملازمة الشيخ أبو إسحاق التنسي لمدة عشرة سنين فحضر دروس القراءات والتفسير والحديث والفقه واللغة العربية وغيرها. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص249.

(6) ألفا مؤلفاً بعنوان "عمل من طب لمن حب" يندرج ضمن كتب علم الحديث "أحاديث الأحكام". وقد قسمه إلى أربعة أقسام: الأول؛ أحاديث نبوية. والثاني؛ الكليات الفقهية. الثالث؛ القواعد الحكمية، الرابع؛ ألفاظ حكمية مستعملة في الأحكام الشرعية. أحمد المقرئ التلمساني (ت759هـ/1358م): عمل طب لمن حب، تح: بدر بن عبد الإله العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص ص35-36.

بالإضافة إلى المُحدث والفقير الحسن بن مخلوف (ت868هـ/1464م)⁽¹⁾ كما برز علماء ومحدثين ومفسرين جمعوا شتى المعارف والعلوم مثل: أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1369م)⁽²⁾ والشَّيخ المحدث ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ/1380م)⁽³⁾، وعبد الرَّحمان الثعالبي (ت895هـ/1490م)⁽⁴⁾ وغيرهم.

- علم الفقه: تنامت الاتجاهات الفقهية بالمغرب الأوسط خلال الفترة محل الدراسة، تعليماً وعلماً وفتوى وذلك برهان على النَّعصب الدِّيني الذي أبداه كبار شيوخ الفقه آنذاك أمثال: أبي إسحاق التنسي (ت680هـ/1281م)، فقد اعتلى فتوى إفريقية وتلمسان، ووصل صدى أعماله ضفاف المغرب الأوسط⁽⁵⁾ بالإضافة إلى الفقيه البجائي المشهور بالمسفر (ت744هـ/1343م)⁽⁶⁾؛ مجالس الفقهاء وامتدلي المكانة العلمية ببجاية. وقد ساهم أبي عبد الله المقري الجد (ت758هـ/1357م) بكتبه الفقهية منها كتاب "القواعد" الذي يشكل ألف قاعدة ومائتي قاعدة وكذا "اختصار المحصل" ، و "عمل من طب لمن حب" وغيرها من التأليف⁽⁷⁾.

دَوَّن العلماء عدَّة مؤلفات فقهية بفضل اشتغالهم التدريس باعتباره مقصدهم لفضِّ النزاعات والمشكلات نذكر منها تأليف أبو عبد الله التلمساني (ت771هـ/1369م) المعروف بـ "المثل العقلية

(1) يقول عنه ابن القاضي: "الفقيه المحدث الرحالة أبو عبد الله الراشدي". ويصف الشريف التلمساني قائلاً: "شارح الشفا شرحين أكبرهما في مجلدين وسما بالعلم العالم.. وله تقييد يسمى بالثاقب في لغة ابن الحاجب". أبي العباس أحمد ابن القاضي المكناسي (960هـ/1025م): *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح: محمد الأحمد أبو النور، ط1، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1971، ج2، ص295. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص220. عادل نويهض : المرجع السابق ، ص288.

(2) عرف بشروحه الفقهية ، ومن بين الأحاديث التي اختبر فيها حديث "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم... الخ". ويمكن من استنباط أزيد من خمسة وعشرون فرقاً مرجحاً ما يرجح منها. ابن مريم التلمساني: نفس المصدر، ص173.

(3) يقول ابن حجر العسقلاني عن ابن الخطيب مايلي: "كان مليح الترسل حسن اللقاء كثير التودد طيب الحديث... وقد عني بالحديث وقاء المشايخ ، وتكثرهم حتى بلغ عدد شيوخه ألف شيخ". العسقلاني: إنباء الغمر، ج1 ، ص206.

(4) أولى عبد الرحمان الثعالبي عناية هامة بعلم الحديث وبصحيح البخاري ، ناهلاً ذلك من عدة شيوخ منهم شيخ المحدثين ولي الدين العراقي. ويقول مادحاً نفسه "ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث". كما قال عنه علماء المغرب "كنت آية في علم الحديث". التتبكتي : نيل الابتهاج ، ص259.

(5) "وكانت الفتاوى تأتيه من إفريقية وتلمسان إلى تنس". التنسي: المرجع السابق ، ص126.

(6) عالم بجاية وفقهها أشار إليه عدة كتّاب سواء الذين عاصروه أو جاءوا من بعد مثل: ابن فرحون وابن الخطيب القسنطيني قائلين كونه مدرس وفتي وقاضي الجماعة ببجاية، عرف مجلسه باجتماع كبار الفقهاء والفضلاء، برع في مختلف فنون العلوم ، له شعر فائق، وأجوبته في الفتيا، تولى عدى مناصب إلى أن وافته المنية سنة (744هـ/1343م) التنسي : المرجع السابق، ص 401-402. ابن فرحون: الديباج المذهب ، ج2 ، ص326.

(7) أحمد المقري : المصدر السابق ، مج5، ص 284-285.

والفقهية" حيث يقول عنه ابن مريم التلمساني: "عالمًا بأصول الفقه ألف فيه تأليفاً جليلاً سمّاه مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول، طبق فيه مسائل الفقه مع الأصول"⁽¹⁾.

تتألف الفكر الفقهي على يد فقهاء القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين أمثال: ابن مرزوق الخطيب الجد(ت781هـ/1380م)؛ الذي شرح النقيس على الشفا، وشرح الأحكام الصغرى، وشرح فرعي ابن الحاجب المشهور بعنوان "إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب"⁽²⁾. في حين وصلتنا عدة مسائل فقهية ناقشها سعيد العقباني(ت811هـ/1480م) منها "لب الأبواب في مناظرات القباب"⁽³⁾. ومن أهل مازونة ألف أبو زكرياء يحي المازوني(ت833هـ/1428م) مؤلف كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"⁽⁴⁾. بالإضافة إلى فقهاء آخرين كمحمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) صاحب "المدونة"⁽⁵⁾، وكذا الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت990هـ/1503م) الذي ساهم بمخطوطه الشهير "إفهام الأنجال أحكام الآجال" وغيرها من المؤلفات في نفس الميدان⁽⁶⁾.

ولم يكن أحمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ/1508م) أقل أهمية علمية عن من سبقه؛ حيث ورث بيوتات العلم التي توافد عليها أصول العلوم الدينية منها الفقه، والدليل على ذلك مصنّفه

(1) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص 173.

(2) التتبعي: المصدر السابق، ص 455.

(3) وصلتنا عدة عناوين عن مصنفات تبحر فيها في شتى المعارف نذكر منها: شرح الحوفية، شرح الجمل للخونجي في المنطق، "وسيلة بذات الله وصفاته، شرح الحوفية، شرح العقيدة البرهانية، شرح التلخيص لابن البناء، شرح البردة، شرح سورتى الأنعام، الفتح، لب الأبواب في مناظرات القباب. أبي عثمان سعيد بن محمد العقباني(ت811هـ/1408م): كتاب الوسيلة بذات الله وصفاته، تح: نزار حمادي، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 2008، ص ص 25-27.

(4) أكد أبو زكرياء يحي المازوني عن سبب تأليفه لكتاب "الدرر المكنونة" قائلاً: "وكثر علي نوازل الخصوم وتوالت لدي شكايات المظلوم"، وهذا يعني أن كثرة المشاكل والنزاعات كانت سبباً لتدوين هذا المؤلف. محمد رضا الكريف: الدرر المكنونة في نوازل مازونة لمسائل النكاح والإيلاء واللعان والظهار والعدد والرضاع والنفقات، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية شعبة الفقه وأصوله، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015-2016، ص 57.

(5) تناول ابن مريم التلمساني مجموعة من المؤلفات التي دونها محمد بن يوسف السنوسي. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص ص 246-247.

(6) مخطوط عدد: 5470 لخزانة العامة بالرباط، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى لتبحر أكثر. محمد علي بن عبد الكريم المغيلي(ت909هـ/1504م): رسالتان في أهل الذمة، تح: عبد المجيد الخيالي، ط1، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص ص 13-14.

الشَّهير "المعيارُ المعرَّب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيَّة والأندلس والمغرب"⁽¹⁾، وقد تميَّزت الفترة حسب ما ذكرته المصادر بالإثراء الدِّيني فيما يخصُّ علم أصول الفقه⁽²⁾. فقد تولَّى المقري الجد (ت1357/هـ/758م) تدريس علم أصول الفقه فدوَّن إثر ذلك مُختصراً سمَّاه "المحصل"⁽³⁾، وعلى نهجه سار الفقيه المالكي الأصولي أبي عبد الله الشَّريف التلمساني(ت1369/هـ/771م) مؤلفاً كتابه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول"⁽⁴⁾. كما قيَّد الأصولي والمؤرِّخ ابن قنْفذ القسطنطيني (ت1407/هـ/810م) شرحاً لمختصر ابن الحاجب عنونه "تفهيمُ الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب"⁽⁵⁾ بالإضافة إلى سعيد العقباني(ت1408/هـ/811م) الَّذي اختصر النَّفس الأصولي من خلال شرح سمَّاه "مختصرُ ابن الحاجب"⁽⁶⁾.

(1) أبي العباس أحمد الونشريسي (ت914/هـ/1508م) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، تخرّيج: محمد حجي ، دط ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1981م ، ج1، ص01.

(2) يعتبر علم أصول الفقه أعظم العلوم التي يدرك بها مراد الله تعالى ورسوله أي مفتاح الفقه في الدين. ونعني به: "القواعد والأدلة العامة التي يتوصل بها إلى الفقه". والأدلة هي مصادر التشريع (الكتاب، السنة، الإجماع، القياس). عبد الله بن يوسف الجديع : تسيير علم أصول الفقه، ط1، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1997 ، ص ص 6-13.

(3) أحمد المقري: عمل من طب ، ص18. وقد أشار نفس المؤلف في كتابه نفع الطيب، كون هذا المؤلف الأصولي لم يكمل تأليفه. أحمد المقري: نفع الطيب ، مج5 ، ص285.

(4) يشير الشريف التلمساني عن سبب وتاريخ تأليف كتاب "المفتاح" المحقق محمد علي فركوس إلى أن ذلك يعود ذلك لرغبته إقامة علاقة وطيدة بينه وبين السلطان أبي عنان المريني، وهذا الكتاب الأصولي سعى من خلاله لكسب ود ذلك الأخير خاصة وأن الإمام أبي عبد الله الشريف كان سابقاً يدون مصنفاته القليلة على مذهب شيخه الأبلي فقد جاء بتدوين "المفتاح" بعد عام من استيلاء السلطان المريني بأبي عنان على تلمسان(753/هـ/1353م)، وكانت سنة(754/هـ/1354م) تاريخ إنهاء التأليف، وذلك رغبة في اكتساب ود السلطان وضمه لمجلسه العلمي. أبي عبد الله محمد بن أحمد التلمساني (ت1369/هـ/771م) : مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، تح: محمد علي فركوس ، ط1، المكتبة الملكية مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998 ، ص ص 228-229.

(5) عن سبب تدوينه يقول: "قيدته زمان قرأنا على شيخنا أبي محمد عبد الحق الهسكوري بمسجد البليدة من مدينة فاسوكان الابتداء الأول سنة سبعين وسبعمائة". ابن قنْفذ القسطنطيني (ت1408/هـ/810م): أنس الفقير وعز الحقيير، نشر وتصحيح : محمد الفاسي، أدولف فور، دط ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، 1965 ، ص "ز". ابن قنْفذ القسطنطيني: شرف الطالب في أنسى المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، ط1، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض 2003 ، ص41.

(6) أشار إليه الامام العقباني في آخر شرحه لكتاب الوسيلة ، وهو مخطوط موجود منه نسخة في خزانة القرويين بفاس وجزء آخر بالمكتبة الوطنية بتونس. ويضف التنبكتي قائلاً أن هذا المؤلف نهل منه عدة شيوخ مثل: الامام العارف بالله المصمودي، والإمام ابن مرزوق الحفيد وغيرهم. سعيد العقباني: كتاب الوسيلة ، ص26. التنبكتي: نيل الابتهاج ص190.

وتصدّر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي الأصولي أحمد بن زكرياء (ت900هـ/1493م) من خلال شرحه لإمام الحرمين الجويني الذي قام بشرح "الورقات" في مؤلفه "غاية المرام"⁽¹⁾. والملاحظ على أصوليي المغرب الأوسط أنهم بلغوا مبلغاً لا نظير له في علم الفقه وأصوله فكانوا أصوليين بالفقه وفروعه، مما جعلهم يناقسون فقهاء المشرق والأندلس في هذا الحقل ونشره وتدوينه.

- علم الكلام: فقد ساهم عدّة علماء في نشر هذا العلم وتدرّسه للطلاب، ونعني بعلم الكلام حسب الايجي (ت756هـ/1356م): "والكلام علمٌ يقتدر معه على إثبات العقائد الدّينية بإيراد الحجج ودفع الشبه والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالذّينية المنسوبة إلى دينٍ محدّد عليه السّلام فإنّ الخصم وإنّ خطأه لا نخرجه عن علماء الكلام..."⁽²⁾. فالملاحظ أنّ علم الكلام يشمل مذاهب متعدّدة لا بدّ من التحقق منها، وعندما ارتبط علم الكلام بالتاريخ أصبح يقصد به ما يتعلق بنفوذ أكثر ممّا يتعلق بأفكاره وآثاره، وبفعله أكثر من مضمونه⁽³⁾. فبالرغم ممّا تعرّض له علم الكلام مشرقاً ومغرباً قبل الفترة محل الدّراسة من إهمال حتّى قيل أنه غير ضروري، إلّا أنّ علماء المغرب الأوسط أولوا اهتمامهم لهذا العلم من خلال مؤلفات دونت آنذاك. ولعلّ أهمّها:

- كتاب "القضاء والقدر" للشّريف التلمساني (ت771هـ/1369م): يشير إليه ابن مريم التلمساني قائلاً: "ألف كتاباً في القضاء والقدر أجاد فيه وقدر الحقّ مقداره. وعبر تلك العلوم الغامضة أحسن تعبير وإليه مفزع علماء المغرب في حلّ ما أشكل من علومه"⁽⁴⁾. فالملاحظ أنّ هذا المؤلف اكتسب أهمية بالغة خلال عصره، كما انتشر بعد ذلك ليركز عليه العلماء في دراساتهم عليه متناولاً أمور دينيّة ودنيويّة مقدرة للخليفة وقضاء إلّا هي.

(1) ذكر ابن زكرياء في مقدمته الدوافع التي جعلته يدون مؤلف خاص لشرح مقدمة إمام الحرمين قائلاً: "أما بعد : فإن بعض الطلبة سألني أن أشرح لهم مقدمة إمام الحرمين صنّفها في أصول الفقه الذي هو سبب السعادتين ، ولما تكرر منهم السؤال وتعيّن الجواب على كل حال ، صرفت عنان العناية إلى شرح يحل أفاضها المخروزة..". أما عن تاريخ تأليفه لم يحدد حسب المحقق. أبي العباس أحمد بن زكري التلمساني المالكي (ت900هـ/1443م): غاية المرام في شرح مقدمة الامام ، تح: محند أوادير مشنان ، ط1 ، دار التراث ناشرون- دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر- بيروت ، 2005 ، ص243.

(2) السيّد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت816هـ/1413م): شرح المواقف- ومعه حاشيتنا السّيالكوتي والحلبي- ضبط وتصحيح: محمود عمر الدّمياطي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، ص ص40-41. حسن محمود الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام ، ط2 ، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، باكستان ، 2001م ، ص15.

(3) حسن سلهب : علم الكلام والتاريخ - إشكالية العقيدة في الكتابة التاريخية الإسلامية - ، ط1، مركز الحضارة والتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، 2011 ، ص ص40.

(4) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص 172.

- كتاب "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد" لابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م): ذكره البغدادي في كتابه "هدية العارفين" ضمن مجموع المؤلفات التي دونها⁽¹⁾. ومن تسميته يعني الوجدانية والخروج من الظلمات والجهل الذي كان سائداً نتيجة البدع والخرافات التي كانت مستمرة نتيجة بعض الاتجاهات.

- كتاب "العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة": عبارة عن مجلد واحد ضخّم دونه عبد الرحمان الثعالبي (ت875هـ/1480م)⁽²⁾. فلم تنل فقط هذه المؤلفات مكانة وشهرة خلال فترة الدراسة وإنما وصلتنا عدّة مؤلفات ومخطوطات ناقشت عدة مواضيع عقائدية شرحاً وتقريراً وحفظاً، جال بها العلماء مشارق الأرض ومغاربها نذكر منها: "الجزائرية في العقائد الإيمانية" لأبي العباس أحمد الزواوي (ت884هـ/1479م)⁽³⁾ وكتاب "العقيدة الكبرى" لرائد العقيدة والمذهب الأشعري محمّد السنوسي (ت895هـ/1490م)⁽⁴⁾. بالإضافة إلى منظومة لابن زكري (ت900هـ/1493م) المسماة "محصل المقاصد فيما به تعتبر العقائد"⁽⁵⁾ وغيرها من المؤلفات التي لا تُحصى ووصلتنا في طيّات مصادر تاريخية ودينية.

- علم التصوف: شاع التصوف دُنيا ودين بالمغرب الأوسط سواءً التصوف الديني السني أو الفلسفي حتّى شهّد في الفترة ما بين (ق7-9هـ/13-15م) رواجاً بفضل مُريديه وعلمائه الذين خاضوا غمار التأليف الصوفي، فقد ترك لنا عدّة علماء كتباً وتقايد تؤكد ذلك مثل:

- كتاب "الحقائق والرقائق" للمقري الجد (ت759هـ/1358م): تم نشره بدعوة الحقّ، فقال عنه ابن مريم التلمساني "ومنها كتاب الحقائق"⁽⁶⁾ والرقائق في التصوف بديع لطيف الإشارة وهو كثير في أيدي الناس بتلمسان.

- كتاب "الشفاء السائل في تهذيب المسائل" لعبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1405م): تناقل في مجموعة من المسائل المتعلقة بسلوك التصوف نهج فيه ابن خلدون كعادته المنهج العلمي القائم على العرض والتحليل والاستنتاج والمناقشة، فمن أجل إظهار حقيقة التصوف قدم أربع مقدمات تشمل (معنى

(1) البغدادي: هدية العارفين، مج2، ص192. أحمد المقري: نفخ الطيب، مج5، ص430.

(2) التتبكتي: نيل الابتهاج، ص259.

(3) يقول الزركلي: "له اللامية في علم الكلام، تسمى الجزائرية في العقائد الإيمانية، - خ - في الأزهرية، شرحها الامام السنوسي". الزركلي: الأعلام، ج1، ص160.

(4) سماها حسب ابن مريم التلمساني "عقيدة التوحيد" في عشرة أوراق، بالإضافة إلى العقيدة الوسطى والصغرى. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص245.

(5) تشمل هذه المنظومة الكلامية نيف و1500 بيت شعري وهي مخطوطة موجودة في الخزانة العامة بالرباط الدرج 1066. الزركلي: المصدر السابق، ج1، ص231. التتبكتي: نيل الابتهاج، ص563-571.

(6) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص163.

الروح والنفس والعقل والقلب، كيفية اكتشاف الروح للمعارف والعلوم، معنى السعادة وتفاوتها، بيان لذة المعرفة في الدنيا⁽¹⁾.

- كتاب "أنس الفقير وعز الحقيير" لابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م): عرف فيه ابن قنفذ على رجال النُصوف أمثال: أبي مدين وأصحابه مُسترسلاً حياة الصُوفية في المغرب خلال القرن (8هـ/14م). اعتمد المحقق في دراسته للمؤلف خمس نسخ (مخطوط الخزانة العامّة بالرباط مسجل تحت رقم 5034 مخطوط الأستاذ كولان، مخطوط الخزانة العامّة المسجل تحت عدد 1488 مخطوط خزانة الكاتب الخاص لابن قنفذ⁽²⁾). كما شارك عدّة فقهاء متصوفة من خلال مؤلفات دوّنت في الحقل نذكر منهم: محمّد بن عمر الهواري (ت 843هـ/1439م) صاحب منظومات التصوف الثلاثة (التسهيل - التبيان - تبصرة السائل)⁽³⁾. وكذا المتصوف إبراهيم التازي (ت 866هـ/1462م) الذي لمع في الفكر الصُوفي⁽⁴⁾ بالإضافة إلى محمّد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1490م) مؤلف "مختصر رعاية المحاسبي" و "مختصر بغية السالك في أشرف المسالك للساحلي". وغيرهم من المتصوفة وتأليفهم الفدّة⁽⁵⁾.

و-2- العلوم اللسانية والعقلية بالمغرب الأوسط ما بين (ق 7-9هـ/13-15م):

- العلوم اللسانية: تعود جذور العناية باللغة العربية إلى القرون الهجرية الأولى عندما أباح الرسول صلى الله عليه وسلم للعرب تلاوة القرآن بما استطاعوا، وتطوّر اللسان العرب على يد ثلّة من المؤلفين ليشمل أربعة اتجاهات منها الأدب، اللغة، النحو، البيان. وتعني اللسانيات الدّراسة العلميّة والموضوعيّة للسان البشري حسب اللسان الخاص بكلّ أمة أو مجتمع، فجزوره عربية أمّضا كمصطلح اللسانيات أوّل ماظهر في ألمانيا (Linguistiq) لكن لفظ (SPRACHW SSENCHAFTI) كان أقدم منه ثم انتشر

(1) عبد الرحمن ابن خلدون: شفاء السائل وتهذيب المسائل ، تح: محمد مطيع الحافظ ، ط1 ، دار الفكر المعاصر، دار

الفكر بيروت - دمشق، 1996م ، ص ص 12-13.

(2) ابن قنفذ القسنطيني : أنس الفقير ، صفحات "ز - ط - ظ".

(3) عادل نويهض : المرجع السابق، ص 337.

(4) يعتبر التصوف أهم روافد ثقافة إبراهيم التازي، عرف من خلاله بين معاصريه، وقد ساعدته رحلته إلى بلاد الحجاز

وارتباطه بالشيخ الهواري في وهران على توسع ثقافته وخبراته. عبد الرحمان عبان: إبراهيم بن محمد بن علي التازي

(ت 866هـ) نزيل وهران - حياته وأثاره الشعرية- ، مجلة الأثر، الجزائر، جوان 2016، ع25، ص02.

(5) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص ص 246-247.

في فرنسا 1826 انجلترا 1855م⁽¹⁾. أمّا بالنسبة لابن خلدون (ت808هـ/1406م) فقد أفرد قصائده كاملاً في مقدّمة سمّاه "في علوم اللسان العربي" تطرق تحت العنوان إلى الاتّجاهات الأربعة المذكورة آنفاً⁽²⁾.

- علم اللّغة: بما أنّ علم اللّغة منحاها النّظر في الموضوعات اللّغوية⁽³⁾، فهي تمثل رأس مال وكنز فكري من حيث الألفاظ التي تمثل لبّ التدوين سواءً كانت أسماء أو أفعال أو حروف... وغيرها⁽⁴⁾. ففي المغرب الأوسط برزت خلال فترة الدّراسة عدة إنتاجات لغوية نذكر منها:

- كتاب "شرح اللّغة قصائد المغربي الخطيب" للمقري الجد (ت759هـ/1358م)⁽⁵⁾.

- كتاب "المفاتيح القرطاسية في شرح التقراطيسية لابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438)⁽⁶⁾.

- كتاب "مقدّمة في العربيّة" لعبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م)⁽⁷⁾.

- علم النّحو والصّرف: يُعرّف علم النّحو على أنّه "انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقيق، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّب بعضهم عنها ردّ به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع أيّ نحوت نحواً، كقولك: قصدت قصداً، ثمّ أخصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم"⁽⁸⁾. نستخلص من خلال هذا التعريف أنّ النّحو محاكاة العرب في أسلوب كلامهم فهو الغرض من كتابته وتدريسه. وهو علم يشمل نوعين في دراسة الكلمة، أوّلها الإعراب وثانيها دراسة بنية الكلمة مفردة والمعروف باسم الصّرف: ونعني بعلم الصّرف: "علمٌ يبحث فيه عن قواعد أبنية الكلمة العربيّة وأحوالها و أحكامها غير الإعرابيّة"⁽⁹⁾.

لقد ساهم الإسلام في إحداث تغيير جذرياً في الحياة العربيّة، ممّا سنجح باتّساع رقعة الدولة ودخول عدّة شعوب الإسلام، تزامناً ودخول اللّحن في اللّغة فدعت الحاجة علماء العصر لتأصيل قواعد اللّغة

(1) أحمد حساني: مباحث في اللسانيات ، ط2، منشورات علمية الدراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية المتحدة (دبي)، 2013 ، ص23.

(2) يقول ابن خلدون: "الفصل السادس والأربعون: في علوم اللسان العربي ، أركانه أربعة : وهي اللّغة والنحو والبيان والأدب. ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة". ابن خلدون: المقدمة ، تح: عبد الله محمد الدرويش ، ط1، دار يعرب للتوزيع ، دمشق ، 2004 ، ج2 ، ص367.

(3) نفس المصدر، ج2، ص370.

(4) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج1 ، ص150.

(5) أحمد المقري : عمل من طب ، ص18.

(6) التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص506.

(7) عادل نويهض: المرجع السابق ، ص308.

(8) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص ، تح: محمد علي النجار، ط2 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، دت ، ج1 ص34.

(9) عبد الهادي الفضيلي : مختصر الصرف ، دط ، دار القلم ، بيروت ، دت ، ص07.

نتيجة دوافع عدّة دينيّة، قوميّة، اجتماعيّة أسباب لإنماء الطّاقة الفكرية والرّقي بالعقل العربي. ولعلّ علماء المغرب الأوسط تأثروا بتلك التّغيرات فأثروا السّاحة العلميّة والأدبيّة تدريجاً وتألّيفاً نذكر منهم:

- أبو عبد الله محمّد بن الحسن بن ميمون القلعي (ت 673هـ/1274م): نحوي لغوي محصل تاريخي من قلعة بني حمّاد نشأ بالجزائر وقرأ بها ثمّ انتقل إلى بجاية التي برع فيها يقول عنه الغبريني تلميذه: "كان في علم العربيّة بارعاً مقدّماً محكماً لفنونها الثلاثة النّحو واللّغة والأدب"⁽¹⁾. فجمع على ذكر ذلك عدّة كتب نحويّة ولغويّة وأدبيّة خاصّة أحسنها، فسمع منه كتاب "الإيضاح" للفارسي في النّحو، ويصف قائلاً: "له كتاب سمّاه الموضح في علم النّحو، وله كتاب حدق العيون في تنقيح القانون...."⁽²⁾.

- المقرّي الجد (ت 759هـ/1358م): ألف مؤلفات في علم النّحو⁽³⁾ نذكر من بينها كتاب "النظائر" الذي شرحه المؤلّف السيوطي (ت 911هـ) المعنون بـ "الأشباه والنظائر في النّحو" حيث يشير هذا الأخير عن سبب تأليفه قائلاً: "أعلم أنّ السّبب الحامل لي على تأليف ذلك الكتاب الأوّل أنّي قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنّفه المتأخرون فيه وألّفوه من كتب الأشباه والنظائر"⁽⁴⁾. كما برع ثلّة من العلماء في هذا الحقل نذكر منهم: محمّد ابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1438م) صاحب "إيضاح المسالك في ألفيّة ابن مالك"⁽⁵⁾. وكذا قاسم العقباني (ت 854هـ/1450م) مؤلّف كتاب "قواعد النّحو"⁽⁶⁾، بالإضافة إلى أحمد الونشريسي (ت 914هـ/1508م) وغيرهم من العلماء الذين اشتهروا بمؤلفاتهم في هذا المجال.

- علم البيان والبديع: يندرجان ضمن علم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ونعني بعلم البيان "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة"⁽⁷⁾. أي تعدد صور المعنى الواحد بتفاوت وضوح الدّلالة. أمّا علم البديع فدلالته تختلف حسب المراحل التاريخية، ففي المرحلة محل الدّراسة عرفه محمّد بن علي الجرجاني (ت 729هـ/1328م) في تأليفه الموسوم بـ "الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة كونه" علم البديع: علم يعرف منه وجود تحسين الكلام، باعتبار نسبة بعض أجزائه إلى بعض بغير الإسناد والتّعليق

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص33.

(2) نفس المصدر، ص34.

(3) أبي عبد الله المقرّي: القواعد، تح: أحمد بن عبد الله بن حميد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، دت ج1، ص78. أحمد المقرّي: نفع الطيب، ج5، ص310.

(4) جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النّحو، تح: غزير الشيخ، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 ص09.

(5) التنبكتي: نيل الابتهاج، ص507.

(6) بشير ضيف ابن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري: فهرست معلّمة التراث الجزائري بين القديم والحديث - نماذج متنوّعة للمعلوم والمجهول -، مراجعة: عثمان بدري، ط2 منقحة، منشورات تالة، الجزائر، 2007، ص340.

(7) محمّد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس- لبنان، 2003، ص139.

مع رعاية أسباب البلاغة" مرتباً تحت أبواب البديع عنوانين كبيرين وهما: المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية⁽¹⁾.

فقد اعتنى علماء المغرب الأوسط بهذا المجال من خلال تدريس مؤلفات في التخصص سواء كانت مشرقية أو مغربية أو القيام بشروح وملخصات لتلك المؤلفات نذكر منها: مؤلف جلال الدين القزويني البغدادي (ت739هـ/1338م) المعروف ب"تلخيص المفتاح في المعاني والبيان"⁽²⁾. وكذا "قصيدة البردة" لمحمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (ت696هـ/1295م) المسماة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"⁽³⁾. فقد تحدثت عدة مراجع عن العلماء الذين درسوا هذه المؤلفات أمثال:

- قيام ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) بتلخيص لمؤلف القزويني وسماه "التلخيص في شرح التلخيص"⁽⁴⁾.

(1) محمد بن علي بن محمد الجرجاني (729هـ/1329م): الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، تح: عبد القادر حسين طبعة منقحة، مكتبة الآداب للنشر، القاهرة، 1997، ص233. محمد أحمد قاسم وآخرون: المرجع السابق ، ص 60-61.

(2) أثنى القزويني بلسانه على نعم الله، مشيراً إلى علم البيان ضمن علم البلاغة التي تعتبر من أجل العلوم قدر وأقدرها. وعن الكتاب يقول: "ألقت مختصراً تضمن مافيه من الإيضاح من القواعد ويشمل على ما يحتاج إليه من أمثلة والشواهد... وأضفت إلى ذلك قواعد عثرت في بعض كتب القوم وعليها، وزوائد أظفر في كلام أحد بالتصريح بها والإشارة إليها، وسميته تلخيص المفتاح". محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت729هـ/1338م): تلخيص المفتاح ، ط1 طبعة جديدة مصححة ملونة ، مكتبة لسان العرب ، مكتبة البشري ، كراتشي ، 2010، ص 05-06.

(3) يقول البوصيري عن سبب تأليفه "البردة" مايلي: "أني كنت قد أصابني خلط فالج أبطل نصفي ففكرت أن أنشئ قصيدة في مدح النبي صلوات الله عليه وسلم". شمس الدين الشيخ محمد الفيومي: الكواكب الدرية تحميس البردة البوصيرية في مدح خير البرية ، تح: عبد الرحمان محمد ، دط ، طبع مطبعة البهية المصرية ، مصر ، 1356، ص02.

(4) هو تلخيص لحط النقاب، عبارة عن مخطوط بالرباط، المكتبة العامة تحت رقم/ك5/939، ونسخة أخرى موجودة بالمكتبة الناصرية بتماكروت تحت رقم 4/1753. نصيرة عزرودي: الإنتاج المعرفي لعلماء قسنطينة خلال العصر الوسيط - دراسة إحصائية تحليلية - ، مجلة عصور الجديدة ، عدد خاص بقسنطينة ، صيف أوت1436هـ/2015م ع18 ، ص72.

- شرح إبراهيم بن فائد بن موسى الزواوي (ت857هـ/1458م)؛ نفس المؤلف وسمّاه "تلخيص التلخيص"⁽¹⁾.

- اختصر عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م) شرحان لتلخيص المفتاح باعتماد نسختي القزويني "تلخيص المفتاح" و "مختصر تلخيص المفتاح للتقازاني سعد الدين، وأطلق على الشروح تسميات الأولى "مقدمة في التبيان في علم البيان" والثانية "التبيان في علم البيان"⁽²⁾.

أما "البُرْدَة" فقد تمّ شرحها من قبل ثلّة من العلماء أمثال: شرح عبد الله محمّد بن أحمد الشّريف التلمساني (ت792هـ/1389م) لقصيدة "البُرْدَة" يقول المقرئ أن التلمساني ألف "إظهار صدق المودة في شرح البردة"، وضمنه سبعة فنون في كلّ بيت فالأوسط ، ثمّ الأصغر سمّاه "الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب"⁽³⁾. كما تمّ شرح البردة من قبل العلامة عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1406م): يقول الحجوي أنّه ألف ولخصّ عدّة كتب من بينها "شرح البُرْدَة للإمام البوصيري شرحا دل على مقدرته في الأدب والعلوم العربية"⁽⁴⁾.

- علم العروض والقوافي: كما هو معروف لدى رجال التراجم فإنّ هذا الحقل نشأ على يد الخليل بن أحمد ونعني بعلم العروض؛ "علمٌ يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعبرة" ويضف كاتب كشف الظنون قائلاً: "هو علم يبحث فيه عن المركبات المزونة من حيث وزنها"⁽⁵⁾. أمّا بالنسبة لعلم القوافي فيعرفها العلماء بأنّها: "هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرارها نوعها في كلّ بيت"⁽⁶⁾. فمن خلال هذا التعريف يمكننا القول أنّ القافية تبحث فيما يتناسب أعجاز البيت وعيوبها وغرضها.

(1) يقول التتبيكي أن إبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني برع في عدة فنون لاسيما الفقه وعلم اللسانيات فشرح ألفية ابن مالك، وتلخيص المفتاح للقزويني في مجلد واحد، وشرح مختصر خليل في ثماني مجلدات وسماه "تسهيل السبيل لمقتطف ازدهار روض الخليل". التتبيكي: المصدر السابق، ص 57.

(2) بادر المغيلي بهذا التدوين لتقريب قواعد اللغة العربية للطلبة المبتدئين ولأجل ذلك سماه "مقدمة". ادريس بن خويا وفاطمة برماتي: الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي: من المهد إلى الحد، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث في الجنوب الشرقي الجزائري، الجزائر، ماي 2016، ع 7، ص 20.

(3) أحمد المقرئ: نفع الطيب، ج5، ص 429.

(4) محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، دط، ص 4، ج 85.

(5) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1133. عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص07.

(6) عبد العزيز عتيق: نفس المرجع، ص134.

- فلم يقتصر الإنتاج العلمي على ماسبق من علوم اللسانيات ببلاد المغرب الأوسط وإيما كان لهذا الحقل مكانة على يد هؤلاء العلماء رغم نفور العديد من سابقهم دراسته نذكر:
- شرح ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) لمؤلف ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي المسمى " بسط الرموز الخفية في شرح عروض الخزرجية" (1).
 - تأليف أحمد الونشريسي كتاب "شرح الخزرجية في العروض" لضيء الدين الخزرجي، "وتوجد نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط تحت عدد 1061/ق ضمن مجموع (الثالث في المجموع)" (2).
 - إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (ت690هـ/1289م): دون مقالات في علم العروض سمى مؤلفه على غرر ذلك "مقالات في العروض" (3).
 - تأليف محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م) في نفس الحقل سمّاه "المعروض في علم العروض" (4).
 - علم الأدب: شهد الأدب ازدهاراً بفضل اعتلائه من قبل السلاطين الذي تغنوا بجمال الكون والطبيعة. وبفضل كذلك العلماء والأدباء والشعراء. إذ يعتبر علم الأدب: "علم صناعي تعرف به أساليب الكلام البليغ في كلِّ حال من أحواله" (5) فالعلوم العربية مقسمة إلى اثنتي عشر قسماً أصولاً وفروعاً.
 - فبالنسبة للنثر قد بلغ مكانةً ودرجةً مرموقة خاصة خلال (ق8هـ/14م)، حيث تنافس السلاطين على تقريب الكتاب وإجازتهم أدبياً ومن أشهر أدباء العصر نذكر:
 - صاحب القلم الأعلى يغمراسن بن زيان الأديب والشاعر أبو بكر محمد بن الخطاب المرسي الأندلسي (ت686هـ/1238م): حيث يقول التنسي: "وكانت المنافسة بين سلاطين المغرب على أشدها في اختيار كبار الكتبة والأدباء والفقهاء، وإدراجهم في المجالس العلمية والدواوين مثلما فعل العاهل التلمساني يغمراسن بحيث تمكن من استقطاب أبي بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي (ت686هـ / 1287م) إلى بلاطه" (6).

(1) عبد القادر قويح: دور ابن القنفذ القسنطيني في تأريخ الحياة السياسية والدينية للجزائر الحفصية ، مجلة عصور

الجديدة ، عدد خاص ، الجزائر ، خريف 2011-1432/شئاء 1433هـ-2012م ، ع3-4 ، ص57.

(2) الونشريسي: المعيار ، ج1، مقدمة المحقق (هـ) تهميش ومنتن.

(3) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص56.

(4) بشير ضيف: المرجع السابق ، ص434.

(5) لوسي شيخو اليسوعي : كتاب علم الآداب ، ط2، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ، 1897م، ج1 - في علم الإنشاد

والعروض - ، ص05.

(6) التنسي: تلمسان في العهد الزياني ، ج2 ، ص321.

- الأديب أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هديّة (ت735هـ/1335م): "عالمٌ خيرٍ من أئمة اللّسان والأدب ذو بصر بالوثائق مشهور بالفضل والدين، وله تأليف جمّة في فنون شتّى، وكتب الرّسائل عند الملوك الأوائل بني يغمراسن بن زيّان"⁽¹⁾.

وأغلب ما يلاحظ من خلال مؤلفات هؤلاء الأدباء المزج بين النثر والشّعر الذي تطوّر مثله مثل النثر و لم يقتصر ذلك بالأدباء والسلاطين مقل النثر وإنما برع فيه الوزراء والكتّاب والأدباء وغيرهم من ذوي العلم ومن شعراء العصر نذكر:

- أبو عبد الله محمد بن ميمون القلعي (ت673هـ/1274م): قرأ عليه الغبريني قصائد من شعر حبيب والمتنبي فقال عنه: "كان بارع الخطّ حسن الشّعر من شعره ونظمه رحمه الله في الزّهد ومدح النّبي صلى الله عليه وسلّم":

من أجل أن بانوا فؤادك مغرم وقلبك خفاق ودمعك يسجم
وما ذاك إلا أن جسمك منجد وقلبك مع من سار في الرّكب متهم⁽²⁾
كما يضيف ومن شعره أيضا:

فيا طول شوقي للنّبي وصحبه وياشد مايلقى الفؤاد ويكتم
توهّمّت من طول الحساب وهوله وكثرة ذنبي كيف لا أتوهم⁽³⁾

- محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري: أواخر القرن الثامن الهجري/أوائل القرن الخامس عشر الميلادي: شاعر وأديب من أهل تلمسان، اشتهر بشعره عن تلمسان على عهد السّلطان الزّياني أبي حمو موسى الثاني⁽⁴⁾، ومن نظمته:

تاھت تلمسان بحسن شبابها وبدا طراز الحُسن في جلبابها
فالبشر يبدو من حباب ثغورها متبسّما أو من ثغور حبابها
قد قابلت زهر النّجوم بزهرها وبروجها ببروجها وقبابها
حسنت بحسن مليكها المولى أبي حمو الضّذي يحمي حمى أربابها⁽⁵⁾.

(1) الحفناوي : المرجع السابق ، ص ص 549-550.

(2) الغبريني : المصدر السابق ، ص34.

(3) نفس المصدر، ص35.

(4) عادل نويهض: المرجع السابق، ص92.

(5) أحمد المقرّي : أزهار الرياض في أخبار عياض ، تح: مصطفى السقا وآخرون ، دط، مطبعة فضالة ، الرباط ، 1978 ج2 ، ص332.

- يحيى ابن خلدون (ت780هـ/1378م): نظم عدة أبيات شعرية وقصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك في مدح السلطان أبي حمو الثاني. ومن القصائد التي قالها في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف سنة (764هـ/1364م) مايلي:

ترأّت لها أعلام نجد فحياتها نسيم سرى من حاجر وربّاتها
ولاح لها البرق اليماني فانبرت تمدّ حثيثا للعزيب خطاها⁽¹⁾.

ويقول في كتابه "بغية الرواد" عن أسباب تنظيم أبيات تعرف بالساعات المنجاة مايلي: "قلت: وأمرني أيده الله بنظام أبيات على لسان الجوّاري، المعرفات ساعات المنجاة الغريبة الشكل، المتقدمة الوصف، فقلت في ذلك:

الساعة الأولى: أمولى الملوك وأعلى الأمم ومن جود العالم الكل عم...
الساعة العاشرة: يمالك الخير والخيال التي حكمت له بعز على الأيام مقبل..⁽²⁾.

- السلطان أبو حمو الثاني (ت791هـ/1389م): أشرنا سابقاً إلى أنّ علم الأدب نثراً وشعراً لم يقتصر على الأدباء والشعراء وإنما امتاز حتى السلاطين من بينهم السلطان الزياني أبو حمو الثاني الذي وصلتنا من أشعاره واحد وعشرون قصيدة تحتوي أزيد من ألف بيت متنوعة الحقول الأدبية فخراً وحماسة وثناء ومدح للرّسول صلى الله عليه وسلم، وقد أقيمت في مناسبات دينية واحتفالات سياسة أو وفاة الشخصيات المرتبة متفاوتة القيمة شعراً نافذاً أو ضعيفاً مع الاستعمال المبالغ للمحسنات البديعية⁽³⁾. ومن أشعاره: من أصدق ما نظمه في إحياء الدولة الزيانية قوله:

حالي يطول ومحنتي لا تنقضي كم لي بميدان الوعر من محفل
لا بد من سوق النجوع مغرباً حتى تكل متونها بالأحمل⁽⁴⁾

ويضف أبياتاً تحمل صدى المعركة التي نشبت بين بني عامر وأبي حمو:

حملنا عليهم حملة مضرية فوّلوا شراداً مثل جفل النعائم

(1) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزياني - حياته وآثاره - ، دط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1974 ، ص ص 176-177.

(2) أبي زكرياء يحيى بن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تح : بوزيان الدراجي ، دط ، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ج 2 ، ص ص 414-419.

(3) مها عيساوي : أبو حمو الزياني(السلطان الأديب)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها جامعة تبسة ، الجزائر ، 01 - 03 - 2007 ، ع 1 ، ص ص 153-154.

(4) عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق ، ص 211.

فَوَلَّتْ سويدَ ثَمَّ خلت مجيرها وشيخ حماها في الثرى أي جاثم

كما يقول: **وكم قبة طاحت وطاح أميرها على الأرض مابين الصّضفا والوثائم** (1).

وما يلفت الانتباه إشارات لوالده التي أثبت من خلال أبياته العلاقة العاطفية بينهما التي كلّها حنان وتعلق فيقول مايلي:

قد كان لي في الدنيا أب يساعدي فصار تحت الثرى في حده أكتشف

مددت في ظلّ نعماء يدي زمنا ونلت من رقه في دهره التحفا (2).

وفي الأخير يمكننا القول أن هذه المؤلفات الأدبية، وأولئك الأدباء والعلماء والسلاطين ماهم إلا نماذج؛ حيث ساهم علماء آخرين في ازدهار الحياة الأدبية بالمغرب الأوسط، ومن العلماء نذكر: الحافظ التنسي (ت899هـ/1494م) (3)، والسُلطان الزَيّاني أبي زيّان محمّد الثاني (ت791هـ/1390م) (4). وغيرهم ممن ارتقت اللّغة العربية بفضلهم رقيّ البلاغة والشعر والنثر والموشحات حيث مثلت لغة التعبير والتفاهم.

- **العلوم السياسية:** المقصود بكلمة "السياسية" عند العرب هو من "السوس"؛ بمعنى الرئاسة فقول العرب: ساس القوم سياسة بمعنى قام به وسوسة القوم؛ أي جعله يسوسهم (5). فمصطلح السياسة يعني حسب أركان عبادي: "فنّ السّلطة وطريقة اكتسابها واستعمالها في صالح الجموع ولا ينكر بأن عنصر القوة أو السّلطة أمر أساسي تبنى عليه السياسة أمّا طريقة استعمالها في صالح الجموع فهو الأمن الثاني" (6).

نظراً لأهميّة التّحاور لدى المجتمعات الإسلاميّة، فقد دوّن العديد من العلماء السياسيّين مؤلفات في علم السياسة بالمغرب الأوسط سالكين منهجية أولهما متعلّق بتوجيه نصائح للملوك فيما يخصّ التعامل مع الرّعية، وثانيها انتهاج المنهج الفقهي في إقرار القرارات المجتمعية واعتماد الشّرع الإسلامي في ذلك (7)، ومن أبرز ساسة المغرب الأوسط تأليفاً نذكر:

(1) عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص ص 211-212.

(2) نفس المرجع، ص 218.

(3) ألف مؤلف أدبيا سماه "راح الأرواح فيما قاله أبو حمّو وقيل فيه من الأمداح". عادل نويهض: المرجع السابق ص 85.

(4) عرف بقصائده منها الهدية التي وجهها للظاهر برقوق عندما أرسل له هذا الأخير هدية يقول منها:

لمن الركائب سيرهن ذميل فالصبر إلا بعدهن جميل

يا أيها الحادي رويدك أنها ظمن يميل القلب حيث تميل. التنسي: المصدر السابق، ص 221.

(5) قحطان أحمد الحمداني: المدخل على العلوم السياسية، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص 22.

(6) نفس المرجع، ص 30

(7) أبو حمّو موسى الزيانى: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح: محمود بوترة، دار النعمان- دار شيماء

للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص ص 34-35.

- مؤلف " إيضاح المرآشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد " لابن مرزوق الجد (ت781هـ/1380م)⁽¹⁾.
- مؤلف " كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك " لأبي حمو موسى الثاني (ت791هـ/1389م)⁽²⁾.
- مؤلف " رسالة في السلطنة"، "رسالة في الإمارة" لمحمد عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م)⁽³⁾.
- مؤلف " كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية" لأحمد الونشريسي (ت909هـ/1503م)⁽⁴⁾.
- العلوم العقلية: يصنف ابن خلدون العلوم إلى صنفين علوم نقلية ، وأخرى عقلية ، وهذه الأخيرة عرفها وصنفها العلماء بطرقٍ مختلفة فابن خلدون في "مقدمته" يشير إلى الأركان السبعة في الفلسفة متمثلة في المنطق، الأثرمطريقي (الحساب) والهندسة، هيئة الفلك الموسيقى، الطبيعيات ، ما بعد الطبيعة (الفلسفة)⁽⁵⁾. ويطلق عليها علوم الفلسفة والحكمة.
- العلوم الرياضية: تشمل مجموعة من المعارف الرياضية نذكر منها : علم العدد (الأثرمطيقية) وفروعه: علم الحساب، علم الجبر والمقابلة، علم حساب الفرائض، بالإضافة إلى الهندسة.
- علم المنطق (علم الميزان): أي العلم الذي يعصم الذهن من الوقوع في الخطأ بالنسبة لاقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة باعتبار الغاية منه تمييز الصواب عن الخطأ⁽⁶⁾.

(1) عادل نويهض : المرجع السابق، ص290.

(2) تناول الكتاب مجموعة من المسائل التنظيمية السياسية مقسماً إياه إلى أربعة أبواب (الباب الأول: في الوصايا والآداب والحكم، قسمه إلى أربعة فصول. الباب الثاني: في قواعد الملك وأركانه. وهي أربعة قواعد (العقل ، السياسة ، العدل ، جمع المال والجيش). الباب الثالث قسمه كذلك إلى أربعة قواعد، الشجاعة، قاعدة الكرم، قاعدة الحلم، قاعدة العفو الباب الرابع: في الفراسة وهي خاتمة السياسة"). أبو حمو الزياني: المصدر السابق، صفحة فهرس الكتاب.

(3) عادل نويهض: المرجع السابق، ص308.

(4) جاء في أربعين صفحة في طبعته الأولى بالرباط، دون أن يذكر المحققان أرقام المخطوطات المستعملة، وفي القسم الأول يشير إلى الحكام ودورهم في تسيير الخلافة والحكومة قائلاً: "اعلم أن للحكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ولايات وخططاً أولها وأجلها الخلافة الكبرى والإمامة العظمى وولاية الوزارة، وولاية القضاء، وولاية الشرطة، وولاية الإمارة على البلاد، وولاية الإمارة على الجهاد...". أحمد الونشريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية تعليق : محمد الأمين بلغيث ، لافوميك ، 1985 ، ص ص 21-22.

(5) أحمد عبد الحليم عطية : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، دط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع الفجالة ، 1991 ص28.

(6) ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص248.

- أوجدت العلوم الرياضيّة وعلم المنطق مكانة لها بالمغرب الأوسط مثلها مثل العلوم النقلية وذلك لتسهيل المعاملات التجارية آنذاك خاصّة. وفي هذه اللأئحة نذكر بعض العلماء الذين اعتلوا هذا الحقل:
- عمران بن موسى المشذالي (ت745هـ/1344م): يقول المقري والتنبكتي أنّه بعد حصار بجاية نزل الجزائر، فدرّس بتلمسان عدة علوم كان يتقنها ويتقنها من بينها علم المنطق⁽¹⁾.
 - محمّد بن إبراهيم بن أحمد الشّهير الأبلبي (ت757هـ/1357م): يعرف بشيخ العلوم العقلية، وأشهر علماء المغرب الأوسط في المائة الثامنة الهجرية/الرابع عشر الميلادية، فلذلك أخذ عنه عدّة علماء⁽²⁾.
 - ابن قنّذ القسنطيني (ت810هـ/1407م): لخصّ مؤلّف للخوجي الذي يعدّ حالياً ضائعاً، وسمّاه "تلخيص العمل في شرح الجمل"⁽³⁾، وهو في علم المنطق.
 - محمّد أحمد بن أبي محي الشّهير بالحبّاك (ت1464/867م) يعدّ أكبر علماء المغرب الأوسط التلمسانيين، الذي ورع في علم الحساب وعلم الإسطرلاب من أهمّ مؤلفاته: شرح تلخيص ابن البنا⁽⁴⁾ نظم رسالة الفار في الإسطرلاب⁽⁴⁾.
 - محمّد يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م): اعتنى كثيراً بعلم المنطق وغيرها من العلوم العقلية الأخرى والعلوم النقلية، خاصّة من خلال مصنّفات وشروحات لكتب علم المنطق مثل: "كتاب شرح جمل" للخوجي⁽⁵⁾.
 - علي بن محمّد القرشي البسطي الشّهير بالقصادي (ت891هـ/1487م): علم متقّن، له تأليف عدة في علم الحساب والفرائض مثل: شرح تلخيص ابن البنا، الشّرح علي الحوفي وغيرها من التأليف⁽⁶⁾.
 - محمّد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م): أشار في كتابه "لب اللباب في ردّ الفكر إلى الصواب" أنّ طلب العلم لوجه الله، مجيباً عن مجموعة من المسائل منها: ما المنطق؟. وكما أصوله التي تتشأ مقاصده عنها؟⁽⁷⁾. لكن للأسف رغم كثرة المؤلفات المدونة في علم المنطق والرياضيات إلا أنّ أغلبها لم تدرسها المصادر بالتفصيل، والكثير منها ضاع نتيجة للرحلات المتعددة أو الأوضاع المزرية التي آلت إليها بعض المدن من كوارث طبيعية أو الحرب.

(1) أحمد المقري: فنجح الطيب، ج5، ص223. التنبكتي: نيل الابتهاج، ص351.

(2) عادل نويهض: المرجع السابق، ص12. التنبكتي: المصدر السابق، ص412-413.

(3) ابن قنّذ القسنطيني: كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص13.

(4) التنبكتي: نيل الابتهاج، ص543. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص219.

(5) ابن مريم التلمساني: نفس المصدر، ص246.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص15. التنبكتي: نيل الابتهاج، ص339.

(7) عبد الكريم المغيلي: لب اللباب في ردّ الفكر إلى الصواب، تح: أبو بكر بلقاسم ضيف، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2006، صفحات23-24-25.

- علم الطب والصيدلة: ازدهر علم الطب بالمغرب الأوسط خاصة وأن المنطقة تعرضت لعدّة أوبئة وأمراض اقتضى ذلك على المجتمع التداوي، ومن بين الأمراض التي توطنت المنطقة، خاصة تلمسان حسب مذكره محمد بن مرزوق في كتابه "المجموع" نقلاً عن عبد العزيز فيلالي في كتابه "تلمسان في العهد الزياني" نذكر: مرض البلعوم (الحنجرة)، مرض الذبحة أو النزلة، مرض الإسهال، ومرض الشكية والكند ومرض القرع، بالإضافة إلى أمراض الأسنان، كما شهدت أمراض متعلّقة بالمعدّة والأمعاء وألم النساء ولم تقتصر على هذه الأمراض فقط وإنما انتشرت أمراض أخرى خلال (ق9هـ/15م) مثل: داء الإفرنج (مرض الزهري)، مرض الفتق، وداء الشّاحة⁽¹⁾. نتيجة لوفاة العديد من أبناء السلطة بهذه النماذج من الأمراض مثل: السلطان عثمان بن يغمراسن (ت703هـ/1203م) الذي تعرض لداء الدماس⁽²⁾، أولى رعاة السّطة عناية للطب من خلال إنشاء مدرستان وتعيين أطباء خواص لهم، حيث نلاحظ تغلغل الأطباء أكثر بالحوضر التي تمثل مركز السلطة مثل: بجاية- تلمسان- الجزائر- قسنطينة⁽³⁾. أما بالنسبة للكتابات المتعلقة بمجال الطب فقد برعت نخبة ذات مهارة من المطلعين على الطّشب أو المتخصّصين في هذا المجال نذكر منهم على سبيل لا الحصر:

- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام (تخلال القرن 7هـ/13م) : تعود أصوله إلى مدينة تدلس في الجزائر، يعتبر طبيباً ومعالجاً علمياً، حيث يقول الغبريني عنه: "وكان له حظ في علم الطب .."⁽⁴⁾.

- أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الشاطبي (علماء القرن 8هـ/14م): طبيب تلمساني، نبغ في علوم الطب والعلوم الدينية كالفقه والخطابة، عرف بقربه للسلطان أبو تاشفين الأوّل حتّى اعتلى الطب الخاص في بلاطه⁽⁵⁾.

(1) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 1، ص ص 243-244.

(2) نفس المرجع، ج 1، ص 244.

(3) يشير ابن خلدون للطب في المدن والبوادي، فيرى أن كلا المنطقتين تتطلبان للتداوي باختلافه في البادية: "فإن أهل عمران الطب بينونة في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا". لكن المدينة أكثر تطلباً للتداوي والطب لتعدد الأمراض. ابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص ص 268-269.

(4) الغبريني: المصدر السابق، ص 166.

(5) عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج 1، ص 248. عبد العزيز فيلالي: بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، ط 1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2014، ص 120.

- ابن قنفذ القسنطيني(810هـ/1407م) :صنّف مصنفاً وصلنا فقط اسمه "أنيس الحبيب عند عجز الطبيب"، وهو من المؤلفات الضائعة⁽¹⁾.
- كما اشتهر ثلّة من الأطباء خلال القرنين (8- 9هـ/14- 15م) أمثال : إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني، أبي عبد الله الشّريف، أبو الفضل المشذالي، محمد بن يوسف السنوسي وغيرهم. كما ألّفت عدة مؤلفات على يدهم نذكر منها : كتاب "الطبّ المسنون في دفع الطاعون" وكتاب "رسالة في الطبّ حول الأدوية ومنافعها"⁽²⁾... وغيرها.
- علم الفلك : ساهم علماء المغرب الأوسط في هذا الميدان الذي تعود جذورها إلى عصور سابقة لكون العرب اهتموا به من أجل معرفة أحوالهم ،ومن علماء الفلك الذين وصلتنا مؤلفاتهم التي تعود إلى ما بين (7-9هـ/13-15م) نذكر :
- محمّد أحمد التلمساني المعروف بالحبّاك(ت867هـ/1462م): تخصص في علم الفلك إلى جانب العلوم الرياضيّة، وضع أرجوزة سمّاها "بغية الطلاب في علم الأسطرلاب"⁽³⁾.
- محمّد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م): تلميذ ابن الحبّاك قام بشرح أرجوزته وأطلق عليها "عمدة ذوي الألباب ونزهة الأسطرلاب بالعلوم الدّينية"⁽⁴⁾.
- علم الفلسفة: كثيرا ما تمّ محاربة الفلسفة من قبل سلاطين دويلات تعاقبت على منطقة المشرق والمغرب، لكن الحقبة محل الدّراسة أشارت بعض المصادر إلى وجود علماء اهتموا بالفلسفة على سبيل المثال ابن خميس(ت708هـ/1309م)⁽⁵⁾ صاحب "رسالة في الفلسفة" التي جعلته محل اهتمام من قبل علماء وفقهاء المالكيّة، وغيرها من الفلاسفة الذي شغلوا العلم في السّر.
- وُزّيدة القول فإنّ المغرب الأوسط قد شهد حركة علميّة ونهضة ثقافيّة قادها ثلّة من العلماء والأدباء والأطباء وكذا المؤرّخين وغيرهم. الذين كان لهم الدور البارز في تشييد معالم الحضارة العربيّة الإسلاميّة في المنطقة وإثرائها وتطويرها تأليفاً خاصّة وعلماء عامّة، حيث كانت الرّكيزة الأساسيّة للعلوم الدّينية. بالإضافة إلى العلوم الرياضيّة والطبيعيّة والاجتماعيّة... وغيرها التي دوّنت فيها عدّة موسوعات ومؤلفات

(1) بشير ضيف: المرجع السابق، ص455.

(2) عبد العزيز فيلالي : تلمسان ، ج 1 ، ص ص 248-249.

(3) نفس المرجع ، ج 2 ، ص475.

(4) نفسه ، ج 2 ، ص475.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن خميس الحجري، يعود نسبة إلى حمير وحجر ذي رعين مساكن باليمن عرف بالترحال والتنقل ، وتوفي يوم عيد الفطر عام ثمانية وسبعمئة. المهدي البوعبدلي: الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي ، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب ، ط1 ، عالم المعرفة ، الجزائر، 2013 ، ج1، ص29.

شارك من خلالها ذوي الكفاءة والمهارة (سواء كان فقه، حديث، أدب، طب، الرياضيات ، علم الفلك...) وما يهتمنا من هذه الدراسة مجال العلوم الاجتماعية بالضبط علم التاريخ الذي هو محل دراستنا.

1-2- المغرب الأدنى ما بين (7-9هـ/13-15م):

تشير عدة مصادر تاريخية إلى مجموع الأسباب التي أثرت في تطور الحركة الفكرية بالمغرب الأدنى- تونس خاصة - من بينها:

أ- تشجيع واهتمام السلاطين بالعلم والعلماء: أولى أمراء الدولة الحفصية عناية كبيرة بالعلم والعلماء من خلال تكوين مجالس علمية، ومن أول الأمراء الذين ناظروا العلماء والأدباء والشعراء، واعتموا بتشديد مدارس واقتنوا كتباً في شتى المجالات الأمير الحفصي أبي زكرياء يحيى (627-647هـ/1229-1249م)⁽¹⁾ مؤسس الدولة. وفي هذا الصدد يقول عنه أبي دينار "صاحب المؤنس" مقولة: "وكان رحمة الله عليه من الصالحين والعلماء والعاملين ختم على الشيخ الرعيني السوسي⁽²⁾ كتاب المستصفا للغزالي⁽³⁾ وغيره من الكتب المفيدة"⁽⁴⁾.

والأدلة البرهانية التي تدل على الدور التعليمي والعلمي للأمير أبي زكرياء قول الزركشي عنه: "وكان فقيهاً عارفاً ظريفاً له شعر كثير"⁽⁵⁾، أمّا عن تشييده لجامع القصبه بتونس يقول: "وفي سنة تسع وعشرين وستمئة ابتدا السلطان أبو زكريا يحيى ببناء جامع القصبه بتونس وجدد رسم القصبه"⁽⁶⁾.

(1) أبي زكرياء يحيى (598-647هـ/1202-1249م) موطن أركان الدولة الحفصية بتونس استقل بدولته سنة (626هـ/1228م)، وفي سنة (631هـ/1232م) استقلت فتنة ابن غانية فقتله وتوجه لتوسيع ملكه مستولياً على مدن بالمغرب الأوسط والأدنى، ظل خادماً للدولة والعلم إلى أن وافته المنية سنة (647هـ/1249م) ببونة ودفن بجامعها ثم نقل إلى قسنطينة. الزركلي: الأعلام، ج8، ص 155-156.

(2) نسبة إلى مدينة سوسة، فقيه معمر بالأجداد، أخذ عن عدة علماء، واشتغل بالعلم والإقراء مدة حياته ، كان وسيطاً وقاضياً لمجتمعه، ولد سنة (567هـ/1172م) ، توفي سنة (662هـ/1236م). محمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1984 ، ج3 ، ص 89 .

(3) أبو حامد الغزالي ألف كتاب سماه "المستصفي من علم الأصول" وفي مقدمة هذا الكتاب يقول: "علم أن هذا العلم الملقب بأصول الفقه قد رتبناه وجمعناه في هذا الكتاب وبيناه على مقدمة وأربعة أقطاب" . أبي حامد محمد بن محمد الغزالي: المستصفي من علم الأصول، تح : أحمد زكي حماد ، ط1، دار الميمان للنشر والتوزيع والشركة العالمية للنشر والترجمة والتدريب، الرياض، دت، ص 05-06.

(4) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت 1068هـ/1690م): كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بإحضرتها المحمية ، تونس ، 1286 ، ص 126.

(5) أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي (ت 794هـ/1392م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح: محمد ماضود ، ط2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ص 25.

(6) نفس المصدر، ص 26.

سار على نفس النهج 24 أميراً حفصياً، حيث سيتمُّ التَّطَرُّقُ لأكثر الأُمراء الذين برعوا وورعوا في تطوير الحياة العلميَّة والأدبيَّة نذكر من بينهم:

ارتقت الحياة العلميَّة على يد بن محمَّد المستنصر بالله(674-675هـ/1249-1277م)، حيث التحق بالبلاط الحفصي عدة علماء من بينهم القائد هلال الذي تحدَّث عنه ابن خلدون قائلاً: "...وكان له في الدَّولة مكان بمكان تلامدا للسلطان، وكان شجاعاً جواداً خيراً محبباً سهلاً مقبلاً على أهل العلم وذوي الحاجات، وله في سبل الخير آثار منقولا صار له بها ذكره فارتمض السلطان لمهلكه، والله أعلم"⁽¹⁾ بالإضافة إلى علماء آخرين (فقهاء ، أدباء) أمثال: ابن عصفور(ت669هـ/1271م)⁽²⁾ ابن الآبار(ت658هـ/1260م)... وغيرهم⁽³⁾

ازدهرت الحياة الفكرية على عهد السلطان أبو العبَّاس الحفصي(750-751هـ/1350-1351م) بفضل هجرة الأندلسيين، وكذا الحرص الشَّدِيد من قبل العلماء الذين تمَّ تقريبهم من قبل السلطان الذي عرف بحضوره المجالس العلمية، حيث يقول عنه ابن قنفذ: "وربَّ مجلساً جليلاً، واختصَّ خواص لمجلسه، يتسابقون إلى نُصحهِ وأنسه، جلست مجلسه السَّعيد، وشاهدت أمره الكريم السَّديد سنة ست وسبعين وسبعمائة"⁽⁴⁾. ومن العلماء الذين احتضنهم مجلسه الشَّيخ أبو عبد الله ابن الشَّيخ أبي العباس أحمد بن تفرجين التينملي⁽⁵⁾.. وغيرهم.

فمساهمة السلطان أبي فارس عبد العزيز(796-837هـ/1334-1434م) العلمية يشير إليها ابن قنفذ في كتابه "الفارسيَّة" قائلاً: "وفي سنة اثنين وثمانين حضرت مجلسه_ رضي الله .في العلم بقيتهم السعيدة في الحضرة العلميَّة في التفسير والحديث والفقهِ والقائم حينئذ برسم العلم في مجلس الأمر"⁽⁶⁾ ومن الفقهاء والعلماء الذين جلسوا على بساط بلاطه القاضي الفذَّ الحافظ أبو مهدي عيسى بن

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 423.

(2) أنشأ باشبيلية ثم عبر البحر إلى تونس، دخل على السلطان محمد المستنصر الحفصي وهو جالس في القبة، فسمع منه . من أبرز مؤلفاته إنارة الدياجي ، البديع في شرح المقدمة الجزولية ، كتاب المفتاح ، كتاب المقرب. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 3 ، ص ص 391 - 394.

(3) ولد ببلنسة ، تتلمذا على يد العلماء ، صاحب ورع في عدة علوم ، ألف عدة مؤلفات نذكر منها: إحضار المرهج في إحضار المبهج ، الاستدراك ، اعتاب الكتاب . نفس المرجع ، ج 3 ، ص ص 12-23.

(4) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1407م): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تح : محمد الشاذلي النيفر- عبد المجيد التركي ، دط ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968 ، ص 177.

(5) ولد سنة(737هـ/1336م) وأمة جارية من الجواري اسمها قرب الرضا. احتجز من قبل السلطان خارج أسوار المدينة بالحيلة. روبرابر نشيفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي ، تح: حمادي الساحلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986 ، ص 202.

(6) ابن قنفذ القسنطيني : المصدر السابق ، ص 197.

أبي العباس أحمد الغبريني بالإضافة إلى الطلبة، بل كان حتى السلطان ينهل عن القاضي بعد افتراق المجلس كتاب "الرسالة"⁽¹⁾.

فحسب آراء بعض المؤرخين فإن أغلب السلاطين الحفصيين خاصة خلال (ق8هـ/14م) شاركوا العلماء قضايهم وقضايا مجتمعهم في المجالس التي كانت تُعقد، وهذا دليل على الثقة المتبادلة بينهم حيث نجد سلاطين القرن (9هـ/15م) كذلك تميّزوا بهذه الخاصية أمثال: السلطان أبو عبد الله المنتصر (837-839هـ/1434-1436م) الذي تصدّق بأموال ضخمة لطلبة العلم، كما قدم على مشيخته الشيخ أبا عبد الله ابن الشيخ الوزير إبراهيم ابن هلال، وليس ذلك فقط وإنما شيّد مدرسة بسوق الفلسفة من تونس⁽²⁾. كما خدم السلطان الحفصي أبو عمر عثمان (839-893هـ/1436-1490م) الحياة الفكرية العلمية والفكرية بتشبيده مدرسة لقرء العلم وزاوية بعين الزميت، ومن حسناته إخراجة لخزانة الكتب بالمقصورة الشرقية من الجامع الأعظم⁽³⁾.

نستخلص مما سبق ؛ أن الحركة الفكرية بتونس ازدهرت بفضل تضافر عوامل عدّة من بينها كذلك:

ب- **الرحلات العلميّة ودورها الفكري**: تعددت أسباب الرحلات العلمية، وقد ذكر العبدري سببين وراء رحلته، فالسبب الأول؛ ديني متعلق بزيارة الحرمين الشريفين والأماكن المقدسة للاتصال بالعلماء المتصوفة، أمّا السبب الثاني؛ متعلق بلقاء العلماء والأخذ عنهم في ظلّ البحث والتقصي⁽⁴⁾.

مثلت تونس الحاضرة الفكرية خلال الفترة الحفصية، مما جعلها محل استقطاب أبنائها من المدن المختلفة، وكذا جذب لطلبة الذين يفتخرون بالعلم من الأندلس والمشرق الإسلامي والعكس.

فبالنسبة للرحلات الأندلسية نحو تونس فتعود إلى أسباب عدة:

- سياسية: تدهور وضع الأندلس بعد انهيار الحكم الموحي وانهمامهم في معركة العقاب (609هـ/1212م)⁽⁵⁾.

(1) ابن قنفذ القسنطيني : المصدر السابق ، ص 197.

(2) الزركشي: المصدر السابق، ص 132.

(3) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 147.

(4) أبي عبد الله محمد بن سعود العبدري(ت700هـ/1300م): **رحلة العبدري**، تح: علي إبراهيم كردي، تقديم: شاعر الفحام ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005، ص 10.

(5) **معركة العقاب**: معركة دارت بين النصارى والمسلمين في 5 صفر (609هـ/1212م)، وانتهت بانهمام الجيوش الإسلامية الموحدية، وسميت بمعركة العقاب أو حصن العقاب. عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تح: محمد سعيد العريان- محمد العربي العلمي، ط1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1949 ، ص ص 321-322.

- اجتماعية: تتأزم أوضاع المجتمع الأندلسي أدى إلى هجرة الكثير منهم بسبب القوانين التعسفية التي أصدرتها الكنيسة في حقهم والتي الغرض منها طمس الهوية الإسلامية منع الزواج المختلط مطابقة الملابس بين الفئتين، منع المعالم الإسلامية، تغريب الأسماء العربية وغيرها. بالإضافة إلى الصراع الإيديولوجي وتوسع الفجوة بين السلطة الحاكمة والمجتمع.

- اقتصادية: انهيار اقتصاد المسلمين الأندلسيين، ذلك نتيجة القوانين الجائرة التي فرضت على المسلمين مثل: مصادرة الأراضي مما دفعهم للهجرة.

- دينية وثقافية : السياسة المسيحية لتتنصير المجتمع الإسلامي باسبانيا فقد أصدر البابا في 12 مارس سنة (931هـ/1524م) مرسوماً ينص على تحويل المساجد إلى كنائس، وإجبار المسلمين على اعتناق الديانة المسيحية ، والأجدر بذلك تم حرق مجموعة من الكتب العربية الدينية والمخطوطات الإسلامية⁽¹⁾. واكبت هذه الرحلات تأسيس دولة بني حفص بزعامة أبو زكرياء مؤسس الدولة الذي كان والياً على مقاطعة اشبيلية ولما تمكن فرديناند الثالث من انتزاع المدينة (646هـ/1248م) حدثت الهجرة من الصفة الاشبيلية خاصة إلى تونس وبعدها إلى مدنها الأخرى⁽²⁾.

يقول البكري عن مكانة تونس العلمية قائلاً: "ومدينة تونس دار علم و فقه ولي منها فضاء إفريقية جماعة كثيرة، ومع هذا الفضل الذي فيها هي مخصوصة بالقيام على الأمراء والخلاف للولاية"⁽³⁾. ويصف العبدري وصفاً إياها بالقول: "ثم وصلنا إلى مدينة تونس مطمع الآمال ومصاب كل برق و محطّ الرّشحال من الغرب إلى الشرق"⁽⁴⁾. ويزيد قائلاً: "وما من فنّ من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائماً ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله وارداً وحائماً"⁽⁵⁾.

أمّا عن أبرز من رحل إلى تونس لنشر علمه أو للتزود بالعلم والمعرفة ابن الآبار (595هـ-658هـ/1198-1259م) وكذا محمّد الخير المالقي (731-888هـ/1427-1483م)، وأحمد بن إبراهيم بن

(1) حارث علي عبد الله : هجرة سكان الأندلس إلى بلاد المغرب وتأثيرهم في الجوانب السياسية والفكرية والمعمارية خلال (القرن 7_9هـ/13_15م) ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، مج27 ، بابل ، 2019 ، ع5 ، ص ص2 - 3.

(2) روبرار برنشفيك : المرجع السابق ، ص61.

(3) أبي عبيد البكري (ت487هـ/1094م) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، دط ، يطبع بمكتبة المثني ، بغداد ، ص 40.

(4) العبدري : الرحلة ، ص108.

(5) نفس المصدر ، ص113.

عمر الغساني... وغيرهم كثر مجتمعين بأحياء خاصة تسمى بحارة أو حومة أو زقاق. فكان لهم تأثير على الحياة الفكرية مشغولين في مجال التعليم والطب والصيدلة وعلم الرياضيات والحساب... وغيرها من المعارف والعلوم⁽¹⁾.

✓ لمحة عن بعض المهاجرين الأندلسيين الذي أثروا على النهضة الفكرية بتونس:

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلبني (ت658هـ/1259م): فقيه محدث، مقرئ، نحوي، أديب بارع، تاريخي شهير بابن الأبار، من أهل بلنسة وأصله من أجردة - صححها الغبريني - ارتحل بين تلمسان وبجاية، قضى رسالته عند ملك إفريقيا ثم عاد إلى الأندلس فظن بجاية مجدداً إلا أن استدعاه الأمير المستنصر، توفي بتونس ضحوة تاركاً تآليف عدّة يوم الثلاثاء 20 محرم (658هـ/1259م)⁽²⁾.

- الشيخ الفقيه أبي العباس بن محمد الغماز البلبني (ت693هـ/1294م): شيخ فقيه وقاضي فاضل مشهور بوظاعة الأكناف، مسند عصره اسمه الكامل أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن الغماز الخزرجي، سمع عليه العبدري عدة مؤلفات منها "الموطأ"، "صحيح مسلم"، كما قرأ عليه "برنامج" وتأليفه المعروف "مفاوضة القلب العليل على طريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل".... وغيرها⁽³⁾. مثل بلاد المشرق الإسلامي (مصر - بلاد الشام - بلاد الحجاز - العراق) قبله أخرى للتونسيين وقد استقبلت أعداد متفاوتة من علماء تونس الذين استقروا والحنين إلى ديارهم يراودهم للعودة بين الفينة والأخرى نذكر منهم:

- عبد الرحمن الأزدي التونسي (ت625هـ/1228م) الشهير بابن الحداد: عالم القراءات، عرف برحلته نحو مصر التي زوّده بمخترق العلوم الدينية فقرأ على الشاطبي، وبعد عودته إلى تونس توجه إلى الأندلس، ليستقرّ به المقام بمراكش إلى غاية وفاته سنة خمس وعشرين وستمائة⁽⁴⁾.

- محمد بن عبد الله بن راشد (ت736هـ/1336م) : معروف بابن رشد القفصي، تجددت على العهد الحفصي الحركة الفكرية وحركة التأليف في الفقه والأصول والنحو والتاريخ والطب. وسطع نوره إلى جانب معاصريه، فهو من علماء وفقهاء زمانه قفصي البلد، نزيل تونس مشهور بابن راشد شارحا بن الحاجب رحل إلى القاهرة ليأخذ عن مشايخ المالكية أمثال : ابن دقيق العيد، تضلع في الأدب وأصول الدين⁽⁵⁾.

وفي الأخير نلخص القول أن تونس حفلت بأعلام وأدباء من أبنائها أو من الوافدين عليها من المشاركة والأندلسيين، وذلك بفضل عوامل عدّة منها استقرار الأمن والنظام، والقضاء على المشاكل

(1) حارث علي عبد الله : المرجع السابق، ص ص 04-08.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 145-147.

(3) العبدري: المصدر السابق، ص ص 489 - 492.

(4) شمس الدين ابن الجزري الدمشقي (ت833هـ/1428م): غاية النهاية في طبقات القراء، تح وتص: ج، برجستراسر ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص 331.

(5) التبتكي: المصدر السابق، ص ص 392-394. محمد محفوظ : المرجع السابق، ج2، ص ص 329-334.

السياسية، لكنَّ أهمَّ العوامل التي أثرت مباشرة على الحياة الفكرية استقبال البلاد التونسية للكفاءات العلمية المشرقيَّة والأندلسيَّة التي اعتبرتها الموطن الثاني بعد الهجرة، فعملوا على إحيائها بنشاطاتهم في مجال التدريس والتأليف وإحياء الدِّراسات النَّحوية والأدبية والتاريخية كابنالآبار ، ابن الغماز ، اللبلي وابن عصفور وغيرهم من يطول تعدادُه⁽¹⁾.

ج- المنشآت التعليميَّة ودورها في تطوُّر الحركة الفكرية: شهدت بلاد المغرب الأدنى نهضة فكرية علميَّة مثلها مثل بلاد المغرب الأوسط، حيث كان للأمرء الحفصيين دور هام في ذلك من خلال استتباب الأمن والاستقرار، وكذا تشجيع العلماء والمفكرين وإجازتهم علمياً ، ولم يقتصر على ذلك وإنما مثلوا أوارهم ونشاطاتهم في مؤسسات تعليميَّة حفظت العلم وأمَّهات الكتب المدوَّنة من قبلهم أو التي حصلت المنطقة أبرزها:

1- **الكتاتيب:** الكتاب موضع تعليم الأطفال القرآن والقراءة والكتابة فأغلبُ العلماء تتلمذوا فيها، كما ساهمت في نشر التعليم رغم بساطة الكتاب مادياً والمواد التي استعملت في إيصال المعلومات والمعارف. فقد كان الكتاب بمعزل عن المساجد: فهي عبارة عن حجرة مجاورة للجامع ، تبنى خصيصاً لتعليم القرآن الكريم، ويعود الفضل في تطويرها بالبلاد التونسية إلى الأندلسيين الذي تفننوا وزخرفوا أركانها هذا بالنسبة للحواضر الكبرى، أما بالنسبة للبوادي فقد كانت تسمَّى "خيمة المؤدب" ومع تطوُّر انقطعت الخيمة وأنشئت في مكانها مدارس ابتدائية عموميَّة⁽²⁾.

انتشر التَّعليم بواسطة الكتاتيب التي انتهجت مناهج تربوية تعليمية شبيهة بالنماذج التي كانت سائدة في بلاد المشرق و المغرب الإسلامي آنذاك تشمل وتحتوي هذه البرامج علوم نقلية دينية وفنون لا علاقة لها بالدين بهدف رفع مستوى الصنثيان علمياً وعقلياً، فلذلك قسم الفقهاء، برنامجهم الدِّراسي والتعليمي إلى قسمين أحدهما يشمل مواد إجباريَّة، وثانيهما مواد اختيارية متَّفَق عليها بين المعلم وأوليائه⁽³⁾. ونعني بالمواد الإجباريَّة؛ كل مايتعلَّق بتحفيظ القرآن الكريم وإعرابه، وقراءته وكتابته بالإضافة إلى أنواع الخطوط . أمَّا الاختياري؛ سواء اختيار مواد كالحساب وأيام العرب والشعر وغيرها⁽⁴⁾.

(1) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 329.

(2) إبراهيم العبيدي التوازي : تاريخ التربية بتونس ، دط ، نشر الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1967 ، ج 1 ، ص 103-104.

(3) نفس المرجع ، ج 1 ، ص ص 105-106.

(4) نفسه ، ج 1 ، ص 106.

سئل ابن سحنون عن ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان فأجاب " لا يحلُّ للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه ، فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم"⁽¹⁾؛ ويعني بذلك أن المعلم شغله الشاغل الصبيان وتربية وتعليماً. ويضف قائلاً : " وينبغي له أن يجعل لهم وقتاً يعلمهم يتخايرون ، لأن ذلك ما يصلحهم ويخرجهم ويسمح لهم أدب بعضهم البعض"⁽²⁾. للمعلم شروط عدّة وصفات دينيّة وعلميّة وخلقية من أبرزها: الرّعاية، النّقوى بالإضافة إلى الرّفق بالصبيان والعدل بينهم كما يتوجب عليه الرّصانة والوقار، مع حفظ القرآن وأصول الدّين لا لزوم الاجتهاد والتّفرغ له⁽³⁾.

برز ثلّة من الفقهاء والعلماء بالبلاد التونسية خلال الحقبة محل الدراسة نذكر على سبيل المثال:

- الفقيه أبو إسحاق بن عبد الرّفيع (ت 734هـ/1337م): علامة نادر، ألف كتاب "معين الحكّام" وهو كتاب غزير العلم، وله اعتراض على ابن حزم سمّاه "الرّد على ابن حزم"، لقي شيوخ عدّة منهم الشيخ محمد بن الحجام، توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة عن عمر يناهز تسع وتسعين سنة وأشهر⁽⁴⁾.

2- الجوامع والمساجد: تمثّل المساجد مؤسسة دينيّة فكرية لها أدوار في الحياة الاجتماعية الهدف من تشييدها عبادة الله سبحانه وتعالى وكذا تعليم الصّبيان والكبار أمور الشريعة الإسلامية ، وخلفاء الدولة الحفصية عهدوا على إنشاء المساجد والجامع التي كانت تمثل أعلى مرحلة الكتاتيب والمساجد⁽⁵⁾.

تشير المصادر التاريخية إلى أقدم الجوامع التي عرفتها دولة بني حفص وهو جامع الرّيتونة، الذي تعود جذور تأسيسه إلى أوائل (ق3هـ/9م) رغم النذر اليسير عن المعلومات التّشي سجلت عن تاريخ المسجد الجامع، لكن ما وصلنا في طيات مؤلّف البكري "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" كون المسجد الجامع شيّد الأوّل على يد عبد الله بن الحجاب ولي إفريقية سنة (114هـ/732م)⁽⁶⁾ على غرار

(1) محمد بن سحنون (ت 240هـ/854م): كتاب آداب المعلمين ، تح: محمود عبد المولى ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981، ص 80.

(2) نفس المصدر، ص 81.

(3) نفسه ، ص 81. أبو الحسن علي القابسي(403هـ/ 1013م): الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، تح : أحمد خالد ، ط1 ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1986 ، ص ص 141-142.

(4) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج1، ص270. العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج1 ، ص23.

(5) التوزري : المرجع السابق ، ص 134.

(6) وفي سنة أربع عشر ومائة بني عبيد الله بن الحجاب الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس وأهلها موصوفون ببناء النفوس". أبي عبيد البكري (ت 487هـ/1094م) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية المغرب ، دط ، مكتبة المثى ، دت ص37.

ابن عذاري المراكشي الذي أشار إلى سنة (116هـ/734م) عندما تناول ولاية عبيد الله الحجاب على إفريقيًا والمغرب قائلًا: "فعدم إفريقية في ربيع الآخر من سنة ستة عشر ومئة وهو الذي بنى المسجد الجامع ودار الصنّاعة بتونس"⁽¹⁾، والأجدر بين التاريخين التّاريخ الذي ذكره البكري نسبة إلى دقة أسانيده حسب أغلب المحققين.

أمّا الزّركشي ففي كتابه "تاريخ الدولتين" أشار إلى التعديلات التي أقيمت على المسجد الجامع خلال الفترة محل الدّراسة قائلًا: "وفي يوم أخذ أبي عثمان ابتداء العمل بالإصلاح والتّذهيب والكسوة في جامع الزّيتونة وتمّ العمل يوم الخميس الخامس عشر من شعبان من العام المذكور"⁽²⁾. وهذا يعني سنة (676هـ/1277م) قام الملك الواثق بإصلاح مسجد الزّيتونة.

خلال نفس الحقبة قام السّلطان محي زكريا بإضافة أبواب وإقامة أوتار للمسجد وبيت الصّلاة سنة (716هـ/1316م) حيث يضيف الزّركشي تتبّع إصلاح المسجد الجامع قائلًا: "ومن عام ستة عشر وسبعمئة أمر السّلطان أبو يحي زكريا بعمل أبواب من خشب وعوارض منه لبيت جامع الزّيتونة فعملت على ماهي عليه اليوم في شهر رمضان من العام المذكور وكتب تاريخ ذلك في قنبجة باب البهور"⁽³⁾.

فقد زخر جامع الزّيتونة بعدد وفير من الطلبة التونسيين والوافدين باعتباره معهد إسلامي بإمكانهم من خلاله التّخرج - التخصّصات-. وقدّر عددهم ثلاثة آلاف طالب يتفنّون في أمور الشّريعة ليس ذلك فقط وإنّما نميّز بجماليته حتّى وصفه ابن الشّماع في كتابه "الأدلة البيّنة الثّورانية" قائلًا: "وجامعها مليح الصّنع حسن الوضع، مطل على البحر"⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى مجموع الجوامع التونسيّة؛ فإنّ جامع القيروان بمسجده اشتهر كذلك المؤسّسات التعليميّة التي إن تتبعنا جذورها فإنّها تعود إلى سنة (670هـ/50م) عندما أصبحت القيروان مدينة إسلامية أنشأها عقبة بن نافع، لكن لم تمرّ عليه عشرون سنة هدمها حسان بن النّعمان وبنى على أنقاضها سرحاً جديداً ما بين سنة (78-83هـ/693-697م) كما يذكر البكري المسجد والتّعديلات التي أقيمت عليه مشيراً إلى دور هشام بن عبد الملك الذي راسل الخليفة سنة (105هـ/724م) يطالبه بتوسيع المسجد من خلال شراء ما جاوره قائلًا حسب البكري: "فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله على يد القيروان يعلمه أنّ الجامع يضيف بأهله وأنّ بجوفه حبة كبيرة لقوم من قهر، فكتب عليه هشام يأمر

(1) محمد ابن عذاري المراكشي (ت 716هـ/1316م): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تج: بشار عود معروف - محمود شار عواد ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2013 ، ج1 ، ص81.

(2) الزركشي: المصدر السابق ، ص 41.

(3) نفس المصدر، ص63.

(4) ابن الشّماع : المصدر السابق ، ص36.

بشريها وأن يدخلها المسجد الجامع ففعل⁽¹⁾. ولتنتبغ تاريخ المسجد خلال حقبة الدراسة فإننا نلاحظ دور الحفصيين الذي تركته لنا آثار ونقوش موضوعه في مدخلين ينفذ إليهما إلى بيت الصلاة من المشرق والمغرب، بأمر من الخليفة أبو حفص سنة (693هـ/1295م)⁽²⁾ فيفضل الجامع، مثلت القيروان حضارة فكرية مُشعّة بالعلم والعلماء، اغترف علمائها من المشاركة الأندلسيين حتى يقدموا لمدينتهم مختلف العلوم النقلية والعقلية، كما استقدم الحكام وفوداً علمية لنشر ذلك والارتقاء بها ليتخرج على أيديهم فقهاء وعلماء متأثرين بعلماء القاهرة، مگة، المدينة، بغداد، الكوفة، البصرة، دمشق⁽³⁾. محدثين تقاعلاً فكرياً تميزت به الدولة الحفصية.

أسس الأمير أبو زكرياء يحيى جامع آخر بالقصبة جهل تاريخ تأسيسه نتيجة لنقص الدراسات عنه لكن ما وصلتنا من معلومات عنه أنه بُني على يد الأمير أبو زكرياء يحيى قبل تأسيسه للدولة الحفصية - أي في فترة ولايته- ، ونقش عليه اسمه- الصومعة- ، مُدشناً إياه بنفسه، ليؤدّن في الصلاة الصبح (في اليوم السابع شهر رمضان سنة 633هـ/جوان 1235م) وما ميّزه زخرفة صومعة التسطيرية التي تعد أفخم وأبهى الصوامع بالعاصمة، كما أنه شيد في منطقة مرتفعة، ولا يزال قائماً إلى يومنا الحالي⁽⁴⁾.

كما تميّزت البلاد التونسية بجوامع أخرى منها جامع التوفيق أو جامع الهواء بتونس، الذي شيدته زوجة الأمير الثاني "محمد المستنصر بالله" سنة (650هـ/1252م) التي تسمى بـ "الأميرة عطف" بالإضافة إلى جامع الحلق، الذي هو موجود بحي باب الجديد، بنته أمة زنجية على عهد الأمير الثاني "محمد المستنصر بالله". وكذا جامع النفاقة أو التبانين، الذي لازال موجود إلى يومنا هذا بباب السويقة من بناء الأمير أبي عمر وعثمان. وبدافع نشر الإسلام شيد مسجد الأخوات بسوسة⁽⁵⁾ وغيرها من المساجد والجوامع في صفاقس وتوزر وقفصة وقابس وباجة، المهدية⁽⁶⁾.

أمّا عن أساليب التعليم في الجوامع والمساجد، فقد كان الشيوخ يعلون المجالس جالسين في حصير بسيط، إلا أنّ بعض حاضروا على الكراسي حلقات العلم حسب مكانة الشيخ العلمية والفقهيّة، فبعد البسمة والتحميد يتلو الشيخ آيات قرآنية أو أحاديث نبوية تحت على طلب العلم. أمّا الطلبة فلديهم الحقّ

(1) البكري : المصدر السابق ، ص23. أحمد فكري: مساجد الإسلام- مسجد القيروان- ، ط1 ، دار العالم العربي للنشر، القاهرة ، 2009 ، ص ص 12-13.

(2) نفس المرجع ، ص15.

(3) محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، ط1، دار المنار للطبع والنشر، القاهرة ، 1988 ، ص ص 241-242 .

(4) أحمد بن عامر: الدولة الحفصية- صفحات خالدة من تاريخنا المجيد- ، ط1 ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1972 ص ص 104 - 105. التوزري : المرجع السابق ، ج 1 ، ص132.

(5) نفس المرجع ، ص105.

(6) التوزري : المرجع السابق ، ج 1 ، ص133.

في تقديم أسئلة للاستيضاح والعكس يُلقي الشَّيخ أسئلة عليهم ليتأكد من مدى وصول درسه وفهمه من قبلهم⁽¹⁾.

برز ثلَّة من الشُّيوخ الذين اعتلوا الصَّلَاة أو حلقات العلم بالجوامع والمساجد التونسية خلال الفترة محل الدِّراسة نذكر على سبيل المثال:

- محمَّد بن أحمد عبد الله بن محمَّد بن يحيى المعروف بابن سيِّد النَّاس اليعمري (ت 659هـ/1260م): ولد سنة (600هـ/1203م). وقرأ على كبار محدثي الأندلس، خاصَّة والده أبو العبَّاس أحمد الذي عرف براوية الحديث أقبلَ على تدريس الحديث في تونس، ليقبلَ عليه أبناء السُّلطان وأهله بجامع القصبَة وقال ابن قنفذ القسنطيني: "وكان منهم الكتاب والعلماء والأدباء منهم أبو بكر بن سيِّد النَّاس اليعمري (600-659هـ/1203-1260م)"⁽²⁾؛ يعني بذلك المستنصر قد ربَّت مجلسه مجموعة الفقهاء والعلماء.

- محمَّض بن جابر الشهير بالوادي آشي أبو عبد الله (749هـ/1349م): أبرز فقهاء وقرأه تونس في القرن السَّابع إلى حاضرة تونس فقد كان والده عالماً من كتَّاب الدولة، كما أنه قرأ على أعيان شيوخها كأبي العبَّاس بن الغمار وابن هارونفي أكبر جوامعها⁽³⁾.

- محمَّد أحمد المعروف بالصَّفَّا الأنصاري (توفي أواسط القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي): محدث بارع تولى الخطابة والإمامة بالجامع الكبير من بلدة صفاقس⁽⁴⁾. وغيرهم كثير.

3- الزَّوايا والروابط:

• الزَّوايا: أولى أمراء الدولة الحفصية عناية شديدة بالزَّوايا والرِّبَط لدورها الفعَّال فالزَّوايا انقسمت آنذاك إلى قسمين: فالقسم الأوَّل: زوايا المتصوف، يتمُّ فيها ممارسة علومهم بين السُّكان وإذا توفي المتصوف قبر في نفس المكان، بهدف أن يصبح ضريحه للتَّبَرُّك والزِّيارات ومن أشهرها:

- زاوية "سيدي بن عروس": أسَّسها الولي الصَّالح أحمد بن عروس (ولد سنة 781هـ/1379م) وتوفي سنة (868هـ/1463م) وذلك سنة (838هـ/1434م) أمر من السُّلطان الحفصي أبي عبد الله المنتصر

(1) التوزري: المرجع السابق، ج1، ص ص 138-140.

(2) ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص 28. حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة: محمد العروسي المطوي- بشير البكوش، ط1، دار الغرب الإسلامي - بيت الحكمة، بيروت- تونس، 1990، مج1، ص304.

(3) نفس المرجع، ج1، ص ص 309-320.

(4) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ج1، ص328.

حيث يقول عن ذلك ابن أبي دينار في كتاب "المؤنس" مايلي: " وأمر ببناء زاوية الشيخ سيدي أحمد بن عروس وبني سقاية الماء بداخل سعدون وأوقف عليها ما يكفيها"⁽¹⁾.

- زاوية سيدي الكلاعي: شيدها محمد أحمد بن عبد الله الكلاعي المشهور بابن الرومي وابن النجار قرطبي نزيل تونس صوفي صالح، بالمقابل لزاوية سيدي بن عروس، أما عن تاريخ التأسيس لم نجده في بعض المصادر والمراجع لكن المعروف أنّ الشيخ العابد الزاهد توفي يوم السبت 20 ربيع الثاني (1293هـ/1293م)⁽²⁾.

- زاوية سيدي قاسم الزليجي: نسبة إلى سيدي أبي قاسم الزليجي أبو الفضل قاسم بن أحمد الصّدي الفاسي أبرز أولياء تونس في القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي، شيّدت في القطّاع الغربي من المدينة العتيقة⁽³⁾.

- زاوية الشاذلي: تأسست الزاوية من قبل المتصوف أبو الحسن الشاذلي، مغربي نزيل تونس وأثناء مرابطته تفرغ لتربية المريدين فأصبح معروفاً لتعرف طريقته بالطريقة الشاذلية التي من أصولها " خوف الله التمسك بالسنة، والتسليم، وإرادة الله واحتقار العالم"، توفي بعد رحلاته نحو المشرق والمغرب والاندلس سنة (656هـ/1258م) بمصر⁽⁴⁾، ومن هنا يمكننا القول أنّ هذه الزوايا ما هي إلا نماذج لأهمّ الزوايا التي لعبت دوراً ريادياً تعليمياً أساسه محاربة الجهل بتعاليم دينية صائبة.

- أما القسم الثاني: فهي زوايا العلم واستقطاب الطلاب الغريباء تمّ بناؤها من قبل سلاطين الدولة الحفصية، وهذا يعني أنّها زوايا سلطوية نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر مايلي:

- زاوية سيجوم: يقول ابن أبي دينار أنّ هذه الزاوية تأسست في عهد الأمير أبي فارس عبد العزيز: وهي مرحلة التي شيّدت فيها أغلب المراكز الاجتماعية كالفنادق والعلمية كالمدارس والزوايا، أمّا صاحب البناء والتشييد والده أبو عبد الله محمد ولي عهده، صاحب العقّة والرصانة والديانة⁽⁵⁾.

(1) ابن أبي دينار: المصدر السابق ، ص146.

(2) أبي العباس أحمد المكناسي الشهير بابن القاضي (960-1025هـ): ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجار في أسماء الرجال، تح: محمد الأحدي أبو النور، ط1، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، 1971، ج2، ص 253. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج4، ص ص 172- 173.

(3) سعيد زكي أبو شنب: دراسة بصرية لشاهد قبر أبي قاسم الزليجي بتونس (ت902هـ/1496م) نشر جديد ودراسة مقارنة في قواعد المنظور، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، القاهرة ، 2021 ، مج22 ، ع2 ، ص ص 394-395.

(4) أحمد بن عامر: المرجع السابق، ص ص 107-109.

(5) ابن أبي دينار: المصدر السابق ، ص 146. ابن الشماع : المصدر السابق ، ص118.

- زاوية عين الزّيميت: بني فيها السلطان أبو عمرو عثمان زاويته هذه، وجعل فيها جامعاً للصلاة ودرسا للقراءة العلم سواء علوم شريعة أو علوم عقلية⁽¹⁾.

- زاوية حومة الدّاموس: حارب السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز رحمه الله كل مظاهر الفساد التي استتبت بالأراضي التونسية، من خلال تحويل الفنادق إلى زوايا، من بين الزوايا التي بنيت عوض فندق هذه الزاوية التي صارت متعبدة لإقامة الصلاة والعبادات، حيث بنيت في بستان بارود- قرب الدّاموس، وجبل الخاوي قبلي تونس- ، وأوقف عليها وقفا خاصاً⁽²⁾.

بالإضافة إلى زوايا أخرى شيدت آنذاك منتهجة نفس السياسة التعليمية للمناهج المذكورة نذكر منها زاوية الفندق، زاوية أبي الحداد، زاوية بنونة، زاوية الترول، زاوية الشيخ الحديدي⁽³⁾ القائمة على إخضاع الطلاب لنظام تعليمي شديد صلباً ومساءً، يشمل مختلف العلوم، وكل خطأ يعاقب عليه الطالب⁽⁴⁾. ويتضح أنّ هذه الطريقة كانت سائدة في أغلب الزوايا المغاربية والكتاتيب.

• الرّبط: أمّا الرّبط لم تكن وليدة الفترة الحفصية بل وجدت منذ الدّراسة نذكر: رباط سوسة، ورباط البحر بقاس ، ورباط المنستير.

- رباط سوسة: يشير عليه الحموي في معجم البلدان قائلاً: "وخرج سوسة محارس ومرابط ومجامع الصالحين، وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمجرس الرباط يأوي عليه الصالحون والعباد"⁽⁵⁾.

- رباط البحر بقابس: يضيف الحموي قائلاً: "مدينة جبلية مسورة بالصخر الجليل من بنيان الأوّل ذات حصن حصين وأرباط وفنادق وجوامع وحمامات كبيرة...ولها ثلاث أبواب، وبشرقها وقبليها أرباط يسكنها العرب الأفارقة"⁽⁶⁾. والمعروف بينها وبين البحر أميال ثلاثة.

- رباط المنستير: تعتبر المنستير مركز فكري وديني للتصوف حيث كانت تستقبل فقهاء وعلماء من مدن أخرى مثل القيروان فلذلك أولى السلاطين الحفصيين عناية شديدة لها، وفقاً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلّم في أحد أحاديثه عن ابن عمر " بساحل قسونية باب من أبواب الجنة يُقال له: المنستير من

(1) ابن أبي دينار: المصدر السابق ، ص147. ابن الشماخ: المصدر السابق، ص124.

(2) عبد الله الترجمان الأندلسي: تحفة الأريب في الزد على أهل الصليب ، تح : محمود علي حماية ، ط3 ، دار المعارف للنشر ، القاهرة ، 1984 ، ص58. ابن الشماخ : المصدر السابق ، ص ص 114 - 115.

(3) ابن أبي دينار: المصدر السابق ، ص158.

(4) رويار برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ، ص 375.

(5) شهاب الدين الحموي (ت626هـ/1229م) : معجم البلدان ، دط ، دار صادر ، بيروت ، دت ، مج3 ، ص283.

(6) الحموي: المصدر السابق، ج4، ص279. محمد الطالبي : دائرة المعارف التونسية ، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، قرطاج ، 1994 ، ص ص 100-101.

دخله فيرحمه الله ومن خرج منه فيعفو الله"، ويضيف عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "مرابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة، قال أنس بخ ، بخ يا رسول الله" (1).

4- المدارس والمكتبات ما بين (ق7 - 9هـ/13 - 15م):

• **المدارس:** الدولة الحفصية مثلها مثل الدول المغاربية في العصر الوسيط فيما يخص التعليم بالمدارس. وقد أولت السلطة عناية كبيرة بذلك، ففي عهد الأمير أبي زكرياء الأول أنشئت أول مدرسة في شمال إفريقيا عامّة. ومن أبرز المدارس نذكر:

- **المدرسة الشّماعية:** أسسها أبو زكريا يحي الأول، وقيل أن تأسيسها معاصر لفترة لاستقلال عن الدولة الموحدية (سنة 633هـ/1237م) بعدما تم تشييد مراكز تعليمية أخرى من قبله وهي لازالت قائمة إلى حدّ الساعة، وهي تقع بسوق البلاغية زنقة الشّماعين (2) ومن أبرز مشايخها القاضي أبو القاسم بن البراء (ت677هـ/1281م) والقافي ابن عبد السلام الهواري (ت749هـ/1349) وغيرهم (3).

- **المدرسة المعرضية:** أسست من قبل ابن السلطان، الحفصي أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالأمير أبو زكريا بحدود سنة (679هـ/1281م) وعن ذلك يقول الزركشي: "فأمر أن ينسى مدرسة للعلم فبنى مدرسته المعرض" (4) خاصة وأن الأمير عرف بحبه للعلم. وعند إتمام الإنشاء تولاهما الشيوخ للتدريس بدءاً من الفقيه أبو العباس الغرناطي (ت692هـ/1296م) (5) وكذا العالم الفقيه أبو عبد الله بن عبد الستار النّميمي (ت749هـ/1349م) (6) دون أن ننسى الفقيه أبو عبد الله محمد الزنديوي (ت874هـ/1471م) (7) الذي أشرف على التعليم والوعظ فيها لفترة طويلة (8).

- **المدرسة التوفيقية "مدرسة الهواء":** شيدها الأميرة عطف زوجة الأمير أبي زكريا يحي على عهد ولدها الأمير المستنصر سنة (650هـ/1252م). ليعتلي التدريس ثلّة من الفقهاء المحدثين العلماء

(1) الحموي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص ص 209-210. المالكي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 07.

(2) ابن الشّماع : المصدر السابق ، ص 56.

(3) الزركشي : المصدر السابق ، ص ص 70-71.

(4) نفس المصدر ، ص 51.

(5) " فقيه تاريخي سمع الغبريني أنه يحفظ تاريخ الطبري، رحل إلى بجاية فجلس بالجامع الأعظم، له تأليف وتصانيف عدة منها: كتاب المشرق في علماء المغرب والمشرق". الغبريني : المصدر السابق، ص ص 169 - 170.

(6) رويار برنشفيك : المرجع السابق ، ج 1، ص 382. إمام مفسر وزاهد، يدرس العلوم من تفسير وحديث وأصول ليبلغ من المعارف العلى. التتبيكتي: المصدر السابق، ص 395.

(7) فقيه محقق من أصحاب ابن عرفة، له تأليف عدة منها "تفسير وشرح المختصر لمعيار رسالة في الفرائض. محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ج 1، ص 373.

(8) رويار برنشفيك : المرجع السابق، ج 1، ص 382.

الورعين من بينهم: الفقيه أبو بكر ابن سيّد الناس الأشبيلي (ت 659هـ/1264م) والإمام الفقيه ابن عرفة (ت 803هـ/1399م)⁽¹⁾.

- **المدرسة العنقية (عنق الجمل):** تأسست المدرسة على يد الأميرة فاطمة أخت السلطان أبي يحيى ابن أبي زكريا سنة (742هـ/1342م)، تولى التدريس بها قاضي الجماعة محمّد بن عبد السلام الهواري (ت 749هـ/1349م)، وكذا القاضي أبو عبد الله بن سلامة (ت 746هـ/1346م) وسُميت "عنق الجمل"⁽²⁾.

- **المدرسة العصفورية:** شيدها الفقيه النحوي التاريخي أبو الفضل علي بن مؤمن بن محمّد بن علي الحضرمي المشهور بابن عصفور، من أهل اشبيلية. تقع بدرب ابن عبد السلام بالقرب من سوق العطارين⁽³⁾.

- **المدرسة المنتصرية:** تُعدّ من مآثر السلطان الحفصي أبو عبد الله المنتصر، أسست سنة (838هـ/1435م) بالقرب من سوق الفلقة بتونس، وتوفي السلطان قبل إتمامها. ثمّ زيارتها من قبل القلصادي حيث يقول عن ذلك: "وسكنت بالمدينة الجديدة من باب السويقة بقرب الشيخ الولي سيدي محرز بن خلف فأقامت بها حولاً كاملاً ثمّ انتقلت إلى المدرسة المنتصرية، فأقامت بها أيضاً سنة ونصفاً"⁽⁴⁾. ومن هنا يمكننا القول أنّ القلصادي طيلة فترة إقامته أخذ بها عن ابن عقاب مع جمهور الطلبة، وهي لازالت قائمة إلى يومنا هذا بالعاصمة التونسية⁽⁵⁾.

- **مدرسة ابن تافراجين:** تقع بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة شيّدت على يد الشيخ الحاجب أبو عبد الله ابن تافراجين. أمّا عن تاريخ التأسيس فلم يذكر في المصادر والمراجع لكن يرجح القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، لأنّ مؤسسها عندما توفي سنة (766هـ/1366م) دفن بها⁽⁶⁾. وولي التدريس بالمدرسة الفقيه أبو البركات محمّد بن محمّد المعروف بابن عصفور الذي ذكر سابقاً⁽⁷⁾.

- **المدرسة العثمانية:** موجودة في نفس مكان المدرسة ابن تافراجين أي بباب السويقة بدار صولتتم تشييدها من قبل السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان بدءاً من سنة (840هـ/1436م) إلى غاية (844هـ/1441م) سميت بالعثمانية نسبة إلى عثمان أبو عمرو، حيث يقول ابن أبي دينار في كتاب المؤنس "فمن مآثره رحمة الله عليه بناء مدرسة في غاية الحسن بزئقة الشيخ الولي الصالح العابد سيدي

(1) ابن الشماخ: المصدر السابق، ص 63.

(2) الزركشي: المصدر السابق، ص 71-141. روبر بارنشفيك: المرجع السابق، ج 1، ص 382.

(3) الغبريني: المصدر السابق، ص 149-150. محمّد محفوظ: المرجع السابق، ج 3، ص 391-394.

(4) القلصادي: المصدر السابق، ص 112-115.

(5) نفس المصدر، ص 113.

(6) الزركشي: المصدر السابق، ص 101. روبر بارنشفيك: المرجع السابق، ج 1، ص 382.

(7) الزركشي: المصدر السابق، ص 139.

محرز بن خلف، وجعل فيها مسجداً للصلاة، ودرس القراءة العلم ومأوى لسكن الطلبة⁽¹⁾ وهي لازالت موجودة إلى يومنا هذا درس فيها مجموعة من الشيوخ نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ الفقيه محمد الرنديوي⁽²⁾.

- مدرسة القائد نبيل: تقع شرق باب ينجمي - باب من أبواب القصبه - ، تأسست على يد القائد نبيل أبو قطاية - أحد كبار الموظفين من ذوي النفوذ، لكونه أول من شرع في البناء، لكن أتمها السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان سنة (850هـ/1446م)⁽³⁾. من الشيوخ الذين درسوا بها الفقيه أبو إسحاق الأخضرى (ت 879هـ/1474م)⁽⁴⁾، والقاضي أحمد بن عبد الرحمان بن موسى المعروف بحلولو⁽⁵⁾. فعند تتبع مسيرة وولاية عثمان فإننا نلاحظ وجود مدرسة أخرى بحي الحفاويين شيدت قبل انتهاء ولايته.

خلاصة القول فإن المدارس الحفصية تعتبر مراكز علمية تم إنشاؤها قصد التزود بالمعارف والعلوم المختلفة، كما أنها تجمع الحياة الدينية بالدينية وذلك بإرفاق السلاطين والعلماء لمدارسهم بمساجد للصلاة ومأوى للطلبة، وبما أن ابن خلدون قد جرب وامتهن التعليم في حلقات الدروس والمدارس في تونس بعد ما عاد إليها سنة (780هـ/1380م) فيتحدث عن التعليم في القيروان بالمقارنة مع قرطبة قائلاً: "وذلك أن القيروان قرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس، واستجر عمرانها، وكان فيها للعلوم والصنائع أسواق نافقة، وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعلم لامتداد عصورهما، وما كان فيهما من الحضارة"⁽⁶⁾.

• المكتبات: شهدت الدولة الحفصية مكتبات عدّة أسهمت في تطور السياسة التعليمية وحفظ ثلّة من الكتب في خزائنها، إذ نفق على أغلب المصادر الفقهية والتاريخية التي تشير إلى وجودها ففي أغلب المدن التونسية، بفضل السلاطين والأمراء الذين اعتنوا بالكتب وحرصوا على اقتنائها ونسخها لحفظها من

(1) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 147.

(2) محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ج 1، ص 373.

(3) الزركشي: المصدر السابق، ص 142.

(4) الشيخ العالم الكبير والمفتي الشهير أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأخضرى التونسي ، أخذ عن الأخوين القلشانيين ألا وهما: قاسم العقباني والزعبي، توفي سنة (879هـ/1474م). محمد بن مخلوف: المرجع السابق ، ج 1، ص 374.

(5) أصله قيرواني، نشأ بها وترعرع ، لازم مجموعة من الشيوخ كالبرزلي وابن ناجي وعمر القلشاني وقاسم العقباني ، عين شيخاً على كبرى المدارس مثل: مدرسة القائد نبيل ، لتوافيه المنية سنة (898هـ/1498م). حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، مج 1، ص 810. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 165.

(6) فريد خلفاوي: ملامح التعليمية في مقدمة ابن خلدون ، مجلة القارئ للدارسات الأدبية والنقدية اللغوية ، مج 4 ، الوادي ديسمبر 2021، ع 3 ، ص 44.

الضياع. من بين هذه المصادر: "كتاب ابن أبي دينار المعروف بالمؤنس"، "كتاب ابن قنفذ القسنطيني المشهور بـ " الفارسيّة"، وكتاب ابن الشّماع المدّون بالأدلة البيّنة الثّورانية" وغيرهم كثير⁽¹⁾.

واكب تأسيس المدارس ظهور المكتبات في المدينة العاصمة، فحسب ابن أبي دينار أنشئ سوقاً خاص بالكتبيين على عهد الأمير المولى أبي زكرياء⁽²⁾ أمّا عن أشهر المكتبات التي احتوت كتباً متنوعة ومخطوطات عدّة مكتبة القصبه بالعاصمة تونس، جمعت لها بقايا مكتبات الدّولتين الأغلبية والصنهاجيّة كما أضف عليها كتب أخرى حتّى وصل تعدادها مايقارب ستة وثلاثين ألف مجلّد، وأصبحت مركز للريادة الحفصيّة كتاباً وطلاباً⁽³⁾ لكن بالرّغم من العبث الإسباني بها من خلال إلقاء الكتب والدواوين في الشّوارع إلّا أنا بقيت قائمة إلى فترة تاريخية ماضية⁽⁴⁾.

فقد تمّ تخصيص بعض المكتبات والخزائن خلال العهد الحفصي بالحواضر الإفريقيّة لجوامع أو مساجد أو مدارس إلى جانب الخزائن الخاصّة بالأمرء والعلماء. فعندما تأسست المدرسة المعرضية من قبل الأمير أبو زكرياء ابن السّلطان أبي إسحاق (678- 681هـ/1279-1283م) ألحقها بمكتبة تحتوي أمّهات الكتب في كل فن من فنون العلم، حيث يؤكّد ذلك ابن قنفذ القسنطيني في كتابه الفارسيّة قائلاً: "قلت وهذه المدرسة التي بنى الأمير أبو زكريا هي المدرسة التي تألّق في بنائها وأقام بها مسجداً وجلب لها الرّخام...، وكان ينظر في أكمل ما يقوم بمدرسيها وطلبتها وقومنها فحال دون ذلك ما وقع من الفتن، فلما ملك ولده أبو البقاء خالد كمل غرض أبيه في ذلك وزاده فرتب لها من الإنفاق ما هي به الآن هجرة مجتهدي الطلبة ومحلّ رحلة قاصدي العلم وحمل لها من الكتب ما يفوق الحصر عدداً وحسناً"⁽⁵⁾؛ يعني بذلك تزويد المكتبة كان على يد ابنه أبو البقاء خالد إضافة إلى ما تمّ إلحاقه من كتب على عهد والده مؤسسها.

أمّا أبرز المكتبات التي أرفقت بجوامع ومساجد نكر الزّركشي في كتابه "تاريخ الدّولتين" إقامة خزانة كتب ومكتبة تابعة لجامع الزّيتونة من قبل السّلطان أبو فارس عبد العزيز (796- 837هـ/1394-1434م) التي تعدّ من أهمّ مآثره العلمية. وفي هذا الصّدّد يقول الزّركشي: "وفي عام اثنين وعشرين أمر المولى السلطان بعمل بيت الكتب بمجنبة الهلال جوفي جامع الزيتونة تحت الصومعة وفرغ منها أواخر ربيع الآخر من العام المذكور، وهبط إليها جميع ما عنده من الكتب، وجعل لها خدمة، وأمر أن تحل

(1) عبد الرحمن حسين العزاوي : المغرب العربي في العصر الإسلامي ، ط1 ، دار الخليج للنشر والتوزيع ، عمان 2011 ، ص158.

(2) ابن أبي دينار: المصدر السابق ، 130.

(3) شوفي ضيف : تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات - ليبيا- تونس- صقلية ، دار المعارف للنشر، القاهرة 1992 ، ج9 ، ص174.

(4) عبد الرحمن العزاوي : المرجع السابق ، ص157.

(5) ابن قنفذ القسنطيني : المصدر السابق ، ص155-156.

كل يوم من آذان الظهر إلى صلاة العصر وحسب لها أحباسا لما تحتاج إليه⁽¹⁾. وهذا يعني أن الكتب أوقفها السلطان على الطلبة لينتفعوا منها بالنظر والقراءة، وكذا النسخ شريطة عدم إخراج أي كتاب، حتى لا تتعرض الكتب للضياع والفقدان، كما أرفقت المكتبة بـقيمين مهمتهما رعاية فقط ومناولة المطالعين والمراجعين، ويتم من الأوقاف منح أجورهم، أما الباقي منها فيوجه لاقتناء الكتب ولوازمها⁽²⁾.

أسست مكتبة أخرى تابعة لجامع الزيتونة على يد السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن (905هـ/1499م) بنيت لها مقصورة بطرف صحن جامع الزيتونة أطلق عليها تسمية المكتبة العبدلية، نقلت لها كتب أبي فارس، لكن للأسف مثلها مثل سابقتها تعرضت للعبث الإسباني الذين استولوا على تونس خلال القرن العاشر الهجري/الخامس عشر الميلادي، وما أنقذ منها من كتب أرسل مباشرة إلى مكتبة الفاتيكان بروما، ولا زالت تحويها في رفوفها إلى يومنا هذا⁽³⁾. يتضح من خلال تطرقنا للمكتبات الحفصية أنها مثلت اللبنة الأولى للحياة الفكرية والعلمية داخل الأراضي التونسية لما شملته واحتوته من موسوعات ومجلدات ومخطوطات متنوعة العلوم والحقول والدراسات التاريخية المعاصر تثبت ذلك سواء التي درست أكاديمياً أو التي تم مناقشة معلوماتها في مجالس علمية.

ز - قراءة للعلوم السائدة في المغرب الأدنى (تونس نموذجا):

• العلوم النقلية: عرفنا سابقاً العلوم النقلية، وفي هذه اللائحة سنقدم بدراسة للعلوم التي اشتهرت بها تونس الحضارة العلمية أهمها :

- علم القراءات: تمسك الحفصيون بالعلوم النقلية من أجل الفهم الصائب لحيثيات كتاب الله وأصوله، أما القراءات فتنوعت بين السبع والعشر، فبرزت على غرار ذلك مجموعة المؤلفات التي تناولت مواضيع عن القراءات نذكر منها:

- كتاب "التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني (ت444هـ/1052م): هو العلامة شيخ المشايخ أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الداني الأموي المشهور بابن الصيرفي، كان إماماً في علم قراءة القرآن، قارئاً على يد طائفة من القراء من بينهم أبي القاسم حلف بن إبراهيم المصري الخاقاني وعليه

(1) الزركشي: المصدر السابق ، ص125.

(2) محمد العروسي المطوي: المرجع السابق ، ص595.

(3) شوقي ضيف: المرجع السابق ، ج9 ، ص ص 174 - 175.

اعتمد قراءة ورش في كتاب التسيير وغيره من آثاره⁽¹⁾، يعرف كذلك مؤلفه بتسمية أخرى "كتاب التسيير لحفظ القراءات السبع أو "الحفظ مذاهب القراء السبعة"⁽²⁾، وهو من أهم الكتب التي درست ما بين القرنين (7- 9هـ/13- 15م) في مدينة تونس⁽³⁾.

- كتاب نظم الشاطبية: وهي حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع: باعتبار الشاطبي كان إمام حجة في علوم القرآن والحديث واللغة فلذلك أشتهر بكون أشهر علماء القراءات فالشاطبية تعدّ أبرز المتون العلمية في جمع القراءات تناقلها أهل الفكر والعلم، تناول فيها القراءات السبع في ألف ومائة وثلاث وسبعين بيتاً، واعتبرت اختصاراً لكتاب "التسيير" المذكور آنفاً للذاني⁽⁴⁾. أمّا من أبرز القراء نذكر:

- أحمد بن محمد حسن ابن الغماز (693هـ/1294م): تمّ الإشارة إليه سابقاً، لكن ما يجدر الإشارة إليه أنه قد سمع الحروف السبعة من التسيير من الشيخ ابن أبي الربيع وأبي الحسن بن سلمون صاحب ابن هذيل. كما أسمع هو كذلك مجموعة من تلاميذه أمثال أبو عبد الله محمد بن جابر الوادياشي الحروف بقراءته من كتاب "التسيير"⁽⁵⁾.

- أبو يعقوب الجذامي (692هـ/1295م): هو يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن عتاب أبو يعقوب الجذامي الشاطبي الصوفي، مقرر ولد سنة (613هـ/1214م)، وأخذ "رواية نافع" عن جده من والدته وكذا نهل عنه جماعة⁽⁶⁾. وغيرهم من القراء الذين أخذوا القراءات عن شيوخ برعوا في هذا المجال، فحسن بن عبد العزيز التجيبي (كان حياً سنة 635هـ/1236م) نهل عن ابن هذيل وأجازه⁽⁷⁾، كما قرأ القراءات السبع المقرئ

(1) عثمان بن سعيد الداني : التسيير في القراءات السبع ، تح : أوتو. يرتزل، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984 ص مقدمة الناشر (د - هـ).

(2) عثمان الداني : المصدر السابق ، ص مقدمة الناشر (ح) .

(3) القلصادي : المصدر السابق ، ص122.

(4) أحمد دحمانى: لامية الشاطبي حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع - دراسة وصفية تحليلية - ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، العام الخامس ، يناير 2018 ، ع37 ، صفحات 63- 64- 67.

(5) ابن الجزري : المصدر السابق ، ج1 ، ص102 . العبدري : المصدر السابق ، ص 491.

(6) ابن الجزري : المصدر السابق ، ج2 ، ص341.

(7) أبي عبد الله القضاءي البلسني المعروف بابن الأبار (ت 658هـ/1259م): التكملة لكتاب الصلة ، تح: عبد السلام الهراس ، دط ، دار الفكر، بيروت ، 1995 ، ج1 ، ص 215.

محمد عبد السلام الحباسي الكتبي (بضع وثلاثة وستمئة توفي) عن الشيخ عبد الله أبي القاسم المكمشي والشيخ عامر بن عامر التونسي، وأخذ عنهما جماعة من التلاميذ القراء⁽¹⁾.

- ورع الفقيه محمد بن عرفة الورغمي التونسي (803هـ/1400م): شيخ الإسلام في فن القراءات حيث سمع ذلك عن طائفة من الشيوخ كأبي عبد الله بن عبد السلام الهواري، وأبي عبد الله الوادي أشي، وابن سلمة وابن بزال وهم من العلماء المجيد بن للقراءات خلال العهد الحفصي⁽²⁾. برز في نهاية العهد الحفصي ثلثة من الأمراء أو القراء المجيدبن لهذا العلم أمثال: أبو العباس أحمد بن بكر الحفصي (ت796هـ/1393م) والمقرئ أبو القاسم الليدي (معاصر التجاني)، والقارئ محمد بن بدال (ت منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) وغيرهم كثر الذين درسوا لطلابهم قصيدة الشاطبية في القراءات وفسروا أبياته الجمال أصواتهم⁽³⁾.

- علم التفسير: سار المجتمع الحفصي على نهج أسلافهم فيما يخص التفسير، فظهر علماء مفسرين وكتب عدّة بها لهدف فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه نذكر منهم:

- عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد بن محمد المعروف بابن بزيمة التيمي القرشي أبو فارس (ت674هـ/1275م) : تونسي المولد سنده مالكي، تزلّع في الفروع المالكية بمشيحة القيروان، كما أنّه قرأ بالزيتونة، ليتخرّج على يد كبار العلماء⁽⁴⁾.

- عبد الله محمد بن خليفة المعروف بالأبي الوشثاني (ت827هـ/1423م): قارئ تونسي، قرأ على ابن عرفة وغيره، كما نهل عنه طائفة كيحي بن عبد الرحمن العجيسي وأحمد بن يونس الذين تتلمذوا على يده بالنسبة لشرح مسلم. المعروف "إكمال إكمال المعلم لفوائد صحيح مسلم"⁽⁵⁾. تولى الفتوى بالحاضرة أيام الأمير أبي فارس عزوز، كما أخذ منه الشيخ عمر الفلشاني وابن ناجي وعبد الرحمن الثعالبي⁽⁶⁾.

(1) لا يعرف بشيخ الإقراء بتونس، تلا بالسبع عن الشيوخ المذكورين آنفا، ولد سنة (550هـ/1160م)، لقيه ابن الجزري بإفريقية، أما عن وفاته فيقول بضع وستمئة. ابن الجزري : المصدر السابق ، ج2 ، ص ص151-152.

(2) العسقلاني: أنباء الغمر، ج2 ، ص 192. شوقي ضيف : المرجع السابق ، ج9 ، ص190. أبي عبد الله الأندلسي: المصدر السابق ، ج2 ، ص331.

(3) شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص ص189-190.

(4) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق ، مج1 ، ص394. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص ص95-96.

(5) الزركشي : المصدر السابق ، ص123. الشوكاني: المرجع السابق، ج2، ص169. السخاوي: الضوء اللامع ، ج11 ص 182

(6) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، مج1 ، ص 330.

هذان نموذجان عن مفسرين تونسيين أثناء العهد الحفصي، كما نضف إلى هذين المفسرين القاضي العالم محمد بن عبد الثور الحميري (كان حيا سنة 726هـ/1326م)⁽¹⁾، وكذا محمد بن قاسم الأنصاري الرصاع (894هـ/1489م)⁽²⁾. فأغلبهم سليل مدارس مشرقية أو أندلسية وهذا يدل على النزعة العلمية القويّة لدى علماء العصر، ولولاهم لما وصلتنا العديد من التآليف الفقهيّة أو الخاصة بميدان التفسير حيث لم تبقى حبيسة المغرب الأدنى وإنما انتشرت لتعمّ المغرب الإسلامي عامّة.

- علم الحديث النبوي الشريف: انتهج الحفصيون منهج أسلافهم المؤحدون من خلال تشييد مؤسسات دينيّة والاهتمام بالأمر الدينية علماً وبحثاً وتقصيّاً فالعلم الحديث اتخذ قسطاً كبيراً باعتباره يؤكّد مدى صحة وقبول الحديث الذي سيعتمده العامّة في تسيير شؤون حياتهم تبعاً للسيرة النبويّة وأتباعها. فمن أبرز العلماء المحدثين والكتب التي تمّ شرحها وتفسيرها في الميدان نذكر:

• أبرز العلماء المحدثين الحفاظ في العهد الحفصي: أي كلّ راوي حافظ للحديث، لديه براعة في معرفة الرجال وأسمائهم ومبلغ أعمارهم وتاريخ وفاتهم ، وأكثر سماعاً وتقييداً للأحاديث نذكر منهم :

- محمد أحمد المشهور بابن الجلاب الفهري (ت 664هـ/1265م): إشبيلي الأصل، تونسي المنشأ راوي وأديب روى عن طائفة رواة مهم ابن البار⁽³⁾. ويقول الأنصاري المراكشي في كتابه "الذيل والتكملة" مايلي: " وكانت له عناية تامّة برواية الحديث ومعرفة رجاله، ومعرفة بالتاريخ وحظّ صالح من الأدب وقرض الشعر وإنشاء النثر، ومشاركة في النحو"⁽⁴⁾. ترك لنا آثار منها: إشعار الأنام بأشعار المنام الفوائد المتخيرة وغيرها من المصنفات⁽⁵⁾.

- أحمد سليمان بن محمد العدناني البرشكي (ت 780هـ/1380م): يعتبر من كبار الفقهاء المحدثين الذين رووا عن الشيخ الوادي آشي، واشتغلوا برواية الحديث من أهل تونس، فقد روى عن عبد الله بن مسعود له تصنيف مألوف يعرف: " حواشي على رياض الصالحين" للثوّوي وغيرها من التّوَاليف⁽⁶⁾.

(1) نهل العلم عن القاضي الإمام أبي القاسم بن زيتون والخطيب أبي محمد بن برطلة الأزدي ، له عدة تصانيف منها: مختصر تفسير الإمام فخر الدين الخطيب في سبعة أسفار ، أطلق عليه تسمية "نفحات الطيب في اختصار تفسير ابن الخطيب". ابن فرحون : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 330 - 331.

(2) أبي عبد الله الأنصاري الرصاع (ت 894هـ/1489م) : شرح حدود ابنعرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية ، تح: محمد أبو الأجنان ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993 ج 1 ، ص ص 14-17.

(3) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 46.

(4) أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري المراكشي(634 - 703هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تح: إحسان عباس - محمد بن شريفة - بشار عواد ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2012 ، مج 4 ، ص ص 56-57.

(5) نفس المصدر، مج 4 ، ص 58. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 46.

(6) العسقلاني : إنباء العمر ، ج 1 ، ص 181. حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 324.

- أبو القاسم بن أحمد إسماعيل البرزلي: (اختلفت الدراسات حول تاريخ وفاته 841هـ أو 842هـ أو 844هـ/1437، أو 1438م أو 1440م) فالزركشي أشار إلى سنة (841هـ/1437م) قائلاً: " وفي يوم خامس عشرين لذي القعدة من العام المذكور توفي بتونس الشيخ الفقيه الحاج أبو القاسم البرزلي ودُفن بجبل الجلاز"⁽¹⁾. على غرار السخاوي في كتابه "الضوء اللامع" فيشير إلى تاريخ سنة (844هـ/1440م) قائلاً: "وفاته بتونس في سنة أربع وأربعين"⁽²⁾. أمّا التنبكتي فيقول في كتابه "نيل الابتهاج" المقولة التالية: "توفي بتونس سنة أربع وأربعين على ما قيل، أو سنة ثلاث عن مائة وثلاث سنين.. قلت: ورأيت في بعض التقاليد أن وفاته سنة اثنين وأربعين"⁽³⁾.

فقيه حافظ ورع، إمام المذهب مشهور في الفقه والنوازل نهل عن جماعة منهم: الفقيه الراوية الصالح أبي الحسن البطروني الذي قرأ على يده القراءات السبعة، وأخذ عن الفقيه أبي العباس المومنانى الصحيحين والشفاء، بالإضافة إلى الفقيه الراوية برهان الدين الشامي الذي أخذ عنه بعضاً من البخاري والترمذي والشفاء والشاطبية... وغيرهم كثر⁽⁴⁾. وهذه القراءات دليل على تكوينه وبراعته في علم الحديث والفقه. فلذلك نafs معاصريه ترك مصنّفات عدّة متنوّعة الحقول الدّينية منها آثار والمعروف بـ "جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين والحكام الذي يطلق عليه كذلك" توازل البرزلي في الفقه والفتاوى"⁽⁵⁾.

شغل علم الحديث غير هؤلاء العلماء والمحدثين كثر أمثال: الوادياشي محمد بن جابر (ت749هـ/1349م)⁽⁶⁾، ومحمد بن عبد السلام الهواري (ت749هـ/1349م)⁽⁷⁾. وعبد العزيز ابن بزيّة (ت674هـ/1275م)⁽⁸⁾ وغيرهم خاصّةً بالقيروان وتونس.

- علم الفقه: واكب تطوره رجعة المذهب المالكي إلى بلاد المغرب حتّى أصبح للفقه مكانة مرموقة اكتسبها بفضل العناية السلطوية خلال العهد الحفصي وبما أنه علم يهتم بدراسة مختلف القضايا والمسائل

(1) الزركشي: المصدر السابق، ص 139.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج 11، ص 133.

(3) التنبكتي: المصدر السابق، ص 370.

(4) نفس المصدر، ص 369. الزركشي: المصدر السابق، ص 139. حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، مج 1 ص 784. ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص 150.

(5) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، مج 1، ص 785.

(6) محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ج 1، ص 639. محمد محفوظ: المرجع السابق، ج 5، ص 113. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 2، ص 209.

(7) ابن فرحون: المصدر السابق، ج 2، ص ص 329-330.

(8) محمد محفوظ: المرجع السابق، ج 1، ص ص 95-96.

المجتمعية سواء فرائض دينية أو معاملات أو مجالات حياتية اجتماعية واقتصادية بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذا الإجماع والقياس⁽¹⁾. ومن أبرز فقهاء تونس الحفصية نذكر:

- عبد السلام بن عيسى القرشي البرجيني (ت630هـ/1230م): فقيه بارع نهل عن تلميذ المازري أبي يحيى زكرياء بن الحداد المهدي، تولى الإفتاء بتونس، أما ممن أخذ عنه الشيخ ابن بزيمة المذكور سابقاً له عدة فتاوى⁽²⁾.

- محمّض بن عبد السلام المعروف بابن الطير (ت بعد675هـ/1275): شيخ فقيه تونسي، عرف برحلته نحو المشرق للحج ولقاء العلماء ليعود إلى تونس بورع وتميز في علم الفقه وأصوله، ممّا سمح له بتدريس الفقه وأصوله على طريقته الأقدمين، ترك لنا مصنفًا فقهيًا اختصر فيه مؤلف "المستصفي" للغزالي⁽³⁾.

- عمر بن علي الهواري التونسي المعروف بابن قداح الهواري (ت734هـ/1334م): إمام المذهب المالكي، عرف بشهور الذكر، تولى التدريس بالمدرسة الشماعية وجامع الزيتونة، كما ولي قضاء الجماعة بعد القاضي أبي إسحاق بن عبد الرّبيع⁽⁴⁾.

- أحمد محمّد الفتاني المكنى أبا العبّاس المعروف بالشّماع (ت833هـ/1430م): شاعر وفقه تتلمذ على يد الإمام الشهير ابن عرفة (ت803هـ/1400م) شيخ الشيوخ الذي بفضلته تطوّر الفقه، اتّصل به السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي، وعيّنّه قاضي وخطيب لجامع القصبّة⁽⁵⁾.

- محمّد بن عقاب (ت851هـ/1449م): هو محمّد بن إبراهيم بن عقاب الجذامي التّونسي، إمام وخطيب في الجامع الأعظم، قال عنه القلصادي في رحلته كونه: "إمام في الفقه وأصوله، وعلم الكلام وفصوله متوصل بالجدّ، والجد إلى تحصيله وحصوله، فهو علم من أعلام المعارف، معلم لأعلام (الخلل الدينية) والمطارف". وليس ذلك فقط وإنّما اعتلى مركز قاضي الجماعة، أي قاضي القضاة آنذاك في المشرق الإسلامي⁽⁶⁾.

وفي الختام نشير إلى أنّ الفقهاء كان لهم باع كبير في نشر العلوم القرآنية، ووجدوا عناية واهتماماً بالغين من قبل الأمراء الحفصيين وليس بالضرورة الفقهاء التونسيين وإنّما تمّ الترحيب حتّى بالفقهاء المشاركة والأندلسيين نزلت تونس، وشاركوا بإسهاماتهم في هذا الميدان مشاركين ومنافسين للعلماء

(1) أحمد بن عامر: المرجع السابق، ص103.

(2) محمّد محفوظ: المرجع السابق، ج1، ص86.

(3) أشرنا إليه سابقاً. الغبريني: المصدر السابق، ص102. حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، مج1، ص398. محمّد محفوظ: المرجع السابق، ج3، ص ص289-290.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص82. حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، مج1، ص735.

(5) ابن الشّماع: المصدر السابق، ص16. حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، مج3، ص208.

(6) القلصادي: المصدر السابق، ص118.

التونسيين في التدريس مظهرين كفاءة علمية في حواضر تونس أمثال: عمر بن محمد علوان (ت 710هـ/1311م)⁽¹⁾ والفقير القاضي إبراهيم بن حسين بن علي بن عبد الرّبيع (ت 733هـ/1333م)⁽²⁾. بالإضافة إلى شيخ الشيخ المذهب المالكي الذي تمّ الإشارة إليه سابقاً أبو عبد الله محمد ابن عرفة (ت 803هـ/1399م) وعمر بن محمد عبد الله القلشاني (ت 847هـ/1446م)⁽³⁾... وغيرهم كثير.

• العلوم الأدبية وأقسامها: عرفت الحركة الأدبية والنشاط الثقافي خلال العهد الحفصي عهداً فكرياً ذهبياً إذ أنتجت لنا هذه الحقبة التاريخية أدب وأعلام منطّورين وبارعين تجاوزت شهرتهم العلمية والأدبية نطاق المغرب الإسلامي - إفريقية بالخصوص - ، لتشمل المغرّبين الأوسط والأقصى من جهة والمشرق والأندلس من جهة أخرى رغم العراقيل السياسة والغزوات الخارجية المسيحية. إذ يقول محقق كتاب فهرست الرّصاع متحدثاً عن الحياة الحضارية والعلمية بتونس في عهد الرّصاع قائلاً: " والحقبة التي ظهر بها المؤلف كانت من أيمن الحقب بهذا القطر الكريم، فقد كانت حقبة مشرقة ازدهرت فيها الثقافة العامّة بما توفرت لها من أسباب النشاط البالغ المتمثل في عناية الملوك والوزراء بالعلماء والأدباء والمفكرين والعطف عليهم وإجلالهم بالمكان الأرفع وإسناد مهام الخطط العلمية والسياسية إليهم والوقوف عند آرائهم الموفقة التي يشيرون بها عليهم"⁽⁴⁾.

- النّحو والأدب: برز خلال العهد الحفصي نحويين ألفوا مؤلفات في الميدان نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- أبو الحسن حازم القرطاجي (ت 684هـ/1285م): أنصاري أوسي قرطاجني، اسمه الكامل حازم بن محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن حازم، أديب كاتب وشاعر، له مشاركات عدّة في العلوم العقلية انتقل بين بجاية وتونس بعلمه مُحسناً خياطة الأشعار فلذلك حازَ على مكانة مرموقة في بلاط الأمير المستنصر. كما له تصانيف عدة نذكر منها : كتاب "مناهج البلغاء وسراج الأدباء" نشر من قبل دار الغرب الإسلامي سنة 1982 تحت تحقيق ابن الخوجة . وكذا ردُّ على ابن عصفور مفقود لكنّه وصل

(1) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، مج 1 ، ص ص 720-721.

(2) نفس المرجع ، مج 1 ، ص ص 730-732.

(3) نفسه ، مج 1 ، ص 412.

(4) أبي عبد الله الأنصاري (ت 894هـ/1489م) : فهرست الرّصاع ، تج: محمد العنابي ، ط 1 ، المكتبة العتيقة للنشر، تونس 1967 ، مقدمة المحقق (ذ - ص).

بتسمية " شدُّ الزَّيَارِ عَلَى جِحْفَلَةِ الْحَمَارِ"، وقصيدة تحت عنوان "المقصورة" في مناقب المستنصر الحفصي... وغيرها من القصائد أبرزها قصيدة فتي وهي في النحو على حرف الميم، تشمل 217 بيتاً مدح فيها المستنصر وإكرامه للأندلسية⁽¹⁾.

- أبو الحسن علي بن مؤمن الحضري المعروف بابن عصفور (ت 669هـ/1270م): أشرنا سابقاً أنه جمع بين الفقه والنحو والتاريخ، لكن ما يهمننا في هذه المرحلة المؤلفات النحوية التي دونها نذكر منها: كتاب "المقرب" الذي تناوله النحاة باختصار والتذهيب والشرح والتعليق، حيث يقول عنه الغبريني⁽²⁾ "وهو كتاب بارع والشروحات عليه وعلى الجمل"، وكذا كتاب "شرح أبيات الإيضاح"، يُضيف عنه الغبريني قائلاً: "ولم يسبقه أحدٌ بمثله"⁽³⁾ وغيرها من المساهمات الأدبية النحوية.

فبذلك يمكننا القول أن التونسيين خاصة والمغاربة عامة رحلوا وارتحلوا واعتمدوا في تدريس النحو واللغة على مؤلفات ألفت في صدر الدولة الحفصية وطيلة الفترة، فإلى جانب "المقرب" لابن عصفور درست تأليف آخر وهو "تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح" وكتاب "الإعلام بحدود قواعد الكلام عن الاسم والفعل والحرف" لأبي جعفر أحمد الليلي (ت 691هـ/1292م)⁽⁴⁾. وغيرها من التأليف التي ألفتها محمّد الرصاع، ومحمّد الرّملي، ومحمّد الطّبلي، ومحمّد بن راشد القفصي، وكذا أحمد اللؤلؤي القيرواني⁽⁵⁾.

- الشّعر: أدب وفن كلام العرب والمسلمين، فقد ذهب العديد من العلماء للإنتاج الأدبي وفنونه خاصة الشّعر، ليساهموا في إثراء المكتبات وتنشيط حركة التأليف في مختلف حواضر الدولة الحفصية باعتبار الشّعر كان أنقى وأقرب للفصاحة عن النثر فقد كان السلاطين والولاة يتباهون بمكتسباتهم وإنجازاتهم بأبيات شعرية، ومن الأمراء الذين برعوا في ميدان الشّعر الأمير أبو زكرياء الحفصي الذي ألف ديوان شعرياً، ليتولى تحكيم شعر أغلب شعراء زمانه كالشاعر أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي المعروف بابن عريبة المهدي، أحد مخول الشعراء الذين ذاع صيتهم آنذاك (ت 659هـ/1260م) الذي دون في شخص الأمير مدحاً طالب في طيات الشّعر ولاية قضاء بلاده قائلاً:

(1) محمد محفوظ: المرجع السابق، ج4، ص ص 62-65. أحمد المقري: أزهار الرياض، ج3، ص172. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج7، ص676.

(2) الغبريني: المصدر السابق، ص150. محمد محفوظ: المرجع السابق، ج3، ص394.

(3) الغبريني: المصدر السابق، ص150. محمد محفوظ: المرجع السابق، ج3، ص ص 393-394.

(4) ذاعت شهرة كتاب "تحفة المجد"، فتلقفه اللغويون في الشرق والغرب بالشرح. أبي جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبي (ت 691هـ/1291م): تحفة المجد الصريح في كتاب شرح الفصيح، تح: عبد الملك التبتي، مكة المكرمة، 1997 السفر الأول، ص91.

(5) أحمد الطويلي: الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي، تصدير: الشاذلي بويحي، ط1، مطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، منشورات لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، 1996، ص517.

ذكرت جمّة والذكري تهيجني وأين جمّة منى والمنستير

وما مناي ليايها التي سلفت ولا مناي مجانيها المعاطير⁽¹⁾.

ورع الأمير المستنصر في فن الإجازة على غرار أبي زكرياء وقيل أنّه نظم مدرسته وطالب الشعراء بإضافة العجز لكن لم يأبه الشعراء فأضفوا حده العجز في مدحه لسان جميل من بني النعمان قال فيه: كلمته فكلمت صفحة جده فتفتحت فيه شقائق جده⁽²⁾.

ومن هنا يمكننا القول أنّ العهد الحفصي شهد منارات وكواكب جمّة مميزة من الشعراء التونسيين أو الوافدين على البلاد برغبتهم أو عن طريق عقد جلسات أدبية، أو توّغلم لبيوت الأمرء والأعيان. مشاركة في ميدان الشعر بمختلف أغراضه سواء (مدحاً نبويّاً أو إخوانيّاً أو فخرّاً، رثاء، هجاء، غزل وصف خمريات، مواظ دينيّة و أخلاقيّة، نجدة الأندلس، الفتیان الأسلوبية)⁽³⁾.

أبرز شعراء الدولة الحفصية: نذكر على سبيل الذكر لا الحصر:

- يوسف بن علي عبد الملك البكري المعروف بابن السّماط (ت690هـ/1290م): شاعر المدح النبوي، ومما قاله في النبي صلى الله عليه وسلم:

لعلّ نسّمات الضّحي والأصائل تؤدّي إلى مغنى الحبيب رسائلي

وتهدي إذا مرّت سحيراً بربعه سلامي إلى بدر بطيبة آفل⁽⁴⁾.

- أبو إبراهيم إسحاق بن حسينه التونسي (ت707هـ/1307م): شاعر الرثاء والهجاء من الأدباء الذي عاصروا الأمير أبو يحيى زكرياء، ففي سنة (706هـ/1306م) توجه لفتح جزيرة جربة فأذن له بالرجوع سنة (707هـ/1307م) ومن شعره الذي كتبه يعتذر للأمير ويودّعه:

سحا نفسي عن إيثار صحبتكم يوم الوداع ومالي منكم خلف

إلا فؤاداً كطير حلّ في قفص ودمعه مثل منهل الحيا لكف⁽⁵⁾.

اشتهرت بعض الأسر خلال العهد الحفصي بشعر نسائهنّ اللواتي كتبن أبيات شعريّة متنوعة الحقول مثل: بيت النّجاني اشتهرت منهنّ الشّاعرة زينب بنت إسحاق إبراهيم المعروفة بأبياتها التي تغازل

(1) محمد النيفر: عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من علم أديب ، تح: وإس: على النيفر، ط1، دار الغرب الإسلامي ، 1996 ، ج 1 ، ص 270.

(2) أحمد المقري : نوح الطيب ، مج 2 ، ص 323.

(3) أحمد بن عامر: المرجع السابق ، ص 67. أحمد الطويلي : المرجع السابق ، صفحات 364-379-453.

(4) محمد النيفر: المرجع السابق ، ص 274.

(5) نفس المرجع ، ص 308.

من خلالها حبيبها تميم، وكذا عائشة بنت عمران بن الحاج سليمان المعروفة بالسيدة المنوبية دون أن ننسى الأدبية والشاعرة خديجة المعافري الشهيرة باسم خدوج الرصفية⁽¹⁾.

- **البلاغة**: لم يتم الاعتراف بهذا الفن من قبل أدباء العهد الحفصي، إلا علم البديع لإضفاء رونقاً على اللفظ كالمحسنات البديعية مثل: الجناس والسجع، ومن التأليف التي ألفت في هذا المجال نذكر: "درّة التّالي في عيون الأخبار ومستحسن الأشعار" للأديب والشاعر القفصي أحمد بن يوسف بن حمدون التيفاشي (ت 655هـ/1256م)⁽²⁾. وكذا مؤلف "مواهب البديع في علم البديع" للحميري ابن مخلوف (ت 899هـ/1494م)⁽³⁾، بالإضافة إلى مؤلف "الدّر النّظيم ونفحات النسرین في مخاطبة بن شبرين العبد الله بن أحمد التّجاني (ت 675هـ/1276م)⁽⁴⁾

- **النثر**: أمّا النثر فعني به الأدباء والكتاب لترتيب المعاني وتنسيق الأفكار والعبارات وإضفاء جماليات حتى تثير حفيظة القراء، فلذلك أولى الأدباء التونسيين العناية الشديدة به من أجل إبلاغه بصورة واضحة ومشوقة، كما أضفى عليه المحسنات البديعية بكثرة مؤكبة لفنونه (رسائل، خطب، السيرة الذاتية والفهارس الأمثال والحكم، المختصرات والشروح، السيرة الذاتية والفهارس، أدب الرحلة، كتب متنوعة الحقول)⁽⁵⁾. ومن أدباء المدرسة النثرية وديوان الإنشاء الحفصي:

- أبي عبد الله محمد ابن شباط (ت 684هـ/1282م): واضع شروط الكلام البليغ، والتركيز على القصد إلى المعنى من مؤلفاته "تحفة المسائل لمنتخب الرسائل"⁽⁶⁾.

- عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/1406م): وليد مدرسة تونس في فن الترسيل⁽⁷⁾؛ حيث يقول في كتابه "المقدمة" عن اهتمام الملوك بهذا الفن: "ذلك ما تدعوا إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر إليه في الترسيل"⁽⁸⁾.

- **العلوم الجغرافية والرحلات**: تمتع الحفصيون بتنوع العلوم، وعلم الجغرافية من بين العلوم التي حظيت بعناية ومكانة خلال هذه الفترة، لأن ذلك يعود لعدة عوامل أبرزها، ارتباط الجغرافيا بعلم الفلك وهذا الأخير اهتم به المسلمون لضبط مواقيت الصلاة والصيام ومواعيد الحج بالإضافة إلى انتشار الرحلات

(1) أحمد بن عامر: المرجع السابق، صفحات 88-89-90.

(2) محمد محفوظ: المرجع السابق، ج 1، ص 207.

(3) نفس المرجع، ج 1، ص 229.

(4) نفسه، ج 1، ص 158.

(5) أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص 521.

(6) محمد محفوظ: المرجع السابق، ج 3، ص 142.

(7) الترسيل: "فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر". حسين

غالب: بيان العرب الجديد، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971، ص 181.

(8) ابن خلدون: المقدمة، ج 1، ص 430.

نحو بلاد الحجاز للحجّ أو نحو أسواق خارجية في ظلّ التبادل التجاري وهذه السمة سادت مختلف الدويلات الإسلامية منذ العصور السابقة خاصّة في الفترات التي يستتب فيها الاستقرار والأمن والمؤرّخ الفذّ بشير رمضان التليسي في كتابه "الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي" يصنّف العوامل التي تعود إلى أمرين: أولهما حياة الترحال من أجل البحث عن الكلاً والماء، وثانيهما هو اشتغالهم بالتجارة⁽¹⁾.

أمّا العوامل التي أدّت بالمغاربة الاهتمام بعلم الجغرافيا فرتبها على هذا النحو: اتّساع رقعة العالم الإسلامي، وكذا حاجة الدّثول لمعرفة الطّرق التي تربط النطاق المغربي بالغرب وأقصى الشرق. وارتباط الجغرافيا بعلم الفلك. بالإضافة إلى إطلاع المغاربة بمصنّفات في التخصّص، وكذا انتشار ظاهرة التّرحال لطلب العلم والتجارة أو الحج⁽²⁾. أمّا عن مؤلفات الرحلات خلال العهد الحفصي فقد تطورت وانتشرت لارتباطها بالتدوين التاريخي، أمّا عن الأسباب التي ساهمت في تطورها فهي شبيهة بالعوامل المذكورة آنفاً فيما يخصّ العلوم الجغرافية. وإن قلنا بالدرجة الأولى طلب العلم فالرحلة نحو الأراضي المقدّسة للحجّ ونهل العلوم⁽³⁾. وأبرز من ألف في هذين المجالين نذكر:

- الرحلات : عاصر دولة بني حفص ثلّة من الرّحالة نذكر:

- عبد الله بن محمّد التّجاني (كان حياً 717هـ/1318م): كان من جملة كتاب الإنشاء على عهد السلطان محمد المعروف بأبي عسيده ثمّ اعتلى الكتابة على عهد الأمير أبي يحيى زكريا ابن اللّحائي صاحبه في الرّحلة المغربية، ليعود بعد ذلك إلى تونس فاعتلى خطته بديوان الإنشاء توفي سنة (709هـ/1309م) صاحب رحلته. ومع تولي أبي يحيى زكرياء ابن اللّحائي السّلطة إلى غاية تخليه عن ذلك سنة (717هـ/1317م) لم نسمع عن التّجاني. لكن وصلتنا العديد من مؤلفاته منها: "أحكام مغيب الحشّفة"، "تحفة العرّوس ونزهة النفوس"، "تقييد صحيح البخاري"، "تقييد على صحيح مسلم" "الدّر النظيم" رحلته الشهيرة التي عرضها بأسلوب أدبي تاريخي المعروفة ب "رحلة التّجاني"⁽⁴⁾.

أبو عبد الله محمّد بن علي بن أحمد بن سعود العبدي (ت نحو سنة 725هـ/1325م): هو محمّد بن علي بن أحمد بن مسعود، أبو عبد الله الحاحي المشهور بالعبدي، استوطن تونس، وسمع أثناء رحلته

(1) بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي - خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي - ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003، ص476.

(2) نفس المرجع، ص477.

(3) عبد الرحمن العزاوي: المرجع السابق، ص163.

(4) محمد محفوظ: المرجع السابق، ج1، ص ص 155-157.

من نفر من العلماء أمثال: عبد الله بن هارون الطائي؛ عرف بالشعراء والآداب والنقد⁽¹⁾. وهي من الرحلات التي استناد منها المؤرخين والجغرافيين في دراستهم للظواهر المدروسة، وليس ذلك فقط وإنما حتى الأدباء من خلال استنباط نصوص أدبية احتوتها رحلته.

- الجغرافيا: برز خلال العهد الحفصي نفر من الجغرافيين نذكر من بينهم:

- محمد بن يوسف المعروف بالوراق: قيرواني جغرافي مؤرخ، ألف عدة مؤلفات ضخمة مثل : كتاب ممالك إفريقية ومسالكها الذي نقل منه عدة مؤرخين وجغرافيين أمثال : ابن الجزار في كتابه "عجائب البلدان" وابن عذاري في كتابه "البيان المغرب" وغيرهما⁽²⁾.

- الرحالة الجغرافي نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد الغرطاني(ت685هـ/1286م): من مؤرخي العهد الحفصي له رحلتان وهما رحلته توجّه بها إلى المشرق (مصر - الحجاز - دمشق - بغداد - حلب) وأطلق عليهما "المشرق في حلى المشرق" و " المغرب في حلب المغرب"⁽³⁾.

- الفلسفة : علم الفلسفة مثل علم البلاغة لم يؤلّ بهما اهتمام من قبل أهالي المغرب الإسلامي فإنّ عدنا إلى المؤسسات التعليمية التي تمّ التطرق إليها فلم نجد دروس كانت تدرس بها تخصّص هذا المجال فطيلة العهد الحفصي لم يذكر المؤرخين ولا المحدثين كتب فلسفية أو فلاسفة بارعين محكمين لأنّ السنة كانوا يرون في بعض المواضيع مواضيع مشبوهة⁽⁴⁾.

• العلوم العقلية:

- الرياضيات والحساب: يعتبر الرياضيات والحساب من العلوم التي تعود إلى أقدم العصور التّشي عرفتها الإنسانية جمعاء، والعرب منذ عصر صدر الإسلام لاقتزان الحساب والهندسة ببعض التخصصات التي ارتبطت بأركان الإمبراطوريات القديمة، والأمم والدول الإسلامية كالخراج والجبابة والعمران. ومن فروع التي شهدت انتشار واسعاً الحساب إلى جانب الهندسة والحبر⁽⁵⁾.

فالحساب من منظور ابن خلدون يعني: " ومن فروع علم العدد صناعة الحساب، وهي صناعة في حساب الأعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الأعداد وهو الجمع، وبالضمّضعف (بأن) تضاعف عدداً بآحاد عدد آخر وهو هذا الضرب والتفريق أيضاً يكون في الأعداد إمّا بالإفراد مثل إزالة عدد

(1) التجاني : المصدر السابق ، مقدمة المحقق (لط - مه). رويار برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 417 - 466.

(2) بشير التليسي : المرجع السابق ، ص 478. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 126.

(3) ابن الشماخ : المصدر السابق ، ص ص 12-13.

(4) رويار برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ، ص 383.

(5) أحمد عبد الرزاق أحمد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى "العلوم العقلية" ، ط1 ، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة ، 1991 ، ص49.

ومعرفة الباقي وهو الطَّرح"....⁽¹⁾ ويضف معرَفاً بعلم الهندسة قائلاً : "هذا العلم هو النَّظَر في المقادير إمَّا المتَّصلة كالخِطِّ والسَّنَطح والجسم، وإمَّا المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية"⁽²⁾.

لكنَّنا إنَّ نتبعنا قبل العهد الحفصي فإننا نلاحظ من خلال المصادر التي بين أيدينا أن هذا العلم شهد تراجعاً إذا ما قورن بالوضع الذي كان سائداً في الأندلس والمغربين الأوسط والأقصى، لكن عندما بدأت هجرة رياضي الأندلس ما بين القرنين السَّابع والتَّاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين نحو إفريقيا، فإنَّ هذه العلوم نشطت وأحسن برهان على ذلك المؤلَّفات التي سادت المنطقة وتعود إلى علماء رياضيين أندلسيين. نذكر على سبيل المثال: العالم الرياضي الأندلسي الذي هاجر إلى المغرب الأندني واستقر به المقام في تونس أبو الحسن القلصادي (ت 891هـ/1486م)⁽³⁾ وقبله عبد الله القرطبي (ت 640هـ/1242م) الذي قيل عنه أنه آية في الحساب⁽⁴⁾.

أمَّا أهمُّ العلماء الذين تأثروا بهم وورعوا في هذا المجال خلال العهد الحفصي من التونسيين نذكر :

- محمَّد بن أحمد بن عثمان الوانوعي التونسي (ت 819هـ/1416م) : أبو عبد الله التوزري، نزيل الحرمين الشريفين ، علم بالحساب والجبر من أهم مصنفاته: أجوبة على مسائل النجم بن فهد⁽⁵⁾.
- الطَّب والصَّيدلة: كما أشرنا سابقاً إلى مكانة الطَّب لدى المجتمعات الإسلامية المشرقية والمغربية بهدف محاربة الأوبئة والأمراض فإنَّ المجتمع الحفصي قد لجأ إلى صناعة الطَّب بعد فترة طويلة من التَّداوي بالأعشاب والتَّبوي، لكن لم يرق إلى درجة التي اكتسبها عند المشاركة ، وذلك لانتشار الفكر الصوفي الذي يمجِّد العلاج الشرعي⁽⁶⁾.

إلاَّ أنَّ التأثير الخارجي الأندلسي غير موازين ذلك من خلال تكوين ثلَّة من الأطباء والصَّيادلة على يد نفر من الأطباء الأندلسيين المهاجرين إلى تونس أمثال:

- أبو محمَّد عبد الله بن أحمد ضياء الدِّين الأندلسي المالقي العشاب المعروف بابن البيطار (ت 646هـ/1248م): عالم أعشاب وإمام النباتين ولد في الربع الأخير من القرن السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر

(1) ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص 254.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 257.

(3) القلصادي: المصدر السابق، ص 34.

(4) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج2، ص 87. أحمد المقرئ: نفع الطيب، مج2، ص 210.

(5) محمَّد محفوظ: المرجع السابق، ج5، ص ص 118-119.

(6) حارث علي عبد الله: هجرة سكان الأندلس إلى بلاد المغرب وتأثيرهم في الجوانب السياسية والفكرية والمعمارية خلال (القرن 7 - 9هـ/13 - 15م)، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، بابل، 2019، مج27، ع5، ص 07.

الميلادي ، فلما وصل سنة العشرين جاب وصال العديد من أقطار المغرب الإسلامي منها مراكش الجزائر، تونس. ومن ثمرة أعماله العلميّة كتابه المعروف "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"، وهو عبارة عن مجموعة من العلاجات البسيطة المستمدة من الحيوانات والنباتات والمعادن⁽¹⁾.

- أبو عبد الله بن يوسف بن رضوان النّجاري البخاري المالقي(عاش خلال القرن الثّامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): أشار إليه مجموعة من المؤلّفين في كتاباتهم فيقول التنبكتي عن أبو زكرياء السراج في فهرسته أنّه جمع عدّة تخصّصات منها الفقه ، الأدب ، الطب، استقر به المقام في بلاد المغرب الأدنى، لينضمّ إلى سلك الطب في عهد السّلطان أبو العبّاس الحفصي⁽²⁾.

- أما عن الأطباء والصّيادلة التونسيين الذين تتلمذوا على يد هؤلاء الأندلسيين نذكر منهم على سبيل المثال:

- أحمد بن محمّد ابن الحشا، أبو جعفر (كان حياً حوالي 650هـ/1252م): طبيب تونسي، عرف بالحشا نسبة إلى صناعة حشو الثّياب، المعروف عنه تأليفه لمعجم خاص بالطب بإزاء من الأمير أبي زكرياء يحي بن أبي حفص . ومن آثاره: كتاب " مفيد العلوم ويبد الهموم"، فسّر من خلاله ألفاظ لغويّة متعلّقة بمجال الطب⁽³⁾.

- أحمد العبّاس الخميري(ت بعد 827هـ/1423م): من أهل الشّمال الغربي لتونس، باعتبار خمير إحدى قبائل المستوطن هناك، تخرج من ميدان الطب وبرع فيه ، تتلمذ على يد الحكيم الشّهير أبي العبّاس الصّقلي، ممّا تركه كتابه "تحفة القادم" الذي لم يجعله كتاب علاج للأمراض وإنّما لحفظ الصّحة⁽⁴⁾.

(1) أبو محمد ضياء الدين ابن بيطار (ت 646هـ/1248م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، تح: عبد الحليم منتصر ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1995 ، ص ص 5- 7.

(2) التنبكتي: المصدر السابق، ص 222. إسماعيل البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص 468. ابن بيطار: المرجع السابق ، ص 07.

(3) حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، مج2 ، ص768. محمد محفوظ : المرجع السابق، ج2، ص 143. كاتب مجهول : الطب العربي التونسي في عشرة قرون، تح: أحمد بن ميلاد، ط2، دار الغرب الإسلامي ، تونس 1999 ، ص ص 97- 98.

(4) كاتب مجهول : نفس المرجع ، ص120، حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق ، مج2، ص 781. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج2، ص241.

- عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن التونسي (كان حياً سنة 899هـ/1493م) : طبيب تونسي عرف بمؤلفاته في ميدان الطب نذكر منها : "الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون"، "طب الأسفار وحكم الأسفار"، "كاشف في الطب"⁽¹⁾.

نستنتج ممّا سبق أن تطوّر الطب دراسة وتأليفاً وتجسيدا في الميدان خلال العهد الحفصي، يعود إلى الأطباء الأندلسيين والصقليين الذي مثلوا الركيزة الرئيسية لذلك من خلال امتحانهم بمهنة تدريس هذا المجال ، لكن من حيث تطوّر الطب عموماً في العالم الإسلامي خاصة والعالم أجمع فإنه لم يشهد ازدهارا أو مستوى عالٍ عمّا كان سائداً في هذه النطاقات.

- علم الفلك والنجوم : اعتنى الحفصيون بعلم الفلك والنجوم، فعرفوا علم الأزياج ؛ ونعني بذلك "كتاب فيه يحسب سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم أعنى حساب الكواكب لسنة سنة"⁽²⁾. ومن أهم المؤلفين والمؤلفات ؛ ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) : ألف تأليف عدة متنوعة الحقول منها علم الفلك والنجوم نذكر منها: كتاب "تسهيل المطالب في تعديل الكواكب، وهو مخطّط بالخزانة العامة للرباط(رقم 512)، وكذا كتاب في علم النجوم يسمّى "شرح منظومة أبي الحسن علي بن أبي الرحال القيرواني، تمّ أهدها للوزير المريني"⁽³⁾.

ومن هنا يمكننا القول أنّ؛ الحياة الفكرية والعلمية بالمغرب الأدنى (تونس) تحكمت فيها عدّة عوامل: أولها العناية السلطانية الحفصية بالعلم والعلماء بهدف الارتقاء الفكري. وثانيها الرّحلات العلمية نحو المشرق والأندلس والعكس التي ساهمت في رواج المؤلفات وتشجيع العلماء على التأليف عامّة، أمّا ثالثها فيتمثل في دور المنشآت التعليمية من (مدارس، جوامع ومساجد، مكتبات، وغيرها) التي لعبت دوراً هاماً في احتواء العلم والمؤلفات في خزائنها. وبذلك يشهد لها التاريخ إلى يومنا الحالي. ورابعها يتعلق باهتمام الدولة الحفصية والعلماء بالعلوم (مختلف الميادين والتخصّصات) التي لولاها لما بنيت الحضارة العربية التّونسية بعد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي حسب نظرتنا. خاصّة وأنّ أغلب علماء ما بعد فترة الدّراسة تتلمذوا على يد شيوخ هذه الحقبة التاريخية، وألفوا كتب متنوعة الحقول بالاعتماد على كتب وموسوعات هذه الفترة.

(1) حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، مج2 ، ص ص 785 - 786.

(2) أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت307هـ/997م) : مفاتيح العلوم ، تصحيح: عبد العزيز فايد وأخيه، طبعة مطبعة الشرق القاهرة ، 1342هـ ، ص127.

(3) ابن قنفذ القسنطيني : الفارسية ، ص ص 71 - 73 . رويار برنشفيك : المرجع السابق ، ج2 ، ص 388.

1-3- المغرب الأقصى ما بين (ق7-9هـ/13-15م):

تطرقت في مذكرة الماجستير للمغرب الأقصى ضمن الدراسة، وهذه المعلومات درست ضمن ذلك :
أ- اهتمام سلاطين بني مرين بالمؤرخين والمنقذين: يعتبر العلماء والمؤرخون أهم ركائز بعث الحياة الفكرية ، وعلى هذا الأساس سعى سلاطين بني مرين كغيرهم من سلاطين دويلات بلاد المغرب إلى اجتذاب ثلّة منهم إلى عاصمة دولتهم وتقريبهم إلى مجالسهم وكذا العناية بهم وإكرامهم فبعد نجاح بني مرين من تحقيق الاستقرار بفاس التشجيع والاهتمام بالعلماء لتوطيد أركان دولتهم حضارياً وبدورهم اتجهوا إلى تشجيع العلم عند تأسيس دولتهم⁽¹⁾.

وأبرز مظاهر ذلك الاهتمام المكانة المرموقة التي نالها عدد كبير من الفقهاء والمؤرخون في بلاطات حكام بني مرين ؛ حيث أصبحت قصورهم بمثابة ملتقى العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخين مفاخرين بهم السلاطين على غرار ما كان يتفاخر قبلهم الموحدون بالفلاسفة ، وبمثابة مكانة الجند، كما أنشؤوا لهم مجالس علمية بالقصور من كثرة شغفهم وحبهم للعلم ، وفي ذلك يقول الكتاني عن سمة أغلب السلاطين : " وكانوا من أحسن الملوك سيرةً وسياسةً ونباهةً ، وكان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالسة العلماء ، ولذلك استفحل ملكهم ..."⁽²⁾. حقيقة ما ذكره الكتاني عن كون السلاطين المرينيين يمتازون بميزات فذة، وهذا ما اتضح من خلال السلطان أبو عنان المريني الذي كان فقيهاً وحافظاً للحديث، ومن نظمه: إذا تصدر للرياسة حامل جرت الأمور على الطريق الأعوج⁽³⁾

كما أنّ المجالس العلمية اشتهرت أكثر في عهد السلطان أبي الحسن المريني، الذي احتضن حشوداً من المؤرخين، فمنهم أربعمئة عالم استشهد عند رحيل أبي الحسن من إفريقية بسبب غرق الأسطول فهذا أحسن دليل على العدد الهائل للعلماء. وقد احتضنت هاته الحشود المدارس المرينية الرسمية خاصة المساجد التي امتلأت بالعلماء والفقهاء، يدرسون العلم ويقروون القرآن، إلى جانب دورهم

(1) وفي ذلك يقول عبد الكريم المغيلي فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته : "فعلى أمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته ، على ما يتمكن به من صلاح رعيته فمن ذلك : خدام بالحضرة يتصرفون ، وعقلاء يشيرون وأمناء... وكتاب...ومن ذلك علماء ثقات يرشدون، وأئمة فضل يجتمعون...". محمد بن عبد الكريم المغيلي : تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين ، تح: محمد خير رمضان يوسف ، ط1 ، دار الحزم ، بيروت ، 1994م ، ص ص 25-26.

(2) محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، طبع حجر فاس ، 1316هـ ، ج 3، ص 168.

(3) محمد عيسى الحريزي: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني(610هـ/1213م-869هـ/1465م) ط2 ، دار العلم ، مصر ، 1987، ص 337.

في تقديم الفتوى للناس على اختلاف مستوياتهم⁽¹⁾. ويستتبط من خلال ما تطرّقنا إليه؛ أنّ المرينيين ساهموا في تطوير الحياة الفكرية وتعميقها، ولو أنّ ذلك كان بشكل بطيء إلا أنّ فاس تمكّنت على أيدي المرينيين أن تصمد، وتتضح كمركز علمي مألوف بالمغرب الإسلامي ذو دور هامّ لتدريس العلوم الإسلامية والفكرية .

ويشير ابن القاضي إلى الدور الفعال الذي قام به السلطان المريني أبي الحسن مع العلماء، فقد كان أعرف السلاطين بقدرهم وأحصرهم على تتبع خطاهم، فكان إذا سمع عن عالم يشعّ علماً وجرأة فكرية استدعاه وضمّه إلى مجلسه، ومنحه كل حقوقه مثل: خلق الله المجاصي⁽²⁾ . فمن أبرز العلماء الذين ضمّهم مجلس السلطان المذكور آنفاً، الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي والخطيب ابن مرزوق، والشيخ محمّد ابن إبراهيم، أحمد العبدري الذي اشتهر بالآبلي⁽³⁾.

ومما سبق يُمكننا القول أنّ المجالس العلمية مظهر من مظاهر الحركة الفكرية والنهضة ؛ وهي دليل على مدى تقدير واهتمام سلاطين بني مرين بالعلم والعلماء رغم الظروف التي أثرت على الدولة إلا أنّ العلماء خطفوا مكانة مرموقة مما فسح المجال لنشوء منافسة شديدة بين السلاطين أنفسهم لاحتواء أكبر عدد ممكن من العلماء، وما بين العلماء أنفسهم لإبراز مكانتهم في المجالس وتقوية روابطهم بالسلطة، وكذلك بين سلاطين دويلات المغرب العربي من جهة أخرى سواءً البلاط الحفصي أو الزياني⁽⁴⁾. فقد عقد سلاطين بني مرين مجالس العلم للمحاورة والمحاضرة والمناظرة والكتابة فأول من عقد مجلساً علمياً منذ نشأة الدولة المرينية هو السلطان أبي يوسف يعقوب الذي يعتبر عهده بداية العظمة والازدهار في آن واحد⁽⁵⁾.

(1) علي الجنائي : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تر: عبد الوهاب ابن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية القاهرة ، ص 83 .

(2) أحمد ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط 1973 ، ص 192 .

(3) علي ابن أبي زرع الفاسي (ت 741هـ/1340م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ط1 ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1973م ، ص 374 . ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص 215 .

(4) محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 177.

(5) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين) ، ط1، دار الرشاد ، الدار البيضاء 1978 ، ص 28 . أحمد بوزيدي : العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهرز ، فاس ، 2008م ، ص 67.

فقد وصف في أغلب المصادر بشخصه واهتمامه بالعلم والعلماء حيث يقول عنه ابن أبي زرع في كتابه " الأنيس المطرب" كونه كان : "مكرما للصلحاء موقرا لهم معظما للعلماء مقربا لهم ...". ويضيف قائلا: "وكان الفقهاء يبيتون عنده في كل ليلة منه فيذاكرهم في فنون العلم"⁽¹⁾. كما أشاد عبد العزيز الملزوزي بمآثره داخل مجلسه قائلا: فإنك قد رفعت العلم قدرا وضنت ذويه كي تحوي ثوابا⁽²⁾.

كما سار على نهج هؤلاء السلاطين السلاطين عبد الواحد يعقوب الذي عرف بكرمه وحبه للعلماء فيذكر ابن أبي زرع ذلك بالقول : " وكان الأمير عبد الواحد على غاية الفضل والكرم ، والشجاعة والحزم ومكارم الأخلاق وكان عالي الهمة محبا للآداب مقربا لأهله، يجالس العلماء والأدباء والشعراء ويتخذهم بطانة، وقد اختص جماعة من الفقهاء لمجالسته ومنادمته، منهم القاضي الأديب القدوة مالك ابن المرحل، والفقير الكاتب البار علي المغيلي، والفقير والأديب القدوة مالك ابن المرحل والفقير الكاتب أبو عمران التميمي ، والفقير الأديب عبد العزيز الملزوزي الشاعر"⁽³⁾.

ومن السلاطين اهتماما بالعلماء السلاطين أبي الحسن المريني حيث اعتبر بلاطه أعظم بلاط شهدته الدولة المرينية ، فقد احتضن بلاطه ثلثة من العلماء لا يخصى عددهم على حد تعبير ابن خلدون القائل: " وكان في جملة السلاطين أبي الحسن جماعته كبيرة من فضلاء المغرب وأعيانه .. ، وغرق جماعة منهم في أسطوله لما غرق ، وتخطت النكبة (منهم) آخرون إلى أن استوفوا ما قدر من آجالهم"⁽⁴⁾. يعني بذلك أن عددا كبيرا من علماء بلاط أبي الحسن استشهدوا عند رحيله من إفريقية بسبب غرق الأسطول وقيل كان أربعمائة عالم ، دون الذين لم يركبوا⁽⁵⁾.

أثبت ابن مرزوق أن العلماء الذين غرقوا في أسطول السلاطين أبي الحسن من المشهورين ذوي اختصاصات عدة تم مصاحبتهم، على غرار الذين لم يصاحبوه بالقول : " ولنسرده الآن ذكر من حضرني ذكره من المشاهير الملازمين له ممن شاركته وأدركته وعاشرته أولا فأولا ، من حيث قدمي عليه إلى زمن وفاته رضي الله عنهم الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن سليمان السطي خزانة مذهب مالك.. والفقيه الإمام العالم الحافظ التاريخي المشارك المتخلف"⁽⁶⁾. وهذا دليل على توفر العلماء بكثرة بحيث بلغ عدد الذين اضطحبهم السلاطين الرقم المذكور آنفا.

(1) علي ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص363.

(2) نفس المصدر، ص 372.

(3) نفسه ، ص308.

(4) محمد تاويت : رحلة ابن خلدون ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م ، ص57.

(5) محمد عيسى الحريزي : المرجع السابق ، ص338.

(6) ابن مرزوق التلمساني : المصدر السابق ، ص ص 261-262.

كما أنّ السلطان أبي الحسن لم يكن يفارق العلماء والمتقنين حتّى في رحلاته وحملاته العسكرية وإنّما حتّى في حياته اليومية، فيشير القلقشندي إلى اهتمامه بهم ومسامرته معهم بالقول: "وتحضر العلماء وفضلاء النَّاس وأعيانهم إلى محاضرتهم حينئذ ، فيمدّ لهم سيماط بين يديه فيأكلون ويؤاكلهم.." (1).

نتيجة لاهتمام السلطان أبي الحسن المريني بالعلماء وحرصه الشديد على راحتهم انضمّ إلى مجلسه عدد كبير من العلماء ، بالإضافة إلى سياسته العلميّة التي تركز على تتبع الفقهاء والعلماء فكان كلما سمع عن عالم بارز له رسوخ وإلاّ وأرسل في استدعائه وأجرى عليه الجرايات والنّفقات التي تكفيه وتؤمن له استقراره ، ولذلك يشير ابن مرزوق لاستقطابه ثلّة من العلماء من مختلف أقطار المغرب قائلا: "فاجتمع بحضرته أعلام ثمّ ضمّ لهم من كان تلمسان وأحوازها حيث استيلائه عليها، ثم استمر هذا العمل في دخوله بلاد إفريقية ، ولم يزل على هذا إلى أن توفي - رضي الله عنه -" (2). وهذا ما يدلّ على حقيقة كثرة العلماء على عهده لكونه لم يتوقف عن ضمّهم له ولمجلسه.

ومن جملة العلماء الذين ضمّهم السلطان أبي الحسن المريني إلى بلاطه ومجلسه لا الحصر: الشّيخ أبو العبّاس أحمد بن محمّد الزّاوي ، والخطيب ابن مرزوق ، ومحمّد بن إبراهيم بن أحمد العبري المشهور بالآبلي ، والفقهاء النّحوي أبو عبد الله الرندي ، وأبو زيد عبد الرّحمان بن الإمام ، وأبو عبد الله بن الصّباغ المكناسي وأبو عبد السّلام وغيرهم (3).

كما سار السلطان أبو عنان على نهج والده ؛ حيث جلب إلى بلاطه كبار العلماء وكان يجبرهم على حضور مجلسه من كثرة حبّه للعلم والعلماء ، عن ذلك يقول صاحب " روضة النّسرين": " وكان وقها يُناظر العلماء الجلة فيصيبُ ويخطئهم، ومعرفته بالفقه تامّة، وكان عارفاً بالمنطق وأصول الدّين وله حظٌّ صالح من العربيّة والحساب ، وكان حافظا للقران ، عارف بناسخه ومنسوخة ، كثيرا التمثل بآياته ، حافظا للحديث عارفا برجاله، فصيح القلمُ كاتباً مرسلأً بليغا بارع الحظّ أحسن التوقيع" (4).

المعروف على سلاطين بني مرّين شغفهم الشديد بلعلماء والعلم ، وهذا ما سمح لهم بتقريب العلماء والمفكرين إلى بلادهم للاستفادة منهم علمياً وفكرياً، وأغلب العلماء الذين قدّموا إلى فاس عاصمة المرينيين علماء تلمسان والأندلس. فكانوا يقيمون مُناظرات ومُحاورات علمية بمجالسهم خاصّة على عهد السلطان المريني أبي الحسن وابنه أبي عنان. أمّا الفترة المرينية الأكثر ازدهاراً فكرياً وعلمياً ، فكانت على يد

(1) القلقشندي : المصدر السابق ، ص 206.

(2) ابن مرزوق التلمساني : المصدر السابق ، ص 260.

(3) محمّد عيسى الحريري : المرجع السابق ، ص 339.

(4) ابن الأحمر : روضة النّسرين ، ص ص 27-28.

السُّلطان أبي الحسن الذي قرب إلى مجلسه كماً كبيراً من العلماء ومنحهم مناصب عليا في الدولة كالقضاء والكتابة، وكان يعود إليهم لاستشارتهم في أمور الدولة⁽¹⁾.

استغلَّ بعض العلماء فرصة اللجوء السياسي التي منحت لهم من قبل السُّلطين أمثال : المؤرِّخ لسان الدِّين ابن الخطيب الذي استغل منصبه السياسي للتأليف والكتابة ، ففي غضون رحلته مع السُّلطين مدَّة ثلاث سنوات حرَّر رسائل وكتب لمدح السُّلطين ومن أبرز المؤلفات كتاب: " اعمل من طبِّ لمن حبَّ" الذي تتوفَّر منه نسخة محفوظة بخزانة القرويين تحت رقم "3657" ، إلى جانب مجموعة رسائل كتبها عندما كان وزيراً أيَّام السُّلطان أبي الحجاج يوسف إلى السُّلطان أبي عنان وغيرها. كما تكفل بمصاريقهم السُّلطين لتحفيزهم على الإبداع إلى جانب توليهم مناصب سياسية⁽²⁾. بالإضافة إلى ابن خلدون الذي استغل الفرصة الثمينة وتقرب من السلطان ، وخفض له جناحه مما دفعه إلى استقدامه إلى عاصمته فاس سنة(755هـ/1355م)، حيث أسندت إليه مهمة علمية سامية وهي عضوية المجلس العلمي بفاس ، فباشر بهذه المهمة مخلصاً في عمله مما جعل السُّلطان يرفع مكانته حتَّى أصبح بعد سنة واحدة من أبرز كتّابه ويتنافس على مناصب كبرى كالوزارة أو الحجابة⁽³⁾. إذ يمثل ابن الخطيب وابن خلدون أبرز العلماء الذين كان لهم دور سياسي بارز إلى جانب ثلَّة أخرى في القضاء أو داخل البلاط وهذا كله بفضل اهتمام السُّلطين الواضح بالعلماء وتقريبهم إليه.

كما استدعى السُّلطان أبو عنان المؤرِّخ الفدَّ ابن مرزوق الخطيب وضمَّه إلى مجلسه العلمي وكلفه بالخروج معه في عدَّة سفارات، وبهذا يعتبر آخر علماء تلمسان الذين احتفظوا بولائهم لسلاطين بني مرِّين⁽⁴⁾. وقبله الإمام والمؤرِّخ أبي عبد الله المقرِّي الذي ضمَّه إلى مجلسه ، وتولى عدَّة مهام سياسية منها سفارته إلى الأندلس التي بقي فيها مدَّة سنتين، ولم يعد إلى فاس إلا بعد تدخل ثلَّة من العلماء⁽⁵⁾. وتجدر الإشارة إلى أنَّ أغلب الرسائل والسفارات على عهد أبو عنان كانت من تحرير الوزير لسان الدِّين ابن الخطيب.وبذلك فإن ما ميَّز العلاقة بين السُّلطين والمتقنين والمؤرِّخين طبيعة المجالس السُّلطانية القائمة على حرية الفكر وجدية النقاش والحوار واختيار المواضيع من جهة ، ومن جهة أخرى اهتمام السُّلطين بالعلماء معنوياً ومادياً بهدف تنشيط الحركة العلمية ، وكذا حركة التأليف وذلك بتوحيد الفكر التاريخي لأقطار المغرب الإسلامي عامة.

(1) محمد عيسى الحريري : المرجع السابق ؛ ص ص 338-339.

(2) محمد بن أحمد ابن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية - دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني - ، دط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء، 1985 ، ص 112.

(3) نفس المرجع ، ص118.

(4) ابن خلدون : المقدمة ، ص115.

(5) أحمد المقرِّي : المصدر السابق ، ج5 ، ص209.

ب- أبرز المثقفين الذين استفادوا من اهتمام سلاطين بني مرين:

• علماء المغرب الأوسط :

- الأبلبي : هو الإمام والعلامة المجتمع على إمامته، وأعلم أهل عصره بالفنون العقلية، اسمه الكامل محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، من مواليد (681هـ / 1282م)⁽¹⁾.

قال ابن خلدون : " أن أصله أندلسي من أهل آبلبة من بلاد الجون، انتقل منها أبوه وعمه، فخدم يغمراسن بن زيّان صاحب تلمسان، وتزوَّج أبوه ابنة القاضي محمد بن غليون فولدت له شيخنا هذا ونشأ بتلمسان في كفالة جدّه القاضي فمال إلى محبة التعاليم فبرع فيها وعكف الناس عليه في تعلمها" وقصد الحج فلقى بالديار المصرية ابن دقيق العيد، والصفي الهندي، والترزقي وغيرهم إلى جانب أخذه عن أبي الحسن التنسي وابن الإمام وابن البنا وغيرهم. وعنه أخذ ثلثة من العلماء أمثال: ابن خلدون ومحمد بن الصباغ المكناسي الشريف التلمساني، والعلامة الزرهوني، وابن مرزوق الجد، وسعد العقباي وابن عرفة والولي ابن عباد. ولما عاد إلى المغرب استقر في تلمسان وعين في منصب قهرمان القصر مهمته الإشراف على شؤون القصر المالية، وفي نفس الوقت واصل نشاطه العلمي، وعلى رأس العلوم التي انتفع بها قراءة المنطق والأصوليون على عيسى ابن الإمام⁽²⁾. ونتيجة للخلاف الذي حدث بين الأبلبي وابن حمو انتقل الأبلبي إلى مراكش. ونزل عند ابن البنا ولازمه في المعقول والمنقول، ثمَّ صعد إلى قائد عسكري علي بن محمد فقرأ عليه واجتمع عليه العديد من الطلبة ليستفيدوا من علمه .

بعودة الأبلبي إلى فاس تزايد عليه طلبه العلم، واشتهر علمه ولما سمع عنه السلطان أبو الحسن عقد فتح تلمسان، استدعاه من فاس ونظمه في طبقة العلماء، فعكف على التدريس وقال ابن خلدون لازمت مجلسه وأخذت عنه فنوناً، ثمَّ بعد فترة طلبه أبو عنان يعد مهلك أبيه من صاحب تونس فأسلمه وارتحل إلى بجاية وأقام شهراً، حيث انتفع منه طلبتها وقرأ وعلى يده مختصر ابن الحاجب الأصلي⁽³⁾. وقد توفي الأبلبي بفاس سنة (757هـ / 1356م)⁽⁴⁾.

- ابنا الإمام: وهما أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى ، وهذا الأخير أستاذ أستاذه (الأبلبي) نشأ بتلمسان ورحل مع أخيه إلى تونس، فجلسا إلى شيوخها، ثم عادا إلى المغرب في أثناء حصار أبي يعقوب المريني لتلمسان فأقاما بمدينة الجزائر فبث أبو موسى العلم بها وبعد أن قتل أبو يعقوب ورفع الحصار عن تلمسان انطلق إليها، وبفضل أبو موسى تطوّرت الحياة العلمية بالمغرب وقد أشار أبو القاسم الرخوي لفضله في التطور بقوله: "فلم يبق لأبي (ابن الإمام) شماخة على مدن الدنيا

(1) محمد بن مخلوف : المصدر السابق، ص 221.

(2) التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 412. ابن القاضي : المصدر السابق ، ص 304. ابن مريم التلمساني : المصدر السابق ص ص 215 - 314.

(3) التنبكتي: المصدر السابق ، ص 412.

(4) ابن القاضي المكناسي : المصدر السابق، ص 305 . يحيى ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 57 .

لأنف تلمسان وقد سار ابن الإمام إلى إفريقية مع السلطان أبو الحسن الذي ضمّه إلى مجلسه العلمي⁽¹⁾.

- ابن النجّار : هو أبو عبد الله محمّد بن النجّار، من أهل تلمسان ، نشأ بها، وتتلّمذ على يد الآبلي فيها وبرز علمه، فارتحل إلى المغرب الأقصى يلتمس الاستزادة من العلم بقاء شيوخها فلقى بسبّة إمام التعاليم، أبا عبد الله محمّد بن هلال، شارح المحسّطي في الهيئة، وأخذ بمراكش عن الإمام أبي العباس، ابن البناء وكان إماما في علوم النّجامة وأحكامها، وما يتعلق بها ورجع إلى تلمسان بعلم كثير، ومن خلال هذا كان ابن النجّار جديرا بلقب شيخ التعاليم، كما كان جديرا باختيار السلطان أبي الحسن، ثم كان ممّن مات في الطّاعون الجارف الذي ضرب تونس سنة (1348هـ/1348م)⁽²⁾.

- ابن شعيب : هو أبو العباس أحمد ابن شعيب الفاسي، وقد ذكره ابن خلدون بقوله: "كان برع في اللّغة العربيّة ، والتاريخ ، والأدب، والعلوم العقلية من فلسفة، وتعاليم وطب وغيرها" ونظمه السلطان أبو سعيد في حلبة الكتاب وأجرى عليه الرّزق مع الأطباء ثمّ توجه ابن شعيب نحو إفريقية مع العلماء، وهناك هلك بمرض الطّاعون⁽³⁾.

• علماء المغرب الأقصى :

- عبد المهين كاتب السلطان أبي الحسن : هو أبو محمّد عبد المهين الحضرمي، إمام المحدثين والنّحاة بالمغرب، كما يقول في صفته⁽⁴⁾ "يكنّى بأبي محمّد " كان خاتمة الصدور، وصاحب القلم الأعلى بفاس نشأ بسبّة وبها ولد عام(676هـ/1377م) عين ولي الكتابة لأبي الحسن المريني⁽⁵⁾. ففي إشارة لسكناه بفاس قيل كان يرتقيه حجامه دار ابن ماواس اليوم، قرأ على أبي جعفر ابن الزبير وأبي بكر ابن عبيد وجماعة.ومن نظمه :

نفسى الفداء لعهد كنت أعهده وطيب عيش تقضى كأمه كرم.

(1) محدّطه الحاجري : ابن خلدون - بين حياة العلم ودنيا السياسة-، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980م ، ص 36 .

(2) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ، ص ص 90 - 91 . محدّطه الحاجري : نفس المرجع ، ص 37 .

(3) ابن خلدون : الرحلة ، ص 92 . محدّطه الحاجري : المرجع السابق ، ص 33 .

(4) محدّطه الحاجري : المرجع السابق ، ص 30 .

(5) ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق ، ص 444 .

توفي عبد المهين بتونس في الطاعون الجارف في 12 شوال عام(749هـ/1348، في صحبه أبي الحسن ودفن بالزّلاج من جبانات تونس المحروسة⁽¹⁾.
 - ابن الصّباغ : هو أبو عبد الله محمّد بن الصّباغ من أهل مكناسة، ولكنّه أخذ علوم الحديث والفقّه عن مشيخة فاس، ولازم أبا عبد الله الأبلي، وجلس إليه. وقد توفي وهو في الأسطول الذي أراد أن يعود به إلى المغرب فمات غريقاً. ورغم قصر المدّة التي أمضاها ابن الصّباغ إلا أنّ الدّراسات لا تغفل مشاركته في مجلس الشيوخ يتلقى عنهم العلوم العقلية والرياضية، ويساهم في تنويعها وإن لم يعرف بها⁽²⁾.
 بالإضافة إلى مجموعة من العلماء والمتقنين الآخرين أمثال : أبي عبد الله محمّد ابن عبد الله بن عبد النّور الندرومي التلمساني، وأبي عبد الله ابن أحمد بن مرزوق التلمساني⁽³⁾.

• علماء الأندلس:

- ابن رضوان : هو أبو القاسم عبد الله بن يوسف ابن رضوان المالقي، أندلسي الأصل، نشأ وترى بمالقة يقول ابن خلدون عنه أنه : " كان يكتب عن السلطان، ويلازم خدمة أبي محمّد عبد المهين رئيس الكتاب يومئذٍ"، والذي كان أبو القاسم الرحوي يعنيه بقوله في قصيدته :

ولم يبق لي في الغيب من أصل سوى لقاء ابن رضوان وجنة رضوان⁽⁴⁾.

فمن تونس دعاه سلطان الأندلس لأن يستكثبه لكنّه رفض ورحل إلى المغرب، فاشتغل كاتباً في وظيفة العلامة ووظيفة صاحب الإنشاء إلى أن وافته المنية سنة(784هـ/1382م)⁽⁵⁾.

ج- تشجيع سلاطين بني مرين للتأليف: لقد كان اهتمام حكام بني مرين بالعلماء والمؤرخين واضحاً وجلياً ، وذلك من خلال تشييد دار الكتب وأول السلاطين الذين قاموا بذلك يعقوب بن عبد الحّقش مؤسس مدرسة الصّفارين التي تضمّنت كتب التاريخ والمصاحف وتفسيره ، وكتب الأصول واللغة العربية⁽⁶⁾ حيث طلبها من سانشو ملك قشتالة كما ذكرنا آنفاً⁽⁷⁾.

(1) ابن القاضي المكناسي : المصدر السابق ، ص 445 .

(2) محمّد طه الحاجري : المرجع السابق ، ص 38 .

(3) ابن خلدون: الرحلة ، صفحات 53-90-91.

(4) محمّد طه الحاجري : المرجع السابق ، ص 32 .

(5) نفس المرجع ، ص 32 .

(6) أحمد السلاوي : المصدر السابق ، ج1، ص31.

(7) عبد الرحمان عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، ط3 ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة

1966م ، ص106.

كما تمّ إنشاء دار مستقلة للكتب في العصر المريني على عهد السلطان أبي عنان ، وفي ذلك يقول الجزنائي: "... وأوسع طلبية العلم بان اخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان والأبدان والأذهان واللّسان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وشتّى ضروبها وأجناسها"⁽¹⁾ .

فقد انعكس تشجيع سلاطين بني مرّين للعلماء والمؤرّخين على الحركة الأدبية والعلمية بقوّة والدليل على ذلك كثرة المتقنين والعلماء والمؤلّفات في مختلف العلوم والميادين. ولذلك أجاز السلاطين هؤلاء العلماء بالعطاء والهدايا ، وتتبع العديد منهم سواء في البلاط أو خارجه واحتلوا مراتب عُليا، كما توفرت لهم مختلف الظروف للإقامة بالعاصمة فاس بعد ما هاجروا إليها من مختلف الأقطار ، خاصّة نتيجة الزحف النصراني على ممتلكات الأندلس⁽²⁾ .

اللافتُ للانتباه أنّ السّلطة المرينية لم تميّز بين علمائها الأصليين أو الوافدين ، وما يدُل على ذلك انضمامهم جميعا إلى المجالس السلطانية العليا داخل قصور السلاطين أمثال : لسان الدّين ابن الخطيب عبد الرّحمان ابن خلدون ، ابن الأحمر ، المقرّي ، ابن جزري وغيرهم⁽³⁾ . فقد توافد ثلّة من المتقنين والمؤرّخين طلبا في العلم المذكورة أسمائهم أنفا إلى المغرب الأقصى سواء من الأندلس أو المغربيين الأوسط والأدنى ، لكنّ الأغلبية قدّموا من الأندلس ، حيث لم تمتلك الأندلس مدارس عدّة بل احتلّوا مساجد يقرؤون فيها مختلف العلوم ويؤلّفون فيها ، وفي ذلك يقول المقرّي في " نوح الطيب": " وليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون في المساجد"⁽⁴⁾. وبذلك فالمغرب الأقصى قد تميز عن الأقطار المغربية الأخرى من الناحية الأدبية والعلمية بكثرة المدارس وتعميمها على كامل المغرب الأقصى.

كما أنّ حركة التّأليف لاقت تشجيعًا كبيرا ، واهتماما من طرف سلاطين بني مرّين فمنحوا لهم العطايا والهبات ومنح لمواصلة العمل على مؤلفاتهم، و إبداعاتهم ما حفزهم على زيادة النّشاط العلمي وكانوا يعرضون إنتاجهم العلمي والأدبي على السلاطين ، ويعود سبب اهتمام السلاطين بالعلماء إلى دورهم في المجتمع⁽⁵⁾ . وفي ذلك يشير ابن خلدون بالقول: " إنّ الحذوق في العلم والتفنّن فيه والاستيلاء عليه إنّما هو بحصول ملكيّة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من

(1) علي الجزنائي : المصدر السابق ، ص76. ابن القاضي المكناسي : المصدر السابق ، ص46.

(2) الكتاني : المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 33-270.

(3) نفس المصدر ، ص277.

(4) أحمد المقرّي: المصدر السابق ، ج1 ، ص260.

(5) ابن السعيد المغربي : الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة ، تح: إبراهيم الأبياري ، دار المعارف ، مصر ، دت

ج1 ، ص91.

أصوله...ولهذا كان السند في التعليم في كلِّ علم أو صناعة يفتقر إلى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كلِّ أهل أفق وجيل⁽¹⁾.

لم يولِ سلاطين بنو مرين اهتماما بالعلماء في القرنين (7-8هـ/13-14م) فقط ، وإنما شجعوا كتابة التاريخ ، ولم يكن ذلك بمحض الصدفة أن تتميز المدرسة التاريخية بفاس بازدهار واسع ، فقد قضى بها أبرز مؤرخي المغرب العربي إلى يومنا هذا وهو عبد الرحمان ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع بالإضافة إلى لسان الدين ابن الخطيب المؤرخ الغرناطي الذي لجأ إلى مدينة فاس المغربية. فقد كان السلاطين بني مرين مجموعة من المؤرخين الرسميين إلى جانب المؤرخين المذكورين أنفا المؤرخ محمد ابن مرزوق؛ الذي ألف كتاب دون فيه أمجاد حكم أبي الحسن على غرار أسلافهم المؤحدين الذين أولوا عناية بالفلاسفة⁽²⁾.

وما زاد الإبداع العلمي تحفيز سلاطين بني مرين للعلماء بالأموال، وإتاحة حرية التنقل والسفر في سبيل التحصيل العلمي، كما أجزلوا لهم الهدايا والعطايا على مؤلفاتهم وكتابتهم تشجيعا على مواصلة حركة التأليف والعلم، فذلك لا وجود لأيِّ سلطان محبِّ للعلم إلا واجتمع حوله ثلَّة من العلماء والمؤرخين وألَّفوا لهم كتب ثمينه ، فظهر ذلك جليًّا بين ملوك بني مرين وعلماء تلمسان الذين ضمُّوهم إلى مجالسهم العلميَّة؛ حيث لقي من السلاطين هؤلاء العلماء والمؤرخين الدعم والرعاية لأعمالهم الفكرية والعلمية والثقافية ممَّا سمح لهم إنجاز أعمال حضارية في مختلف الاختصاصات⁽³⁾.

فبالرغم من اعتلاء أغلب المؤرخين والعلماء المراتب العليا والمكانة المرموقة في البلاط المريني خاصة علماء الأندلس وتلمسان، إلا أن البعض منهم كان ينظر إلى قضية التأليف نظرة خاصة أمثال: أبو عبد الله الأبلبي الذي يشير إلى ذلك بالقول: "وقال المقرئ سمعتُ الأبلبي يقول ما في الأمة المحمبية أشعر من ابن الفارض ، وقال المقرئ سمعتُ الأبلبي يقول إنما افسد العلم كثرة التأليف وإنما أذهب بنيان المدارس"⁽⁴⁾. ويصف قائلاً أن البعض الآخر لم يترك لنا ثمرات تلك المجهودات المبذولة على شكل مؤلفات⁽⁵⁾.

وأهمُّ ما ميَّز الكتابات التاريخية بالمغرب على عهد بني مرين محاولة بعض المؤرخين تدوين تاريخ المغرب منذ انتشار الإسلام بطريقة متسلسلة وبصورة منفصلة عن التاريخ الإسلامي العربي، كما أن كتاباتهم لم تقتصر على تسجيل الوقائع التاريخية فقط ، بل تعدت ذلك حيث شملت مختلف عناصر

(1) ابن خلدون : المقدمة ، ص 543-544.

(2) محمد ابن شقرون : المرجع السابق ، ص 110.

(3) يحي بوعزيز : الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد ابن مرزوق واحمد ابن قنفذ الخطيب ، مجلة دراسات جزائرية ، الجزائر 1997م ، ص 65 . محمد عيسى الحريري: المرجع السابق ، ص 339.

(4) ابن مريم التلمساني : المصدر السابق ، ص 2016.

(5) نفس المصدر ، ص ص 2016-2017.

التأثير في التاريخ العربي وإبراز منجزاتهم الحضارية ، وكانت من بين الكتب التاريخية التي راجت في النصف الأول من القرن (8هـ/14م) كتابي "الأنيس المطرب" و "الذخيرة السنية" لابن أبي زرع⁽¹⁾.

أمّا على عهد السلطان يوسف المريني فقد برز ثلّة من المؤرخين دونوا التاريخ منهم : المؤرخ الفذّ محمّد ابن بن أبي بكر عبد الله بن موسى الأنصاري والمؤرخ محمّد بن محمّد بن عبد الله تلمساني الأصل استوطن بسببته حتى وفاته ، وبها درس التاريخ على يد أبي القاسم العرفي ، وقد كان مؤرخاً حافظاً قويّ الذاكرة (697هـ/1297م)⁽²⁾، وكذا المؤرخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن سعيد عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي ، الذي كان عارف بالتاريخ والأسانيد ألف كتاباً سماه "الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة"⁽³⁾، إلى جانب المؤرخ النّازي أبو علي صالح بن أبي صالح عبد الحلّيم نزّيل نفيس⁽⁴⁾ مؤلف كتاب (الأنساب) ، والمؤرخ ابن رشد الفهري كان حافظاً للأخبار والتواريخ⁽⁵⁾.

بالإضافة إلى المؤرخ محمّد ابن أحمد بن عمر أبو عبد الله بن الدراج الأنصاري التلمساني من تلمسان نشأ بسببته، وإعانة أبو القاسم محمّد العزفي على طلب العلم فدرس بفاس ، ثمّ أصبح من خاصّة السلطان يوسف ومن بين آثاره كتاب " الامتناع والانتفاع في حالة سماع لاستشارة بالكفاية والغناء في أحكام أهل الغناء والرّد على من نقص على المسلمين بتحريم ما أبيح لهم منه في فصاله المسرة والهناء أو في حالة اجتماع أرباب النهج بالسماع يتبعون أحسنه أحسن الإتياع ، وأولوا الاعتناء" رتبته على ثلاثة أبواب، وتقع في أربعين ورقة ألفه في مدينة فاس فيما بين سنتي (685-688هـ/1285-1289م)⁽⁶⁾.

كما برز على عهد السلطان أبي الحسن المريني ثلّة من المؤرخين الذين دونوا التاريخ أمثال: ابن مرزوق الخطيب الذي أنهى تأليفه " المسند الصحيح" سنة (772هـ/1371م) وأطنب فيه لمدح السلطان

(1) محمد ابن تاويت: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ، ط1، دار الثقافة ، الدار البيضاء، 1983 ، ج2 ص411

(2) ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تح : إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد ط1، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2012م ، ج1 ، ص37.

(3) محمد المنوني : المرجع السابق ، ص71.

(4) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص47.

(5) السيوطي : المصدر السابق ، ج1، ص199.

(6) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، مج1، ص57.

ذاته⁽¹⁾، إلى جانب ابن الحاج النميري الذي ألف كتابه الذي يعدُّ مصدرا تاريخيا وعنوانه بـ "فيض العباب" وأبو عبد الله محمد الآبلي، ولسان الدين ابن الخطيب وغيرهم⁽²⁾.

وتجدر بنا الإشارة إلى كون أغلب علماء الدولة المرينية ومؤرخيها كانوا مضطرين للتنازل عن بعض مبادئهم لخدمة الحكام خاصة مؤرخي وعلماء البلاط، وبذلك تنقص الدقة والموضوعية، لأن أغلب ما وجد من التأليف كانت نزولا عند طلب السلطان نفسه، أو ألف برغبة التقرب للسلطان، أو المساهمة في الكتابة التاريخية لمنافسة العلماء الآخرين⁽³⁾.

د- **الرحلات العلمية ودورها في كتابة وتدوين التاريخ:** ساهمت الحياة الفكرية والثقافية التي سادت عصر بني مرين واهتمام سلاطينها في ارتقاء الحياة العامة للمجتمع المريني، بالإضافة إلى الرحلات العلمية التي قام بها كبار وأهم الرحالة في تلك الفترة أمثال: ابن بطوطة وابن رشد والعبدي الذين عاشوا في أحضان البلاط ورحلاتهم أفادت طلاب العلم من جهة ورجال الفكر من جهة أخرى. حيث نقلت لهم مختلف المؤلفات والثقافات من البلدان الأخرى سواء من مشارق الأرض ومغاربها. كما ساهمت في اتساع أفق الفكر والعلم حيث ارتحل ثلثة من العلماء المغاربة إلى بلاد المشرق لأغراض مختلفة كالتجارة والدراسة والتجارة وزيارة بيت الله، والمميّز تدوين الرحالة ما يشاهدونه وما روي عليهم أثناء رحلاتهم بين البلدان حتى تجمع في مدونات وتنسق على شكل كتاب ويكون مصدر من مصادر المهمة. ومن الرحلات العلمية التي أسهمت في كتابة التاريخ ونقل أخبار البلدان مايلي:

• **رحلة ابن رشيد:** تمّ تأليفها من قبل أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري المزوار في مدينة سبتة سنة (657هـ/1259م)، ودرس علم الحديث والأدب، وأصبح خطيبا ومحدث، وفي 26 من عمره انتقل إلى الحج سنة (683هـ/1285م)، وأثناء رحلته مرّ بعدة دول منها تونس، فالتقى هناك بثلاثة من العلماء ثم رحل إلى مصر فالمدينة المنورة، وبعد إتمام مناسك الحج عاد أدراجه عن طريق طرابلس فتونس التي قضى بها مدة سنة، ثمّ اتجه عن طريق المدينة إلى المغرب. فقد أشارت المصادر التاريخية عن مدى أهميّة الرحلة التي تميّزت عن الرحلات العلمية المغاربية الأخرى⁽⁴⁾.

• **رحلة ابن بطوطة:** هو عبد الله بن محمّض بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة، ينتمي إلى أسرة علمية ودينية إلى لواتة إحدى قبائل المغرب العربي في مدينة برقة، ولد سنة (703هـ/1303م)

(1) محمد ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 5.

(2) الحسن الشاهدي : أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ، ط 1 ، منشورات عكاظ ، الرباط ، 1990م ، ص ص 98-99 .

(3) نفس المرجع ، ص 99.

(4) علي بن أبي زرع : الذخيرة السنوية ، ص 45 . أحمد المقرئ : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 220.

وكانت زيارته إلى بيت الله سببا في رحلته العلمية منذ سنة (725هـ/1327م)، ومنها انتقل إلى التعرف على بلدان العالم في المشرق والاطلاع على مختلف العلوم في تلك البلدان⁽¹⁾.

زار أثناء رحلته كل من نجد والعراق وشيراز وأصفهان ثم تواصل في سفره إلى السودان وجنوب إفريقيا ومصر والشام وكذا الأناضول، كما وصل إلى جنوب شرق آسيا والهند، ووصف ما شاهده من حياة ثم جادة وسومطرة والهند الصينية في سنة (733هـ/1332م) وكذا ما شاهده من معالم مدينة القسطنطينية، ثم عاد أدرجه إلى بلاده سنة (753هـ/1352م)، حيث دامت رحلته 25 سنة، ثم ارتحل بعد ذلك إلى بلاد الأندلس، وأمره السلطان أبو عنان بالعودة إلى المغرب وولاه قضاء تامسنا، وتوفي وهو قاضي في جزيرة صقلية، وتوفي سنة 1389م⁽²⁾.

هـ - إنشاء المؤسسات التعليمية وخزائن الكتب ودورها في حفظ كتب التاريخ :

أ- إنشاء المدارس: تعتبر المدارس من أهم المنشآت التعليمية التي تدل على مدى اهتمام بني مرين بالحياة العلمية فقد قام ملوك بني مرين بالإشراف الرسمي عليها، وتوفير مختلف الإمكانيات المادية والبشرية بغرض تنشيط الحركة العلمية والفقهية. فبالنسبة لبني مرين فقد اختصت المدارس في تعليم العلوم الدينية خاصة الشريعة الإسلامية إلى جانب العلوم العقلية، ونتيجة للعلاقات التي ربطت المرينيين بالدويلات الخارجية انتقل نظام المدارس بشكله ووظيفته إلى الدولة المرينية⁽³⁾، وأبرزها:

• المدارس العلمية :

- مدرسة الحلفاوين (675هـ/1276-1277م): تعرف كذلك بمدرسة الصفارين فهي من آثار أبي يوسف⁽⁴⁾، ويقول في ذلك ابن مرزوق: "... وهو الذي بنى المدرسة بفاس بعدوة القرويين منها، ولم يكن لأهل المغرب عهد ولا معرفة بوضعها فيما علمت"⁽⁵⁾.

أطلق عليها تسمية الصفارين نسبة للسوق الذي بنيت بجانبه في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني واهتم بها اهتماما خاصا، كما جعل فيها خزائن كبيرة لحفظ الكتب، وكان موقعها باتجاه عين كوقف من جهة قبلة جامع القرويين، وتعد هذه المدرسة من أقدم المدارس ببلاد المغرب الأقصى، وكذلك تحتوي على مكتبة ومخطوطات التي تم نقلها فيما بعد إلى جامع القرويين، وتوافد لها الطالبون من داخل وخارج

(1) أحمد المقري: المصدر السابق، ج1، ص 220. عدنان محمود الشاوي: الثقافة والتعليم في العصر المريني (667-

759هـ/1269-1359م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج23، تكريت، 2015م، ع 8، ص ص 8-9.

(2) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 181.

(3) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي ويشري سلامة، ط1، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969، ج2، ص240.

(4) محمد فرحات بكار: المدارس المغربية في عصر بني مرين (668-869هـ/1269-1465م)، المجلة الليبية العالمية جامعة بنغازي، ليبيا، 2017م، ع19، ص05.

(5) محمد المنوني: وراقات، ص 239. علي الجزنائي: المصدر السابق، ص81.

المغرب الأقصى. كما أشار صاحب " الذخيرة السنّية" إلى أنّ الأمير يعقوب المريني قد شيّد مدرستين في مدينة فاس ومراكش، ولم يشر إلى تفاصيل تأسيسها ولا موقعها ولا تسميتها⁽¹⁾.

- مدرسة البيضاء (فاس الجديدة) (1320/هـ/1320م): تأسست على يد أبي سعيد المريني، وأسكن بها طلاب العلم وأساتذتهم سنة (1321/هـ/1321م) وفي ذلك يقول صاحب " الذخيرة السنّية ": "... وأمره ببناء المدرسة لطلبة العلم فبناها بإزاء منه ، كوقف من جهة س قبلة جامع القرويين، وأجرى عليهم المرتبات من جزية اليهود لعنهم الله ."⁽²⁾ ويضيف " صاحب الأنيس " قائلا: " وفي سنة عشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيده الله ببناء مدرسة بحضرته من فاس الجديدة ، فبنيت أتقن بناء "⁽³⁾.

- مدرسة الصّهاريج: تمّ تشييدها من قبل سلطان أبي الحسن المريني على عهد والده السلطان أبي سعيد عثمان، ودام التشييد مدة سنتين (721-723/هـ/1321-1329م)؛ وهي واقعة غربي جامع الأندلس حيث أطلق عليها اسم مدرسة الأندلسيين، وجاءت تسميتها بالصّهاريج بسبب وجود بركة من المياه في وسطها⁽⁴⁾.

- مدرسة السّبعين (721-723/هـ/1321-1323م): تمّ تشييدها كذلك من قبل السلطان أبو الحسن المريني، وقد خصّصت للقراءات السّبع⁽⁵⁾ ولذلك سمّيت بمدرسة الأساتيد، فقد كانت تتكوّن من صحن مكشوف وقاعة صلاة وخزانة كتب وغرفة للطلّبة والمقرّئين⁽⁶⁾.

- مدرسة العطارين (723/هـ/1323م) : تأسّست على يد أبي سعيد الأوّل بالقرب من جامع القرويين وكان البدء في تشييدها سنة (723/هـ/1323م) ثم اكتملت سنة (725/هـ/1325م) وقد احتقل مؤسسها بوضع حجر الأساس لتشييدها وفي ذلك يقول " صاحب الأنيس " : " وفي مستهل شعبان منها أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله ونصره ببناء المدرسة العظيمة بإزاء جامع القرويين شرفه الله

(1) علي الجزنائي : المصدر السابق ، ص 81. علي بن أبي زرع : الذخيرة السنّية ، ص 162.

(2) علي بن أبي زرع : نفس المصدر ، ص 188.

(3) علي بن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص 411.

(4) فرحات محمد بكار : المرجع السابق، ص 06. عبد السلام بن سودة : المرجع السابق ، ص 22. علي بن أبي زرع : نفس المصدر ، ص 412.

(5) القراءات السبع : قراءة القرآن حسب التلاوات السبع أو العشر المشهورة ، ألا هي : تلاوة عمرو من أهل البصرة وحمزة من أهل الكوفة وسواهما والكسائي من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة. أماني بنت محمد عاشور : الأصول النيرات من القراءات ، ط3، دار الوطن للنشر ، الرياض ، 2011م ، ص 47.

(6) محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 240.

تعالى بذكره ، فبنيت على يد الشَّيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار، ووقف أمير المؤمنين على تأسيسها ...»⁽¹⁾.

- مدرسة الوادي(721هـ/1321م):بنيت المدرسة في نفس السنَّة الَّتِي تمَّ فيها تشييد مدرسة الصَّهاريح حيثُ تقع بالقرب من جامع الأندلس بفاس، وبالرَّغم من قلَّة من تحدث عنها إلاَّ أن ابن مرزوق أشار إليها يقول: "ثمَّ أنشأ المدرسة - الكبرى - مدرسة الوادي، وهي الَّتِي يشقُّ في وسطها الوادي الأعظم بالعدوة"⁽²⁾.

- مدرسة الطالعة بسلا: تمَّ الانتهاء من بناء هذه المدرسة سنة (742هـ/1341م) وقد وصفها النَّاصري قائلاً: "وقد بناها على هيئة بديعة وصنعة رفيعة وأودع جوانبها النقش وضروب التَّرخيم ما يحبر البصر ويدهش الفكر ووقف عليها عدَّة أوقاف، رصَّع أسماءها بالنَّقش والأصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرُّخامة بالحائط الجوفي منها"⁽³⁾.

- المدرسة الجديدة في مكناس " المدرسة البوعنانية": تمَّ بناؤها من قبل السُّلطان أبو عنان سنة (745هـ/1345م) فأخذت اسمه وهي تقع بالقرب من الجامع الكبير بمكناس، حيث تضمُّ صحنًا يتوسطه حوض مربع وقاعة للصَّلَاة وغرفة للطَّلبة موزعة على طابقين⁽⁴⁾.

- المدرسة الجديدة بسبته : ذكر أن السُّلطان أبي الحسن المريني أنشأ في مدينة سبته مدرسة كانت على قول البعض "غاية وأعجب"⁽⁵⁾ وقد وصفها الأنصاري السبتي قائلاً: "والمدرسة الجديدة العظيمة البناء المتسعة الرُّوايا ذات الصنائع العجيبة وأعمدة الرُّخام وألواحها المتعددة الغالية الثمن الَّتِي ابتناها السلطان أبو الحسن مخلد الآثار الدالة على شماخة الملك وعلو المقدار" ويضيف قائلاً عن الميضات : " وعدد الميضات اثنا عشرة ميضأة منها الميضأة الكبرى، ميضأة الجامع الأعظم بإزاء باب الزلّاتة أحد أبواب بحر أبي السول ، بها عدَّة بيوت وبوسطها صهريج كبير وأبدعها صناعة وأحكمها بناء ميضأة المدرسة الجديدة تحتوي على بيوت ثمانية ومظهرة كبيرة في كل منها نقيير من الرُّخام يصب

(1) محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 242 . علي بن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 412-413.

(2) محمد ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 406. مزاحم علاوي الشاهري : المرجع السابق، ص 216.

(3) أحمد الناصري : المصدر السابق ، ج3، ص175.

(4) العربي لقريز : مدارس السلطان أبي الحسن (مدارس سيدي أبي مدين نموذجاً - دراسة فنية وأثرية) ، مذكرة لنيل

شهادة الماجستير ، قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان ، 2011م ، ص ص 48-49 .

(5) محمد ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 406.

فيها مزاب من النُّحاس ...⁽¹⁾ ومن الأساتذة الذين درّسوا فيها آنذاك أبو عبد الله بن هارون المتوفي سنة (750هـ/1349م) والقاضي أبو محمد الزكندي وأبو عبد الله عامر الأنصاري⁽²⁾.

- مدرسة تازا : أشار إليها صاحب المسند بالقول : "فأنشأ مدينة تازا قديماً مدرستها الحسنة" وقيل أنها شيدت سنة (721هـ/1321م)⁽³⁾.

- المدرسة العظمى بمراكش : تعدّ من أهم المدارس المرينية التي شيدت في الفترة المدروسة، وقد أشار إليها ابن مرزوق عندما أشار إلى المدرسة الجديدة بسببته قائلا: "فمدرسة سبته غاية وأعجب منها مدرسة مراكش"⁽⁴⁾. وعن فضل هذه المدرسة يضيف الناصري قائلا: "من وقف على هذه المدرسة وتأمل تنجيدها وتنميقها قدر هذا السلطان وعلم عظم همته ومحبته للعلم وأهله"⁽⁵⁾.

- المدرسة المصباحية بفاس: تمّ تشييدها كذلك من قبل السلطان أبي الحسن المريني سنة (745هـ/1344م) بالقرب من جامع القرويين وقد عرفت كذلك بهذا الاسم نسبة إلى العالم الجليل "مصباح بن عبد الله" وهو أوّل من عين للتدريس فيها وتحتوي هذه المدرسة على مائة وسبعة عشرة غرفة وتحفظ بسقف جميل من خشب المنقوش، كما تمتاز بأناقة دهاليزها ، وقد جلب السلطان أبو الحسن لهذه المدرسة من الأندلس مجموعة من الرّخام الأبيض وزنها مائة وثلاثة وأربعون قنطاراً⁽⁶⁾.

- مدرسة سيدي أبي مدين بالعباد: قام بإنشاء هذه المدرسة أبو الحسن المريني بجانب المسجد في منطقة العباد من تلمسان سنة (747هـ/1346م) وأطلق عليها اسم المدرسة الخلدونية، ولعلّ ذلك راجع إلى تعليم ابن خلدون فيها⁽⁷⁾. وسُميت بمدرسة أبي مدين لأنّها شيدت بجانب ضريحه، وتعدّ من أجمل مدارس المغرب الأوسط والتي مازالت موجودة إلى يومنا الحالي، مكوّنة من طابقين⁽⁸⁾.

• مواد الدراسة: أمّا مواد الدراسة في المدارس المرينية فكانت تشمل الفقه والنحو والقراءات وثلاث منها كانت تحتل الصدارة في الدراسات المغربية عامة، بالإضافة إلى مواد أخرى كالعلوم الشرعية واللسانية

(1) محمد بن القاسم الأنصاري السبتي : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار ، تح : عبد الوهاب منصور ط2، الرباط ، 1983م ص ص 28-41.

(2) مزاحم علاوي الشاهري : المرجع السابق ، ص 221.

(3) محمد ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 406.

(4) إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ج2 ، ص 159.

(5) أحمد الناصري : المصدر السابق ، ج3 ، ص 175.

(6) عبد الله طويلب: الروابط الثقافية بين الدولة المرينية ودولة بني نصر في الأندلس (ق 07-10هـ/13-16م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة تلمسان ، 1430هـ - 2009م ، ص 59.

(7) العربي لقزير : المرجع السابق ، ص ص 56-59.

(8) أبو العباس الغبريني : المصدر السابق ، ص ص 55-56.

وبعض فروع الفلسفة على التفاوت بين المدن المذكورة، إلى جانب التصوف وعلم الكلام والرياضيات وعلوم الفلك والتاريخ، وعلوم الجغرافيا، حيث كان جامع القرويين وفروعه مركزا لنشر هاته العلوم⁽¹⁾.

ويرجع الفضل إلى المرينيين في الحفاظ على اللغة العربية واللّسان العربي، وذلك بتعميمها إلى أقصى حد ممكن على غرار دولة الموحّدين الذين كانوا لا يقدمون للخطابة أو الإمامة إلا من يحفظ التوحيد باللّسان البربري، بل الأذان للصلاة كان بالبربرية رغم استنكار الونشريسي صاحب "المعيار" النداء للصلاة بالبربرية، وإكمال الأذان بالعربية واعتبر ذلك من البدع⁽²⁾.

ويمكننا القول أنّ ظهور بني مرين ساهم في إرساء دعائم اللغة العربيّة وأصبح الظهور عاملا رئيسيا لانتشارها في لغة التخاطب (العامية) ، بالإضافة إلى الالتفاف المبكر للعناصر العربيّة حول يعقوب بن عبد الحقّ مؤسس الدولة ، وما يلفت الانتباه ففي الفترة المدروسة كثر العرب على حساب البربر في بلاد المغرب ممّا أدّى إلى تعزيز اللّغة العربيّة، وما يدل على انتشار التعريب شيوع قصائد العرب بالمغرب⁽³⁾. نستخلص ممّا سبق أنّ بني مرين قد أوجدوا لأنفسهم من خلال تشييد المدارس قاعدة فكرية وثقافية قامت في مدن بلاد المغرب الأقصى دون تمييز بينها سواء الصّغرى أو الكبرى، وامتدّ إشعاعها إلى كامل أرجاء بلاد المغرب الإسلامي حين وقوعها تحت سيطرتها، وكان لها أكبر الأثر في تخريج أجيال كثيرة وتكوين علماء .

• **المساجد** : تعدّ المساجد من أبرز المؤسسات التعليمية في الدولة المرينيّة ، وتكمن أهميتها في اتّخاذها أماكن للعبادة والتعليم وحفظ المؤلفات في خزائنها ، لكونها تحتوي على مدارس وزوايا ، وعددها كبير جدا ففي مدينة فاس وصل عددها إلى زهاء الثمان مائة، ولم يكن ذلك مقتصرًا على بلدان المغرب العربي بل شملت سائر الدول الإسلامية. ومن أبرز المساجد المرينية التي شيّدت خلال الفترة المدروسة الجامع الكبير؛ الذي تمّ تأسيسه من قبل السُلطان يعقوب المريني، حيث كمل بناءه سنة (677هـ/1279م) وأموال البناء من مداخيل معصرة مكناس وكذا اليد العاملة تمّ استقدامها من إسبانيا وهم في الحقيقة أسرى⁽⁴⁾.

(1) محمد المنوني : المرجع السابق ، ص 256.

(2) نفس المرجع ، ص ص 429-430.

(3) نفسه ، ص 431.

(4) نفسه ، ص 28.

• **إنشاء خزائن الكتب** : لقد أسهمت الجهود المرابطية وخاصةً الموحدية في مجال خزانات الكتب على عهد بني مرين فالتراث والإرث العلمي والأدبي الذي انتقل إليها عبر الدولتين يعتبر من العوامل التي أدت إلى ازدهار الخزنة المغربية المرينية⁽¹⁾.

فقد انهمك المرينيون ببناء المدارس المرفقة بخزانات الكتب وذلك لما لمسوه من عقلية منيرة ورغبة جامحة في القراءة والتثقيف لدى كل طبقات المجتمع المريني، ولم يقتصر التشييد على خزانات المدارس وإنما شيّدوا المكتبات في وسط المساجد الكبيرة بأهمّ المدن ، إلى جانب إنشاء الرّوايا بتموين مالي من قبل الخلفاء، وهذا يدلّ على أن الدولة المرينية استعملت مختلف إمكاناتها لتشيد الخزائن، ولو أثناء الاضطرابات والثورات .

كما حظيت المكتبات الملكية بأهمية من قبل الخلفاء، حيث كانت تزوّد بمؤلفات عدة ذات أصول مختلفة ، متنوعة النّطاقات فقد كان هؤلاء الخلفاء يقيمون علاقات مع ملوك آخرين لتبادل الكتب مثل : العلاقة التي كانت تربط الخليفة المريني أبي الحسن بنظيره المصري المملوك محمد قلاوون، خاصةً أنّ الخلفاء المغاربة عرفوا بموسوعيّتهم الفكرية وحبّهم للكتب، بالإضافة إلى تسخيرهم لكتاب مراسلين خاصين يتنقلون عبر مختلف العواصم مثل : القاهرة - مكة ، بهدف نشر واستتساخ الكتب التي كانوا يرغبون فيها⁽²⁾. وبذلك يمكننا القول أنّ المكتبات ارتبطت في اتّساعها بازدهار الحياة الفكرية وانتشار الكتب، فدراسة المكتبات في العهد المريني يؤدي بنا إلى معرفة واقعها ومميزاتها⁽³⁾.

- **خزانة الكتب الملكيّة** : رغم الحياة الفكرية المغربية الزاخرة على عهد بني مرين ، إلاّ أنّ معرفة الباحثين بالخزانة الملكيّة جدّ ناقصة ، ويعود ذلك لعدم اكتراث المؤرّخين المغاربة بثرواتهم، ماعدا بعض الإشارات المكتوبة في المخطوطات المهداة من قبل أصحابها للخلفاء، أو المنجزة بإشارة منهم. وتعود أغلب المخطوطات المهداة من قبل أصحابها إلى فترة حكم الخليفة يعقوب بن عبد الحق وابنه أبي يعقوب يوسف، الذين اشتهروا بوضع أسس مكتبة دولتهم الملكيّة التي زودها وأغناها ورثتهم⁽⁴⁾.

فقد كان يطيب للخلفاء أن يطلبوا من العلماء والأدباء أن يؤلفوا ويحرّروا لهم الرسائل والمؤلفات ذات مواضيع محددة بعينها وكانت دائما النسخة الأولى من المؤلف موجهة إلى خزائن الملك مباشرة وعلى هذا المبدأ توجه الخليفة أبو سليم إلى كاتب المجلس الملكي أبي القاسم ابن الرضوان طالبا منه تأليف كتاب يخص سياسة الملوك، فألف له في غضون فترة زمنيّة عملا سماء " الشّهب اللامعة في سماع السّياسة الجامعة" . ومن أبرز المخطوطات التي ألّفت في نفس الفترة مخطوط " إعمل من طب لمن حب" لابن الخطيب ، كما طلب كذلك الخليفة أبو عنان من كاتبه ابن الجوزي كتابة مخطوط " رحلة

(1) أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص 85.

(2) نفس المرجع ، ص 86.

(3) نفسه ، ص 86.

(4) نفسه ، ص 87.

ابن بطوطة" التي كان يسعى إلى وضعها في الخزانة الخاصة الملكية⁽¹⁾. وقد وصلت الخزانة الملكية على عهد السلطان أبي عنان أوجها وذلك لتفانيه في خدمة الأدب وجمع الكتب، حيث امتلك مكتبتين أكبرهما في القصر الملكي بفاس، والثانية متنقلة كانت لا تفارقه أبداً أينما كان⁽²⁾.

وقد أخبرنا الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي عن مؤلفات خزائن الكتب التي تعود إلى عهد الخليفة أبي عنان قائلا: "رأيتُ تأليف القاضي أبي بكر بن العربي في تفسير القرآن المسمى (أنوار الفجر) كاملا في خزانة السلطان الملك العادل أمير المسلمين أبي عنان فارس ابن السلطان أمير المسلمين أبي الحسن علي ابن السلطان أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الحق وكان السلطان أبو عنان آنذاك بمدينة مراكش، وكانت له خزانة الكتب يحملها معه في الأسفار، وكنت أخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها، فعددت الأسفار هذا الكتاب، فبلغت عدتها ثمانين مجلداً ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء"⁽³⁾.

ومن المؤلفات التاريخية التي تمَّ إهداؤها كمخطوط إلى الخليفة يعقوب أبي يوسف كتاب (الذخيرة السنوية) الذي طلب تأليفه من قبل الخليفة المذكور آنفاً، ولا زالت مخطوطات عدّة تحمل إهداءات موجهة إلى هؤلاء الخلفاء محفوظة في رفوف خزائن الكتب بالمغرب أو في الخارج، كما نجد في بعض المكتبات نسخ من القرآن الكريم، بالإضافة إلى نسخة "شمائل الترميذي" إهداءات باسم الخليفة المريني أبي سعيد محفوظة أولهما في المكتبة العامة في الرباط والثانية في الخزانة الوطنية بتونس، كما عرفت المكتبة الملكية على عهد السلطان أبي فارس احتواء عدّة مخطوطات مثل "الدوحة المشتبكة" للمديوني⁽⁴⁾.

كغيرها من المراحل التاريخية فقد شهدت المكتبة المرينية الملكية اعتناء كبير بتبادل الكتب بين الخلفاء وملوك الأقطار الأخرى، ومن ذلك يشير (صاحب الاستقصاء) إلى أنّ الخليفة أبي الحسن المريني كان يتبادل الكتب مع الناصر محمد قلاوون من مصر بالقول: "فأجمع السلطان أبو الحسن حينئذٍ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخطّ يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة قريبة إلى الله تعالى وابتغاء للمثوبة فاستنسخها بيده وجمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها وضع لها وعاء مؤلفاً من الآبنوس والعاج والصندل...، وأخرج من خزائنه أموالاً عينها لشراء الضياع

(1) أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص 88. وإبراهيم حركات: المرجع السابق، مج2، ص181.

(2) أحمد شوقي بنين: نفس المرجع، ص، ص 88.

(3) ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث القاهرة، 1972م، ص 255.

(4) أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص 89.

بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها ، وأوفد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل: عريف بن يحيى⁽¹⁾.

أمّا عن تنظيماتها فيشير صاحب "جنّى زهرة الآس" إلى اعتلاء بعض القيمين كمحافظين على رأس خزائن الكتب الملكية على عهد المرينيين، رغم قلّة اهتمام المؤرّخين المغاربة بذكر هؤلاء ومن الإشارات التي أنبأنا بها الجزنائي أنّ الخليفة المريني أبي عنان عيّن قتيماً على رأس مكتبة القرويين سنة (750هـ/1349م) وذلك بقوله: "وعيّن لها من ينفرد بإخراجها من هذه الخزانة وإبرازها..."⁽²⁾. لكن لم تصلنا معلومات على تواجد بناءات خاصة واضحة تتعلّق بخزانات الملوك أو خزانات المساجد أو الجوامع وهذا لا يعني أنّها لم تكن تتوفر على محل خاص⁽³⁾.

- **الخزانات الخاصّة** : وصل المجتمع المغربي إلى درجة من الثقافة والوعي بفضل الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وبذلك أضيفت إلى خزائن الكتب الملكية خزائن خاصّة بالأمرء والوزراء، وكذا الأدباء والقضاة والشخصيات البارزة ، وهي على النحو الآتي :

- **خزانات الأمرء** : أبرز الخزانات الأميرية على عهد الدولة المرينية "خزانة العزفيين" أمرء سبته وهي خزانة القاضي أبي العباس السبتي وصاحبها أحمد ابن القاضي محمّد بن أحمد المليجي ثمّ العزفي بسبته، وذكرت في ظلّ ذكر كتاب "الدّر المنظم في مولد النبي المعظم" الذي استنسخ برسم الخزانة الخاصّة لأمرء سبته أبي القاسم بن أبي العباس العزفي⁽⁴⁾.

- **خزانات كتب الوزراء** : يدلّ وفرة خزائن كتب خاصّة بالوزراء على مدى أهميتها في تعزيز مكانته بالدولة وبعضهم امتلكها قبل اعتلائه الوزارة، كما أن الملوك كانوا يحثون الكتاب على تأليف ما يرغبون فيه من كتب، وعلى هذا النحو كلّف الوزير والعالم المريني أبو زيد عبد الرّحمان القبيلي المكودي على شرح منظومة ابن مالك فأنجز العمل وأهدى أوّل نسخة إلى مكتبة الوزير⁽⁵⁾.

- **خزانات كتب الأدباء والقضاة والشخصيات البارزة** : تبين أغلب المصادر أنّه لا وجود لمتقف لا يملك خزانة كتب ابتداء من بداية القرن (8هـ/14م) ومن ضمن المكتبات المشهورة في العهد المريني نذكر مكتبة العلامة عبد المهين الحضرمي كاتب الأمير يحيى بن الأمير أبي طالب العزفي السبتي والأمير السعيد

(1) أحمد الناصري : المصدر السابق ، ج3، ص127.

(2) علي الجزنائي : المصدر السابق، ص ص 75-76.

(3) أحمد شوقي بنين: المرجع السابق، ص 103.

(4) نفس المرجع ، ص 108.

(5) نفسه ، ص 109.

بفضل الله أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين المنصور بالله أبي الحسن علي - رحمه الله - وهو فخر الكتاب والعلماء وصدر الصدور الكرماء⁽¹⁾.

اللافت للانتباه أنّ خزانات المكتبة الخاصة على عهد بني مرين تتميز بتشابه المجموعات وتواجدها في كل مكان سواء لاحتوائها كتب الآداب إلى جانب أصول الدين أو التاريخ أو كتب الفلسفة وعلم المناقب وكتب التصوف والكتب العلمية، بالإضافة إلى تميزها كذلك بميزتين هامتين ألا وهي :

- إتاحة الفرصة للكتاب والأدباء لدخولهما. - تسيير إغارة الكتب⁽²⁾ .

- **خزانات الكتب العمومية** : بعدما شهد المجتمع المريني ازدهارا فكريا كانت الحاجة ماسة لخزانة كتب عامّة تجذب عامّة الناس ابتداء من النصف الثاني من القرن (7هـ/13م) ، فذلك تولى أولوا الأمر الذين شعروا بمسؤولية تحصيل المعارف لشعب طموح تأسس مكتبات عمومية، كل جامع أو مسجد كبير في المملكة قد خصّ بخزانة كبيرة مجهزة موسعة يمكنها استقبال أكبر عدد من طلبة العلم وقد وصلت خزانة الكتب العامّة أوجها في الفترة المذكورة آنفا وأبرزها مايلي :

- **خزانات كتب المساجد والجوامع** : منذ وصول الملوك المرينيين إلى سدرة الحكم شهدت خزانات الكتب العامّة في المساجد والجوامع انتشارا واسعا في مختلف أرجاء المغرب ويمكننا الاستشهاد ببعض النماذج من ضمن خزانات مساجد وجوامع المدن الرئيسية في المملكة المرينية مثلا⁽³⁾ :

- **خزانة كتب جامع القرويين** : بالرغم من إشارة أغلب المصادر إلى التاريخ الحقيقي لتأسيس جامع القرويين إلا أنها تحجم عن ذكر الفترة التي أرفق فيها الجامع ببنائة خاصة بالمكتبة ، ومن هذا المبدأ يمكننا أن نوافق التاريخ المذكور عن التأسيس والشهرة التي اكتسبها الجامع، لكننا نؤكد أنها لم تكن مرفقة بمجموعات من الكتب، ويعود مشروع إقامة مكتبة القرويين إلى العاهل المريني أبي عنان وذلك سنة (750هـ/1350م) مزوّدا الجامع بمكتبتين مكتبة أطلق عليها خزانة الكتب. وفي ذلك يقول الجزنائي: "وأما خزانة الكتب التي يدخل إليها من أعلا المستودع الذي بالجامع ، فإنه لما كان من شيم المتوكل أبي عنان رحمه حبّ العلم وإيثاره والتهم به والرغبة في انتشاره والاعتناء بأهله ومحتمليه"⁽⁴⁾.

شملت مختلف العلوم منها الدين والطب والفكر والتاريخ، ثانيا في جيوب الجامع سماه بخزانة المصحف للطلبة المبتدئين والراغبين في التلاوة ، ويضيف الجزنائي قائلا: " وأما خزانة المصاحف التي

(1) إسماعيل ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن من كتاب نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان ، تح : محمد رضوان الذاية ، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1976م ، ص 224.

(2) أحمد شوقي بنين : المرجع السابق ، ص ص 109-110.

(3) نفس المرجع ، ص 116.

(4) علي الجزنائي: المصدر السابق، ص 76.

جعلها مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله في قبلة صدر هذا الجامع فإنه صنعها لما سهله على الناس من تلاوة القرآن في الوقت المتخير من الأزمان⁽¹⁾.

- خزانات كتب المدارس : تزامن تأسيس كتب المدارس مع التطور الحضاري في بلاد المغرب نهاية القرن (7هـ/13م) وخلال القرن (8هـ/14م) وأغلبها صيغت بصيغة مؤسسات خيرية خاصة بالمدن العتيقة كفاس ومراكش وأبرزها خزانة مدرسة الصفايين⁽²⁾.

- خزانات كتب الزوايا : أطلق اسم الزوايا إلا في القرن (7هـ/13م) فلذلك شيّد الملوك المغاربة عدة زوايا في مختلف مدن المغرب خاصة بالمهاجرين المعدمين والطلبة المؤخرين، وأشار ابن مرزوق إلى الزوايا التي بناها العاهل المريني أبي الحسن بالقول : " قلت : والظاهر أنّ الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين"⁽³⁾. وتمتاز هذه الزوايا بتنوع كتبها ومواضيعها .

وفي الأخير يمكننا القول أنّ ؛ للاستقرار السياسي الذي ساد حكم الدولة المرينية أثر في تحقيق نهضتها الفكرية والعلمية خلال الفترة (646 - 760هـ/1248 - 1358م) ، بالإضافة إلى تشجيع واهتمام السلاطين للمتقنين والمؤرخين مما أدى إلى ظهور العديد من المؤرخين اللامعين في كتابة التاريخ الإسلامي بالمغرب العربي خلال الفترة السابقة الذكر، كما عاشوا في البلاط المريني أمثال : ابن خلدون وابن أبي زرع . وكذا بروز كبار الرّجال مثل : ابن بطوطة وابن رشد؛ حيث لمعت كلماتهم وأقوالهم في جلسات علمية ومناظرات ثقافية كانت تعقد من قبل السلاطين ، إلى جانب بناء العديد من المؤسسات التعليمية والمكتبات التي تحتوي على الكتب العلمية النفيسة التي اعتمد عليها طلاب العلم وكان أول السلاطين الذين أبدوا اهتماما بالمكتبات لحفظ المؤلفات السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني .

و- قراءة للعلوم السائدة في المغرب الأقصى: وفي هذه الدراسة سنتتبع العلوم السائدة في الدولة المرينية وهي على النحو الآتي:

- المذهب المالكي : ولع الشعب المريني وسلاطينهم بالمذهب المالكي، خاصة أن هذا الأخير قد استعاد مكانته بعد ما تعرّض إليه على يد الموحدين الذين صادروا كتبه ومؤلفاته. فأبو الحسن المريني أحد السلاطين الذين حرصوا على قراءة المؤلفات المالكية، كما أنّ السلطان أبو عنان المريني قام بتجديد

(1) علي الجزنائي: المصدر السابق، ص 76.

(2) أحمد شوقي بنين : المرجع السابق ، ص 131.

(3) ابن مرزوق التلمساني : المصدر السابق ، ص 413.

ضريح الشَّيخ أبي ميمونة دارس بن إسماعيل⁽¹⁾. وازداد عدد العلماء المرينيين العاكفين على مجالس علماء المذهب المالكي على رأسهم العالم عبد الرَّحمان بن عفان الجزولي، الَّذي احتضنت مجالسه أكبر عدد من العلماء حوالي ألف فقيه مالكي⁽²⁾.

إنَّ عُدْنَا إلى المدارس المرينية فإنَّ المذهب المالكي كان محور تعاليمها، ومن بين المدرسين العالم أبو محمد عبد الله القشتالي - مدرِّس بمدرسة الحلفاوين - ؛ وكان يدرِّس " مختصر مدوَّنة للبرادعي " ، والشَّيخ أبو الحسن الصغير الَّذي كان يدرِّس المذهب المالكي بجامع الأصدع في فاس، حيث أثار نقاشاً علمياً وردود فعل علمية منها كتاب " نصرَةُ الفقير في الرَّدِّ على أبي الحسن الصغير " لأبي عبد الله محمَّد بن يوسف الشَّنوسي، دون أن ننسى دور تلميذه إبراهيم بن عبد الرَّحمان الستولي مدرِّس المذهب في عدوة الأندلس إلى جانب أحمد بن أبي محمَّد قاسم بن عبد الرَّحمان الشهير بالقباب الَّذين طاف جوامع بفاس والمدينة البيضاء وبالجامع الأعظم بفاس⁽³⁾.

• **العلوم الدينية:** وقد انعكس ذلك الوضع إيجاباً على المرينيين، حيثُ شهد عصرهم إزدهارا في العلوم الدينية من تفسير وحديث، وفقه خاصةً بعد أن تشبَّعت الرُّوح الدِّينية المرينية بالمذهب المالكي رغم أن بعض العلماء كانوا على دراية بالمذاهب الأربعة. لكن يبقى المذهب المالكي هو الأرجح ومن بين هؤلاء العلماء الفقيه المريني أبو محمَّد عبد الله الورياعي⁽⁴⁾. كما اهتم الموحدون المرينيون بعلماء التفسير والدراسات القرآنية باعتبار هذا الأخير المصدر الأوَّل للشريعة الإسلامية، فحفظ العديد من السُّلاطين القرآن الكريم ومن أمثال ذلك: عبد المؤمن السُّلطان أبو عنان⁽⁵⁾ فيما بعد الَّذي يروي عنه الكتاني: "أنَّ أبا عنان استدعى محمَّد بن إبراهيم الصغار المراكشي لتدريسه القرآن برواياته السَّبْع"⁽⁶⁾.

(1) ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، تر: عبد الرحمان البدوي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981م ، ص 322.

(2) نفس المرجع ، ص 323 . محمد بن جعفر الكتاني(ت 1345هـ/1927م) : الأزهار العطران الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ط حجرية ، فاس ، 1314هـ ، ص 124 . ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق ، ص 258 .

(3) الكتاني : نفس المصدر، صفحات 48 - 56 - 57 . ابن القاضي المكناسي : نفس المصدر ، ص 84 .

(4) ابن عساكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، ط فاس ، 1314 هـ ، ص 27 .

(5) الكتاني : المصدر السابق ، ص 276 - 277 . أحمد الناصري : المصدر السابق ، ج3 ، ص 201 .

(6) الناصري : نفس المصدر ، ص 201 .

من علماء تفسير القرآن الكريم في العصر المريني محمد بن يوسف بن عمران المزدغي(ت 655هـ/1257م) له كتاب " تفسير القرآن"، وكذا محمد العابد الأنصاري(ت762هـ/1362م) صاحب "مختصر التفسير للزمخشري"، دون أن ننسى ابن مرزوق الذي كان مشاركاً "تفسير القرآن" (1).

وازهرت العلوم المتصلة بالقرآن الكريم، مثل القراءات في العصر المريني؛ بفضل جهود العديد من العلماء أمثال: أبو عبد الله الشريشي الحراز(ت718هـ/1415م). وأبرز تأليفه منها رجز بعنوان "مورد الظمان في رسم أحرف القرآن"، كما برع شيخ القراءات أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي(ت سنة 730هـ/1329م)، وأبرز تأليفه "المنابع في قراءة نافع"، وكان الأستاذ ميمون الفخار (ت816هـ/1413م) مميّزاً في تأليفه عن علوم القرآن رسماً وقراءة منها؛ "التحفة"، و" الدرّة والمورد المروي في نقط المصحف العلي" ومن تلامذته أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجاديري(2).

- علم الحديث: تطوّر علم الحديث في العصر المريني؛ باعتباره المصدر الثاني للشريعة الإسلامية حيث ذكر الزركشي أن من أوائل علماء الحديث الحافظ عبد المهين الحضرمي، الذي كانت له أربعينيات في الحديث(3). وقد عرف علم الحديث رواجاً في العصر المريني؛ حيث تواجد فيه العديد من المتصوفة أمثال: ابن عاشر الذي كسب من نسخ الكتب، وبيعها التي تتعلق بالحديث مما توسع نطاق الحديث أكثر فأكثر كما أنّ بعض الأهالي ساهموا في نشره عن طريق تحفيظ أبنائهم الصغار أحاديث مقابل درهم(4).

أغلب العلماء الذين اشتهروا في هذا المجال ابن رشد(ت721هـ/1321م) شيخ المحدثين في العصر المريني صاحب رحلة: "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطيبة"(5)؛ وهو أحد المحققين من الأحاديث بعلم شتّى، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن المعروف بالقباب(ت778هـ/1376م)، الذي له مجلس كبير في الحديث حضره لسان الدين ابن الخطيب، ومن آخر المحدثين رواية يحيى بن أحمد بن أحمد السراج(ت805هـ/1402م)(6).

- الفقه : شهد علم الفقه تقدماً كبيراً في العصر المريني، بفضل الفقهاء الدّشيين تفوقوا فيه بمؤلفاتهم وبمكانتهم في البلاط المريني التي أرجعت لهم بعد أن فقدت طيلة العصر الموحيدي، حيث تولى البعض

(1) الكتاني: المصدر السابق ، ص 138 .

(2) نفس المصدر، صفحات 114 - 157 - 147 - 60.

(3) كان له دور بارز في تدريس الحديث في مجالس علمية بتونس أيام تواجد المرينيين بها . أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحيديّة والمرابطية ، تح : محمد ماضود ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966م ، ص 86 . ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق ص 279.

(4) ابن القاضي المكناسي: نفس المصدر ، ص 78 .

(5) محب الدين ابن رشد الفهري : ملء العيبة في جمع طول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطيبة ، تح : محب الحبيب بن خوجة ، طر، دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص الواجحة .

(6) ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق ، ص ص 60 - 335 .

منهم القضاء، الخطابة، الإفتاء وغيرها من المناصب. ومن أشهر علماء الفقه في العصر المريني محمّد بن محمّد ابن أحمد المقرئ (ت750هـ/1349م)⁽¹⁾. فقد اشتهر علماء عصره باتباعهم لطريقة المختصرات خاصّة أحمد بن قاسم بن عبد الرّحمان الجذامي الذي عرف بالقباب (ت778هـ/1376م)⁽²⁾ الذي عارض ابن بشير، وابن الحاجي ممّا أدّى إلى ظهور حساسيات بين هؤلاء ليس فقط بفاس، وإنّما حين لقاءهم في مراكز علمية مغربية أخرى .

• العلوم الأدبية والعلمية : لم تقتصر الحياة الفكرية بفاس على العلوم الدينية فقط، وإنّما مسّت جوانب أخرى مثل اللّغة والنّحو، والتاريخ، والسير، والرّحلات، والجغرافيا، والفلك، والفلسفة، والطب . وفي هذه الدّراسة سنتّبع كيف أدّكت هذه العلوم تعدداً على الحياة الفكرية المرينية:

- اللّغة والنّحو : بذل علماء اللّغة العربية جهوداً تابعة للعصور التي سبقت العصر المريني والغرض الأساسي منها معرفة أسرار اللّغة ومعانيها، ومن هؤلاء العلماء الأدبي واللغوي أبو عبد الله محمّد بن محمّد المعروف بابن البقال (ت725هـ/1324م)⁽³⁾ إلى جانب محمّد بن يحيى العبدري المعروف بالصدفي⁽⁴⁾. كما اشتهر علماء النّحو في العصر المريني بمؤلفاتهم مثل: ابن آجروم صاحب المقدمة المشهورة بالأجرومية ومن النّحات الذين برزوا في العصر المريني عبد الرّحمان بن صالح بن علي المكودي (ت807هـ/1404م) صاحب ألفية ابن مالك⁽⁵⁾.

- الرّياضيات : بقي نصيب علم الرّياضيات ضمن العلوم الأخرى ضئيلاً أيّام المرابطين والموحدين على غرار المرينيين، والدّلّيل على ذلك الحركة المتطوّرة للبناء أيّام المرينيين؛ حيث تقدّمت وتطوّرت العديد من الآلات والأجهزة العلمية. ومن أبرز علماء الرّياضيات محمّد بن علي بن عبد الله بن الحاج (ت714هـ/1314م) ، كما برع الرّياضي محمّد بن الشّيخ الكبير في الحساب وفي نفس الاختصاص أحمد بن عبد الله العطار المتوفي (ت741هـ/1340م)⁽⁶⁾ .

- الفلسفة والمنطق والطب : لقد رحّب السّلاطين المرينيين كثيراً بعلماء المنطق أمثال : ابن البناء أكثر من الفلاسفة الذين مقتوا كمحمّد بن سعيد بن محمّد بن شعيب النّجار الفاسي (ت778هـ/1376م) الذي عرف باختصرات هو إذا تساءلنا لما هذا المقت من قبل السّلاطين للفلاسفة، فسنجيب حسب نظرة القارئ وهو أنّ الفلاسفة كانوا أكثر تدخلاً وفلسفة عن الدّولة وشؤونها . أمّا علم الطب فقد اهتمّ سلاطين الدّولة

(1) ابن مريم التلمساني: المصدر السابق ، ص 155 .

(2) ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ص 60 .

(3) إبراهيم حركات: المرجع السابق ، مج1، ص 139 .

(4) ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق ، ص 138 .

(5) عبد الرحمان المكودي الفاسي المالكي: شرح ألفية ابن مالك ، ط1 ، شركة دار المشاريع ، بيروت (لبنان)، 2005

ص 04 .

(6) ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ص 147 .

المرينية به كثيراً، وهذا دليل على اهتمامهم كذلك بصحة المواطنين. ومن أشهر أطباء الدولة المرينية ومؤلفاتهم العالم أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي المعروف بابن شعيب (ت749هـ/1348م) أمّا أشهر المؤلفات مؤلف ابن الخطيب بعنوان "اعمل من طب لمن حب" (1).

- **الأدباء والشعراء** : شهد هذا المجال تطوراً وازدهاراً بفضل حركة تشجيع من قبل سلاطين بني مرين وأمرائهم للأدباء والشعراء، فحوّلت الكثير من المعارك من الدماء إلى كلمات ذات معاني صاخبة فبذلك لمعت حلقة من الأدباء والشعراء أمثال : أبي عمرو بن الرباط الذي أرسل قصيدة إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق بعد واقعة (زنتة) يقول فيها :

هل من معيني في الهوى أو منجري
من متهم في الأرض أو من مُنجد

كما توالى رسائل رد جوابا على رسائل أخرى، مثل ردّ السلطان يعقوب بن عبد الحق على رسالة ابن الأحمر بنظم شاعره عبد العزيز الملزوزي " لما نصه لبيك لا تخشى اعتدى المعتدي وغيرها " .
واللآفت للانتباه أن السلطان أبو عنان المريني استقبل العديد من الشعراء أمثال الخليلي الذي قدم سفيراً، لكن أغلب قصائده كانت قصيرة سواء هو أو غيره من الشعراء. كما نستخلص أنّ الأدب لم يختصر بالشعراء الأدباء فقط، وإنما حتّى العامة كان لهم النصيب من التأليف وقول الشعر، فتعددت أغراض الشعر التي تناولها شعراء عصر بني مرين منها الرثاء كرتاء أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني للجارية الرومية يصف ويرثي فيها جمالها بقوله :

يا قبرٍ صبح حلّ فيك
بمهجتي أسنى الأمانى (2) .

وقد منحّت تلك العلاقة المرينية بفاس مع شعراء الأندلس الذين وفدوا إلى البلاط ملكات أدبية ومعرفية خاصّة بين رقة الأندلسيين وجزالة المغاربة وعلى رأس هؤلاء لسان الدين بن الخطيب أشهر هؤلاء الشعراء الأندلسيين الذين عاشوا طويلاً في ربوع المغرب والدولة المرينية، اشتهر بنونيته الشعرية، ومن بين قصائده مدحه للسلطان أبي سالم المريني حين فتح تلمسان بقوله :

أطاع لسانى في مديحك إحسانى
وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان (3)

إلى جانب هؤلاء ظهر أدباء تقننوا في النثر، وفن المقامات منها " مقامة الافتخار بين العشر الجوار " لعبد المهين الحضرمي. لكن ما نلاحظه أنّ الشعراء الأندلسيين كانوا السبب في بعث الحركة

(1) ابن القاضي الكناسي : المصدر السابق ، ص ص 57 - 58 .

(2) أحمد المقرئ: نفع الطيب ، ج 5 ، ص ص 37 - 40 .

(3) نفس المصدر ، ج 5 ، ص ص 37 - 40 .

الأدبية في فاس خاصة بعد الخمول الذي عرفته المنظومة الأدبية على يد بعض السلاطين المرينيين الذين عرقلوا نشاط الكثير منهم، خاصة ما ينافي مبادئهم الدولية⁽¹⁾.

مما سبق يمكننا القول أن: الحياة الفكرية والعلمية ببلاد المغرب الأقصى تطوّرت ونمت بفضل عوامل داخلية وخارجية لكون السُلطة المرينية انتهجت منذ أن وطئت أقدامها سياسة الجذب والاستقطاب من جهة ومن جهة أخرى ساهمت الخلفية المذهبية الدعوية في تنويع المصادر منها التاريخية خاصة وأنها شملت خلال الحقبة التاريخية محل الدراسة مدن حضارية احتوت كبار العلماء والمؤرخين (مثل فاس)؛ التي تعدّ مركز الفكر والثقافة آنذاك ليس بالمغرب الأقصى فحسب وإنما بالمغرب الإسلامي قاطبة إلى جانب حواضر أخرى كتلمسان والقيروان.. وغيرهما.

المبحث الثاني: التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط ومناهجه

مثلت الفترة التاريخية الممتدة من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى غاية التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) مرحلة انتشار حركة التأليف التاريخي ببلاد المغرب الإسلامي عامة (المغرب الأدنى - المغرب الأوسط، المغرب الأقصى)، فقد اعتبر ذلك انعكاسا لتطور النشاط الفكري الذي شهدته المنطقة تمّ التطرق إلى ذلك في المبحث الأول، وتبرز الكتابات التاريخية كإحدى أهم أنواع التأليف، خاصة وأنها تكوّن الصورة الشاملة عن مختلف جوانب الحياة (السياسية - الاجتماعية - الاقتصادية). والأكثر الحياة الفكرية والثقافية للمجتمع الإسلامي⁽²⁾.

وفي هذا المبحث ارتأينا التطرق للتدوين التاريخي الذي دوّنه المؤرخون المغاربة واستشعار النماء الثقافي التاريخي، لكون أغلب الدراسات والمصادر التي بين أيدينا تؤكد اكتساب التاريخ مكانة مرموقة عند النخبة المثقفة أو السُلطة أو المجتمع في المغرب الإسلامي. ومن هنا نتساءل: فيما تتمثل أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار الكتابة التاريخية ببلاد المغرب الإسلامي في الفترة الممتدة ما بين (ق7-9هـ/13-15م)؟ مبرزين أهمّ المؤرخين وكتابتهم المتنوعة المواضيع والحقول؟. ومن خلال الدراسة نتوصل لمعرفة أهمّ سمات وخصائص هذه الكتابات؟. وهل تعدّ إنتماءً للمشرق أو حضور مغربي محض؟.

1-1- دوافع الكتابة التاريخية بالمغرب الأوسط ما بين (ق7-9هـ/13-15م):

التاريخ تناغم بين الإنسانية والكون في ظلّ الحقائق والريب والشكّ يشمل في طياته مختلف العلوم فهو يدرس جذور تلك العلوم فيقال: تاريخ الأديان، تاريخ الأدب، تاريخ المجتمع، تاريخ الاقتصاد وغيرها. والمعروف عند العرب والمسلمين أنّ علم التاريخ خصّ بعناية بالغة من قبلهم لميلهم إلى معرفة مصائر

(1) أحمد المقرئ: فنح الطيب، ج5، ص 40.

(2) سمير مزري: الكتابات التاريخية (البداية، التطور، أنواع الكتابات)، مجلة كان التاريخية، دورة إلكترونية، ديسمبر

2016، السنة التاسعة، ع34، ص 148.

الأمر السابقة وحوادث زمانهم، وكذا اهتمامهم بالأنساب، فرووا أخبارهم وجمعوا روايات عن ذلك وهذا فطرة عربية قائمة على معرفة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخبار الفتوحات الإسلامية وتواريخ الخلفاء والدول دون أن ننسى الاهتمام بمعرفة الأنساب العربية⁽¹⁾. من هنا يمكننا القول أن الاتجاه الأولي للتاريخ ديني كما يعني هذا أن هذا العلم تطوّر وازدهر ليتعدى ذلك من الحديث تدريجياً ليصل إلى ما يعرف حالياً بعلم التاريخ ، الذي شمل بعد ذلك حقول عدّة منها: السير والمغازي، الأنساب والأديان والطبقات والتراجم الحوليات ، تواريخ المدن ، التاريخ المحلي... وغيرها كثر⁽²⁾.

انتهج المؤرخين المغاربة - المغرب الأوسط - ، خلال العهد الزياني نهج سابقهم ، سواء كان دعاة الإباضية مثل: أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوريثاني(ت471هـ/1078م) صاحب تاريخ ما يسمى "سيد الأئمة وأخبارهم"⁽³⁾. أو المؤرخين الحمّاديين مثل : أبي عثمان بن الأصفر(ت460هـ/1067م) صاحب كتاب "تاريخ تلمسان"⁽⁴⁾ وغيرهم وطيلة الفترة الموحدية كأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالسبق (ت555هـ/1160م) صاحب كتاب "أخبار المهدي بن تومرت" وبداية "دولة الموحدين"، وكذلك كتاب "المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب"⁽⁵⁾.

أ- دوافع الكتابة التاريخية الدينية والثقافية والعلمية:

هناك مجموعة من المصادر تؤكد أن الحاجة الفكرية والعلمية كافية لكتابة التاريخ خاصة وأنها تأثرت بالدين الذي ساد عقول المجتمع الزياني آنذاك، لذلك وجّه المؤرخون اهتماماتهم لتاريخ هذه العلوم

(1) قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي ، ط1 ، دار الفكر اللبناني للطباعة ، بيروت ، 1990 ، ص 09.

(2) عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص466.

(3) يشير المحقق الذي حقق هذا المؤلف بالقول أن المعلومات عن شخصه قليلة ما عدا ما جاء به الدرجيني، والشماخي كونه من الأفاضل النقاة الذين لديهم نظر طويلة في مختلف العلوم ، توجه إلى ورجلان مع نفر من أصحابه ثم عاد. أبي زكرياء يحيى (ت471هـ): كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء ، تح: إسماعيل العربي ، دط ، المكتبة الوطنية ، الجزائر، 1979 ، ص13.

(4) لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح: محمد عبد الله عنان ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1973 ، مج1 ، ص83.

(5) يعتبران من المؤلفات التي ألّفت في عهد الدولة الموحدية ، تناول فيهما البيدق أخبار المهدي بن تومرت ابتداءً من تونس معرجا على رحلته المشرقية ، وأخبار نضال الموحدين ، وكذا تأسيسهم لدولتهم ، مبيناً دورة في ذلك . أبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق : كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور ، دط ، دار المنصورة للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 ، ص ص 05 - 06.

وتطويرها سواء كان تاريخ التفسير أو الحديث أو الفقه من جهة، وتاريخ العلوم العقلية من جهة أخرى. وإن تمكّن المؤرّخ من الإلمام بها ستساهم في تحقيقه لإنتاج فكري وفير⁽¹⁾.

رغم أنّ السياسة الزّيانية أولت عناية بالجانب العلمي، إلاّ أنّها صبغت بصبغة فقهية، من خلال الاهتمام بالفقه المالكي وفروعه، فمن خلال تطرقنا للعوامل المتحكمة في ازدهار الحياة الفكرية والتاريخية أثبتنا دور العلماء في تطوير هذه المجالات، ومن بينهم المؤرّخين⁽²⁾.

مارس المؤرّخون تفسير القرآن الكريم للطلبة في المدارس والمساجد بقسميه، بهدف معرفة تاريخ العرب والأمم الماضية من خلال الإحاطة بأسباب وظروف نزول آياته. كما أنّ الحديث فقد وجدت له مكانة مرموقة لدى المؤرّخين على مقارنة الأحاديث ببعضها البعض وضبط أسانيدّها إلى مؤلفيها حيث دام ذلك إلى غاية فترة المؤرّخ الفذّ عبد الرّحمن ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، حيث نلاحظ تراجع من حيث اهتمام المؤرّخين بهذه العلوم الدينية - الحديث خاصة- ، لأنّ السّابقين لهم تطرقوا لمختلف المواضيع ولم يتركوا للمتأخرين ما يثمن النظر فيه، وأصبحت مهمتهم تصحيح الكتب المصنّفة وضبط روايتها. حيث يشير ابن خلدون إلى مساهمة العلماء والمؤرّخين قبل الفترة محل الدّراسة قائلاً: "وقد ألف النّاس في علوم الحديث وأكثروا"⁽³⁾.

أمّا عن الفترة محل الدّراسة فيقول عنها: "وقد انقطع العهدُ تخريج شيء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين إذ العادة تشهد بأنّ هؤلاء الأئمة على تعدّدهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا شيئاً من السنّة أو يتركوه حتّى يعثر عليه المتأخر، هذا بعيدٌ عنهم". مثل : ابن مرزوق الخطيب صاحب كتاب "تيسير المرام"⁽⁴⁾. وإذا قارنا علم أصول الفقه ودراسات المؤرّخين في هذا المجال نلاحظ أنّ القرون الثلاثة (ق7-8 هـ/13-14-15م) مختلفة النشاط والمصدر إذ أنّ المؤرّخين اكتفوا بشرح وتلخيص بعض كتب الأصول مثلهم مثل العلماء الذين يمثلون ركيزة التخصص باعتبار لبعض منهم أظهرت مؤلفاتهم التاريخية النزعة الدينية التي ينتمون إليها⁽⁵⁾.

كما أنّ كتابات المؤرّخين خلال العهد الزّيانى كان الغرض منها تتبع الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع التلمساني وكذا الأحوال الفكرية، فذلك تعدّدت حقول التّأليف التاريخي بين الحنين

(1) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 39.

(2) نفس المرجع ، ج 1 ، ص ص 120_121.

(3) ابن خلدون : المقدمة ، ج 2 ، ص 180.

(4) نفس المصدر ، ج 2 ، ص ص 180-181. العسقلاني : إنباء العمر ، ج 1 ، ص 206.

(5) مصطفى شاكر : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 62.

إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وتتبع حياة الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الزياتي.

ب- دوافع الكتابة التاريخية السياسية :

اهتم السلاطين بني زيّان بالتاريخ منذ تأسيس الدولة لغاية سياسية وحضارية وعسكرية، فألفوا كتاباً بأنفسهم، كما اهتموا بجماعة من المؤرخين التلمسانيين أو الوافدين إلى تلمسان بهدف تدوين مصنّفات في تاريخ الدولة وحضارتها. حيث شملت هذه المدونات فنون عدّة منها: السير، التراجم، تاريخ الملوك⁽¹⁾. ونعني بذلك الاهتمام والعناية لغاية سلطوية - أي نظرة تبنّاها السلاطين - .

وإن قلنا الكتابة التاريخية وسيلة فهذا يعني مختلف الإنجازات التي قام بها السلاطين والمؤرخين في سبيل تحقيق الغاية الحضارية والسياسية للدولة الزياتية أمام دويلات المغاربة الأخرى (الدولة الحفصية الدولة المرينية) من جهة والدول الإسلامية قاطبة من جهة أخرى. فنقول الغاية هي نتاج الوسيلة أي لولا الرغبة في مواكبة التطور الحضاري لما أنتج المؤرخون مؤلفات تاريخية . فهذه الأخيرة في نفس الوقت أوصلت بني زيّان لتحقيق غايتهم السامية فدوّن المؤرخون مصنّفات بإزاء من السلاطين تخصّص الدولة وإنجازاتها مثل : كتاب أبي زكرياء يحي بن خلدون (ت780هـ/1378م) صاحب كتاب "بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" باعتباره كاتب للسلطان أبي حمو الثاني⁽²⁾، وكذا المؤرخ محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م) صاحب مؤلف " نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيّان"⁽³⁾... وغيرهما من المؤرخين الذين خدموا السلطة الحاكمة بمؤلفاتهم التاريخية.

برع من ثلّة السلاطين الذين جعلوا من التاريخ وسيلة لتحقيق غاياته السلطان الزياتي أبو حمو موسى الثاني الذي تميّز بتصنيفه التاريخي المعروف بـ "واسطه السلوك في سياسة الملوك"، الذي دوّنه لكي يكون دليلاً لابنه ، يشمل عدّة وصايا وطرق لممارسة السياسة. واللافت للانتباه تركيزه على صلاح الكاتب والوزراء ليؤكد له مدى أهميّة التدوين قائلاً: "من قاعدة السياسة : اعلم يا بنيّ أنّه ينبغي لك أن

(1) عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 467.

(2) وردة محصر: يحي بن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ ، مجلة أنثروبولوجيا الأديان ، مجلة علمية أكاديمية محكمة مخبر أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها دراسة سوسيو أنثروبولوجيا ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، 2011، ع10 ص501.

(3) التنسي : المصدر السابق ، ص36.

تُنزَل النَّاسَ منازلهم وترتّبهم في مراتبهم بحسب أقدارهم عندك ومناصبهم، وذلك على طبقات الطبقة الأولى. اعلم يا بني أنّه ينبغي لك أن يكون أوّل داخل عليك مزوارك الموصوف.. وأرباب دولتك وكتابك فأوّل من يدخل عليك كاتبك ووزيرك⁽¹⁾. فعندما قلتُ وسيلة فإننا نقف على عناية أبو حمو الثاني الواضحة في كتابة تاريخ بن زيان، حيث طلب من كاتبه السري يحي بن خلدون تأليف كتاب يدون من خلاله أخبار قبيلة بني عبد الواد. فيقول يحي بن خلدون في كتابه "بغية الرواد" عن ذلك مايلي: "وكنْتُ ممَّنْ يأمره، أعلى (الله) مقامه، بذلك، فأهاوي علماً بما عندي من قصور الباع، وعدم الانطباع وضعف المنقلة والاضطلاع، ثم رأيتُ أن امتثال أمره العزيز عليّ فرض، وأن طاعته من طاعة الله ورسوله بعض، فانتدبت لإملاء هذا الكتاب راكبا فيه لرضاء الأخطار. ومسطرا بهذه القوافي والأسجاع الأسطار جالب منه إلى سوق الأدب سقطا، ومكسبا نفسي بمجاراتها فرسان البيان غمطا"⁽²⁾.

كما أن السلطان المتوكل ساهم في انعكاس الكتابة التاريخية من خلال الاهتمام بالمؤرخين أمثال: المؤرخ أبي عبد الله التنسي الذي يشير محقق كتابه "نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان" في مقدمة نصه إلى مايلي: "ولا كنتُ من جملة غمرته الآؤه وأثرت عليه نعمائه وألبستُ منها خللا ضافية وأوردت منها مشاريع صافية، نهضت في خدمته بقدر طاقتي، واستعملت في ذلك ما رجوت أن يكون نافعا من بضاعتي، جاهدا في مرضاتِ هِ خاطري ولساني، وأعملت فينا يزلف لديه ناظري وشأني جاهدا في ذلك بما في الوسع لدي، وعسى أن أقوم ببعض واجب حقّه علي .."، ويضيف قائلاً: "وسميته نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، ذكر ملوكهم الأعيان، ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان. والله تعالى المرجو والمسؤول أن يمنّ علينا فيه بالتمام والقبول"⁽³⁾. وغيرها من العوامل المذكورة آنفا - عُد إلى المبحث الأوّل من الفصل الثاني - . المتعلقة بدور المنشآت التعليميّة وكذا المذهبيّة، بالإضافة إلى الوراقة التي ساهمت في مساندة المؤرخين على التدوين التاريخي.

1-2- ملامح الكتابة التاريخية في المغرب الأوسط وتطور مناهجها: أهم ما ميّز الكتابات التاريخية بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تنوع الكتابات وتعدّد حقولها التاريخية سواء من قبل مؤرخي المغرب الأوسط بالمواطن أو الوافدين فأكدت على أساس ذلك عدّة مصادر تاريخية أن المغرب الأوسط اعتلى وتمتع بمكانة تاريخية مرموقة من خلال الأدوار والإنجازات المحققة من قبل المؤرخين الذين خلدوا السيرة والتاريخ، وأضافوا الشرعية التاريخية على المغرب الأوسط والدولة الزيانية رغم العيوب التي استتبطتها أغلب الدراسات الأكاديمية حول مدى إسهام الكتابة التاريخية بالموضوعية أو الذاتية فقد تألّف في هذا العهد كتاب السير المؤرخين نذكر:

(1) أبو حمو موسى الزياني : واسطة السلوك في سياسة الملوك ، دط ، المطبعة التونسية ، 1279هـ ، ص 81.

(2) يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 115.

(3) التنسي: المصدر السابق ، ص ص 107 - 108.

- الفقيه المؤرخ محمد عبد الحق ابن سليمان الكومي (ت625هـ/1227م): تلمساني المولد ، نهل عدة علوم من كبار شيوخ المغرب الأوسط والأندلس أمثال: الحسن ابن الخراز النحوي، وأبي الحسن ابن حنين، عرف بسيرته الحميدة ،له عدة مؤلفات منها كتاب "غريب الموطأ"، وكتاب "المختار"، الجامع بين المنقذ والاستنكار" في عشرين سفراً.... وغيرها من الكتب⁽¹⁾. أمّا عن إسهاماته في ميدان السير فقد ألف كتاب اسمه "فصل المقال" ، في مناقل أحوال غزوة أهل الإلحاد والضلال إلى طليطلة⁽²⁾. حيث يقول ابن عذاري في كتابه "بيان المغرب" مايلي: "فقال المنصور: الفتح أعظم من الإطباب في وصفه، وأمر الكاتب أبا الفضل ابن أبي الطاهر، وأكدّ عليه أنء يوجز الكتب في هذا الفتح غاية الإيجاز ولا يسلك في العبارة عنه مسلك شيء مما تقدم من أوصاف الفتوحات وأن ينحى فيه منحى كتب الصحابة رضي الله عنهم في فتوحاتهم"⁽³⁾. وهذا يعني أن كتاب "فصل المقال" للكومي من بين الكتب التي لها علاقة بغزو المنصور لاسبيلية وطلطلة سنة (592هـ/1165م).

- المؤرخ محمد بن عبد الرحمن التجيبي (ت610هـ/1214م): برز كذلك خلال العهد الموحي مؤرخ المناقب والسير، المؤرخ الأشبيلي نزيل تلمسان، ضمن معجم شيوخه أنه تتلمذ وسمع من عدة شيوخ، كما أنه اعتنى عناية شديدة بالتاريخ⁽⁴⁾. وفي الحقل المذكور دون كتابا أطلق عليه "مناقب السبطين الحسن والحسين"، وغيرها من المؤلفات الأخرى نذكر منها: "التريغيب في الجهاد" و "المواعظ والرقائق" و "الفوائد الكبرى" و "الفوائد الصغرى" إلى غير ذلك⁽⁵⁾.

لاحظنا خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تنوع الكتابات والحقول حيث لامس تدوين بعض المؤرخين في المغرب الأوسط التاريخ الوطني السياسي، الذي طمخوا من خلاله إلى إعادة أمجاد الأمة الإسلامية الجزائرية. خاصة ونحن ندري أن التاريخ السياسي يعنى بسرد الأحداث السياسية والأفكار. كما أنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، ومن المؤرخين الذين ساهموا بكتبهم المؤرخ الحمادي أبو

(1) العباسي بن إبراهيم السملالي : الإعلام بمن حل مراكش وأعمار من الإعلام، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، ط2 المطبعة الملكية، الرباط ، 1993، ج 4 ، ص ص 184-185. ابن الجزري: المصدر السابق ، ج 2 ، ص 141.

(2) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة، دط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، السفر الثامن، القسم الأول، ص ص 317-319.

(3) ابن عذاري المراكشي: البيان في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين - تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط1 دار الغرب الإسلامي - دار الثقافة ، بيروت - الدار البيضاء، 1985، ص 221.

(4) أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس، دط، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1973 ، ص ص 276-277.

(5) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، طبعة دار الثقافة ، بيروت 1973، السفر السادس، ص 357.

عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/1232م). قبل الحديث عن شخصه ومؤلفه، نريد الإشارة إلى مكانة الدولة الحمادية⁽¹⁾. في تاريخ المغرب الأوسط خلال الفترة محل الدراسة. إلا أننا نتبعنا الدراسات التاريخية المتطرفة للتقاليد التاريخية للإمارات المتعاقبة على المنطقة فإن دراسة علاوة عمارة في مؤلفه "دراسات في العصر الوسيط في الجزائر والمغرب الإسلامي" تشير بالقول أن الإمارة الحمادية لم تكن لديها تقاليد تاريخية واضحة المعالم نتيجة لسيطرة نمط البداوة على بلاطها، وافتقارها للمؤرخين وعلى الخصوص في مرحلة قلعة بني حماد، كما أكدوا أن الانتقال إلى بجاية ساهم في تغيير موازين القوى خاصة بعد الاحتكاك الذي نتج مع الأندلسيين، وابن حماد الصنهاجي ألف مؤلفه "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"، الذي كشف للقراء بساطة التأليف والتدوين المؤكد للنمط التقليدي البدوي - سيتم التطرق إلى المؤلف كنموذج للدراسة -⁽²⁾.

كما انفرد المؤرخ والفقير أبو الخطاب عمران ابن الحسن بن علي بن دحية الكلبي (ت633هـ/1235م) نزول تلمسان وبجاية، من كبار المحدثين. قال الغبريني عن تأليفه التاريخية فيما يخص التراجم "قد رأيت له تصنيفا في رجال الحديث لأبأس له" لكنه لم يذكر اسمه.⁽³⁾ يقول عنه كذلك بسبط ابن الجوزي مايلي: "كان من المحدثين مثل ابن غين في الشعراء، يثلب علماء المسلمين، ويقع فيهم ويتزيد في كلامه، فترك الناس الرشواية عنه وكذبوه".⁽⁴⁾

أما عن إسهاماته في الكتابة التاريخية، فقد برع بتأليفه المتعددة الحقول خاصة علم الأنساب والسيرة وكذا التراجم نذكر منها: "العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور"، وكذا مصنف "النبراس في أخبار خلفاء بني العباس"، دون أن ننسى كتاب "الأعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين"⁽⁵⁾ ساهم العلامة محمد بن إبراهيم الغساني (ت663هـ/1264م) في كتابة التاريخ، فقد قال عنه الحنفاوي "كان ذا حظ حسن عدلا في رواية الحديث ضابطا للغة ذاكرا للأدب والتاريخ عالماً بالأنساب..⁽⁶⁾".

(1) الدولة الحمادية: مرت الدولة بفترة ثلاثية: الأولى ما بين (405 - 443هـ/1014 - 1051م): حيث أنشأ حماد قلعتة (398هـ/1007م)، أما الثانية فهي فترة العظمة واتساع الحضارة ما بين (403 - 481هـ/1051 - 1089م) حيث تم فيها تحويل العاصمة من القلعة إلى بجاية، لتصل إلى الفترة الثالثة وهي مرحلة التراجع الحمادي سياسياً وثقافياً. رشيد بورويبة: الدولة الحمادية - تاريخها وحضارتها -، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص ص 20 - 103.

(2) علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون (الجزائر)، 2008، ص ص 162 - 163.

(3) الغبريني: المصدر السابق، ص ص 124 - 126.

(4) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج22، ص 339.

(5) المقري: نفع الطيب، مج2، ص 104.

(6) الحنفاوي: المرجع السابق، ص 332. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، مج5، ص 147.

وإذا كانت المؤلفات المذكورة أنفاً قد سجّلت تواريخ وسير ولمعت في حقول كعلم الأنساب، إلا أننا نقتف على كتبٍ قد اكتسبت أهمية بالغة وهي كتب الطبقات والتراجم، حيثُ كشفت لنا الكتب الإباضية وغير الإباضية عن مدى أهمية كتاب "طبقات المشايخ بالمغرب لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1270م) فهو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني المزاتي ينتسب إلى عائلة إباضية بربرية، تقطن سابقاً بتمجار⁽¹⁾ وسط جبل نفوسة⁽²⁾ بليبيا أي إقليم طرابلس. ينتمي إلى أسرة علم وجاه وتقوى وكفاح كان لها باع في توجيه المجتمع بنفطة⁽³⁾، وببلاد الجريد⁽⁴⁾ لهم قصر وقصطالية فقد هاجر جده الأعلى الحاج يخلف بن يخلف إليه ، لتواجد الإباضيين بها.⁽⁵⁾

(1) تمجار أو ثماجر: مدينة تقع بغرب المهديّة، كبيرة أزلية فيها مجموعة من الآثار كبيرة تشمل عدة معالم عمرانية منها الجوامع والأسواق والفنادق والحمامات. أبي عبد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك - ، دط ، مكتبة المثني ، بغداد، دت ، ص29. كاتب مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ، 1985، ص118.

(2) جبل نفوسة: عبارة عن جبال شامخة عالية، يبلغ طولها من المشرق إلى المغرب أيام، ويقول ابن حوقل: "وفيه منبران لمدينتين تسنى إحداهما شروس في وسط جبل ...، وبالجبل مدينة ثانية تعرف بجادوا من ناحية نفزاوة وفيها منبر وجامع"، أما صاحب "الاستبصار" فيعرج بالقول: "فيها آثار قديمة للأول، عجيبة فيها عجائب لمن تأملها، ووصل عمر بن العاص - رحمه الله - إلى جبل نفوسة وافتتحه وكان أهله نصارى، وفي جبل نفوسة رجع بكتاب عمر بن الخطاب" أما عن تواجد الإباضية فيشير صاحب "الاستبصار" أنهم قطنوا مدينة شروس التي كانت تسيّر من قبل شيوخ وفقهاء المذهب الإباضي. مجهول: نفس المصدر، ص ص 144 - 145. أبو القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دط دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص ص 92 - 93.

(3) نفطة: كانت تقع حسب دراسات قديمة على نحو 30 ميل جنوب غربي توزر Thusuros على المضيق الفاصل بين شط الفرسة وشط الجريد Laeum Trinitum أما التجاني في رحلته يقول: "ومازلت طائفة أخرى إلى بلاد الجريد فاستوطنت نفطة ونفزاوة وما والها من البلاد"

Trowsset (p):rechorches sur le humes tripolitanus de chotl _el_Djerid à la frontier Tuniso libyenne,paris,1974,p p32_ 37. التجاني: الرحلة، ص ص 119 - 120.

(4) بلاد الجريد: اسم يطلق على ثلة من المناطق التي تقع جنوب تونس في العصور الإسلامية، وهي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء. وسميت بذلك لكثرة النخيل، ومن أشهر مدنها: توزر، قاس ، نفطة. شمس الدين المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تعليق: محمد الصناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 180.

(5) أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1270م): كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، تح: إبراهيم طلاي مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج1، ص (ك).

وُلد بنفطة وتعلم وأخذ عن أبيه مختلف العلوم كالفقه والتاريخ، وليرحلَ في ريعان طفولته إلى وارجلان - واحة في الجنوب الجزائري - ، أي وارقلان، وهي المعروفة بورقلة حالياً⁽¹⁾. نهل عدّة علوم من بعد والده على يد شيوخ أمثال أبي سهل يحيى بن إبراهيم بورجلان، وبعد عودته إلى منطقة الجريد سنة (1222هـ/618م) زار عدّة مدنٍ مجاورة لها خاصّة التي يستوطنها الإباضية⁽²⁾ من بينها توزر التي واصل فيها دراسته سنة (1235هـ/633م)، وبعدها جربة التي تعلّم فيها على يد العزّابة الأدب واللغة والسير والفقه. فحسب البردي أنّ الكتاب كتب من أجل المذهب في تاريخ الدولة الرستمية وتراجم علماء المذهب، غير أنّه أخلّ بالمحتوى . فلذلك ألف كتابه "الجواهرُ المنتقاة فيما أخلّ به كتابُ الطبقات" استدرکاً للأحداث الناقصة⁽³⁾.

اجتمعت المصادر والمراجع على تقسيم الكتاب إلى جزأين ، فالجزء الأوّل؛ يشمل مجموع كتابات الشيخ أبو زكريا الورجلاني⁽⁴⁾ مع إرفاقها بتعليقاتٍ وتوضيحات. وهذا يعني أنّ الجزء الأوّل ذو طابع تاريخي حيث اعتمد في تحرير وذكر الأحداث المتعلقة بهذا الجزء على مجموعة من الكتب التي دونها شيوخه فقد جاء في مستهل الكتاب مايلي: " وقد سألت من وجبت طاعته ولم يسع إهماله أمره وإساءة طاعته، أن أجمع من سير أسلافنا وأخبارهم ما تيسر لي جمعه وأضع في ذلك تصنيفاً، وأحرز كل خبر بما يليه من كتاب أبي زكريا يحيى بن أبي بكر - رضي الله عنه - . استخلص ذلك وانتقيه..."⁽⁵⁾ . وهذا يدل على تعدّد المصادر الإباضية المعتمدة في تأليف المؤلف نذكر منها: كتاب السير لأبي الربيع سليمان بن يخلف، كتاب أبي عمار عبد الكافي . وقد رجّح المؤرّخ ناصر الدّين سعيدوني أخذه عن الشّرخ

(1) وارجلان أوورقلان أوورقلة أووركلا : ذكرت في عدة مواضع بأسماء جغرافية عدة ، عبارة عن منطقة تقع بين إفريقية وبلاد الجريد ، كثير النخيل يسكنها البربر وأهل مجانة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دط ، دار صادر، بيروت 1977، ج 5 ، ص 371.

(2) ناصر الدين سعيدوني: منالتراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي - تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين - ، ط1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1999 ، ص 104.

(3) نفس المرجع ، ص 104. محمد محفوظ : المرجع السابق، ج2، ص 297. أبي القاسم بن إبراهيم البرادي: الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به كتاب الطبقات ، تصحيح وتعليق: أحمد بن سعود السيابي ، ط1، دار الحكمة، لندن، 2014 ص 07.

(4) أبو زكريا الورجلاني: هو أبو زكريا يحيى بن أبي بكر سعيد البهراسني الورجلاني ينتمي إلى قبيلة بربرية تعرف ببني يهراسن أو يراسن، ولد بورجلان - بقرية تماوط - وبها ترعرع ثم انتقل بين بلاد ريف وأسوف لينهل العلم. تاديش ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون (في إفريقيا الشمالية)، تر: ماهر جرار وريما جرار، دط ، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية - سلسلة أبحاث تاريخية - 10- ، د م ن، 2007، ص ص 82 - 83. إبراهيم بخّاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر - قسم المغرب الإسلامي - ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 2000، ج 2 ، ص ص 451- 452.

(5) الدرجيني: المصدر السابق ، ج 1، ص ص 2- 3. ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، ص 105.

بن سلام بن عمر اللواتي. نتيجة لعدم ذكره المصادر بصراحة، أمّا عن المصادر غير الإباضية فنذكر البكري، والجاحظ وابن قتيبة والرقيق القيرواني . وهذه أمثلة عن الاقتباسات:

- عن احتفاء أهل تمولست بأبي عبد الله . يقول الدرجيني: "فشّدوا سرج البغلة فركب الشيخ، وسار ومن معه من أصحابه حتى صاروا بقرب تملوسة فإذا بالفقيه أبي الربيع سليمان بن خلف.."⁽¹⁾ وفي مواضع أخرى يشير إليه باعتباره أحد نجباء الشيخ أبي عبد الله حيث يشير إلى ذلك قائلاً: "ومنهم أبو الربيع سليمان بن خلف المزاتي رحمه الله"⁽²⁾. كما يشير بالقول: "وكان أبو الربيع تنصل من مخالفة الشيوخ،

فلما رجع الجواب بهذا إلى الشيوخ قالوا للطلبة جدوا واجتهدوا ، والله معينكم"⁽³⁾ وغيرها من المواقع

- يقول الدرجيني: "قال قد قام عنه به الشيخ أبو عمار عبد الكافي وهو الكتاب الموجز رجعنا"⁽⁴⁾.

- أشار الدرجيني إلى انتقائه أحد النصوص عن أبو عبيدة البكري قائلاً في وصف تاهرت وكيفية إنشائها: " إن تاهرت مدينة مسورة لها أربعة أبواب، باب الصفاء و باب المنازل و باب الأندلس"⁽⁵⁾.

- أمّا عن ما نهله من كتاب الرقيق القيرواني فيذكر الدرجيني ظهور عبيد الله الشيعي بالمغرب على النحو الآتي: "و قد ذكر الرقيق أنّ المهدي هو أبو محمّد، وأنّ الخليفة بعده ابنه القائم أبو القاسم محمّد بن المهدي وبعده ابنه المنصور إسماعيل بن القائم...."⁽⁶⁾ وغيرهم من كتاب التاريخ عامّة.

أمّا الجزء الثاني فقد تُرجم فيه لعدد كبير من شيوخ الدعوة الذين لم يذكرهم أبو زكرياء الوردلاني لكنّها شخصيات إباضية ذات شهرة في عصرها، ومايلفت الانتباه تشابه تقايد الدرجيني والوردلاني في كل من كتاب "السير" والجزء الثاني من كتاب الطبقات تناول الدرجيني التّراجم على شكل طبقات: اثنتي عشر طبقة، كل طبقة منها تغطي نحو خمسين سنة . وهو النّمودج المعتمد في كتابات الشيخ عبد الكافي وأبي زكريا الوردلاني. إضافة إلى كتاب السير للشماخي والجواهر المنتقاة للبرادي⁽⁷⁾.

إنّ الحديث عن كتاب الدرجيني "طبقات المشايخ بالمغرب" يجعلنا نقف على المكانة العلمية والتاريخية لأبي العباس الدرجيني الذي حظي باهتمام كبير من قبل المؤرخين المعاصرين لما له من علم وجاهٍ ودوره في التأليف الإباضي خاصّةً والمغاربي عامّةً ؛ حيث يعتبر بكتابه بذرة من بذور التراث الإباضي المكتوب إلى جانب من عاصره. فقد ظلّت نسخ الكتاب موزعةً ومنتشرة بعدة مكاتب بالجزائر مكاتب بني ميزاب، ومصر - القاهرة - ، وكذا بتونس - المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 2524 مسجلة

(1) الدرجيني: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 184.

(2) نفس المصدر، ج 1، ص 191.

(3) نفسه ، ج 1، ص ص 192 - 193.

(4) نفسه ، ج 1، ص 48.

(5) نفسه ، ج 1، ص 42.

(6) نفسه، ج 1 ، ص 92.

(7) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص ص 105 - 106. محمّد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 298.

بمكتبة محمد بن يحيى بن يوسف - (1). والكتاب كذلك طبع بقسنطينة سنة 1977 بتحقيق الأستاذ إبراهيم طلاي مصدرا بكلمة عن الكتاب لبكلي عبد الرحمن بن عمر ذاكراً أنه اعتمد في تحقيقه على ثلاث نسخ (خزانة إبراهيم القراري ، مكتبة الشيخ طفيش، خزانة القاضي أبو فارة) (2).

ترك لنا الدرجيني آثار تاريخية وعلمية متنوّعة المجالات نذكر على سبيل المثال المصنّفات التي أشارت إليها المصادر والمراجع التي بين أيدينا إلى جانب كتاب الطبقات المذكور آنفا:

- ديوان الشعر: عبارة عن مجموعة رسائل فقهية، لم شتائها بعد وفاته الشيخ الجيطالي (3).
 - كتاب في الرد على العمرية الإباضية إتباع عيسى بن عمر: أشير إليه في كتاب الطبقات عندما تم ذكر إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم من أئمة الدولة الرستمية الإباضية (4)، تحت عنوان "أول افتراق في الإباضية" فقال فيه: "مع أن طائفة تنتحل اسم الإباضية يُقال لهم (العمرية) لم تجمعنا وإياهم العمرية من قبل وهم يزعمون أنهم إباضية..." (5). توفي الدرجيني حوالي سنة (670هـ/1273م) حسب سعيدوني ومحمد محفوظ في مؤلفاتهم (6)، دون ذكر مكان الوفاة أو الدفن.

مما سبق يمكننا الإشارة إلى أن أبي العباس الدرجيني قد أثرى الكتابات التاريخية بتأليفه التاريخي الفريد عن الإباضية مذهب نشأة وانتشارا ، لكن ما يُعاب عليه حسب بعض الباحثين رواياته ومعلوماته غير المنظمة أو الاسترسال في ذكر بعض المعلومات. لكن هذا لا ينقص من مكانة المؤلف ومؤلفه التاريخي الذي زودنا بمعلومات شاملة (سياسية، عسكرية، ثقافية، اجتماعية ، اقتصادية) من جهةٍ وأخرى خاصةً بأخبار وسير كبار رجال الإباضية وأعمالهم من جهةٍ أخرى سواء نقلها عن سابقه أو المعاصرين له.

(1) ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، ص107.

(2) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص298. الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1 ، صفحة التقديم.

(3) ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص 104 - 105.

(4) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 299.

(5) الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 47.

(6) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص296. ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص 104.

لقد عرف المغرب الأوسط تعدد رحلات علمائها مشرقاً ومغرباً حيث تعددت دوافعها وبلغت ذروتها رغم التدهور الذي أصاب عدة مجالات خلال فترة الدراسة فيما عدا بعض الاستثناءات⁽¹⁾ التي نذكر من بينها رحلة العبدري (ت بعد سنة 688هـ/1289م) المغربية . فبالرغم من أصول أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحاجي الأندلسي، فتعود جذور عائلته إلى بلنسة⁽²⁾. إلا أن دوره الريادي ظهر بالمغرب الإسلامي عامّة⁽³⁾، والمغرب الأوسط خاصّة بعد استقراره لمدة زمنية في قرية تقع بين بسكرة⁽⁴⁾ وتوزر⁽⁵⁾.

إذ اكتشفت الأوساط العلمية المعاصرة أهمية رحلة العبدري مشرقاً ومغرباً، فقد سافر لأداء فريضة الحج رفقة ولده سنة (668هـ/1289م)، كما أقام بالقاهرة والإسكندرية معرجاً على فلسطين. ليعود إلى موطنه عن طريق الجزائر وتلمسان وفاس ومكناس حتى وصل أرجاء المحيط الأطلسي⁽⁶⁾. فالرحلة أقرب من المؤلفات التاريخية أو الأدبية لا إلى الجغرافية، وذلك لما احتوته من معلومات تاريخية عامّة عن الأماكن وتاريخها والآثار التي يشهد لها التاريخ، مؤكداً ميولاته إلى الرواية وتراجم العلماء والأدباء وغيرهم محرراً ذلك بأسلوب تقريرى نقدي أدبي رزين متمتعاً بملاحظته الدقيقة والمعرفة الجيدة لسير الرجال. وإن أردنا تصنيف الرحلة فإننا نصنفها ضمن كتب التراجم التي كملت النقص الذي احتوته بعض المؤلفات المغربية في نفس الحقل التاريخي مثل طبقات أبي العرب⁽⁷⁾.

المشهور كون الرحلة تشمل وصف عدّة مدن مشرقية ومغربية، لكن النص المطبوع يبرز فقط وصف شمال إفريقيا. ونتيجة للإهمال الذي تعرض له العبدري ورحلته دراسة وجمعا للمحتوى لمعاصرتهم

(1) حسين محمد فهمي: أدب الرحلات ، طبعة سلسلة كتب ثقافية صادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، الكويت ، يناير 1978 ، ص 79.

(2) قاعدة إسلامية تقع في إقليم شرق الأندلس على مسافة أميال من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، يحدها شمالاً مدينة طرطوشة، أما جنوباً مدينة دانية ومرسية، ومن الغرب طليطلة، إلى جانب إطلالة بحرية متوسطة من الشرق. كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسة الأندلسية في العصر الإسلامي (95 - 495هـ/714 - 1102م)، ط1، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ، دت ، ص ص 47 - 48.

(3) سكن العبدري كذلك بلدة تعرف ب"حاحة" بالمغرب الأقصى التي تقطنها إحدى بطون قریش بالقرب من بلاد المصامدة القريبة (موقادور). إسماعيل العربي: المدن المغربية ، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 62.

(4) مدينة عظيمة كثيرة النخيل، وهي مسورة عليها خندق. وهي بكسر الكاف وراء بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج1، ص 422.

(5) مدينة تقع أقصى إفريقية من نواحي بلاد الزاب، المسافة بينها وبين نقطة عشرة فراسخ، وأرضها سبخة، ومدينة قسطيلية هي توزر. نفس المصدر، مج2 ، ص ص 57 - 58. إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 275 - 62.

(6) العبدري: الرحلة، ص 08. إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 63. ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ص 120.

(7) إسماعيل العربي: نفس المرجع، ص ص 63 - 64.

رحالة كبار سابقاً، فإنَّ مكانته وقيمته التاريخيّة تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عندما نشرت أجزاء منها من قبل العالم شاربونو سنة 1854م، ثمَّ بعده بقرابة قرن يتمُّ نشر أسفار على يد العالم هونريخ . التي لم ترفع ستار اللبس الذي يحل بالرحلة حسب بعض الباحثين، وبعدهما دورية متخصصة أصدرت نسخة من الرحلة . نشر وتحقيق ابن جدو، لنصل إلى النسخة النَّشي ظهرت في الجزائر بطريقة علمية وثرية المعارف والمعلومات وافية التراجم والأحداث التاريخيّة، وقيل سبقها تحقيقاً آخر في المغرب الأقصى⁽¹⁾.

بين العبدري بوضوح طريقته في تأليف الرحلة بقوله: " وبعْدَ فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييدها ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده ممّا سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان..."⁽²⁾.

كما سجّل العبدري أثناء رحلته معلومات عدّة من نفر العلماء الذين التقى بهم أمثال: علماء تونس كعبد الله بن هارون الطائي، وفي القيروان سمع عن أبي زيد عبد الرحمن بن الأسدي. أمّا بمصر فالتقى وسمع من شرق الدين الدُمياطي وابن دقيق العيد وغيرهم⁽³⁾.

ومن المعلومات التاريخية التي حفظها العبدري في رحلته عن المغرب الأوسط، ومن الأماكن التي زارها نذكر قوله: "ثمَّ وصلنا إلى الجزائر وهي مدينة تستوقفُ بحُسنها ناظر الناظر. ويقف على جمالها خاطر خاطر قد حازتْ مزيتي البرّ والبحر"⁽⁴⁾. ويضيف قائلاً عن بجاية: "ثمَّ وصلنا إلى مدينة بجاية مبدأ الاتِّفاق والنَّهاية. وهي مدينة كبيرةٌ حصينة منيعَةٌ شهيرة بريّة بحريّة سنة سرية"⁽⁵⁾. واللافت في زيارته كل ما دخل مدينة من مدن المغرب الأوسط إلّا وسأل عن علمائها وأعلامها ومن الإشارات التي ذكرها فيما يخصُّ ذلك قوله: "فلم يبقَ بها من هو من أهل العلم محسوب. ولا شخص إلى فنٍّ من فنون المعارف منسوب"⁽⁶⁾، "ومحل جلة من العلماء والأعلام"⁽⁷⁾... وغيرها.

نكرنا في هذه اللائحة مجموعة من كتاب التاريخ بالمغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م)، وهو القرن الذي مثل استقطاب وجذب العلماء والمؤرخين والأدباء والرحالة . حيث ساهم ذلك في تنوع الكتابات ومناهجها التاريخيّة سواء (سير ومناقب ، تاريخ سياسي ، نظم ، أنساب وطبقات ، وتراجم أو رحلات).

(1) إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 63.

(2) العبدري : المصدر السابق ، ص13. ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص122.

(3) العبدري : المصدر السابق ، ص08. ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص 122.

(4) العبدري : المصدر السابق ، ص49.

(5) نفس المصدر ، ص 49.

(6) نفسه ، ص 49 - 50.

(7) نفسه، ص 50.

تتأمن الفكر التاريخي خلال القرن (8هـ/14م) بالمغرب الأوسط على يد ثلثة من المؤرخين الذين برعوا بأليفهم التاريخية، فمن الذين تميّزوا بكتاباتهم في حقل السيرة المؤرخ الأديب علي الخزاعي (ت789هـ/1387م) فهو علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود أندلسي الأصل، تلمساني المولد فاسي الوفاة، مشهور بابي الحسن ابن ذي الوزارتين، كاتب بلاط السلطان إبراهيم المريني، وديوان بني زيّان بتلمسان⁽¹⁾.

عُرف الخزاعي بكتابه المعروف في مجال السيرة النبوية، خاصة وأنّ البلاط الزياني خلال فترة الدراسة شهد ازدهاراً لهذا الحقل كما وكيفا ألا وهو كتاب "تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحرف والصناعات الشرعية"؛ تناول فيه مواضيع إسلامية مقسمة في عشرة أجزاء كل جزء يشمل مجموعة من الأبواب. فالجزء الأول؛ فيما يخص الخلافة والوزارة وما يضاف إليها من عمالات المسجد، وعمالات آلات الطهارة، وما يقرب منها، وفي الإمارة على الحج وما يتصل بها (25 باباً). ويعرج في الجزء الثالث ليحتوي كلّ ما يتعلّق بالعمالات الكتابية وما يشابهها وما يضاف إليها (13 باباً). ومنها إلى الجزء الرابع ليتناول كذلك العمالات الأحكامية وما يضاف إليها (17 باباً)، أمّا العمالات الجهادية وما ينتشعب منها وما يتصل بها فأفرد لها جزءاً كاملاً وهو الجزء الخامس (45 باباً) والعمالات الجبائية جزءاً سادساً (12 باباً) ليصل إلى ذكر العمالات الإختزانية كجزء سابع (11 باباً) ذكر كذلك في طيات أجزائه مختلف العمالات كجزء ثامن (10 أبواب). وإذا قلنا عنوانه من الحرف والصناعات فإنّ الجزء التاسع أفرد لذلك ويشمل (34 باباً). ثمّ انتهى بالجزء العاشر، الذي به كمال التأليف (3 أبواب متفرقة)⁽²⁾.

ساهمت نشأة الخزاعي الثقافية في تأهيله لاعتلاء منصب كاتب في الديوانين - المريني والزياني - حيث تلقى تعاليمه على يد كبار الشيوخ كالعالم التلمساني أو عبد الله ابن مرزوق (ت781هـ/1380م) وله من مقامه إجازة علمية ، وكذا الشيخ محمد بن أبي بكر البلفيقي المعروف بابن الحاج (ت771هـ /

(1) الزركلي: الأعلام، ج5، ص 06.

(2) أحمد مبارك البغدادي: مختصر تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله - ﷺ - من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية للخزاعي (ت789هـ/1387م)، ط1، مكتبة السندس (صهيب الزين وإخوانه)، الكويت ، 1990 فهرس المحتويات (ح - ص).

1370م⁽¹⁾. هذا التأهيل دونه عدّة مؤرّخين في كتاباتهم كأبي الوليد ابن الأحمر في كتابه "مستودع العلامة" الذي قال عنه: "وكان رسوخ قدمه في الفروسية والعلم، أثبت من علم".⁽²⁾ وفي موضع آخر يقول ابن الأحمر: " فارس ميدان الحساب، وحامل راية الآداب والأنساب، ورئيس النحويين وعلم اللغويين ولديه من الأصول حظّ وافر.."⁽³⁾ ونعني بذلك أنّ الخزاعي أحسن التحصيل الأدبي (خط نحو ، لغة) والعلمي (الحساب)، إلى جانب إلمامه الواسع بمختلف فروع الحديث والفقّه، بالإضافة إلى قدرة الفائقة في نظم الشعر، حيث ساهم هذا التنوع وكذا مكانته في تأليفه لكتابه الكبير الذي يتعدى 800 صفحة. ويمكن أن نقول عنه موسوعة دينية تاريخية.

أمّا عن سبب تأليفه للمؤلف الذي بين أيدينا فجاء في مقدّمة المحقق: " ويختصر المؤلف السبب الذي حدا به إلى تأليف كتابه بأنّه رأى كثيراً ممّن لم تترسخ في المعارف قدمه، وليس له من أدوات الطالب إلاّ مداده وقلمه، يظنون أن تولي الأعمال السلطانية بدعة، وأنها بدعة تجرّ على صاحبها الإثم، وأنّه كان من الأجدر به الترفع عنها، وتبديداً لهذا الجهل جمع مادة كتابه ليثبت أنّ (العمالات الشرعية) ليست شيئاً مستحدثاً، وإنّما هي خطط وُجدت أيام الرّسول، وتولّاها كثير من الصّحابة، فمن تولّوها من لم يخرج عن النهج الموضي... وكذلك يقال أيضاً في أصحاب الحرف والصنائع، فإنّ أي قارئ لهذا الكتاب سيجد الحقيقة الصّادقة التي تزيل عن أصحاب الخطط و أصحاب الحرف وصمة البدعة".⁽⁴⁾ ويتبين من المقدّمة أنّ المؤلف لم يسند أي معلومة لنفسه فيما يخصّ مواضيع بحثه ، وإنّما تمثل عمله في تجميع الشواهد العلمية المتناثرة في بطون أمّهات الكتب التي صاغها كبار، العلماء والفقهاء .

فرغم أنّ المصادر التي استسقى منها الخزاعي معلوماته عبارة عن مسائل متعددة فقهية ودينية وتاريخية، إلاّ أنّه عرف بالأمانة العلمية كذلك حتى يتمكن القارئ من كتابة معلومات ومعارف موثوقة . كما أنّ النّقل من كتابه سهل لاعتماده منهجية علمية في ذكر وتصنيف تلك المصادر، فيشير إلى اسم المصدر أوّلاً الذي نقل عنه، ثمّ المعلومة محل البحث. وهذا دليل وبرهان على توفر مكتبة ضخمة سواء في بلاد الأندلس أو المغرب الإسلامي - المغرب الأوسط والأقصى خاصّة-. دون أن ننسى دقّة اعتماده

(1) علي بن محمد ابن مسعود الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ، ص08.

(2) أبي الوليد ابن الأحمر: مستودع العلامة ومستبدع العلامة، اعتماداً على نسختين، تح: محمد التركي التونسي، محمد بن تاويت التظواني، المركز الجامعي للبحث العلمي (مولاي الحسن للبحوث)، كلية الآداب والعلوم السياسية ، الرباط ، 1964 ص62.

(3) أبي الوليد ابن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس . هو كتاب نثير الجمان في شعر نظمي وإياه الزمان، تح:محمد رضوان الداية، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987 ، ص250.

(4) علي الخزاعي: المصدر السابق، ص10.

على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بالإضافة إلى المصادر المكتوبة التي وصلت (81 آية قرآنيةً منقولة ، 515 حديث نبوي شريف منقول، 212 كتاب منقول) ، كما أنه عرف بتعدد الآراء والأقوال في المعلومة الواحدة بأسلوب مختصر، مؤكداً في كل ذكر أو قضية مدى الأهمية الدينية والتاريخية لها. كما يلفت النظر للقارئ حيث يستقي معلومة ماسرحة اللغوي والاصطلاحي للألفاظ الواردة في النصوص المتنوعة. وكذا تدعيمه للمعاني بأبيات شعريّة⁽¹⁾. ومما أنشد فيه لنفسه في مدحه لملك المغرب أمير المؤمنين المتوكل:

وكنا من الأشفاق في مد لهمة تجلّت بمرآك السني غياهبه⁽²⁾.

جاءت الموسوعة الخزاعية مدرجة ضمن حقل السيرة من جهة ، لأنها شملت فترة زمنية من التاريخ الإسلامي، ألا وهي الفترة النبوية التي تم فيها تشييد أركان الدولة الإسلامية وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية المرتكزة على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن جهة أخرى حملت في طيات السيرة تراجم لكبار الصحابة والتابعين⁽³⁾.

وفي الأخير يمكننا الإشارة إلى المكانة العلمية والتاريخية التي إكتسها كتاب الخزعي "تخريج الدلالات السمعية" المتمثلة في حفظها لنا أسس نظم الحكومة النبوية والخطب التي قامت عليها أثناء عهد الرسول ﷺ، وبعده عهد الخلفاء الراشدين. حتى أعتبر ثروة دينية وتاريخية من جهة، وببيولوجرافية من جهة أخرى. فبالرغم من اعتماده غالباً على مصادر أندلسية ومشرقية فباعترابها شعاع الفترة أنير في هذه المناطق الجغرافية أولاً. إلا أن مغربيته اتضحت في كتاباته وطريقة في سرد المعلومات ؛ وهي أساليب اعتمدها العديد من العلماء المغاربة سابقاً أو خلال فترة تواجده بالمغرب.

كما أغنى حقل السيرة نفر من العلماء والمؤرخين خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فمن الذين أضفوا تآليف تاريخية في هذا الميدان نذكر العالم والفقير والمؤرخ محمد بن يحيى الباهلي البجائي المعروف بالمسفر (ت743هـ/1343م) صاحب قصيدة بديعية في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تعرف بـ "فوائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر" التي جاء في مطلعها:

تبدت فغابث واختفت فتجلّت وشاهدتها حالي حضوري وغيبتي⁽⁴⁾.

(1) أحمد البغدادي : المرجع السابق ، ص "ب".

(2) ابن الأحمر : نثير الجمال ، ص251.

(3) أحمد البغدادي : المرجع السابق ، ص "ك".

(4) التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص402.

بالإضافة إلى أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ/1369م) الذي وصل في التّفنن العلمي محمّد، فألّف في السيرة كتاباً بعنوان "روضة الأزهار في التعريف بآل محمّد المختار صلى الله عليه وسلّم"⁽¹⁾. وكذلك ألّف ابن مرزوق الجدّ (الخطيب) (ت 781هـ/1350م) كتابه "المُسندُ الصحيح" في نفس الحقل، أشر فيه إلى سيرة السُلطان أبي الحسن المريني⁽²⁾. سيتمّ التّطرق إليه بالتفصيل.

كما أُنزى حقل المناقب خلال القرن محلّ الدّراسة ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1380م) بمؤلفه الشّهير ب "المجموع"، أو "الدّيون" أو "المناقبُ المرزوقية"، الذي تناول فيه سيرته وسيرة أسرته العلمية متطّرقاً إلى جانب ذلك مختلف المسائل متعدّدة الجوانب (السياسيّة، الاقتصاديّة، الاجتماعيّة، الثقافيّة العمرانيّة) التي شهدتها منطقة المغرب الإسلامي ما بين القرنين (7-8هـ/13-14م)⁽³⁾. حيث ذكر في مقدمة التحقيق عن سبب تأليف "المجموع" مايلي: "رأيتُ أن أثبت في هذا المجموع سيرة من سلف لي من الصّالحين، على الاختصار، لينزاح لا ليزاح في الأصل) الاحتقار بالاعتبار...."⁽⁴⁾ ونقلًا عن صاحب الكتاب يقول الفيلاي: "وجاء في المقدّمة: ورأيتُ بحول الله أن أصل بذكر الجد رحمه الله ومن عاصره وعاشره من صلحاء وقته وعلماء زمانه على سبيل الاختصار"⁽⁵⁾.

وممّا وصلنا من دراسة المحققة سلوى الزّهري أنّ ابن مرزوق انتهى من تأليف "المناقبُ المرزوقية" بين شهر محرّم وربيع الأوّل من سنة (763هـ/1361م)، فحسبها أنّ الكتاب ظلّ مجهول الهوية لدى دارسين تاريخ المغرب ومصادره التاريخيّة، كما أن الإشارة إليه في الموسوعات والكتب والتحقيقات السالفة للفترة الخاصّة بالمخطوطات لم تشرُ إليه بصريح العبارة إلى غاية سنة 1975م أينما ظهرت نسخة للمخطوط ضمنّ جائزة الملك الحسن الثّاني للمخطوطات، وفي نفس الفعاليات برزت النّسخة الثّانية سنة 1996⁽⁶⁾.

فقد قسّمَت المحققة الكتاب في أطروحتها إلى قسمين، القسم الأوّل متعلّقة بمرحلة التحقيق والتعليق والمقابلة بين نسختي الكتاب، والقسم الثّاني متعلّق بمرحلة الدّراسة، أي القسم الأوّل تمّ فيه استخراج

(1) جاء في نهاية المخطوط: "انتهى كتاب روض الأزهار في تعريف بنسبة آل بيت المختار والصلاة والسلام على سيدنا مولانا محمّد وآله وصحبه الأخيار.... وكتبه عبد ربه محمّد بن أحمد الشريف لطف الله به عام ثمانية بعد...". أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ/1369م): روضة الأزهار في التعريف بآل محمّد المختار ﷺ، مخطوط خزّانة مكتبة المؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، دت، رقم المخطوط 381، ورقة 189.

(2) ابن مرزوق التلمساني : المسند الصحيح، ص ص 85- 87 (فهرس الأبواب).

(3) عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج2، ص468.

(4) أبي عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزهراي، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء (المملكة المغربية)، 2008، ص140.

(5) عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج2، ص468.

(6) سلوى الزاهري: المناقب المرزوقية لابن مرزوق التلمساني، مجلة عصور، وهران (الجزائر)، جوان- ديسمبر 2005 / ذو القعدة 1426، ع6-7، ص157.

التراجم والآيات القرآنية، وكذا الأحاديث النبوية، وأسماء القبائل والجماعات وأسماء المؤلفات والمصطلحات الحضارية، أما الثاني تطرقت فيه لفصل تمهيدي تناولت في طياته أوضاع بلاد المغرب الإسلامي عامة خلال عصر المؤلف، أما الفصول الأخرى المتبقية فخصصته لمضمون النص المحقق دراسة ظاهرية وباطنية (الفصل الأول للمؤلف والكتاب، أما الفصل الثاني فخصص للنظر في المسائل المنهجية لكتاب المناقب المرزوقية ومصادره تحليلاً ومنهجاً، أما فيما يخص أسلوب الكتابة التي دون بها ابن مرزوق دراسته فإنها لغة نثرية بسيطة مشحونة بالمحسنات البديعية⁽¹⁾.

ومن هنا لابد أن نشير إلى القيمة التاريخية لكتاب "المجموع" الذي مّد جسور التاريخ المشترك بين بلدان المغرب الإسلامي من جهة، والمغرب والمشرق من جهة أخرى، لكون رحلات المؤلفات جعلت الكتاب في حيرة نسبته إلى تونس أو الجزائر، أو المغرب أو الأندلس تأليفاً وليس مولداً أو استقراراً أو وفاة⁽²⁾. فبالرغم من الدراسة التي حظي بها المؤلف إلا أنه يبقى محل لبس، ويتطلب إلى دراسات أعمق وأدق، وهذا لا يقلل من أهمية الدراسة المذكورة آنفاً.

تتألف الفكر السياسي في المغرب الأوسط خلال (ق8هـ/14م) بتأليف عدة مؤلفات في حقل التاريخ السياسي نذكر منها: المؤلف السياسي يحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م) صاحب كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد". ومن هنا نتساءل عن المؤلف ومؤلفه التاريخي؟ فالمؤلف هو أبو زكريا يحيى بن خلدون عالم المغرب الإسلامي، ولد سنة (734هـ/1334م) بتونس. فإذا ما قورنت المدة الزمنية بينه وبين أخيه عبد الرحمان من المولد فإن هذا الأخير يكبره بسنتين كما أنه بكتابات التاريخية بلغ مآرب البشر فنال حقه العلمي والتاريخي، على غرار يحيى بن خلدون أخيه الذي ألف مصادر عدة خاصة المصدر الشهير المتعلق بالحياة الثقافية والفكرية لبلاد المغرب الإسلامي. فهذه المعلومات التي وصلتنا عن شخصه في كتب التراجم قليلة وكاد تتعدم مقارنة بالمؤرخين الذين عاصروه، فإن لم يدون بنفسه حيثيات حياته لم وصلتنا هذه المعلومات الخاصة⁽³⁾.

(1) سلوى الزاهري: المرجع السابق، ص ص158 - 159.

(2) نفس المرجع، ص165.

(3) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ط عالم المعرفة، ج1، ص03. وردة محصر: يحيى بن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، مجلة علمية أكاديمية محكمة بالدراسات المتخصصة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2011، ع10، ص ص500 - 501.

عاش يحيى بن خلدون في كنف أسرة علمية عربية محضنة، تعود جذورها إلى حضر موت⁽¹⁾ استقر بها المقام بالأندلس إثر الفتح الإسلامي - إحدى البيوتات العلمية بإشبيلية⁽²⁾، ثم هاجرت نحو المغرب بعد أن كادت تصاب بالسقوط، لتستقر مجدداً بتبسة⁽³⁾ إفريقية على عهد الحفصيين. حيث يقول عن ذلك عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه "التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً" بالنسبة لإستقراره في تبسة مايلي: "ولمّا نزل بنو خلدون سبتة أصهر إليهم العزفي بأبنائه وبناته فاختلف بهم، وكان له معهم صهرٌ مذكور، وكان جدنا الحسن بن محمد، وهو سبط ابن المحتسب، قد أجاز فيمن أجاز معهم فنذكر سوابق سلفه عند الأمير أبي زكريا"⁽⁴⁾. ويضف في مقام آخر عن بني العزفي ودخولهم سبتة قائلاً "وفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة..... واستبد العزفي بسبتة"⁽⁵⁾.

إعتلى المؤرخ الفذ يحيى بن خلدون مناصب سياسية خدم من خلالها البلاط الحفصي على عهد أبي عبد الله الحفصي، وكذا البلاط الزياني على عهد السلطان أبي حمو الثاني الزياني. بالإضافة إلى البلاط الأميري المريني على عهد الأمير عبد العزيز المريني، ليعود مجدداً للبلاط الزياني الذي وافته المنية تحت خدمته سنة (1378/هـ 1378م)⁽⁶⁾.

فقد ساهم التكوين العلمي والسياسي للمؤرخ في تدوينه مؤلفاً تاريخياً ثرياً ومنتوعاً يبرز البلاغة الأدبية له ألا وهو كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، الذي إتصف بمدح السلطة الزيانية بإعتبار المؤلف شغل منصب كاتب سرها آنذاك، وهذا دليل على أن سبب التأليف تخليداً للسلطة حيث يقول عن ذلك معبراً في مقدمته: "وسميته بـبغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، وما حازه

(1) حضر موت: لم يتمكن الجغرافيون من تحديد المنطقة جغرافياً، ولو عدنا إلى أصل الكلمة فإنها تدل على اسم قبيلة عربية عريقة استقرت منذ فترة موغلة بهذا الوادي. ويمكننا القول أن المنطقة جزء من البلاد العربية التي تمتد فيها الجبال من الغرب إلى الشرق. أي من إمتداد حصن العبر إلى ما وراء المدينة المعروفة بتريم. دبليو إتش إنجرامس: حضر موت (1934-1935)، تر: سعيد عبد الخير النوبان، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2001، ص ص 11-12.

(2) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص04.

(3) تبسة: رغم الأبحاث والدراسات المتأخرة عن مدينة تبسة التاريخية، إلا أنها محطة تاريخية هامة بالمغرب الأوسط تقع أقصى الشرق الجزائري، تحدها شمالاً سوق أهراس، أما غرباً أم البواقي وخنشلة، فشرقاً تونس لتصل جنوباً إلى غاية بيسكرة.

Muratti, p:le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tébassa, R, AF,81,1937,p258.

(4) عبد الرحمان ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دط، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص ص 12-13.

(5) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 349.

(6) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص ص 7-18.

مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق في الأطواد، ومن الله أسئل الإعانة والعصمة والشديد والهداية إلى العمل الرشيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه". وفي موضع آخر يذكر السبب بصريح العبارة قائلاً: "فكان ممّا وقف ركاب عنايته عليه، وهدى رائد الكمال سرح آماله إليه تخليد ما لدولته من معالٍ، وبأسٍ ونوالٍ، وأحاديثٍ للفخرش صحاح غوالٍ وما جمعت سيره الكريمة من حربٍ وسلم، وتفريقٍ ولّيم، وحكمةٍ وحكم، وتدوينٍ ما إشتملت عليه أيامه من أخلاقٍ وجدّة، وإيمانٍ وردّة، وفرجٍ من بعد شدّة، ليكون ذلك أسوة في الفخر اللباب، وغطّة وذكرى لأولي الألباب".⁽¹⁾ فيضف بالقول: "وكنت ممّن يأمره، على (الله) مقامه، بذلك فأهاوي علما بما عندي من قصور الباع ... فانتدبتُ لإملاء هذا الكتاب راكباً فيه لرضاه الأخطار...."⁽²⁾. وممّا سبق قوله نستنبط أنّ سبب التأليف هو تخليد الملوك والأمراء الزّشيانيين من جهة ومن جهةٍ أخرى تمجيداً للأدوار التي قام بها السلطان أبي حمو موسى الثاني في مختلف المجالات السياسيّة والإقتصاديّة والإجتماعيّة والثقافيّة، فكان من نبل يحيى بن خلدون تأليف مؤلفاً من رحم الوثائق الرسميّة وغير الرسميّة للدولة الزيانيّة والدول المتعاقبة لها.

يتضمّن الكتاب مقدّمة استرسل فيها بالحمد لله والثناء والصلاة على سيّدنا محمّد . صلى الله عليه وسلّم حيث يقول: "الحمد لله الذي خلق الدول" و"الحمد لله الذي فطر الممالك"، "ونصلي على مولانا محمّد مصطفىاه المختار"⁽³⁾، وبعد ذلك يثني بفضل الأمم والسلاطين والأمراء، ففي طيّات ذلك يشير إلى أسباب تأليفه للكتاب المذكور آنفاً، ليصل في الأخير لذكر أقسام الكتاب⁽⁴⁾. معتمداً منهجاً أدبياً يغلب عليه المحسّنات البديعيّة وأنواع الكلام الأدبية.⁽⁵⁾

قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام تاريخيّة، تشمل التاريخ السياسي والتراجم معاً، فالقسم الأوّل عنوانه "في التعريف لكنّه قبيل بني عبد الواد وأوليته" ويتضمّن ثلاثة أبواب متفرعة: كتاب الأوّل تناول فيه جغرافية تلمسان ومظاهرها الطبيعيّة والإقتصاديّة بالإضافة إلى ذكر أزيد من مائة وتسعة شخصية ترجم لها، دون أن ننسى مجموع التاريخ السياسي للمنطقة، أما الباب الثّاني فقد خصص لقبيلة بني زيان، ليصل إلى الباب الثّالث الذي تحدث فيه عن وصول بني زيان للحكم. أما القسم الثّاني فسمّاه "ذكر السلاطين الأوّل من بني عبد الواد"، الذي قسم مثله مثل القسم الأوّل إلى ثلاثة أبواب تحدث فيها عن تفكك الدولة الموحدية وتأسيس الدولة الزيانية، فالباب الأوّل ذكر فيه أمراء الدول بدءاً من الأمير يغمراسن بن زيان

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد ، ط مطبعة فونطانا، مج1، ص 06. يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ط عالم المعرفة ، ج1 ص ص 114 - 115.

(2) نفس المصدر، ج 1 ، ص 115.

(3) نفسه ، ج 1 ، ص 143.

(4) نفسه ، ج 1، ص ص 114 - 116.

(5) نفسه ، ج 1 ، صفحات 225-238-257. ج 2 ، ص ص 3-7.

إلى غاية سلطة أبي تاشفين ابن أبي حمو. أما الباب الثاني فتناول فيه ذكرى إحياء الدولة الزيانية، ليصل إلى الباب الثالث من القسم الذي خصّصه لدولة السلطانين أبي سعيد وأبي ثابت⁽¹⁾.
والقسم الثالث تناول فيه فترة حكم أبي حمو موسى الثاني، حيث قسّمه إلى ثلاثة أبواب، فالباب الأول تحدث فيه عن شخصية السلطان (السيكولوجية والسياسولوجية)، أما الباب الثاني أشاد فيه عن ولايته ليصل إلى الباب الثالث الذي اعتمد فيه كرونولوجية الحوليات (حسب السنوات) بدءاً من سنة (760هـ/1360م إلى غاية 777هـ/1377م) بالإضافة إلى ثلاث ملاحق⁽²⁾. والكتاب تمّ نشره مرتين فالمرّة الأولى بالجزائر، حيث تكرّمت مطبعة بيبير فونطانا الشرقية بطباعته سنة (1321هـ/1903م) في جزئين فالجزء الأول بالسنة المذكورة، وأرفق بترجمة فرنسية على يد المترجم المحقق الفريد بيل، أمّا الثاني فكان سنة (1328هـ/1910م) أي بعد سبع سنين من إصدار الجزء الأول، والمرّة الثانية طبع بطبعة منظمة ومرتبّة بتحقيق من قبل المحقق والمقدّم والمعلّق عبد الحميد حاجيات، الذي طهر منه الجزء الأول فقط شاملاً 326 صفحة تقديماً وفهرسةً ونصّاً، بالإضافة إلى تقديم قصير باللّغة الفرنسية لكنه غير مرقم⁽³⁾.
ليعاد مجدداً طباعته في فعاليات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية في جزئين سنة 2011، وطبع طبعة خاصة، ونشر ووزع تحت راية عالم المعرفة بالجزائر بتحقيق وتعليق وتقديم نفس المحقق عبد الحميد حاجيات، بإيداع قانوني تحت رقم: 2011/1655⁽⁴⁾.

تعدّدت المصادر المذكورة في كتاب "بغية الرّواد" التي ألف من خلالها يحيى ابن خلدون مؤلّف بين المسموع والمنقول فالقسم الأول اعتمده فيه على كل ما هو مكتوب ومدوّن على غرار القسم الثاني والثالث اللذان غلب عليهما كل ما هو مسموع من روايات شفوئية و مشاهدات بالإضافة إلى التدليل والإستناد على آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تدعم أفكاره ومعارفة التاريخية والعلمية والدينية فمن بين المصادر المكتوبة والمذكورة في حيثيات الجزئين نذكر:

- ففي الباب الأول المتعلّق بـ "نكر محلّ اعتمار بني عبد الواد أعزّهم الله من الأرض" بالضبط الفصل الأول في اسمه ووصفه يشير إلى كتاب تاريخي جغرافي يخصّ المغرب الأقصى قائلاً: "قال صاحب

(1) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص ص7_257.

(2) نفس المصدر، ج2، ص ص 07 - 257.

(3) محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب - من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث - ، دط ، مؤسسة نيشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1983، ج1، ص102.

(4) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ج2، واجهة الكتاب.

الأحكام في حدّ المغرب الأقصى: هو إفريقيّة و بلاد تاهرت وما والأها إلى طنجة إلى الشوس الأقصى⁽¹⁾.

- وفي موضع آخر يشير إلى كتاب "تاريخ ابن الفياض" قائلاً: " وهم فخذان، أحدهما بنو عبد الواد وبهذا الاسم عرف الجميع تغليبا وأصله عابد الوادي، رهبانيّة عرف بها جدّهم من ولد سجيح بن واسين.. فيما نمت إلى علمي، منقولاً من تاريخ ابن الفياض وسواه⁽²⁾؛ وهذا يعني أنّه إعتد على المؤلف المذكور في التعريف بقبيلة بن عبد الواد، بالضبط تتبع نسبهم ومعرفة أصولهم وفروعهم لتحديد مراكز الاجتماع بينهم وبين بني مَرين .

- هذا فيما يخصّ المؤلفات المنقول منها، وأحياناً يذكر إسم المؤلف دون كتابه المقتبس منه، مثل قوله:
- عن إختلاف أصل البربر سيشيرحي ابن خلدون إلى نفر من المؤرّخين الذين بحثوا في ذلك قائلاً:
"اختلف في أصلهم النسابون: قال السّهيلي والمسعودي والقضاعي، هم ولد بربر بن كنعان بن حام..."⁽³⁾.

- أمّا عن تنقلات البربر في أرجاء المغرب وعائلاتهم التي اشتهرت خاصّة المتعلّقة ببر بن قيس يقول:
"قال الطّبري: إنّ برّ بن قيس توجه لنشدان ضالة بأحياء البربر⁽⁴⁾، فهوي جارية منهم وتزوّجها، فولدت منه ذريّة كثيرين غلب عليهم إسم أحوالهم البربر"، وغيرهم كثير .

بالإضافة إلى مسألة الإقتباس من القرآن الكريم والتدليل بالأحاديث النبويّة في عدّة مقامات نذكر:
• القرآن الكريم: ذكر عندما أشار إلى دخول شريك على معاوية قوله تعالى: " وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ"⁽⁵⁾.
عن الآية القرآنيّة المذكورة في سورة الزّخرف بعد بسم الله الرّحمن الرّحيم: " وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ"⁽⁶⁾. الآية (43) .

- قوله عند الإشارة إلى دور المرينيين في حفظ وحماية الأراضي الإسلاميّة والمسلمين مايلي: "وجهات الإعانة أعظمها النفوس وأدناها الدعوات، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره"⁽⁷⁾. عن الآية القرآنية المذكورة في

(1) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 121.

(2) نفسه، ج1، ص 207.

(3) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص201.

(4) نفس المصدر، ج1، ص201.

(5) نفسه، ج1، ص 203.

(6) الآية 43 من سورة الزخرف (عن رواية ورش). القرآن الكريم بالرسم العثماني: برواية ورش بقراءة الإمام نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق، القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص492.

(7) يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 164.

سورة الزلزلة بعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ".
الآيتين (7-8)⁽¹⁾ وغيرها في مواضع أخرى.

- الأحاديث النبوية: أهمّ الإستشهادات مايلي:

- عن ذكره سجايا أبو حمو الثاني وأحقيته في إعتلاء السلطة يقول: "قال رسول الله ﷺ : الخلافة في قريش والأئمة من قريش"⁽²⁾.

- رواية "عبد الأعلى عن معمر الزهري سهل بن أبي خشيمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم :
تعلموا من قريش ولا تعلموها ، وقدموا قريش ولا تؤخروها"⁽³⁾. وغيرها من الإستشهادات.

ناقشت أغلب الدّراسات التاريخية المتأخرة والمعاصرة كتاب "بغية الرواد" مُبرزة إيجابياته وسلبياته
فذلك يُمكننا القول أهميّة الكتاب تكمن في إحتوائه للتاريخ السياسي الزّياني منذ تأسيس الدولة الزّيانية
على يد يغمراسن بن زيّان بن ثابت إلى غاية فترة حكم أبو حمو الثاني، بالإضافة إلى التنوّع والإختلاف
الثقافي الّتي حفظه في طيّاته من جهة، ومن جهة أخرى ضمّه لأزيد من مائة وتسعة شخصية تلمسانية
ساهمت في كتابة التاريخ(فقه- حديث- سيرة ... وغيرها من الحقول)⁽⁴⁾. أمّا عن سلبياته فيقول محمّد
بوعيايد: "قد ترتّب عن هذه العلاقة نقص كبير وهو تحيّر لملوك تلمسان، والتملق لهم، وغضّ الطرف
عن عيوبهم ونقائصهم"⁽⁵⁾.

كما وقفت الدّراسات على مؤلّفا آخر في نفس الحقل السياسي ألا وهو كتاب "زهْرُ البستان في دولة
بني زيّان" لمؤلف مجهول، أرخ تاريخ الدولة الزّيانية إحدى بطون زنّاتة بالمغرب الأوسط. يشمل ثلاث
أسفار ماوصلنا إلّا السّفر الثاني منه الذي تناول فيه عهد السّلطان موسى بن حمو الثاني؛ وهي أحداث
خمس سنوات تاريخية للدولة الزّيانية مابين(760هـ/1358م إلى غاية 765هـ/1363م) بالإضافة إلى
أخبار دولة بني عبد الواد. فمن خلال تتبّع الأحداث نستنتج أنّ صاحب "زهْرُ البستان" سبق يحيى بن

(1) الآية 7- 8 من سورة الزلزلة (عن رواية ورش). القرآن الكريم ، ص 599.

(2) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص 09.

(3) نفس المصدر ، ج2، ص 10.

(4) عبد الكريم حساين: حقول التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني: التاريخ السياسي والتراجم نموذجا
المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2017، المجلد 03، ع06
ص275.

(5) محمد بوعيايد: من آثارنا المغمورة: بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى بن خلدون، مجلة الأصالة
الجزائر، 1973، السنة 3، ع13، ص 221.

خلدون في سرد الأخبار باعتباره أسبق منه في إعتلاء السُّلطة بالبلاط الزَّياني على عهد أبي حمو الثاني⁽¹⁾.

اعتمد صاحب مؤلَّف "زهرُ البستان" منهجاً أدبياً يغلُبُ عليه تبجيل السُّلطة الزَّيانية على عهده أبي حمو موسى الثاني، حيثُ يقول عن ذلك مايلي: "مولانا الخليفة، الامام ، المهاب، المنصور، الصِّرغام أبو حمو، إمام دهرنا، ووحيد عصرنا، أقامَ بها خمسة أعوامٍ متوالية، إلى أن أرادَ اللهُ أن تظهِرَ رؤيته العالية وأن تُخمدَ به نار الفتنة الحامية"⁽²⁾. كما أكثر من إستخدام المحسنات البديعية مثل السَّجَع كقوله: "فشاعَ الخبرُ بقولهم عندَ أهل التوحيد، واتَّصل الخبرُ بالقربِ والبعيد"⁽³⁾ وغيرها من المواضع.

وبذلك أكسب المؤلَّف مكانةً تاريخية كغيره من المؤلفات التاريخية رَغْمَ ماوصلنا إلَّا جزء واحد منه كما أنَّه لم يذكر قطُّ مؤلفاته الشخصية، ولم يعتمدْ على مصادر تاريخية ماعدا مصدرين وهذا دليل على تأليفه لكلِّ ما شاهده وسمعه باعتباره رجل سياسي ومن الاستشهادات التي جاءت في طيَّات كتابه مايلي:

- قال الزَّاوي: "سمعت من تحدث بظهور مولانا السُّلطان ومايكونُ له من الرِّفعة والشَّان.."⁽⁴⁾.

- ذكره لمؤلَّف "مقتبسُ ابن حيان" عندما أشار إلى فرار عبد الرحمان الداخل وابنه يوسف قاتلاً: "وكمال القصة في مقتبس بن حيان، مع دخوله الأندلس، وماكان بينه وبين يوسف بن عبد الرحمان"⁽⁶⁾. فالإستشهاد الأول تم عن طريق المشاهدة التي تعدُّ المصدر الأساسي الذي اعتمده المؤلَّف المجهول في جمع مادته العلمية التاريخية. وذلك لمعايشته الأحداث باعتباره جزء منها ، أمَّا الاستشهاد الثاني والثالث عبارة عن مصنَّفات اقتبسَ منها مادته.

وفي الأخير يمكننا القول أنَّ كتاب "زهرُ البستان" حفظ لنا العديد من الأحداث التاريخية سواء من خلال المعطيات والمعلومات النثرية التي إحتواها، أو باعتماده لنصوصٍ شعريَّة زخرت بنفس المعلومات المجهولة ولم يتمَّ ذكرها في بعض المصادر السَّابقة له أو التي عاصرتَه فلذلك اكتسبت المؤلَّف مكانة مرموقةً في تراثنا العربي الجزائري رَغْمَ أنَّ ماوصلنا إلَّا جزءاً واحداً.

إنَّ المنتبَع للمصادر التاريخية خلال الفترة محلَّ الدِّراسة، فإنَّه يقفُ على كتاب ضمن حقل التاريخ السياسي للمغرب الأوسط على العهد الزياني للمؤرِّخ الشَّهير التنسي المعروف بـ " نظمُ الدرِّ والعقبان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزَّمان" المعروف لدى

(1) مؤلَّف مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي ، دط ، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر 2013 ، ج2 ، ص ص 7-9.

(2) نفس المصدر، ج2، ص ص 14-15.

(3) نفسه ، ج2، ص 17.

(4) نفسه ، ج2، ص 15.

(6) نفسه ، ج2، ص 385.

المؤرخين بتسميته المختصرة ألا وهي "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان"⁽¹⁾ - سيتم التطرق إليه بالتفصيل كنموذج من نماذج التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط - .

أما المتفحص كذلك للحقول التاريخية خلال القرن (14/هـ/14م) فإنه يلاحظ براعة المؤرخين في تدوين النظم السياسية على رأسهم السلطان المؤرخ أبي حمو موسى الثاني مدون كتاب السياسة الأخلاقية الزيانية الذي أطلق عليه كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"⁽²⁾. فبما أن الدولة الزيانية حاضنة علم السياسة والإنتاج الأدبي فقد أبرز المؤرخ الأديب السلطان علاقته الوطيدة بعاصمة ملكه من خلال تدوين هذا العمل التاريخي الذي قدم من خلاله عطاءً تاريخياً أدبياً. يعود هذا الرخاء إلى الاستقرار السياسي الذي وفره السلاطين رغم حالة الأذى والحرب الدائمة التي كانت تعيشها آنذاك المنطقة المغاربية.

إلى جانب مختلف الحقول المذكورة، يمكننا الإشارة إلى مصادر أخرى برزت في ميدان الطبقات والتراجم وكذا الفهارس خلال (14/هـ/14م) كمؤلف أبو العباس الغبريني (ت704/هـ/1304م) المعروف بـ"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" - الذي سنتطرق إليه كنموذج ضمن المقارنة -، بالإضافة إلى مؤلف ابن مرزوق الجد (الخطيب) (ت781/هـ/1380م) المشهور بـ"عجالة المستوفى المستتجاز في ذكر من سمع المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز". ترجم فيه لمجموعة من الشيوخ الذين لقيهم بمكة والمدينة المنورة كالعلامة عز الدين محمد أبو الحسن الواسطي صاحب خطتي الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي. كما تناول فيه كل من سمع منهم بتونس وبجاية والزاب وتلمسان⁽³⁾. أي يمثل ثبت لأسماء الشيوخ، توجد منه شذرات ضمن مجموع خ - م. 7579 (الخرزانه الملكية وهو الجزء الذي يشمل أسماء مغربية) حسب محمد المنوني⁽⁴⁾.

فقد أثرى مجال التاريخ وحقوله خلال (9/هـ/15م) مجموعة من المؤرخين كذلك على نهج أسلافهم فممن داع صيته في حقل السيرة بالإقليم الجزائري ابن قنفذ القسنطيني (ت810/هـ/1408م) صاحب مؤلف "وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام"، إذ يعد مختصر السيرة النبوية، يشمل خمسة أبواب عن نسب الرسول ﷺ. وأسمائه وولادته وحضائنه وأزواجه وأولاده وقوانينه ومواليه وخدمه ومن مبعثه وبعوثه

(1) التنسي: المصدر السابق، ص ص 05 - 06.

(2) أبو حمو موسى الثاني: كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، دط، المطبعة التونسية للنشر، تونس، 1279، ص ص 1 - 2. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - حياته وآثاره، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974، ص ص 185 - 187.

(3) لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1975، ص ص 105 - 106.

(4) محمد المنوني: المصدر السابق، ص 96.

وغزواته ووفاته ومعجزاته وفضل الصلاة عليه حسب ناصر الدين سعيدوني⁽¹⁾، وهو مؤلف جليل لارتباطه بالسيرة تمكن من خلال الكتاب أن يتتبع السيرة بأسلوب أدبي منمق يجذب القارئ لقراءته والتبحر في طياته محتواه، فلذلك قال عنه بنفسه في كتابه "شرف الطالب" مايلي: "وهو من أجل الموضوعات"⁽²⁾.

أكد المؤلف فيما نشره معرفته الواسعة وثقافته المتنوعة في إقتباس الأحداث التاريخية وصياغتها بوضوح ودقة وسلاسة تحقيق⁽³⁾. ومن بين الإقتباسات التي جاءت في مدونة مايلي: مسألة زيد بن حارث مع كاري البغل الذي أراد قتله ، حكاية نعيمان بن عمير الذي باع سويبط بن حرملة فكاها منه إلى طائفة من العرب حتى تدخل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في القضية⁽⁴⁾.

أصل المؤلف مخطوط مدون على ورق عادي حسب ماجاء في الكتاب خطه واضح، تتخلله من حين لآخر بعض الأغلاط، عدد الأوراق مايقارب 51 ورقة ونصف ورقة، طول الورقة الواحدة 15,5 سنتيمترا، وعرضها 8,5 سنتيمترا، تشمل الورقة 20 سطرا. وهي النسخة المخطوطة الوحيدة لابن قنفذ فيما يخص هذا الكتاب فلذلك استهوت المحققين لتحقيقتها نذكر بعض المحطات التي ذكر فيها :

- ذكر ضمن مؤلف ابن قنفذ المعروف بـ "الوفيات" الذي طبع بمصر، دون تاريخ، تحت إشراف المستشرق الفرنسي هنري بيريس وبعد ذلك طبع بالهند.

- سنة 1971 الأستاذ عادل نويهض يعيد طباعة كتاب "الوفيات" بيروت، أشار فيه إلى أن كتاب "وسيلة الإسلام" مفقوداً.

- هناك إشارات لاسم المؤلف دون حيثياته في عدة مواضع مثل: كتاب "أنس الفقير"، "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"⁽⁵⁾. أما سنة 1984 فقد قام سليمان الصيد بالتعليق عليه وإعادة نشره مجدداً.

لم يؤلف ابن قنفذ خلال (9هـ/15م) لوحده في ميدان السيرة والسير، وإنما دون بعد بالمغرب الأوسط المؤرخ محمد بن عبد الرحمان بن زكري أبو عبد الله التلمساني (ت899هـ/1493م) شرحاً أطلق

(1) ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص 226 - 227.

(2) ابن قنفذ القسنطيني : شرف الطالب ، ص 239.

(3) سليمان الصيد : ابن قنفذ القسنطيني حياته وكتابه وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام ، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة (الجزائر) ، 2001 ، ع13 ، ص 207.

(4) ابن قنفذ القسنطيني : وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام ، تقديم وتعليق: سليمان الصيد المحامي دط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1984 ، ص ص 17 - 18. سليمان الصيد: المرجع السابق ، ص 207.

(5) ابن قنفذ القسنطيني : وسيلة الاسلام ، ص ص 21 - 22.

عليه "الشمائل النبوية"⁽¹⁾. ومصطلح علم الشّمائل كان شائعاً في كتابات العصور الوسطى، ونعني بذلك: "علم يبحث في أوصاف النبي ﷺ . الخلقية والخلقية، وأحواله الشريفة في تعبه وزهده، وسيرته في نفسه، وفي أهله، وفي أصحابه والناس أجمعين"⁽²⁾. وكم كان للتصنيفات التاريخية المتأخرة في نفس المجال مكانة باعتبار العلماء نحو منحى السّابقين مع بعض التجديد، حيث سلك الفقيه والمفسر والمؤرخ عبد الرحمن الثعالبي (875هـ/1490م) مسلكاً فريداً يغوص فيه على حيثيات السيرة والمعارك التي جرت من خلال مصنّفين هما " الأنوار في آيات النبي المختار. ﷺ. " و "رسالة في أهل البدر"⁽³⁾.

كثيراً ما إرتبطت الكتابة التاريخية حسب الدراسات بأدب المناقب وماشملته من سير وتراجم في توظيفها لمواضيع متعددة ومتنوعة. والكتب المنقبة تقدم للمؤرخ معلومات ثرية من خلال العلاقة الوطيدة بين التاريخ والمناقب⁽⁴⁾. وقد برز ذلك في عدّة كتابات أهمها مؤلف ابن مرزوق الحفيد (842هـ/1439م) المعروف بـ "مناقبُ شيخة المصمودي". لأنّه عرف بالكتابة في هذا المجال فقال عنه المقرّي "وكم له من مناقب تنحط عن منالها الثواقب"⁽⁵⁾.

بالإضافة إلى المؤلّف محمّد بن عمر بن إبراهيم التلمساني الشهير بالملاي (كان حياً سنة 897هـ/1492م)، الذي دوّن كتاب "المواهب القدسية في المناقب السنوسية" الذي ترجم فيه للعالم القدير محمّد بن يوسف السنوسي، مرتباً إيّاه على أبواب عشر، تتدرج ضمن الترجمة الواسعة لأبي إسحاق إبراهيم التازي نزيل وهران ودفينها وهو الباب الأول نفسه، أما البابين الثالث والرابع فقد أثراهما بقصائد ومنشورات شعرية لابن يحيى التازي، الذي مرّ ذكره عند رقم 274، ليصل إلى الباب العاشر، وهو رثاء للسنوسي من قبل محمّد بن أبي البركات بن أبي يحيى بن أبي البركات الغماري. وللمؤلف مخطوطات وجدت بعدة خزانات

(1) بشير ضيف : فهرست ، ص 101.

(2) خالد بن قاسم الراداي: المدخل إلى علم الشمائل النبوية، حوليات كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الإسكندرية ، دت ، مج2 ، ع36 ، ص 450.

(3) بشير ضيف : فهرست ، ص 99. عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 90.

(4) يوسف بن حدة : التاريخ وأدب المناقب من خلال مخطوط مناقب أحمد التباسي (ت928هـ/1522م)، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر2، 2020، مج16، ع1، ص ص 100 - 101.

(5) المقرّي : المصدر السابق، ج 5 ، ص ص 422 - 430.

منها(مخطوطتان خ. م 1266، 7008، مخطوط خ ع د 1245، مخطوطتان خ ع ك 2642295)⁽¹⁾ ويقول عادل نويهض في كتابه عن أخبار سنوسي الكثيرة مايلي :«أخباره كثيرة ، ذكر بعضها الملالي في كتابه المواهب القدسيّة في المناقب السنوسيّة»⁽²⁾.

غير أن الأمور لم تتغير خلال(ق9/هـ/15م) إذ تمكن نفرٌ من المؤرخين من تدوين مؤلفات عدّة في حقل المناقب والطبقات والتراجم على رأسهم المؤرخ البارع ابن قنفذ القسنطيني الذي ترك مصنّفات عدّة توضح ميولاته وإهتماماته الواسعة ، فصرف من كبار الكتاب البارعين في إستقصاء التاريخ وتدوين التراجم والسير⁽³⁾. ومن ثلّة المؤلفات في هذا الميدان نذكر :

- كتاب "طبقات علماء قسنطينة" : يصنّف ضمن كتب الطبقات والتراجم حيث يذكره عادل نويهض في تحقيقه لكتاب "الوفيات" أنّ هذا المؤلّف لم يذكّر في ثبت ابن قنفذ والتي يعود تأليفها إلى مابعد (807/هـ/1404). كما أنّ محمّد بن أبي شنب أشار إلى إمكانية وجوده في بعض المكتبات الخاصّة بقسنطينة، وعلى نهجه سار شربونو محقق جزء الفارسيّة الذي ذكر أنّه اكتشف وجود مخطوط ثمين بقسنطينة لكتاب "طبقات علماء قسنطينة" لكنّه غير مطبوع⁽⁴⁾.

- كتاب "الوفيات" : أحد الكتب التي ألّفها ابن قنفذ في مجال التراجم يشمل بين طياته تراجم محدودة لبعض العلماء خاصّة المحدثين ، بطريقة الحوليات - أي مرتبة حسب القرون وتواريخ وفاتهم -⁽⁵⁾.

استهلّ مجموع المحدثين بالصّحابة الكرام لينتهي بذكر العشرة الأوائل من المائة التاسعة بالحديث عن شخّة أبي محمّد عبد الله بن عرفة الورغمي⁽⁶⁾. فإذا تتبعنا الكتاب فإننا أوّل مانقف عليه المائة الأولى (1 - 100/هـ/622 - 719م) ويتم بالمائة التاسعة (801 - 807/هـ/1398 - 1405م) العشرة الأولى منها (801 - 810/هـ/1398 - 1408م). وهذا ما يؤكّد أنّ ابن قنفذ القسنطيني جعل كتاب الوفيات ذيّلا

(1) الملالي: هو محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي أبو عبد الله الملالي ، تعود جذور أسرته إلى بني ملال بالمغرب ، يعد محمد بن يوسف السنوسي التلمساني أحد شيوخه ، له إلى جانب كتابه المذكور في المتن مؤلف بعنوان "شرح صغرى السنوسي" في خزنة الأزهرية. جمع الملالي في أحوال وسيرة شيخه تأليفاً كبيراً في عداد 16 كراساً من الحجم الصغير. الزركلي: الأعلام ، ج 5 ، ص 301. التبتكي : نيل الإبتهاج ، ص 564.

(2) عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 180.

(3) ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات، تح : عادل نويهض ، ط 4 ، منشورات دارالآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983 ص 17. عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 268. بشير ضيف : فهرست ، ص 293.

(4) ابن قنفذ: الفارسية ، ص 78.

(5) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 268.

(6) فقيه وإمام تونسي ، ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة ، عرف بتصانيفه منها المختصر الكبير في فروع المذهب ، درسه على يده الشيخ ابن قنفذ باعتباره أمام جامع الزيتونة. ابن قنفذ القسنطيني : الوفيات ، ص 380. ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية ، ص 65.

لكتابه الشهير "شرف الطالب في أسنى المطالب"⁽¹⁾ وجدت العديد من نسخه في كبرى خزائن الكتب منها المكتبة القومية بتونس (القسم الثاني غير مرقم - ورقة 23 إلى ورقة 40-). بالإضافة إلى مخطوط المكتبة الخاصة للشيخ محمد الشاذلي النيفر، وهي قطعة صغيرة ناقصة، والفرق بينهما الأولى خطها مغربي، أما الثانية فخطها تونسي، أما النسخ الأخرى فهي على النحو الآتي :

- مخطوط المكتبة القومية بباريس (تحت رقم 4629).
- مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد (تحت رقم 66438) أو (5170).
- مخطوط الخزانة العامة بالرباط (تحت رقم 503).
- مطبوع هداية حسين بكلكتا (تحت رقم 1911 و 1912).
- مطبوع هنري باراس (المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية)⁽²⁾.
- كتاب "أنس الفقير وعز الحقيير": يشير ابن قنفذ إليه قائلا: " وفي رجال من أهل التصوف أبي مدين وأصحابه؛ إذا يعني أن الكتاب من كتب التصوف ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (8هـ/14م) وأغلبهم أصحاب أبي مدين الغوث فيقول في مستهل سطور مقدمته مايلي: "وسُمِّيَتْ هذا التقييد أنس الفقير وعظ الفقير وقبل الخوض في ذلك أقدم هنا مقدّمة قريبة تفيد الناظر صفة الولي وتحقيق أمره وإنّ تباين سره وجهه، مع لواحق أحقتها، وشواهد أثبتتها"⁽³⁾. فالكتاب مختصرا وتقييدا، وليس بكتاب موسع في التاريخ أو التراجم نهاية تطرقنا لابن قنفذ وكتاباتة يمكننا القول أنه من الصعب تصنيفه لنطاق مغاربي معين، فهو مؤرخ المغربيين الأوسط والأدنى خلال العهد الحفصي، كما أنه نبغ بكتاباتة التاريخية المتنوعة من جهة، ومن جهة أخرى برع بمنهجه الخاص الذي تعدد في مؤلفاته مع تعدد مصادره سواء المدونة أو الشفوية ألا وهو المنهج الحولي. جمع خلال الفترة محل الدراسة شيخ المؤرخين ابن خلدون بين عدّة حقول تاريخية في مؤلفيه الأول عن التاريخ العام وهو "العبر و ديوان المبتدأ والخبر"⁽⁴⁾، والثاني الذي يندرج ضمن مذكرات الشخصية شرقا وغربا؛ حيث ترجم فيه لنفسه وشيوخه وأصحابه المنتمين لمجلس سلطنة أبي الحسن المريني - سيتم التفصيل فيه في فصول لاحقة - ⁽⁵⁾.

(1) ابن قنفذ القسنطيني : الوفيات ، صفحات 21 - 23 - 378.

(2) ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية ، ص ص 66 - 67.

(3) ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير، نشر وتصحيح : محمد الفاسي ، أودلف فور ، دط ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، 1965 ، ص 02.

(4) حاجي خليفة : كشف الظنون ، مج 2 ، ص 1124.

(5) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ، ص الفهرس.

عرف مؤرخي القرن (9هـ/15م) تميّزاً كبيراً في علم الفهرسة، الذي يعني علم تجميع أسماء الكتب والعلوم أو المؤلفين، كما يعد كذلك عملية حصر للمعلومات الخاصة بمختلف العلوم والمواضيع وترتيبها بطريقة خاصة تمكن الباحثين من الوصول إلى المعلومة بسهولة من خلال العودة إلى الفهرسة مباشرة⁽¹⁾.
فقد صنّف للكتب عبد الرحمن الثعالبي (875هـ/1490م) "فهرسة" تتصل و ببعض أسانيدها وأسماء مؤلفاته، فقد وجدت لها نسختين إحداها تونسية محفوظة في المكتبة الوطنية التونسية (نسخة العلامة حسن حسني عبد الوهاب تحت رقم 18448 110 ورقة) ، وثانيها جزائرية من ممتلكات الأستاذ الفاضل مصطفى مرزوقي أحد أعضاء الدولة الجزائرية، وإختلفت تسمية الفهرسة بين النسختين فالأولى ذكرت "غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد"، والثانية " غنيّة الوافد وبغية الطالب الماجد" أي التباين في مصطلح "غنية" و "غنيمة"⁽²⁾.

أشار الثعالبي في ديباجة مؤلف المحقق من قبل محمد شايب شريف سبب تأليفه لمؤلفه المذكور آنفا مايلي: "يقول عبد الرحمن بن محمد الثعالبي لطف الله به: لم تكرر سؤال السائلين عني الإجازة في ما أحمله من الروايات، وتعيين تلك الكتب المرويات، وكانت مروياتي كثيرة وطرق أسانيدها كثيرة وكان يشق عليّ تتبع جميعها لكل إنسان، إخترت في فهارسي التي عليها خطوط مشايخي، وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي سبحانه . لسلك سبيل أهل التحقيق وسُميت هذه العجالة بغنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد وأنا اصدر بعون الله تعالى بكتبي التي ألفت والفوائد التي جمعت " ⁽³⁾.

كما صنّف التنسي (ت899هـ/1494م) فهرسة، أشار إليها عبد الحي الكتاني قائلاً: "له فهرسة نرويهها بأسانيدها إلى أبي العباس المقري وسعيد قدورة، كلاهما عن عم الأول سعيد المقري التلمساني عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل عن أبيه المذكور"⁽⁴⁾. لكنّه لازال إلى يومنا ضمن الكتب المفقودة. علاوة على ذلك فقد ألف كذلك محمد عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م) "فهرسة للمرويات"

(1) الفهرسة: إختلف العلماء في تحديد الفهرسة بين العلم والفن، فمنهم من إعتبرها فن قائما بذاته، والبعض الآخر يعتبرها علم متداخل ومتكامل مع علم المخطوطات. أحمد شوقي بنين : دراسة في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي ، ط2 المطبعة والوراقة الوطنية الحي المحمدي ، مراكش، 2004 ، ص102.

(2) عبد الرحمن الثعالبي : غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد - فهرسة مرويات المؤلفات - ، تح: محمد شايب شريف ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2005 ، ص ص15- 16.

(3) الثعالبي: المصدر السابق، ص ص 25- 26.

(4) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيات والمسلسلات ، تح : إحسان عباس ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982 ، ج 1 ، ص268. التنسي : تاريخ بني زيان ، ص24. عادل نويهض: المرجع السابق ، ص85. التنسي: الطراز في شرح ضيظ الخراز ، تح : أحمد بن أحمد شرشال ، دط ، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، 2000 ، ص133.

أشار إليها التنبكتي في كتابه "نيل الإبتهاج" في قوله "وكتاب الفتح المبين وفهرسة مروياته"⁽¹⁾. لكنه لازال ضائعاً.

وفي الأخير يمكننا القول أنّ العلماء والمؤرخين المغاربة - المغرب الأوسط - أبدعوا في مجال التاريخ بمختلف فروع من سير وتراجم وتاريخ المدن، وكذا التاريخ السياسي، والمناقب والفهارس والرحلات وغيرها. حيث لا تزال مؤلفاتهم شاهدة على ذلك، إذ دونوا أحداث ووقائع الدول التي تعاقبت على المنطقة خاصة الدولة الزيانية، كما نلاحظ أنّ الفترة الممتدة ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م) شهدت إرتفاعاً في أعداد التأليف التاريخي الذي يعود إلى مساهمة الدولة من جهة، واجتهاد العلماء من جهة أخرى.

المبحث الثالث : الكتابة التاريخية بالمغرب الأدنى والأقصى ومناهجهما

3-1- كتابة التاريخ بالمغرب الأدنى:

إنّ دارس التاريخ يلاحظ عناية العلماء قبل القرن (7هـ/13م) كانت مُنصَّبة على العلوم الشرعية أكثر ، خاصة ما بين القرنين(1 - 4هـ/7-10 م) لكن بعد ذلك إستقر عدّة علماء بالقيروان الحاضرة العلمية ، ممّا ساهم في ظهور عدّة مؤلفات تاريخية تعتبر اللبنة الأولى للتأليف التاريخي مثل تأليف أبو العرب تميم(ت 333هـ/944م)⁽²⁾ المعروف بـ "طبقات علماء إفريقية" ؛ الذي يضمّ مجموعة من التراجم لعلماء تونس والقيروان ، مقسماً إياه إلى 7 أجزاء إذ إنطلق في مؤلفه بالطبقة ، التي تشمل من دخل إفريقية من الصّحابة والتابعين الأجلّاء⁽³⁾. وكذا الطبقة الثانية ، التي تناول فيها مجموعة من العلماء الذين دخلوا إفريقية(سواء كانوا قضاة ، فقهاء ، محدثين ، أئمة ،... وغيرهم)⁽⁴⁾.

(1) التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ص 578.

(2) العلامة الفنان ، جامع الفنون والإفتاء ، أبو العرب ، محمد بن أحمد بن تميم بن تمام ، فقد ولع بحفظ المذهب المالكي والإفتاء فغلب ذلك عليه ، إشتهر بتعدد مصنفاته نذكر منها : " كتاب طبقات أهل إفريقية " ، " كتاب المحن " " كتاب فضائل مالك " ، " كتاب مناقب سحنون " ، " كتاب التاريخ " الذي دونّه في أحد عشر جزءاً حتى قيل أنّه ألف أزيد من ثلاثة آلاف كتاب بيده . ساهم في تكوينه ما سمعه عن كبار الشيوخ كأصحاب سحنون (يحيى بن عمر ، أبي داود العطار ، ابن عياش... وغيرهم) . إذ يقول صاحب الديباج " يقال أنّه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب و خمسمائة وشيوخه نيف وعشرون ومائة شيخ " . نهل منهم مختلف العلوم إلى أن وافته المنية يوم الأحد 8 ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل لسبع بقين لرجب منها . ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج 2 ، ص ص 198-199 . الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ص ص 294 . 295 .

(3) أبو العرب محمد بن تميم التميمي(ت 333هـ/ 944 م) : كتاب طبقات علماء إفريقية ، دط ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، د ت ، ص ص 16 . 18 ، ليث شاكر : التدوين التاريخي عن المغرب الأدنى حتى نهاية الدولة الحفصية مجلة جامعة زاخو ، كوردستان ، 2013 ، مج 1 ، ع 1 ، ص 347 .

(4) أبو العرب التميمي: المصدر السابق ، ص ص 30 -37 . ليث شاكر: المرجع السابق ، ص 347 .

فبالرغم من أنّ المؤلف لم يحدد قاعدة واضحة وثابتة للتراجم ، إلا أنّ مؤلفه مثل قاعدة التدوين في مجال التراجم لمن بعده ، بفضل أسلوبه العلمي الميسر والسهل المتميّز بالتكرار اللفظي ، وتأكيد السند بإستخدام مصطلح " يعني " . وهو الحال نفسه بالنسبة لكتابي " كتاب طبقات علماء تونس " لنفس المؤلف⁽¹⁾ ، وكذا " كتاب طبقات علماء إفريقية " لمحمد بن الحارث بن أحمد الخشني (توفي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)⁽²⁾ والثلاثة تمّ تدوينهم من قبل دار الكتاب اللبّاني في مؤلف واحد.⁽³⁾ كما لمع مؤرخي التاريخ الحولي وتاريخ الدول قبل فترة الدّراسة ، ليفتحوا مجال تنوّع الحقول التاريخية للمؤرخين اللاحقين لهم نذكر منهم : تدوين ابن الأغلّب (ت 283هـ / 896 م)⁽⁴⁾ المعروف بـ " تاريخ ابن الأغلّب " الذي مزج فيه التراجم مع الحوادث التي وقعت أيام الأسرة الأغلبية . حيث ذكر في طيّات كتاب محمّد محفوظ "تراجم المؤلفين التونسيين"⁽⁵⁾ .

ألّف خلال الفترة قبل الدراسة ثلّة من المؤرخين مؤلفات عدّة ، لكننا نتساءل : إلى أيّ مدى وصلت الكتابة التاريخية بالمغرب الأدنى ما بين القرنين (7 - 9هـ / 13 - 15 م) ؟ . وفيما تتمثل أبرز حقولها؟ . قبل أن نسترد في متابعة حركة التأليف التاريخي خلال فترة الدراسة لا بدّ أن نقف على جملة من العوامل التي ساهمت في تطور الكتابة بالمغرب الأدنى :

أ- **الإرث الثقافي التاريخي للدولة الأغلبية** : ساهم في تطور الحركة الفكرية للمغرب الأدنى وإرتقاء التدوين التاريخي . إذ برز عدّة مؤرخين ومؤلفاتهم المتنوعة الحقول منها :

- **كتاب التاريخ العام** : برز مجموعة من المؤرخين البارعين في هذا الحقل على رأسهم : محمّد بن سحنون (ت 256هـ / 869 م) صاحب كتاب التاريخ الذي نهل منه المالكي إذ يقول هذا الأخير عندما

(1) ليث شاکر : المرجع السابق ، ص 347 .

(2) هو إمام الحفاظ ، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني ، روى عن نفر من الشيخ أمثال : أحمد بن نصر ، قاسم بن أصبغ ، له عدة مؤلفات منها : " كتاب الفتي " ، كتاب تاريخ الأندلس... وغيرها . قيل أزيد من مئة ديوان اختلف في تاريخ وفاته منهم من يقول : سنة إحدى وستين و ثلاثمئة ، والبعض الآخر : توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج16 ، ص ص 165 - 166 ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص 398

(3) ليث شاکر : المرجع السابق ، ص 347 .

(4) برزت أسرة بني الأغلّب بالقيروان . ومن بين أبرز علمائها و أمرائها محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلّب بن إبراهيم بن الأغلّب التميمي أبو العباس ، عرف بحسن سيرته . ومن شعره : **ومما شجا قلبي بتوزر أنني تناءيت عن دار الأحبة والقصر** . له تأليف أخرى إلى جانب " تاريخ بني الأغلّب " كتابي " راحة القلب " و " كتاب الزهر " . ابن الأبار : الحلة السرياء ، ج1 ، ص ص 179 - 181 . محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 53 - 54 .

(5) نفس المرجع ، ص 53 .

أشار إلى سفيان بن وهب قائلاً: " ذكر ابن سحنون في تاريخه أن سفيان بن وهب هذا أغزا إفريقية سنة ستين"⁽¹⁾.بالإضافة إلى المؤرخ المغربي التونسي إسحاق بن أبي عبد الملك الملوشي(ت242 هـ/856 م) : يقول عنه المالكي كذلك : " وقال غير أبي العرب : كان أبو عبد الملك الملوشي صاحب أخبارو مغاز وله كتاب كبير في أخبار الأنبياء..."⁽²⁾؛ ويعني ذلك أن الكتاب في تاريخ الأنبياء يحمل في طياته معلومات عنهم سمعوها أو رواها لهم علماء مشاركة ومغاربة ارتحلوا هنا وهناك . ودامت أهم المؤلفات إلى غاية عهد أبي العرب التميمي المذكور آنفاً .

• كتاب التاريخ المحلي : فمن ترك بصمةً في تأليف التاريخ المحلي نذكر عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت 226هـ / 840م) الذي يقول عنه الدباغ : " وكان أعلم الناس بالتاريخ "⁽³⁾، ويعني بذلك أنه تزلع في الكتابة التاريخية . يصف القاضي عياض في كتابه " تراجمُ أغلبية " قائلاً : " وعنه أخذ الناس أخبار إفريقية وحروبها ، وروى ذلك عن أبيه " .⁽⁴⁾

• كتاب التراجم والطبقات: برز نفرٌ من المؤرخين وكتيبهم، ومن العلماء الذين برعوا في هذا المجال ؛ محمّد بن سحنون صاحب مؤلف " الطبقات" الذي استخدمه المؤرخ المالكي في مؤلفه " رياضُ النفوس" عندما أشار إلى عبد الله بن الحكم البلوي قائلاً: " ذكر ابن سحنون في طبقات أهل إفريقية، لكنّه أدخله في جملة شيوخ المصريين".⁽⁵⁾ كما دَوّن كذلك ابن الجزار(ت 329هـ/979م) وهو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ، من أهل القيروان، طبيب من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب دون عدّة مؤلفات منها: "زاد المسافر في الطب" و" الأدوية المفردة" . ومن المؤلفات التاريخية نذكر كتاب " دولة المهدي وظهورُ بالغرب "⁽⁶⁾بالإضافة إلى كتاب " طبقاتُ القضاة" الذي نقل عنه القاضي عياض⁽⁷⁾.

توصلنا من خلال هذه اللاتحة أنّ فترة الأغلبية تميّزت بازدهار التدوين التاريخي بإفريقية ، وذلك بفضل النشاط الدؤوب للعلماء من جهة ، ومن جهة أخرى تعدّد التخصصات التاريخية (تاريخ عام-

(1) أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح : بشير البكوش . محمد العروسي المطوي ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 ج ، ص 90 .

(2) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 401 .

(3) أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ (696هـ/1297م) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان تعليق : أبو الفضل التتوخي ، تح : محمد الأحمد أبو النور ، محمد ماضوت ، ط2 ، مكتبة الخانجي للنشر المكتبة العتيقة مصر - تونس ، 1968 ، ج2 ، ص 58 .

(4) أبو الفضل القاضي عياض: تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تح: محمد الطالبي، د ط ، طبع بالمطبعة الرسمية ، الجمهورية التونسية ، 1968، ص73.

(5) المالكي : رياض النفوس ، ج1، ص 167.

(6) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ج2، ص ص 38-39.

(7) نفس المصدر ، ج2 ، ص 39 . محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج2، ص ص 23-24.

تاريخ محلي - السير والتراجم والطبقات...) التي تنامت بفضل التأثير والتاثر بين المنطقة والمناطق الأخرى كالأندلس والمشرق الإسلامي ، كما أنّ هذه الفترة التاريخية تعدّ اللبنة الأساسية للتدوين التاريخي في فترة الاستمرار خاصة بعد القرن (5هـ/11م).

ب- التراث التاريخي للدولة الفاطمية (296-362هـ/909-973م): كثيرا ما ارتبطت الحياة الثقافية والفكرية للدولة الفاطمية في المغرب بنشاط الحكام والوزراء الذين شيّدوا مجموعة من المنشآت الثقافية والمراكز التي مثلت مركز العلم والعلماء، فمن أهم المراكز الثقافية التي برزت خلال فترة محلّ الدراسة : مدينة القيروان (1)، رقادة (2) المهديّة (3)، المنصورية (4)، المحمية (5) ... وغيرها. أمّا عن مصادر التثقيف والتعليم فلم تتطوّر إلا بفضل المؤسسات التعليمية (مساجد- مكتبات -كتاتيب... وغيرها) التي شيّدت خلال العصر الفاطمي بإفريقية .

فبالنسبة للمساجد فقد ورث الفاطميون العديد منها بعد سقوط المغرب الإسلامي تحت وطئتهم بهدف بعث الدعوة الشيعية الإسماعيلية. ولن يتم ذلك إلا بتحويل أساليب التلقين ونوعية الدروس من المذهب

(1) أقدم المدن بإفريقية ، تناولتها مصادر قديمة نتيجة لأهمية المنطقة الجغرافية والتاريخية ، عرفت بسير مجموعة من الولاة والعلماء والفقهاء الذين استوطنها ، أما موضعها في طرف البر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4 ، ص ص 421-420.

(2) مدينة من المدن التونسية التي تبعد عن القيروان مسافة أربعة أميال ، تشتهر ببساتينها وهوائها النقي ، وقيل في تسميتها بـرقادة " إن أبا الخطاب عبد العلي بن السمح المعافري القائم بدعوة الإباضية بأطرابلس لما نهض إلى القيروان لقتال رنجومة ، وكانوا قد تغلبوا على القيروان مع عاصم بن جميل التقى بهم بموضه رقادة وهي إذ ذاك منية ..". نفس المصدر ج3، ص55.

(3) مدينة تقع شرق مدينة تونس العاصمة، شيّدت على يد الفاطميين لتكون عاصمة دولتهم وذلك على يد الخليفة عبيد الله المهدي سنة (304هـ/916م) وتبعد عن القيروان حوالي 100 كم جنوبا ، شهدت تطورا على يد الفاطميين الذين اهتموا بالعمارة فبنوا المساجد والمباني والحدائق والحمامات وغيرها. عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة إسلامية ط1 ، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، 2000م ، ص ص 472 - 473.

(4) إحدى المدن التونسية التي بناها الفاطميين على يد الخليفة الفاطمي المنصور على مسافة قريبة من القيروان شرق تونس سنة (337هـ/948م) كما أنها تعد إحدى العواصم الفاطمية آنذاك. نفس المرجع ، ص 470 .

(5) هي مدينة المسيا يقال لها المحمية تم اختطاطها على يد محمد بن المهدي المعروف القائم بأمر الله ، اشتهرت المنطقة بالعلم والثقافة على عهد علي بن حمدون . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج5، ص ص 64 - 65 .

السُّني إلى الشَّيعي ، وبذلك القضاء على السُّنن المالكيَّة التي سادت المغرب و أهلها ومن المساجد التي استُغلت : الجامع الأعظم بالقيروان (1) ، ومسجد الناقة بطرابلس (2).

كما أنَّ الكتاتيب أسهمت كثيرا في نشر العلم والثقافة ، حيث انقسمت خلال العصر الفاطمي إلى قسمين عامَّة وخاصَّة ، فالأولى كانت تنشط داخل الزوايا ومعالم المدن من مساجد ومدارس ، أمَّا الثانية فقد كانت مشيِّدة داخل قصور الفاطميين (3) ومن التآليف التي دونت خلال الفترة بين أدوار التعليمية التي كانت تدرس بها وكذا المناهج المتبعة نذكر : كتاب " سياسة الصبيان وتدريبهم " لابن الجزار (ت 269هـ/909م) (4).

شهد العصر الفاطمي تشييد مكتبات لنشر التعليم وحفظ التراث الفاطمي من كتب ومخطوطات ويمكن تقسيمها إلى قسمين : مكتبات خاصة وأخرى عامة ، ومن المكتبات التي ورثها الفاطميين عن الأغالبة المكتبة الشهيرة المعروفة ببيت الحكمة (5) ، وفي هذه اللائحة ذكر لأبرز المكتبات :

- **المكتبات الخاصة** : نذكر منها: مكتبة المنصورية من تشييد المعز لدين الله الفاطمي التي كانت زاخرة بالكتب متنوعة الحقول منها الكتب التاريخية .

- **المكتبات العامَّة** : نذكر أبرزها : المكتبة الحكومية العامَّة التي بجانبها شيِّدت خزائن كتب في مساجد أوقف عليها للطلبة مثل : عبد الله بن هاشم بن مسرور التجيبي الذي أوقف ثلثي مكتبته (6). فقد ساهمت هذه المكتبات في حفظ أمَّهات المخطوطات والكتب خاصَّة وأنَّ العهد الفاطمي كانت له غاية يسمو لتحقيقها من جهة ، ومن جهةٍ أخرى ساهموا من خلالها في تنشيط الحركة الفكرية والتأليف بالخصوص. ومن أبرز كتاب الكتاتيب التاريخية آنذاك نذكر:

(1) أحمد فكري : المرجع السابق ، ص ص 12-13 .

(2) هناك مسجدان بنفس التسمية ، أحدهما بناه المعز لدين الله الفاطمي في طريقه لمصر سنة (362هـ/973م) والثاني جامع الفرح ويعرف بجامع الناقة . أحمد مختار عمر : **النشاط الثقافي في ليبيا - من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي -** ، ط1 ، مكتبة لسان العرب ، منشورات الجاهة الليبية ، كلية التربية ، ليبيا ، 1971 ، ص ص 103-104.

(3) جمع الكتاب، وهو مشتق من لفظ التكتيب ، وجاء في قاموس المحيط "موضع التعليم" الكتاب والمكتب واحد - غلط - وجمع كتاتيب . مجد الدين محمد الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي (ت 817هـ/1415م) : **القاموس المحيط** ، ط1 ، طبعة جديدة لوان ، دار الكتاب العلمية ، بيروت، 1995 ، ج 1 ، ص 161.

(4) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 22

(5) محمد زيتون : **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية** ، ط1 ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1988 ، ص 410.

(6) نفس المرجع، ص ص 411-414.

- أبو المهاجر دينار: أَلَّف كتابا في فتوح افريقية ، توفي نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي حيث يقول أبو العرب التميمي في كتابه " طبقات علماء افريقية " أنه أَلَّف كتابا في فتوح افريقية سمع منه عدَّة شيوخ.(1)

- عبد الله بن أبي حسان اليحصبي : عالما بالتاريخ والأنساب.(2)

- محمَّد بن سحنون : أَلَّف كتاب في التاريخ ، بالإضافة إلى كتابه "الإمامة" الذي أثبت من خلال الفكر التاريخي العقائدي.(3)

- محمَّد بن يوسف الوراق القيرواني(ت 362هـ/973م) : صاحب كتاب عن تاريخ افريقية والمغرب وصلنا من اقتباس البكري.(4)

- أبو حنيفة النُّعْمان المغربي : دَوَّن كتبا من بينها : كتاب " شرحُ الأخبار وأرجوزة تسمى "ذات المنن" وأخرى " ذاتُ المحن "... وغيرها من الكتب.(5)

ج- **التراث التاريخي للدولة الموحدية** : تتوّعت الكتابات التاريخية في العصر الموحد بين التاريخ العام والخاص ، التراجم، النوازل... وغيرها من الميادين ، ومن أبرز المؤلِّفات التي ذاع صيتها بالمغرب الأدنى (تونس نموذجا) مايلي :

- كتاب " بلغةُ الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء " لأبي الحسن الروحي(ت 576هـ/1180م) : تناول فيه صاحب الكتاب تاريخ السيرة النبوية بدءا من عهد الرسول ﷺ ذاكراً كل ما يخصُّ (أمّه ، أعمامه عماته مولده ، صفاته ، أولاده) . ثمَّ عرج على الخلفاء الراشدين ، متتبعاً إنتشار الإسلام وتوسُّعه على عهد الدولة الأموية (بدءاً من معاوية) ، ليعرج عل أخبار خلفاء الدولة العباسية والفاطمية والواضح أنه إهتم كثيراً بأخبار الأندلس إذ أورد جزءاً لذلك(6) .

(1) أبو العرب التميمي :المصدر السابق ، ص120.

(2) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج1 ، ص418.

(3) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج13 ، ص61.

(4) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج5 ، ص126.

(5) يقول ابن الثغري بردي : " والنعمان بن محمد أبو حنيفة المغربي الباطني قاضي مملكة المعز وكان حنفي المذهب ، لأن الغرب كان يوم ذلك غالبه حنفية إلى أن حمل الناس علة مذهب مالك ... " ابن ثغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج4، ص 107 . البغدادي : هدية العارفين ، ج2، ص 495.

(6) عهد الخلافة الراشدة (11 - 40 هـ / 632 - 661 م) ، عهد الخلفاء الأمويون (41 - 132 هـ / 661 - 744 م) عهد الخلفاء العباسيين (132 - 656 هـ / 750 - 1258 م) ، دراسة في فهرس الكتاب . أبي الحسن علي بن عبد الرحمان الروحي(ت 611هـ/1215م) : بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تح : محمد زينهم محمد غرب ، دط ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر (بور سعيد) ، دت ، ص ص 187 - 192 .

إن تمعنا في حيثيات المؤلف فإننا نقف على نقطة وهي أن المؤلف عاش في العهد الموحي الذي لم يتطرق إليه إلاّ عندما أشار إلى جامع الأندلس بعد خروجها عن الدولة الأموية متطرقاً إلى عبد المؤمن بن علي النّدرومي⁽¹⁾ .

- كتاب " الإكتفاء في أخبار الخلفاء " لإبن الكردبوس (ت بعد 575 هـ /1179م) : أشار فيه إلى التاريخ السياسي للعالم الإسلامي من عهد النبوة إلى غاية فترة ثالث خلفاء الدولة الموحدية الذين عاصرهم ويوجد للكتاب عشر نسخ مخطوطة في عدة مكتبات (نسخة دار الكتب الوطنية بتونس مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.. وغيرها)⁽²⁾.

- كتاب " أخبار المهدي بن تومرت " للبيدق (ت 555 هـ / 1160م) : يشمل الكتاب قسمين ؛ فالقسم الأول : تناول فيه دعوة عبد المؤمن ورحلته إلى المغرب ، أمّا القسم الثاني : تحدث فيه عن حركة عبد المؤمن وتأسيسه للدولة الموحدية .⁽³⁾

د- خصائص التدوين التاريخي بالمغرب الأدنى ومناهجه : كثيراً ما دَوّن مؤرّخي الدولة الحفصية كتبهم التاريخية بهدف تمجيد بني حفص وتبجيل إنجازاتهم لذلك صبغت أغلبها بطابع أدبي مليء بعبارات الرّثاء لأصحاب البلاط الحفصي ، كما تميّزت بأساليبها المتأنقة . وهذا ليس مقتصرأً بعصر معين⁽⁴⁾ . ففي هذه اللاتحة سنتتبع ذلك مبرزين أبرز الحقول التاريخية التي اشتهرت بها هذه المؤلفات التاريخية . كما أنه لا يخص فقط مؤرّخي الدولة المولدين أرجاء تونس ، وإنما حتّى الوافدين المستقرين فيها .

فمن أبرز مظاهر الإهتمام والمكانة الحظوة التي لقيها عدّة مؤرّخين في بلاط الحفصيين بدءاً من القرن (7هـ/13م) ، فإن أغلب السلاطين الذين تعاقبوا على السلطة ببلاد المغرب الأدنى قد أولوا عناية بالعلم والعلماء محاولين تطوير الحياة الفكرية بعد الذي وصلته قبل وصولهم إلى الحكم بدءاً من تأصيل الحفصيين نسبهم بفضل المؤرّخين إذ يقول في ذلك التنسي : " ومن المعروف أنّ بني حفص لم يدعوا فيما يخصهم نسباً شريفاً غير أنّ المؤرّخين قد لفقوا لهم نسباً عربياً رفيعاً إلى عمر بن الخطّاب "⁽⁵⁾ . وهذا قد يكونوا سبب لتقريب سلاطين الدولة الحفصية للمؤرّخين حتى تصبح للدولة ركائز أصولية تساهم في توطيد أركانها . فقد سجلت عدّة مراجع إسهامات مجموعة من المؤرّخين ببلاد المغرب الأدنى خلال القرن (7هـ/13م) نذكر من بينهم :

(1) عبد الرحمان الروحي : المصدر السابق ، ص 102 .

(2) ابن الكردبوس التوزري : الإكتفاء في أخبار الخلفاء ، تح : صالح الغامدي ، ط1 ، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية المدينة المنورة ، 2008 ، ج 1 ، ص ص 69 - 70 .

(3) أبي بكر علي الصنهاجي المكنى البيدق (كان حيا 6هـ/1182م) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين دط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 ، ص 06 .

(4) أحمد الطويلي : المرجع السابق ، مج2 ، ص 505 .

(5) التنسي : تاريخ بني زيان ، ص 65 .

• كتابات السيرة والمناقب : الجدير بالذكر أن هذا الحقل ليس وليد فترة الدراسة ، لكننا سنقف على بعض الدراسات التاريخية التي راجت بالمنطقة أو ألفت في تلك الأثناء ، فأصبح لها مكانة مرموقة في الدراسات مثل :

- كتاب " الأعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام " للأديب والمؤرخ⁽¹⁾ والمحدث البارع أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم الأنصاري الشهير بالبياسي(ت653هـ / 1256م) : تونسسي الموطن والوفاة اشتهر بكتابه المذكور آنفاً وكذا كتاب " الحماسة "، تتلمذ على يده الأمير أبو زكرياء الذي جمع له أحاديث كتابه⁽²⁾. يبدأ كتابه المذكور من مقتل الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه -، ليصل في نهايته إلى خروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية ، وهو عبارة عن مجلدين⁽³⁾ لم نقف عليه إلا في طيات بعض المصادر ، وبذلك يعتبر أحد أبرز المؤرخين الوافدين على المنطقة .

- كتاب " مناقب الأولياء وبيان ترباتهم ومزاراتهم " لمحمد بن عبد السلام الهواري (ت 664هـ / 1265م) : صوفي ومؤرخ تونسي ، أحد أتباع الشيخ أبي سعيد الباجي ، يعرف بالصّلاح أكثر المؤرخين الذين ألقوا في مجال المناقب فإلى جانب المؤلف المذكور ألفت مؤلفات أخرى مثل :

- مناقب عياد الزيات : متوفر بالمكتبة الوطنية التونسية عن المكتبة العبدلية .

- مناقب أبي العباس أحمد بن جعفر السبتى ، محمد المغربي ، محرز بن خلف وغيرهم من الشيوخ : وهو مجموع متواجد بالمكتبة الوطنية كذلك عن المكتبة العبدلية ؛ الذي حسب بعض الباحثين من بينهم محمد محفوظ ناقص الآخر إذ سقطت منه مناقب بعض الشيوخ مثل : مناقب ماضي بن سلطان بين الشيخين الحسن الشاذلي وعبد القادر الجيلاني ، بالإضافة إلى مناقب الجيلي⁽⁴⁾ .

• كتابات التواريخ المحليّة وتاريخ الدول : استشهد ثلثة من المؤرخين بمصادر تاريخية تخص تاريخ الدولة الحفصية أو الدول التي تعاقبت على المنطقة والمغرب الإسلامي . فمن بين الكتابات نذكر :

- كتاب "تاريخ ابن النخيل" لمحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز ابننخيل الأندلسي التونسي (ت618هـ/1222م) : كاتب وأديب ومؤرخ ، تولى ولاية إفريقية من قبل الموحيدين ، عُيّن كاتباً للولي الحفصي من قبل الناصر الموحيدي أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص المشهور بكتاب التاريخ المعتمد

(1) ابن الأثير : الحلة السيرة ، ج 1 ، ص 32 .

(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 23 ، ص 339 . ابن الشماع : الأدلة البينية ، ص 10 . ابن قنفذ القسنطيني : الفارسية ، ص 119 .

(3) ابن الشماع : المصدر السابق ، ص 10 .

(4) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 5 ، ص ص 108 . 109 .

من قبل عدة مؤرخين مثل : ابن خلدون والزرکشي⁽¹⁾ .يقول عنه ابن الأبار فيكتابه " إعتاب الكتاب " مايلي : " وكان ابن النخيل لأوّل هذه الإساية المباركة ممّن فاز بقبح النباهة المعلى وعماد بعد العطل من الوجاهة المحلى ، نقلته السعادة من ديوان الأعمال إلى ديوان الرسائل وأعلقتة بأعظم الحرمات وأشرف الوسائل فأجاد الإنشاء وتبوأ من رفيات المراتب حيث شاء "⁽²⁾؛ ويعني بذلك إعتلاء ابن نخيل مراكز ذات مكانة مرموقة في الدواوين سمحت له بتدوين مؤلفات تاريخية مثل :

- كتاب التاريخ المسمّى " تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية " الذي لم نقف عليه ، وإنما اقتبس منه بعض المؤرخين كالتجاني في رحلته عندما أشار إلى وصول الناصر إفريقية سنة (601هـ/1205م) وغيرها من الإنتقالات التي حدثت ببلاد المغرب الأدنى قائلاً : " وفي فصل من تاريخ ابن النخيل قال : ولما وصل الناصر إلى إفريقية في سنة إحدى وستمئة خرج الميورقي من تونس ووصل بسكرة إلى القيروان فأقام بها أيضاً ثم انتقل إلى قفصة ومن قفصة إلى جبل دمر... إنتهى كلام ابن نخيل "⁽³⁾.

كما أن ابن سعيد أشار إلى المؤلف في كتابه " الغصون اليانعة " عندما تحدث عن الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكورائي قائلاً:"وقفت على ترجمته في تاريخ ابن نجيل " : وقيل ابن نجيل تحريف لابن نخيل سواء كان من الناسخ أو الطابع⁽⁴⁾ .يتضح من المعلومات التي نقلها المؤرخين من كتابات ابن نخيل أنه تطرق في تاريخه " تاريخ ابن نخيل " إلى فترة أمراء ملوك الطوائف خاصة فترة انهيار الدولة الصنهاجية ، بالإضافة إلى تاريخ الدولة الموحدية بتونس دون أن ننسى تطرقه لبعض التراجم وذلك إن عدنا إلى ابن سعيد ، أي أنه كان كثير العناية بالأنساب والعلماء⁽⁵⁾ .

- كتاب " ديوان ابن نخيل " : عرف ابن نخيل بتدوين رسالتين ؛ فالرسالة الأولى؛ أشار إليها ابن الأبار وهي تخصّث الإحتفاء بمناسبة انتصار الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص علي الثائر يحي بن إسحاق الميورقي في واقعة شيزو منتصف شهر صفر(604هـ/1208 م) قائلاً: " وهذه فصول من رسالته السلطانية في وقية شيزو- شيزو- من نواحي سبتة منتصف أربع وستمئة، وقد انتصر الحق من

(1) ابن الشماخ : المصدر السابق ، ص 10 11 . محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 5 ، ص 28 .

(2) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار : إعتاب الكتاب ، تح : صالح الأشر ، ط1 مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق 1961 ، ص 237 . محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 5 ، ص 30 .

(3) التجاني : الرحلة ، ص 147 .

(4) أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي المعروف بابن سعيد (610 - 685هـ) : الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، تح : إبراهيم الأبياري ، دط ، دار المعارف ، مصر ، 1945 ، ص 98 . محمد محفوظ : المرجع السابق ج 5 ، ص 32 .

(5) محمد محفوظ : نفس المرجع ، ج 5 ، ص 32 .

الباطل" (1). أمّا الرسالة الثانية ؛ فقد أنشئت بمناسبة تحقيق الثائر يحي الميورقي الإنتصار في واقعة وادي موسى - سفح جبل نفوسة بليبيا - سنة (606هـ/1210م) حيث يصف ابن الأبار عن ذلك قائلاً : "ومن رسالته السلطانية أيضاً في الوقعة الكبرى بوادي أبي موسى سنة ستة وستمائة..." (2). وبما أنّ كلتا الرسائل عبارة عن أحداث تاريخية ، فإنّ هذه الدواوين جدّ مهمة في التدوين للموحدين والقبائل المواليين لهم.

• **التراجم والطبقات** : تمتع هذا الحقل بكتابات عدّة سواء من قبل المؤرخين التونسيين الأصل والمؤرخين التونسيين بالموطن ومن الذين برزت مؤلفاتهم نذكر ابن الأبار - بالموطن - صاحب عدّة مؤلفات في هذا الحقل منها :

- كتاب " التكملة لكتاب الصلة " : كتاب في تراجم علماء الأندلس ، مكمل لكتاب " الصلة " لإبن بشكوال ، تناول من خلاله أسماء الرجال مدة خمسة عشر عاماً. وهو من المؤلفات المطبوعة عدة مرات ونحن وقفنا على طبعة دار الفكر تحقيق عبد السلام الهراس . إذ يقول في مقدمته " وبعد : فهذا كتاب التكملة لكتاب الصلة الذي ألف أبو القاسم ابن بشكوال فوصل المنفصل وطبق في معارضة أبي الوليد بن الفرضي المفصل " . تناول من خلاله الفترة الممتدة ما بين (631 - 646هـ / 1235 - 1250م) (3).

- كتاب " المعجم في أصحاب القاضي الصفدي " : من كتب التراجم ، تناول فيه تراجم الأندلسيين الذين عاشوا أو إلتقوا أو على معرفة بالقاضي أبا علي الصفدي ، مصنفاً إياهم حسب الترتيب الأبجدي والكتاب مطبوع وقفنا على نسخة منه من نشر وطباعة دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني ، إذ يشير في مقدمة الكتاب إلى سبب تأليفه للمؤلف قائلاً: " وبعد : فهؤلاء الرواة عن القاضي أبي علي بن سكرة الصدي السرقسطي، ويعرف بابن الدراج، سموت إلى جمع أسمائهم، وأبيات من شكاتهم..." (4).

- كتاب " الحلة السيرة في أشعار الأمراء " : كتاب أدبي تاريخي يصف مساهمة الأدباء والأمراء في الحروب والمجال السياسي خاصّة الأندلسيين والمنحدرين من شمال إفريقيا ، مقسماً الكتاب إلى قسمين : فالقسم الأوّل ، تناول فيه مجموعة من التراجم للذين لم يتمكن من الوصول لأثارهم ، أمّا القسم الثاني

(1) ابن الأبار: إعتاب الكتاب ، ص 237 ، محمد محفوظ : نفس المرجع ، ج 5 ، ص 32 .

(2) ابن الأبار: المصدر السابق ، ص 240 .

(3) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، تح : عبد السلام الهراس ، ط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1995 م ، ج 1 ، ص 05 . ابن الأبار : إعتاب الكتاب ، ص 21 .

(4) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدي ، تح : إبراهيم الأبياري ، ط 1 ، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني ، بيروت - القاهرة ، 1989 ، ص 13 . ابن الأبار : إعتاب الكتاب ، ص 21 .

عبارة عن ملحق . اعتمد تصنيفه الترتيب الزمني ، فأفرد لكل قرن رجاله بدءاً من القرن الأول إلى غاية القرن السابع أمّا الملحق فتناول فيه من القرن الأول إلى الثالث⁽¹⁾ .

بالإضافة إلى ابن الأبار برز نموذج آخر لكتاب التراجم بالمولد والأصل ألا وهو : الذباغ الذي تميّز في المعقول والمنقول حيث أخذ علومه من والده ، وثُلّة من شيوخه الذين بلغوا أزيد من ثمانين شيخاً الذين تناولهم في برنامجه ، كما اشتهر بمؤلفه " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان " ، الذي تناول فيه أسيّاح زمانه⁽²⁾ .

• **الفهارس والبرامج** : كثيراً ما كان للتأليف المتعلقة بالسيرة الذاتية رابط مشترك مع الفهارس خاصّة في اتّخاذ الذات مركزاً ومحوراً رئيسياً للحديث عن الضمير المتكلم ، لكن ما يتخذ عليها أن تخصّ مرحلة فقط من مراحل الحياة الشخصية ألا وهي مرحلة التكوين العلمي على يد كبار الأساتذة ، ومن خلال جملة الكتب التي وصلت إليهم . فقد برع نَقَر من الأدباء والعلماء والمؤرخين خلال العهد الحفصي بفهارسهم لكن للأسف الكثير منها فُقد وضاع ولم يبقى إلا نَزْرٌ قليل⁽³⁾ .

تكشف لنا المصادر التاريخية بروز عدة كتابات في مجال الفهارس بتونس ، أهمّها :

- كتاب " فهرسة شيوخ الدباغ " (برنامج) : تمّ الإشارة إليه من قبل الزركلي في كتابه " الأعلام " حيث ذكر من خلال كتابه أن الدباغ أحصى نيف وثمانين شيخ في برنامجه⁽⁴⁾ ، ويضف أبي عبد الله الأندلسي صاحب " الحلّ السُنديسي " على الكتاب الأوّل قائلاً: " وله برنامج فيه أسماءهم وماروى عنهم " ، ولم يكتفي بذلك إذ أكّد أنه قرأ على يده البعض من برنامجه ، كما أجازته وولده إجازة عامة⁽⁵⁾ .

ظلّت الحقول التاريخية في إستمرار بالمغرب الأدنى من خلال كتابات مؤرّخي القرن (8هـ/14م) إذ دوّنت المصادر التاريخية ذلك ، رغم أن البعض منها عبارة عن إقتباسات ونصوص ، أو ذكّر للمؤلف والمؤلف فقط دون تحليل محتوى المؤلّف . فمن الدراسات التي وصلتنا خلال هذه الحقبة محل الدراسة نذكر :

(1) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج 1 ، ص ص 51- 52 ، ابن الأبار : اعاتاب الكتاب ، ص 21 .

(2) أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي - الدباغ - : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق: إبراهيم شتوح ، ط 2 ، مكتبة الخانجي للنشر ، مصر ، 1968 ، ج 1 ، ص مقدمة الكتاب . أحمد الطويلي : المرجع السابق ، مج 2 ، ص 508 .

(3) أحمد الطويلي : نفس المرجع ، مج 2 ، ص ص 486- 487 .

(4) الزركلي : الأعلام ، ج 3 ، ص 329 .

(5) أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي : الحلّ السُنديسي في الأخبار التونسية ، ط 1 ، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، تونس ، 1287 ، ص 89 .

• كتابات التواريخ الحولية وتاريخ الدول : كتب مؤرخي تونس في القرن (8هـ/14م) كتابات عن المغرب الأدنى ومختلف الحواضر الإسلامية وهذه النماذج تندرج ضمن مصنفات التواريخ المحلية للمدن بالإضافة إلى كتب الحوليات التي حملت في طياتها معلومات عن أحوال المغرب الأدنى وكذا النطاقات الإسلامية الأخرى . ومن أبرزها خلال القرن محل الدراسة نذكر :

- كتب التتوخي(ت737هـ/1337م) : فالأول ؛ الشهير بـ " اختصارُ ذيل تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني" الذي يعد من كتب الحوليات التي اختصر من خلاله كتاب السمعاني ، أمّا الثاني؛ فهو كتاب " تاريخ على طريقة الطبري ". كلاهما اعتمد في تحريرهما على الحوليات ، إذ رتّب الأحداث حسب السنين بدءاً من البعثة المحمدية إلى عصره ، وهذا يدل على دراسته لحقب زمنية عدّة وكل الديورات التي تعاقبت على المنطقة (عهد الفاتحين العرب ، عهد الإمارة الأغلبية ، عهد الخلافة الفاطمية ، عهد الدولة الصنهاجية ، عهد الدولة الموحدية)، يشمل الكتاب 6 أسفار. توفي في 27 جمادى الثانية سنة (737هـ/1337م).⁽¹⁾

• أدب الرّحلات :برزت تأليف في مجال الرحلات الجغرافية أبرزها :

- كتاب " رحلة التجاني " : للعلامة والمؤرخ الأديب عبد الله التجاني كاتب الإنشاء على عهد السلطان محمد الشهير بأبي عصيدة في بدايات القرن(8هـ/14م) ، كما أنه اعتلى نفس المنصب على عهد صاحب رحلة الأمير أبي يحيى زكريا ابن اللحياتي⁽²⁾.تناقل في رحلته معلومات تاريخية موثوقة عن مجموع الدول التي قام بزيارتها ، كما احتوى في طياتها معلومات جغرافية في مجال المسالك والممالك حتّى اعتبرت المصادر التاريخية رحلته من أبرز المصادر⁽³⁾ .

(1) التتوخي (737هـ/1337م) : أبرز المحدثين والمؤرخين التونسيين ، ينتسب إلى بيت علم وجاه . اسمه الكامل عبد الله بن محمد ابن الشيخ القاضي أبي القاسم بن علي ابن البراء ، يشتهر بابن عبد البر . نهل علومه عن نفر من شيوخ الجوامع التونسية العظمى مثل : جده أبو القاسم ، الشيخ خالد البلوي الأندلسي ، ونتيجة لبراعته وإتقانه لمختلف العلوم العقلية والنقلية ثم إجازته بما رواه عن جده ، وإجازة عامة. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 191 - 192 . ليث شاكر : المرجع السابق ، ص 351. محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ج1 ، ص 298 .

(2) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 155 . الزركلي : الأعلام ، ج4 ، ص 128 .

(3) عبد الرحمان حسين العزاوي : المغرب العربي في العصر الإسلامي ، ط1 ، دار الخليج للنشر ، عمان ، 2010 ، ص

كما هو سائد في عصره فأثناء وصفه للقرى والمدن التاريخية التي مرّ منها في رحلته صحبة مخدومة الأمير أبي يحيى زكريا بن اللحياني ، ترجم لعدّة فقهاء وأدباء وعلماء... وغيرهم⁽¹⁾ .

اتّخذت الرحلة مسلكاً بطيئاً ساهم في دقة الوصف الجغرافي والتاريخي بالإضافة إلى دقة الإستشهاد وتنوّع الإقتباسات، بل أورد المؤلف مجموعة من الوثائق التاريخية التي تبرهن الأمانة العلمية عنده فرغم أنّ الأسلوب الذي أعده أسلوب أدبي محظ . إلا أنّ ذلك لم يثقل رحلته بالإنطباعات الشخصية أو بالبرهنة على سعة معارفه ومهاراته ككاتب ، كما أنّه من الطبيعي أنّ تخضع رحلته للتقاليد المشرقية بإعتباره تأثر بما هو سائد في بلاد المشرق ، وكونه استنفع و استزاد علمياً من علماء في عدّة حواضر مشرقية منها : القاهرة ، دمشق ، مكة... وغيرها⁽²⁾ . وظلّت رحلته بعد وفاته (قيل كان حياً سنة 718هـ / 1308م) من أهمّ ما كتب في أدب الرّحلات⁽³⁾ .

- رحلات ابن جابر : للعالم التونسي المالكي ، ابن جابر الوادي آشي ، الملقب شمس الدين المكنى بأبي عبد الله ، والذي تعلم على يد والده وكذا أكابر شيوخ وعلماء تونس . فقبل وفاته بمرض الطاعون سنة (749هـ/1348م)⁽⁴⁾ قام برحلتين هما : الرّحلة الأولى : سنة (720هـ/1320م) . الرّحلة الثانية : سنة (734هـ/1333م) .

مثّلت تونس الحاضرة المغاربية لأغلب الرّحالة نحو المشرق الإسلامي وكذا الأندلس، باعتبارها مركزاً لجذب العلماء سواءً لنهل العلم والتدريس أو لتولي مناصب ذات مكانة في السّلطة، فباعتبار الرحالة ابن جابر الوادي آشي ترعرع في هذا الجو العلمي ، والتقى بكبار العلماء والرحالة فإن ذلك ولد لديه رغبة الترحال⁽⁵⁾ .

تميّز صاحب الرحلتين بكثرة شيوخه أثناء رحلته للحج وطلب العلم ، وذلك يرجع لحرصه على السّماع والرّواية ، فكان ثقة ثيقاً حتى صنّف ضمن الرحالة عظيمي الوقار ، والعفة الأدبية ، فلم تحتوي

(1) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 157 .

(2) نفس المرجع ، ج 1 ، ص 157 .

(3) اختلفت المصادر التاريخية حول تاريخ وفاته والمرجع (سنة 718هـ/1318م) ، حيث جاء في طيات " تراجم المؤلفين التونسيين " إشارة إلى أنه منذ سنة (717هـ/1317م) ، لا يعلم عن مصيره . نفسه ، ج 1 ، ص 156 .

(4) اتفقت المصادر التاريخية أن محمد بن جابر بن محمد بن القاسم ابن حسّان الوادي آشي القيسي ولد بتونس من أصول أندلسية سنة (673هـ/1274م)، وبها توفي في السنة المذكورة ، تاركاً مكتبة ثرية بأهمّ الكتب المتنوعة الحقول ، إذ يقول عنه ابن حجر : " وكتب بخطه كثيراً ، وخرج التخرّيج ، وقرأ الحديث بفصاحة " . ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ج 3 ، ص 414 . شمس الدين بن جابر الوادي آشي : برنامج ابن جابر الوادي آشي ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيلة دط ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، تونس ، 1981 ، صفحات 11 - 23 - 24 . عواطف محمد يوسف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية - مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7 و 8 الهجريين دراسة تحليلية مقارنة- ، ط 1 مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996 ، ص 124 .

(5) عواطف نواب : المرجع السابق ، ص 125 .

رحلته وصف للأحداث التاريخية ، أو وصفاً جغرافياً للمدن والقرى التي مرّ بها أثناء رحلته ، وإنّما قيدها على هيئة برامج ؛ أي سجلاً تناول فيه المدن الإسلامية ، تراجم وأسماء شيوخه وكتبه⁽¹⁾ .

أكدت الكاتبة عواطف نواب في كتابها أنّ رحلته ليست رحلة وصفية وإنّما عبارة عن برنامج يتميز بما يلي : الجزء الأول : قسم البرنامج إلى قسمين : فالقسم الأول ترجم فيه العلماء التقى بهم وأخذ عنهم مباشرة . أو ارتبط معهم علمياً على النحو الآتي (اللقب . الكنية . الإسم . البلد المنتمي إليه العالم . سنة الميلاد والشهر . المنصب . قراءاته . بيان مقدار الأخذ . مكانة والكتب التي سمعها . سنة الوفاة والمكان) أمّا القسم الثاني من الجزء الأول تناول فيه شيوخه الذين أجازوه منتهجاً مايلي (الترتيب حسب الحروف الأبجدية : إسم العالم ، ولادته ، شيوخه ، ذكر سنة الوفاة دون ترجمة) . أما الجزء الثاني : أفردته للمصادر التي أخذها عن العلماء الذين التقى بهم دون وصفها ، منتهجاً في الدراسة التصنيف حسب العلوم (القرآن الكريم وعلومه ، الحديث وعلومه ، التصوف واللغة والأدب ، كتب الفهارس)⁽²⁾ .

الجدير بالذّكر أنّ محقق البرنامج الدكتور محمد الحبيب الهيلة ذكر أنّ الرحالة الواد أشي راجع برنامجه سنة (1343هـ/1744م) أو بعدها بقليل لكونه أضفى إضافات تخص بعض الترجمات التابعة للقسم الأول من الجزء الأول ، وذكر أنّ هذه الترجمات غير موجودة في نسخة المخطوطة الأندلسية . فيما أنّ رحلته عبارة عن برنامج فإن أسلوبه تمتع بالسهولة والوضوح والإيجاز بعيداً عن الطرق الأدبية الصعبة⁽³⁾ .

- كتابات التراجم والطبقات والأنساب والفهارس : أولى مؤرّخي المغرب الأدنى اهتماماً بهذه الحقول فبرزت على أساس ذلك مجموعة من الكتابات نذكر منها :
- كتاب "مختصرُ المشرق في علماء المغرب والمشرق" : يظهر من كتب التراجم التي دونها التتوخي (ت 737هـ/1337م) لكن للأسف لم نقف عليه⁽⁴⁾ .
- كتاب " أعمالُ الأعل" المؤلف لسان الدين ابن الخطيب : يعتبر من المؤرّخين الذين دونوا عن المغرب الإسلامي، وهذا الكتاب من كتب التراجم الذي اشتمل مجموعة من التراجم المشرقية والمغربية.

(1) عواطف نواب : المرجع السابق ، ص 126 .

(2) نفس المرجع ، ص ص 128 - 129 .

(3) بن جابر الوادي أشي : المصدر السابق ، ص 37 .

(4) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 192 .

ففي القسم الأوّل تناول فيه ما يخص بلاد المشرق ، أما الثاني اختصه لتاريخ إسبانيا المسلمة والثالث متعلق بشمال إفريقية وصقلية، ركّز في كتابان بالنسبة لهذا القسم على أحداث وأعلام المغرب الأدنى (1).
- كتاب "برنامج التتوخي": عبارة عن برنامج جمع فيه أشياخه وأسانيده ، لكننا لم نقف عليه (2) .

يعتبر القرن (9هـ/15م) أكثر القرون ازدهاراً للكتابات التاريخية بالمغرب الأدنى، إذ تتوّعت وتعددت الحقول والكتب المؤلفة آنذاك ، ففي هذه اللآئحة نذكر بعض الدّراسات وفق حقولها التاريخية :

• **كتابات التواريخ الحولية وتاريخ الدول** : استمر المؤرّخون في تدوين الكتابات على أساس هذا الحقل الذي يعدّ ركيزة الكتابات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية للدولة الحفصية كغيرها من الدول من جهة ، ومن جهة أخرى حاول المؤرّخين إبراز مكانة الحواضر الإسلامية المغاربية . وأبرزها نذكر :
- كتاب " العبرُ وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُلطان الأكبر " : لعبد الرّحمان بن خلدون (ت808هـ/1405م) ، الذي ولد في عهد الأمير الحفصي أبي بكر بن أبي زكريا بتونس ، ونشأ وتعلم فيها الأدب والعلم حتى إعتلى الفقه والأدب والعلوم فوصف بعدة أوصاف ذات قيمة إجتماعية وعلمية فقيل: " وأوّل من طرق علم التاريخ بتجرّد ورأي ثاقب". فكان بذلك عالماً وفقهياً عالي الهمة ، بعيد النظر في آرائه وأحكامه التاريخية(3). فهو يعد من المؤرّخين الذين تقلّدوا مناصب عدة خاصة بالأندلس والمغرب الأدنى فكتب عن تعاقب الدول في هذه الأخيرة، باعتباره ولي ديوان الإنشاء بالدولة الحفصية قبل أن يبدأ رحلته بإتجاه غرناطة وفاس وبجاية ليعود مجدداً إلى تونس حاملاً معه كتاب " العبرُ " الذي قدمه لسلطانها آنذاك ويتم رحلته نحو المشرق مجدداً ماراً بكل من القاهرة وبلاد الحجاز (4) . وما وصلنا من معلومات عن بلاد المغرب الأدنى في مقدّمة كتابه " العبر "

(1) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي المعروف بلسان الدين ابن الخطيب ؛ مؤرّخ وأديب ، ولد سنة(713هـ/1313م) بمدينة لوشة LOJA ، عرف بورعه وإتقانه لمختلف العلوم ، قتل خنقاً في سجنه ودفن بمقبرة باب المحروق بفاس سنة (776هـ/1376م) . طه ياسين يسري : لسان الدين بن الخطيب ومنهجه في كتابه أوصاف الناس في التواريخ والصلوات ، دط ، الجامعة العراقية العراق ، دت صفحات 459 - 465 - 468 . ابن قنفذ القسنطيني : الوفيات ، ص ص 370 - 371 .

(2) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 192 .

(3) أحمد بن عامر: الدولة الحفصية ، دط ، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974، ص 69. محمد النيفر : المرجع السابق ج1 ، ص 336 .

(4) علي عبد الواحد وافي : عبد الرحمان بن خلدون (حياته وآثاره ومظاهر عبقريته) ، دط ، مكتبة مصر للنشر الجمهورية العربية المتحدة ، 2009 ، ص ص 230 - 231 .

تخصّ عهود عدّة كعهد الأغلبية والخلافة الفاطمية وكذا الدولة الصنهاجية والموحدين إلى غاية أيام عصره على عهد الدولة الحفصية⁽¹⁾ .

المعروف على ابن خلدون أنّه كثيراً ما يركز على إنتهاج المنهج العلمي في دراسة التاريخ ، فكلّ معلومة ذكرت دون ذلك فإنّها غير صحيحة ، فذلك لأبّد من إستقراء المعلومات والتحقّق منها لإستخلاص النتائج ، فبالرغم من الإنتقادات التي تعرّض لها ابن خلدون ككتابة ومَنهجاً إلاّ أنّ كتابه يعتبر من أهمّ الكتب التي حفظت لنا معلومات هامة عن بلاد المغرب ، والدليل على ذلك كثرة الإقتباسات التي جاءت في كتابات معاصريه أو ما جاء بعده⁽²⁾ .

- كتاب " الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصية " لابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1408م) : تم الإشارة إلى شخصه سابقاً ، وما يهّمنا في هذه الورقة مؤلفه الذي ألف سنة (806هـ/1403م) للسُلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز صاحب الدولة التي أرجع لها مكانتها وهيبتها. فبالتالي ألف له الكتاب إستحقاقاً . فهو يعتبر من المصادر التاريخية الدراسة لتاريخ مدينة قسنطينة في العهد الحفصي⁽³⁾ .

صبغ كتاب " الفارسيّة " بمميزات عدّة أهمّها: تفصيل الحوادث التاريخية وسردها سرداً مفصلاً ومطوّلاً بالإضافة إلى ترتيبها ترتيباً زمنياً من بداية تأسيس الدولة الحفصية إلى غاية تاريخ الانتهاء من تأليف الكتاب. كما أنّ المؤلف لم يتخصّص في الدراسات السياسية فقط وإنّما تناول تفاصيل عدّة اجتماعية وثقافية منذ سقوط الدولة الموحدية وانفصال الحفصيين عن حكمهم، وهو من الكتب المطبوعة⁽⁴⁾ .

- كتاب " الأدلّة البينة الثورانيّة في مفاخر الدولة الحفصية " لابن الشماع (كان على قيد الحياة سنة 861هـ/1457م): إذ عالج من خلاله الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن محمّد الهنتاتي التونسي⁽⁵⁾ تاريخ الدولة الحفصية مستعرضاً خلفائها وأخبارهم، وذكر محتوى كتابه في مقدّمته قائلاً أنّه قدّم بين ذلك مقدّمة تشمل خمسة أبواب تناول فيها حدود المغرب وإفريقية وما ورد في فضلها ، ثمّ عرج على مدينة تونس للتعريف بها، وبعدها ذكر بلد رادس والحادثة البحرية التي وقعت نحو تونس منتبعا أدوار الصّحابة -

(1) علي عبد الواحد وافي : المرجع السابق ، ص 232 .

(2) نفس المرجع ، ص ص 235 - 236 . محمّد النيفر : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 336 .

(3) محمّد قويسم : المرجع السابق ، ص 234 ، ابن قنفذ القسنطيني : الفارسية ، ص 84 .

(4) نفس المصدر ، ص ص 85 - 86 .

(5) التتبكتي: نيل الابتهاج ، ص 111. محمّد بن مخلوف: شجرة النور التركية ، ج 1 ، ص 351.

رضوان الله عليهم- بإفريقية، ليصل إلى فترة عصره مع ملوك بني حفص إلى غاية سنة (861هـ/1457م) على عهد الأمير أبو عمرو عثمان لكونه كان يؤدّي مهام في إمارته كالقضاء⁽¹⁾.
 - كتاب " تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" للزركشي (ت بعد 894هـ/1489م): الشهير بالمغرب الأدنى خلال (ق9هـ/15م) من حيث الكتابات التاريخية بعد كتاب تاريخ ابن خلدون تراجع التدوين للدول بمثل تحقيقه وربط أجزائه، إلا أن هذا لا يعني انعدام التأليف التاريخي، فها هو محمد ابن ابراهيم بن اللؤلؤ الزركشي- لقب باللؤلؤ نسبة إلى جدّه- الدماميني التونسي⁽²⁾ يدون تاريخا دوليا وعلميا وقضائيا لا يقل أهمية عن سابقه حفظ من خلاله تاريخ بلاده، وليس ذلك فقط وإنما أرخ لشخصيات من أعلامها وفقهائها وأمرائها ، كما استعرض معلومات تخص الوظائف والعملات والأعراف والعادات والحرف والصناعة أي حفظ المؤلف تاريخ البلاد سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وقضائيا⁽³⁾.

يعد تاريخ الزركشي ملخص لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي على تعاقب دولها سواء فترة دولة الموحدين ، أو خلفائهم الحفصيين بتونس منتهجاً منهج الحوليات ، بالإضافة إلى ترتيب المعطيات حسب مواضيعها ، معتمداً في ذكر المادة التاريخية العلمية أسلوباً روائياً ممتعاً رغم بعض الخلل الذي طرأ على ذلك من حين لآخر . دون أن تنسى تنوع وتعدد مصادر مادة بين وثائق ونصوص تاريخية ومراسلات سلطانية ، كما عرف بدقة النقل عن المصادر مثل : "تاريخ ابن خلدون" ، " الفارسية " لابن قنفذ "معالم الإيمان " للدباغ⁽⁴⁾. كما أسهم مؤرخي المغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي في تدوين التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي ، حيث مثلت كتاباتهم اللبنة الأولى والمرجعية المعرفية لإسهامات من جاء بعدهم من المؤرخين أمثال: ابن أبي دينار القيرواني(كان حياً 1110هـ/1698م) صاحب كتاب " المؤنس في أخبار إفريقية وتونس " ⁽⁵⁾ .

• كتاب التراجم والفهارس والطبقات : إنّ الدّارس للكتابات التاريخية المغربية فإنّه يلاحظ أنّ المغاربة قد اعتنوا أشدّ العناية بتراجم رجالهم وطبقات علمائهم حتى بلغت بهم العناية والتحفى في ذلك أنّ ألفوا فهارس

(1) ابن الشماخ: الأدلة البينة ، ص ص 19 - 29 .

(2) اختلفت المصادر التاريخية حول تاريخ مولده، فهناك من أشار الى سنة (820هـ/1417م) ، أما البعض الآخر أضاف عشر سنوات عن ذلك أي أنه ولد سنة (830هـ/1426م) وهو نفس المشكل الذي طرأ على تحديد تاريخ وفاته إذ تذكر البعض منها أنه توفي سنة (894هـ/1489م)ومنهم من تعدى ذلك بسنوات عدة أزيد من 38 سنة أي سنة (932هـ/1526م)، لكن المرجح على سبيل التقدير أنه ولد سنة (820هـ/1417م) وتوفي بعد سنة (894هـ/1489م) لأن المادة التاريخية لا تتعدى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي . الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص "ج". ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص 249 . علاوة عمارة : دراسات ، ص 170 . عبد السلام بن سودة : المرجع السابق ، ص 91 . محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 413 .

(3) الزركشي : نفس المصدر ، ص "ب" .

(4) نفسه . محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 414 .

(5) نفس المرجع ، ج 2 ، ص 318 .

وبرامج خاصة لهم ، كما كانوا يفيضون في التراجم لأهل البلد ، وإن كانت المؤلفات خاصة بتواريخ البلدان . فلم تكن الترجمة حظ العواصم بالمغرب الإسلامي ، وإنما تعدت ذلك . ومن المؤلفات التي دونت بالمغرب الأدنى خلال القرن (9هـ/15م) التي تخص هذه الحقول نذكر :

- كتاب " إكمال الإكمال " : للمؤرخ التونسي الإمام محمد بن خليفة بن عمر الوشتاني الأبّي (ت828هـ/1424م) ، الذي نهل علومه عن علماء تونس خاصة ابن عرفة ، وبعد إستكمال تحصيله تقلد الأستاذية ثم ولي على قضاء الجزيرة القبلية عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي (ت808هـ/1406م)⁽¹⁾ .

جمع الأبّي في كتابه بين المازري وعياض والقرطبي والنوّوي مع زيادات سمعها عن شيخه ابن عرفة وسمّاه " إكمال الإكمال " أو إكمال إكمال المعلم " ، فجاء في كتب أخرى بتسمية " إكمال إكمال المعلم في شرح مسلم " وكان الغرض من تأليفه إكمال ما فات القاضي عياض من التراجم ، وذلك من خلال إستعراض آراء وفتاوى وتواريخ تخصّ القضاء في المغرب الأدنى وجاء في كتاب " البدر الطالع " أنّه صنّفه في ثلاث مجلّدات⁽²⁾ . طبع في 7 مجلدات بمطبعة السعادة بمصر سنة 1327م على نفقة السلطان عبد الحفيظ⁽³⁾ .

- كتاب " الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به صاحب الطبقات " لأبّي الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي (ت810هـ/1407م) : عالم إباضي تونسي ، ولد بجبل الحواية - الجنوب التونسي - ، تلقى على يد كبار شيوخها علومه الأولى ، ثم ارتحل لنهل العلوم فوطئت أقدامه يفرن بجبل نفوسة وجربة التي تصدى فيها للتدريس والتأليف والفتوى ، ليتخرّج على يده ثلّة من تلاميذه منهم : أبو زكريا يحيى بن أفلح الجربي ، ففي سنة (775هـ/1373م) توجه لأداء فريضة الحج ، ولقي هناك إباضية عمان بمكّة المكرمة⁽⁴⁾ .

كتابه عبارة عن إستدراك لأسماء بعض الصّحابة والتابعين وأبناء الأخيرين ممّن قطن إفريقيا ومدن تونس ، إذ أكّد محمّد محفوظ تكملة لكتاب " طبقات المشايخ " للدرجيني ؛ لكونه تناول تاريخ إباضية شمال إفريقيا . إذ يأتي بعد المقدّمة فصل خاص بالسيرة النبوية ثمّ يعرج على الطبقة الأولى في تاريخ صدر الإسلام من وجهة نظر الإباضية ، وتشمل تراجم علماء وفقهاء ذكروا في طيّات مؤلف الدرجيني أمّا الطبقة الثانية فتناول فيها تراجم ملخصة مختصرة عن تراجم مضافة ومستدركة . وأحياناً يناقش المناظرات واللافات أنّ المؤلف اختوى تاريخ الدولة الرستمية الإباضية آخر الكتاب . ومن الفصول التي أضيفت عن الكتاب الأصلي للدرجيني نذكر الفصل المعنون بـ " نكز لمحة من سيرة الحلقة " ، ونعني

(1) الشوكاني : البدر الطالع ، ج2 ، ص 169 .

(2) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 38 . الشوكاني : البدر الطالع ، ج2 ، ص 169 .

(3) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 39 .

(4) نفس المرجع ، ج1 ، ص 80 . الزركلي : الأعلام ، ج5 ، ص 171 . عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، ج8 ، ص

بذلك مجلس العزّابة والتنظيمات التي يسيّر شؤونها . فرغم قيمة الكتاب إلا أنه مخطوطاً من نسخته نسخة جرية المخطوطة⁽¹⁾ .

- كتاب " فهرست الرّصاع " لقااضي الجماعة العلامة المفتي المؤرّخ محمّد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري التونسي ، الشهير بالرّصاع (ت894هـ/1488م): تلمساني ، تونسي ينحدر من أسرة علمية ولد بتلمسان مسقط رأسه ، ثمّ انتقل إلى تونس سنة (831هـ/1429م) وهو صبي على أئمتها منهم : تلاميذ ابن عرفة كالبرزلي وغيره . فبعد استكمال تحصيله وليّ قضاء المحلّة والتدريس بزاوية باب البحر . توفي بتونس ودُفن بالمسجد الجوفي قرب سوق النّحاس تاركاً لنا مجموعة من التّأليف كـ "الأجوبة التونسية عن الأسئلة الغرناطية " ، " تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النّبي المختار " "تذكرة المحبين في أسماء سيّد المرسلين "... وغيرها⁽²⁾ .

يعدّ كتابه " فهرست " من أهمّ كتب التراجم التي ترجم فيها للرّسول (ﷺ) والكتب المقدمة ، كما ترجم لسكان إفريقية خاصّة قضاة الذين عاصروه بطريقة عشوائية ، فقام بتحقيقه الأستاذ محمّد العنابي في تونس سنة 1967م⁽³⁾ .

مما سبق يمكننا القول أنّ ؛ إسهامات مؤرّخي المغرب الأدنى في حركة التّأليف التاريخي متعددة ومتنوعة بتعدد المؤرّخين ، وتنوع حقول التّأليف ومناهجهم في الفترة ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م) ويعود ذلك إلى عوامل عدة تعود إلى ازدهار التّأليف التاريخي قبل ذلك إذ ساهم الإرث الثقافي التاريخي للدّويلات التي تعاقبت على المغرب الأدنى في إرساء وتطوير التّأليف من جهة ، ومن جهة أخرى لعب سلاطين الدولة الحفصية دوراً هاماً في تحفيز العلماء والمؤرّخين على التّموين مما أدّى إلى ازدهاره وتطوره ، دون أن ننسى الإنفتاح الثقافي الذي كان المرجعية التاريخية لذلك .

3-2- كتابة التاريخ بالمغرب الأقصى: تنامت كتابات التاريخ باعتباره ؛ حقل ونمط جديد من الدراسات التاريخية يتسم بشمولية موضوعاته وطابعه العالمي ، فهي تتناول تاريخ الأمم قبل الإسلام وتعرض على أيام العرب وأنسابهم ، لتنتقل إلى السيرة والمغازي، وتنتهي بسرد الحوادث الإسلامية، وغالباً ما تنتهج أسلوبين في عملية الكتابة التاريخية إحداهما حولي: يعتمد على أساس السنين، والثاني موضوعي أيّ بانتهاج أحداث بارزة، وقد برع المشاركة والمغاربة في هذا الفن وصولاً إلى المرابطين فالموحدين والمرينيين

(1) محمّد محفوظ : المرجع السابق ، ج1 ، ص 81 .

(2) نفس المرجع ، ج2 ، ص 358 وما بعدها . محمّد بن مخلوف : المرجع السابق ، ج1 ، ص 378 . التنبكتي : المصدر السابق ، ص 559 . أبي عبد الله محمّد الأنصاري : فهرست الرّصاع ، تح وتعليق : محمّد العنابي ، ط1 ، المكتبة العتيقة للنشر ، تونس ، 1967 ، ص " ع - ش " مقدمة المحقق .

(3) الرّصاع : فهرست ، ص " ذ " . محمّد محفوظ : المرجع السابق، ج2 ، ص 361 .

وغيرهم⁽¹⁾ . فمن أشهر كتب التاريخ العام في العصر المريني ما دونه ابن عذاري المراكشي(ت712هـ/1312م) في مؤلفه " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "⁽²⁾، وما دونه المؤرخ الفذّ عبد الرحمان ابن خلدون(ت808هـ/1406م) في مؤلفه " العبر وديوان المبتدأ والخبر "⁽³⁾ .

أمّا أثناء الدولة المرينية فقد برز مؤرخين في كتابة التاريخ الخاص الذي يعرف كونه حقل ونمط جديد في الدراسات التاريخية، يهتم بتدوين أخبار قطر جغرافي معيّن وقد ظهرت التواريخ المحلية بشكل واسع النطاق في منتصف القرن (3هـ/9م) ، ومساهمة المغاربة في تدوين أخبار بلدانهم كانت متزامنة مع المشاركة⁽⁴⁾ .ومن أبرز كتاب هذا النمط كل من المؤرخ أبو عبد الله محمّد ابن مرزوق التلمساني(ت781هـ/1374م) في كتابه " المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن "⁽⁵⁾ وكذا المؤرخ أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر(ت810هـ/1407م) في مؤلفه "روضة التّسرين في دولة بني مرين "⁽⁶⁾ .

ومن أبرز مؤرخي المغرب الأقصى والأندلس في تاريخ المدن والبلدان أثناء الحقبة المدروسة ما ألفه ابن أبي زرع في كتابه " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " وكذا المؤرخ الجزائري في كتابه "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس "، دون أن ننسى الأنصاري السبّتي الذي عاش أواخر القرن (8هـ/14م) في مؤلفه " اختصار الأخبار عما كان بشعر سبّته من سني الآثار "⁽⁷⁾ .

انتشر حقل السيرة والأنساب في الدراسات التاريخية للمغرب الأقصى ، إذ يعني حفظ الأنساب ويتمّ ذلك عن طريق إتباع تسلسل الآباء والأجداد ، وأصول الأفراد والأسر والجماعات ، انتقل هذا الحقل إلى

(1) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ط2 ، دار الغرب، بيروت (لبنان) ، 1986م ، ص51 وما بعدها .

(2) ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 11 .

(3) عبد الرحمان ابن خلدون: العبر ، ج1 ، ص 19 .

(4) الطيب بوسعد : المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث التاريخي خلال القرون الهجرية الأولى (2 . 3 . 4 هـ / 8 . 9 . 10 م) ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، المركز الجامعي غرداية - مجلة أكاديمية - ذو الحجة 1430هـ/ديسمبر 2009م ، ع6 ، ص 138 .

(5) ابن مرزوق التلمساني: المصدر السابق ، ص 04 .

(6) إسماعيل ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص الواجهة .

(7) محمد فرحات بكار: سمات الكتابة التاريخية في عصر بني مرين (610-869هـ/1213-1465م)، المجلة الليبية العالمية جامعة بنغازي، ليبيا، 2017م، ع16، ص 6 .

بلاد المغرب خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بفضل دور الصحابة والتابعين ، وهجرة بعض المشاركة (1) .

أمّا السيرة فتعني دراسة أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله وتقاريره ، فهو مصطلح قريب من "السنة" . والتراجم فحقل من الدراسات التاريخية، كما أنه نمط إسلامي أصيل؛ يعني تسجيل أعمال ونشاطات مختلف الشخصيات، وذلك بتدوين أصلها ونسبها وعلمها والأحداث التي واكبت حياته إلى غاية تاريخ وفاته ، وغالباً ما تكون مرتبة حسب حروف الهجاء والعصور، وقد برز العديد من الكتاب في هذا النمط سواء المشاركة أو المغاربة(2). ومن مؤرخي الأنساب والتراجم:

- كتاب "نظم السُلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك" لعبد العزيز بن عبد الواحد الملزوزي(ت 697هـ/1297م) : الذي اهتم فيه بذكر أنساب بني مرين وترجمة ملوك بني مرين وسيرة السُلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني(3).

- كتاب " الذئبُ والتكملة لكتابي الموصول الصلة " لابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ/1304م): يعتبر من أهم كتب التراجم ، كما أنه قاموس عام لرجال الأندلس ، ومن انتقل إليها من المغاربة والمشاركة حتى أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي(4).

الرحلة مصطلح فضفاض ارتبط بالعديد من المعاني كالتاريخ والرحلة وغيرها ونعني بذلك انتقال العلماء والمتقنين من مكان لآخر للحج أو طلب العلم أو في إجازة . لكنّها روّث أحداثاً تاريخية ، فلذلك يُقال الرحلة العلمية خاصّة دررا مرصعة في التاريخ الإسلامي(5) . ومن كتب الرحلات التي عرفتھا الدولة المرينية خلال الفترة المدروسة رحلة ابن الحاج النميري (ت 774هـ/1372م)؛ والتي دونها في مؤلفه "فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب"(6)، بالإضافة إلى رحلة

(1) محمد أحمد ترحيني : المؤرخون والتأريخ عند العرب، ط1، دار الكتب العلمية ودار الريف ، بيروت (لبنان) ، د د ت ص ص 28 -167.

(2) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ط10 ، دار الكتاب العرب ، بيروت (لبنان) ، 1935م ، ج 2 ، ص 355 .

(3) عبد العزيز الملزوزي : المصدر السابق ، ص 8.

(4) ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق ، ص الواجهة.

(5) عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب ، دم 1996م، ص 16.

(6) ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، تح: محمد ابن شقرون دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990م ، ص الواجهة.

لسان الدين ابن الخطيب المُعَنُونَة بـ " نفاضة الجراب في علالة الاغتراب " (1). دون أن ننسى رحلتي ابن رشد وابن بطوطة.

عرفت التأليف المناقبيّة في مدينة المغرب الأقصى وخاصّة فاس انتعاشا ملحوظا في القرن (14/هـم)، فطبعت بطابع صوفي وانتشار الولاية والشرف ، فجاءت بعض أخبارها طافحة بالحماسة لآل البيت رابطة بين تأسيس المدينة، وولاية إدريس متخذة أسلوبا قريبا من الأسطورة عنه إلى الرواية التاريخية وتحكّمت في صنعة التأليف اعتبارات وعوامل لا رابط بينها، وبين تلك التي عرفها المغرب في العصر الوسيط.

فباستثناء عبد العزيز بين عبد الواحد الملزوزي، الذي اختار السكوت عن تاريخ الأدارسة واختزله في بيتين رجليين في أرجوزته الموسومة بـ " نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك " ليُطنّب في تمجيد ملوك زمانه من بني مرين. برز المؤرّخ ابن أبي زرع بكتابه " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " وكذا المؤرّخ الجزنائي الذي زوج بين القول بإمامة المولى إدريس والقول بولايته في كتابه " جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس "، الذي سار على نهج معاصريه متحكما فيه النفس الصوفية منعكسة على الصورة التي رسمها للمولى إدريس، والتي لا تنفصل عن مكانة الأشراف الرفيعة(2).

ويمكننا أن نستنتج أنّ المدرسة المغربية في العصر المريني شهدت زخاء علميا؛ بفضل كتابات المؤرّخين الذين رسموا للحياة الفكرية في العصر المريني معالم موسومة بأطر علمية سواء تاريخية تتعلق بالدول وملوكها أو الانجازات التاريخية، أو ما يتعلّق بجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ففي الأخير نستنتج أن حقول التأليف التاريخي في العصر المريني متعددة ومتنوعة وتميّزت بالكثرة ومزاوجة الحقول في المؤلف الواحد ؛ ويعود ذلك إلى تشجيع ملوك هذا العصر واهتمامهم بالمؤرخين لاكتساب الدولة المرينية مكانة مرموقة حضاريا بفضل تلك المؤلفات، كما عمل ملوكها على نقل الحضارة الأندلسية والمشرقية بفنونها وآدابها إلى المغرب الأقصى وعاصمتها فاس ممّا أضفى على التأليف التاريخي جدة وتنوع ونال عناية عظيمة من أبناء هذا العصر.

اتّسمت الكتابة التاريخية في عصر الدولة المرينية بسمات عدّة أبرزها:

- سقوط الإسناد فقد اعتمد أغلب المؤرّخين في عصر الدولة المرينية أثناء تدوين التاريخ على مؤلفات دون ذكر الإسناد مطلقاً رغم محاولة بعض المؤرّخين منهم الإشارة إلى المصادر المعتمدة في كتابتهم بطريقة موجزة، وأغلبها تمّ الإشارة إليها في مقّمة الكتاب بطريقة جمعية وهو ما يطلق عليه الإسناد الجمعي مثل: ابن خلدون وابن أبي زرع، والبعض الآخر لم يذكر بناتا المصادر التي استقى منها

(1) لسان الدين ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تح: السعدية فاغية ، د دار النشر، الرباط ، 1989م ج3، ص 07.

(2) علي ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص 19.

- معلوماته مثل: علي الجزنائي وإسماعيل ابن الأحمر دون أن ننسى الأسلوب الذي اعتمده كل من الرحالة ابن الحاج التميمري والمؤرخ لسان الدين ابن خطيب ألا وهو أسلوب المشاهدة والوصف والتقصي⁽¹⁾.
- كما شهدت الكتابات التاريخية في عصر بني مرين نقد المؤلفين للمؤلفات المعتمدة في كتاباتهم لكنها بدرجات متفاوتة؛ حيث برز في نقد الموارد التي نقل منها كل من المؤرخ ابن خلدون والمؤرخ ابن عبد الملك المراكشي⁽²⁾.
- اعتمدت أغلب الكتابات التاريخية أسلوباً أدبياً متطوراً على غرار فترة الموحدين والمرابطين، فذلك أصبح الأسلوب التاريخي مرسلًا بسيطاً وواضحاً، حيث صبغت أغلب الكتابات التاريخية باستخدام السجع وأحسن دليلاً على ذلك عناوين الكتب، ويعود ذلك إلى النزعة الأدبية لمؤرخي بني مرين فأغلبهم شعراء وأدباء وفقهاء ومحدثين⁽³⁾.
- تميّزت الكتابات التاريخية المرينية بالاختصار تارة والتذليل تارة أخرى، فالأولى اعتمدها الجزنائي في مؤلفه والثانية اعتمدها ابن عبد الملك المراكشي في تدوينه الكتب السابقة وهذا دليل على جمود الإنتاج التاريخي فذلك أخذ المؤرخون يختصرون الكتب القديمة أو يزيلونها، ولم يختصر الاختصار على المؤلفات السابقة وإنما اعتمده أبناء العصر نفسه مثلما قام ابن أبي زرع في اختصاره كتابه القرطاس في الذخيرة السننية⁽⁴⁾.
- اختلاف حقول التأليف التاريخي من مؤرخ لآخر وهذا دليل على دراية المؤرخين بالحقول التاريخية السابقة لعصرهم ، و رغبتهم في التجديد والتنويع فمنهم من أرخ للتاريخ الخاص أو العام ، أو لتاريخ الملوك والحكام ، أو السير والتراجم ، أو المناقب وغيرها⁽⁵⁾.
- صبغت الكتابات التاريخية والمغربية والفاسية في العصر المريني بصبغة دينية من الدرجة الأولى إلى جانب الحقول الأخرى وهذا دليل على المكانة التي اكتسبها المذهب المالكي من قبل السلطة المرينية⁽⁶⁾.

(1) محمد بن تاويت وآخرون: الأدب العربي ، ص 216.

(2) محمد فرحات بكار: المرجع السابق ، ص 07.

(3) محمد ابن شقرون: المرجع السابق ، ص 132.

(4) فاروق محمد فوزي : التدوين التاريخي عند المسلمين ، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة 2004م، ص 75.

(5) عبد العزيز سالم السيد: المرجع السابق ، ص 91.

(6) نفس المرجع ، ص 114.

- بروز كتابات تاريخية مرتبطة بالسلطة، فمعظم ما كتب كان إرضاء لمرضاة السلاطين، كما أنّ أهمّ سمة للكتابة التاريخية أنّ المؤرخين وكتاب السير والتراجم والرّحلات تهيأ لهم ما لم يتهيأ لغير المؤرخين لذا حفلت مؤلفاتهم العديد من أخبار بني مرين خاصة ابن أبي زرع والجزنائي وابن الحاج النميري⁽¹⁾.

خلاصة الفصل الثاني وفي الأخير يمكننا القول أنّ؛ التدوين التاريخي ببلاد المغرب الاسلامي شهد تطوّراً فمن المسلم أنّ الفترة ما بين (7-9هـ/13-15م) تمثل مرحلة الاستمرار، إذ أنّ الكتابة مثلت خطوة رئيسية من خطوات فن الكتابة عامّة، بفضل مختلف الأحداث والوقائع وكذا التحولات السياسية والتعاقبات الدوليّة بالمنطقة التي دفعت المؤرخين إلى كتابتها وتناقل هذا الموروث الثقافي الحضاري ومحاولة الرقي بالتاريخ وتنقيحه. ويتضح ذلك من خلال تلاقي الحاصل بين العلوم والمناطق فكرياً، فقد درسنا في هذا الفصل العوامل المساهمة في تطور التدوين التاريخي بالمنطقة، التي كان لها دور بارز في تحديد ملامح الكتابة التاريخية آنذاك.

(1) محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 346.

الفصل الثالث نماذج عن مؤرخي الشرق والمغرب الإسلامي وكتاباتهم التاريخية

المبحث الأول: التعريف بكبار مؤرخي مصر والشام وكتاباتهم

المبحث الثاني : التعريف بكبار مؤرخي الحجاز والعراق وكتاباتهم

المبحث الثالث : نماذج عن التأليف التاريخي ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة الدارسة

الفصل الثالث: نماذج عن مؤرخي المشرق والمغرب الاسلامي وكتابتهم التاريخية

تتبعاً للكتابة التاريخية منذ مراحلها الأولى ، عرف التدوين تطورات مهمة في جوانبها التاريخية وتغيرات في مناهجها في ظل الحضارة العربية الاسلامية على يد ثلة من المؤرخين الذين ساهموا في تطوير أساليب الكتابة ، ليستقل التاريخ كعلم قائم بذاته عن العلوم الأخرى خاصة الجغرافية والسوسولوجية . فالتحولات السياسية وحركة التدوين ببلاد المشرق والمغرب الاسلامي استمرت بفضل أنظمة سياسية ساندت كتاب دواوينها في حفظ وثائقها ، ورغبة العلماء والمؤرخين الشديدة في اصال الخبر التاريخي للأجيال على مرّ الزمن . ويأتي هذا الموضوع للوقوف على أهم المصنفات التاريخية التي شهدتها النطاقات الاسلامية محل الدراسة .

نتيجةً لدور المؤرخين في نماء الكتابة التاريخية المشرقية والمغربية خلال الفترة (7-9هـ/13-15م) ارتأيتُ التطرق إلى ذلك، متناولةً الكتابة التاريخية المشرقية والمغربية من خلال مؤرخين داع صيتهم وكتابات حفظتها كبرى الخزائن والمكتبات . وبذلك قسّمت الفصل الثالث المعنون ب: **ملامح الفصل الثالث: نماذج عن مؤرخي المشرق والمغرب الاسلامي وكتابتهم التاريخية** : إلى ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول يشملُ التعريف بكبار مؤرخي مصر والشام وكتابتهم ، والثاني يتناولُ التعريف بكبار مؤرخي الحجاز والعراق وكتابتهم. أما المبحث الثالث فيضمُّ نماذج عن التأليف التاريخي ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة. ومن هنا نتساءل: من هم كبار مؤرخي المشرق والمغرب الاسلامي وكتابتهم؟.

المبحث الأول: التعريف بكبار مؤرخي مصر والشام وكتابتهم

إنّ المتتبع لحركة التأليف التاريخي ببلاد المشرق الإسلامي خلال الفترة (7-9هـ/13-15م) يرى أن روادها كثر رسّخوا قواعد ومناهج ومواضيع تجاوزت الفكر البراغماتي آنذاك. وأضحت مظهراً من مظاهر الشعور بالانتماء للمنطقة والتاريخ. فمن هنا كان اختيارنا للنماذج الفرعية التي تمثل كبار المؤرخين وكتابتهم خاصة وأنّ البعض منهم لم تهتمّ المراجع بدراسة أعمالهم بالتفصيل ، كما ساهمت كتاباتهم في تطوّر الرّصيد التاريخي الإسلامي مشرقاً ومغرباً ضمن التواصل الحضاري وتلاقي الثقافات.

1-1- التعريف بكبار مؤرخي مصر وكتابتهم:

أ - المنذري (ت 656هـ /1256م) :أبو محمّد عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدّين المنذري الشامي ثمّ المصري ولد بمصر في غرة شعبان سنة(581هـ/28 أكتوبر 1158م) وسمع بمكّة ودمشق وحرّان والرّها والإسكندرية، ثمّ درس في الجامع الظافري بالقاهرة و ولى المشيخة الشافعية في دار الحديث الكاملة نحواً

من عشرين سنة⁽¹⁾. نشأ في كنف عائلته بمصر الفسطاط، وفي سنّ الحادية عشرة تُوفي والده بعد أن أسمعته على شيوخ الحنابلة بوصفه حنبلياً، تحول المنذري إلى المذهب الشافعي ودرس وسمع في بغداد ودمشق والقدس وحرّان ومكّة والمدينة، بالإضافة إلى مصر والإسكندرية غيرها حتى بلغ عدد التّراجم التي خصصها لشيوخه في كتابه "التكملة" ثلث التراجم في الكتاب، وقد أجازته الكثيرون من العلماء من مختلف البلاد الإسلامية، كما سمع المنذري من النساء فمنهن مشيخات له ومجيزات .

تولى في مصر مشيخة الحديث الكاملة، فانقطع فيها ولها بقية عمره أي حوالي عشرين سنة وقد تتلمذ على يده أعداد هائلة من التلاميذ الذين شكلوا جيل كبار المحدثين بعده كابن دقيق العيد وغيره وبعض الباحثين، يعتبره حافظ الوقت وحافظ العصر دون منازع ، وإمام حجة ثباتاً ورعاً متحريراً فيما يقوله وينقله، وناقداً ماهراً في علم الجرح والتعديل بارعاً في علم الرجال والإفتاء واسع الاطلاع على الأدب أكثرًا من رواية الشعر، هذا إلى جانب الزهد والورع والتّصوف⁽¹⁾.

مؤرخ محدث واسع الرحلة، وقد دخل التاريخ من باب الحديث والتراجم، توفي في (04 ذي القعدة 656 هـ / 03 نوفمبر 1256م) بالإسكندرية⁽²⁾. وأشار الياضي في كتابه " مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزّمان " إلى وفاته قائلاً: "السنة 656 هـ وفيها توفي الحافظ الكبير زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشّامي ثمّ المصري الشّافعي، وله معجم كبير مدوّي، ولي مشيخته الكاملة مدة، وانقطع بها مدة نحو من عشرين سنة مكبا على العلم والإفادة وكان كتب حجة متبرعا متجرا في فنون الحديث عارفا بالفقه والنحو مع الزهد والورع والصفات الحميدة"⁽³⁾.

له مؤلفات عديدة يغلب عليها تراجم رجال الحديث وأشهرها :

• **التكملة لوفيات النقلة:** تراجم لعلماء الحديث من سنة (625هـ/1228م) إلى غاية (642هـ/1244م) المتحف البريطاني كان 629، كمرجع أوّل 263، آيا صوفيا 3163 (من سنة 650هـ/1252م) الإسكندرية تاريخ 52⁽⁴⁾، وقد أكمل فيه كتاباً لشيخه أبي الحسن علي بن المفضل المقدسي الحافظ المتوفي سنة 611هـ ذاكرا وفيات الشيوخ الكبار في عصره منذ حوالي سنة (581هـ/1180م حتى سنة 642هـ/1244م)، والمخطوطات الموجودة منه ناقصة المطع تبدأ خلال سنة (582هـ/1181م) وقد نشر نصف الكتاب أو حوالي ذلك في أربعة مجلداتٍ (نشره بشار عواد معروف في بغداد)⁽⁵⁾. وهذا الكتاب

(1) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ، تر: عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1977م، ج6، ص 256.

(1) مصطفى شاكرك: المرجع السابق، ج3 ، ص ص 105-106.

(2) نفس المرجع، ج2، ص 196.

(3) ابن محمد علي بن سليمان الياضي (ت768 هـ / 1367م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث

الزّمان ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م، ص 107.

(4) كارل بروكلمان : المرجع السابق، ج6، ص 258.

(5) مصطفى شاكرك: المرجع السابق، ج2، ص 196.

تضمن مجموعة ضخمة من نقلة الحديث فيهم المحدثون والكتاب والأدباء المؤرخون، الشعراء، المتصوفة الفقهاء، الزهاد، المدرسون، القراء، القضاة، الأطباء التجار الملوك والوزراء والأمراء ولو أن نصيب المحدثين هو الأكثر .

والمؤرخ المنذري يعتبر حافظ الوقت وحافظ عصره دون منازع ، وإماماً محدثاً حجة وثبتاً و ورعاً فيما يقوله أو ينقله، وناقداً ماهراً في علم الجرح ، بارعا في علم الرجال والإفتاء، واسع الاطلاع على الأدب ومكثراً من رواية الشعر، هذا إلى جانب الزهد والورع والتصوف، ومن مؤلفاته الأخرى مايلى⁽¹⁾ :

1- **كتاب الترغيب والترهيب**: أحاديث مرتبة بحسب الموضوعات للترغيب في الخير والحق والترهيب من الشر والباطل : طبع حجر بدون ذكر مكان الطبع ولا سنته، وطبع في دهلي سنة 1300م وبالقاهرة سنتي 1324م و1326م، متواجد في خزائن عدة تحت أرقام تسلسلية منها :

- حاجي خليفة ، الطبعة الأولى ، 2937/2، الطبعة 400/01 .

- برلين 1328-1331.

- برلين ... 2067، باريس أول 740-741.

- جاريت 1309.

- الفاتيكان الثالث 1101-3

- برلين ، الطبعة الثانية 124.

- فاس ، جامع القرويين 572-577-570 .

- الرباط 54.

- جلفا : BULL. de corr.afr (سنة 1884م)، ص 369، رقم 200.

- السيلمانية 197 .

- حكيم أوغلو 70 .

- بني جامع 175-176 ، 46/2.

- الموصل 126 - 87 - 194 - 59 .

- الاسكوريال ثان 1334 (مقتطفات).

- القاهرة أول 284/1 ، ثان 961/1.

- قوله 105/1باتته 41/1 : 4203 .

- ساميور أول 57:70-58

- سكيور 97 hand list

- بوهاز 31⁽²⁾.

⁽¹⁾ إبراهيم فرغلي : المرجع السابق ، ص 115

• أربعون في اصطناع المعروف للمسلمين : عن البخاري ومسلم ومتواجد تحت الأرقام التالية في مختلف خزائن منها: بركية 1470، الأمير وزيانا C.81.XI ، دمشق العمومية 28=5، رامبور ثان 115،7،25. وعليه شرح لمجد بن إبراهيم بن إسحاق المناوي السلمي (المتوكل) سنة (803هـ/1400م) انظر (برلين 8471 الورقة 105) = توبنجن 101 الاسكوريال ثان 750=3 ، المتحف البريطاني ثان 814.

ومن أعاد تصنيفه وترتيبه العالم أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري الثعالبي في أربعة فصول (فضل العلم والقرآن والذكر والكلام والسلام والمصافحة) في كتابه " الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة" : القاهرة ثان ، ج1، الملحق 38. ومنه كذلك تم اقتباس مختصر بعنوان "اختصار على فضل اصطناع المعروف عمل المسلمين " .

• كفاية المتعبد وتحفة المتنزه : القاهرة أول 66/7 ، ثان 139/1 .

• المجتبي من السنن أو تلخيص السنن أبي داود : انظر الترجمة العربية 184/3 .

• تلخيص السيرة النبوية : عن شخصية ابن الجوزي ، القاهرة ثان 145/5 .

• مجالس في صدم يوم عاشوراء : المدينة المنورة 103⁽¹⁾ .

• الإعلام بأخبار شيخ البخاري محمد بن سلام السلمي المحدث ، المتوفي سنة 255هـ.

• ترجمة أبي بكر الطرطوشي .

• تاريخ من دخل مصر أو تاريخ مصر (من الشيوخ).

• المعجم المترجم .

• مختصر تاريخ مصر للمسجي (المتوفي سنة 420هـ)⁽²⁾ . فبالنسبة للمعجم فقد ذكر فيه شيوخه وترجم

لهم في مجلد كبير ذكره السبكي و ابن العماد الحنبلي والذهبي، ونقل عنه ابن الصابوني والأدقوي والذهبي والصنفي والمقريري وابن حجر.⁽³⁾

• شرحان ومختصرات:

أ- " عجالة الإملاء" : لإبراهيم بن محمد بن محمود الناجي ، المتوفي سنة (900هـ/1490م) ، وقد عني فيه خاصة بتصحيح مواضع السهو والخطأ والحذف، برلين 1332-1333 ، المتحف البريطاني ثان 1269م .

⁽²⁾ كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ج6 ، ص 256.

⁽¹⁾ كارل بروكلمان : المرجع السابق ، ج6، ص 258.

⁽²⁾ إبراهيم فرغلي : المرجع السابق ، ص115.

⁽³⁾ مصطفى شاكر: المرجع السابق ، ج2، ص 197.

ب- " شرح للحسن بن علي الفيومي " : من رجال القرن التاسع ، متحف البريطاني كان 146 بفاس جامع القرويين 578-579 ، نيكيبور 376/2-379 .

• مختصرات :

أ- " التسيير والتقريب" لعهد بن عمار المالكي، المتوفي سنة(1440/744م). (ابن القاضي: درة الحجال 837-306/1) باريس 742.

ب- "التقريب" لسالم المرتضى بن عبد الله بن غنيمة الواسطي الحبري السعدي : المتحف البريطاني أول 1549 ، ومنه مختصر لمحمد الناصري : دمشق العمومية 24=321.

ولسالم المرتضى : "إشفاء الآلام فيما تعرض للأجسام" متضمن لأربعين حديثاً في الطب وما يجري مجراه منقول من كتاب "الطراز" المنتزع من كتاب "المعتمد" لمحمد بن يحيى بهرام (الأمبروزيانا، A-37) المنتزع من "جامع الأصول" (ص 196، رقم 6 فيما مضى)، الأمبروزيانا G.204X ومنه كتاب الطراز في الطاعون ، الأمبروزيانا G.204xi وله أربعون حديثاً أخرى : الأمير وزيانا xiii . (?) . G. 204xii .

ج- " إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب" ليوسف بن إسماعيل النّبّهاني المتوفي بعد سنة (1345هـ/1926م) عن البخاري ومسلم وحدهما : طبع بالقاهرة سنة 1329هـ⁽¹⁾. ولكن ليست كل هذه المؤلفات المذكورة موجودة، فقد بعضها نتيجة عدّة عوامل.⁽²⁾ ترك المنذري عدداً وثيراً من المؤلفات أبرزها تتسم بطابع ديني ، ويطل منها على التاريخ أبرزها :

- **التكملة لوفيات النقلة** : التكملة أو الذيل يعني بذلك هنالك رابط بين المؤلف الحالي وآخر سابق والمصطلح آتي من التعليق عليه في التاريخ والأدب لما فيهما من إمكان الإضافة إليهما من الأيّام على سبيل المثال مايلي :

- كتاب " **الإكمال في المؤلف والمختلف**" لابن ماکولا المتوفي سنة (475هـ/1082م) وعدد من الذبول منها :

• (إكمال الإكمال) للحافظ ابن نقطة المتوفي (سنة 629هـ / 1230م).

• (الذيل على الذيل في تكملة الإكمال) لأبي حامد الصّابوني المتوفي سنة(680هـ/1282م)، ولمنصور بن سليم الاسكندراني المتوفي سنة(463هـ/1070م). وغيرها.

- **أمّا وفيات النقلة**: عبارة عن سلسلة بدأها العالم الفذّ أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن زيد الربيعي الدمشقي المتوفي سنة 379 هـ انطلق فيه من الهجرة وصولاً إلى سنة 338هـ وقد سار على الكتاب سلسلة من الذبول بلغت أكثر من تسعة، فقد ذيل عليه أولاً: الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن

(1) كارل بروكلمان: المرجع السابق ، ج6، ص 257.

(2) إبراهيم فرغلي : المرجع السابق ، ص 115.

أحمد الكتاني الدمشقي الصوفي المتوفي سنة (446هـ/1054م) إلى قريب وفاته ، ثم ذيل على الكتاني تلميذه أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني المتوفي سنة (524هـ/1129م) نحو عشرين سنة وسماه "جامع الوفيات" ، ثم ذيل على الأكفاني شرف الدين أبو الحسن علي ابن المفضل المقدسي الاسكندراني الحافظ الكبير (المتوفي سنة 611هـ/1214م) ، ووصل به سنة (581هـ/1185م) وسماه وفيات النقلة . جاء المنذري فوضع عليه الذيل الطويل العام من سنة (581هـ/1185م إلى سنة 641هـ/1243م) وسماه "التكملة لوفيات النقلة" الذي استشار من بعده ذيولاً أخرى أبرزها الذيل الذي وضعه تلميذه مباشرة بعده عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشريف الحسني المصري (المتوفي سنة 695هـ/1296م) وسماه "صلة التكملة لوفيات النقلة" من سنة (641هـ/1242م) حيث وقف شيخه المنذري إلى غاية سنة (674هـ/1275م). والوفيات في الكتاب مرتبة حسب التواريخ (1).

• مؤلفات تاريخية :

- الإعلام بأخبار شيخ البخاري محمد بن سلام السلمي بالولاء البخاري البيكندي المحدث (المتوفي سنة 256هـ/869م) للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (2).
- ترجمة أبي بكر الطرطوشي (ابن أبي رندقة محمد بن الوليد) (3) .
- تاريخ من دخل مصر أو " تاريخ مصر" : نقل عن السيوطي في كتابه " بغية الوعاة" وكان يظن أنه كتاب التكملة لوفيات النقلة (4) . كما نقل عنه الكمال الأدفوي (المتوفي سنة 748هـ/1349م) في ترجمة الشاعر إبراهيم بن محمد الأسواني (5).
- المعجم المترجم : تم الإشارة إليه من قبل تلميذ المنذري عز الدين الحسيني عند الكلام على شيوخ أستاذه وأضاف أنه كان في " ثمانية عشرة جزءاً " . كما ذكره الذهبي فقال : " وعمل معجماً في مجلد " والسبكي وابن الملتن وابن الحنبلي. وقد نقل عن هذا المعجم جماعة كبيرة كابن الصابوني واليونيني والأدفوي والذهبي والصنفي وابن الملتن والفاسي والمقرزي وابن حجر وغيرهم وقيل على هذا المعجم أنه موجود في مكتبة كوبريليلي ، فثمة مخطوط هناك برقم 15.84 يحمل عنواناً يدل على أنه مشيخة المنذري.
- مختصر تاريخ مصر للمسبحي (المتوفي سنة 420هـ/1030م): وهو عز الملك محمد ابن عبد الله الحراني ، وقد نقل عنه الفاسي في كتابه " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " الجزء 1 الورقة 109 والورقة 145 والجزء 2 الورقة 40 ، وقد اختصر الفاسي نفسه كتاب المسبحي (6) .

(1) مصطفى شاكر : المرجع السابق ، ج3، ص 106.

(2) حاجي خليفة : كشف الظنون ، مج 1 ، ص 128.

(3) ترجمة الطرطوشي . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مج 4 ، ص 262.

(4) السيوطي : بغية الوعاة ، ج 1 ، صفحات 4-36-99.

(5) الأدفوي : الطالع السعيد ، ص 30 .

(6) مصطفى شاكر : المرجع السابق ، ج 3 ، ص 108.

- **تخاريج المنذري** : خرج المنذري عدّة تخاريج تمّ ذكرها في كتابه " التكملة " منها : تخريجة لجماعة من شيوخ ابن حموية الجويني (المتوفي بالموصل سنة 617هـ/1218م) ولجماعة من شيوخ أم محمد خديجة بنت الفضل المقدسية الإسكندرية (المتوفاة بالإسكندرية سنة 618هـ/1219م) والقاضي القضاة الدميّاطي (المتوفي سنة 619هـ/1220م) .

- **تخريج معجم معاصريه**: مثل ابن العديم (المتوفي سنة 660هـ/1261م)، ثم الأدفوي (المتوفي سنة 748هـ/1349م) ، ابن حجر (المتوفي سنة 852هـ/1452م).

للمنذري منهجه في ذكر الوفيات، فيذكر أولاً تاريخ الوفاة ومكانها، ثمّ مكانة الرّجل، فمولده ودراسته على الشيوخ، وكذا تحديثه وتدرّيسه وأعماله، ويذكر رأيه فيه. كما يذكر المعروفين من أهله بالعلم والوجاهة، وقد اعتمد منهجه ثلّة من المؤرّخين من بعده مثل: منصور بن سليم الاسكندراني المتوفي سنة (673هـ/1274م)، وجمال الدّين أبي حامد محمّد بن علي المحمودي المعروف بابن الصّابوني (المتوفي سنة 680هـ/1281م)، وابن خلكان في الوفيات (المتوفي سنة 682هـ/1283م) وغيرهم بالإضافة إلى ابن العديم (المتوفي سنة 660هـ/1261م) والأدفوي (المتوفي سنة 748هـ/1249) والفاسي (المتوفي سنة 828هـ/1429م)، وكلّ منهم اعتمد عليه في وفيات بلده ، كما اعتمد عليه المؤرّخين الحوليين كابن دقماق (المتوفي سنة 809هـ/1410م) والعيني (المتوفي سنة 858هـ/1459م) وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (المتوفي سنة 1089هـ/1679م)⁽¹⁾.

لهذا الكتاب مخطوطات عدّة متفرقة المواضيع منها : نسخة في أيا صوفيا رقم 3163 وعليها خط المؤلّف من الجزء الثاني حتى وفيات سنة (640هـ/1241م) في 252 ورقة، ونسخة بلدية الإسكندرية (رقم 1982) وهي في جزأين يشملان الوفيات من سنة (604هـ/1205م) حتى نهاية الكتاب، وعليها سماعات كثيرة لأنّ فيها ومنها بخطّ أبي بكر محمّد بن سراقّة الشّاطبي تلميذ المنذري ، ونسخة في جامعة كمبردج وأخرى في المتحف البريطاني (رقم 1541 or) في 237 ورقة، وأخرى في دار الكتب المصرية (رقم 125 مجاميع)، وتشمل الجزء الثامن والعشرين وبعض التّاسع والعشرين، على أنّ الباحث لستار عواد معروف قد أغنانا عن ذلك كلمة بالنشرة الحسنة المرفقة التي نشرها عنه في ستة أجزاء منذ سنة (1968 حتى سنة 1976م)⁽²⁾. يشير ابن تغري بردي الأتابكي في كتابه " النجوم الزاهرة" إلى وفاة المنذري قائلاً : " سنة 656هـ وفيها توفي الإمام الحافظ الحجّة أبو محمّد زكي الدّين عبد العظيم "⁽³⁾ .

أ- **شهاب الدّين النويري (732هـ/1332م)**: أحمد بن عبد الوهاب ، أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة عبد الدائم⁽⁴⁾ لقب شهاب الدّين بعدة ألقاب في عدة مصادر ترجمت له فهي: البكري النويري الشافعي⁽⁵⁾

(1) مصطفى شاكّر : المرجع السابق ، ج 3 ، ص ص 107 - 108.

(2) نفس المرجع ، ج 3، ص ص 107 - 108.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 63.

(4) ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج1، ص 181.

القرشي⁽¹⁾ الكندي⁽²⁾ التيمي⁽³⁾ القوسي المحتد⁽⁴⁾. ولد النويري حسب ما أشير في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" سنة (644هـ/1278م) حيث يذكر: "وفي هذه السنة في ليلة سفر صباحها عن يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي القعدة وهي سنة سبع وسبعين وستمائة وُلِدَ مؤلف هذا الكتاب وجامعه فقير رحمه ربّه أحمد بن عبد الوهاب بن محمّد بن عبد الدائم بن عبادة بن علي بن طراد بن خطاب بن نصر بن إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر بن هلال بن الحسين بن ليث بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرّحمان بن أبي بكر الصّديق بن عبد الله بن عتيق، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه وأبي أصحابه وجد صاحب الخليفة من بعده وهو ثاني اثنين بن أبي قحافة عثمان - رضوان الله عليهم - بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر كنانة بن خزيمية بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، عرف مؤلفه بالنويري عفا الله عنه ولطف به ". أمّا عن مكان مولده فقد ولد بإخميم⁽⁵⁾ صعيد مصر في التاريخ المذكور⁽⁶⁾. فقد تتلمذ على يده ثلّة من التلاميذ نذكر منهم:

1- محمّد بن محمّد بن علي بن عبد الرزّاق الغماري المصري المالكي النّحوي شمس الدّين (ت802هـ/1303م): ولد في ذي القعدة سنة عشرين وسبعمئة كما أخذ العلوم عن ثلّة من الأدباء والقراء أمثال: ابن حيان، وسمع من اليافعي، وكذا عن الشّيخ خليل المالكي، وكان بارعاً وعارفاً للغة العربيّة، كثيراً المحفوظ للشّعر لاسيما الشّواهد شارك في تدوين عدة مؤلفات من فنون الأدب والأصول والتّفسير والفروع ، تفرّد على رأس الثمانمئة خمسة علماء بخمسة علوم أهمّها البلقيني بالفقه، والعراقي بالحديث والغماري هذا بالنحو والشيرازي صاحب القاموس باللغة، ولم يستحضر الخامس. توفي الغماري في شعبان سنة اثنتين وثمانين⁽⁷⁾.

(5) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 9 ، ص 299 .

(1) عباس القمي : الكنى والألقاب ، ط 5 ، مكتبة الصدد ، طهران ، 1259م ، ج 3 ، ص 273 .

(2) البغدادي : المصدر السابق ، ص 108 .

(3) نفس المصدر ، ص 105 .

(4) الأدفوي : المصدر السابق ، ص 96 .

(5) إخميم : بالكسر ثم السكون وكسر الميم وياء الساكنة وميم أخرى، بلد الصعيد في الإقليم الثاني ، طوله أربعة وخمسون درجة وعرضه أربعة وعشرون درجة وخمسون دقيقة وهو بلد قديم من شاطئ النيل بالصعيد. ياقوت الحموي: المصدر السابق ، مج 1 ، ص ص 123-124 .

(6) النويري : نهاية الأرب ، ج 30 ، ص 248 .

(7) السيوطي : بغية الوعاة ، ج 1 ، ص 230 .

أما عن شيوخه فقد تعلم التويري على يد ثلثة من العلماء منهم:

1- أبو القاسم الشريف موسى بن علي بن أبي طالب (ت715هـ/1340م) : هو عز الدين موسى بن علي بن أبي طالب الشريف أبو الفتح الموسوي الحنفي العادل⁽¹⁾. قدم بغداد واستوطنها ورتب ناظراً برياط الخلاطية، وهو شيخ حسن التيمة متودداً حصل لي الأسر بخدمته وهو من أصحاب الوزير تاج الدين علي شاه، وشكرت طريقته في ولايته وحج إلى البيت الله، وكان مباركاً في حجّه مشكور الطريقة حسب ابن الفوطي الشيباني في مؤلفة مجمع الأدب في معجم الألقاب⁽²⁾. توفي عز الدين موسى في سبع ذي الحجة بمصر وانفرد بالرواية عن ابن صلاح والسخاوي ورحل الناس إليه⁽³⁾.

2- المقوي أبو أحمد يعقوب بن أحمد (ت720هـ/1345م): هو أبو أحمد وأبو يوسف الشافعي المعروف قديماً بابن المقرئ وبابن الإمام المشهور بابن الصابوني يعقوب بن أحمد بن يعقوب الحلبي لمعقلي ولد تخميناً سنة (650هـ/1252م) ببلب كان ذا سمة وعقل وديانة ، سمع بدمشق والقاهرة وأجازه اليلداني وغيره ،وحدث وسمع منه عدة محدثين وفقهاء وقضاة أمثال البرزالي سنة ثمانية وستمئة وحدث بقالب مروياته تولى الحديث بالمنكوتيرية⁽⁴⁾ ، و قال الذهبي في كتابه "تذكرة الحفاظ" عند ذكره لشيوخه شيخه يعقوب بن أحمد بن الصابوني مايلي: " و سمعت من المحدث العالم العدلي المفيد كاتب الحكم شرف الدين يعقوب بن أحمد (ابن) الصابوني يروى عنه (أحمد بن علي) الدمشقي والنّجيب وابن علاق وابن أبي الخير وخلق ونسخ الأجزاء وساد في الشروط"⁽⁵⁾، توفي بمصر في سنة عشرين وسبع مائة عن يناهز ست وسبعين سنة رحمة الله عليه⁽⁶⁾ ودفن بمقبرة باب النصر في القاهرة⁽⁷⁾.

3- ابن الشحنة (الحجّار) (ت 780هـ/1354م):الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن الحسن بن علي بن بيان، المعروف بابن الشحنة الحجّار الديرمقري الدمشقي تمّ الصالحي⁽⁸⁾ ولد سنة(624هـ/1226م) تقريباً وجاء في "الدرر الكامنة" لابن حجر " بل قبل ذلك لكون الذهبي قال سألته سنة ست وسبعمئة عن عمره فقال لحق حصار الناصر داود لدمشق، وكان ذلك سنة 626هـ وسمع من ابن الزبيدي وابن اللتي جاز له من بغداد القطيبي وابن زوربه والكاشغري وآخر

(1) المقرئزي : السلوك ، ج2 ، ص 512 .

(2) ابن الفوطي: مجمع الآداب ، مج1 ، ص 355 .

(3) المقرئزي : السلوك ، ج2 ، ص 512 .

(4) إبراهيم بن محمد بن خليل الشافعي (ت 841هـ /1441م) : نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط ، تح: علاء الدين علي رضا، ط1 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1988م ، ص 380.

(5) شمس الدين الذهبي: كتاب تذكرة الحفاظ ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1958 ، ج4 ص1505.

(6) نفس المصدر ، ج4 ، ص 1505.

(7) الشافعي : المصدر السابق ، ص 350 .

(8) حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ، تح: محمد عبد القادر الأرنؤوط تقديم : أكمل الدين أوغلي ، ط1 مكتبة إرسیکا ، اسطنبول ، 2010 ، ج1 ، ص122.

ونومن دمشق جعفر بن علي وعمر حتى الأحفاد بالأجداد، وأوّل ما ظهر للمحدثين سنة 706هـ وجد اسمه في أجزاء علي ابن اللتي مثل: جزء ابن مخلد ومسند عمر للنّجار، لكم ظهر اسمه في أسماء السامعين علي ابن الزبيري فحدث بالصّحيح أكثر من سبعين مرة بدمشق والصّالحية وبالقاهرة ومصر وحماة وبعلبك وحمص وكفر بطنا وغيرها، ورأى من العزّ والإكرام ما لا مزيد عليه وانتحت (انتخب) عليه الحفاظ ورحل إليه من البلاد وتراحموا عليه سنة 717هـ إلى أن مات⁽¹⁾.

توفي مسند الوقت وشيخ الرّواية سنة ثلاثين وسبعمائة (730هـ/1354م) عاش مائة سنة وأزيد متمتعاً بحواسه وقواه ودفن بترية له قرب مصر، حيثُ يشير صاحب "النّجوم الزاهرة" إلى وفاته قائلاً: "فيها توفي المسند المعمر الرّحلة أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن نعمة بن الحسين بن علي المعروف بأبي الشّحنة وبالحجّار الصّالحي الدمشقي في خامس وعشرين صفر ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة". ومات وهو مسند الدنيا وتقرب بالرواية عن أبي الزبيدي وابن اللتي مدة سنين لا يشاركه فيها أحد وسمع الناس عليه صحيح البخاري أكثر من سبعين مرة لعلو سنده فقدم القاهرة مرتين فحدث بها ورحل إليه من الأقطار⁽²⁾.

4- ابن الجماعة (ت733هـ/1333م): هو محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر قاضي القضاة والإمام العالم بدر الدّين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي⁽³⁾. ولد بجماعة سنة تسع وثلاثين وستمائة (639هـ/1241م)، وسمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ الأنصاري وبمصر من الرّضى ابن الدهان والرّشيد العطار وإسماعيل بن عزون وغيره . وبدمشق من الواني بن أبو اليسر وابن عبد الله وطائفة وجدت بالشّاطبية عن ابن أبي عبد الوارث صاحب الشّاطبي، وحدث بالكثير وتقرّد في وقته، وكان قويّ المشاركة في علم الحديث والفقه والأصول والتّفسير خطيباً تام الشكل، ذا تعبد وورع، حجّ وله تصانيف درس وأفتى وأشغل، ولي خطابة القدر، تمّ طلبه الوزير ابن السّلعوس فولاه قضاء مصر ورفع من شأنه ثمّ حضر إلى الشّام قاضياً وولي خطابة الجامع الأموي مع القضاء، ثمّ طلب لقضاء مصر بعد ابن دقيق العيد، وامتدّت أيامه إلى أن شاخ وأضر وثقل سمعه، فعزل بقاضي القضاة جلال الدّين القزويني سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وكثرت أمواله وباشّر آخر بلا معلوم على القضاء ولما رجع السّلطان من الكرك صرفه وولى جمال الدّين الرّعي، فأشتم نحو السّنة، ثمّ أعيد بدر الدّين ابن

(1) العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج 1 ، ص 142.

(2) حاجي خليفة : سلم الوصول ، ج 1 ، ص 122. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 9 ، ص 281

(3) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج 8 ، ص 184.

جماعة فولية مناصباً كباراً وكان يخطب من إنشائه، وصنف في علوم الحديث، وفي الأحكام وله رسالة في الكلام على الإسطرلاب (1).

توفي قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الشافعي في الحادي والعشرين جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وهو معزول بعدما عمى (2)، ودفن بالقرافة (3). وللقاضي بدر الدين نظم ومنه ما أنشده إجازة الكامل:

أداء أمانة وعفاف نفس وصدق مقالة وسماح راحة

ومن شعره ما أنشده ولده سيدنا قاضي القضاة عز الدين أبو عمر عبد العزيز بقراءتي عليه في القاهرة قال أشدني والتي لنفسه:

جهاث أموال بيت المال سبعتها في بيت شعره حواها فيه كاتبه
خمس وفي خراج حزية عشر وارث فرد ومال ضال صاحب

ومن شعره أيضا:

طهارة وصلاة معهما ندم وقت خشوع وحسن الظن يا صاح (4).

ومن شعره كذلك:

أرض من الله ما يقدره أراد منك المقام أو نقلك
وحينها كنت ذا رفاهية فاسكن فخير البلاد ما حملك (5).

فقد عاش التويري حياته في عهد السلطان المنصور قلاوون الذي دامت سلطنته ما بين (678-689هـ/1279-1290م)؛ حيث يوافق ذلك مولد شهاب الدين التويري الذي يوافق سنة (677هـ/1278م). ونتيجة لطيب أفعاله تمكن من التقرب إلى الناس والعلماء. ويذكر بعض المؤرخين حبه الأول التي استغلها في إقامة عدّة منشآت أهمها المدرسة والبيمارستان وهي أمور لم يسبقه إلى ذلك فيها أحد (6).

ترعرع التويري في فترة كثر فيها الاستبداد والحروب من قبل سلاطين السلطنة، وذلك كون الناصر محمد بن قلاوون كان صغيرا تسع سنوات عندما تولى الحكم للمرة الثانية (698هـ-708م/1298-

(1) الكتبي: فوات الوفيات ، مج3، ص ص 297-298 .

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 298.

(3) السبكي: طبقات الشافعية ، ج9، ص 140.

(4) نفس المصدر ، ج9 ، ص ص 141-142 .

(5) نفسه ، ج9 ، ص 298 .

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972

1308م) لذلك توترت الأوضاع في البلاد وكثرت الانتفاضات والثورات في مصر إلى أن تمت السيطرة على الوضع والقضاء على مختلف الثورات من قبل السلطنة المملوكية⁽¹⁾.

ولم يلبث كثير الطامعون ضد السلطان واشتدَّ الشقاق فخلع السلطان محمد نفسه واتخذ من الكرك⁽²⁾ محلاً لإقامته سنة (708هـ/1308م) ، وكتب إلى الأميرين بيبرس وسلار باعتزاله الحكم نفس السنة. وبذلك انتهت سلطنة الناصر محمد الثانية التي استمرت نحو عشر سنين ونصف⁽³⁾ واعتلى محمد السلطنة للمرة الثالثة من جديد سنة (709هـ/1309م) إلى غاية (741هـ/1340م)⁽⁴⁾.

وتعتبر هذه السلطنة الثالثة للناصر محمد على جانب كبير من الأهمية ، إذ برزت فيه شخصيته فعزم من البداية على السيطرة ، وعدم الاستسلام لكبار الأمراء ، فألقى القبض على بيبرس الجاشنكير قرب غزة وهو يحاول الفرار إلى الشام وغيره⁽⁵⁾. فقد حصل لشهاب الدين النويري قرب من السلطان الناصر محمد ووكله الأمور ، وعمل عليه حتى رافع بن عبادة وهو الذي قربه من السلطان ، فضرب بالمقارع ثم عفا عنه ابن عبادة ، وتقلّب في الخدم وباشر نظر الجيش بطرابلس ونظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية⁽⁶⁾. فلم يعجب السلطان منه وقيعته في ابن عبادة ، وعرف ابن عبادة ما قاله في حقه وسلمه إليه ومكنه منه فضربه بالمقارع ضرباً مبرحاً وصادره ، فلم يشكر النويري أحد على ما كان منه⁽⁷⁾ وبذلك فقد عادت الثقة بين الناصر والنويري عندما عينه السلطان كاتباً بعدد من الوظائف أبرزها رئاسته للكتاب بإدارة الجيش في طرابلس⁽⁸⁾.

عاصر النويري فترة ثراء فكري وعلمي على عهد السلطان الظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م) الذي أولى أهمية وعناية بالمدارس ، حيث أنشأ خزانة تحتوي على أمّهات الكتب في سائر العلوم

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ص 115-117

(2) الكرك : سبعون الرء وآخره كاف ، قرية من أصل جبل لبنان. ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 452 .

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص 118 .

(4) نفس المرجع ، ص 122.

(5) نفسه ، ص ص 122-123 .

(6) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 7 ، ص 111 .

(7) المقرئزي : السلوك ، ج 2 ، ص 459 .

(8) الصفدي : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 111 .

وشيدَّ بجانبها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى⁽¹⁾، وقد تعددت دور العلم في عهد شهاب الدين النويري مثل: جامع الظاهر، وجامع السلطان قلاوون وجامع آق سنقر⁽²⁾ وغيرها من المدارس التي تم تشييدها مثل: المدرسة المنصورية، المدرسة الظاهرية، المدرسة المجدية، المدرسة الفارقانية⁽³⁾ وغيرها من الخانقات مثل الخانقاه البيبرسية⁽⁴⁾.

وقد عاصر شهاب الدين النويري ثلثة من العلماء أمثال: ابن مسير المصري (ت677هـ/1278م) وابن قيم الجوزي (ت751هـ/1339م)، وابن تيمية (ت728هـ/1280م) وابن هبة الله العامدي الشافعي (ت680هـ/1280م)، والشاعر ابن الخيمي (ت685هـ/1285م)، والشاعر البوصيري (ت696هـ/1296م)، وغيرهم من العلماء⁽⁵⁾.

ألف شهاب الدين النويري مؤلفاً كبيراً يشمل ثلاثين مجلداً سمّاه بـ "مُنْتَهَى الأَدَبِ فِي عِلْمِ الأَدَبِ" وقد اتفق أغلب المؤرخين أنّ المؤلف ليس لديه سوى كتابه المسمى "نهاية الأرب في فنون الأَدَبِ" وهناك من أطلق عليه كتاب التاريخ مثل المقرئزي عندما أشار بالقول: "صاحب كتاب التَّاريخ"⁽⁶⁾. وعلى نحوه ذكر الصّفي في كتابه "الوافي بالوفيات" أنّه جمع تاريخاً كبيراً " ولم يذكر عنوانه بالتَّحديد"⁽⁷⁾. أما المؤرخ ابن تغري بردي وقد أشار إلى الكتاب بالاسم قائلاً في كتابه "المنهل الصّافي" أنّه ألف تاريخاً سماه "منتهى الأرب في علم الأَدَبِ" في ثلاثين مجلداً⁽⁸⁾.

أمّا حاجي خليفة فقد سمّى الكتاب بـ "نهاية الأرب في فنون الأَدَبِ" وذكر كونه "تاريخ كبير في ثلاثين مجلداً لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري الكندي المتوفى سنة 732هـ اثنين وثلاثين وسبعمائة المؤرّخ علامة في معرفة الأَدَبِ ألفه في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون"⁽⁹⁾، كما أنّه كتب

(1) المقرئزي: الخطط، ج4، ص226.

(2) نفس المصدر، ج4، الصفحات 95-111-226.

(3) نفس المصدر، ج4، ص ص 224-285. السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص264.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ص 285. السيوطي: المصدر السابق، ج2، ص265.

(5) النويري: نهاية الأرب، ج28، ص470. ج31، ص ص 82-142. ج33، ص213. المقرئزي: المصدر السابق ج4، ص 217.

(6) المقرئزي: السلوك، ج3، ص 170.

(7) الصّفي: الوافي بالوفيات، ج7، ص 111.

(8) ابن تغري بردي: المنهل الصّافي، ج1، ص 381.

(9) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص 1985.

بخطّ يده "صحيح البخاري" ثمان مرات، وكان يبيع كل نسخة من البخاري بألف درهم، وكان يقب في اليوم ثلاثة كراريس⁽¹⁾.

انتهج النويري طريقة وأسلوب واضحين في تنظيم مواد مؤلفة "نهاية الأرب في فنون الأدب" وتقسيمها وتبويبها لتسهيل وصول القارئ المنتفع إلى مُبتغاه، بالإضافة إلى شمولية المعارف التي يحتاجها المتأدب وقد تمّ تقسيمه على النحو الآتي: أوله الحمد لله رافع السّماء وفالق رونقها ومنشئ السّحاب ومؤلف ودقها... وغيره. قال ما أوردت فيه إلا ما غلب على ظنّي أنّ النفوس تميل إليه ورتبه على خمسة فنون، الأوّل في السّماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السفلية، ويشمل خمسة أقسام، أمّا الثاني في الإنسان، وما يتعلّق به ويشتمل على خمسة أقسام، والثالث في الحيوان الصامت ويشتمل على خمسة أقسام الرّابع في النّبات ويشتمل على أربعة أقسام، وذيله بقسم خامس فيه أنواع من الطب والخامس في التاريخ، يشتمل على خمسة أقسام⁽²⁾ وتسميته هذا الكتاب معروفة لدى الكتاب في المرحلة التاريخية المدروسة.

وقد اهتمّ النويري في تأليف مصنفة بذكر البراهين والأدلة من الكتاب والسنة لتثبيت الأمور الفقهيّة أما منهجه في سرد الرواية التاريخية فهو في أكثر الأحيان يوجز ذكر الرواية ثمّ يذكر عبارة "على ما نذكره" عندها أشار إلى أخبار مروان بن الحكم وما وقع بينه وبين أبو أنس (البخاري بن قيس الفهري) في قوله: "وكان الضحّاك يدعو لابن الزبير فقتل الضحّاك على ما نذكره إن شاء الله في أخبار مروان وكان زفر بن الحارث الكلابي مع الضحّاك ففر منه"⁽³⁾. كما أنه في بعض الأحيان يذكر اسم المؤلف الذي أخذ منه الروايات التاريخية مثلاً:

- فقال صاحب الاشتمال: "قال الزبير ولد مضر بن نزار إلياس بن مضر، فلما أدرك إلياس أنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم، وسيرهم وبان فضله فيهم، ولان جانبه لهم، حتى جمعهم رأيه ورضوا به، فردّهم إلى سنن آبائهم، حتى رجعت سنتهم تامة على أولها" فقيل صاحب الاكتفاء ولعلّ ليس الاشتمال⁽⁴⁾. ففي بعض الأحيان يشير النويري إلى اسم المؤلف والمؤلف معاً كقوله مايلي: "واحفظ يا ولدي ما أقوله لك، فهذا جميعه ما عرفني به إلا الأخ فخر الدّين، وأخبرني أنّه وقف على كتاب بخط صلاح الدّين أنّ الفيوم وسمنود والسواحل والخراج للأسطول"⁽⁵⁾.

كما ضمن منهجه إيراد روايات غريبة ومثال ذلك: "وقد وقفت في أثناء مطالعني على حكاية غريبة اتفقت الواثق أحببت أن أضّمّها إلى أخباره، وهي ما رواه أبو الفرج الأصبهاني بسنده إلى محمّد

(1) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج 1، ص 381. الأذفوي: الطالع السعيد، ص 96 - 97.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 2، ص 1985 - 1986.

(3) النويري: نهاية الأرب، ج 5، ص 194.

(4) نفس المصدر، ج 16، ص 10.

(5) نفس المصدر، ج 29، ص 226.

بن الحارث قال كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة، إذا حضرت البيت إلى الدار، فإن نشط إلى الشرب قمت عنده وإن لم ينشط انصرفت⁽¹⁾.

وأحيانا أخرى يذكر روايتان ثم يرجح واحدة منها باستخدام عبارة على الأصح والدليل على ذلك قوله: "كانت وفاته بمصر يوم عيد الفطر من هذه السنة على الأصح وكان له يوم مات تسعون سنة و دفن بالمقطم من ناحية السفح وصلى عليه ابن عبد الله ثم رجع فصلّى بالناس صلاة العيد". وذلك عند ذكر وفاة عمرو بن العاص وشيء من أخباره واستعمال عبد الله بن عمرو على مصر⁽²⁾ وغيرها . وأكثر من قول عبارة "والله تعالى أعلم" من عدة مواضع منها: وأمّا قولهم إنّه بالمدينة عند قبر أمه فقد قاله محمّد بن سعد في طبقاته، وابن أبي الدنيا وأبو المؤيد الخوارزمي خطيب خوارزم في إحدى رواياته وصحّحه أبو الفرج بن الجوزي فالله تعالى أعلم "وذلك عندها تحدث عن محمد ابن القاضي الملقب عبد العزيز بن حسين في سيرة الصالح بن رزيك وولايته ووفاته وأبي دفن⁽³⁾.

ومن المحقق فإنّ مجهودات النويري تقوم بالأخص على نقل من المراجع والأسفار المتقدمة ولكن هذا المجهود يطبعه فن خاص لا شك في قيمته ونفاسته، كما تعدّ موسوعة النويري التاريخية تتبواً بين المراجع التاريخية الكبرى مقاماً رفيعاً⁽⁴⁾.

اهتم العديد من الباحثين على نشر وترجمة كتاب النويري، وقد اهتمّ الباحثين الأوروبيين من بعيد بجهود النويري التاريخي ونشرت بعض أجزاءه وترجمت إلى اللاتينية والفرنسية وبالأخص تاريخ صقلية وإفريقية⁽⁵⁾.

وقد انتفع العصر الحديث كثيراً بمجهودات النويري التاريخية، فترجمت منه منذ القرن الثامن عشر فصول إلى اللغة اللاتينية والفرنسية، وانتهل من رواياته مؤرخين عظام أمثال: جيبون ، ونشر القسم المتعلق بالمرابطين والمؤحدين في نهاية الأرب، المستشرق الإسباني جسبار ريميرو منذ سنة 1919م كما بدأت دار الكتب المصرية بنشر "نهاية الأرب" كاملاً منذ سنة 1929م، وصدر منه خلال أربعين عاماً ثمانية عشر مجلداً أصيل آخرها في سنة 1955م، وقد تمّ البدء بقسم التاريخ أو ما يُعرف بالفن الخامس في هذه الطبعة منذ المجلد الثالث عشر واستغرق تاريخ أصل الخليفة، وأخبار الأنبياء الأقدمين وتاريخ النصرانية، والتاريخ القديم، ثم تاريخ العرب قبل الإسلام وأيام العرب ووقائعها، وتاريخ الأمة الإسلامية حتّى أخبار الوفود على الرُّسل، الذي استغرق خمسة عشر مجلداً حتّى المجلد الثامن عشر ومازالت دار

(1) النويري : نهاية الأرب ، ج22 ، ص ص 196 - 197 .

(2) نفس المصدر، ج20 ، ص 185 .

(3) نفسه ، ج20 ، ص 302 .

(4) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص66 .

(5) نفس المرجع ، ص 66 .

الكتب تخرج لنا بقية هذه الموسوعة العظيمة ، وهي قد تستغرق خمسة عشر مجلداً أخرى⁽¹⁾. وهذا حسب ما أشار إليه المؤرخ محمد عبد الله عنان سنة 1969م.

- **الكتابة التاريخية عند النويري "مؤلفه نهاية الأرب"**: كما تم الإشارة سابقاً كون النويري قسم كتابه إلى خمسة أقسام ، متعددة الفنون في القسم الخامس أولى فيه عناية كبيرة بالتاريخ ، هو بذلك سيضم واحد وعشرين مجلداً بأكملها فلذلك صنّف المؤرخون المعاصرون "نهاية الأرب" ضمن الموسوعات التاريخية للمؤرخ الفدّ النويري الذي أرخ للمسلمين وهو من القلة الذين ألفوا موسوعة ضخمة مثل: ابن عساكر والذهبي وابن الأثير⁽²⁾.

ويعود النويري في كتابة التاريخ إلى أصل الخليفة، ويخصّص له والأخبار الأنباء نحو مجلدين ثم يبدأ في الاسترسال على تاريخ اليهود وأنبيائهم، ونخصّ بالذكر سليمان وقصصه بإفاضة ممتعة، ثم تناول مباشرة تاريخ المسيح ونشأة النصرانية وبعدئذ يبدأ حديثه عن التاريخ القديم بالإسكندر المقدوني وتاريخ مصر الغابرة، ثم تاريخ الفرس القديم، ومن المحقق أنّ النويري لم يخرج من ذلك عما كتبه الأوائل من الأساطير والقصص المتداولة، ومنذ أواخر المجلد الثالث عشر يبدأ النويري تاريخ العرب قبل الإسلام وأيام العرب ووقائعها، ثم تاريخ الإسلام والنبي العرب، أو تاريخ الأمة والملة الإسلامية كما يسميه، منذ الرسالة النبوية وأخبار النبي، فخصومه ثم الغزوات النبوية وأخبار الوفود، أخبار الصحابة الموالى، مآثر النبي وآثاره⁽³⁾.

ويشغل هذا القسم وحده المتعلق بالمسلمين والإسلام ثلاثة مجلدات كبيرة، يلي ذلك تاريخ الخلفاء الراشدين وتاريخ علي وخصومته مع معاوية بإسهاب، ثم أخبار الدول الإسلامية مبدئياً بالدولة الأموية منذ المجلد الثامن عشر، وتشغل أخبار الدولة الأموية مجلدين كبيرين. ثم تليها الدولة العباسية منذ قيامها إلى خلافة المستظهر وتشغل أيضا نحو مجلدين وخصص شهاب الدين النويري لتاريخ الدولة الأموية بالأندلس ثم تناول تاريخ إفريقية منذ فتحها حتى نهاية الدولة الأغلبية، والدولة البربرية المختلفة حتى المرابطين والموحدين⁽⁴⁾.

كما أبدى النويري اهتماماً شديداً في كتاباته لتاريخ الشيعة منذ أيام علي وبنيه (الحسن والحسين) متحدثاً عن مختلف الدعوات الشعبية في فارس وخراسان، وعن فوزه القرامطة وتاريخهم بإسهاب، ثم تاريخ الأمم الإسلامية فيها وثورات النهرين وتاريخ السلاجقة وما تفرع من دويلاتهم في الجزيرة وآسيا الصغرى

(1) عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص 67 .

(2) نفس المرجع ، ص 65 .

(3) نفسه ، ص 65. النويري: المصدر السابق، مج 18، ص ص 3-267.

(4) عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص 66 . النويري: المصدر السابق ، مج 24، ص ص 54-139.

والشام⁽¹⁾ ثم ذكر تاريخ الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية⁽²⁾ وكذا تاريخ الشام والصليبيين⁽³⁾ ثم تاريخ مصر منذ دول المماليك مرتباً بالسنين حتى سنة (731هـ/1331م)⁽⁴⁾.

نستنتج أن التاريخ عند النويري يشغل أكثر أقسامها بالنسبة للفنون الأربعة المذكورة آنفاً حيث يشغل ثلاثة عشر مجلداً من واحد وثلاثين مجلداً من المخطوط (اثنتي عشرة مجلداً مطبوعاً)، فذلك يمكننا أن نعتبر النويري مؤرخاً للبراعة التنظيمية التاريخية فهويتها وسلاسة عرضها تؤكد ذلك، كما أنه لم يخصص الدراسة التاريخية لمصر فقط وإنما عرّج على أغلب أقطاب العالم خاصة الشام والمغرب الإسلامي والأندلس، كما أنه حفظ لنا عدة روايات لم يشر إليها في مختلف أمهات الكتب، توفي شهاب الدين النويري رحمة الله سنة (733هـ/1333م) بسبب مرض أصابه في أطراف أصابع يديه⁽⁵⁾ أمّا ابن تغري في كتابه "المنهل الصافي" فنشر إلى أنه توفي سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة⁽⁶⁾ وإن كان كذلك يعني توفي عن عمر يناهز الخمسين⁽⁷⁾.

أ- أبو العباس القلقشندي (ت 821هـ/1418م):

كثيراً ما ذكر اسم القلقشندي في تردد السنة المؤرخين المحدثين والأديان وهذا أسير ما يدل على أن للمؤرخ المذكور موسوعة، لكن نتساءل: هل أنصف المؤرخ لمعاصريه من حيث دراسة وتفحص سيرته الذاتية؟. ودراسة مؤلفاته خاصة التاريخية بالعرض والتحليل؟. أجل ذكرت سيرة أبي العباس القلقشندي في عدة مصادر ومراجع فقد أشار إلى اسمه ونسبه باتساع ودقة السخاوي في كتابه "الضوء اللامع" قائلاً هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب ابن الجمال أبي اليمن الفزاري القلقشندي ثم القاهري الشافعي⁽⁸⁾.

(1) النويري: المصدر السابق، مج 25، ص ص 111 - 195.

(2) نفس المصدر، مج 27، ص 3 - 53. مج 28، ص ص 232 - 310.

(3) نفسه، مج 29، ص 267.

(4) نفسه، مج 29، ص ص 66 - 67.

(5) الأدفوي: الطالع السعيد، ص 96. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 7، ص 111.

(6) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج 1، ص 381.

(7) نفس المصدر، ج 1، ص 381.

(8) السخاوي: الضوء اللامع، ج 2، ص 08.

اشتهر بالقلقشندي لأنه ولد بقلقشندة⁽¹⁾ أمّا ابن حجر العسقلاني في كتابه " إنباء الغمر"، فقد اقتصر نسبه في كونه أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي الشافعي⁽²⁾. أمّا البغدادي في كتاب "هدية العارفين" فيوافق المؤرخين الاثنيين في تسلسل النسب بقوله: "أحمد بن علي بن أحمد بن أحمد القلقشندي شهاب الدين أبو العباسي المصري الشافعي"⁽³⁾. لكن معجم المحدثين عن المؤرخ اعتمدوا رواية السخاوي الذي أثبت كون والده اسمه علي⁽⁴⁾ قائلاً "يأتي في ابن علي بن أحمد بن عبد الله فالصواب في اسم أبيه علي". ويضيف قائلاً في نقد المقرئزي والعيني قائلاً " وسمى العيني والمقرئزي والده عبد الله وهو وهم"⁽⁵⁾.

ينتمي القلقشندي إلى أسر عريقة ذات جذور أصيلة ألا وهي قبيلة بني بدر في فزارة؛ حيث ذكر ذلك القلقشندي في كتابه "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب" قائلاً: "من أصل عربي صميم ينحدر من بني بدر بن فزارة من قيس عيلان وكان قومه بنو فزارة وردوا مصر مع من وافد إليها من العرب أيام الفتح الإسلامي وبعده ونزلوا بإقليم القليوبية، واستولى بنو بدر منهم على أهمّ المواقع من بلاده.. فكانت الغلبة لهم على جيرانهم من بني عمومتهم بني مازن، وكانت فرقتان منهم بقلقشندة فرقة من بني بدر وفرقة من مازن"⁽⁶⁾، وعن قبيلة بنو بدر يضيف: بنو بدر من فزارة من قيس عيلان ، وفزارة يأتي نسبه عند ذكره في حرف الفاء قال في العبر: " وفيهم كانت رئاسة بني فزارة في الجاهلية، وكانوا يرأسون جميع غطفان وتدوين لهم قيس وإخوانهم بنو ثعلبة ابن عدي"، "وبنو بدر هؤلاء قبيلتان التي إليها نعزّي وفيها تنتسب، ومنهم جل عربي بلاد القليوبية من الديار المصرية ويجاورهم فيها بنو عمهم من بني مازن من فزارة ولكل منها بلاد تخصّه ولا زالت بينهما العداوة والشحناء، ولبني بدر منهم الرئاسة والقوة والغلبة وأهل بلدتنا قلقشندة من القليوبية فرقتان فرقة بني بدر وفرقة من بني مازن"⁽⁷⁾.

ولد أبو العباس القلقشندي سنة(756هـ/1355م) بقلقشندة وترعرع بها حتّى سن الخامسة عشرة تقريباً وفيها نشأ نشأة علمية وتربى تربية صحيحة، وكان صاحب تواضع ومروءة، كما درس في القاهرة والإسكندرية على كبار الشيوخ في عصره وتخصّص في عدّة علوم منها الأدب والفقّه الشافعي وبرع في

(1) قلقشندة (قرقشندة) هي قرية بأسفل مصر. ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 4 ، ص 327.

(2) العسقلاني : إنباء الغمر، ج 3 ، ص 178.

(3) البغدادي : هدية العارفين ، ج 1 ، ص 122.

(4) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 1 ، ص 355 .

(5) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 08.

(6) القلقشندي : نهاية الأرب ، مقدمة المحقق (ث).

(7) نفس المصدر ، ص 166.

علوم اللُّغة والبلاغة والإنشاء⁽¹⁾. عرف منذ ريعان شبابه بذكائه وقدرته على الحفظ والاستظهار والاستحضار؛ حيث يشير إلى ذلك السخاوي قائلاً: "كان أحد الفضلاء ممن برع في الفقه والأدب وكتب الإنشاء، وناب في الحكم وشرح قطعاً من جامع المختصرات، بل شرع في نظمه وعمل صبح الأعشى في قوانين الإنشاء في أربع مجلدات جمع فيه فأوعى، وكان يستحضر أكثر ذلك مع جامع المختصرات والحاوي، وكتاباً في أنساب العرب وهو ممن فرض سيرة المؤيد لابن ناهض مع تواضعٍ ومروءةٍ وخير"⁽²⁾.

مارس القلقشندي منذ سنة (778هـ/1372م) الإفتاء والتدريس⁽³⁾ وكان نائباً في الحكم كما مارس ديوان الإفتاء والاقْتباس⁽⁴⁾ وناب عن القاضي جلال الدين البلقيني بسفارة محمود العيني، كما تقلد القلقشندي عدّة وظائف في ظلّ السُلطة المملوكية منها العمل في ديوان الإنشاء، فألتحق بخدمة هذا الديوان بدءاً من سنة (791هـ/1388م) على عهد السلطان الظاهر برقوق، وكان لا يعمل فيه سوى أقطاب النُّشر والبلاغ الذين تَوَهَّلهم معارفهم الواسعة للوقوف على شؤون الحكم والسياسة الداخليّة والخارجيّة، وسير العلاقات الدبلوماسية بين مصر وباقي الأمم والديوان الإنشائي المصري منذ أيام الدولة الفاطمية ووضع النّظم الكتابة والإنشاء الرسميّة⁽⁵⁾.

كما أشار إليه ابن حجر العسقلاني في كتابه "إنباء الغمر بالقول": "إنه تفقّه وتمهّر وتعانى الكتب، وكتب في الإنشاء وناب في الحكم"⁽⁶⁾. ويضيف ابن تغري بردي قائلاً: "أحد موقعي الدست ونواب الحكم"⁽⁷⁾. ويضيف بنفسه قائلاً: "وكنّت في حدودي سنة إحدى وتسعين وسبعمئة عند استقرار في كتابة الإنشاء بالأبواب الشريفة السلطانية عظم الله تعالى شأنه ورفع قدرها؟ وأعز سلطانها؟. أنشأت مقامة بنيتها على أنه لأبْد للإنسان من حرفة يتعلّق بها، ويشر كذلك إلى كون الكتابة صناعة طالب العلم وأنه جنح بفضلها على كتابة الإنشاء وترجيحها"⁽⁸⁾. وبذلك تعتبر سنة (791هـ/1388م) منعطفاً هاماً في سيرة القلقشندي العلمية؛ حيث عين كما أشرنا سابقاً كاتب للدرج الشريف كما اعتلى غيرها من الوظائف الأخرى.

(1) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 77.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج 2، ص 08.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، ج 14، ص ص 323-326.

(4) الصيرفي: المصدر السابق، ج 2، ص 432.

(5) عبد الله عنان: المرجع السابق، ص ص 77-78.

(6) العسقلاني: إنباء الغمر، ج 3، ص 178.

(7) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج 1، ص ص 351-352.

(8) القلقشندي: المصدر السابق، ج 1، ص ص 9 - 10.

ألّف القلقشندي عدّة مؤلفات تاريخيّة ساهمت في سيرورة علم التاريخ وتطوّره، كما احتوت هذه المؤلفات على معلومات تاريخيّة فذّة، ومن أبرز هذه المؤلفات ما يلي:

1 - كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ألّفه القلقشندي كهدية موجة للمقري الجمالي العثماني الأموي، حيث يشير إلى ذلك بالقول : " قلت هؤلاء هم عشيرة المعزّ الجمالي الموضوع له هذا الكتاب... ومن جرثومة نسبه، ومن غرائب الاتفاق الذي أجبره سعده وأثبتته حظه، أن اقتضت اتفاقية حروف المعجم جعل حيه أوّل الأحياء الواردة في هذا الكتاب ذكرا ولو تقصد ذلك متقصد لم يتأت قصد ذلك لكنه أعزه الله تعالى ونصره قدّ أكمل الدهر سعده وأسعد الوقت جده وأعقمت الأيام عن مثله فلم تأت بنظير له مثله أو بعده:

عزیز به مصر تکامل عزّها	وعن رأيه أمر الممالك يصدر
وتلقى له كل الملوك مسامعا	وتصغى له قيما يسر ويجهر
وتعد رأيا منه نجحا لقصدها	فلا تمتري فيه ولا عنه تفتري
وقد صار أمر الملك طوعا قياده	يصرفه قسرا فينهى ويأمر ⁽¹⁾ .

أودع القلقشندي مؤلفه ضمن كتب الأنساب وقسمه إلى أبواب وفصول ثلاث أبواب ألا وهي:

الباب الأوّل: سمّاه المقدمة في ذكر أمور يحتاج إليها في علم الأنساب ومعرفة القبائل وفيها خمسة فصول:

الفصل الأوّل: في علم الأنساب وفائدته ومسيس الحاجة إليه.

الفصل الثاني: في بيان من يقع عليه اسم العرب، وذكر أنواعهم وما ينخرط في سلك ذلك.

الفصل الثالث: في معرفة طبقات الأنساب وما يحق بذلك.

الفصل الرابع: في ذكر مساكن العرب القديمة التي منها درج إلى سائر الأقطار.

الفصل الخامس: في ذكر أمور يحتاج إليها الناظر في علم الأنساب

أما الباب الثاني فسمّاه : المقصد في معرفة تفاصيل انساب قبائل العرب وفيه فصلان هما:

الفصل الأوّل: في ذكر عمودي النسب النبوي وما يتفرّع عنه من الأنساب

الفصل الثاني: في ذكر تفاصيل القبائل المرتبة مقلّاة على حروف المعجم وما يتهيأ ذكره من مساكنهم.

فالباپ الثالث والأخير: فسّماه الخاتمة في ذكر أمور تتعلّق بأحوال العرب وفيه خمسة فصول:

الفصل الأوّل: في ذكر معرفه ديانات العرب قبل الإسلام.

الفصل الثاني: في ذكر أمور من المفارقات الواقعة بين قبائلهم وما ينجر على ذلك.

الفصل الثالث: في ذكر الحروب الواقعة بين العرب في الجاهليّة ومبادئ الإسلام.

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص ص 09-10. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح : إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1980 ، ص ص 30-31 .

الفصل الرَّابِع: في ذكر نيران العربي في الجاهليَّة.

الفصل الخامس: في ذكر أسواق العرب المعروفة في ما قبل الإسلام⁽¹⁾.

2- كتاب "صُبْح الأَعْشى في صناعه الإنشاء": اختلفت المصادر والمراجع في تسمية المؤلف ولذلك تعددت عناوينه منها: "صباح الأَعْشى في معرفة الإنشاء"⁽²⁾ ، وكذا "صبح الأَعْشى في كتابة الإنشاء"⁽³⁾ ، بالإضافة إلى "صبح الأَعْشى في قوانين الإنشاء"⁽⁴⁾. تعدُّ من أهمِّ كتب القلقشندي شيوعاً وقد جعلها شرحاً لمقامة الكواكب الدرية في المناقب البدرية حيث يقول عن دوافع تأليفه لموسوعته مايلي: "إلا أنَّها قد وقعت موقع الوحي والإشارة، ومالت إلى الإيجاز فاكتفت بالتلويح عن واسع العبارة. فعز بذلك مطلبها. وفات على المجتني ببعد التناول أطيبها فأشار من رأيه مقرون بالصواب ومشورته عليه أن أتبعها بمصنف مبسوط يجتمع على أصولها وقواعدها"⁽⁵⁾.

ويتكفل بحل رموزها وذكر شواهدا ليكون كالشَّرح عليها. والبيان لما أجملتها والتمتة لما لم يَسقِه الفكر إليها فامتثلت أمره بالسَّمع والطَّاعة، ولم أتلكأ وإن لم أكن من أهل هذه الصِّناعة غير أن القرحة بذلك لم تسمح. وصار المقتضى يضعف والمانع يترجِّح قد تشابه محكمها وضرورات، إن لم يعلمها الخلق فالله يعلمها إلى أن لاحت لي بوارق الفتح وظهرت والله الحمد آثار المنح، فعند ذلك بلغت النفس أملها وأضفت مواهب الامتتان حلها. وتلا لسان العناية على الغيِّ الحاسد "ما يفتح الله للنَّاس من رحمه فلا ممسك لها"⁽⁶⁾ ويضيف قائلاً: "وسميته لصبح الأَعْشى في كتاب الإنشاء راجياً من الله تعالى أن يكون بالمقصود وافياً وللعلل شافياً"⁽⁷⁾. كما أكدَّ القلقشندي أنه شرع في تأليفه منذ استقراره في العمل بديوان الإنشاء سنة (791هـ/1388م)؛ حيث فرغ من تأليفه سنة (814هـ/1411م). ومن هنا يمكننا القول أن القلقشندي أنفق وقتاً طويلاً ما يقارب 20 سنة.

شملت هذه الموسوعة عشر مقالات تتوسَّط كل من المقدِّمة والخاتمة، فالمقدِّمة؛ شملت خمسة أبواب أوَّلها يبيِّن فضل الكتابة ورفعت مكانتها. والباب الثَّاني ؛ يوضح لنا مدلول الكتابة لغَةً واصطلاحاً ومعنى الإنشاء وعلاقته بالكتابة. والثَّالث؛ يختصُّ بصفات الكتاب وآدابهم. أمَّا الباب الرَّابِع ؛ فيتحدث عن

(1) القلقشندي: نهاية الأرب ، ص ص 04 - 05 .

(2) العسقلاني: إنباء الغمر، ج 3 ، ص ص 178 - 179 .

(3) القلقشندي : صبح الأَعْشى ، ج 1 ، ص 10 .

(4) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 2 ، ص 08 .

(5) القلقشندي : صبح الأَعْشى ، ج 1 ، ص 09 .

(6) نفس المصدر، ج 1 ، ص 10 .

(7) نفسه ، ج 1 ، ص ص 3 - 25 .

- حقيقة ديوان الإنشاء منذ وضعه الأوّل في الإسلام⁽¹⁾. حتى عصر المؤلف أمّا الباب الخامس فيتناول قوانين ديوان الإنشاء وترتيبه، وكذا أوضاع أهله ومكانتهم⁽²⁾.
- أمّا المقالات العشر فهي مقسّمة على النحو الآتي:
- المقالة الأولى: تتحدّث عن ثقافة الكاتب، وما يحتاج إليه من المعارف والأدوات. مقسّماً إيّاها إلى قسمين كبيرين هما: الأمور العلميّة الأمور العمليّة⁽³⁾.
 - المقالة الثّانية: للحديث عن المسالك والممالك؛ وهي أربعة أبواب. الأوّل؛ عن الأرض. والثّاني؛ عن الخلافة. والثّالث؛ يختص الديار المصرية. والرّابع؛ عن الممالك المحيطة بالديار المصريّة.
 - المقالة الثّالثة: شملت أربعة أبواب فالأوّل؛ عن الأسماء والكنى والألقاب والتّعوت، وما يخص أهل الإسلام واليهود والنّصارى. أمّا الثّاني؛ في بيان الورق ومقادير القطع وما يناسبها من الأقلام. والثالثفي بيان كتابة الملخصات ومقادير قطع الورق. والرّابع؛ يشمل الفواتح والخواتم واللواصق وما يترتب به وكذلك التاريخ العربي والعجم والمقابلة بين التاريخين⁽⁴⁾.
 - المقالة الرّابعة: تدور حول المكاتبات الصّادرة عن ملوك مصر. وتشمل بابين: الأوّل؛ في الأمور العمومية للمكاتبات. والثّاني فيدرس مصطلح المكاتبات الدّائرة بين كتاب الإسلام⁽⁵⁾.
 - المقالة الخامسة: في الولايات وهي أربعة أبواب⁽⁶⁾.
 - المقالة السّادسة: تشمل أربعة أبواب في القضايا الدّينية والإطلاقات وفي الطرخانيات وتحويل السّنين الشّمسية والقمرية⁽⁷⁾.
 - المقالة السّابعة: وفيها بابان فالأوّل في ذكر مقدمات الاقتطاعات في أمور تتعلق بمعناها، وثاني في ما يكتب في الإقطاعات في القديم والحديث⁽⁸⁾.

(1) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج 1 ، ص ص 3- 25.

(2) نفس المصدر، ج 1 ، ص ص 35- 139 .

(3) نفسه ، ج 1 ، ص ص 140- 480 . ج 2 ، ص 430. ج 3 ، ص 226 .

(4) نفسه ، ج 2 ، ص 227.

(5) نفسه ، ج 6 ، ص 274

(6) نفسه ، ج 9 ، ص 252 .

(7) نفسه ، ج 13 ، ص 02.

(8) نفسه ، ج 13 ، ص 104 .

- المقالة الثامنة: وهي في بابين فالأول؛ فيما يتعين على الكاتب معرفته من أقسام الإيمان، وما يقع به القسم . والثاني؛ في نسخ الإيمان المتعلقة بالخلفاء والمتعلقة بالملوك⁽¹⁾.
- المقالة التاسعة: وتحتوي ما يتعلق بالعقود والفسوخ، وتقع في خمسة أبواب عن عقد الإيمان لأهل الإسلام، وفيما يخص الدفن وأصوله العربية، وما يتعلق كذلك بأهل الذمة، والهدن المبرمة بين الملوك الإسلام وملوك الكفر⁽²⁾.
- المقالة العاشرة: وهي في المكاتبات الإبداعية الخارجة عن مجال الكتابة الديوانية؛ وهي في بابين الأول؛ في الجدليات والثاني؛ في الهزليات⁽³⁾ .
- الخاتمة: تشمل أربعة أبواب فالأول؛ في البريد. والثاني؛ في الحمام الرّسائلي. والثالث؛ يتحدث عن مراكب الثلج من البلاد الشّامية إلى مصر. والرّابع؛ في المناور والمحروقات⁽⁴⁾ .
- وقد اعتمد القلقشندي اعتماداً كبيراً على مصنّفِي العمري " التعريف " و "المسالك " ، ولكنّها تتميز بالدقّة في التّبويب والهدف الرّئيسي منها هو أن تكون مرجعاً من أجل الدّواوين أي عمال ديوان الإنشاء، وفيها ملخصاً لمختلف المعارف التي يحتاجها الكاتب المثالي ابتداء من التّوجيهات الفنيّة بالكلام على المداد والقلم والخط والورق إلى المعطيات الواسعة في محيط الجغرافيا. وهو من ذلك يعرض وصفاً دقيقاً بنواحي مصر والشّام. بل جميع الدول التي لها صلة بمصر مولياً اهتماماً بليغاً بالجانب السياسي والإداري وأساليب المعاملات بين السّكان. كما أفرد جزءاً كبيراً لنماذج المكاتبات الدبلوماسية وقرارات التعيين الرسمية والوثائق الحكوميّة الرسمية من كل صنف. وما جعل كتابه مصدراً تاريخياً أساسياً واجتماعياً للعالم الإسلامي وتختلف الأقطار المتصلة به أوائل القرن الخامس عشر. كما نلتقي على طول معلومات الكتاب على مواضيع جغرافية مثل المقالة الثانية التي أفردتها عن الممالك والمسالك، وهي بذلك تمثل عرضاً جغرافياً تاريخياً. ومن هنا نستنتج أنّ القلقشندي قد خصّص الجزء الثالث والرابع لمصر الفاطمية والأيوبية، كما أنه اهتم بالعصر المملوكي الذي عاش فيه، وقد قام المُستشرق وستنفلند بعرض هذا القسم بطريقة موجزة في عام 1879م بنفس الطريقة التي عالج بها القلقشندي وصف الشّام. ووصفه قد وصلنا بفضل الدّراسة المُثقّنة المُثقّنة التي قام بها لغودفروا ديمومبين 1923م. ويليها وصف آخر للحجاز⁽⁵⁾.

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج13، ص 199 .

(2) نفس المصدر ، ج 13، ص 321 .

(3) نفسه ، ج 14 ، ص 110 .

(4) نفسه ، ج 14 ، ص ص 366 - 409 .

(5) كراتشكوفيسكي أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تر: صلاح الدين عثمان هاشم ، د ط ، كتاب الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1961 ، ج 1 ، ص ص 416 - 418 .

3- كتاب "قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان": أهداه القلقشندي لابن المحاسن محمد الجهني الشافعي المؤيدي صاحب ديوان الإنشاء، وذكر في مقدمة كتابه أن الغرض من تأليفه استدراك كتاب نهاية الأرب؛ حيث قام بإضافة معلومات وحذف البعض منها وتعديل جزئيات أخرى. فقد فرغ من تأليفه في الثالث عشر رجب تسعة وثمانمائة للهجرة قبل وفاته بعامين فقط⁽¹⁾.

4- مؤلفات أخرى:

- كتاب "الكواكب الذرية في المناقب البدرية": مقامها وضعها القلقشندي سنة (791هـ/1388م) طبعت ضمنه "صبح الأعشى".

- كتاب "حلبة الفضل وزينة الكرام في المفاخرة بين السيف والقلم": أنشأ سنة (794هـ/1391م) طبع ضمن كذلك "صبح الأعشى".

- "رسالة في المفاخر بين العلوم": أنشأها سنة (798هـ/1395م)، طبعت ضمن "صبح الأعشى".

- "كنة المراد في شرح بانة سعاد": ألفه قبل الشروع بتأليف "نهاية الأرب"، لكن لم يذكر تاريخ تأليفه.

- "مآثر الأناقة في معالم الخلافة": قدّمه القلقشندي للخليفة الوقت الإمام الأعظم المعتضد بالله أبي الفتح داوود بن المتوكل.

- "العيون الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصر جمع الجوامع": عبارة عن شرح مبسط لكتاب "جامع المختصرات ومختصر جمع الجوامع" في الفقه الشافعي للشيخ كمال الدين النشائي سنة (757هـ/1356م): ألفه بعد كتاب "نهاية الأرب".

- "البروق اللوامع في حل جامع المختصرات ومختصر الجوامع": يشمل ثلاثة مجلدات.

- "شرح كتاب الحاوي": في الفروع للقزويني.

- كتاب "ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر": وهو مختصر لكتابه "صبح الأعشى"، قدّمه لأبي الفضل محمد ابن أبي المعالي محمد البارزي الحموي. وهناك مؤلفات أخرى في المكاتبات والمناسبات الأخرى؛ منها "أجوبة على رسائل الملوك والأمراء ونسخ العهود وتواقيع القضاء أو خطابة أو تدريس وتقاريف ونسخ صدامة، وتهنئة وغيرها من المؤلفات"⁽²⁾. فمن بين مشايخ القلقشندي كل من:

أ- الشيخ سراج الدين بن الملقن (ت804هـ/1402م): هو عمر ابن علي ابن أمد ابن محمد الأنصاري الأندلسي الأصل المصري نزيل القاهرة، ترعرع على يد والده أبي الحسن الذي عرف كونه عالماً بالنحو. نهل عنه الشيخ جمال الدين الاسنائي وغيره وكنيته بالملقن نسبة لزوجة أمه وكان يلقن الناس القراءة. ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة. عُني منذ صغره بطلب العمل، فأسمع على الحافظ ابن الفتح ابن سيّد

(1) عبد اللطيف حمزة: القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ط1، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، مصر 1962، ص 46.

(2) ظمياء محمد عباس السامرائي: المنهج التاريخي عند القلقشندي - دراسة تحليلية-، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2001، ص ص 32-35.

النَّاس، والحافظ قطب الدِّين الحلبي. وسمع الكثير من الحسن ابن سديد، وأحمد بن قلقشندي ومحمد بن غالب وغيرهم من أصحاب النجيب وابن عيد الدائم، فلزم الشَّيخ زين الدِّين الرجي فتخرج به وبعلاء الدين مغلطاي عرف بتصانيفه: شرح المنهاج (شرح أكبر من ثمانية مجلِّدات) وأصغرها في مجلد. و"التشبيه"، و"شرح الحاوي" في مجلدين. وخرَّج أحاديث "الرَّافعي الكبير" في ستَّة مجلِّداتٍ وشرح البخاري في 20 مجلِّداً.. وغيرها⁽¹⁾.

ب- أبو حفص سراج الدِّين البلقيني(ت805هـ/1403م):وهو عمر بن رسلان الكتاني الشَّافعي ابن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق ابن عبد الحق نزيل القاهرة. ولد سنة 24 في شعبان حفظ القرآن الكريم في سنِّ سبع سنين، كما "حفظ المحرر" و"الكافية لابن مالك"، و"مختصر ابن الحاجب الأصلي" و"الشاطبية"⁽²⁾. مات في العاشر ذو القعدة سنة(805هـ/1403م) ودُفِن صبيحة يوم السَّبْت الحادي عشر منها في مدرسته التي أنشأها بحارة بهاء الدين قراقوش الأَسدي الصَّالحي بعد أن صلى عليه في جامع الحاكم بأمر الله عند باب الفتوح وحضر جنازته خلق لا يُحصى عددهم إلا الله⁽³⁾.

ت- شمس الدِّين الزفتاوي المكتب بالقسطاس(ت806هـ/1402م):قال القلقشندي وأخذ عنه شيخنا الشَّيخ شمس الدِّين محمَّد بن علي الزفتاوي المكتب بالقسطاس وصنَّف مختصراً في قلم الثلث مع قواعد ضمها إليه في صنعة الكتاب أحسن فيه صنيع وبه تخرج صاحبنا الشَّيخ زين الدين شعبان ابن محمَّد ابن داوود الآتاري محتسب مصر⁽⁴⁾.

ث- شمس الدِّين محمَّد بن الصَّائغ الحنفي الأديب (ت845هـ/1442م): أشار إليه القلقشندي في كتابه صبح الأعشى إلى قدمات البندق قائلاً: "وجمع قدمه بكسر القاف وسكون الدال المهملة، وهي رسائل تشتمل على حال الرمي بالبندق، وأحوال الرماة، وأسماء طير الواجب، واصطلاح الرماة وشروطهم وهذه نسخة قدمه، كتب بها شيخنا الشَّيخ شمس الدِّين محمَّد بن صائغ الحنفي الأديب رحمه الله لصالح الدِّين ابن المقر المحيوي ابن فضل الله"⁽⁵⁾.

(1) ابن حجر العسقلاني: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار المعرفة

للطباعة والنشر، بيروت، 1994، مج2، ص ص 311-314.

(2) العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص 235.

(3) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 171.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 18.

(5) نفس المصدر، ج14، ص 282.

ج- ابن الشيخة (ت799هـ/1396م): هو عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك بن حماد المعمر المسند المعتقد زين الدين أبو الفرج المعروف بابن الشيخة توفي في 29 ربيع الآخر سنة (799هـ/1396م)⁽¹⁾. وأشار إليه السخاوي أثناء ترجمة للقلقشندي قائلاً: "وسمع على ابن الشيخة ومن في وقته"⁽²⁾.

استمت العلاقة بين القلقشندي ورفقائه علاقة حسنة طيبة سواء على الأدباء أو كتاب الإنشاء في دواوين الدولة، وقد ذكر ذلك في كتاباته ومن أبرز رفقائه في العلم ابن صائغ، وزين الدين الآثاري (828هـ/1425م) بالإضافة إلى إعجابه الشديد بزميله الأديب الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي (837هـ/1433م). كما جمعه علاقة وطيدة بصاحب الإنشاء في ظل إقامته بالقاهرة سنة (818هـ/1415م) ألا وهو أبي المعالي محمد الجهيني البارزي (كان حيا سنة 819هـ/1419م) الذي أهدى القلقشندي كتاب "قلائد الجمان"، وكذا بصاحب وظيفة الدوادية أبي يزيد الظاهري الذي قدم له رسالة التقدير سنة (794هـ/1391م). ومن الذين جمعهم به كذلك علاقة حب وعمل أبو الفضل عبد الرحمن البلقيني الذي كان آنذاك نظراً في الحكم بالديار المصرية، ومن بين العبارات التي تؤكد هذه العلاقات إشارته إلى هؤلاء العلماء في مؤلفاته قائلاً:

- عن أبي الصائغ يقول: "قال لي الشيخ عبد الرحمن المكتب الشهير بابن الصائغ: ويكون في سطره تقدير ما نسبة تقوير حروفه"⁽³⁾.

- عن زين الدين شعبان الآثاري ذكر: "ويختص من الحروف الزائدة على الثلث بالراء المقورة والراء البتراء، والراء المخطوفة، والواو المقورة والواو البتراء، والواو المخطوفة، والعين البتراء وسيأتي ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعد إن شاء الله تعالى"⁽⁴⁾. وهذا عندما أشار إلى قلم التوقيع المطلق الذي اخترعه يوسف أخو إبراهيم الشجري.

- وعن عبد الرحمن البلقيني يذكره القلقشندي قائلاً: "وهذه نسخة توقيع بقضاة قضاة المالكية أيضا أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين البساطي المذكور عند عودة إلى الوظيفة لأربع بقين من ذي القعدة سنة سبع وثمانمائة، وقد وافق عودة عود شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن البلقيني إلى قضاء قضاة الشافعية أيضا"⁽⁵⁾.

عاش القلقشندي نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وبداية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي حيث شهدت هذه الحقبة التاريخية فيها الحياة السياسية عدّة تحولاتٍ وحروبٍ كما

(1) ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998، ج1 ص 398.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص08.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص105.

(4) نفس المصدر، ج3، ص105.

(5) نفسه، ج11، ص189.

عرفت مصر فيها نهضة علمية وثقافية على يد المماليك، فقد كان اهتمام السلاطين بطلبة العلم واضحا. ويشير إلى ذلك المقرئزي قائلاً: "ويفرق كل سنة في أهل العلم والصلاح مائتين ألف درهم الواحد إلى مائة دينار ذهباً، ومنهم من له أقل من ذلك بحسب حاله"⁽¹⁾. يعني بذلك أن سلاطين الدولة جعلوا للعلم مكانة. كما اهتموا به حيث جعلوه مجانياً للجميع، ولم تقتصر الإعانة والمساعدة بالجانب المعنوي، وإنما تعدت ذلك مادياً، فوفر للطلبة المأكل والملبس والمشرب بهدف تطوير وإحياء العلوم من جديد.

كما اهتموا كذلك ببناء المدارس وقد أشار إلى ذلك الفلقشندي قائلاً: "فابتنى الظاهر بيبرس (المدرسة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الصالحية، ثم ابتنى المنصور قلاوون (المدرسة المنصورية) من داخل بييمارساتانه الآتي ذكره. وجعل قبالتها تربة سنية... ثم ابتنى الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيمارستان المذكور ثم ابتنى الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة العظمى) تحت القلعة وهي التي لم يسبق إلى مثلها ولا سمع في مصر من الأمصار بنظيرها يقال أن إيوانها يزيد في القدر على إيوان كسرى بأذرع... ثم ابتنى ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين (المدرسة الأشرفية) بالصوة تحت القلعة ومات ولم يكملها... ثم ابتنى الظاهر برفوق (المدرسة الظاهرية)..."⁽²⁾. تجمع أغلب المصادر والمراجع التي ترجمت للمؤلف أن وفاته كانت في جمادى الثاني من سنة (821هـ/1418م)، لكن هناك تباين خفيف في ذكر اليوم بتحديد ليلة السبب أو يوم السبب في حين يذكر السخاوي أنه توفي في ليلة السبب العاشر من جمادى الآخر الثانية حسب بعض المؤرخين وثلة أخرى أشارت إلى وفاته يوم السبت وله خمس وستون سنة⁽³⁾.

بعدما تطرقنا للكتابة التاريخية بمصر وصلنا إلى استعراض مجموعة من المميزات التي امتازت بها

المدرسة نذكر منها:

أولاً: تعدد المصادر وتنوعها: تميّزت المصادر المصرية بتعدد مناهج المعارف التاريخية كالقصص التي كانت تروى سواء من مصريين أو الوافدين إليهم باعتبار مصر حاضرة للمذاهب المالكي والشافعي وللعلماء سواء من بلاد الشام أو الحجاز هذا بالنسبة للمصادر الإسلامية، بالإضافة إلى المصادر المسيحية والقبطية⁽⁴⁾.

(1) المقرئزي : السلوك ، ج 5، ص 446 .

(2) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج 3 ، ص ص 367 - 368 .

(3) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 2 ، ص 08 .

(4) مصطفى شاكرك: المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 168 - 169 .

ثانياً: التركيز على التاريخ المحلي والإقليمي: أكدت مجموعة من المصادر المؤلفة الاهتمام الواسع بالتاريخ المحلي والإقليمي باعتبار مصر شهدت استقلالاً سياسياً مبكراً وفي البحث التاريخي للكتابات التاريخية أثبتنا ذلك⁽¹⁾.

ثالثاً: الاهتمام بخطط مصر: منذ بناء المدن الحضريّة المصريّة ألقت سلسلة من الكتب التي تناولت هذا الموضوع نذكر على رأسهم المقرئزي في كتابه "خطط المقرئزي"⁽²⁾.

رابعاً: العناية بكتابة السير والتراجم: إنَّ المؤرِّخين المصريين خلال الفترة ما بين (7-9هـ/13-15م) اعتنوا بكتب السير والتراجم لكن ما يلفت الانتباه أنَّ العناية بالتراجم جاءت متأخرة بدءاً من قرنين سابقين للفترة حيث توافق ذلك مع عودة المذهب السني والأيوبيين إلى مصر فملاً المجال التاريخي معاجم للشيوخ والرَّحالة والوفيات⁽³⁾.

1-2- التعريف بكبار مؤرّخي بلاد الشّام وكتاباتهم:

برز في بلاد الشام عدد كبير من المؤرِّخين الذين مثّلوا المدرسة الشّامية آنذاك ، وكانوا يمثلون نهضة التأليف والحركة التاريخية، ومن كبار مؤرّخي الشام خلال القرن السّابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي نذكر :

أ- **ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م):** هو ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي البغدادي⁽⁴⁾ يلقب بشهاب الدّين كما يُكنّى بأبي عبد الله، وقيل أن نسبه الرُّومي دليل على أن أصله من الرُّوم أي الدولة البيزنطية، ولحق به اسم الحموي نسبة إلى سيّده، وهو عسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي، كما التصق به لقب البغدادي نتيجة إقامته بمدينة بغداد⁽⁵⁾. ولد المؤرِّخ سنة (574هـ/1178م)، أو سنة (575هـ/1179م) ببلاد الرُّوم⁽⁶⁾ (أسر صغيراً) وحمل إلى بغداد فبيع في سنِّ مبكرة بأحد أسواق النّخاسة ببغداد، تعلّم القراءة والكتابة ونال تعليماً إسلامياً وكما وصل سنُّ الرُّشد انصرف إلى النّحو واللُّغة ومن أبرز أساتذته عبد الله بن الحسين العكبري (616هـ/1219م). سافر الحموي مع مولاه في عدّة رحلات تجارية بلغت ثمانى مرّات، وبقي يتجول بين الشّام ومصر والعراق وصولاً إلى القسطنطينية، حيث حدثت

(1) مصطفى شاكر: المرجع السابق ، ج 2 ، ص 172.

(2) نفس المصدر، ج 2 ، ص 173.

(3) نفسه ، ج 2 ، ص 174.

(4) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 22 ، ص 312.

(5) رقية عبد الله أحمد أبو ليل : ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (الأوضاع الاقتصادية) ، أطروحة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، 2011 ، ص 06.

(6) نفس المرجع، ص ص 7- 8. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 6، ص 139. زكي الدين عبد العظيم عبد القوي المنذري

(656هـ/1453م) : التكملة لوفيات النقلة ، تح : بشار عواد معروف ، ط 3 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984 ، مج 3 ص 250.

بينه وبين مولاه مُناوشاتٍ أدت إلى إقالته ونتيجة لأوضاعه المتدهورة أعاده إلى العمل⁽¹⁾. فبعد سنة (606هـ/1209م) سافر إلى البلدان تاجراً وطالِباً للعلم والمعرفة فاتجه سنة(607هـ/1210م) إلى خراسان، وعاد في نفس السنة إلى بلاد الشَّام مُحمَّلاً بالكتب إلى جانب السِّلَع، وقد أشار إلى بيع تلك الكتب لملك يهوى الكتب⁽²⁾.

سار ياقوت الحموي إلى المشرق ما بين(612-613هـ/1215-1216م) فنهل العلم من علماء عدَّة مدن مثل: حلب مصر، دمشق، بغداد، الموصل، وصولاً إلى إربل وخرسان، وأثناء وجوده بالمدينة مرو الشاه جان التقى بشيخه أبا المظفر عبد الرحيم بن الإمام أبي سعد السَّمْعاني، وولدت عنده فكرة تأليف معجم جغرافي، كما جال وصال مجموعة من القرى مثل: خوارزم ولوكر وسبرني، وساوكان وشهرستان ووصل إلى إربل سنة(617هـ/1220م)⁽³⁾. فأثناء إقامته بالموصل كتب رسالة إلى الوزير الققطي في حلب يصنّف أوضاعه المزرية وتمّ اللِّقاء حين باعه كتابين سنة(609هـ/1212م) ونتيجة لذلك عمل في مجال التأليف، وما بين سنتي(618-620هـ/1221-1223م) أقام بحلب، ثم سافر مجدداً سنة (624هـ/1226م) إلى بيت المقدس ومنها القاهرة⁽⁴⁾.

ساهمت رحلات ياقوت إلى عدَّة بلدان في ربط علاقات مختلفة مع الأنظمة الحاكمة التي زارها آنذاك ولم يكن له أي علاقة مع الأيوبيين سوى المتاجرة بالكتب، حيث باع لابن الملك صلاح الدين الأيوبي نسخة من كتاب صورة الأقاليم للبلخي بثمان زهيد⁽⁵⁾. واتهم ياقوت الحموي بعدة اتهامات منها غير ثقة، وشيعياً حيث كان يذكر علياً في كلامه فعندما ناظر بغدادياً في أحد أسواق دمشق سنة (613هـ/1216م) ذكر علياً بما لم يسمع فنثار عليه العامة لكن قوله "عليه السَّلام" بعد ذكر علي أو أحد من أهل البيت دليل على تشييع ياقوت⁽⁶⁾.

عاش ياقوت الحموي بداية(ق7هـ/13م) حيث تميّزت هذه المرحلة بضعف العالم الإسلامي وانشقاقه إلى عدة دول مناهضة لبعضها البعض وأبرزها: الدولة الأيوبية(567-648هـ/1170-1251م) في مصر والشام، بالإضافة إلى الدولة العباسية والخوارزمية حيث شهدت عدَّة صراعات سياسية داخلية

(1) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، مج7 ، ص ص 212 - 213.

(2) رقية أبو ليل : المرجع السابق ، ص 10.

(3) عبد الرحمن حميدة : أعلام الجغرافيين العرب ، ط2 ، دار الفكر، دمشق ، 1995 ، ص ص 448 - 447. ياقوت

الحموي: معجم البلدان ، ج 3 ، ص184. ج1، ص ص 376 - 137.

(4) ياقوت الحموي : نفس المصدر، ج 1 ، ص06.

(5) رقية أبو ليل : المرجع السابق ، ص17.

(6) ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ، ج 7 ، ص213.

كما تأثرت من الهجوم الصليبي عليها خارجياً منها الغزو التتاري⁽¹⁾. ونتيجة لعدم استقرار الأوضاع السياسية لم يتمكن ياقوت الحموي من العيش تحت سلطة معينة وإنما غادر إلى بغداد التي كانت تحت سلطة الدولة العباسية التي رغم ضعفها إلا أنها شهدت مرحلة تفوق سياسي للخليفة العباسي الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله الذي حكم الفترة (575-622هـ/1179-1226م)⁽²⁾.

كما عاصر ياقوت الحموي الدولة الخوارزمية التي امتد حكمها (بين سنتي 490-628هـ/1093-1231م)، حيث عاصر ثلاث حكام أبرزهم: علاء الدين تكش، وعلاء الدين محمد وجمال الدين منكبرتي وعند الغزو التتاري للمشرق الإسلامي كان ياقوت يقيم في مدينة مرو، وفر منها عندما علم بهجومهم مسجلاً ذلك في كتابه "معجم البلدان". عايش فترة حكم صلاح الدين الأيوبي، وكذا تغير الأوضاع بعد وفاته سنة (589هـ/1182م) نتيجة الخلافات التي دبت بين أخوانه وأبنائه وأقاربه التي ساعدت الاحتلال الصليبي من السيطرة على دمياط غير أن الملك الكامل محمد تمكن من استرجاع مدينة دمياط سنة (618هـ/1221م) بعد أن قام بحل مختلف الخلافات آنذاك⁽³⁾. لكن لم يؤثر الوضع السياسي المزري آنذاك على الحياة العلمية بل فتح باب التدوين أمام العديد من الأدباء والعلماء والمؤرخين أمثال: أبو الحسن علي بن أبي بكر المعروف بالهروي (ت 611هـ/1214م)⁽⁴⁾. أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان المعروف بالحازمي (ت 584هـ/1187م) وغيرهما⁽⁵⁾. وقد أثبتت كتابات العديد من المؤرخين الذين عاصروه أو جاؤوا بعده أمثال: ابن النجار (ت 643هـ/1246م) والمنذري (ت 656هـ/1259م) والذهبي (ت 748هـ/1347م) أن ياقوت الحموي مؤرخاً وإخبارياً أديباً يافعاً، عالماً بتقويم البلدان والدليل على ذلك الآثار التي تركها لنا⁽⁶⁾.

(1) يوسف بن عبد العزيز الحميدي : ياقوت الحموي مؤرخاً- من خلال كتاب معجم البلدان - ، ط1 ، منشورات ضفاف لبنان ، 2014م ، ص16.

(2) نفس المرجع ، ص16. ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تصحيح: محمد يوسف الدقاق ، ط4 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 2003م ، مج10 ، ص ص97-98.

(3) يوسف الحميدي : المرجع السابق ، صفحات17-18-20. ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج2 ، ص ص472-474.

(4) الهروي : سنة خمس وعشرين وأربعمائة : وفيها أبو الفضل الهروي الزاهد ، عمر بن إبراهيم . ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، مج5 ، ص124. يوسف الحميدي : المرجع السابق ، ص23.

(5) الحازمي: " هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن موسى بن حازم الحازمي المهداني، ولد سنة (548هـ/1151م) ". شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء ، تح : بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان ، ط1 مؤسسة الرسالة ، 1984 ، ج21 ، ص167. ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج4 ، ص ص294-295. يوسف الحميدي: المرجع السابق ، ص24.

(6) الذهبي : المصدر السابق، ج22 ، ص312.

- ترك لنا ياقوت الحموي آثار متنوعة العلوم، وقد كشف ذلك مؤلفه المشهور كتاب "معجم البلدان" وفي هذه اللائحة نذكر البعض منها:
- "أخبار أهل المِلّ" وقصص أهل النّحل" كما ذكر بتسمية أخرى " أهل النّحل وقصص ذوي الأهواء والملل".
 - "أخبار الشعراء": ذكره عدّة مؤرخين.
 - "أخبار المتنبّي": ذكره عدّة مؤرخين كذلك
 - "أخبار الوزراء": قيل يغلب الظنّ أنّه يعني كتاب "المبدأ والمال" أو جزء منه.
 - "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب": يُسمّى بتسمية أخرى "معجم الأدباء"، وهو من أبرز كتب التّراجم التي ترجم منها للأدباء والمؤرخين وعلماء الأخبار والأنساب.
 - كتاب "الدول في التاريخ".
 - كتاب: "المبدأ والمآل في التاريخ" ذكره المصنّف في معجم البلدان بتسمية "المبتدأ والمال".
 - "معجم البلدان": أشهر مؤلفاته ياقوت: ذكر فيه أسماء البلدان والجبال والأودية والقرى والأوطان.. وغيرها مرتبة على حروف المعجم.
 - "المشترك وصفاً والمفترق صفاً": يشمل أسماء المواقع والأماكن التي اشتركت في التسمية واختلفت في مواقعها، ألفه سنة (623هـ/1226م).
 - المقتضب في النسب أو كتاب النسب: تمّ اختصاره واقتضى به من كتاب "الجمهرة الكبير" لابن الكلبي وسمّاه ابن العماد "الأنساب" حقّق من قبل الدكتور ناجي حسن في دار الكتب المصرية وبالدار العربية للموسوعات في بيروت.
 - "كتاب في النسب" أشار ياقوت الحموي أنّه ألف هذا الكتاب أثناء فراغه من معجم البلدان. وغيرها من المؤلفات⁽¹⁾.

أجمعت المؤلفات التاريخية التي ترجمت للياقوت الحموي أنه توفي (626هـ/1229م) عن عمر يناهز 51 سنة، وقيل يوم الأحد من شهر رمضان، وبذلك يمكننا القول أنه توفي يوم الأحد 20 رمضان 626هـ الموافق لـ 20 أوت 1229م في الخان بظاهر حلب⁽²⁾.

ب - التّعريف بمعجم البلدان: كثيراً ما اهتمّ المؤرخين بالمؤلف لما يحتويه من مادة معرفيّة متنوعة خاصّة التاريخية، وعن أسباب تأليف المؤلف للكتاب يقول: "وقد تتعدّر أسباب النظر، فيتعيّن التماس الخبر

(1) يوسف الحميدي: المرجع السابق، ص 41-43.

(2) جمال الدين القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة-بيروت، 1986، ج4، ص83. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص139.

فوجبَ لذلك علينا إعلام المسلمين بما علمناه، وإرفادهم بما أفادناه الله بفضلَه فأتقناه⁽¹⁾. أمّا فيما يخصُّ استفادة المؤرّخين فيشيرُ إلى حاجتهم لذلك بالقول: "فأمّا أهلُ السّير والأخبار والحديث والتواريخ والآثار، فحاجّتهم إلى معرفتها أمسُّ من حاجة الرّياض إلى القطار، غبّ إخلاف الأنوار والمشفي إلى العافية بعد يأس من الشّفاء، لأنّه معتمد علمهم الذي قلّ أن تخلو منه صفحة، بل وجهة، بل سطر من كتبهم"⁽²⁾.

يتميّز هذا المؤلّف بسهولة استخراج المعلومات لترتيبه على حروف المعجم، حيث يشير إلى ذلك بقوله في مقدمته: "ورتبته على حروف المعجم ووضعتَه وضع أهل اللّغة المحكم، وأبنت عن كل حرف من الاسم هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور..⁽³⁾. أمّا الهدف من هذا الترتيب حسب قوله "والغرض من هذا الترتيب، تسهيل طريق الفائدة من غير مشقة، والله المعين على ما اعتمدهنا...⁽⁴⁾. كما اهتم كثيراً بضبط أسماء الأماكن والأسماء وحرص على الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية في العديد من المواضيع مع حذف الأسانيد حتّى لا تؤثر على حجم الكتاب.

أمّا بالنسبة للميزات التي يستفيد منها المؤرّخين، حيث ركّز على المادة التاريخية التي تخصُّ العالم الإسلامي فنلاحظ تسجيله لنشأة المدن الإسلاميّة وتطوّراتها، وذكره معظم المعالم الجغرافية للعالم الإسلامي وما جاوره من البلدان، كما أنه دَوّن كثيراً من العادات والتقاليد والقيم والسلوكيات حينما وصف الحياة الاجتماعية للمجتمعات الإسلاميّة هذا من جهة، ومن جهة أخرى اعتنى ياقوت بترجمة بعض المشاهير من علماء البلدان المذكورة في طيات مؤلّفه من المحدثين والفقهاء والأدباء والشّعراء والنُّحاة والمؤرّخين والقراء إلى غير ذلك. فمنهم من التقى به والبعض الآخر ألزمه ترجمته لاعتماده على مصادر أصلية وموثوق بها⁽⁵⁾.

قدّم ياقوت الحموي كتابه في خمسة أبواب، معتبراً إياها مدخلاً للمعجم، وتمّ ذلك على النحو الآتي:
الباب الأوّل: في ذكر صورة الأرض وحكاية ما قاله المتقدّمون في هيئتها وروينا عن المتأخرين في صورتها.

الباب الثّاني: في وصف اختلافهم في الاصطلاح على معنى الإقليم وكيفيته واشتقاقه ودلائل القبلة في كل ناحية.

الباب الثّالث: في ذكر ألفاظ يكثر تكرار ذكرها فيه يحتاج إلى معرفتها كالبريد، والفرسخ والميل والكورة غير ذلك.

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 08.

(2) نفس المصدر، ج 1، ص 09.

(3) نفسه، ج 1، ص 11. يوسف الحميدي: المرجع السابق، ص 47.

(4) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 15. يوسف الحميدي: المرجع السابق، ص 48.

(5) نفس المرجع، صفحات 47-48-52.

الباب الرابع: في بيان حكم الأرضين والبلاد المفتوحة في الإسلام وحكم قسمة الفياء والخراج فيما فتح صلحاً أو عنوة.

الباب الخامس: في جمل من أخبار البلدان التي لا يختص ذكرها بموضع دون موضع، لتكمل فوائد هذا الكتاب، ويستغنى به عن غيره في هذا الباب⁽¹⁾.

الملاحظ أن ياقوت الحموي قسم مؤلفه إلى ثمانية وعشرين كتاباً على عدد حروف الهجاء، وبعد ذلك قسم كل كتاب إلى ثمانية وعشرين باباً بالنظر إلى الحرف الثاني للأول، ورتب كل كلمة على أول حرف وثانية وثالثة ورابعة إلى أن بلغ، كما قدّم ما يمكن تقديمه بحكم أ- ب- ت- ث... دون العودة إلى أصل الكلمة خاصة وأنها أعلام لمسميات عجمية ومرجلة ليست مُصاغة الاشتقاق⁽²⁾. وقد استنبط يوسف الحمدي الخطوات المنهجية عند ياقوت في تقديم المادة العلمية ألا وهي: 1- تحليل المادة لغوياً. 2- تفسير تسمية الموقع. 3- ضبط الموضع جغرافياً. 4- ذكر الجانب التاريخي والحضاري للمكان. 5- تنويع الموارد واتخاذ طرق متعدّدة أثناء النقل⁽³⁾.

من خلال ما سبق يمكننا القول أنصّ مُعجم البلدان يشمل مادة تاريخية ممتدة عبر العصور تتيم بالكثرة، استقاها من موارد تخصّ الحروب الصليبية، وبدايات الغزو التتري للعالم الإسلامي، فهو بالنسبة للمشرق الإسلامي يعد مصدر علمي تاريخي شامل للأحداث التاريخية وللتراث الجغرافي ويقدم تراجم لبعض العلماء المشهورين آنذاك.

ب - شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1348م): هو مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن غلمان بن قايماز ابن الشيخ عبد الله التركماني الفارقي ثمّ الدمشقي الشافعي المقرئ، المحدث، مخرج هذا المعجم، ولد في شهر ربيع لآخر سنة (673هـ/1276م) بكفر بطنا دمشق وأسرته عريقة تركمانية الأصل، سكنت مدينة "ميفارقين" وأشهر من ديار بكر⁽⁴⁾، أمّا والده شهاب الدين أحمد عرف بصناعة الذهب المدقوق لهذا لقب ابنه الذهبي نسبه لصنعة أبيه، كما عاش طفولته بين أكناف عائلة مُتدنية علمية، فكانت عمته ومرضعته، الحاجة أم محمد قد حصلت على إجازة من ابن أبي اليسر وجمال الدين

(1) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 15.

(2) يوسف الحميدي : المرجع السابق ، ص 54.

(3) نفس المرجع ، ص ص 54 - 55.

(4) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 1 ، ص ص 14 - 15.

بن مالك وجماعة آخرين، أمّا خاله علي قد طلب العلم، وكان زوج خالته فاطمة ابن الحرساني (أحمد بن عبد الغني بن عبد الكافي الأنصاري الذهبي) قد سمع الحديث ورواه⁽¹⁾.

ومنذ أن بلغ الذهبي السن الثامنة عشرة من عمره توجه للعناية لطلب العلم سواءً القراءات والحديث الشريف حيث توجه سنة (691هـ/1294م) إلى الشيخ جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن داوود العسقلاني المعروف بالفاضلي، وكان هذا الأخير قد صَحِبَ الشيخ علم الدين السخاوي (ت643هـ/1246م) وجمع عليه القراءات السبع، كما قرأ الجمع الكبير على يد الشيخ جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن غالي المقرئ الدمشقي (ت708هـ/1308م) لكون قراءته كانت ناقصة على يد الفاضلي، و قرأ القراءات السبع والعشر على يد ثلثة من المقرئين أمثال كتاب "المبهبج في القراءات السبع لبسط الشيخ أبي منصور الخياط البغدادي، و"السبعة" على يد الشيخ ابن مجاهد، وسمع "الشاطبية" من عدّة قرّاء.

وقد تزامن تعلّمه للقراءات ميله لسماع الحديث، فسمع ما لا يحصى من الكتب والأجزاء، كما التقى بعدّة مشيخات وشيوخ مثل: وشيخه أبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت706هـ/1306م). ظل الذهبي يرتحل لطلب العلم لما لذلك من أهميّة للقاء الحفاظ والمذاكرة معهم والاستفادة منهم، إلا أنّ والده رفض ذلك إلا بعد بلوغه 20 سنة، حيث كانت أغلب رحلاته ببلاد الشام (زار مجموعة من المدن الشاميّة مثل: بعلبك، حلب، حماة، طرابلس، نابلس وغيرها) بالإضافة إلى رحلته إلى البلاد المصرية (زار مجموعة من المدن المصرية مثل: الاسكندرية، باليس)، كما سمع من عدة شيوخ ببلاد الحجاز (مثل: مكة والمدينة المنورة.... وغيرها)⁽²⁾.

اهتم الذهبي منذ ريعان شبابه حتّى وفاته بالسماع والدراسة حيث لم يهتم بالقراءات والحديث فقط إنّما عني بدراسة النحو واللغة والآداب والتاريخ وكتابة التراجم، دون أن ننسى الفلسفة ومن أهمّ مصنّفاته التاريخية نذكر:

1- سير أعلام النبلاء: أبرز المؤلفات التي ألفها الذهبي، حيث ترجم فيه للخلفاء والأمراء، والوزراء والأدباء والشعراء والعلماء وغيرهم.

2- المعاجم: كتب الذهبي عدّة معاجم نذكر منها: معجم الشيوخ، والمعجم المختص بالمحدثين، طبقات القرّاء، تذكرة الحفاظ الأعلام بوفيات الأعلام وغيرها.

تتلمذ على يده ثلاثة من التلاميذ أشهرهم: الحافظ ابن كثير (ت774هـ/1374م) صاحب كتاب "البداية والنّهاية" و خليل بن أبيك الصفدي (ت764هـ/1364م) صاحب كتاب "الوافي بالوفيات"، وكذا تاج

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، صص 15-16.

(2) شمس الدين الذهبي: معجم شيوخ الذهبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ج1، صص 04. السبكي: معجم الشيوخ، صص 353.

الدّين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت771هـ/1371م) صاحب مؤلف "طبقات الشّافعية الكبرى".⁽¹⁾ توفي الدّهبي وقد عاش سنواته الأربعة الأخيرة ضريحاً ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة (784هـ/1348م) بتربة أم الصالح ودفن بمقابر الباب الصغير.⁽²⁾

وصفوة القول فإنّ ؛ الدّهبي قد ركّز على وجوب طلب العلم ونقله أثناء عصره لقلّة عناية الدولة نتيجة الظروف الصّعبة (سياسية، طبيعية وغيرها) وحث على محاربة مختلف مظاهر التّخلف من خلال العلم سواء علوم عقلية كالطب أو نقلية كالحديث والتّفسير، فقد تبين من خلال الكتابات التي تطرقت للباحث أو مؤلفاته أنّه كان شديد الاهتمام بالتاريخ حتّى مؤلفاته الأخرى شملت أحداث ووقائع عن الدول التي عاصرها.

ج - ابن عريشاه (ت854هـ/1450م): هو شهاب الدّين أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم الحنفي الدّمشقي الرومي العجمي قد عرف بلقبه الأخيرين لآتصاله بالبلاط العثماني في الأناضول وإقامته عندهم لعشر سنوات.⁽³⁾

ولد سنة (790هـ/1388م) بدمشق ، نشأ بها ودرس على يد كبار مشايخها الفقه واللّغة والنحو والبلاغة حتّى برز فيها. كان مولع باللّغات فقد تعلم إلى جانب اللّغة العربيّة اللّغة التركيّة والفارسيّة والخط المغولي وأتقنها جميعاً، رحل إلى العراق ثمّ سمرقند واستمر حتّى بلاد الدشت وسراي، ثمّ اتّجه إلى شبه جزيرة القرم وقطع البحر الأسود وأقام فيها نحو أربعة سنوات.⁽⁴⁾ ودرس فيها الفقه والأصول وفنون الأدب العربي، ثمّ إلى "أدرنة" عاصمة العثمانيين المؤقتة آنذاك بعد احتلال أنقرة على يد تيمور، فاتصل بالسلطان محمد الأوّل بن بايزيد الأوّل المعروف بالحلبي حظي باستقبال كبير وأقام عنده عشرة سنوات.⁽⁵⁾ تسلم خلالها ديوان الإنشاء لكفاءته وإمامه باللّغات السّائدة آنذاك في بلاطات الملوك وهي العربيّة والفارسيّة والتركيّة وبعد وفاة السّلطان محمد العثماني عاد إلى حلب وأقام بها أشهر قليلة ثم توجه للحج وبعد رجوعه أقام بالقاهرة إلى وفاته سنة (854هـ/1450م) ⁽⁶⁾. وهناك من يذهب إلى أنّ وفاته كانت

(1) السبكي : المصدر السابق ، ص355.

(2) نفس المصدر ، ص353. ابن كثير: البداية والنهاية ، ج14 ، ص225.

(3) علي زهير هاشم الصراف: المنهج التاريخي في المصنفات التاريخية في القرن 09هـ (حافظ ابرو وابن عريشاه نموذجا) ، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، 2019، السنة الثالثة عشر ع24 ، ص237.

(4) مصطفى شاكر : المرجع السابق ، ج4 ، ص108-109.

(5) علي الصراف : المرجع السابق ، ص238

(6) نفس المرجع، ص239.

بدمشق⁽¹⁾، كان ابن عريشاه أديباً واسع الاطلاع بالعلوم الشرعية كعلوم القرآن والفقه والحديث، وكان شاعراً ماهراً أكثر شعره في المصطلحات النحو والمنطق والكلام والفقه⁽²⁾. عرف ابن عريشاه بأسلوبه في السجع فغلبته الأسجاع على المعاني في كتاباته التاريخية⁽³⁾.

شهد عصر ابن عريشاه مشاكل سياسية في الكيانات الإسلامية بالمشرق وبلاد الشام ما عدا مصر التي استقرت أوضاعها في هذه الأثناء خاصةً وأنهما كانتا تعيشان نهايات عهد المماليك البحرية (648-784هـ/1250-1382م) ، ووصول المماليك البرجية إلى زمام السلطة (784-923هـ/1382-1517م) حيث عرف عصرهم مشاكل مستمرة بينهم وبين طوائف المماليك حول السلطة لأنّ البقاء عليها كان يتوقف على نجاح السلاطين واستمالة أمراء الطوائف، فبالرغم من ذلك ظلّ الخلاف داخلي وتمكنوا من مجابهة تيمورلنك. وبعد سقوط دولة المغول الايلخانيين تشكلت كيانات سياسية ودامت بلاد الشام لجزء من الزمن تحت سلطة تيمورلنك (771-807هـ/1397-1405م) ، وبذلك ظلّ الخلاف ببلاد المشرق الإسلامي مستمر بين المماليك البرجية وتيمورلنك والعثمانيين في هذه الفترة. إلا أنّ الحياة الثقافية لم تتأثر بذلك لكن صبغت بطابع فلسفي وتوحد العلماء والمؤرخين خاصة بين دمشق والقاهرة⁽⁴⁾.

وابن عريشاه أحد أبرز مؤرخي المدرسة الشامية الذي وصلتنا بعض مصنفاته ذكراً و تأليفاً، فقد ذكرت مصادر عدة عناوين لمؤلفاته منها ما طبع ومنها ما ظلّ مخطوطاً في المكتبات، وهنا نذكر المطبوع منها :

1- كتاب "عجائب المقدور في نواب تيمور أو في أخبار تيمور": رغم اختلاف النسخ فهو أشهر مصنفاته في تاريخ تيمور، ويعد من مصادر المهمة في دراسة حياة تيمورلنك وحروبه وفتوحاته، تطرق في الكتاب إلى ترجمة قصيرة لتيمورلنك من حيث اسمه ونسبه، ثم تطرق إلى بداية استيلائه على الحكم ليتحدث بالتفصيل عن غزوه لناحية خوارزم وخرسان والأناضول وحربه مع بلدرم بايزيد، وخص ما يقارب ربع الكتاب بالأحداث التي طرأت بعد وفاة تيمور، وبالرغم من استعماله لعبارات قاسية ضد تيمور إلا أنه نعته في أماكن عدة من كتابه بالشجاعة وحسن السياسة والتدبير، وخص جزء من كتابه بإيجاز عن سمرقند⁽⁵⁾.

(1) مصطفى شاكراً: المرجع السابق ، ج 4 ، ص 109.

(2) علي الصراف : المرجع السابق ، ص 239.

(3) مصطفى شاكراً: المرجع السابق ، ج 4 ، ص 109.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام ، صفحات 223-227-229. علي الصراف : المرجع السابق ، ص 240.

(5) علي الصراف : نفس المرجع ، ص 240.

- 2- كتاب "فاكهة الخلفاء ومكافهة الظرفاء": ألفه سنة (852هـ/1448م) على عشرة أبواب كسلوان المطاع وكتاب كليلة ودمنة، ومنه مخطوط فيض الله رقم 1679 في 341 ورقة⁽¹⁾. حيث يحتوي على قصص ذات عبرة على لسان الحيوانات ويرى المؤلف أنّ النّصائح السياسية وكلمات العبر على لسان الحيوانات أكثر تأثيراً على الأمراء والحكام⁽²⁾.
- 3- كتاب "سيرة السلطان الشهيد الملك الظاهر جقمق": واسمها التّأليف الظاهر في سيرة الملك الظاهر، ومنه مخطوط خزائني في مكتبة أحمد الثالث رقم 2992 ولم يكتب عليه اسم ابن عربشاه ولكن ورد ضمن المخطوط (ص22) قوله: "... وكنيت قبل هذا التّأليف صنعت تاريخاً وسميته عجائب المقدور". أمّا عن مصادره الأخرى والتي بقيت مخطوطات نذكر منها :
- 4- مخطوط "غرة السير في دول الترك والتشر": وهو ضائع⁽³⁾.
- 5- مخطوط "ترجمان المترجم بمنتهى الأرب في لغة الترك والعجم والعرب": وهو قاموس في المفردات العربية مع معانيها بالفارسيّة والتركيّة، وهو مؤلف لم يطبع بقي مخطوط.
- 6- مخطوط "التّأليف الظاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق أبي سعيد جقمق": وهو في سيرة السلطان المملوكي الظاهر سيف الدّين جقمق الذي توفي ابن عربشاه في زمنه، وقد قسمه إلى قسمين: الأوّل؛ يتناول مواضيع أخلاقية فهو كتاب عبر. والقسم الثّاني؛ استعرض فيه الأحداث التاريخية إبان عهد هذا السلطان مابين (841هـ-1437م/843هـ-1439م) وقد تحدث فيه عن تيمور ومجازره في الشام وأصفهان وبغداد، كذلك ورد ذكر الملك صلاح الدّين الأيوبي⁽⁴⁾.
- فبالرغم من العوامل الصّعبة التي شهدتها عصر ابن عرب شاه وقلة المعلومات عن شخصه إلا أنه يظلّ مؤرّخ دمشق الأوّل خلال القرن (9هـ/15م) بفضل ازدهار الحياة العلمية على عهد المماليك وخلفاء تيمور، واللافت للانتباه في الكتابات التاريخية آنذاك عدم الجِدّة أو الابتكار في المصنفات العلمية المقتصرة على النّضقل والشّرح والتّفسير، أمّا ما أضفاه المؤرّخ الفذ على كتاباته الفلسفة الدينية القائمة على التسليم لله مع التسجيل التفصيلي للعصر كله. فقد اتسمت المدرسة الشامية بعدة خصائص ومميزات تاريخية والملاحظ للعمل والنشاط التاريخي نلاحظ مايلي:

(1) علي الصراف : المرجع السابق ، ص240. مصطفى شاكر: المرجع السابق ، ج4 ، ص110.

(2) نفس المرجع، ص 240.

(3) مصطفى شاكر: المرجع السابق ، ج4 ، ص 110.

(4) علي الصراف : المرجع السابق ، ص ص 240 - 241.

أولاً: توزّع النشاط التاريخي بين المدن الشامية: استأثر النشاط التاريخي عدّة مدن شامية ولم يختصر بمدينة دون الأخرى خلال العصر الأيوبي والمملوكي، حيث نجد مؤرخين من حمص وحران وحلب وعسقلان وصفد وغيرها.

ثانياً: أغلب المؤرخين محدثين وفقهاء الأصل: بينما يتمّ دراسة المصادر التاريخية واجهنا ترتيباً علمياً وظيفياً يركز على اهتمام الباحثين على الحديث والتفسير والفقهاء ثمّ التاريخ، فلذلك صبغت المناهج بالأحداث التاريخية المنهجية والتراجم⁽¹⁾.

ثالثاً: تنوع المشاريع التاريخية بين الموسوعية والمحدوديّة: لم يكن جل العلماء لديهم الطموح الكافي لكتابة التاريخي، لكن هذا لا يستثني وجود موسوعات تاريخية كبرى نافست تاريخ مصر وبغداد ويرجع ذلك إلى التقلبات والاضطرابات السياسية التي واجهت بلاد الشام. ومن هنا يمكننا القول أن كتابات تواريخ المدن والتواريخ العامة لم تكن وليدة الصدفة مثل: كتابات ابن القلانسي، ابن العديم، ياقوت محمود وغيرهما⁽²⁾.

رابعاً: تفاوت التأليف التاريخي الشامي بين الحقول: ركّزت كتابات بعض الأقاليم على التراجم ومعاجم الشيوخ والحفاظ على غرار أقاليم أخرى علقت في التاريخ العام والخاص، لكن هذه الميزة ساهمت في تعدد الكتب، ماعدا بعض القرون التي اندثرت نتاجها نتيجة حرائق وهجمات كالمغولية⁽³⁾.

المبحث الثاني : التعريف بكبار مؤرخي الحجاز والعراق وكتابتهم

2-1- التعريف بكبار مؤرخي الحجاز وكتابتهم:

أ- محب الدين الطبري (694هـ/1295م): تمثل عائلة الطبور إحدى أبرز العائلات العلمية الملكية التي ذاع صيتها طويلاً، حيث مرّ من بطونها عدّة مؤرخين وعلماء تولّوا وظائف علمية ودينية وألّفوا عدة تصانيف خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي. والمحب الطبري الأول الذي يعدّ أبرز علمائها باعتباره مؤسس المجد العلمي للعائلة⁽⁴⁾.

ولد أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطّبري المكي الشافعي محب الدين بمكة المكرمة سنة (615هـ/1215م) سمع وجمع العلم من أقطاب القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي أمثال: ابن المقير وشعيب الزعفراني وابن الجميزي والمرسي وعبد الرحمن بن أبي حرمي العطار وجماعة ودرّس

(1) مصطفى شاكّر: المرجع السابق، ج 2، ص ص 219-220.

(2) نفس المرجع، ص ص 220-221.

(3) نفسه، ص 222.

(4) محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1994، ص 53.

وأفتى، كما أخذ عنه مجموعة من المؤرخين كالذهبي والبرزالي وابن حيان وجمال الدين بن هيرة وغيرهم⁽¹⁾.

اعتلى مكانة مرموقة عند ملوك وسلاطين مختلف الأقطار الإسلامية آنذاك، فقد كان يستدعيه الملك اليماني المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول (فترة حكمه من سنة 647هـ-1248م إلى غاية 694هـ-1295م): وهي الفترة التي واكبت تأليف محب الطبري لكتاب "الأحكام الكبرى" لكن المعروف عن الطبري تعلقه بمكة المكرمة حيث رثاها قائلاً:

مريضك من صدورك لا يعاد به ألم لغيرك لإسعاد⁽²⁾.

دام المحب الطبري فترة طويلة بمكة معتلياً مجالسها العلمية إلى أن وافته المنية سنة (694هـ/1295م) بمكة⁽³⁾. ترك لنا المحب الطبري آثار تاريخية عدة إلى جانب علوم أخرى نذكر منها :

- "الإعلام بمرويات المشيخة الأعلام، من سكن المسجد الحرام".

- "التعريف في مشيخة الحرم الشريف".

- "خلاصة سيرة سيّد البشر" أو المعروف بـ "خلاصة السير في أحوال سيّد البشر".

- "الرياض النضرة في فضائل العشرة الكرام البررة".

- "معجم المحب الطبري".

- "معجم المحاورين من الصحابة" وغيرهم من المؤلفات⁽⁴⁾.

يعتبر المحب الطبري من المؤرخين المكيين أصالة وولادة ومن المؤرخين الذين وضعوا اللبنة الأساسية للكتابة التاريخية في عصر عرف بالتغيرات والتحولات السياسية، باعتباره ألف للتراجم وتاريخ المدن والسيرة محافظاً على رونق الحضارة الإسلامية بالمدينة المقدّسة.

أ- عبد الله بن محمد بن فرحون (ت769هـ/1367م): عبد الله بن محمد أبو القاسم فرحون بن محمد بن أبي عبد الله ابن أبي الفضل اليعمري التونسي الأصل، يلقب بالبدراني فرحون، وكنيته أبو محمود سنة (693هـ/1292م) بالمدينة المنورة، نشأ بها وترعرع من أب مهاجر تونسي وأم مدنية، عرفت عائلته

(1) الحبيب الهيلة : المرجع السابق ، ص 53. الصفي: الوافي بالوفيات، ج7، ص 90.

(2) نفس المرجع ، ص54. نفس المصدر ، ج7، ص91.

(3) نفسه ، ص54 . نفسه ، ج7 ، ص91.

(4) نفسه ، ص ص 55 - 58.

بالعبادة والعلم ، حفظ القرآن الكريم ومختلف العلوم النقلية والعقلية⁽¹⁾. تولى المؤرخ مناصب عدة منها نيابة القضاء بالمدينة المنورة كما اشتغل بالتدريس في المدرسة الشهابية مدرساً المذهب المالكي متصدياً للبدع والخرافات والتشيع⁽²⁾.

بقي ابن فرحون مستوطناً بالمدينة المنورة إلى أن توفي، باستثناء الحج إلى مكة المكرمة، حيث نهل تلك العلوم عن مشايخ المدينتين المقدستين أبرزهم : رضي الطبري، أبو عبد الله القصري وكذا سراج الدين الدمهوري وغيرهم. وهذا ساعده على العطاء التعليمي فتتلمذ على يده عدة علماء منهم : الزين عبد الرحمن بن صالح المدني، وابن الحلال ابن أحمد الخجندي⁽³⁾. ألف ابن فرحون تأليف عدة في التفسير والحديث واللغة والتاريخ منها ما هو مخطوط، والبعض الآخر مؤلفات ذات جودة نذكرها:

- التسيير في علمي البناء والتغيير في النحو.
- الدرر المخلص من التقصي الملخص: في الحديث.
- شفاء الفؤاد في إعراب بانث سعاد: في الإعراب واللغة⁽⁴⁾.
- كتاب " تاريخ المدينة المنورة المعروف بنصيحة المشاور وتعزية المجاور": كتاب تاريخي عن المدينة المنورة وأعلامها، تطرق فيه لمختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية على عهده بالإضافة إلى تراجم لأعلام تلك الفترة معتمداً في تأليفه على عدة مصادر تاريخية ذات قيمة⁽⁵⁾.
- قسم المؤلف إلى فصول مستهلاً ذلك بذكر فضائل العلماء والانتقاضات التي تطرأ نتيجة الاختلافات الفقهية، منتقلاً إلى التحذير من البدع التي تحدث في مراكز الدينية، أما الفصول فقد شملت تراجم وسير الأعلام من أهل المدينة. فلذلك يعتبر الكتاب مصدراً أساسياً في تاريخ المدينة السياسي والديني والاجتماعي في تلك الحقبة، فضلاً عن ذلك مصدر لثلة من المؤرخين اللاحقين⁽⁶⁾.
- امتاز ابن فرحون بمنهجه وأسلوبه الواضح الذي يعتمد على ذكر اسم المترجم وتاريخ ولادته ووفاته ووصف أحواله وأخباره والأحداث التي وقعت على عهده ومناقبه، أما الذين عاصروه فقد كان يذكر أحياناً صلته بهم. وبذلك ابن فرحون من خلال كتابه حفظ تراث المدينة المنورة غير المادي والمادي من خلال ذكر التراجم والقائمين على التراث المادي حتى أعطى كتابه صورة عن مختلف الأوضاع التي سادت

(1) ابن فرحون المالكي : تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، تح : حسين محمد على شكري ط 1 ، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1416 ، ص 09. العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج 2 ، ص 300.

(2) ابن فرحون : المصدر السابق ، ص 222.

(3) نفس المصدر ، ص ص 09-10. السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج 2 ، ص 404.

(4) ابن فرحون : المصدر السابق ، ص 10. السخاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 408.

(5) هدى سندي : منهاج الكتابة التاريخية للمدينة المنورة في القرن الثامن الهجري ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2006/2007م ، ص 99.

(6) ابن فرحون : المصدر السابق ، صفحات 59-191-228.

المدينة في عصره، والتي كانت الانطلاقة الفعلية للمؤرخين اللاحقين بعدما وفاته المنيّة يوم الجمعة من شهر ربيع الآخر لسنة (769هـ/1367م) ودفن بالبيع⁽¹⁾.

أ- **النجم بن فهد (ت885هـ/1480م)**: هو عمر ويُسمّى كذلك مُحَمَّد بن مُحَمَّد تقي الدّين ابن فهد الهاشمي المكي ولد بمكّة المكرمة سنة (812هـ/1407م)، ترعرع في أسرة ذات علم وجاه، حيث سمع عن والده أمّهات الكتب منذ ريعان طفولته، كما حضر مجالس ودروس كبار علماء مكة والوافدين إليها⁽²⁾. عرف برحلاته العلمية منذ (835هـ/1430م) باتجاه الأقطاب الإسلامية آنذاك كل من مصر والقدس ودمشق وبلعبك وحلب وغيرها من المراكز العلميّة، مما ساهم في تأثره بكبار الشيوخ خاصّة الحفظ ابن حجر العسقلاني، والمؤرخ تقي الدين المقرئ⁽³⁾.

دوّن النجم بن فهد تأليف عدة ومعاجم وخرّج لمشيخات ، كما نظّم ورتب مصادر تاريخية عدّة أهمها كتاب الحوليات المتعلقة بمكة المكرمة المعروف بـ "إتحاف الوري"، وكذا كتابه الشهير الذي ترجم فيه لعلماء ومؤرخين مكيين ومكيات الموسوم بـ "الدرّ الكمين" مما ساهم في بلوغه درجات علمية عليا في بلاد الحجاز وخارجها⁽⁴⁾.

ترك لنا النجم بن فهد مؤلفات تاريخية متنوعة الحقول نذكر منها:

- **كتاب إتحاف الوري بأخبار أم القرى**: يعتبر أقدم كتب الحوليات في تاريخ مكة المكرمة، دوّن فيه أخبار مكة عبر السنين بداية من السنة الأولى للهجرة ودام إلى غاية سنة وفاته (885هـ/1480م) مقسماً المحتوى إلى أربعة أجزاء، الجزء الأول يتناول أخبارها (من سنة 1هـ إلى غاية سنة 11هـ)، أمّا الجزء الثاني يشمل أخبارها (من السنة 12هـ إلى غاية السنة 600هـ) أما الجزء الثالث يتناول أخبارها من سنة 601هـ إلى غاية 830هـ)، والجزء الرابع يشمل كذلك أخبارها (من سنة 831هـ إلى غاية 885هـ). ونتيجة لمكانة الكتاب ضمن الحوليات المكية فقد بقي إلى يومنا الحالي أكثر المصادر في التاريخ المكي ؛ فلذاك نشر وطبع عدة مرات .

- **كتاب بغية المرام بأخبار ولاية البلد الحرام**: مؤلف تراجم كذلك ترجم فيه النجم بن فهد لولاية مكّة بداية من الصّحابي المعروف عتاب بن أسيد ، لكن للأسف المؤلف وافته المنيّة قبل إتمامه.

(1) ابن فرحون: نصيحة المشاور ، صفحات 11-43-35-80-101-211.

(2) الشوكاني: البدر الطالع، ج1، ص512. م الحبيب الهيلة : المرجع السابق، ص147.

(3) الشوكاني: المصدر السابق ، ج1، ص512. سعاد الحسن: **النجم بن فهد مؤرخا**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي

جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامي ، مكة، 1994، ص 104.

(4) سعاد الحسن: نفس المرجع ، ص ص 173-174.

- كتاب الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: يعتبر المؤلف المكمل لكتاب الدين الفاسي "العقد الثمين" حيث أكمل التراجم الناقصة فيه، وأضاف تراجم ما بعد الفاسي خاصة الفترة الزمنية الممتدة ما بين (832هـ/1427م إلى غاية 885هـ/1480م)، لكن اعتمد نفس المنهج المتبع في تأليف "العقد الثمين" (سنتطرق إليه بالتفصيل في أحد الفصول).⁽¹⁾

تناولنا النجم فهد كنموذج في الفصل الأول، لكن هناك دراسة تفصيلية له باعتباره دراسة أساسية للدراسة ببلاد الحجاز زهداً لمكانته المرموقة التي يحتلها وتحلت بها مؤلفاته التاريخية.

ومن هنا فقد أظهرت الكتابات التاريخية الحجازية خاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة

خصائص تختلف عن المدارس الأخرى، نذكر منها:

أولاً: الاهتمام المركّز على الحرمين الشريفين: يقال أن الكتابة التاريخية هجرت بلاد الحجاز منذ (ق1هـ/7م)، لكن قد أخذنا معطيات تؤكد ازدهار علم التاريخ خلال فترة الدراسة رغم تبعية المدرسة لنطاقات أخرى، أمّا مكة المكرمة والمدينة المنورة كانت ركيزة ذلك وهذا ما تبنته المؤلفات العديدة التاريخية وشبه التاريخية التي تدور حول ذلك.⁽²⁾

ثانياً: تنوع الحقول التاريخية: شارك الكثير من العلماء ومحبي التاريخ تدوين التاريخ المحلي والعالمي والتأليف في تراجم رجال وعلماء بلاد الحجاز، وإن اتّسمت الكتابة التاريخية خلال فترة الدراسة بالموسوعية والنقل عن مؤرخي الإسلام في العصور السابقة خاصة (ق9هـ/15م) إلا أنّ المدينتين قبل هذا تعرضتا لإهمال تاريخي لولا المؤرخ تقي الدين الفاسي.⁽³⁾

ثالثاً: ابتعاد كتاب التاريخ الحجازيين عن المناصب الرسمية: نلاحظ قلة المؤرخين الكبار الحجازيين قياسياً، حيث يعود ذلك إلى عدم استقرارهم، كما أنّ المعلومات المقدّمة لهم عن المنطقة جغرافية أكثر مما هي تاريخية، فلذلك قلنا أن المؤرخين لم يعلّوا مناصب رسمية، بل كانوا فقهاء ومحدثين وشيوخ دين لديهم مساعي دينية أساسها تذكير أيام الإسلام معروفة وقدوة علمية.⁽⁴⁾ فعندما ننظر إلى تركة الكتابات التاريخية للمؤرخين المشاركة فإننا نلاحظ أنها تشترك في الخصائص العامة التالية :

(1) الحبيب الهيلة: المرجع السابق، صفحات 149-150-151-152. سعاد الحسن: المرجع السابق، ص ص 192-193.

(2) مصطفى شاكّر: المرجع السابق، ج4، ص400.

(3) الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص ص 10-11.

(4) مصطفى شاكّر: المرجع السابق، ج4، ص401.

- الأخبار المتحصل عليها من روايات أو مصادر سابقة يتم تلخيصها ويأخذ بذلك المؤلف ما يخدم تأليفه، وهذا ما ساعد على تسهيل قراءة الكتاب والانتفاع به، وقد كان شائعاً في التواريخ العامة أو التاريخ الإسلامي.⁽¹⁾

- النقل عن المصادر السابقة سواء نقل كامل بالنص أو عدم النقل المباشر من المصادر، فقد اكتسحت هذه الظاهرة كتابات العصور الوسطى المشرقية، لكون ذلك كان شائعاً في تدوين الحديث خاصة بسبب قلة النسخ وعدم انتشارها انتشاراً كافياً لغلاء الورق وعدم اختراع الطباعة، بالإضافة إلى خلو الكتابة من النقد والتحليل واستنباط الحقائق والربط بينها، ما عدا ترجيح أصح الروايات المتناقضة.⁽²⁾

- استفحال ظاهرة التذليل على الكتب السابقة؛ وهذا يعني أن المؤرخين يذيلون على كتب ليست من مؤلفاتهم. حيث بدأت هذه الظاهرة خلال القرن (7هـ/13م)، واستمرت طيلة القرنين (8هـ-9هـ/14-15م).⁽³⁾

- تدوين التاريخ المعاصر عن طريق تسجيل الأحداث التي تم مشاهدتها أو السماع بها أو الاطلاع عليها وهذا يتطلب على الباحث آنذاك التتبع والاحتكاك بالمجتمع لرسم صورة دقيقة عن الواقع المعاش.⁽⁴⁾

2-2- التعريف بكتاب مؤرخي العراق وكتاباتهم:

أ- ابن الأثير (ت630هـ/1233م): هو الشيخ العلامة المحدث المؤرخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزيري الشيباني المعروف بابن الأثير، ولد بالجزيرة العمرية (جزيرة ابن عمر)⁽⁵⁾ في الرابع من جمادى الأولى سنة خمسمائة وخمسة وخمسين هجرية ونشأ بها، ثم انتقل للموصل رفقة عائلته واستقروا بها⁽⁶⁾ ويعتبر الأوسط بين إخوته الأكبر مجد الدين صاحب "النهاية" و"جامع الأصول" اشتغل في حكومة الموصل، أمّا الأصغر ضياء الدين صاحب "المثل السائد" اشتغل منصب وزير لدى الأيوبيين، على عكس ابن الأثير فكان متحفظاً عن الأشغال الحكومية خشية عواقبها من جهة، ومن جهة أخرى كان ميسور الحال لا يحتاج للعمل الحكومي، تميز بحبه للتاريخ فكان

(1) إبراهيم فرغلي: المرجع السابق، ص 135.

(2) نفس المرجع، ص ص 127-140.

(3) نفسه، ص ص 140-141.

(4) نفسه، ص 142.

(5) جزيرة ابن عمر: نسب إليها المؤرخ ابن الأثير وتنسب إلى ابن عمر نسبة إلى بانيها عبد العزيز بن عمر البرقعدي وقيل أنها منسوبة إلى أوس وكامل ابني عمر بن أوس الثغلي، وهي بلدة فوق الموصل يقول الحموي: (جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثا أيام). ابن الأثير: الكامل في التاريخ - تاريخ ابن الأثير -، د ط، بيت الأفكار الدولية الرياض، د ت، ص 10.

(6) نفس المصدر، ص 09.

حافظاً للتواريخ المتقدّمة والمتأخرة ، وخبيراً بأنساب العرب لاسيما الصحابة⁽¹⁾. أمّا تعليمه فقد حفظ القرآن الكريم في صغره وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في أحد المكاتب حسب عادة أهل عصره⁽²⁾، ولما اشتدّ عوده كثر تنقله بين البلدان لطلب العلم والبحث عن المعرفة، فسمع من الخطيب أبي الفضل عبد الله بن أحمد الطويسى بالموصل وتنقل إلى بغداد وسمع بها من أبي القاسم يعيش بن الصدقة الفقيه الشافعي، ثم رحل إلى الشّام والقدس وسمع هناك من جماعة⁽³⁾، ففي ترحاله درس الحساب واللّغة، الفقه والحديث ومختلف العلوم الأخرى كالمنطق والهيئة والنجوم والقراءات، أما في دمشق فسمع عن أبي القاسم بن صري وزين الأمناء اهتمامه بالعلم جعله يحول منزله لمأوى لطلاب العلم وكان يجتمع فيه أصحاب الحديث⁽⁴⁾.

يعتبر ابن الأثير إماماً وخطيباً وأديباً ومن أهم المؤرخين المسلمين بعد الطبري، ومؤلفاته التاريخية خير دليل على ذلك⁽⁵⁾، حيث أثّج في حياته العلمية الوجهة التاريخية ، ويعود ذلك لملازمته والده في صغره وكان يسرد له أخبار الموصل وملوكها من بني زكي. فالقصاص التاريخي استهوى ابن الأثير فأصبح يطالع كتب التاريخ حيث يقول : "فإنّي لم أزل مُحبّاً للمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها..."⁽⁶⁾.

من أهم مؤلفاته كتاب " الكامل في التّاريخ" هو في التاريخ العام ويعادل كتاب الطبري المماثل له⁽⁷⁾ حيث ابتدأه منذ الخليفة حتّى عصره أواخر سنة (628هـ/1230م). حيث قام بدراسة العالم القديم حتى ظهور الإسلام من جهة، وتاريخ العالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام إلى عصره من جهة أخرى فاستخدم المنهج الحولي في تسجيل الأحداث بمعنى يسرد الأحداث كل سنة على حدة، فإذا تكلم مثلاً على قبيلة أو ملك أو غير ذلك فلا ينتقل إلى نقطة أخرى حتى يكمل جميع الأحداث المتعلقة بتلك القبيلة أو الملك

(1) مصطفى شاکر : المرجع السابق ، ص111.

(2) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تح: عبد القادر أحمد طليمان، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1963، ص10.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ص09.

(4) ابن الأثير: التاريخ الباهر ، ص10.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ص09.

(6) ابن الأثير: التاريخ الباهر ، ص10.

(7) مصطفى شاکر: المرجع السابق ، ص112.

فهو يتعرّض لجميع الحوادث والوقائع مراعيًا سلسلة ترتيبها⁽¹⁾ ، فتطرق لأحداث المشرق والمغرب بشكل متوازن مما أعطى لكتابه صفة العموميّة في التاريخ، يرى ابن الأثير أنّ التاريخ لم يعالج بالطريقة الصحيحة فإما تجده مطوّل مُملّ أو مختصر مخل، وأنّ بعض المؤرّخين اهتموا بصغائر الأحداث عن عظمها والبعض أرخ لزمانه والآخر أرخ لمكانه⁽²⁾.

ابن الأثير أعطى لمؤلفه صبغة جديدة وهي عدم الاعتماد على سرد الأخبار ونقلها فقط بل قام بتحليلها ونقدها ، وتقديم أسباب الظواهر التاريخية، فكتاب "الكامل في التاريخ" جاء في 12 مجلداً، طبع عدّة مراتٍ، أمّا من حيث مصادر معلوماته فقد اعتمد على أكثر من 30 مصدراً أهمّها للطبري (ت310هـ/922م) في كتابه " تاريخ الرُّسل والملوك". نجد أيضاً ثابت بن سنان(ت370هـ/981م) في كتابه " التاريخ"، أحمد بن محمّد مسكويه(ت370هـ/981م) كتابه " تجاربُ الأمم وتعاقبُ الهِمَم" ، أبو الحسن هلال بن المحسن بن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصّابي صاحب كتاب " التاريخ " ، محمّد بن عبد الملك (ت531هـ/1137م) صاحب كتاب " تكملةُ تاريخ الطّبري" ، ابن الجوزي صاحب كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، كتاب " تاريخ نسب الملوك الأرض والأنبياء " لصاحبه حمزة بن الحسن الأصفهاني وغيرها من المصادر التي اعتمد عليها ابن الأثير في مؤلفه الكامل في التاريخ.

من حيث أسلوبه النثري فكان سهلاً وموجز العبارات لا تكلف فيه، مبتعداً عن الرّخارف اللفظية والألفاظ الغريبة يعتمد في بعض الأحيان على آيات قرآنية وأحاديث نبويّة أو أبيات شعريّة للاستشهاد بها تميز منهجه بنقد الروايات ولم يكن جامعاً لها، تفاوتت رواياته من حيث طولها، فبعضها أخذ عدداً من الصّفحات وخاصّة في الجوانب السياسيّة، وبعضها قصير لا يتجاوز أسطر⁽³⁾.

أ- ابن الطقطقا(ت709هـ/1309م) : هو صفّي الدّين أبو عبد الله محمد بن النقيب (نقيب الأشراف) تاج الدّين بن علي بن طباطبا الحسني المعروف بابن الطقطقا، وُلد ببغداد سنة(660هـ/1260م) وتوفي بها سنة(709هـ/1309)⁽⁴⁾ كانت لأبيه مكانةً أيّام ولاية عطا ملك الجويني على بغداد، حيث تولدت بينهما ضغينةٌ قبل أنّها كانت سبباً في اغتياله⁽⁵⁾، نشأ وترعرع في الموصل، وواصل مسيرة والده بعد اغتياله من طرف عطا ملك الجويني حيث خلفه في نقابة العلويين في كلّ من النّجف وكربلاء والحلّة، رحل إلى

(1) عباس العزاوي: المرجع السابق ، ص 31 .

(2) مصطفى شاكِر: المرجع السابق ، ص 113.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ص 7.

(4) مصطفى شاكِر : المرجع السابق ، ص 318.

(5) عباس العزاوي: المرجع السابق ، ص 131.

مراغة ليعود مجدداً إلى الموصل ليستقر بها⁽¹⁾. قيل أنه كان من الذين جاروا السُّلطة المغولية خوفاً أو محاباةً ، فهو لم يعارض سياستهم⁽²⁾.

اشتهر ابن الطقطقا بكتابه " الفخري " وهو كتاب في التاريخ الإسلامي وهو مختصر، اهتم فيه بالتاريخ للخلفاء من الخلفاء الراشدين إلى نهاية العباسيين، ورتبه حقبة حقبة بالسنوات دولة تلو دولة وخليفة بعد خليفة⁽³⁾. تميز هذا الكتاب بأن ابن الطقطقا قام فيه بطعن المسلمين من جهة ومدح وإطراء لسلطة المغول⁽⁴⁾. وهذا ما أشرنا إليه سابقاً بأنه كان من المحابيين للمغول، ألف كتابه بشكل يرضي المغول وقدمه لأحد وولاتهم وهو حاكم مصر أبو محمد فخر الدين عيسى بن إبراهيم بن هبة الله⁽⁵⁾.

أما مؤلفه الثاني والذي سمّاه " منية الفضلاء " حيث كتبه لأحد ملوك من آل زنكي، تكلم فيه من السيرة النبوية إلى آخر أيام العباسيين مروراً بالخلفاء الراشدين، قدّمه إلى خزنة كتب الصّاحب الأعظم جلال الدين زنكي شاه⁽⁶⁾.

يلاحظ أنّ ابن الطقطقا غير منهجه ولغته بين الكتابين المذكورين سالفاً، فالأول جاء ناقداً فيه للدولة الإسلامية وامتدح فيه المغول ، على عكس الكتاب الثاني الذي قدّمه بمنهج سلس وسرد فيه تاريخ الدولة الإسلامية من السيرة النبوية إلى نهاية العباسيين⁽⁷⁾.

ب- عبد الله بن فتح الله الغياث البغدادي (ت بعد سنة 891/1486م): هو عبد الله بن فتح الله البغدادي، وقد ورد اسمه في بعض المؤلفات بغياث الدين بن فتح الله الكاتب البغدادي، لا توجد معلومات حول مولده ونشأته الأولى وأسرته، يذكر في بعض مؤلفاته أنّه بغدادي المنشأ، انتقل إلى حلب واستقر فيها مدة من الزمن هرباً من الحكم الظالم والمستبد الذي تعرّض لهما أثناء حكم بيربوداق ووالده جهانشاه لكنّه كان يتابع أخبار العراق من حلب⁽⁸⁾.

(1) مصطفى شاکر: المرجع السابق، ص 318 .

(2) طارق الحمداني: المرجع السابق ، ص 69.

(3) مصطفى شاکر: المرجع السابق ، ص 319.

(4) عباس العزاوي: المرجع السابق ، ص 133.

(5) مصطفى شاکر: المرجع السابق ، ص 319.

(6) عباس العزاوي: المرجع السابق ، ص 133.

(7) مصطفى شاکر : المرجع السابق ، ص 318.

(8) طارق نافع الحمداني: التاريخ الغياثي الفصل الخامس - دراسة وتحقيق - ، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد

إنَّ قِلَّةَ المعلومات عن الغياثي ناتجة عن كثرة الفتن والمحن على أرض العراق، والتي لم تُعْطَى سَانِحَةً للمؤرخين بضبط تواريخها وعن الغياثي بالأخص⁽¹⁾. والجدير بالذكر أن نقص المعلومات عن الغياثي يعود أيضا إلى أنه لم يدون تاريخه إلا بعد عودته من حلب، ويذهب البعض إلى أن نسخا من مؤلفاته خاصة كتابه "تاريخ الغياثي" نقلت إلى إيران فاعتمدها المؤرخون الفرس، لهذا لا نجد تراجم له في المصادر العربيَّة⁽²⁾. ويذهب العزاوي في كتابه "تاريخ المؤرخين" إلى أن الغياثي كان حيا عام (891هـ/1486م)⁽³⁾؛ ويذهب البعض إلى أنه كان حيا في بداية القرن العاشر الهجري أو بعد ذلك بقليل⁽⁴⁾.

أهمُّ مؤلفاته كما أشرنا سابقاً كتاب "التاريخ الغياثي" الذي يعتبر كمرجع هام لبعض المؤرخين لما له من معلومات قيمة عن العصور التي تلت سقوط بغداد على يد هولاكو إلى سنة 891هـ حيث اعتمده الكثير من المؤرخين خاصة الذين كتبوا بالفارسية مثل نور الدين شوستري في مؤلفه "مجالس المؤمنين" لتفصيل بعض وقائع السيد محمد المشعشع، وأحمد كسروي في كتابه "بانصد سالة خوزستان" الذي أشار فيه إلى التفاصيل الواردة عن السيد محمد المشعشع في أحد مؤلفات عراق العرب المسمى "تاريخ الغياثي". أمَّا العزاوي فاقْتَبَسَ منه كثيراً في الأجزاء الأولى في كتابه "تاريخ العراق بين احتلالين"⁽⁵⁾.

أمَّا عن منهجه فنجد المؤرخ قد قسَّم كتابه إلى مقدمة وستة فصول، تطرَّق في الفصل الأوَّل للأنبياء والأولياء، الفصل الثاني عرض فيه ملوك الفرس، والثالث لخلفاء الراشدين والفصل الرابع لملوك الإسلام في العصر العباسي، أمَّا الفصل الخامس ذكر فيه أخبار الترك والمغول، والسادس تطرق فيه للسيد محمد المشعشع.

يلاحظُ أنَّ هناك تفاوت في كميَّة المعلومات بين فصل وآخر، فالفصل الثالث مثلا فيه ثماني صفحات مقارنةً بالفصل الخامس الذي يحتوي على تسعة وخمسين صفحة القارئ للكتاب يلاحظ كثرة التكرار والإحالات الموجودة، فهو يذكر الحادثة بصورة مختصرة ثم يفصِّلها في موضع آخر، أو العكس يذكرها بالتفصيل ثم يشير لذكرها مرة أخرى، اعتمد أيضا على التسلسل في المعلومات أثناء سرد الأحداث التي وقعت في الدول وما يحدث من تداخل بين دولة وأخرى، وهذا ما يشعر القارئ بأن هناك تكرار، أمَّا

(1) عباس العزاوي : المرجع السابق ، ص 249.

(2) طارق الحمداني: المرجع السابق، ص 08.

(3) عباس العزاوي: المرجع السابق ، ص 249.

(4) طارق الحمداني: المرجع السابق، ص 09.

(5) نفس المرجع ، ص 10.

الحوادث التي عاصرها فقد أرخها بالساعة واليوم والشهر والسنة، كان يستشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية أو بالأمثال والأقوال المأثورة.⁽¹⁾

من حيث اللغة فقد تميّز باستعماله بشكل بارز للغة العربية العامية والأعجمية التي طغت على مؤلفه، وهناك أمثلة على ذلك مثلاً قوله: " فأعظاهم أجرتهم بالزائد" وقوله: " وقد جاب معه مال كثير" يعني جلب، ويقال أنه تميز بركة في التعبير بسبب تأثره باللغة الأعجمية، بالإضافة إلى كثرة استعماله للكلمات الفارسية مثل: الشاهزداكية، النقوزات، قيتولاتهم...، والكلمات المغولية والتركية مثل: التماغول الأردو... كما وردت كلمات هندية والكردية مثل: كوتوال - الرهوال - كبنك⁽²⁾.

أمّا عن مصادره فاعتمد الغياثي عدّة موارد فنجد أنّه اعتمد على كتاب " نظامُ التواريخ" للقاضي ناصر الدّين عمر البيضاوي وغيره في الفصل الذي تطرق فيه من أوّل الخليقة إلى أيام أبي سعيد، بينما اعتمد في تدوين أخبار تيمور وعلاقته بالحكّام الآخرين على كتاب "الظفر نامه" لصاحبه شرف الدّين اليزيدي، واستفاد بطريقة غير مباشرة ولم يصرح بها على كتاب "إنباء الغمر بأبناء العمر" من معلومات تخصّ العراق، كما اعتمد أيضا على كتاب " الهداية" لزين الدّين علي بن ألب أرسلان السلجوقي⁽³⁾ ومن جهة أخرى نجد مصدراً آخر اعتمده الغياثي في تأليفه لكتابه وهي الروايات الشّفهية التي تعدّ مورداً هاماً لكتابه حيث يشير إلى ذلك في قوله: "... وأكثره من أسن الناس.."، بالإضافة إلى الأحداث التي عاصرها الغياثي وذكرها في كتابه تعدّ مادة علمية أصلية في كتابه⁽⁴⁾.

مما سبق فقد أظهرت الكتابات التاريخية العراقية آنذاك خصائص تختلف عن المدارس الأخرى خلال فترة الدراسة. يمكن أن تعود إلى عاملين أساسيين وهما: العامل الأوّل؛ التواصل الحضاري الانتقائي للحضارة الإسلامية ومعالمها سواء كانت علوم أو فنون وعمران وغيرهم، رغم تعاقب القوى الخارجية عليها. أمّا العامل الثّاني؛ اهتمام وعناية ملوك المغول بالتاريخ والمؤرخين رغبة في اكتساب مكانة تاريخية مرموقة باعتبارهم بدو رُحل، لكن استمرار التأليف التاريخي في العراق لم يكن على وتيرة واحدة. وإذا ما قورنت العراق بمراكز حضارية أخرى فإنّ الدّراسات أثبتت تراجع التأليف التاريخي في العراق لأنّ الثقافة العربية تورّعت على مراكز مشرقية كبرى مثل مصر والشّام واليمن.

(1) طارق الحمداني: التدوين التاريخي، ص ص 39-40.

(2) نفس المرجع، ص ص 45-48.

(3) نفسه، ص ص 50-52.

(4) نفسه، ص 56.

والجدول التالي يوضح ذلك⁽¹⁾:

عدد المؤرخين	عدد المؤلفات	مراكز المشرق
290	764	مصر
أكثر من 340	716	الشّام
220	356	العراق (بغداد)
/	225	اليمن

فمن خلال هذه المعايير يمكن استنباط المؤشرات التاريخية التي مثلت سمات التأليف التاريخي العراقي خلال فترة الدراسة أبرزها مايلي:

- تركيز مؤرخو العراق على كتابة التاريخ الإسلامي العام والشّامل، نتيجةً لتراجع دور بغداد الثقافي توجه المؤرخون لكتابة التاريخ الإسلامي العام لتعويض التأليف التاريخ متعدد الحقول والمناهج. وهكذا بلغت العراق 66 مؤلفاً في ذات الحقل، والتاريخ العام بين القرنين السّابع الهجري والثّامن الهجريين/الثّالث عشر والرّابع عشر الميلاديين حمل في طيّاته أحداث وتراجم على يد مؤرخين أمثال: ابن الساعي ، ابن الفوطي ابن قنينوا، وضعف مع رشيد الدّين.

- شيوع التواريخ العربيّة والفارسيّة في العراق أدّى إلى انكماش التدوين التاريخي العربي باعتبار السّلطة كانت تستعمل الفارسية منذ أواخر القرن السّابع الهجري/الثّالث عشر الميلادي.

- دخول التاريخ المغولي والسّلجوقي ضمن التاريخ الإسلامي رغم ما عانته العراق منهم ، بالإضافة إلى تاريخ الرّوم.

- أغلب من كتبوا التاريخ من الفُرس المتداخلين مع المغول دون أن ننسى أبناء المماليك المجيدين للغة العربية والطّموحين لتسجيل وتدوين أعمالهم التاريخية .

- المدرسة العراقية ألّف تاريخها أبنائها ولم يتوافد إليهم أبناء المناطق الأخرى بكثرة كما جرى في بلاد الحجاز.

- ألّف التاريخ العراقي على يد موظفين ساميين رسميين سجّلوا فيه تاريخ الملوك مثل تيمورلنك وبسببهم لم يعد التاريخ من عمل الفقهاء والمحدثين.

- شهدت مرحلة الدراسة تذبذب الكتابة التاريخية ، حيث تصاعد مُحنها أيام المغوليين ثم انحط في القرن الثّامن الهجري/الرّابع عشر الميلادي. ليعاود الصعود مجدداً خلال القرن التاسع الهجري / الرابع عشر الميلادي زمن التيموريين ومن تلاهم⁽²⁾.

(1) مصطفى شاكّر: المرجع السابق ، ج 4 ، ص 296.

(2) نفس المرجع ، ج 4 ، ص ص 297 - 298.

- انتهج التدوين التاريخي العراقي مناهج تقليدية مألوفة من حيث التّسجيل والنّقد، كما اشتهرت إلى جانب ذلك حقول أخرى مثل: الحوليات والسير والمختصرات وكذا تاريخ الدول.
- تفوق حقل الأنساب في كتابات المدرسة التاريخية العراقية عن جميع المدارس المشرقية آنذاك ليلبغ تعداد المؤلفات المدونة 16 مؤلفاً ، وذلك نتيجة شيوع التّشيع⁽¹⁾.
- تباين نسب العناية بالحقول والمناهج التاريخية في كتابات المؤرخين العراقيين.
- امتازت المدرسة التاريخية العراقية بالنّفور والهجران الأدبي مثل: أسلوب السّجع المصنع، الرّونق البلاغي. إلا في كتابات بعض الوافدين كابن عريشاه.
- صبغ التدوين التاريخي نهايات الفترة المدرسة بعودة الزّخرفة الأدبية والتّملق نتيجة تسليم الملوك الكتابة التاريخية للأدباء والشعراء⁽²⁾.

والنّماذج التاريخية المؤلفة خلال الفترة (ق7-9هـ/13-15م) التي اختيرت في هذا الفصل لأشهر المؤرخين المصريين والشّاميين والحجازيين والعراقيين الغرض منها تقديم صورة عن نشأتهم وشيوخهم ومصنّفاتهم ومناهجهم التي مثلت وجها من أوجه المشاركة التاريخية لا غير من جهة، ومن جهة أخرى كونهم امتازوا بالتغيير والاختلاف المنهجي والتّكامل الموضوعي أثناء طرح مواضيع دراستهم التي وصلتنا

المبحث الثالث : نماذج عن التّأليف التاريخي ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة

3-1- المغرب الأوسط:

شهد المغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9هـ/13-14م) تعددا وتنوعا من حيث المؤلفين والتّأليف التاريخية . ومن أبرزها نذكر:

أ- ابن حماد الصّنهاجي (ت628هـ / 1228م) صاحب كتاب " أخبار ملوك بني عبيد " : هو أبو عبد الله محمّد بن علي بن حمّاد بن عيسى بن أبا بكر الصّنهاجي أصله من قرية تُعرف بحمزة من حوزة قلعة بني حمّاد وهو من أهل قرية بني حمّاد كما جاء في ترجمة الغبريني له⁽²⁾ - وهي قرية بأحواز ولاية البويرة حاليا - .⁽³⁾ ويتضح من خلال اسمه أنّه ينتمي إلى قبيلة صنهاجة الشمال ؛ وهي من أكبر التجمعات القبائل البربرية في المغرب الإسلامي . إذ يذكر ابن خلدون أنّهم يمثلون ثلث أمم البربر⁽⁴⁾ . اشتهرت أسرة بني حمّاد الصنهاجية في تاريخ المغرب الإسلامي والتي عرفت بمجدها مع أسرة بني زيري الموالية للفاطميين فكان أهمّ مركز لهم مدينة أشير⁽⁵⁾ فما كاد الفاطميين يتوجهون إلى مصر تولّت أسرة بني زيري

(1) مصطفى شاكر: المرجع السابق، ج4، ص299.

(2) نفس المرجع ، ج4 ، ص ص301-302.

(3) ابن حماد الصنهاجي: المصدر السابق ، ص 10. الغبريني : المصدر السابق، ص218.

(4) عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 197 .

(5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص563.

(5) البكري : المصدر السابق ، ص123.

الحكم في بلاد المغرب وإفريقية بقيادة أبو الفتح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، وفي عهد باديس بن المنصور بن بلكين بدأ الإنشقاق في الحكم حيث ظهرت دولة جديدة بجانب دولة بني حماد في المغرب الأوسط بقيادة مؤسسها الأول حماد بن بلكين⁽¹⁾. ولد ابن حماد الصنهاجي سنة (548هـ/1154م)؛ أي سنة واحدة بعد سقوط دولة بني حماد⁽²⁾. إلا أن كثيراً من المصادر والمراجع لم تتفق على تاريخ محدد لمولده⁽³⁾. إلا أنها اتفقت على أنه نشأ وترعرع في القلعة، كما أشرنا سابقاً أن أصله من قرية حمزة ، أمّا وفاته فكانت بمراكش سنة (628هـ/1231م) عن عمر يناهز 80 سنة .

تشير بعض المصادر إلى أن ابن حماد تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه بقرية حمزة ثم القلعة إذ يقول الغبريني مايلى:"قرأ بمولده بالقلعة - كانت حاضرة العلم- ، وقرأ ببجاية ولقي بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضي الله عنه"⁽⁴⁾، فمن العلماء الذين أخذ منهم ابن حماد العلم نجد: الشيخ أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي (ت580هـ/1185م) حيث روى عنه ابن حماد كتاب الموطأ للإمام مالك كما أخذ عن العالم أبو علي حسن بن علي المسيلي (ت580هـ/1185م)⁽⁵⁾. كما نهل عن القاضي ميمون جبارة (ت584هـ/1189م) الذي قرأ على يديه ابن حماد معيار العلم كتاب لأبي حامد الغزالي حيث قال ابن حماد : "قرأت عليه معيار العلم . كتاب لأبي حامد الغزالي"⁽⁶⁾.

كما أخذ عن الشيخ القاضي العالم أبو عبد الله عبد الحق ابن سليمان التلمساني . فابن حماد كان ذو ثقافة واسعة وعلم غزير مما مكنه من تحقيق اطلاع واسع على مختلف العلوم الفقهية والفنون اللغوية فكان له في علم القرآن تفسيره وقراءته. بالإضافة إلى علم الحديث وعلم الأصول وكذا علم الأدب وصرفه وبلاغته دون أن ننسى علم التاريخ. وهذا ما تؤكد مختلف المصنّفات العلمية المتنوعة التي تركها⁽⁷⁾. وهذه البراعة الفقهية والعلمية سمحت لتلقيه بعدة ألقاب كالفقيه الرئيس ، الأكمل العالم⁽⁸⁾ أما محمد مخلوف فقد لقبه بالشيخ الأجل الرئيس الأكمل⁽⁹⁾.

مما سبق ذكره نستطيع القول أن ابن حماد اكتسب مكانة علمية مرموقة بفضل نشأته في بيئة علمية تعج بالعلماء والعلم وبلد يستقطب إليه أهل العلم من كل الأنحاء. هذا ما ألبسه ثقافة متنوعة

(1) رافعي نشيدة ، شخصية ابن حماد الصنهاجي، مجلة الحضارة الاسلامية ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية جامعة وهران (الجزائر)، جمادى الأولى 1434هـ / مارس 2013م، ع18 ، ص 393 .

(2) علاوة عمارة : المرجع السابق ، ص162 . عادل نويهض : المرجع السابق، ص197.

(3) رافعي نشيدة : المرجع السابق ، ص 393.

(4) ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق، ص 05.

(5) الغبريني: المصدر السابق ، ص218.

(6) نفس المصدر ، ص 207.

(7) ابن حماد الصنهاجي : المصدر السابق ، ص 06 . الغبريني : المصدر السابق ، ص 219.

(8) الغبريني: نفس المصدر ، ص 218.

(9) محمد بن مخلوف: المرجع السابق ، ص 185.

ساعدته على دراسته للتاريخ العبيدي دراسة عميقة ساهم من خلالها في تسليط الضوء على فترة زمنية مهمة من تاريخ المغرب الأوسط بالخصوص وبلاد المغرب الإسلامي قاطبة خلفت لنا تراثاً تاريخياً ثميناً كما كان الباع العلمي سنداً له وفاتحة خير لاعتلائه وتقليده مناصب عملية منها القضاء؛ حيث تولى القضاء بالجزيرة الخضراء ببلاد الأندلس ، ثم مدينة سلا سنة (613هـ / 1213م) وظل على ذلك إلى غاية سنة وفاته (628هـ / 1228م)⁽¹⁾ .

توفي ابن حمّاد وترك لنا مؤلفات عدّة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

1) **مؤلفاته المحفوظة** : أهمها كتابه المشهور " أخبار ملوك بني عبيد " ؛ وهو كتاب خاص بتاريخ الفاطميين منذ تأسيس دولتهم على يد عبيد الله المهدي سنة(296هـ/929م) إلى نهايتها سنة (567هـ/1171م) ، حيث ذكر خلفاء بني عبيد ابتداءً من عهد الخليفة عبيد الله المهدي الذي أشار إلى رحلته من سلمية إلى المغرب وفترة تأسيس دولته ، أمّا عهد الخليفة القائم فتضمّن موضوع أحماد ثورات المغرب ومحاولته فتح مصر ، وفي عهد المنصور ركز على ثورة أبي يزيد ..وغيرها، عُرف أسلوبه بالسهولة والوضوح وقد اعتمد في كتابه على عدّة مصادر كالطّبري(ت511هـ/926م) والقاضي نعمان (ت363هـ/973م) وابن حيان (ت469هـ/1076م) والقضاجي (ت454هـ/1062م) . ويتضح من خلال هذا المؤلف أنّ ابن حمّاد كان حيادياً في نقل الوقائع التاريخية .

2) **مؤلفاته المفقودة** : أهمها كتاب " النبذ المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة بإفريقية وبجاية". فقد اختلف المؤرخون في تسمية عنوانه إذ ذكره صاحب الأعلام بعنوان " النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة"⁽²⁾ وصحّحه في المستدرك بقوله : "وسمى كتابه النبذ المحتاجة بالذيماجية"⁽³⁾ ، وجاء بنفس الصورة عند عبد الرّحمان الجبالي الذي قال: " وكتاب النبذ المحتاجة أو الذّيباجة في أخبار الصّنهاجة"⁽⁴⁾. أمّا الغبريني فيذكر في كتابه أن لابن حمّاد برنامج ذكر فيه معلوماته وشيوخه حيث يقول مايلي: " ما روى عنه فما هو إلا من الجلة والأعلام ما رأيت برنامجاً أحسن منه"⁽⁵⁾. كما أشار إليه أيضاً الزركلي في كتابه "الأعلام" .⁽⁶⁾ فاتفقا على أنّ هذا البرنامج يُعدُّ مصدراً هاماً للتعرف على مؤلفات الرجل وأنواع معارفه مع إبراز مظاهر الحياة الفكرية والثقافية في عصره ، وقد لخص ابن حمّاد في هذا البرنامج كتاب الطّبري بالاضافة إلى كتابين نجد كتاب " الإعلام بفوائد الأحكام"⁽⁷⁾ .

(1) الغبريني : المصدر السابق ، ص 218.

(2) الزركلي : الأعلام ، ج7، ص169

(3) الزركلي : المستدرك، ج10، ص216

(4) عبد الرحمان الجبالي: تاريخ الجزائر العام، ط1، المطبعة العربية ، الجزائر، 1953، ج1، ص 398.

(5) الغبريني: المصدر السابق، ص 219.

(6) الزركلي : المرجع السابق ، مج7، ص169.

(7) الغبريني: المصدر السابق ، ص 219.

ب - أبو حمو موسى الثاني (ت 791هـ/1391م) مدون كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك":
يعتبر أبو حمو موسى الثاني أحد سلاطين بني زيان؛ الذي يعود نسبه إلى مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان "فهو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى يغمراسن"⁽¹⁾. ولد بالأندلس بالضبط مدينة غرناطة عاصمة بني الأحمر سنة (723هـ/1323م) ثم انتقل مع والده إلى تلمسان عندما استدعاه السلطان أبي تاشفين، لينشأ بها نشأة أمير طموح قوي، بعث بدولة أجداده بعد ما آلت إليه دولتهم على يد بني مرين، فعنه يقول صاحب البغية مايلي: "إشتهر هذا الخليفة، أيده الله من خلال الكمال، وكمال الخلال، على أي لا تحصى، وانفرد من عوالي المعالي والمعاني بالمطمح الأقصى"⁽²⁾.
ودليل ارتباطه الوثيق بدولته التي بناها أجداده ما نحتته على حائط قصرها بتلمسان عندما استولى عليها المرينيين سنة (774هـ/1372م) على يد ملك الدولة المرينية بالمغرب آنذاك السلطان أبو فارس المريني قائلاً:

سُكناها ليالي أمنيًا وإيما تسر الناظرينا
بناها جدنا الملك المعلى وكنا نحن بعض الوارثينا
فلما أن جلانا الدهر عنها تركناها لقوم آخرينا⁽³⁾.

فقد تعددت الدراسات التاريخية التي وصفت أو منحت شهادة في شخص أبي حمو الثاني أو فيما رآه من إنجازات متنوعة الميادين، فما هو يحيى بن خلدون في كتابه "بغية الرواد" يقول عن ما شهده أثناء قدومه لتلمسان أيام سلطة أبو حمو موسى الثاني قائلاً: "فأرسلني مخدومي الأمير أبو عبد الله نحوه في صفر هذه السنة، فمضيت مجتازاً بطول بلاده أول قدماتي عليه، فرأيت أمر الله من وطن أفصح وقطر مزمل في بجاد أسيح ومساكن مكتبة الأسفار، وسبل آمنة ذمم العافية بها من الأخفار، وعدل مرسل الأئمة، وأحكام ماضية الأسنة"⁽⁴⁾.

كما أشاد التنسي بمختلف أعمال السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي وصل إلى الحكم بحنكته العسكرية وثقافته الواسعة. حيث يضيف عن ذلك بالقول: "ولما استقر المولى أبو حمو من هالة في نصابها وانتزع دولته من يد غصابها، ساس أهل مملكته بالسيرة الحسنى، وغمر الرعية قسطاس عدله الأسنى"⁽⁵⁾.

(1) عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 69.

(2) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج 2 ، ص 07.

(3) ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، 2001 ص 80.

(4) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 119.

(5) التنسي: المصدر السابق، ص 160.

عرف السلطان أبو حمو موسى الثاني بأدواره الفكرية بتلمسان، حيث ساهم في تشييد مؤسسات تعليمية، رغم أن الحياة الفكرية والسياسية تأثرت خلال فترته بالنزاعات والمشاكل السياسية وكذا المذهبية كما أنه ساند العديد من العلماء على التأليف الفقهي والأدبي والسياسي حتى زخر بلاطه بكتاباتهم إلى غاية وفاته المنية سنة (1391هـ/1391م) بالرماح على أيدي أصحاب أبي تاشفين عن عمر يناهز 68 سنة تاركاً آثار علمية وتاريخية وأدبية تشهد له من بين أهم آثاره كتابه التاريخي الشهير في مجال النظم السياسية " واسطة السلوك في سياسة الملوك" (1).

يعدُّ الكتاب مؤلفاً سياسياً شمل عدّة حوادث تاريخية وقعت على عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني. بالإضافة إلى التأريخ للنظم بتلمسان سواء السياسية والإقتصادية والإجتماعية، إذ تم تأليفه حوالي سنة (765هـ/1363م)، لكونه خاطب ابنه أبا تاشفين بالوعظ والإرشاد، داعياً إياه إلى التمسك بالعقيدة والأخلاق الحميدة حيث يقول في ذلك: " وقد وضعنا لك يابني هذا الكتاب، وحررنا كلامه من لباب اللباب، وشرخنا فيه وصايا أخروية، وسياسة دنيوية، وجمعنا لك ما يصلح لك بين أمور الدنيا والآخرة والسعادة الباطنية والظاهرة، فاجعله منهاجك الذي تقتدي بمذهبه" (2).

وكان الغرض من تأليف أبو حمو موسى الثاني للكتاب، جعل الكتاب الدليل والمسلك لإبنه أبا تاشفين والملوك الذين سيعتلون الحكم من بعده، باعتباره يشمل عدّة قواعد وقيم أخلاقية توجه الملك لانتهاج الخصال الحميدة وذم الخصال السيئة هذا من جهة ومن جهة أخرى نلاحظ أن المؤلف ذو صبغة تربوية لكون أساس أفكاره الوعظ والإرشاد (3)، حيث سرد ذلك بأسلوب ومنهج أدبي يتيم بالموضوعية يعالج في طياته أمر سياسة تاريخية بعيداً كل البعد من استعمال القصص والحكايات والحكم التي سادت مؤلفات من سبقوه أو عاصروه، فما هو عبد الحميد حاجيات يؤكد ذلك بقوله: " ورغم أن كتاب واسطة السلوك لا يخلو من استعمال حكايات القدماء وحكمهم، فإنه يقدم للقارئ دراسة واقعية للموضوع تتضمن عرضاً شاملاً للآراء السياسية والأخلاقية والإجتماعية، ثم إنه لا يعطي الجانب السياسي المنزلة اللائقة به في البحث... " (4).

استهلَّ المؤلف كتابه "واسطة السلوك" كغيره من المؤرخين والمؤلفين بمقدمة ذكر فيها سبب تأليفه المؤلف بعد الحمدلة، مشيراً على مكانة الأولاد ورثة الأجداد والآباء مستشهداً بأشعار أدباء مثل معلى الطائي الذي قال :

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
إن هبت الريح على بعضهم تمتع العين من الغمض (5)

(1) عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 154 - 155.

(2) أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص 162. عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 187.

(3) نفس المرجع، ص 189 - 191.

(4) نفسه، ص 196.

(5) أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص 03.

ليعود ويؤكد من جديد أنّ أساس التأليف إتحاف ولي عهده بنصائح سياسية وأخلاقية لن يقدّمها له إلاّ والد لولي عهده وخليفته قائلاً: "وصايا حكيمة، وسياسية عملية علمية مما تختصّ به الملوك وتنتظم بها أمورهم إنتظام السلوك"⁽¹⁾.

لإيصال هدفه الأسمى، قسم المؤلف كتاب "واسطة السلوك" إلى أربعة أبواب، ثلاثة منها مفصلة والفصل الأخير عبارة عن خاتمة؛ إذ يحتوي الباب الأول، وصايا وآداب الحكم الرّاشد الذي يؤدي إلى طريق الصّواب. حيث قسمه إلى أربعة فصول تشمل توصيات الحكم الرّاشد المتمثلة في كلّ من (الإتصاف بالعدل والتّحلي بالفضل، تغليب العقل على الهوى، وملازمة التقوى، حفظ المال لبلوغ الأهداف والآمال، حفظ الجيش والأجناد والأمراء والقواد) والتي بفضلها يستتب الأمن والإستقرار.

أمّا الباب الثاني فأطلق عليه تسمية قواعد الملك وأركانه، وما يحتاجه الملك في قوام سلطانه، وهي أربع: العقل، السياسة، العدل، جمع المال والجيش) إذ يعدّ أبرز الأقسام؛ أي لا يثد للملك أن يتعقل في آرائه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية من خلال التمييز والتفريق بين الخير والشر، الحق والباطل، الحلال والحرام وغيرها من جهة كما يتوجب عليه أن يكون بصيرا ويقظاً في أداء مهامه. ليحتوي الباب الثالث على مجموعة أوصاف محمودة لنظام الملك، وهي أربعة قواعد: الشجاعة، الكرم، الحلم العفو لنصل إلى الباب الرابع وهو باب الفراسة الذي يمثل الخاتمة⁽²⁾.

مما سبق يمكننا القول أنّ كتاب "واسطة السلوك" اكتسى أهميّة تاريخية واجتماعية وأدبية بالغة جعلته محلّ أنظار المؤرّخين والأدباء والدرّاسات الحديثة، إذ إنفرد بأسلوب ومنهج أدبي زينته القصائد الشعريّة المتعدّدة المناسبات الدينية والسياسية والاجتماعية والعسكرية والثقافية⁽³⁾. كقوله في طلب المغفرة

الإلاهية والشّفاة النبوية مايلي: **وكم معجزاتٍ لخير الوري تجلّ عن الوصف أن تحسبا**

فيا سيّدا قدّ حباه الإله على الخلق طرا بما قدّ حدا
ويا من سما قدره رفعه ويا من علا من العلى منصبا⁽⁴⁾.

ومن مولديات شعر أبي حمو موسى الثاني قوله :

ألقت الضنا وألفت النحينا ونشب الأسي في فؤادي لهيبا
وحقّ لنفسي أسس أن تدوبا وللدّمع من مُقلتي أن يصوبا⁽⁵⁾.

(1) أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص 03.

(2) نفس المصدر، ص04. عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص ص 197 - 201.

(3) نفس المرجع، ص 04.

(4) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج2، ص135.

(5) أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص167.

بالإضافة إلى القيمة الاجتماعية للمؤلف التي تكمن في القيم والمثل العليا السامية التي تدعي إلى الإمتثال بها بهدف تهذيب النفس وتحقيق الأمن والإستقرار للدولة الزيانية⁽¹⁾. أما ما يهتمنا في دراستنا إبراز أهمية الكتاب وقيمه التاريخية لكونه يشمل مجموعة من الآراء التاريخية التي تخص شخصه ومعاصريه سلطة وعلاقة. بالإضافة إلى بعض الأخبار التي تعود إلى ملوك الفرس إستمدّها من مؤلف ابن ظفر الصقلي المعروف بـ "سلوان المطاع" مثل ذكر وزير سابور الذي قال عنه: "فمن كان من الوزراء جامعا لهلك الأمور، كان في سياسته ودهائه كوزير سابور... وغيرها من الإقتباسات التاريخية⁽²⁾.

ج- التنسي (ت 899هـ/1494م) مدون كتاب " نظم الدر والعقيان في شرف بني زيّان " هو الشيخ والعالم محمّد بن عبد الله بن الجليل التنسي التلمساني⁽³⁾، اختلفت الدراسات التاريخية حول تاريخ ميلاده ووفاته، فقد جاء في كتاب السخاوي " الضوء اللامع " عنه أنّه إلى غاية سنة ثلاث وتسعين كان حياً مقيماً بأرجاء تلمسان وعمره في غضون السّتين⁽⁴⁾. وبما أن تاريخ وفاته حسب ما وصلتنا في طيّات المصادر سنة (899هـ/1494م) فإن مولده يكون تقريبا ما بين سنتي (824-832هـ/1420-1428م) في حال افتراض أنّه حيا في غضون السّتين أي كان عمره يتراوح ما بين (61- 69 سنة) وذلك سنة (893هـ/1489م).

فقد قال عنه صاحب " نيل الابتهاج " أنّه اعتلى مكانةً علميّة مرموقة لكونه تولى الفقه والأدب وبرع فيهما . بالإضافة إلى التاريخ ؛ حيث جاء في طيات ترجمته قوله : " ووصفه ابن داوود الذكور فيما رأيته بخطه: شيخنا بقية الحفاظ قدوة الأدباء العالم الجليل ابن الامام العلامة أبي محمد - ا ه - " ⁽⁵⁾.

المعروف عنه تتلمذ على يد كبار شيوخ والعلماء أبرزهم: الشيخ الزاهد القطب العلامة الامام إبراهيم التازي (ت 866هـ/1461م) الذي استقى منه أمّهات الأدب ، بالإضافة إلى العلامة الحجة ابن الامام (ت 845هـ/1441م) . وكذا العالم الحافظ المتنق محمّد ابن العباس (ت 871هـ/1466م) صاحب " شرح لامية الأفعال " ؛ وهذا دليل على أن ما أخذه عنه التنسي يخصّ الأدب ، وقد حصّل عن أبو الفضل العقباني (ت 854هـ/1450م) أهمّ العلوم ، دون أن ننسى كلّ من الشّيخين محمّد بن

(1) عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص ص 203 - 206.

(2) أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص 34. عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق ، ص 202.

(3) ابن مريم التلمساني: البستان، ص 248.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج 8، ص 120.

(5) التنبكتي: نيل الابتهاج ، ص ص 572-573.

التَّجَار (ت846هـ/1446م) وابن مرزوق الحفيظ (ت842هـ/1438م) اللذان عرفا بإتقانها للعلوم العقلية والنقلية منها علم التاريخ⁽¹⁾. وذكرنا لهذه المجموعة دليل عن قيمة التنسي الفكرية والعلمية.

أشارت المصادر التاريخية التي ترجمت للتنسي إلى مجموعة من المؤلفات التي استندت له ، وهذا لا يؤكد أن التنسي مؤلفها بالجزم خاصة وأن الكثير منها مفقود. وفي هذه الورقة سنتابع ذلك:

1- **مجال الفقه وأصوله:** ممّا وصلنا في كتابي " نيلُ الابتهاج " للتنبكتي، "البستان" لابن مريم التلمساني أنه ألف في هذا الميدان كتاب تحت عنوان " تعليق على فرعي ابن الحاجب ". فمن الاشارات:

- يقول التنبكتي: " وسمعت أن له تعليقا على فرعي ابن الحاجب"⁽²⁾.

- يقول ابن مريم التلمساني: " وسمعت أن له تعليقا على الحاجب الفرعي"⁽³⁾.

2- **مجال التاريخ والتراجم:** ذكرت بعض المصادر أنه دون كتابين في هذا الحقل وهما : " فهرسة" - للأسف من الكتب المفقودة - ، لكن أغلب المصادر أثنت بأهميته في الترجمة لشيوخه⁽⁴⁾. إلى جانب كتاب "نظم الدر والعقيان" ؛ الذي وصلنا ويشمل خمسة أقسام ، يستقل كل قسم بمجال علمي معين (التاريخ الأدب ، البديع ، الحكم ، المواعظ النبوية) . كما أن له أقسام مطبوعة وأخرى مفقودة⁽⁵⁾.

3- **مجال الأدب:** ألف التنسي مؤلف "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح"؛ وهو مفقود. تم ذكره في مؤلف " أزهار الرياض" عندما أشار المؤرخ للسلطان أبي حمو موسى الذي كان يحتفل بليلة المولد النبوي الشريف قائلا: " ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو المذكور ما قاله صاحب راح الأرواح"⁽⁶⁾.

4- **مجال العلوم الدينية:** كثيرا ما دون التنسي كتابات متنوعة الحقول. ففي ميدان الفرائض ألف "مختصر التلمسانية"؛ عبارة عن مختصر لأرجوزة الفقيه أبي اسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني⁽⁷⁾. كما أنه أبان سعة الدائرة في حفظ والتحقيق من خلال فتوى سماها "جواب مطول عن مسألة يهود

(1) التنبكتي: نيل الابتهاج ، ص573. ابن مريم التلمساني: البستان ، ص249.

(2) التنبكتي : المصدر السابق ، ص ص 573.

(3) ابن مريم التلمساني: البستان، ص ص248-249

(4) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص 35. الكتاني: فهرس الفهارس ، ج1، ص268. التنسي : تاريخ بني زيان ص24.

(5) التنسي: نظم الدر والعقيان ، تح: نوري سودان، دار النشر فرانس شتاينر بقسبادن ، بيروت، 1980، ق4، ص26.

(6) شهاب الدين أحمد المقري: أزهار الرياض في أخبار الرياض، دط ، صندوق احياء التراث الاسلامي، المملكة المغربية

- الامارات العربية ، دت ، ج1، ص 243.

(7) الحفناوي: المصدر السابق، ص9.

توات "وهو مفقود"⁽¹⁾. ومن أبرز مؤلفاته المطبوعة في ضبط القرآن الكريم والقراءات مؤلف "الطراز" في شرح الخراز "نسبة للعالم الفذّ أبي عبد الله الشريشي"⁽²⁾... وغيرها من المؤلفات .

فقد وصلت الدولة الزيانية على عهد التنسي أوج عظمتها ، والدليل على ذلك التراث الثقافي الهائل من المؤلفات التي دوّنت وحقت أو لا زالت مخطوطا ينتظر التحقيق . والتنسي أحد أبرز مدوّني التاريخ الزياني من خلال كتابه الشهير "نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان"؛ وهذا العنوان ما هو إلا اختصار للعنوان الكامل "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان"⁽³⁾. فبالرغم من ذلك إلا أنّ تسميته اختلفت من مصدر لآخر ومن أبرز التسميات التي ذُكرت "نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان"⁽⁴⁾، "نظم الدر والعقيان في دولة بني زيان"⁽⁵⁾، "نظم الدرر والعقيان"⁽⁶⁾. والأجدر بالذكر ما جاء في مقممة الكتاب ألا وهو "نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ... الزمان" .

تتاولنا في عدّة محطّات مضمون الكتاب والهدف من تأليف التنسي للمؤلف ، لكن ما يجدر الإشارة إليه أنّه المصدر العربي الوحيد عن الدولة الزيانية ابتداء من سنة (764هـ/1363م) إلى غاية فترة انتهاء أخبار قسم كتاب "زهرة البستان" لمؤلف مجهول. وكذلك بداية من انتهاء يحيى بن خلدون من تدوين مؤلفه "بغية الرّواد" سنة (777هـ/1376م). وتزامنا مع انتهاء أخبار عبد الرحمن ابن خلدون عن الدولة الزيانية في موسوعته التاريخية "العبرُ وديوانُ المبتدأ والخبر" سنة (796هـ/1393م)⁽⁷⁾.

تعددت وتنوّعت المصادر التاريخية والأدبية التي اعتمدها التنسي في طيات مؤلف ، وانقسمت إلى منقول ومسموع (الموجود والمفقود) . كما استشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية نذكر منها :
أ- القرآن الكريم: ذكرت العديد من الاقتباسات في عدّة محطّات تاريخية نذكر منها :
- عند إشارته لأمثلة عن المزوج المتصل أشار إلى عدة اقتباسات كقوله تعالى : "راضية مرضية " - همزة لمزة " ، " من بعد وصية يوصي " ⁽⁸⁾.

ب- الحديث النبوي: اعتمد التنسي على بعض الأحاديث أثناء تناوله مواضيع عدّة . من أمثلة ذلك :

(1) التبتكي: المصدر السابق، ص573.

(2) التنسي: الطراز، ص 03.

(3) التنسي: نظم الدر والعقيان، ص04.

(4) المقرري : نفع الطيب ، ج 6 ، ص 514.

(5) الكتاني: فهرس الفهارس، ج1، ص360.

(6) أحمد المقرري : أزهار الرياض، ج1، ص ص244-245.

(7) محمد مهديوي: الشيخ التنسي التلمساني مؤرخ الدولة الزيانية (ق9هـ/15م) ، مجلة الفضاء المغربي، جامعة تلمسان

دت ، ص 62. التنسي: مقتطف من نظم الدرر، ص 46.

(8) التنسي: نظم الدرر والعقيان ، ق 4 ، ص 240.

- إشارته في بيان فضل الشعر إلى مجموعة من الأحاديث النبوية كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من وقع النيل"⁽¹⁾.

ج - المصادر المطبوعة: نذكر من المؤلفات التي ذكرت مايلي:

- كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد" لـ يحيى بن خلدون: ذكره التنسي عندما أشار إلى السلطان أبي زيّان أيام الحصار ، إذ أرجع موت يوسف بن يعقوب إلى عهده".
- كتاب "درر الدرر" : أشير إليه مع مؤلف يحيى ابن خلدون ، إذ حدث هناك خلاف بينهما عن موت يوسف بن يعقوب إذ يقول هذا الأخير أيام السلطان الملك أبو حمو⁽²⁾ .

- كتاب "السيرة النبوية" لابن هاشم: أخذ عنه في عدة مواضع منها قصة نسب السلطان المتوكل التي تعود إلى أولاد عدنان إذ قال ابن هشام عنهم في كتابه السيرة مايلي: "فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . فولد عدنان رجلين : معد بن عدنان ، وعك بن عدنان"⁽³⁾.

- كتاب "زهر البستان في دولة بني زيّان" لمؤلف مجهول: يعتبر من المصادر التي لم يعثر عليها كاملة ، إلاّ السفر الثاني الذي حفظ في قسم المخطوطات لمكتبة بريطانية ، وهو حسب ما توصلت إليه الدراسات يتكوّن من ثلاثة أجزاء كتب خلال عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني . وقد ذكر التنسي هذا المؤلف بالإحالة فيما يخص أخبار حروب أبي حمو موسى⁽⁴⁾ .

اللافت للانتباه عدم عودة التنسي إلى مؤلف "العبر" لابن خلدون ؛ حيث أنه لم يذكر، ولم ينقل منه بتاتا مع العلم أن الاثنين عاصرا بعضهما البعض . كما أنّ عبد الرحمن بن خلدون توفي قبل التنسي بإحدى وتسعين سنة⁽⁵⁾.

كان من عادة معاصريه العودة إلى الوثائق الرسمية للدولة الزيانية خاصة أنه اعتلى مثله مثل العديد من المؤرخين دواوين المملكة كديوان الانشاء. وألّفوا باعتماد هذه المستندات . ويمكن ارجاع ذلك إلى طبيعة العلاقات التي تربطه بالدولة الزيانية آنذاك⁽⁶⁾.

من هنا نستنتج أنّ تأليف التنسي تميز بمجموعة من الخصائص الأدبية والتاريخية نذكر منها:

- لم يحرص التنسي على ذكر المصادر التي اقتبس منها نصوصه وأخباره إذ تركيزه كلّ على الأخبار والوقائع ، وهذا لا يعني أنّه مفتقد للتوثيق.

(1) التنسي: نظم الدرر والعقيان ، ق4، ص94.

(2) التنسي: مقتطف من نظم الدرر، ص 48.

(3) عبد الملك بن هشام : السيرة النبوية (سيرة ابن هاشم)، تح: مصطفى السقا وآخرون، دط ، دار إحياء التراث العربي بيروت (لبنان)، دت، ج1، ص8.

(4) التنسي: مقتطف من نظم الدرر، ص48.

(5) نفس المصدر، ص ص 48-49.

(6) نفسه، ص 50.

- ابتعاد التنسي عن التحري في ايراد النصوص.
- امتازت كتابات التنسي بالندقل الحرفي للمعلومات والتنصوص مع غياب التحليل.

3-2- المغرب الأدنى :

عُرف المغرب الأدنى ما بين القرنين (7-9هـ/13-14م) تعددا وتنوعا من حيث المؤلفين والتأليف التاريخية . ومن أبرزها نذكر :

أ- ابن الدباغ (699هـ/1299م) صاحب مؤلف "معالم الايمان في معرفة أهل القيروان" :يعتبر ابن الدباغ كفاءة علمية خلال عصره ، إنَّ تتبعنا الدِّراسات التاريخية والفكرية باعتباره تفنُّن وجمع بين عدَّة علوم فلعبا إثر ذلك بالفقهاء والعالم والشاعر والمؤرِّخ والفيلسوف . كما أنَّه ارتقى بمكانة راقية بين معاصريه وفي هذه الورقة أتطرق لدراسة سيرته التي جال وصال بها مجموعة مؤرِّخين من خلال كتاباتهم بدءا من اسمه الكامل: فهو عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله⁽¹⁾ الأنصاري الأسدي نسبة الى جده الأكبر المسمى أسيد بن الحضير - رضي الله عنهم - ⁽²⁾ابن السَّمَاك الأوسي الأشهلي الأنصاري الشهير بأبي يحيى أو أبي عتيك⁽³⁾، أمَّا القيرواني - نسبة إلى مدينة القيروان موطن مولده-⁽⁴⁾.

اشتهر بابن الدباغ نسبة إلى قصة جده الأكبر الذي قدَّمه قاضي الجماعة والسُّلطان قضاء بلدة القيروان فلما وصله إلى ديار الدباغ قبل أن يتحصل على ظهير التعيين وظل هناك يشتغل في الدباغة وعندما وصله المرسل بعد فترة البحث أخبره أن يقول أنَّه وجد دباغا وجاء في الجزء الرابع من كتابه معالم الإيمان مايلي: "فقال له ارجع بظهرك وقل لمن بعثك به: وجدته دباغا، فلا يليقُ بكم أن تقدّموا من كانت هذه حالته قاضيا على رقاب النَّاس"⁽⁵⁾. إذُ نستنتج من ذلك أنَّ الجد كان رافضا لمنصب قاضي الجماعة فنقلد صناعة الدباغة - دباغة الجلود -، بقصد ايجاد ذريعة للتخلي عنه من قبل السُّلطة الحاكمة باعتبار المنصب المنادى له لا يندمج مع الدباغة فعلا وقولا.

(1) اتفقت أغلب المصادر على هذه التسمية لكننا إن عدنا إلى محمد بن مخلوف فقد ذكر تسمية عبد الرحمن بن عبد السلام. الزركلي: الأعلام ، ج3 ، ص329 . البغدادي: هدية العارفين ، ج1 ، ص526. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ(696هـ/1296م): معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق: إبراهيم شتوح ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، مصر، 1968 ، ج1 ، ص المقدمة . محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية ، ج1 ، ص 276.

(2) العبدري : الرحلة ، ص105.

(3) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج1، ص352.

(4) بن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج1، ص405.

(5) ابن الدباغ : المصدر السابق ، ج4، ص74.

ولد ابن الدباغ بالقيروان في الثاني ذي الحجة⁽¹⁾ وقيل الثامن من نفس الشهر⁽²⁾ (605هـ / 1208م) وهي السنة المذكورة في عدّة مصادر على غرار ثغري بردي الذي أشار الى السنة (685هـ / 1287م)⁽³⁾ قائل ولد سنة خمس وثمانين وتسمعمائة -القيروان-⁽⁴⁾ ، والأجدر بذلك سنة (605هـ / 1208م) لعدّة عوامل منها : تأكيد تلميذه العبدى للتاريخ من جهة⁽⁵⁾ ومن جهة أخرى أنّ بعض المعلومات التي سردها في مؤلفه عن والده لا تتوافق مع التاريخ مثل قوله أنّه رأى والده يتهدد و في عمره ثمانين سنة وان عدنا الى التاريخ وفاة والده سنة (618هـ / 1221م)⁽⁶⁾ فإنّه من المعقول أنّ يبلغ ابن الدباغ من العمر 13 سنة وليس 67 سنة .

ترعرع في بيت جاه وعزّ وعلم ، اذ قلنا أنّ جدّه يعد من كبار شيوخ وعلماء القيروان : لدى أسندت إليه وظيفة في الجماعة لكنه تهرب منها⁽⁷⁾ . أمّا والده فقد وصفه قائلاً: كان من كبار العباد وأفاضل النّهاد وأهل الجد والاجتهاد ، كثير سرد الصوم والصلاة بالليل والنّاس نيام⁽⁸⁾ ؛ نعني بذلك أنّ والده تميز بخصاله الحميدة من تواضع وزهد وعدل و انصاف ، دون أنّ ننسى اتقانه للأعمال المسندة إليه ، كما أنّه ورع العلم لالتقائه بكبار شيوخ وعلماء عصره الذين تعدوا سبعين ، وقيل عن لسان ابنه سمعت منه أنّه قال : " لقيتُ سبعين شيخاً من شيوخ القوم"⁽⁹⁾ . فبالنسبة لوالدته فقد ذكرت في السابق حديث عن والده كونها امرأة صالحة تقية زاهدة ، قال له عنها والده أنّها اشتهدت على القتاء وهي حامل بزمن النّساء وجلب لها من باب الجلادين⁽¹⁰⁾ .

(1) مولده بالقيروان في الثاني من ذي الحجة عام 605هـ . ابن القاضي: درة الحجال ، ج3 ، ص103 .

(2) جاء في برنامج الواد آشي: مولده في الثامن ذي الحجة عام خمسة وستمائة (605هـ / 1209م). شمس الدين بن جابر الوادي آشي التونسي (ت749هـ / 1348م) : برنامج ابن جابر الوادي آشي ، تح: محمد الحبيب الهيلة ، ط1 ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي ، تونس ، 1981 ، ص65.

(3) جاء في رحلة العبدري: "لما سألته عن مولده، فقال لي سنة خمس وستمائة". العبدري : الرحلة ، ص105.

(4) ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج1 ، ص405.

(5) العبدري : المصدر السابق ، ص105.

(6) جاء في كتاب "معالم الإيمان فيما يخص ذلك مايلي": "ولقد رأيته يتهدد وهو قد ناهز الثمانين ثم يسقط من طول القيام ثم يعود إلى القيام حتى الصباح". ابن الدباغ : معالم الإيمان ، ج3، ص ص 210-212.

(7) نفس المصدر ، ج4 ، ص74.

(8) نفسه ، ج3 ، ص210.

(9) نفسه ، ج3 ، ص210.

(10) نفسه ، ج3 ، ص211.

تميّز ابن الدباغ بمكانته العلمية المرموقة لكونه واسع الإطلاع ودقيق المعلومة ، إذ أنّ عنايته بالعلم جعلت العديد من المؤرخين يعتبرونه مؤرخ زمانه فلا بُد من التحصل عن كتابته واستنساخها فمهما تقدم نقف على الأئمة والبراهين التي تؤكد ذلك منها :

- قيام الفقيه أبي العباس الغماري التونسي (ت 682هـ/1283م) باستنساخ كتاب لابن الدباغ ، كما اعتنى بتصحيحه وإخراجه ومقابلته (1) .

- اعتماد أبو إسحاق عوانة (682هـ-1283م) على مؤلفات ابن الدباغ في تأليفه كتابه الموسوم بأنس النساك المغرب عن فضائل علماء قيروان المغرب فقد جاء في كتاب معالم الإيمان عن ذلك مايلي: "وألف تأليفا في فضائل مشيخة (أهل) القيروان وأكثر اعتماده على تأليف ابي زيد عبدالرحمن الدباغ وسماه أنس النساك..."(2) .

اكتسب علوم المعقول والمنقول يد كبار علماء عصره الذين بلغوا أزيد من ثمانين شيخ ، إلا أن ما وصلنا الأقلّة أثناء حديث أغلب المصادر عن شخصه ، و يمكن ذكر البعض منهم لا على سبيل الحصر الشيخ الرحالة الأديب البلنسي أبو الحسن محمد بن جبير (614 هـ/1217م) ، درس على يده الحديث والفقهاء والأدب (3) . والده أبو عبدالله محمد الدباغ (618 هـ/1221م) أخذ عنه مختلف العلوم النقلية (4) . كما أنه كثيرا ما تأثر بشيخه المتصوف أبو محمد عبدالسلام بن عبد الغالب الشهير بالمصراتي (5) حيث قال عنه: " هو شيخي ومعلمي واحدا من نعم الله علي بصحبتني اختلفت إليه كثيرا فلما ترى عيني قط مثله نسكا وفضله وصيانة لنفسه ، وانقياضا عن الناس ، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. " وغيرهم من الشيوخ (6) .

كما تتلمذ على يده ثلّة من طلبة العلم الشغوفين أشهرهم : محمد بن محمد العبدري (700هـ/1300م) بلنسي سكن بلدة "حاحة" بالمغرب الأقصى ، كما أنّه عُرف برحلاته نحو المغرب الأوسط والأندلس ، وكذا نحو المشرق لأداء فريضة الحجّ ، وقد جاء في مقدّمة تحقيق كتابه أنّه سمع في القيروان عن شيخنا أبي زيد عبد الرّحمان بن الأسيدي (7) .

(1) كلف باستنساخ الكتاب من قبل الفقيه الشيخ العالم إمام الديار المصرية أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القسيري. العبدري : الرحلة ، ص106.

(2) ابن الدباغ : معالم الإيمان ، ج 3 ، ص83.

(3) أحمد المقرئ : نفع الطيب ، ج 2 ، ص381.

(4) ابن الدباغ : معالم الإيمان ، ج 3 ، ص 210.

(5) نفس المصدر ، ج 4 ، ص75.

(6) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص288.

(7) العبدري : الرحلة ، ص ص 07 - 08.

بالإضافة إلى العالم التونسي المقرئ، النّحوي ، الرّحالة محمّد بن جابر الوادي آشي الذي ذكر في طيات العمل في عدة مرات ، لكن ما يهّمنا كونه أخذ عن عبد الرّحمن الأسدي بتونس، وأجازه إجازة عامّة وفي ترجمته له يقول: " قرأت عليه وسمعتُ ، إجازتي إجازة عامة بتونس، وكتب خطه بها"⁽¹⁾. وغيرها ممّن له تروّخ لهم المصادر التاريخية في حديثها عن المؤرّخ.

اعتنى المؤرّخ كثيرا بجمع الآثار العلمية العقلية والنقلية فبرع في ذلك ، كما أنه اشتهر بالنّظم⁽²⁾ فقليل عنه اشتهر بتنوع المؤلفات لتنوع ثقافته وعلومه التي شملت التاريخ والسيرة والفقّه والأدب وهذه اللاتحة توضّح ذلك:

1- كتاب الأربعون سباعيّة أشار إليه عبد الحي الكتاني في كتابه "فهرس الفهارس قائلاً أنّ لابن الدباغ أربعون سباعية من تخريجه"⁽³⁾، أمّا الوادي آشي فذكره على النّحو الآتي: "الأربعون سباعية وليس السباعية ، أي في سندها تسعة رجال"⁽⁴⁾.

2- كتاب " الأحاديث الأربعين في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين"⁽⁵⁾. يقول العبدري أنّ ابن الدباغ ناوله هذا الكتاب من تأليفه محدثاً إيّاه على حفظ الأحاديث⁽⁶⁾.

3- مؤلّف " الأسرار الجلّيّة في المناقب الدهمانية"⁽⁷⁾.

4- كتاب "جلاء الأفكار في مناقب الأنصار رضي الله عنهم" ذكر بهذه الصّيغة في طيات كتاب "معالم الإيمان" وممّا كتبه على المؤلّف في الأبيات التالية:

كتبت جلاء الأفكار في فضل معشرٍ بهم عزدين الله في الشرق والغرب

إلهي فحقق لك سيدي مازجا بتأليفه واغفر لنا سائر الذنب⁽⁸⁾ .

5- مؤلّف "مشارك في أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب": ساد خلال عصر المؤلّف الابتعاد عن الأمور الرّوحانية نتيجة سيطرة الحياة المادية لكن هذا الكتاب يمثّل جوهر الفكر الجمالي الإسلامي تناول فيه الدباغ ذلك في عشرة أبواب (الأول: في الطّرق التي تصل بها إلى المحبّة الحقيقيّة . الثاني: في ذكر المحبّة ومعانيها واختلاف عبارة الاناس فيها. الثالث: في أقسام المحبّة بجسب حسها. الرابع: في حقيقة

(1) الوادي آشي : برنامجه ، ص66. محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ج 1 ، ص277.

(2) الزركلي : الأعلام ، ج3 ، ص329. العبدري : المصدر السابق ، ص 106.

(3) الكتاني : فهرس الفهارس ، ج 1 ، ص392 .

(4) الوادي آشي : المصدر السابق ، ص66 . محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص290.

(5) نفس المرجع ، ج 2 ، ص290.

(6) العبدري: المصدر السابق، ص107.

(7) وسن سمين ، محمد أمين آسيا ، تامر هادي: السيرة الذاتية لابن الدباغ (ت605هـ/1208م)، مجلة دراسات في التاريخ

والآثار ، ملحق ، العراق ، 2015 ، ع50 ، ص345.

(8) ابن الدباغ : معالم الإيمان ، ج4 ، ص73. البغدادي : هدية العارفين ، ج 1 ، ص526.

الكمال والجمال على ما يعطيه المقال. الخامس: في محبة الناس المعنوية الخفية في أذهان البرية السادس: في أقسام المحبين وأذواق السالكين. السابع: في مقامات العارفين المشتاقين. الثامن: في منازل الواصلين ومشاهدة أهل التمكين. التاسع: في ذكر العشق على الإجمال وما يتصل بذلك من أحوال العاشر: في الفضائل التي تكتبها النفس بطريق المحبة⁽¹⁾.

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى مثل: تاريخ ملوك الإسلام لأمر المشروع، والعمل المتبوع في صحة القول برفع اليدين في الركوع ، سراج المتقين من علام سيّد المرسلين، عوالي الحديث، الميدان شرح أو تعليق على تهذيب المدونة للبرادعي، مناقب والده، فهرسة شيوخه⁽²⁾. لكن أبرز ما وصلنا واهتمت به أكثر المصادر التاريخية مؤلفه التالي:

- **كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**: يعدُّ أبرز المصادر التاريخية في المغرب الأدنى خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بالنسبة لحقل التراجم، وكذا الحياة الثقافية والأوضاع العامة بالقيروان، كما يحتوي إفادات خاصة برجال الفتوحات ومن دخل المنطقة من الصحابة والتابعين بالإضافة إلى نفر ممن يمثل النخبة المتففة، أمّا المادة التاريخية فكان لها حصّة الأسد سواء ما يتعلّق بتاريخ القيروان وتخطيطها ومعالمها وعادات وتقاليد أهلها . كما أنّ المتمعن في تاريخ المدن فإنّ المصدر كما عرض ترجمة شخصية إلاً وصال في عرض مدينته وحرارتها وأسواقها عموماً وتفصيلاً⁽³⁾.

تعددت تسميات المؤلف "معالم الإيمان" فقد جاء في برنامج الوادي أشي تحت تسمية "برنامج مناهل الدين وطرائق أمة - أئمة الأصحح - المتقين في ذكر من استوطن أو قدم القيروان من الصحابة والتابعين ومشاهير العلماء الراسخين وأفاضل الأولياء الصالحين"⁽⁴⁾، أمّا العبدري في رحلته سمّاه "معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان"⁽⁵⁾. وقيل في النسخة المطبوعة دون على النحو المعروف إذ يبدو أن الدباغ غير عنوانه واختصره في المرحلة الأخيرة من عمره⁽⁶⁾.

أمّا فيما يخص طباعة الكتابة فقد جاء في تهميش برنامج الوادي أشي أنه طبع سنة 1320هـ بالمطبعة العربية التونسية⁽⁷⁾. أما محمد محفوظ فيذكر سنة (1330هـ/1900م) لكنهما اتفقا على عدد الأجزاء الأربعة في مجلدين والجزء الأخير فيه تراجم أضافها ابن ناجي. كما طبع مرة ثانية بالقاهرة نشر

(1) ابن الدباغ : مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، تح: هـ. رتيير، دط ، دار صادر، بيروت ، ص ص 03 - 04.

(2) وسن سمين وآخرون : المرجع السابق ، ص345. ابن الدباغ : معالم الإيمان، ج1، مقدمة المؤلف "ر".

(3) نفس المصدر، ج1، ص مقدمة الكتاب.

(4) الوادي أشي : برنامجه ، ص66.

(5) العبدري: الرحلة ، ص106.

(6) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص290.

(7) الوادي أشي : المصدر السابق ، تهميش ص66.

المكتبة العتيقة بتونس، فصدر ذلك الجزء الأوّل بتصحيح وتعليق الأستاذ إبراهيم شيوخ سنة 1968م والثاني بتحقيق الدكتور الأحمدى أبو النور والشيخ محمّد ماضور بالقاهرة سنة 1972م أمّا الجزء الثالث فقد حققه الشيخ محمّد ماضور لوحده ، وطبع بتونس سنة 1978م⁽¹⁾.

نستج مما سبق أن رحلات العالم المؤرّخ ابن الدباغ قد ساهمت في تكوينه علميا وعمليا، كما أن خروجه من مدينة القيروان أثناء الإضطرابات والأحداث الساسية حال دون تأثيرها السلبى عليه ،ففور وصوله إلى المخدية سنة (628هـ/1230م) التقى بكبار شيوخها وسمع عنهم أمثال : الشّيخ الفقيه أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم الحنفي⁽²⁾، فعند وصوله إلى تونس الحاضرة الحفصية تأثر بنفر من العلماء المغاربة والمشاركة خاصّة البغداديين الذين قدّموا إليها نتيجة الاحتلال الذي شبّ عليهم سنة (656هـ/1258م)⁽³⁾ كما شدّ الرّجال نحو مدينة سفاقس طالبا العلم، ومستقيداً من كبار الشيوخ والعلماء إذ جاء في رحلة العبدري سؤال عن وفاة الحسن اللجمي إذ قال: "توفي سنة ثامن وسبعين وأربعمائة ، وذكر ل أنه قرأ ذلك في حجر عند رأسه بمدينة سفاقس حرسها الله"⁽⁴⁾.

كما أنّه ارتحل إلى بلاد المشرق طالب العلم وأخذ من كبار علمائها أمثال وتلامذة الحافظ أبي طاهر السلفي: عبد الوهاب بن ظافر بن رواج، أبي التقى صالح بن شجاع، أبو الحسن على بن هبة الله بن الحميزي، أبو القاسم بن الحاسب بسط السلفي الذي أجازوه بمصر⁽⁵⁾.

أمّا عن وفاته فقد اختلفت المصادر التاريخية في السنّة، فهناك من أشار إلى سنة (696هـ/1296م)⁽⁶⁾. والبعض الآخر ذكر سنة (689هـ/1290م)⁽⁷⁾، أو سنة (699هـ/1299م)⁽⁸⁾ ما عدا ابن تغري بردي الذي ذكر سنة (732هـ/1331م) والمرجع تاريخ (699هـ/1299م) الذي اتفقت عليه أغلب المصادر التاريخية ، أمّا عن مكان دفنه فكان بباب تونس⁽⁹⁾.

(1) محمّد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 291.

(2) الوادي آشي : برنامجه ، ص 65.

(3) وسن سمين وآخرون : المرجع السابق ، ص 347.

(4) الوادي آشي : المصدر السابق ، ص 107.

(5) محمّد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 288 - 289.

(6) ابن الدباغ : معالم الايمان ، ج 1 ، ص مقدمة الكتاب.

(7) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج 2 ، ص 197.

(8) الواد آشي : المصدر السابق ، ص 66. محمّد محفوظ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 290

(9) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج 1 ، ص 405. ابن الدباغ : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 18.

ب - التجاني (كان حيا 718هـ/1318م) صاحب " الرحلة " :

أشار محقق كتاب رحلة التجاني إلى اهمال واغفال أصحاب الطّبقات لمشاهير التدوين أثناء العهد الحفصي من بينهم " بنو التجاني" التونسيون التي ينتسب إليها مؤلف الرحلة - وهذه القبيلة تجان بكسر التاء - ؛ فهي احدى القبائل المغربية التي ارتحلت إلى تونس ، وأولهم أبو القاسم التجاني القادم مع نفر الموحدين الفاتحين لإفريقية⁽¹⁾.

إذ تمكّن أفراد من العائلة التجانية من الوصول إلى سِدرة السُلطة في الدولة بعد أن استقل بنو حفص الهنتاتيون ببلاد إفريقية سنة (625هـ/1225م) منها مناصب في الدّواوين كالأخوان إبراهيم وأحمد ابنا محمد ابن القاسم المتقدم كانا من كبار الموظفين بعين التجارة والاعتبار ببلاط السُلطان أبو زكرياء الأوّل الحفصي⁽²⁾.

يعتبر الرحالة العالم عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني الحفيذ السادس للشيخ أبو القاسم التجاني ولد في بيت عز وجاه وعلم ما بين سنتي (670 - 675هـ/1272 - 1276م) ؛ إذ اعتنى به والده ولقنه مبادئ العلوم الدينية والعقلية ، كما أنه تعلّم على يد كبار الأدب والنحو ببلدته أمثال : الشيخ الأديب أبي الحسن علي بن إبراهيم التجاني - أحد أقربائه- ، الشّيخ علي بن عبد الكريم العوفي الصفاقسي ، العالم أبي القاسم عبد الوهاب بن فائد الكلاعي... وغيرهم كثير⁽³⁾.

اعتلى في شبابه مناصب عدّة منها كتابة ديوان الانشاء أيام السُلطان محمد المعروف بأبي عصيدة وكذا على عهد الأمير أبي زكرياء ابن اللّحّاني. الّلافت أنه قابل صاحب رحلته جهة تونس وليبيا منتصف سنة (708هـ/1308م) لم يدوم ودهم ووصالهم طويلا إذ فارق مخدمه من أرض ليبيا لظروف صحية عصيبة وسياسية . وفور عودته من رحلته إلى تونس عاد مجددا لمنصبه بديوان الإنشاء ، لكن للأسف تعرضت المنطقة لاضطرابات أثرت على الأوضاع السياسية ممّا أدّى إلى عدم الاستقرار بالبيت الحفصي فاستشهد على إثر ذلك أبي زكرياء وأبي البقاء⁽⁴⁾.

تزامن الوضع المزري للدولة عودة شيخ الموحّدين أبو يحيى زكرياء ابن اللّحّاني من الحج عبر ليبيا مترصدا فرصة النزاعات ليستولي على الحكم سنة (711هـ/1311م) ليتخلى عن التجاني ككاتب معيناً مكانه كاتب سرّه القديم . ولم يدُم كذلك طويلا ليتخلى عن الحكم لولي عهده محمد المعروف بأبي ضربة سنة (717هـ/1317م) ؛ وهذا التاريخ الذي توقفت فيه أخبار أحمد التجاني.

ترك لنا صاحب الرّحلة مجموعة من الآثار التي توكّد مدى سعة فكره وثقافته أبرزها:

- كتاب " أحكام مغيب الحشفة" : يعتبر استدرাকা على ما كتبه شيخه العالم أبي علي الهذلي.

(1) التجاني : الرحلة ، مقدمة (أ- ج).

(2) نفس المصدر ، مقدمة (يد - يو).

(3) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 155. ابن الأحمر : مستودع العلامة ، ص 34.

(4) نفس المرجع ، ج 1 ، ص 155.

- كتاب " أداء اللآزم من شرح مقصورة حازم " : مؤلف مفقود للآن .
- كتاب " تحفة العروس ونزهة النفوس " : أبرز كتب العلم والنظر خاصة للمرأة سواء روابط أو علاقات أو مظاهر حياتية، رتبه في 25 باب⁽¹⁾.
- كتاب " تقييد على صحيح البخاري " : ذكره في طيات محتوى الرحلة .
- كتاب " تقييد على صحيح مسلم " : دونه بعد إفادات استنبطها من كتاب " إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم " للقاضي عياض .
- كتاب " الدر النظيم " : يندرج ضمن كتب الأدب والتراجم .
- مؤلف " رحلة التجاني " : تعتبر رحلة تاريخية وجغرافية ، دون فيها حالة ووضع القرى والمدن التي قام بزيارتها معتمدا أسلوب وصفي لعرض المظاهر والوقائع والأحداث وإنما تضمنت الرحلة تراجم لعلماء وأدباء ومؤرخين سمع أو التقى بهم صاحب الرحلة . لهذا أثبتت الكتابات أهمية الرحلة تاريخيا ، إذ منح ابن خلدون للرحلة مكانة وأبرز إفادته المبررة من محتواها فيما يخص أوضاع شمال إفريقيا .
- طبعت الرحلة مرّات عدّة ؛ فكانت الأولى بتونس من قبل المطبعة الرسمية سنة (1345هـ/1927م) تحت إشراف المستشرق وليام مارسيه . لكن للأسف لم تسوّق لأسباب مجهولة . وأعيد طباعتها من قبل نفس المؤسسة سنة (1378هـ/1958م) مع مقدّمة من تأليف المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب التي تميّزت بتعديلات طفيفة⁽²⁾ .
- بالإضافة إلى المؤلفات السابقة الذكر نضف كتابات أخرى اشتهر بها صاحب الرحلة أهمها: كتاب " علامة الكرامة في كرامة العلامة " ؛ الذي صنّف ضمن كتب التراجم المفقودة . وكذا كتاب " نفحات النسرين في مخاطبة ابن سيرين " ؛ عبارة عن محاوره بينه وبين شيخه ابن سيرين . دون أن ننسى كتاب عن الشروح دونه استنادا لمؤلف " الشفا " للقاضي عياض اطلق عليه تسمية " الوفا ببيان فوائد الشفا " الموجود بالمكتبة الوطنية التونسية وهو في أربعة أجزاء⁽³⁾ .
- نستنتج ممّا سبق أنّ الرحلة وجه آخر للتدوين التاريخي ، فلولا الرحالة لما وصلتنا بعض المعلومات المهمة عن دول تعاقبت أو مظاهر أو أوضاعها آنذاك مثل الدولة الحفصية وذلك لا غفاله أو سهوا . إذ أنّ التجاني خلق من الأوضاع التي شهدتها عصره المزريّة مؤلفا ذو قيمة تاريخية حسب كبار المؤرخين مثل: ابن خلدون .

(1) محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 156 . حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج 1 ، ص 370 .

(2) نفس المرجع ، ج 1 ، ص 157 . محمد العزاوي : المرجع السابق ، ص 160 .

(3) البغدادي : هدية العارفين ، ج 2 ، ص ص 141-142 .

ج- ابن الشماع (على قيد الحياة 861هـ/1457م) صاحب مؤلف " الأدلة البيئية النورانية على مفاخر الدولة الحفصية ":

بالعودة إلى المصادر التاريخية فإننا نقف على بعض الأحاديث القليلة أو المتكررة عن مؤرخ المغرب الأدنى خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، لكن للأسف كل ما وصلنا عنه كان عن طريق ترجمة والده وما توصل إليه محقق الكتاب الشهير " الأدلة البيئية " ألا وهو الطاهر بن محمد المعموري كون اسمه أبو عبد الله محمد مثل جده (1) ، فمن خلال التراجم التي بين أيدينا عن والده نستنتج نسبه واسمه الكامل ألا وهو : أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد المرجاني - الشماع- الهنتاتي - نسبة إلى قبيلة أبي حفص هنتاتة - ، التونسي (2).

ترعرع في بيت علمٍ وجاهٍ ، إذ أكدت ذلك المصادر التي دونت ترجمة لشخص والده ، كونه شيخ صالح ورعٍ وعلامة فقيه محقق أحد تلامذة الامام الصالح ابن عرفة رغم أنه لم يشتهر مثل أغلبية تلامذته كالأبي والبرزلي وابن الناجي . ولعل ذلك يعود إلى انشغاله بأمور السلطة فقد تولى قضاء محله السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز في الفترة ما بين (796-837هـ/1394-1434م) . بالإضافة إلى اعتلائه خطابة جامع القصبة . وبعدها قرأ البيعة للسلطان نفسه بجامع تلمسان سنة (827هـ/1424م) ويضف إلى ذلك محمد محفوظ توليه خطابة وقضاء الفقيه الورع أبو عبد الله محمد المسراتي (3) .

عرف والده بعلاقته الوطيدة مع السلطة الحاكمة أيام السلطان أبي فارس سواء الدينية المتمثلة في استدعائه للصلاة أو القراءة لكونه معروف بالحجة والنقد والتفسير ؛ وهذا الأخير أدى لدخوله في منازعات علمية مع أقرانه ومن ذلك : المنازعات العلمية بينه وبين البرزلي فيما يخص مسألة العقوبة بالمال . كما أنه اتّصف كذلك بعلاقات علمية ودية مع ثلّة أخرى من العلماء الكبار أمثال: أبي يعقوب الزغبى التونسي قاضي جماعة تونس (4) .

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع(ت863هـ/1459م) : الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح : محمد الطاهر المعموري دط ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1984 ، ص18.

(2) نفس المصدر، ص 16. محمد محفوظ : المرجع السابق، ج3، ص ص 208- 210. محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية ، ج 1 ، ص351 . التتبعتي : نيل الابتهاج ، ص111.

(3) ابن الشماع : المصدر السابق ، ص16. محمد محفوظ : المرجع السابق ، ج3 ، ص 208. التتبعتي: المصدر السابق ص111.

(4) ابن الشماع : المصدر السابق ، ص17. محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية ، ج 1 ، ص ص 351-352. التتبعتي: المصدر السابق ، ص111.

كما أشار ابن الشَّماع لوالده عند حديثه عن تغسيل وتكفين السُّلطان أبي عبد الله بن أبي فارس ولحاقه به قائلاً: "وتولى الوالد - رحمه الله - غسله وتكفينه والصَّلَاة عليه ونقل - رحمه الله - إلى تونس فدفنَ بتربيته بالقرب من دار الشيخ سيدي محرز ابن خلف - نفعنا الله ببركاته - ، وحزن الوالد لفقده إلى أن لحقه في شهر شوال من العام المذكور (833هـ/ جوان 1430م)" (1). وهذا دليل على شدة وجد الشَّماع بالسلطان أما عن والدته فلم نقف على أي معلومة تخصُّها لكن ما نستخلصه أنَّها كانت والدة صالحة مُحَبَّة للعلم ، ساهمت في تربية الابن على الدِّين والعلم. ساهمت مرافقة ابن الشَّماع لوالده في تقريبه للسلطة على عهد السُّلطان الحفصي أبي عمرو عثمان (839 - 894هـ/ 1435 - 1488م) إذ ألَّف كتابه "الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" أثناء الفترة المذكور بالضبط سنة (851هـ/ 1457م) وهو يؤدي مهامه السياسية وصنف بخزانة الحضرة العلية الإمامية المجاهدية المتوكلية (2) .

مما سبق ذكره يمكننا القول أنَّ ابن الشَّماع قد عاصر ثلَّة من العلماء المشاركة والمغاربة. وكذا علماء الأندلس الذين تميزوا بتنوعهم الثقافي والعلمي ، لكن للأسف المتحدثين عن شخصه وثقافته قلَّة من أبناء عصره ليس مثل والده الذي اشتهر بثقافته الواسعة في الفقه وأصوله وترجمة به معاصريه ومن بعدهم (3)، أمَّا عن آثاره العلمية مما وصلنا كتابيه الشهيرين وهما :

1- كتابٌ .. في عدد السُّلف من أيَّام الملوك الحفصيين: قيل تناول فيه نفس المضمون الذي احتواه مؤلَّف "الأدلة النورانية" .

2- كتابٌ "الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" (4): أحد أبرز المؤلَّفات التاريخية خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، ألَّف كما أشرنا سابقا على عهد الخليفة الحفصي أبي عمرو عثمان، تحدث فيه عن أخبار بني حفص ؛ إذ تناول محتوى المؤلَّف محقق الكتاب ففي مقدمته قائلاً: "وقدَّمْتُ ذلك مقدِّمة تشملُ على خمسة أبواب" وهي على النَّحو الآتي:

- الباب الأوَّل: في حد المغرب وإفريقية وما ورد في فضلها .
- الباب الثاني : في التعريف بمدينة تونس ، وما في معنى ذلك .
- الباب الثالث : في ذكر في ذكر بلد رادس ، والسَّبب الَّذي من أجله خرق البحر بمدينة تونس وما يتصل بذلك .

(1) ابن الشَّماع : المصدر السابق ، ص119.

(2) نفس المصدر، ص ص 19 - 30. يقول حسن حسني في كتاب (العمر) : " أن محمدا ولده نشأ في قصور بني حفص وتولَّى بها بعض المهام والراجح أنها الكتابة" . حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق ، مج2 ، ق 1 ، ص492.

(3) ابن الشَّماع : المصدر السابق ، ص19.

(4) جاء في مقدمة الكتاب : " وسميته بالأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية ، ورغبت ممن يقف على هذا التقييد من العلماء الأعضاء كما يجد فيه من الخطأ في ذلك بعين الاعتبار". نفس المصدر ، ص30.

• الباب الرابع : في التعريف بأول من غزا إفريقية من الصحابة - رضوان الله عليهم - .

ثم نتبع ذلك بمن ولي إفريقية من ملوك بني حفص على الولاء إلى تاريخ وضع هذا التقييد ، وهو أواخر عام إحدى وستين وثمانمائة من الهجرة (1457م/861هـ) وختمت الكتاب بفصلين : أحدهما في الحراية وذكر بعض أحكامها . وثانيها في دخول العرب إفريقية ، وما السبب في ذلك⁽¹⁾ . أمّا عن غاية المؤلف من تدوين الكتاب فقد ذكرها في المقدّمة قائلاً: " وغرضي بذلك وصميم النية التذكرة والموعظة فإنّ في ذكر أخبار الأمم الماضية والقرون البائدة والدول الغابرة والملوك السالفة تنبيهاً ووعيداً لمن ألقى السمع وهو شهيد"⁽²⁾ ؛ ويعني بذلك أنّ الهدف يكمن في تذكير الشعوب عن أخبار الدول السالفة منها الدولة الحفصية التي عاصرها .

رغم أنّ المصادر التي أشارت إلى ابن الشّماع ومؤلفه خاصّة محقق الكتاب لم يبرز ثقافته إلاّ أنّ ثقافة والده الدينية انعكست على الابن والدليل على ذلك أسلوبه الأدبي ذو الملمح الديني الذي ظهر جليا من خلال توظيفه للمفردات القرآنية كقوله في مستهل مقدّمته : " الحمد لله الذي جعل ملّة الاسلام " بالإضافة إلى اكتثار الأدعية الدينية كقوله: " آدام الله نصرها وشيّد على المنابر ذكرها"⁽³⁾ .

كما استخدم الكاتب أساليب عدة : مثل الإيجاز والاختصار بعيدا عن التكرار ، بالإضافة إلى الاقتباس من الكتاب الشّريف مثل قوله تعالى: " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور"...سورة ابراهيم ، الآية 5⁽⁴⁾ . وقوله تعالى في مقام آخر: " أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم " سورة الروم ، الآية 9⁽⁵⁾ من جهة ، ومن جهة أخرى أكثر من التعبير البلاغية كالتشبيه في حديثه عن الأمير أبي اسحاق ووفاة ابن تافراجن مايلي: " وكان كمحجورٍ أطلق يده وصية"⁽⁶⁾ . فقد شمل المصدر أساليب أدبية عدة نذكر منها : أسلوب الحكم رغم قلته ، أسلوب الأدعية الاطناب تعدد في أجزاء الكتاب خاصة الفترة التي ألف فيها مؤلفه⁽⁷⁾ .

كما اعتمد ابن الشّماع المنهج الموضوعي مع تأكيد العناوين الرئيسية والفرعية ، فإذا عدنا إلى المصدر فإننا نقف على التقسيم الملائم للأبواب المتعلقة بالأمرء وعنونتها ، بالإضافة إلى عنوانة الفصول

(1) ابن الشّماع : المصدر السابق ، ص ص 29 - 30 .

(2) نفس المصدر ، ص 27 .

(3) نفسه ، ص ص 27 - 30 .

(4) سورة ابراهيم ، الآية 5 . ابن الشّماع : المصدر السابق ، ص 28 .

(5) سورة الروم ، الآية 9 . ابن الشّماع : المصدر السابق ، ص 28 .

(6) نفس المصدر ، ص ص 105 - 106 .

(7) نفسه ، صفحات 27 - 55 - 66 .

التابعة لها . كمثل على ذلك؛ باب الأمير أبو زكريا الأول : قسم إلى أربعة فصول؛ فالأول ؛ في ذكر مولده وبيعته وشيء من خصاله الحميدة . أمّا الثاني؛ في ذكر شجاعته وقوّة جيشه وما جمع من كتب العلم . فالثالث؛ في ذكر البيعة الثانية . أمّا الرابع ؛ في ذكر وفاته - رحمه الله-(1) . للكتاب مخطوطات أهمّها:

- مخطوطة أوّل : بالمكتبة الوطنية الفرنسيّة بباريس ، تحت رقم 4625 ، مقاس 23*18 ، مسطرة 15 أوراق 91 ثم نسخها سنة 1264هـ . وأكّدض محقق الكتاب أنّ النسخة هذه فيها نقص وهي ضمن مجموع .

- مخطوطة ثانية: عبدلية؛ 5130 تحت رقم 9954، مقاس 21.5*15.5 ، مسطرة 15، أوراق 78 نسخة سنة تسع وعشرين . وأشار المحقق في اعتماده لهذه النسخة في تدوين المؤلف .

- مخطوطة ثالثة : لم يتم اعتمادها من قبل المؤلف تحت رقم 4049 ، مقاس 20.5*5 ، مسطرة 34: من 89 - أ - 123 - ب(2) . أما عن نشر وطباعة الكتاب فقد نشر لأول مرة بمطبعة العرب التونسية سنة (1355هـ/1936م) على يد المحقق الأستاذ عثمان الكعاك ، لكن لم يبق منها إلا نسخة واحدة في المكتبة الوطنية التونسية ثم أعيدت طباعته مرّة ثانية بالدار العربية للكتاب على يد المحقق الدكتور الطاهر محمد المعموري سنة 1984م ؛ وهي النسخة المعتمدة في دراستنا(3) .

موارد ابن الشّماع معتمدة في تأليفه للكتاب ومتنوعة فمنها المنقول (القرآن والحديث) مثل: في حديثه عن نزول النّصارى بتونس مع الفرنسييس ، مُستشهدا بقوله تعالى: " وَنَبَلُوكُم بِالْخَيْرِ فَتَنَّا إِيْنَا تَرْجِعُونَ"(4) .. وغيرها من الاقتباسات. وكذا عند حديثه عن مآثر الأمير عمرو بن عثمان استشهد بحديث مسلم - رضي الله عنه- عن عياض بن حمار- رضي الله عنه : "قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أهل الجنة ثلاث: ذو سلطانٍ مقسطا موفق، ورجلٌ رقيق رقيق القلب لكلٍ ذي قربي ومسلم وعفيف متّعفف ذو عيال"(5) .. وغيرها كثر. بالإضافة إلى نقله للأخبار المتعلقة بجزئيات الكتاب من مصادر مكتوبة عدّة سواء كان ذلك بذكر اسم المؤلف دون الكتاب أو العكس . وظل يجتهد إلى أن انتهى من تأليف كتابه أيام الأمير عمرو بن عثمان (على قيد الحياة 861هـ/1457م).

(1) ابن الشّماع : المصدر السابق، ص 173.

(2) نفس المصدر، ص ص 20-21.

(3) نفسه ، ص 22.

(4) سورة الأنبياء ، آية 35.

(5) محمد ناصر الألباني : صحيح الترغيب والترهيب ، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2000 ، ج2، ص ص 519-520.

3-3- المغرب الأقصى: أبرز المؤرخين الذين دونوا التاريخ:

أ- عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م) صاحب كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب":

هو عبد الواحد بن علي التميمي، ويلقب بمُحَيِّ الدِّين، وكنيته أبي محمَّد المراكشي المغربي المالكي مؤرِّخ ولد في السابع من ربيع الآخر سنة (581هـ/1185م) بمدينة مراكش المغربية⁽¹⁾ مع بدايات حكم الخليفة أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، انتقل منذ صغره إلى مدينة فاس ليتعلَّم على يد شيوخها علوم الشريعة وحفظ القرآن، حيث يشير إلى ذلك بالقول: "مدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا، وموضع العلم"، وبفاس توثقت صلته بأبي بكر بن زهر وبأحد أبناء ابن طفيل لكنَّه سرعان ما عاد إلى مراكش، وظلَّ يتردد ما بين المدينتين ليدرس على يد كبار شيوخها وأساتذتها⁽²⁾.

عرف برحلته المبكرة إلى بلاد الأندلس سنة (603هـ/1206م) وهو في السن الثانية والعشرين والتقى بجماعة من أهل الفضل لهم صيت كما صفى بينه وبين حاكم أشبيلية آنذاك ودَّ وهو الأمير أبي إسحاق بن أبي يوسف المنصور الموحد، وذلك عن طريق أخيه محمَّد النَّاصر لسلطان الموحدين آنذاك والكاتب محمَّد ابن الفضل وفي ذلك يقول: "كان لي - رحمه الله - محبًا وبني حفيًا، وصلت إلي منه أموال وخلع جمَّة غير مرة، لم أعرِّفه أيام وزارته لأتني كنتُ إذ ذاك حديث السنَّ جدًّا كما ناهزت الاحتمال وإنما كانت معرفتي إياه حين ولَّوه أشبيلية في سنة (605هـ/1208م)، من جهة رجل من أصحابنا من الكتاب اسمه محمَّد بن الفضل - جازاه الله عني خيرا - هو الذي أوصلني إليه"⁽³⁾.

كما يشير بالقول " فلم أحصل بحمد الله من ذلك كلِّه إلا معرفة أسمائهم ومواليدهم ووفياتهم وعلومهم"⁽⁴⁾. وذلك عندما أشار إلى الفضلاء من أهل الأندلس، كما انتقل ما بين مدن الأندلس من بينها مدينة جيلان⁽⁵⁾، فروى عن أبرز شيوخها من بينهم أبي بكر بن هاني، وكذا قرطبة⁽⁶⁾ كما قرأ على يد أبي جعفر أحمد بن محمَّد بن يحيى الحميري سنة (606هـ/1209م)⁽⁷⁾.

(1) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص 176.

(2) أنخيل جنثال بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955 ص 248. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، صفحات ز- 356-360.

(3) نفس المصدر، صفحات ح - 308 - 360.

(4) نفسه، ص ص 360 - 361.

(5) جيلان: بالفتح مع التشديد وآخره نون هي مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتمثل بكورة البيرة ماثلة عن السيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج2، ص195.

(6) قرطبة: هي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريرا لملكها وقصبتها، وبها كانت الملوك بني أمية. نفس المصدر، مج4، ص 324.

(7) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 300 - 360.

المعروف أن عبد الواحد المراكشي عاد إلى مراكش سنة (610هـ/1212م) وواكب بيعه أبي يعقوب يوسف بن محمد ، ودام في مراكش إلى غاية (611هـ/1213م) ، حيث لم يدم مدة طويلة إلى أن وصل إلى السلطان ، فحدثه وفي ذلك يقول: " لقيته وجلستُ بين يديه خالياً به، وذلك في غرة سنة 611هـ من حدة نفسه وتيقظ قلبه وسؤاله عن جزئيات لا يعرفها أكثر السوق فكيف الملوك ما قضيت منه العجب"⁽¹⁾. ثم رحل مجدداً إلى الأندلس مرة أخرى فأقام بها مدةً طويلة، ومنها توجه إلى بلاد المشرق⁽²⁾.

ركب عبد الواحد المراكشي متجهاً نحو بلاد المشرق، وأثناء رحلته دخل الأراضي التونسية عن طريق البحر، وفي سنة (619هـ/1222م) وصل صعيد مصر، كما خرج من مصر متجهاً نحو بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ، متجهاً إلى بلاد الشام أو بغداد⁽³⁾ واستقر هناك. وألف كتابه الشهير "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" حيث ذكر الزركلي أنه تجول في بعض بلدان المشرق وأملى كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" إجابة لطلب وزير من خاصة الناصر العباسي سنة (621هـ/1225م)⁽⁴⁾.

عاش مؤرخنا في أحضان دولة الموحدين، وكانت بينهم علاقات وطيدة خاصة مع خلفاء عصره فقد كان معروفاً بين أهلهم ، ويتضح ذلك من خلال قراءة مؤلفه خاصة مع أولاد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558هـ - 1163م/580هـ - 1184م)، فتلك الروابط سمحت له باستقاء الكثير من الأخبار عن الأسرة الموحدية، دون أن ننسى الأموال التي كانت تصله منهم⁽⁵⁾.

بالإضافة إلى علاقة الود والصدقة التي كانت تربطه بالخليفة يحيى بن أبي يعقوب يوسف والدليل على ذلك مختلف المراسلات المذكورة في مؤلفه، أمّا بالأندلس فقد ربطته علاقات بكل من أخ أمير المؤمنين أبي محمد بن أبي يوسف يعقوب عندما كان والياً على اشبيلية⁽⁶⁾.

كما كان لعبد الواحد روابط مع أمير المؤمنين أبي يعقوب الثاني النهائية سنة (611هـ/1214م) وهذا يدل على مكانة مؤرخنا، دون أن ننسى روابطه مع أصحاب المناصب العليا في الدولة الموحدية

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 328

(2) حمادة مصطفى إسماعيل السيد : عبد الواحد المراكشي ومنهجه في كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب المجلة العلمية بكلية اللغة العربية ، أسبوط ، 2015 ، ع24 ، ج 4 ، ص ص 3027 - 3073 .

(3) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 329. حمادة السيد : نفس المرجع ، ص 3083.

(4) خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ص 176.

(5) حمادة السيد : المرجع السابق ، ص 3073.

(6) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 360.

مثل : القاضي أبي عمران موسى بن عيسى ، فلم تقتصر علاقاته بأصحاب الدولة فقط بل ربطته روابط صداقة بالشعراء مثل : الشاعر بن حزمون ، وبالكتاب مثل الكاتب محمد بن عبد ربه⁽¹⁾ . توفي عبد الواحد حسب المراجع التاريخية التي ترجمت له سنة (1249/647هـ)م ، أما أغلب المصادر أغفلت ذلك⁽²⁾ .

- مؤلفاته :

- " وثائق المرابطين والموحدين " : اختلفت الدراسات حول مؤلف هل يعود إلى عبد الواحد المراكشي؟ أمّا حسين مؤنس محقق الكتاب فقد نسبه إلى عبد الواحد وذلك من خلال التطرق لأسلوب المؤلف من حيث قوة العبارات وحسن الصياغة، وسرد الأحداث والتعمق في الفقه والمذاهب⁽³⁾ .
- كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " :

- التعريف بكتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " : اشتمل كتاب (المعجب) لعبد الواحد المراكشي على مقدّمة أشار فيها إلى دوافع تأليف الكتاب وخطة عامة ، حيث جاء في المقدّمة على خطة موجهة إلى العزيز الذي كلفه على التأليف، لكن لم يذكر اسمه أو أي معلومات عنه إلا أنه كان مساندا له، وهذا ما يشير إليه بالقول : " وبعد أيها السيّد الذي توالى على نعمه وأخذ بضبعي من حضيض الفقر والخمول اعتناؤه وكرمه وفضى إحسانه إليّ ومحبه التي جبلت عليها بأن ألتزم من يره وطاعته ما أنا ملتزمة ..."⁽⁴⁾ .

أمّا عن الكتاب فقد فرغ من تأليفه في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة (1224/621م) حيث يذكر ذلك بالقول : " وكان الفراغ من هذا الإملاء يوم السبت لست يقين من جمادى الآخرة من سنة 621هـ ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل "⁽⁵⁾ .

كما ذكر عبد الواحد خطّه في مقدّمة الكتاب الذي إقتصره للتعريف بالمغرب، سيّما المصامدة بني عبد المؤمن، كما تناول تاريخ المغرب والأندلس معاً، لأنّ بلاد المغرب جغرافياً كانت تشمل شبه الجزيرة الأندلسية⁽⁶⁾ .

(1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص ، ص 328.

(2) نفس المصدر ، ص 293.

(3) عبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين ، تح: حسين مؤنس ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، 1997، واجهة الكتاب.

(4) نفس المصدر ، ص 03.

(5) نفسه ، ص 376.

(6) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت دت ، ص 09.

- **محتوى الكتاب** : فقد قسّم المراكشي كتابه إلى قسمين رئيسيين، مثلما جاء حسب محقق الكتاب وهو على النحو التالي :

- **القسم الأوّل** : يتناول تاريخ المغرب والأندلس قبل عصر الموحّدين، واشتمل سبعة فصول تختلف في طولها وقصرها، فبعض الفصول تشمل ثلاثة صفحات، وفصول أخرى تجاوزت السّتين، وهو بمثابة ملخص عن تاريخ الأندلس والمغرب، من فتح الأندلس سنة (92هـ/711م) إلى غاية (515هـ/1121م) وهي فترة بداية دعوة ابن تومرت التي تأسست على أنقاضها دولة الموحّدين حيث يشمل هذا الجزء مقدّمة موجزة عن جزيرة الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية ، بالإضافة إلى قيام دولة المرابطين بالمغرب والأندلس حتّى سقوطها .

- **القسم الثاني**: فقد تناول فيه تاريخ مائة وستّ سنوات من تاريخ دولة الموحدين، مقسّمة لثلاث فصول متفاوتة أيضا ، كما ذكر في نهاية حديثه : " هذا تلخيص التعريف بأخبار الدولة المصامدة من أوّل قيام أمرهم - وهو سنة 515 هـ - إلى وقتنا هذا - وهو سنة 621 هـ فلذلك مائة سنة وست سنين على الإجمال لا على التفصيل"⁽¹⁾.

اعتمد المراكشي نفس المناهج المعمول بها في عصره للعرض التاريخي في كتابه "المعجب" ألا

وهي :

- استعمال المنهج الموضوعي (منهج التاريخ حسب الموضوعات) : نعني بذلك التزام المؤرخ طريقة التأريخ إمّا للدول أو العهود الخلفاء والحكام، وإمّا للسير والطبقات والكتابة على هذا المنهج أساسه لتاريخ الخلفاء والحكام⁽²⁾. فقد سار المؤلف على هذا المنهج في تأريخه لحكام المغرب والأندلس أي الخلفاء والحكام، مع ذكر أهمّ الشخصيات من الكتاب والوزراء والأدباء التي عاصرت أولئك الحكام محدداً أحيانا عناوين خاصّة تلك الشخصيات مثل: " ذكر خبر دخول عبد الرّحمان بن معاوية الأندلس"⁽³⁾. أحيانا كان يؤرّخ بالشّهر والسّنة مثل ما ذكره من عبور المرابطين إلى الأندلس سنة (479هـ/1086م) حيث قال : " فأخذ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أهبة العبور إلى جزيرة الأندلس وذلك في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة"⁽⁴⁾ .

(1) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 332 . حمادة السيد : المرجع السابق ، ص ص 3090-3091.

(2) عبد العزيز سالم السيّد : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1986 ، ص 91 .

(3) عبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين ، ص 16 .

(4) نفس المصدر ، ص 130 .

- استخدام التاريخ المحلي والمعاصر :

- التاريخ المحلي: فقد قسم المؤرخون التواريخ المحلية أو الإقليمية إلى تيارين : تيار محلي دنيوي وآخر ديني، وكتاب "المعجب" يندرج ضمن التيار المحلي الدنيوي، بما أنه يتناول تاريخ بلاد المغرب والأندلس لأنه لا يشير إلى شخصيات دينية إلا القلة ومنه ذلك ذكره من دخل الأندلس من التابعين للجهاد تحت عنوان " نكر من دخل الأندلس من التابعين " (1) .

- التاريخ المعاصر: ذكر عبد الواحد المراكشي مجموعة من الأحداث التي عاصرها ويتجلى ذلك في الإشارات المذكورة في حديثه مثلاً صلته بإبراهيم أبي يوسف حيث ذكر : " وهو خير ولده وأحبرهم بالأمر لو كانت الأمور جارية على إيثار الحق والمراح الهوى " (2) .

وفي الأخير يُمكننا القول أنّ عبد الواحد المراكشي هو أديب بارع ومؤرخ فذ، ألف المعجب بأسلوب واضح وسرد تاريخي رصين، كما أنه لم يخرج عن منهج عصره بالإضافة إلى سرده أنواع مختلفة من الحوادث التاريخية السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية ، والفكرية والعمرانية والدينية ، كما أنه اعتمد على مؤلفات سابقة ورسائل فأثبت البحث أنه اعتنى بالنقد التاريخي ومارسه على الشخصيات التي ترجم لها دون أن ننسى تعصبه للمؤرخين وتحامله على خصومهم .

تطرقت في مذكرة الماجستير إلى أبرز نماذج مؤلفي الكتابة التاريخية المغربية خلال القرن (14/هـم) ألا وهو :

ب - أبي الحسن علي الجزنائي (ت بعد سنة 766هـ / 1364م) : صاحب كتاب " جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس " توفي بعد سنة (766هـ/1364م) الذي يتألف من بابين الأول ؛ في ذكر من أسس فاس من الأدارسة الحسنيين ، والثاني ؛ في ذكر من أدارها بالأسوار ، وزاد فيها الزيادات (3) .

اشتهر أبو الحسن علي الجزنائي بكتابه " جنى زهرة الآس، في بناء مدينة فاس " وهذا ما أجمع عليه كل من نقل عنه، فبالرغم من ما جاء في الكتاب من معلومات في أغلبها تكرر لما أوردته مؤلفات ابن أبي زرع في كتابه " الأنيس المطرب ". يستطيع أي باحث في التاريخ العربي الإسلامي أن يستفيد فائدة كبيرة من المعلومات الواردة في الكتاب، رغم أن المؤلف قد أغفل العديد من المؤسسات المهمة والمنشآت العمرانية من بروج ، وحصون وقلاع ومؤسسات كقصة الموحدين ، لكن قدرته تتضح فيما تطرق إليه خاصة وصفه لجامع القرويين ومرافقه ، حيث زاد عمّن كتبوا عن فاس زيادات كثيرة، وخاصة في العصر المريني (4) .

(1) عبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين ، ص 14 .

(2) نفس المرجع ، ص 308 .

(3) علي الجزنائي : المصدر السابق ، ص الواجهة.

(4) أحمد جمال طه : مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448 هـ / 1056 م) إلى (668 هـ / 1269 م) دار الوفاء، الإسكندرية ، 2001 ، ص 26 .

ويشير علي الجزنائي إلى دوافع تأليفه لكتابه؛ بقوله : " أردتُ أن أطلعَ وزارته السُّنية وسياسته اليابانية الحفصية⁽¹⁾، أسعد الله إحصارها، وكثر أعوانها وأنصارها، بكتاب مختصرٍ يشتملُ على ذكر من أسس مدينة فاس كلاها الله تعالى من الأدارسة الحسينيين وبناء جامعي القرويين والأندلسيين، يكون تذكرة لمن تقدم له في ذلك سلوك وتبصرة لمن أقيم في خدمة الوزراء والملوك، بعد أن استخرتُ الله سبحانه في ذلك، فألهمه إليّ وسهله تبارك وتعالى عليّ، كلُّ ذلك بتسيير الله تعالى وبركة هذه الوزارة الكريمة التي سرّت الرفاق في الآفاق بمنابها العظيمة"⁽²⁾، كما صرّح علي الجزنائي بذلك كان هدفه من تأليف الكتاب رغبته الإطلاع وإظهار معالم الوزارة والسياسة اليابانية الحفصية نسبة إلى الوزير عمر الياباني ، وهي محاولة للتقرب منه، خاصّة وأنّ هاته الوزارة نشرت بيدها سعادة ومناقب حسنة لا زال الدهر يثبت ذلك، كما أنّ اليابانية قبيلة من بطن عريق النسب .

ولعلّ أهمّ ما يميّز كتاب علي الجزنائي أنّه لم يكن من كتاب سيّر لأشخاصٍ فقط أو تاريخاً لإنجازاتهم بل هو بمثابة تاريخ عام ، شمل نشاطات سياسية، واجتماعية وثقافية وسياسية ، كما عالج علي الجزنائي حقبة زمنية طويلة منذ فتح عقبة بن نافع للمغرب إلى غاية فترة إنشاء جامع الأندلس وبذلك يعد كتابه نموذجاً مكماً لكتب التاريخ المحلي، وهذا ما يؤكّد اعتزاز المؤرّخ بانتمائه.

كما ذكر علي الجزنائي العديد من الدول والقبائل مثل: الأدارسة ، المرابطين ، الموحديين المرينيين ومن القبائل المذكورة: أوربة، بني بشيريني رزين ، زناتة ، مغيلة⁽³⁾، زواغة⁽⁴⁾، مطغرة⁽⁵⁾، مكناسة⁽⁶⁾ بني زيات، صنهاجة بني عبد الواد بني سدراء، هواره ، بني يابان وغيرها من القبائل⁽⁷⁾.

(1) اليابانية الحفصية : نسبة إلى بني يابان بن كرماط بن مرين إحدى قبائل بني مرين، وأفاخذ هذه القبيلة هي : بنو علي وبنو عيسى وبنو ورنكال، وبنو تاشفين وبنو عزم، وبنو خلفي، والحفصية نسبة إلى أبي حفص كنية الوزير عمر بن عبد الله الياباني. علي الجزنائي : المصدر السابق ، ص 02 .

(2) نفس المصدر ، ص 2 .

(3) مغيلة : إخوة مطامطة ولماية وتعد منهم ملزوزة ، ودونة ، وكشاةة ، بعضهم قطن مصب نهر الشلف بالمغرب الأوسط والبعض الآخر قطن المغرب الأقصى، وهم من تولى الدعوى لإدريس الأول بالمغرب. ابن خلدون: العبر، ج6 ، ص164.

(4) زواغة: من قبائل البرابر البتر، وهم إخوة زواوة ، ومن بطون ضريسة التي ينسبها الناسيون إلى سكان بن يحيى بن ضري بن زجيك بن مادغيس الأبتّر أخو أجانا جد زناتة. نفس المصدر ، ج6 ، ص168.

(5) مطغرة: من بني فاتن من ضريسة إحدى بطون البتر ،وقد كانت لها مقامات في فتح الأندلس. نفسه ، ج6 ، ص 155-158.

(6) مكناسة : كان موطنهم من منابع وادي ملوية إلى مصبه في البحر، وما بين ذلك من نواحي تازة وتسول، وكانت فاس في مجال انتجاعهم ومنقلب رحلاتهم. نفسه، ج6، ص170.

(7) علي الجزنائي : المصدر السابق ، ص 135 - 138 .

وهذا يدل على عدم انحيازه لأية دولة أو قبيلة، سواء داخل أو خارج المغرب إلا أنه كان يظهر من حين لآخر عاطفة لدولة الأدارسة. وهنا تتوافق عاطفته المؤرخ ومؤلفات ابن أبي زرع في كتابه "الأنيس المطرب".

يحتوي كتاب "جنى زهرة الآس" على مقدمات وقسمين، خصص القسم الأول منه لذكر من أسس مدينة فاس من الأدارسة، والثناء عليه، وبيان شرفه وفتح المغرب ومجيء إدريس الأول إليه وتأسيس إدريس الثاني بفاس⁽¹⁾.

تميز علي الجزائلي بتأثره ممن سبقه من المؤرخين، والرؤاة الذين نقل عنهم أخباراً بأسلوب بسيط مُنتع كقوله: "فمن فضل هذه المدينة وشرفها ما نقله أهلها خلفهم عن سلفهم أنه وجد في كتاب دارس..."، وشاع في أسلوبه كثرة التعابير البلاغية، كالسجع، والكناية؛ كقوله في النص الآتي: "فعمرت الأرض بالفراسة والحراثة وظهر صلاح ذلك، والانتفاع بغلاته في أقرب وقت، فكثر الخيرات، وزادت العمارات" وقوله: "وقصدها الناس من جميع البلاد، والجهات والأضقاع، وسكنها الفقهاء والعلماء والتجار، والصناع"⁽²⁾. وهذا الأسلوب أضفى لمعة أدبية على أسلوبه منها ما هو مدح ومنها ما هو حسرة وألم.

أما عن أسلوب النقد التاريخي فهو قدرة تكاد تتعدم عند المؤرخ علي الجزائلي، كما نلاحظ ضعف حسن النقد، فقد اعتمد في الكثير من المناسبات على السرد التاريخي دون إبداء أي رأي، وإنما كان جامعاً للأنصوح المتداولة في عصره عن الدول السابقة، والدليل على أنه اعتمد أسلوب انتقاء المعلومات قوله: قال فلان، وقالت، وقيل، وذكر، ويقال⁽³⁾.

الجزائلي كغيره من علماء عصره اهتم كثيراً في كتابه على استقاء معلومات من كتب عدة سواء كانت معاصرة له أو سابقة لعهد منهجنا من الكتاب السائدة في عصره حيث انتهج طريقة في الكتابة كتب بها معاصروه ألا وهي :

– المنهج الأفقي أو ما يسمى بـ"المنهج الموضوعي": كما أشرنا سابقاً كتابة التاريخ حسب الموضوعات بعيداً عن ذكر العناوين الفرعية، اعتمد فيه الجزائلي طريقة الموضوعات لاعتقاده أن هذه الطريقة تناسب كتابته عن الدول والإنجازات التي شهدتها فاس في ظل الدولة المدروسة وما بعدها. وإذا عدنا إلى فهرسه فقد سمّاه فهرس الموضوعات.

– المنهج الروائي: أي اختصار الأخبار وروايتها كحادثة واحدة .

بالإضافة إلى هاتين الطريقتين نجد الجزائلي يعتمد أسلوباً آخر وهو الكتابة عن تاريخ الدول والمدن وهو ما كان شائعاً في عصره، خاصة وأن المؤرخين كانوا يبدؤون تاريخهم بالحديث عن جغرافية

(1) أحمد جمال طه : المرجع السابق ، ص 26 .

(2) نفس المصدر ، ص 26 .

(3) نفسه ، صفحات 24 - 27 - 33 .

البلد الذي يؤرخون له ، لا شك أن الجزائى قد جمع بين منهج الموضوعات ومنهج الروايات في حين التزم بسرد مطول للأحداث التي حدثت في عصره باعتماد روايات عدة من مصادر متنوعة، وقد يعود هذا الجمع إلى رغبته في الابتعاد عن إبداء رأيه (1).

نستنتج من خلال ما تقدمنا إليه بأن الأسلوب الذي انتهجه الجزائى، يقوم على مزج منهج الموضوعات بمنهج الرواية، وفي بعض الأحيان يُدرج المنهج الحولى كقوله: "وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة أمر الأمير عبد المؤمن بن علي بهدم أكثر أسوار فاس" (2) وهذا لأن الأمير عبد المؤمن معروف بحنكته القتالية، فكان يعتبر السيوف والعدل أهم سور لهم، مما منح الكتاب أهمية، رغم الدراسات المحتشمة عنه ليستخلص المؤلف؛ كما نلاحظ نقطة مهمة وهي؛ الصدق في الكتابة باعتماد الإسناد.

خلاصة الفصل الثالث ؛ فإني ألاحظ من خلال اختياري لنماذج فرعية من كل قرن محل الدراسة على أساس دورها وتأثير كتاباتها على المناطق الجغرافية التي توطنتها أو جاورتها أو ارتحلت إليها أنها لم تشمل محتويات جغرافية فقط ، وإنما احتوت وقائع وأحداث تاريخية لم تشر إليها المصادر المتخصصة في علم التاريخ ، كما أنها بينت مدى التواصل الثقافي بين نطاقى المشرق والمغرب.

(1) عبد العزيز سالم: المرجع السابق ، ص ص 78 - 92 .

(2) نفس المرجع ، ص ص 42 - 43.

الفصل الرابع :دراسة مقارنة بين الكتابات المغاربية والتأريخ المصري القديم

المبحث الأول : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربية والمصريين ؛ نموذج (المقريري صاحب " الخطط" وابن خلدون صاحب " العبر").

المبحث الثاني : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربية والشاميين؛ نموذج(ابن سعيد صاحب " المغرب في حلى المغرب" وابن العديم صاحب " بغية الطلب ").

المبحث الثالث : نتائج الدراسة المقارنة .

الفصل الرابع : دراسة مقارنة بين الكتابات المغاربية والتدوين المصري الشامي:

تناولت في هذا الفصل بالرصد والتمحيص والتّحليل نماذج لدراسات تاريخية مغاربية من جهة ومن جهة أخرى مدونات مصرية شامية في الفترة ما بين القرنين (7 - 9هـ/13-15م)، وذلك باعتماد المنهج المقارن الذي لا يخلو من الدراسة الوصفية. بالرغم من اعتبار بعض الباحثين وجود خلاف بينهم وأنّ المنهج المقارن يعتمد إلا للضرورة على الدراسات الوصفية. فأغلب المؤرخين تمّ دراستهم بحثاً ودراسة (ترجمة) ومؤلفاً في مجلدات ومذكرات دون المقارنة بشيوخهم الذين تأثروا بهم ونهلوا منهم وبأمهات كتبهم أو بتلاميذهم الذين استفادوا منهم أو بأبناء عصرهم الذين تأثروا بفكرهم أو أثروا فيهم .

المبحث الأوّل:دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربية والمصريين؛ نموذج (المقريزي

صاحب "الخطط"، ابن خلدون صاحب "العبر") : تعددت الدراسات التاريخية المغاربية والمصرية في الفترة محلّ الدراسة ، ممثلة حتمية لتدوين أحوال الأمم. فلم يكن التاريخ مُنفصلاً عن العلوم الأخرى كالسياسة والجغرافيا والاقتصاد وعلوم الدين والأدب ، فمن المؤرخين الذين تميّزت كتاباتهم بالموضوعية وتنوّع المناهج حسب الدراسات المؤلّف الشهير بالخطط تقي الدين المقريزي ، وكذا كتاب العبر لشيخ المؤرخين عبد الرحمان ابن خلدون - وقد تم اختيار المقارنة لتأثر التلميذ بشيخه-.

1-1- المؤلّف تقي الدين المقريزي (ت845هـ/1441م) صاحب "الخطط":

1- مولده ونشأته: هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن تميم بن عبد الصمّد بن أبي الحسن بن عبد الصمّد بن تميم ويعرف بالمقريزي - نسبة إلى مقريز محلة من بعلبك - البعلبي ثمّ المصري الفقيه المؤرّخ الشافعي - (1)، وأضيف إلى نسبه كونه عبيدي حسيني نسبة إلى إبنائه للنسب الفاطمي العبيدي حسب ما أشار إليه ابن حجر العسقلاني (2). تجدر الإشارة إلى الشبه الملحوظ بين تسمية المقريزي لحارة المقارزة ، ولفظ مقريزي maccarese - وهي جهة بإيطاليا قرب روما - ، ممّا يحتمل أنّ تلك الحارة البعلبكية كانت سكناً لجالية من الجاليات الايطالية التي وفدت للتجارة ببلاد الشرق الأدنى زمن الحروب الصليبية ، وأنّ أسرة المقريزي اكتسبت هذه التسمية لحلولها بتلك الحارة بعد خلوها من سكانها الأصليين (3). وُلد تقي الدين المقريزي بعد سنة (766هـ/1364م) بحارة مصرية تعرف ببرجوان بقسم الجمالية (محافظة القاهرة) أصله من بعلبك فقد تحوّل أبوه إلى القاهرة وولي بها القضاء ببعض

(1) تقي الدين المقريزي: رسائل المقريزي ، تح: رمضان البدرى ، أحمد مصطفى قاسم ، ط1 ، دار الحديث ، القاهرة 1998 ، ص3.

(2) مصطفى محمد زيادة : المؤرخون في مصر في القرن الخامس الميلادي (القرن التاسع الهجري) ، ط1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1939 ، ص7.

(3) نفس المرجع ، ص7.

الولايات، كما تولى التوقيع في ديوان الانشاء فقد نشأ نشأة سوية في عائلة محافظة حفظ الكتاب على مذهب أبي حنيفة نسبة لجده من أمه الشيخ شمس الدين بن الصايغ الأديب المشهور. توفي والده في سن العشرين سنة (786هـ / 1384م) فتحوّل شافعي وصار على نهج أهل الحديث ، ونظر في عدة فنون وولع في التاريخ مصنفاً فيه موسوعاتٍ عدة⁽¹⁾. وكان مولده حسب ما كان يخبر به ويكتب بخطه بعد الستين⁽²⁾.

نشأ في أسرة عريقة ومعروفة باشتغال العلم ببعلبك ودمشق وكذا القاهرة . وعبر 20 سنة عُرف فيها المقرئ حوادث عدة عاصرها من نافذته الفكرية المصرية عن شؤون الدولة المملوكية وأمرائها الذين جعلوا من السلاطين للأطفال وأشبه الأطفال شعاعاً رقيقاً شفافاً وقتتذ ، يعملون من ورائه لتحقيق مطامحهم ففي هذا الجو الصّاحب عاش وترعرع على دراسة العلوم العقلية والنقلية مثل: الفقه والتفسير والتاريخ والأدب والحساب وغيرها من العلوم⁽³⁾.

فبالرغم من جذوره اللبنانية إلا أن ولعه بمصر كان شديداً حيث أشار إلى ذلك قائلاً : " وكان مصر هي مسقط رأسي وملعب أترابي ومجمع ناسي ومغنى عشيرتي وحامتي وموطن خاصتي وعماتي وجوؤي الذي ربي جناحي في وكره وعش مآربي فلا تهوى الأنفوس غير نكره . لازلت منذ شذوت العلم وأنا في ربي الفطنة والفهم أرغب في معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على أخبارها وأهوى مساءلة الركبان من سكانها ديارها"⁽⁴⁾. كما أن المدينة التي ترعرع فيها قد طوت قبله ثلة من السلاطين والدول والعلماء والمؤرخين ؛ حيث كانت ذاتها حافلة بماضيها وأثارها الاسلامية . فأنفق فيها حياته التي أوحى له أن يكون بعدها مؤرخاً فذا درس في الأزهر مؤل العلم والتفكير على يد كبار المشايخ متخصصا في دراسة الفقه والحديث وعلوم الدين فأجاد على إثر ذلك الأدب ومهر النثر والنظم مما سمح له بتقلد وظائف عدة⁽⁵⁾.

2- العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية للمقرئ:

أ- تأثير شيوخه في كتابته التاريخية: بلغ عدد مشايخ تقي الدين المقرئ أزيد من ستمائة شيخ بدءا من حفظه القرآن الكريم وسماعه الحديث على يد جده من أمه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي

(1) العسقلاني : أنباء الغمر ، ج4 ، ص ص 187 - 188 .

(2) السخاوي : الضوء اللامع ، ج2 ، ص 21.

(3) تقي الدين المقرئ: إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تح : عبد الحميد المسني ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1999 ، مج1 ، ص 08.

(4) المقرئ: الخطط ، ج1 ، ص 6 .

(5) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ص 86 - 87.

الحنفي المعروف بسبط ابن الصائغ، كذا على يد البرهان الأمدي ، العزْدُ أبي اليمَن بن الكويك، النّجم بن رزين وشمس بن الخشاب والتّوّخي وابن الشّيخة، ابن أبي بن المجد، السّراج البلقيني، الرّيني العراقي الهيثمي والفرسيسي وغيرهم⁽¹⁾. يضيف السّخاوي قائلاً: "بل كان يزعمُ أنّه سمع المسلسل على العماد بن كثير ولا يكاد يصحّ وحجّ فسمع بمكّة من النّشاورى والأميوطي والشمس بن سكر وأبي الفضل النويري القاضي وسعد الدّين الأصفرين وأبي العباس بن عبد المعطي وجماعة وأجاز له الأسنوي والأدرعي وأبو البقاء السبكي وعلي بن يوسف الزرندي وآخرون ومن الشّام الحافظ أبو بكر بن المحب بن أبو العباس بن العزّ وناصر الدّين محمّد بن محمّد بن داوود وطائفة"⁽²⁾. من هنا نستنتج أنّ تقي الدّين المقرئ لم يكتفي بما حصله من علوم الأزهر بل جال وسافر إلى عدة بلدان طالبا العلم والمعرفة ، كما كان شائع بالنّسبة لعلماء عصره فرحل الى الشام والحجّ ليلتقي بكبار علمائهم وينهل منهم مختلف العلوم سواء علوم النقلية كالحديث الفقه أو العلوم العقليّة كالتاريخ والتراجم والسير كما سيتضح لاحقا. كثيرا ما اهتمّ علماء الحديث بشخص المقرئ ، ولذلك سنركز على ذكر بعض شيوخه الدّين أفاد منهم في علم التاريخ :

- ابن كثير (ت 774هـ/1372م): هو إسماعيل بن عمر بن ضوء بن زرع⁽³⁾ القيسي⁽⁴⁾ القرشي⁽⁵⁾ البصري⁽⁶⁾ ثمّ الدّمشقي ، الشافعي.اشتهر بمؤلفاته التاريخية التي ملكته. أبرزها: كتاب التاريخ البداية والنّهاية في التاريخ⁽⁷⁾.

(1) محمد بن عبد الرحمن السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، تح : نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى مر: سعيد بن عبد الفتاح عاشور، دط ، دار الكتب والوثائق القومية ومركز تحقيق التراث ، القاهرة ، 2002 ، ج1، ص 71.

(2) السخاوي: الضوء اللامع ، ج 2، ص ص 20-21 .

(3) محمد الزجيلي : ابن كثير الدمشقي(الحافظ ، المفسر ، المؤرخ ، المفسر) ، ط1 ، دار القلم للنشر، دمشق، 1995 ص 49.

(4) نسبة لقيس بن عيلان بن مضر، وقيس بطن من بطون بكر بن وائل من العرب وقيس قرية بصعيد مصر. جلال الدين السيوطي: كتاب لب اللباب في تحرير الأنساب ، ط1، مكتبة المثنى ، بغداد ، د ت ، ص215. نفس المرجع ، ص 49.

(5) نسبة لقريش من ولد النضر وهو فهر، ويقال : قيس أخو إلياس أبي بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني: كتاب عجاله المبتدى وفضالة المنتهى في النسب ، تح: عبد الله كنون ، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة 1973 ، ص103. نفسه ، ص 49.

(6) صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي (ت 739هـ/1339م): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع تح: علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1954 ، ج1، ص 201.

(7) محمد الزجيلي: المرجع السابق ، صفحات 50-51-151.

- ابن الفرات (ت807هـ/1404م): هو محمّد بن عبد الرّحيم بن علي بن الحسين بن محمّد الحنفي المشهور بابن الفرات الحنفي ، ولد سنة (735هـ/1334م) ، فالمعلومات عنه قليلة . لكن المؤكّد حسب المصادر اهتمامه بالتاريخ هواية . إذ ألّف مؤلّفًا في التاريخ قدره المقرئ بمئة مجلّدة مسودة ، بدأه من الهجرة وأنهاه سنة (803هـ/1400م) . حيث جاء في كتاب المقرئ " المققى " مايلي : " وتفقّه وكتب في التاريخ مسودة تبلغ المئة مجلّدة ، بيّض منها نحو العشرين ، وقفت عليها واستفدت منها "(1).

- ابن خلدون (ت808هـ/1405م): ولي الدّين أبو زيد عبد الرّحمن بن خلدون الحضرمي الاشبيلي وهناك دراسة مفصّلة عن شخصه . وما يهّمنا اشارات صاحب الترجمة لشيخه ، إذ وصفه في عدة مصنّفات قائلا : " كان أملي عليّ نسبه وأحال على ما ذكره ابن حزم "(2). ويضف قائلا : " حدثنا شيخنا أبو زيد قاضي القضاة وليّ الدّين عبد الرّحمن الحضرمي ابن خلدون... قال حدثنا شيخ المغرب في المعقولات .. "(3).

- ابن دقماق (ت809هـ/1406م): صارم الدّين محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن ايدير العلائي ، ولد في حدود (750هـ/1350م) ، ويبدو من كتاباته أنّه كان مقربا من السّلطان اظاهر برقوق . فلذلك ألّف في ميدان التاريخ . ومن مؤلفاته حسب المقرئ الذي أشار إلى كونه ألّف أزيد من مائتي سفر . أبرزها: كتاب الطبقات المعروف بنظم الجمان في طبقات أصحاب النعمان ، وكذا كتاب نزهة الأنام في تاريخ الاسلام ، كتاب ترجمان الزّمان ، كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، أمّا فيما يخصّ كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسّلاطين(4). يضيف المقرئ في كتابه "درر العقود" قائلا أن ابن دقماق ألّف كتاب أخبار الدولة التركية في مجلدين ، وأفرد سيرة الملك اظاهر برقوق ، وكتب طبقات الحنفية في أربع مجلّدات(5).

- الأوحدي (ت811هـ/1408م): أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان ، شهاب الدّين الأوحدي المقرئ ، المؤرّخ ولد بالقاهرة سنة (761هـ/1361م) ، فيما يخصّ التاريخ فقد قال عنه المقرئ

(1) المقرئ : درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تح: محمود الجليلي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 2002 ، مج1 ، ص ص 400-401 . ج3 ، ص 227.

(2) نفس المصدر ، ج2 ، ص383.

(3) نفسه ، ج2 ، ص404.

(4) إبراهيم بن محمّد بن ايدير العلائي المعروف بابن دقماق (ت809هـ/1406م) : الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسّلاطين ، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، مر: أحمد المسند دراج ، دط ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي المملكة العربية السعودية ، 1986 ، ص ص 13-15.

(5) المقرئ : درر العقود ، ج1 ، ص 101.

" واستفدتُ منه كثيرا في التاريخ ، وأعانني إليه بمسودات من خطّه في خطط القاهرة ، ضمنّتها كتابي الكبير المسمّى بكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"⁽¹⁾.

يؤكد بروكلمان كذلك في دائرة المعارف الإسلامية كتاب "الخطط" كونه من أهم الآثار المقرزية قائلا أنّه نقل معظم ما لم ينسب النّقل فيه عن كتاب الأوحدي وهو قول ظفر به السّخاوي ويعتبر قول حسن التأييد⁽²⁾.

ب- تأثير رحلاته في كتابته التاريخية: عُرِفَ المقرزي بحبّه للتّرحال من أجل اكتساب المعارف والعلوم وكذا التّفقه في أمور الشريعة والدّنيا فطاف أنحاء مصر ، وخالط كبار العلماء متلمذا على أيديهم أمثال ابن خلدون⁽³⁾. كما أنّه اتّصل بالملك الظاهر برفوق فدخل دمشق مع ابنه الناصر سنة (810هـ/1407م)⁽⁴⁾ ودام فيها عشرة سنوات متوليا عدّة وظائف ، ثمّ عاد مجدداً إلى القاهرة مكرّسا حياته للتأليف إلا أنه بعد 24 سنة قرر الحج إلى بيت الله الحرام سنة (834هـ/1430م) مع أفراد عائلته وبقي بمكّة خمس سنوات مُتّشغلا بالعلم إذ دخلها مرتين وظلّ بها مقيما حتّى سنة (839هـ/1435م) بعد ذلك عاد إلى مصر ليقضي فيها بقية حياته العلمية ويبرز كقامة في مختلف علوم عصره فكان من المكثرين والمجيدين وما ميزة عنهم إجاده التاريخ بفضل إطلاعه على أحوال وعادات وتقاليده الشعوب خاصّة المصرية ؛ فلزم داره بحارة برجوان ليؤلّف ثلّة من الرّسائل والكتب وغير ذلك⁽⁵⁾.

ج- تأثير ثقافته في كتابته التاريخية: كرّس تقي الدّين المقرزي حياته لكتابة التاريخ نتيجة تأثره بشيوخه ومؤرّخي عصره ، ويبدو أنّ التاريخ قد تمكّن شغاف قلبه فهو على غرار علماء عصره لم يترك أي مصنّف خارج ميدان التاريخ إلاّ ونهل منه ، بالمقابل ترك إنتاجا وفيرا من مصنّفاته التاريخية حفظ لنا من خلالها تاريخ الأمم والدول . وهذا ما يتركنا نوافق المستشرق كاترمير عندما حكم على المقرزي وولعه لتأليف التاريخ قائلاً: "إنّه لمن دواعي الدهشة حقاً أن نتصوّر مدى وأهميّة إنتاج المقرزي فهو قد ألقى ضوءاً ساطعاً في أبحاثه الواسعة التي لا تعرف الكلل وعلى كل ما يمسه التاريخ السياسي والأدبي

(1) المقرزي : درر العقود ، ج 1 ، ص 186.

(2) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 103.

(3) كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 476-477.

(4) الزركلي : الأعلام ، مج 1 ، ص 177.

(5) المقرزي: فضل آل البيت ، تح: محمد أحمد عاشور، ط 1 ، دار الاعتصام ، بيروت ، 1972 ، ص 5. كراتشكوفسكي :

المرجع السابق ، ج 2 ، ص 477.

للشرق وبوجه خاص مصر⁽¹⁾. كما يضيف ابن حجر العسقلاني قائلاً: " وأولُع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً"⁽²⁾.

فقد كتب مصنّفات في تاريخ الفاطميين والأيوبيين والمماليك فلامست مؤلفاته التاريخية مواضيع جغرافية وأحسن دليل على ذلك مؤلفه الشهير " الخطط " ؛ الذي يشمل التاريخ والجغرافيا على حدّ سواء فقد تكلم عن قيمة علم التاريخ قائلاً:"وبعد؛ فإنّ علم التاريخ من أجل العلوم قدراً وأشرفها عند العقلاء مكانةً وخطراً ، لما يخويه من المواعظ والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار والإطلاع على مكارم الأخلاق ليقندي بها واستعلام مدام الفعال ليرغب عنها أولو النهي... لا جرماً أن كانت الأنفس الفاضلة به وامقة والهمم العالية إليه مائلة وله ءاشقة. وقد صنّف فيه الأئمة كثيراً وضمن الأجلة كتبهم"⁽³⁾.

د-تأثير عصره والوظائف التي تولّاها في كتابته التاريخية: عاصر المقرئ منذ نشأته عصر سرى فيه الانحلال لجميع الأمم الاسلامية ، إذ شهدت مصر إثر ذلك مرحلة انتقالية بين النهوض والعتار ، ولكن المقرئ لم يولي اهتمامه بالتراث التاريخي المتّصف بالحروب والغزوات والتحوّلات السياسية وإنما اعتنى بنظمها وأخلاقها وتقاليدها فعمد إلى مادة جديدة ليستخرج تلك الاحداث من ظلمات الماضي ، ويعرض كل صورها السياسية والاجتماعية الفدّة ، ويلقي بمؤرّخ مصر السياسي والاجتماعي⁽⁴⁾ .

يعتبر المقرئ من المؤرّخين والعلماء المخضرمين عاصر الخلفاء العباسيين كما عاش في عهد المماليك الذين جلبوا كركيق من قبل الخلفاء العباسيين لخدمة الدولة العربية الاسلامية ، لكنهم استغلّوا ضعف وتردي الأوضاع آنذاك بسبب انغمار حُكّامهم بالملذات وانصرافهم عن الاهتمام بالدولة ، فلذلك قويت شوكة المماليك على حسابهم فضلا عن ذلك أطاحوا بالدولة الأيوبية وتصدّوا للمغول والصليبيين⁽⁵⁾ .

لكن وضع البيئة المصرية في عصر سلاطين المماليك سواء الاجتماعي أو السياسي كان مزريا حتّى قيل أن ذلك يعود لعاملين ، أولها طبقة المماليك في حد ذاتها تتسم بالانعزال فلم تحاول الاختلاط بالمجتمع المصري أو التأثير فيهم ، فلذلك أكثروا من جلب الرقيق للسّيطرة على زمام السّلطة من جهة أما العامل الثاني الحروب الصّليبية التي ساهمت في نمو العلاقات التجارية بين الشرق والغرب⁽⁶⁾ .

(1) كراتشكوفسكي : المرجع السابق، ج 2 ، ص 477.

(2) العسقلاني : إنباء الغمر، ج 4 ، ص 188.

(3) المقرئ: الخطط ، ج 1 ، ص 5.

(4) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 87.

(5) نفس المرجع ، ص ص 86 - 87.

(6) سليمان عبد الدايم الخطيب : فلسفة التاريخ عند المقرئ ، قسم الفلسفة الإسلامية ، كلية العلوم ، جامعة المنيا ، د

أول ما وليه المقرئ من الوظائف ؛ موقع (التوقيع) أو كاتب بديوان الإنشاء بالقلعة ؛ وهي وظيفة لها أهميتها في ذلك العصر لأنه لا يليها إلا من يتمتع بمواصفات معينة ومستوى راق من العلم والأسلوب تختص بتقديم الكتب الواردة إلى للقصر حيث مقر السلطان . ثم عين قاضيا عند قاضي القضاة الشافعي وتولى بعد ذلك الخطابة بجامع عمرو، ثم بمدرسة السلطان حسن ، ثم إمامًا لجامع الحاكم ، فمدرسا للحديث بالمدرسة المؤيدية ثم عينه السلطان برقوق محتسب القاهرة والوجه البحري سنة (ت801هـ/1396م) ثم عينه السلطان فرج بن برقوق قاضيا في دمشق ، تولى تدريس الحديث بالمدرستين الأشرفية والإقبالية بدمشق⁽¹⁾.

هـ- إسهاماته في الكتابة التاريخية: بدأ المقرئ التآليف في وضع موسوعة كبرى أسماها "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" ؛ وهي الموسوعة التي نسبت إليه وعرفت باسم خطط المقرئ حيث بدأ في كتابتها سنة (ت820هـ/1415م) ، وللمقرئ مؤلفا كثيرة ومتنوعة منها : كتب في التاريخ العام كمؤلف " الخبر عن البشر" ، وكتاب " الدرر المضية في تاريخ الدول الإسلامية " . وكذا كتاب "إمتاع الإسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع". كتاب "المقضي الكبير" ، دون أن ننسى كتاب " درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة " ، بالإضافة إلى تأليفه كتب حول تاريخ مصر السياسي وهي ثلاثة مؤلفات : كتاب "عقد جواهر الأسقاط في تاريخ مدينة الفسطاط" ؛ ويتحدث فيه عن تاريخ مصر الإسلامية إلى غاية العصر الفاطمي ، كتاب " إتعاط الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء تطرق فيه إلى مصر الفاطمية ، أمّا مؤلفه الثالث فهو "السُّلوك لمعرفة دول المماليك" ؛ أرخ فيه لتاريخ مصر منذ بداية الدولة الأيوبية حتى قبل وفاته سنة (ت845هـ/1440م) ، في حين نجده ألف كتابا صغيرة تعنى بمشكلة معينة في التاريخ الإسلامي : مثل كتابه "النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم" وكتاب " الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام" ، كذا كتاب "تراجم ملوك الغرب" وغير ذلك من الكتب التاريخية. كما ألقى الضوء على بعض الأوضاع المعاصرة مثل "البيان والأعراب بمن نزل لأرض من الأعراب" ؛ وهو يعرف من الدرجة الأولى بمختلف القبائل العربية المنتشرة في مصر أيام عصر المؤلف... وغيرها⁽²⁾.

و- تأثيره على تلاميذه : بعد أن أتم المقرئ علومه واستوعب فنونها المختلفة أخذ يسعى لنشرها بين الناس لينتفعوا بها كما انتفع هو من شيوخه العلماء والفقهاء وغيرهم . هكذا انتشر خبره وذاع صيته بين الناس ليصبح من العلماء البارزين في إقليم الدولة الإسلامية ، فبفضل مكانته العلمية التي كان يشتهر بها قصده الكثير من طلبة العلم والعلماء المعاصرين له ليأخذوا من علومه ومعارفه باعتباره عارفا بالفقهاء

(1) سليمان عبد الدايم الخطيب : المرجع السابق ، ص ص 28- 32.

(2) نفس المرجع ، ص ص 32- 33 .

والحديث والتاريخ وغيرها من العلوم. فضلا عن ذلك فقد اكتسب مكانة مرموقة بين طلبة عصره بعد أن اكتملت علومه وانتشرت تأليفه فرحلوا من كلِّ صوبٍ وحذب لينهلوا من هذا المعين الثري الذي لا ينضب مختلف العلوم، ومن أبرز تلاميذه في ميدان التاريخ : ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م)⁽¹⁾، ابن ظهير أحمد بن محمد بن محمد القرشي المكي (ت885هـ/1480م)⁽²⁾، أحمد بن إبراهيم بن نصر الله العسقلاني (ت876هـ/1471م)⁽³⁾، الذي أخذ التاريخ عن المقرئ، قاسم بن قطلوبغا (ت895هـ/1490م) ابن أعين ابنه شهاب الدين المقرئ⁽⁴⁾. كما نهل منه ثلثة أخرى علوم عدة أبرزهم: إبراهيم بن علي بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن أبي السعود القرشي المخزومي المكي الشافعي (ت890هـ/1485م)، عالم الحجاز الذي أجاز المقرئ⁽⁵⁾. أبو بكر بن علي بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة الفخر القرشي الشافعي (ت889هـ/1484م)⁽⁶⁾ أجاز كذلك المقرئ. حسن بن عطية بن محمد بن أبي الخير محمد بن

(1) ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م): يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، جمال الدين المعروف بأبي المحاسن ، مؤرخ مصري من أهل القاهرة مولدا ووفاء ، نشأ على يد قاضي القضاة جلال الدين البلقيني ، ولع في علم التاريخ. صنف عدة مؤلفات أهمها كتاب النجوم الزاهرة ، المنهل الصافي ، البحر الزاخر في علم الأوائل والأواخر. الزركلي: الأعلام ، ج8 ، ص ص 222-223.

(2) ابن ظهير القرشي المكي (ت885هـ/1480م): هو محمد بن محمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة الكمال أبو الفضل بن الشهاب المخزومي المكي الشافعي ، ولد سنة (756هـ/1356م) بمكة حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية سمع من عدة شيوخ أبرزهم : العز بن جماعة ، التقي البغدادي .. وغيرهما كثر. كما رحل إلى دمشق فسمع من نفر آخر مثل : الحافظ بن الشمس المخب وابن القطر وأجازوه ، مات في صفر سنة (885هـ/1480م)، وقيل أجاز لأولاده والمقرئ في عقوده. السخاوي: الضوء اللامع ، ج6، ص315.

(3) أحمد بن إبراهيم بن نصر الله العسقلاني (ت876هـ/1481م): أحمد بن إبراهيم بن نصر.. الكنانى العسقلانى المصرى الحنبلى، ولد سنة (800هـ/1395م) بالمدرسة الصالحية من مدينة القاهرة إذ حفظ القرآن الكريم ظل ينتهل العلم في عدة مناحي ليؤلف عدة تأليف أهمها: أرجوزة شرح الفية بن مالك ، أرجوزة في أصول الدين.. وغيرها توفي سنة (876هـ/1481م). جلال الدين السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1927 ، ص 31.

(4) المقرئ: الخطط ، ج1 ، ص6.

(5) السخاوي : الضوء اللامع ، ج1 ، ص ص 88-89 .

(6) بن ظهيرة الفخر القرشي الشافعي (ت889هـ/1484م): أبو بكر بن علي بن أبي البركات بن أحمد بن عطية بن ظهيرة الفخر القرشي الشافعي، كما لازم أخاه البرهان في الفقه، وسمع من كبار المشايخ أمثال : التقي بن فهد والبلقيني وابن مرزوق وغيرهم . ترك لنا آثارا عدة أبرزها مصنف " كفاية المحتاج " و " غنية الفقير ". حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول ، تح: أكمل الدين إحسان أوغلو وآخرون ، طبعة منظمة المؤتمر الاسلامي، استنبول ، دت، مج1 ، ص 84. السخاوي : الضوء اللامع ، ج1 ، ص ص 58-60 .

فهد الهاشمى (ت894هـ/1488م) أجازه المقرئى. وكذا حسين بن حسن بن حسين بن علي بن محمد بن حسن الغازى بن أحمد الجمال أبو محمد الشرف الشيرازى سمع على المقرئى أول صحىح البخارى بعد أن حدثه بكتاب المسلسل،بالإضافة عبد الرحمان بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي ويعرف بالتقى القلقشندى، الذى أحضر على المقرئى بالرشاوية⁽¹⁾.

ز - وفاته : اتضفق المؤرخون على أن وفاة المقرئى كانت يوم الخميس 16 رمضان 845هـ الموافق لـ 22 كانون الثانى 1441م ، أمّا سبب الوفاة فيشير السّخاوى إلى ذلك قائلاً : " مات ... بعد مرضٍ طويلٍ وذلك على ما قاله شيخنا تكلمة ثمانين سنة من عمره " ، ودُفن بالقاهرة خرج باب النّصر ، يبدو أن وفاته جاءت نتيجة لطول تعاقب السنين عليه⁽²⁾ .

3-دراسة المصدر " كتابُ المواعظ والاعتبارُ بذكر الخطط والآثار":

أ. وصفُ الكتاب (طباعة ونشر) : كتاب " الخطط " لتقى الدين القريزى هو كتاب خطط عامّة وتاريخ مصر خاصّة تناول فيه أخبار مصر وأحوال سكانها ، فأرخ فيه للمدن المصرية ومعالمها من مساجد ومدارس وأسواق وغيرها. كما يعتبر الكتاب من أوائل الكتب التي أخرجتها مطبعة بولاق بالقاهرة التي أصدرت طبعة كاملة له سنة (1270هـ/1835م) ؛ عبارة عن مجلدين ، ويجدر بالذّكر أنّ الباحثة الفرنسية جاستون ويت(WIET) سنة (1887-1971م) قامت بنشر الكتاب نشرًا علميًا ، فأعيد على إثر ذلك طباعة أجزاءه في القاهرة عن طريق مطبعة المعهد الفرنسي للآثار ما بين (1911-1923م). إذ صرّح الأستاذ الدكتور مصطفى زيادة على الدور الذي لعبه المسيو جاستون فيبيت في إخراج خطط المقرئى الذي أخذ ثلثي عمره وهو يدرس ويبحث في الكتاب⁽³⁾.

ب.توثيق عنوان الكتاب ونسبه لمؤلفه: أكّد عدة مؤرخين شغف المقرئى في البحث والكتابة قبل تقلّده لمناصب سياسية في بلاط الدولة المملوكية خاصة زمن الظاهر برفوق⁽⁴⁾الذي أولى عناية شديدة بالتدوين

(1) بلقيس عيدان لويس الربيعي: المقرئى منهجه وموارده في كتاب اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد، 2007، ص ص 138 - 143.

(2) نفس المرجع ، ص 68 .

(3) يسرى عبد الغنى عبد الله : معجم المؤرخين المسلمين ، ص ص 171 - 173. يسرى عبد الغنى عبد الله : المقرئى خلدوني يكتب عن الخطط والملوك ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية -مجلة محكمة دورية - ، الجزائر ، ماي 2016 ، ع5 ، ص207.

(4) الظاهر برفوق: أول سلاطين الدولة المملوكية الثانية (784-801هـ/1384-1399 م) ، عمد توليه الحكم على إرساء قواعد دولته ، ظل طول حكمه مكافحا للأتراك . البدر العيني: السلطان برفوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة (784-801/1384-1399م) من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر العيني ، تح: إيمان عمر شكري ط1، مكتبة مدبولي للنشر- دار الصفوة للطباعة ، القاهرة ، 2002 ، ص72.

وابنه الملك النَّاصر فرج⁽¹⁾. إذ يصرِّح على إثر ذلك بنفسه في مؤلفه قائلاً: "فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة ، وجمعتُ من ذلك فوائدَ قلَّ ما يجمعها كتابٌ أو يحويها لغزتها وغرابتها إهاب"⁽²⁾. وهذا يدلُّ على أنَّه جمع المعلومات من باب التقصي وليس تنفيذاً لفكرة وضعت له أو وضعها بنفسه مؤكداً أنَّه ليس السَّبَّاق لتدوين تاريخ مصر مطلقاً على المؤلف تسميته المعروفة بعد إشارته لآثار مصر والمركز الذي تحتله طوبوغرافيا ومحلياً. إذ يقول في نهاية هذا المقطع مايلي: " فلهذا سمَّيته كتابَ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار". وبذلك لا نحتاج جهداً لتوثيق العنوان ونسبة الكتاب للمؤلف⁽³⁾.

ج. مضمونُ الكتاب والهدفُ من تدوينه: ما يعرفُ بالخطط المقرئية نسبة لمؤلفه تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ؛ سنتطرق لدراسة هذا الكتاب من حيث ثمانية رؤوس كما تعرف لدى المعلمين القدامى وهي : الغرض والعنوان، المنفعة ، مرتبة وصحة الكتاب⁽⁴⁾ ومن أي صنف وعدد الأجزاء كذا التعاليم الموجودة فيه.

- **الغرضُ والعنوان :** فالغرض من تأليف هذا الكتاب هو جمع ما تفرَّق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها ، أمَّا عنوان الكتاب فيقول المقرئ في هذا الصدد أنَّه وجد أخبار مصر مختلطة متفرقة فلم يتهياً له أن يجعل وضعها مرتباً على السنين، فهذا جاءت مرتبة على شكل فصول ، فاحتوى كلُّ فصل على ما يلائمه فجمع ما تفرق من أخبار مصر.

- **منفعته :** هو أن يعيش القارئ في زمن قصير على ما كان في أرض مصر من الأحداث والتغيرات في الأزمنة والأعوام الكثيرة .

- **مرتبته وصحته :** فتظهر من خلال قسمي العلم وهما النقلى والعقلى؛ أي ما نقل من أحداث التي وقعت في مصر وكيف يتم تدبر مواعظها ، والكتاب ينتمي إلى علم الأخبار.

- **أجزاء الكتاب والتعاليم :** فهي سبعة مسترسلة على النحو الآتي : استهل المقرئ كتابه بمقدِّمة تشمل عدة أفكار استقاها من واقعه المعاش ، كما شملت الخطة المعتمدة في طياته . إذ افتتح مقدِّمته بعبارات دينية من القرءان الكريم والسنة النبوية كقوله : " الحمدُ لله الَّذي عَرَفَ وفهم وعلم الانسان ما لم يكن يعلم". ويضيف قائلاً : " صَلَّى اللهُ على سيدنا محمَّد عبده ورسوله وبنيه وخليته ، سيِّد البشر ". وبعد

(1) الملك الناصر فرج: سلطان مملوكي تولى عرش مصر بعد وفاة والده ، سادت فترة حكمه اضطرابات وفتن ما بين (801-808هـ/1399-1404م) . البدر العيني : المصدر السابق، ص ص 29-34.

(2) المقرئ : الخطط ، ج1، ص6. محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص88. (للمزيد من المعلومات ينظر إلى الملحق رقم01).

(3) نفس المصدر ، ج1، ص6.

(4) نفسه ، ج1 ، ص ص 8-9 .

إيراده للصيغة المعتمدة عند جلّ المؤلفين يتوّغل في جوهر الموضوع قائلاً : " وبعد ؛ فإنّ التاريخ من أجل العلوم قدراً وأشرفها عند العقلاء مكانةً وخطراً ، لما يحويه من المواعظ والانداز بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار والإطّلاع على مكارم الأخلاق لتتهدي واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولو النهي"⁽¹⁾. ثم يتناول المجال المكاني الذي يمثّل مكان الدّراسة ألا وهي القاهرة ومصر بالذّات ، حيث يشير إلى ذلك بالقول: "وكانت مصر هي مسقط رأسي وملغب أترابي ومجمع ناسي ومغنى عشيرتي وحامتي ، وموطن خاصتي وعامتي..". أمّا عن القاهرة فيضف قائلاً : "وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع ..."⁽²⁾ .

كما أشار إلى مخطط الكتاب الذي يحوي سبعة أجزاء على النحو الآتي؛ أولها : يشمل جملة من أخبار أرض مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها. ثانيها : يشتمل على مدنها وأجناس أهلها. ثالثها : يشتمل على أخبار فسطاط مصر ومن ملكها. رابعها : يشتمل على أخبار القاهرة وخلائقها وما كان لهم من آثار. خامسها : يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الأحوال . سادسها : تطرّق إلى ذكر قلعة الجبل وملوكها. سابعها : يشتمل إلى ذكر أسباب التي أدت إلى خراب مصر، أمّا من حيث التعاليم التي قصدت في هذا الكتاب فيقول المقرئزي أنه سلك ثلاثة أنحاء وهي: النقل من الكتب المصنفة في العلوم ، والرّواية عن من أدرك من شيخة العلم وجلة الناس والمشاهدة لما عاينه ورآه⁽³⁾.

لم يقتصر المقرئزي في كتابه على الخطط فقط بل أرخ لمصر من خلالها معرفة ومتتبعا لحكامها من ملوك وسلاطين وخلفاء وأمراء وبأحوالها⁽⁴⁾. يُمكننا القول أنّ كتاب الخطط لم يشمل فقط تاريخ وآثار مصر والقاهرة ، بل تعدّى ذلك حتى أطلق عليه الموسوعة المقرئزية ؛ لكونه تطرّق لمختلف ميادين الحياة السياسية والعمراينة والدّينية لكل أنحاء مصر ، كما أن اطاره الرّماني جد طويل امتدّ من عهد الفراعنة إلى غاية عصر المؤلّف، فقد جمع المؤلّف بين العديد من المباحث التاريخية والأثرية والجغرافية واللغوية والفقهية والاقتصادية والاجتماعية⁽⁵⁾.

بدأ المقرئزي تدوين مؤلفه بين سنتي(818-825 هـ/1415-1422م) ودام في تحريره إلى قبل وفاته بسنتين وإن كان تاريخ وفاته سنة(845هـ/1445م) هذا يعني استمر إلى غاية (843هـ/1441م)

(1) المقرئزي: الخطط ، ج1، ص 05.

(2) نفس المصدر ، ص06.

(3) نفسه ، ص 10 .

(4) خلدون خليل الحباشنة : المقرئزي ومنهجه في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مجلة دراسات ، 2019 ، مج 46 ، ع 02 ، ص ص 287-288 .

(5) محمد كمال الدين عز الدين : المقرئزي مؤرخا ، ط1، عالم الكتب ، بيروت ، 1990 ، ص 147.

وقد وافق تدوينه لكتاب المواعظ كتابته لمؤلفات أخرى ، أمّا المؤرّخ غيبت فيجعل نهايته سنة (840هـ/1436م). فيما أنّ المقرئ لم يذكر تاريخ تدوينه للكتاب في مقدمته ، فإنّ المؤرّخين توجهوا للاستنتاج من خلال دلائل ذكرت في طيّات المؤلف⁽¹⁾. فقد تعددت الدلائل التي تؤكد تدوين المؤلف خلال الفترة محلّ الدراسة. ومن أبرز ما قيل : " قال مؤلّفه : وكان بأرض مدين عدّة مدائن كثيرة وخربت وبقي منها إلى يومنا هذا - وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة - نحو الأربعين مدينة قائمة ، منها ما يعرف اسمه ، ومنها ما قد جهل اسمه "⁽²⁾. يعني بذلك أنّ أرض مدين تشمل مجموعة من المناطق التي تعرّضت للدمار والخراب سنة (825هـ/1425م) والبعض منها معلوم الاسم والبعض الآخر مجهول. - قوله : " ثمّ لم استبد الملك المؤيد شيخ بالمملكة جلس أيضا للنظر في المظالم كما جلسا ، والأمر على ذلك مستمر إلى وقتنا هذا ، وهو سنة تسع عشر وثمانمائة "⁽³⁾. أي كان تغيير الملك على يد الملك المؤيد تغييرا للقضاء الذي كان سائدا قبل فترة حكمه إذ اعتلى مجلس المظالم بأسلوب شبيه بما هو سائد بعد فترة عصره.

د. أسلوبه : يتميز أسلوب المقرئ بعدّة ملامح نذكر منها :

- السهولة والوضوح والبعد عن ذكر الألفاظ الغريبة: كما أنّه ذكر في مقدمته سبب تسميته كتابه المذكور آنفا قائلا: "لهذا سميت كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"⁽⁴⁾.
- استخدامه لأسلوب الإيجاز والاختصار وعدم التكرار، وذلك باستعمال أسلوب الإحالة بنوعها المتقدم والمتأخر؛ أي حالة النصوص متأخرة إلى النصوص متقدّمة وإحالة نصوص متقدمة إلى نصوص متأخرة ومن ذلك قوله: " فالهواء تغير كفيته على ضربيني وأحدهما غيره الذي جرت به العادة، وهذا لا يحدث مرضا واحدا وليس تغيرا ممرضا والثاني التغير الخارج عن مجرى العادة ، وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد"⁽⁵⁾؛ وهي إحالة متأخرة. وكذا قوله: " فأمر باحضر جماعة كتامة فدخلوا عليه وهو راكب فرسه فقال ما هذا الجواب الذي صدر عنكم فقالوا هذا جواب جماعتنا ما كنا يا مولانا "⁽⁶⁾؛ وهي إحالة متقدمة، وللاحالات دور هامّ إذ تساهم في اتساق النصوص وترابطها وتماسكها وتجنب التكرار من جهة ومن جهة أخرى ترابط الجمل والأحداث السابقة باللاحقة.

(1) كراتشوفسكي: المرجع السابق ، ج2، ص 481.

(2) المقرئ : الخطط ، ج 1 ، ص 528.

(3) نفس المصدر ، ج 3 ، ص 53.

(4) نفسه ، ج 1 ، ص 6.

(5) نفسه ، ج 1 ، ص 142.

(6) نفسه ، ج 2 ، ص 35.

• نقل وسرد الأخبار والأحداث مع اختيار عناوين للأخبار ضمن خطة الكتاب: تميز المقرئى بتقننه فى سرد الأخبار التاريخية، وذلك بانتقائه للمفردات والعبارات ذات الدلالة سواء فى افتتاحيته لذكر الأحداث أو خاتمتها مرفقا لكل خبر عنوان خاص ضمن خطة المؤلف وأهدافه ومن العبارات التى ذكرت قوله " اعلم أن " وجاء ذلك فى العبارة التالية على سبيل الأمثلة: " وذلك عندما ذكر خدود مصر وجهاتها اذ جاء فى بداية الخبر قوله اعلم أن التحديد هو صفة المحدود على ما هو عليه"⁽¹⁾. وكذا قوله " والله اعلم " فى العبارة التى اختتم فيها خبر ذكر البحر الرؤمى الذى ظن أنه غير صحيح بقوله: " فإن أخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره فى الدهر الأول قبل اسكندر بزمان طويل ... وإلا فزمان اسكندر حادث بعد كون هذا البحر والله اعلم"⁽²⁾. وجاءت مقولة " وهذا ما قيل والله أعلم" فى العبارة التى تحدث فيها عن الطوفان الذى شهدته مصر قائلا: " وهذا ما قيل - والله أعلم- أنه كان قبل الطوفان وأن الطوفان الذى كانوا يرقبونه.."⁽³⁾. وأيضا مقولة " نسأل الله حسن الخاتمة" فى العبارة التى تناول فيها الهلاك الذى أصاب بلاد الصعيد قائلا: " ثم دمر فى أيام المؤيد الشيخ فلم يبق منه إلا رسوم تبذل الولاية الجهد فى محوها نسأل الله حسن الخاتمة"⁽⁴⁾، كما قيل " والله عاقبة الأمور" التى ذكرت أثناء تحديد التاريخ عن عند أهل العراق وبلاد العجم وأشار الى ذلك بالقول: " وعلى هذا التاريخ يعتمد فى زماننا أهل العراق وبلاد العجم والله عاقبه الامور"⁽⁵⁾... وغيرها.

بالعودة إلى طيات المؤلف فإننا نستنتج أن المقرئى كانت طريقته فى تدوين الأحداث بالنظام الموضوعى مع وضع عناوين وتناول أحداثها بالتفصيل والإيجاز من حين لآخر. كما أورد المقرئى فى رواياته العديد من الأبيات الشعرية التى استشهد بها فاستخدم العديد منها خلال رواياته تدليلا على صحة الأخبار والأحداث وتوضيح معانيها فكان أحيانا أخرى يشير إلى اسم قائل البيت، ومن ذلك: ممّا أنشده المقرئى قائلا فقلت فى ذلك شعرا أن تكتب للمعتضد فى هذا المعنى:

يوم نوروزك يوم واحد لا يتأخر
من حُزيران يوافق أبدا فى أحد عشر⁽⁶⁾

- ممّا قال الشعراء فأنشد ابن السيرة الشاعر عن الملك الصالح الذى دفن بقاعة شيخ المالكية مايلي:

(1) المقرئى: الخطط ، ج 1 ، ص 46. خلدون خليل الحباشنة: المرجع السابق ، ص 291.

(2) المقرئى: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 53.

(3) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 123.

(4) نفسه ، ج 1 ، ص 534.

(5) نفسه ، ج 1 ، ص 788.

(6) نفسه ، ج 1 ، ص 763.

بنيت لأرباب العلوم مدارساً
لتنجُو بها من هول يوم المهالك
وضاقت عليك الأرض لم تلقَ منزلاً تمل به إلا إلى جنب مالك⁽¹⁾

- ممّا لم يذكرَ قائله: وهذا البيت زعموا قديماً لا يدري قائله:

أترجو أمّه قتلت حسينا شفاعته جده يوم الحساب⁽²⁾

ثمّ أورد صياغاً لربط المادة التاريخية دون تحديد للعناوين أو المواضيع بشكل محدد ومعلوم كقوله: وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب⁽³⁾، وقوله أيضاً: "وسائر هذه الأقسام مذكورة أخبارها في هذا الكتاب تجدها إن أنت تأملته..." وغيرها⁽⁴⁾. والمتأمل للكتاب فإنّه يلاحظ تغيراً طرأ على خطة المؤلف قرب نهايته، ففي المقدّمة يشير أنه رتب كتاب الخطط على سبعة أجزاء؛ وكلّ جزء يشمل أقسام عدّة لكن الجزء السابع فقط سقطت أقسامه والذي كان موضوعه معالجة أسباب خراب إقليم مصر وإنّما نجده مدوّن في صفحتين نهاية الكتاب بالصّبط الجزء الرابع صفحتين (1087-1088)⁽⁵⁾.

كما أن الاشارات إلى الخراب كانت بين طيات الأجزاء الأخرى كقوله في الجزء الأوّل " فيجيء الخلل كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى عند ذكر أسباب الخراب"⁽⁶⁾، وكذا في الجزء الثالث يتناول ذلك قائلاً: "وهم أحد أسباب خراب الاقليم، كما بين في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الأسباب التي أوجبت خراب الاقليم"⁽⁷⁾.

• استخدام الأسلوب القصصي: شاع في عصر المقرئزي مناقشة الأحداث والمسائل بمختلف مجالاتها بأسلوب قصصي خرافي رغم أنّ النّقد في التاريخ يتزامن مع ذلك يتناوله لا يمكن للعقل البشري تقبلها تحدّث عن شجرة إذا هددت تذبذب قائلاً: "ومن عجائبها أنّ بصعيدها ضيعة تعرف بدشني فيها فيها سنطة إذا هددت تذبذب وتجمع وتضمّر، فيقال لها قد عفونا عنك وتركنك فتراجع"⁽⁸⁾.

كما نقل قصة عن المسعودي وكعب الحبار عن نهر النيل على أنّه ينبع من الجنّة أو نهر في الجنّة؛ فالمسعودي يقول: "نهر النيل من سادات الأنهار وأشرف البحار، لأنّه يخرج منها الجنّة"، أما

(1) المقرئزي: الخطط ج 4، ص 219.

(2) نفس المصدر، ج 2، ص 427.

(3) نفسه، ج 1، ص 209.

(4) نفسه، ج 1، ص 280.

(5) نفسه، ج 4، ص ص 1087-1088.

(6) نفسه، ج 1، ص 290.

(7) نفسه، ج 3، ص 89.

(8) نفسه، ج 1، ص 103.

كعب الأحبار فيقول : " أربعة أنهار من الجنة وصفها الله في الدنيا: النيل نهر العسل في الجنة.."⁽¹⁾ وغيرها .

اقتسبت من الكتاب قصتين لا ينتقد المقرئزي روايتهما أو يشكك فيهما؛ وهذا يدل على اقتناعه بما قيل أو ما سمعه من غرائب وعجائب ، بل أحيانا يسعى إلى إثبات مدى صحتها بالدفاع عنها ، ومن ذلك قصة جلب أعمدة ضخمة من أسوان إلى الإسكندرية ؛ فالأول تحت إبط البتون بن مرة العادي، والثاني جاء به جحدر بن سنان الثمودي ويؤكد الفكرة التي دونها قائلا : " وكأني بمن قل علمه ينكر على إيراد هذا الفصل، و يراه من قبيل المحال ومما وضعته القصاص ويجزم بكذبه... واسمع قول الله تعالى عن عاد قوم هود: واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح، وزادكم في الخلق بسطة"⁽²⁾.

- وصف احوال المجتمعات والممالك: وصف المقرئزي في كتابه الأوضاع التي وصلت إليها الممالك السلطانية منتقدا ذلك بشدة قائلا: " فبذلت الأرض غير الأرض وصارت الممالك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدرا وأشحهم نفسا..."⁽³⁾.

ويصف في وصفه للانحطاط الذي عرفته الجيوش تزامنا مع تدهور أوضاع الدولة بميدان الحراسة قائلا: " وكان من رسمه أنه هو الذي يمشي الحراسة السلطانية في الموكب حالة السرحة وفي مدة السفر، ثم انحطت اليوم هذه الرتبة وصار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى"⁽⁴⁾.

فأثناء وصفه للصفوية انتقد كذلك ممارساتهم التي ما دلت على التصوف المعروف إذ يقول عنهم قوم يفتنون بلباسهم الذي ينسبون إليه من جهة ومن جهة أخرى يتمتعون بصفات سيئة كالغرور والغلط ويسيروا على نهج أهل الاباحة متزعمين الامتثال لما أمر به الله تعالى⁽⁵⁾. كما تميّز بوصفه للملوك والخلفاء الفاطميين ذاكراً خصالهم كقوله عن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي: " وله علم ، وعنده دهاء ومكر"⁽⁶⁾.

هـ - منهج المؤلف: اشتهر فن تدوين الخط كثيرا في العصر الوسيط ؛ فهو يعتبر من أبرز أنواع الكتابات التاريخية الجغرافية الطبوغرافية التي ذاع صيتها في العديد من البلدان الاسلامية ، إذ لم يكن

(1) المقرئزي: الخطط ج1، ص 152.

(2) نفس المصدر ، ج1، ص450. سورة الأعراف ، الآية 69 .

(3) نفسه ، ج3، ص67.

(4) نفسه ، ج3، ص89.

(5) نفسه ، ج3، ص568. خلدون خليل الحباشنة: المرجع السابق، ص 289.

(6) المقرئزي: المصدر السابق ، ج2، ص29

المقريزي السبّاق لهذا النّمودج وإنّما سبقه في ذلك ابن الخطيب البغدادي (ت463هـ/1071م)⁽¹⁾، كذا ابن عساكر (ت571هـ/1167م)⁽²⁾... وغيرهما.

وممّن أشار إليهم في مقدّمته قائلاً: " أو من ربّب خطط مصر وآثارها ، وذكر أسبابها في ديوان جمعه أبو عمر ابن يوسف الكندي⁽³⁾، ثمّ كتب بعده القاضي أبو عبد الله محمّد بن سلامة القضاعي.."⁽⁴⁾. حتّى اكتملت معالمه على يد المقريزي في كتابه " الخطط " ؛ الذي اقتبست منه عدّة مدوّنات وكتب تاريخية⁽⁵⁾.

فبالعودة إلى مقدّمته كتابه فإنّنا نقف على تصريح المؤلف بأنّه سيتتبع منهج معتدل في التعامل مع الأخبار، لكون السرد لا يوفي بغرض الكتاب متعهدا بعدم الاطناب والاستطراد في سرد الأخبار قائلاً: "وأنتشر خلال ذلك نكتا لطيفة وحكما بديعة شريفة من غير إطالة ولا إكثار ولا إجحاف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين بين"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ابن الخطيب البغدادي : أبي بكر بن أحمد بن علي بن ثابت المشهور بابن الخطيب البغدادي ، ولد سنة (392هـ/1001م) في أسرة ذات علم وجاه . فقد ساهمت رحلاته في اتساع أفق تعلمه ليتفرغ للتدوين . ومن أهم ما دونه في علم التاريخ كتاب " تاريخ مدينة السلام"، كتاب آخر في تاريخ بغداد. أبي بكر بن أحمد بن علي بن ثابت المشهور بابن الخطيب البغدادي(ت463هـ/1071م): تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطنها العلماء من غير أهلها ووارديها، تح: بشار عواد معروف ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2001، مج1 ، ص ص 5- 8.

⁽²⁾ ابن عساكر(ت571هـ/1167م) : علي بن الحسين هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، المشهور بابن عساكر، ولد سنة (499هـ/1105م) استجاز له أهله وهو طفل ، كما أجازته عدد من شيوخه الذين وصل عددهم أزيد من 290 شيخ كما أن رحلاته كانت السبب في تكوين ثقافته العلمية حتى دوّن إثر ذلك عدة مؤلفات تاريخية (حقل المعاجم) منها : معجمين الأول مختص في الرجال والثاني في النساء .. وغيرها. طلال سعود الدعجاني: موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق ، ط1 فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، المملكة العربية السعودية ، 2004 ص ص 37-70.

⁽³⁾ أبو عمرو بن يوسف الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ، مؤرخ مصري ولد سنة (268هـ/881م) انتهل التأليف فألف كتاب أخبار قضاة مصر ، خطط مصر، فضائل مصر إلى غاية وفاته سنة (358هـ/968م). البغدادي: هدية العارفين، مج2 ، ص46.

⁽⁴⁾ أبو عمرو محمد بن سلامة القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة... بن مسلم القضاعي مؤرخ ومفسر شافعي ، اعتلى مناصب عدة منها كاتباً للوزير الجراجرائي ، كما تولى القضاء بمصر إلى غاية وفاته سنة (454هـ/1062م) ، ألف عدة مؤلفات أبرزها: كتاب " الشهاب في المواعظ والآداب " ، " مناقب الامام الشافعي " ، " خطط مصر" ... وغيرها. ابن خلكان وفيات الأعيان ، ج4 ، ص212.

⁽⁵⁾ المقريزي: الخطط ، ج1 ، ص 11.

⁽⁶⁾ نفس المصدر ، ج1، ص06.

والدليل على انتهاجه لهذا المنهج العبارات التي تناولها والجمل المختصرة عن أحداث عايشها او استقاها من أمّهات الكتب كقوله: "وله خبرٌ طويلٌ عنهم ملخصه ما أنت تراه"⁽¹⁾. وقد ذكر ذلك عندما أشار إلى عيد الصّليب ، وهو من الأعياد التي استحدثت وتعود إلى ظهور الصّليب على يد هيلانة أم قسطنطين. وفي موضع آخر يقول: "ولهم في ذلك أعمالٌ مذكوره في أخبار بغداد"⁽²⁾.

انفرد المؤرخ في كتاباته عن معاصريه على قدرته العالية في سرد الأخبار التاريخية، وليس ذلك فقط وإنما تقييمه أثناء ذلك للمجتمعات والمناطق والمراكز الحضارية بالايجاب والسلب بطرق مباشرة وغير مباشرة . ومن الدلالات التي وقفنا عليها مايلي:

- قوله: " وكان أميرًا كبيرًا مقدما عظيما في الأكراد الهكارية وافر الحرمة عند الملوك ، معدودا بينهم مثل واحد منهم . وكان مع ذلك عالي الهمة، غزير الجود ، واسع الكرم ، شجاعا ، أبيّ النفس ، تهابة الملوك وله الوقائع المشهورة، وهو من أمراء دولة صلاح الدين يوسف"⁽³⁾. وذلك عندما تحدث عن خصال الأمير عماد الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسين علي بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب.

- قوله أيضا: "فلم يتأخر أحد من الأمراء والأعيان عن جنازته، وكان حسن السياسة رضي الخلق كثير السكون، جيد السّيرة جميل الصورة حسب الهيئة عارفا بأمر دنياه محبا للمداواة صاحب باطن قليل العلم - رحمه الله-"⁽⁴⁾؛ يعني بذلك أنّ كاتب السّر عبد الواحد بن اسماعيل ابن ياسين الحنفي عرف بخصاله الحميدة ففي يوم وفاته رثاه ثلّة من معاصريه موصّحين علاقته بالسلطة الحاكمة.

فبالعودة إلى إسهامات المقريزي في كتابه فإننا نقف على تطور مناهج الفكر عنده ، وما نلاحظه مايلي:

- قدرة المقريزي على التجرد عن الأهواء وأمانة العرض وعدم التعصب لرأي أو التميز لفكر مع عفة القلم واحترام الغير؛ بالرغم من أنّ عصره شاع فيه التحاسد والاساءة لبعضهم البعض إلا أنّ المقريزي بالمقارنة لهم كان أكثرهم اعتدالا ، وأبعدهم عن الاستجابة للأهواء والنزوات .

- الدقة وحب الاستقصاء والرغبة في معرفة أسباب وعلل الأحداث التاريخية .

- الابتعاد عن الاستطراد ؛ أي الانتقال من موضوع لآخر.

(1) المقريزي: الخطط ، ج 1 ، ص 738.

(2) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 117.

(3) نفسه ، ج 1 ، ص 604.

(4) نفسه ، ج 2 ، ص 533.

- الاهتمام بأخبار المجتمعات إلى جانب متابعة الأوضاع مركزا على تدوين التاريخ مع ذكر أخبار الحكّام والفئات المرموقة على غرار تعرضه لعامّة الناس .

- عدم مدهانة الحكام: خاصّة وأنّ المقرئى تخلى عن الامتثال للطبقة الحاكمة ، باعتبار عصره سادت فيه الاضطرابات السياسية⁽¹⁾.

و. مصادر الكتاب: قسّم المقرئى مصادر محتوى مادّته التاريخية على النّحو الآتى:

1- القرآن الكريم: استشهد المقرئى بمجموعة من الآيات القرآنية لكي يعطي شرعيّة ومصادقيّة وتدعيم

شرعي لمجموع المعلومات والأحداث التي ذكرت في طيات المؤلف ومن الاشارات التي أشار لها :

- تناول مواضيع تعود إلى عصور قديمة عندما تحدث عن ضخامة أجساد أقوام عاشت مصر ذاكرة الانجازات الحضارية مستشهدا بآيات قرآنيّة في المواضع التالية :

- عن زيد بن أسلم : بلغني أنّ الصّبعة وأولادها ريين في حجاب عين رجل من العماليق . وقال تعالى :
" ألم تر كيف فعل ربك بعادٍ ، ارم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد"⁽²⁾.

- تناول قصّة سيّدنا يوسف عليه الصّلاة والسّلام مُستدّلا على ما جاء بلسان أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد السبنجي قال : " خرج يوسف عليه السلام يتلقى يعقوب عليه السلام وركب أهل مصر مع يوسف وكانوا يعظّمونه " . وذلك استنادا للآية الكريمة بعد قوله تعالى : " فلما دخلوا على يوسف ءاوى إليه مصر وقال ادخلوا مصر إن شاء الله ءامين "⁽³⁾... وغيرها من المواضع.

2- المشاهدة والمعاصرة للأحداث : أشار في معرض تطرّقه لبركة قرموط إلى مشاهدته الحدث

باستعمال مختلف حواسه قائلا : " وأدركنا بها ديارا جليّة ، تناهي أربابها في إحكام بنائها وتحسين سقوفها " . ويضف قائلا : " وإني لأذكرها وما مررت بها - قطّ - إلاض وتبيّن لي من كلّش دار هناك

آثار النّعم ، إمّا روائح تقالي المطابخ ورفاهة عيشهم ونضارة نعمهم "⁽⁴⁾. وقوله أيضا عن قرية الخندق خارج باب الفتوح مايلي: " .. وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز النّداس من القاهرة إليها ليتزهوا بها في

أيام النيل والرّبيع ويسكنها طائفة كبيرة وفيها بساتين عامرة النّخيل والفخر والثمار، وبها سوق وجامع تقام به الجمعة"⁽⁵⁾... وغيرها من المواضع . فمن خلال هذا التمثيل يتّضح أنّ المقرئى أولى اهتمامه

الشديد بمختلف تفاصيل الحياة آنذاك باستعمال الحواس (البصر ، السّمع ، الشّم ..) بالإضافة إلى حسن

(1) سليمان عبد الدايم الخطيب : فلسفة التاريخ عند المقرئى ، دط ، كلية دار العلوم ، دم ، دت ، ص ص 63 - 65 .

(2) المقرئى: الخطط ، ج 1 ، ص 450. سورة الأعراف ، الآية 89.

(3) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 72. سورة يوسف ، الآية 99.

(4) نفسه ، ج 2 ، ص 755. محمد كمال الدين عز الدين : المرجع السابق ، ص 148.

(5) المقرئى: المصدر السابق ، ج 2 ، ص 688. محمد كمال الدين عز الدين : المرجع السابق ، ص 149.

الاستنباط والاستقراء ، وكذا الحسن العالى الذي يتمتع به ؛ وهذه ميزة انفرد فيها عن معاصريه ، إذ تسمح لنا هذه الصور اللفظية من إعادة تصوير الحياة الاجتماعية لمصر والقاهرة وما جاورهما - مجتمعاً مراكزها ومعالمها وموارداً - .

3- المشافهة: مثل المقرئى في طيات وسطور كتاباته بالمؤلف ذلك بمجموعة أقوال نذكر منها :

- قوله: " وأخبرني المقرئ الأديب المؤرخ الضابط ، شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي - رحمه الله - قال: أخبرني المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات. قال: أخبرني العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه" (1).

- قوله في موضع ثاني: "...وأخبرني قديماً بعض من لا أتهمه أنه ظفر بطلمس من هذا المعنى.." (2).

- كما أشار بالقول أيضاً: "...وقد أخبرني القاضي الرئيس تاج الدّشين أبو الفداء اسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي خال أبي - رحمه الله - قال : كنت أنوب في حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المحتسب..." (3).

4- الخطوط والآثار: تعددت إشارات المؤرخ في كتابه "الخطط" إلى مواضيع عدة باعتماد هذا النموذج الخطوط والآثار. ومما وقفنا عليه نذكر:

- قوله في باب زويلة أحد أبواب القاهرة مايلي: "ومن تأمل الأسطر التي كتبت على أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه أثناء وصفه للمصحف المودع- آنذاك- في جامع عمرو: "...وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان - رضي الله عنه - لأن نقله لم يصحو لا يثبت بحكاية رجل واحد". ويضف قائلاً: "... ورأيت أن هذا المصحف وعلى ظهره ما نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين هذا المصحف الجامع لكتاب الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه" (4).

5- الوثائق: تولى ذكر الوثائق في طيات مؤلف " الخطط " نذكر منها قوله أثناء تناوله للمدرسة السيوفية مايلي: "... الحمد لله وبه توفيقى ، وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشري شعبان سنة اثنتين وخمسائة" (5).

(1) المقرئى: الخطط ، ج4 ، ص36.

(2) نفس المصدر ، ج1 ، ص119.

(3) نفسه ، ج2 ، ص589.

(4) نفسه ، ج4 ، ص ص 33-34.

(5) نفسه ، ج4 ، ص 461.

- 6- المؤلفات: اختلفت وتتنوع وتعددت مصادر مدونة "الخطط"، إذ اشتملت العديد من فروع المعرفة والعلم وفنونها المتداولة في عصر المقرئ في مثل: اللغة والأدب والتفسير والفقہ والحديث والتصوف والعقائد والفلسفة والطب والصيدلة والنبات والفلاحة والجغرافيا والرحلات. وأبرزها علم التاريخ.
- المصادر اللغوية: سيتم عدّها في جدول نذكر أبرزها كتاب "الخصائص" لابن جني (392هـ/1001م) وكذا "الصاحح في اللغة" للجوهري (393هـ/1003م).
- المصادر الأدبية: متعددة نذكر منها كتاب الحيوان، ومدح مصر للجاحظ (255هـ/869م) كتاب الكامل للمبرد (285هـ/898م)⁽¹⁾.
- المصادر الحديثية: متعددة وأبرزها كتاب مسند الامام أحمد بن حنبل (241هـ/855م)، وكذا كتاب سنن أبي داود (275هـ/889م)، بالإضافة إلى صحيح البخاري (256هـ/870م).
- المصادر التفسيرية: متنوعة نذكر منها: كتاب معاني القرآن لأبي القاسم الزجاجي (337هـ/949م) وكذا كتاب الكشاف للزمخشري (538هـ/1144م)⁽²⁾.
- المصادر الفقهية: شهد مؤرخي عصره اهتماما كبيرا بمدونات فقهية اعتمدها المقرئ مثل: الرسالة لأبي يوسف الأحكام السلطانية للماوردي (450هـ/1058م) ... وغيرها.
- مصادر التصوف: على ما ذكره المقرئ في كتابه "الخطط" نشير إلى كتاب الرسالة القشيرية للامام أبو القاسم القشيري (465هـ/1073م)، وكذا الملحمة لابن العربي (638هـ/1240م) وغيرها.
- مصادر العقائدية: اعتمد المقرئ على هذا المجال في تدوينه لأمر عقائدية دينية ليُدل بها ويبرهن أهميتها المصاحف للسجستاني (316هـ/929م)، شرح الانجيل والسندهند والهارازون في عقائد الهند⁽³⁾.
- مصادر فلسفية: توقفت الدراسات التاريخية على ثلاث إشارات لمصادر فلسفية أبرزها: الآثار العلوية لأرسطو طاليس، وأسرار تقدمة المعرفة ليعقوب بن اسحاق الكندي (387هـ/997م)، مفاتيح العلوم للخوارزمي (387هـ/997م).
- مصادر علمية: شملت مجال الطب والصيدلة من جهة نذكر منها: كتاب القانون في الطب لابن سينا (428هـ/1037م)، وكذا شرح القانون لابن النفيس (687هـ/1288م) وغيره ومن جهة أخرى تناول مجال النبات والفلاحة. مثل: كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري (282هـ/895م)، والفلاحة النبطية لابن وحشية (296هـ/909م).

(1) محمد كمال الدين عز الدين: المرجع السابق، ص ص 156-157.

(2) نفس المرجع، ص ص 157-158.

(3) نفسه، ص 159.

- المصادر الجغرافية والرحلات: كثيرا ما ترتبط الدراسات التاريخية بهذين المجالين للتعريف بالمدن والمناطق التي تمثل ركيزة للأحداث التاريخية، ومن المصادر التي اعتمدها المقرئ في مدونته نذكر كتاب الأقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن لبطليموس، وكذا المسالك والممالك لابن خرداذبة وغيرها.
- مصادر متعلّقه بعلم الأنساب: اعتمد على مصدرين أساسيين في علم الأنساب ألا وهما: التيجان في معرفه ملوك الزمان لابن هشام (ت213هـ/828م)، والاكليل للهمذاني (ت334هـ/946م).
- المصادر التاريخية: اعتمد المقرئ على أزيد من 65 مصدر تاريخي لتدوين المعلومات أبرزها الفتوح للواقدي (ت207هـ/823م)، وكذا تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت310هـ/923م)، بالإضافة إلى تاريخ افريقيا والمغرب للريق القيرواني (كان حيا سنة 388هـ/998م)... وغيرها كثر⁽¹⁾.
- 7- الاسناد إلى المصادر: فبالنسبة لطرق الاقتباس من المصادر فقد انتهج المقرئ منهج بارز في انتقاء مادته من مختلف المصادر المعتمدة في المدونة، ويمكن تقسيم أنماط الاسناد إلى قسمين:
- الاسناد إلى مصدر مصرحا باسم المؤلف وعنوان الكتاب : تعددت المقولات التي تعتمد على هذا النموذج من المنهج أهمّها قوله على ما ذكره ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك.
 - قوله أيضا : " وقال الهمذاني في كتاب الاكليل "⁽²⁾. وكذا قوله في موضع آخر: "...آخر ما رأيت من الكتب التي صنفت في خطط مصر كتاب ايقاظ المتغفل واتعاط المتأمل تأليف القاضي الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيري - رحمه الله - "⁽³⁾.
 - الاسناد إلى المصدر، مصرحا باسم المؤلف فقط ، مع اغفال التصريح بعنوان كتابه : تعددت الاشارات إلى أسماء مؤلفين معروفين في الدراسات التاريخية ، ومن ذلك نذكر قوله " قال الخوارزمي" قوله كذلك "قال الطبري" ، قوله " قال المسبحي" ، قوله " قال اليعقوبي" .. وغيرهم⁽⁴⁾.
 - الاسناد إلى المصدر، مصرحا بعنوان الكتاب مع إغفال التصريح باسم مؤلفه: الاشارة إلى الكتاب ليس دليل على عدم دراية المقرئ باسم المؤلف. وإنما طريقة من الطرق المنتهجة في تدوينه لكتابه. ومن الاشارات قوله: "... وقال في كتاب الفهرس". صحيح هذا النوع من الاقتباس والاسناد قد يؤدي إلى صعوبة ضبط اسم المؤلف لتشابه أسماء الكتب⁽⁵⁾.

(1) محمد كمال الدين عز الدين : المرجع السابق ، ص ص 159-168.

(2) المقرئ: الخطط ، ج2 ، ص12. محمد كمال الدين عز الدين : المرجع السابق ، ص168.

(3) المقرئ: المصدر السابق ، ج1 ، ص329. محمد كمال الدين عز الدين : المرجع السابق، ص168 .

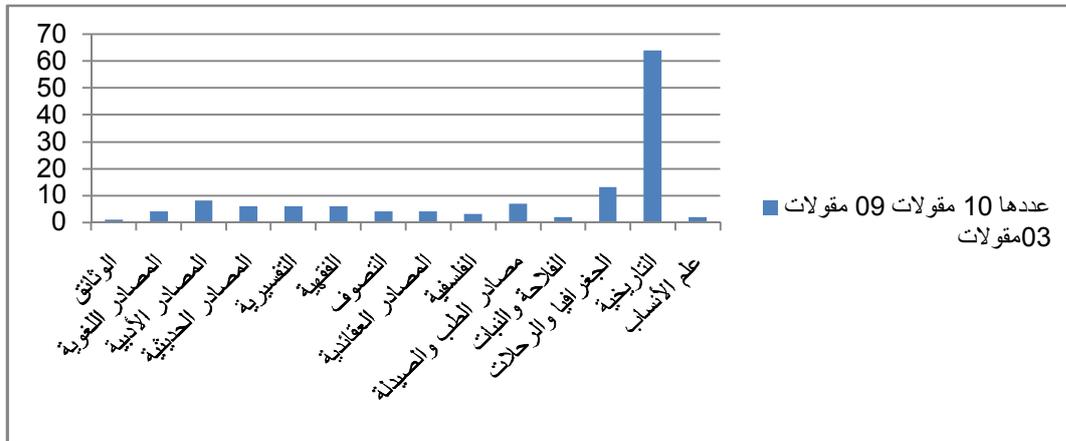
(4) المقرئ: المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 29-73 . ج2 ، ص5 . ج3 ، ص20. محمد كمال الدين عز الدين :

المرجع السابق ، ص ص 168-169.

(5) المقرئ: المصدر السابق ، ج1 ، صفحات 117-356 - 598 .

• الإسناد إلى مجهولٍ ومبهم: كثيرا ما سقطت الإشارة إلى ذكر المؤلف والكتاب في بعض المعلومات فكان يعتمد المقرئى ألفاظ وعبارات عدّة مثل "حكّم القبط في كتبهم" ، وكذا " ذكر بعض أصحاب السّير من الفلاسفة ". كما جاءت في طيّات الكتاب عبارات أخرى ذات الدّلالة "...وأخبرني من لا أتهمه" وقال بعضُ الحكماء" ، " وذكر بعض مؤرّخي مصر" ، قوله " وأهلُ التاريخ يذكرون"⁽¹⁾.

نستنتج ممّا سبق أن كتاب "الخطط" ليس كما تشير بعض المصادر مؤلف تاريخي يقتصر على الحوليات ، وإنّما موسوعة ومدونة تاريخية وجغرافية لمصر الحضارة والقاهرة استعمل في طرح أفكاره وتدوينه للمعلومات التاريخية على عدد وفير من المصادر المتنوعة الحقول كما أشرنا سابقا. لكن اللّافت للانتباه تعرّضه لبعض المصادر بالتحليل والنّقذ وصولا أحيانا للتشكيك والتقنيذ ببعض أخبارها ومن الأقوال التي تبرهن ذلك قوله : "وقال ابن سعيد في كتاب المغرب : وأمّا فسطاط مصر فإنّ مبانيها كانت في القديم متصلةً بمباني مدينة عين شمس ، وجاء الاسلامُ وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه ، وهذا وهم من ابن سعيد،... وقد أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد"⁽²⁾. والشّكل التالي يلخص مجموع المصادر التي اعتمدها المقرئى في كتابه " الخطط " :



ز. قيمة الكتاب :تظهر قيمة الكتاب التاريخية من خلال كثرة المصادر التي تحدثت عن تاريخ القاهرة ومصر بصورة مفصلة مستقرا في ذكر ذلك مختلف العوامل التي توجه الأحداث ، كما عني المؤرخ بالكشف عن منهجه في الكتابة التاريخية من خلال فصول الكتاب ، وقد صرح عدة مؤرخين عن مكانة الكتاب أبرز التصاريح نذكر قول السخاوي في مؤلفه الضوء اللّامع : " وصارت له في جملة تصانيف

(1) المقرئى: الخطط ، ، ج1، صفحات 113- 55 - 119 - 121 - 339 - 409.

(2) نفس المصدر ، ج 1 ، ص794.

كالخطِّ للقاهرة ؛ وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الأوحدي ، كما سبق في ترجمته فأخذها وزادها زوائد غير طائفة⁽¹⁾. نستنتج ممَّا سبق إجماع الباحثين على أنَّ كتاب الخطط يندرج ضمن كتابه الخطط الطبوغرافية الذي يعد نوعا من الجغرافيا التاريخية الاقليمية الشائع آنذاك في مختلف أقطار العصر الاسلامي.

ح . دراسة نقدية للكتاب (المحاسن والعيوب) : من خلال تتبعنا لمختلف محطات كتاب المقرئزي وما دون عنه نستنتج ما يلي:

ح -1- المحاسن:

- المقرئزي على درجة كبيرة من الحس التاريخي والإدراك الواعي لما يثبته عن مصادره.
- انفراده بقصائد متعددة البحور الشَّعرية لشعراء عاصره أو مدونات شعرية ألَّفها بنفسه أو سمع عنها.
- تنوع مصادره في رواية الأحداث التاريخية فمنها ما هو مسموعاً أو مشاهداً أو منقولاً ، وكذا طرق الاقتباس.
- معاصرة المقرئزي لمختلف الأحداث التي دُونها.
- استخدامه لأسلوب النَّقد والتعليق على أغلب الأحداث المدونة في طيَّات الكتاب.
- يعدُّ مصدرا شاملا لدراسة تاريخ مصر والقاهرة.
- الابتعاد عن الاستطراد الذي كان شائعا في عدَّة مصادر عاصرها .
- مقوم للشخصيات التي ترجم لها.
- الموازنة بين السلاطين المماليك ومعاصره من ملوك الاسلام.

ح -2- العيوب :

- استخدام قصص خرافية غريبة لإثبات مدى صحة أخباره .
- اهتمام المقرئزي بكلِّ ما ينصب عن معالم ومظاهر مصر والقاهرة ، وإظهاره بصورة جليَّة ، إلا أنَّه لم يؤلَّ عناية بالسلطة الحاكمة ، والنكسات التي مرَّت بها.
- استخدامه لألفاظ غريبة وثقيلة أثناء سرد الأخبار ، وكذا الإفراط في سرد بعض الأحداث.
- التخلِّي عن بعض العناوين الخاصَّة بأخبار وأحداث معينة عن سهو أو قصد.
- وضوح عاطفة وأحاسيس المؤلِّف في تناوله لمواضيع قليلة تتعلَّق بالسلطة.
- نستنتج ممَّا سبق؛ أنَّ المقرئزي عالم ومؤرِّخ فدُّ ينتمي لأسرة علمية عريقة مصرية ذاع صيتها أقطار المشرق الاسلامي تتلمذ على يد كبار المشايخ كابن كثير وابن خلدون وابن دقماق والأوحدي ارتحل

(1) السخاوي : الضوء اللامع ، مج2 ، ص22.

كثيرا لينهل العلوم والمعارف مشرقا ومغربا ، مُتَفَنِّنا في علم التاريخ والطوبوغرافيا من خلال اسهاماته التاريخية المذكورة آنفا خاصة كتاب الخط الذي حفظ لنا تاريخ وأوضاع مصر والقاهرة معتمدا في تدوينه على مصادر عدّة متنوعة الحقول.

1-2- المؤلّف عبد الرّحمن ابن خلدون (ت808هـ/1404م) صاحب " العبر":

كثيرا ما استهلّ المؤرّخين دراستهم في العصور الوسطى سواء كان العرب أو المستشرقين بكون الحضارة الاسلامية أرقى الحضارات بفضل الجهود التي بذلها علمائها ومؤرخيها أمثال ابن خلدون الذي فاق باسهاماته وآرائه وأفكاره المؤرّخين الغربيين الذين بنوا الحضارة والنهضة الانسانية آنذاك.

1- مولده ونشأته : هو عبد الرّحمن ولي الدّين بن محمّد بن محمّد بن أبي بكر محمّد بن الحسن بن محمّد بن جابر بن محمّد بن إبراهيم بن عبد الرّحمان ابن خلدون ، نجم زاهر من نجوم الحضارة العربية ، يعود نسبه إلى حضر موت من عرب اليمن إلى الصحابي الجليل وائل بن حجر من أقبال العرب. ولد بتونس في غرّة رمضان سنة (732هـ / 02 ماي 1332م) ، ذو أصول أندلسيّة، ترعرع في أسرته " فإني ولدت بتونس في غرّة رمضان سنة اثنين وثلاثون وسبعمائة ، وربيت في حجر والدي رحمه الله " ، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أبي عبد الله محمّد بن سعد بن يرال الأنصاري، تعلم النحو على يد والده وشيوخ من تونس منهم الشيخ أبو عبد الله بن العربي الحصائري والشيخ أبو عبد الله محمّد بن الشواش الزرزالي وغيرهم من الشيوخ⁽¹⁾.

لازم مجلس إمام العربية والأدب بتونس أبو عبد الله محمّد بن بحر، حيث حفظ كتاب الأشعار الستة أخذ الفقه عن الشيخ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الجياني وأبو القاسم محمّد القصير سمع كتاب الموطأ للإمام مالك عن الشيخ أبي عبد الله بن محمّد بن عبد السلام⁽²⁾. ولم يستوفي سن العشرين حتى استدعاه أبو محمّد تافراكين المستبد وقتنذ إلى كتابة العلامة عن السلطان أبو إسحاق وهي "الحمد لله والشكر لله" تكتب بالقلم الغليظ ما بين البسمة وما بعدها من المخاطبة⁽³⁾.

مارس هذا العمل وهو يرسم معالم الترحال من إفريقية وهذا لغاية في نفسه ذهب معظم شيوخه وانطواء بعض المجالس كانت منارة للعلم وهنا يظهر تميز ابن خلدون بإيمانه بمبادئه التي جعلته يستخف بالمقام الوجيه لدى الدولة والسعي وراء تحقيق أهدافه، أتاحت لابن خلدون فرصة مغادرة تونس سنة

(1) عبد الرحمان ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دط ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت ، 1979م ، ص 04.

(2) نفس المصدر ، ص ص 17- 20 .

(3) محمد الخضر الحسين: حياة ابن خلدون ومثّل من الفلسفة الاجتماعية ، دط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة 2012 ، ص 10.

753هـ بعد تقليده لرسم العلامة لفترة زمنية، إلى قفصة ثم إلى بسكرة الذي نزل فيها ضيفا لدى صاحبها يوسف بن مزني لينتقل بعد ذلك إلى تلمسان ليلتقي في الطريق بابن أبي عمرو صاحب بجاية فغير له الرحلة وحمله على المسير معه إلى بجاية الذي اشتهر فيها وطار صيته بها وعقب ذكره في حضرة السلطان أبي عنان ، وقد جعل هذا الأخير بعد عودته إلى فاس يؤلف من جلة العلماء مجلسا حافلا فاستدعاه من بجاية سنة (755هـ/1355م) فاكم ليه نظام مجلسه العلمي واختاره للكتابة والتوقيع بين يديه قال ابن خلدون: " فتحملت هذا العمل على كره مني، إذ كنت لم اعهد مثله لسلفي"⁽¹⁾.

كسب ابن خلدون لدى السلطان أبي عنان مكانة مرموقة في دولته ، هاته المكانة التي كانت نقمة عليه بسبب مؤامرات منافسيه الذين لم يتوانوا عن خياطة المكائد له حتى أدخلوا الشك لدى السلطان وأتهموه بتدبيره لمؤامرة مع الأمير محمد صاحب بجاية فأمر السلطان بسجنه مع الأمير محمد ، ولم يتم الإفراج عنه إلا بعد وفاة السلطان أبي عنان وتولي الوزير الحسن بن عمر تسيير الدولة ، وعند استلام السلطان أبو سالم زمام الملك استعمل ابن خلدون في كتابة سره وإنشاء مخاطباته، حيث طلب من ابن خلدون بعدما ساعده في استرداد ملكه للكتابة له، وذلك لسعة علمه وبلاغته، ومهاراته في كتابه رسائل السلاطين والقدرة على نظم الشعر، واتقانه لفن الخطابة وغيرهما من فنون. أما خطة المظالم، فهي المهمة الثانية التي وُكِّل بها ابن خلدون من قبل السلطان أبي سالم في أواخر عهده في المغرب، حيث تقوم على القضاء بين الناس وإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه، وأشار ابن خلدون إلى أنه أعطى هذه المهمة حقها طيلة تسلمه إياه⁽²⁾.

2- العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية لابن خلدون :

أ- تأثير عصره في كتابته التاريخية :عاصر عبد الرحمن ابن خلدون من سنة (732هـ/1332م) إلى غاية (808هـ/1406م) الدولة الحفصية التي تأسست على يد الأمير الحفصي أبو زكريا يحي⁽³⁾. والتي

(1) محمد الخضر الحسين: المرجع السابق ، ص ص10-11.

(2) نفس المرجع ، ص 12.

(3) الأمير أبو زكريا يحي ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد دخل تونس بعد أن قبض على أخيه الأمير عبد الله عبو يوم الأربعاء رابع عشر رجب من سنة (623هـ/1225م)، توفي ليلة الجمعة ثاني عشر من جمادى الآخرة سنة (647هـ/1249م) بمحلته بظاهر بونة. أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي (ت 794هـ/1392م) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح : محمد ماضود ، المكتبة العتيقة ، ط2، تونس ، 1966م ، ص 164 .

نشطت فيها الحركة الثقافية التاريخية الحفصية على يد كبار المؤرخين أمثال: ابن قنفذ القسنطيني⁽¹⁾ أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم المعروف بالزركشي⁽²⁾، أبي عبد الله محمد ابن الشماع⁽³⁾. لكن ابن خلدون برز كشخصية تاريخية تفنن بإسهاماته التاريخية مما جعل المدرسة التاريخية المغربية والمشرقية تزخر بسجله العلمي ، لذلك أقرّ به العديد من المؤرخين المحدثين أمثال : محمد الخصر حسين في كتابه حياة ابن خلدون ، ومحمد عبد الله عنانفي كتابه ابن خلدون حياته وتراثه الفكري أيضا وغيرهما كثر على كونه يتمتع بفكر إنساني يسمح للأجيال الصاعدة بأن تعترّ به⁽⁴⁾. إذ مثلت تونس آنذاك عاصمة ثقافية في العهد الحفصي ومركز الثقافتين المغربية والمشرقية مما سمح لابن خلدون أن يظهر في عصر كسدت فيه العلوم ، ودرست الآداب وأزهقت الصناعة روح الكتابة ، فحرّر مباحثه وعلل حوادثه ووضع كتابه المشهور "العبرُ وديوانُ المبتدأ والخبر" ، فأظهر أمام علماء ومؤرخي عصره كفاية سياسية فائقة في إدارة المناصب الهامة التي تولّاها ، كما أنه لم يتردد قط في التخلّي على أحد أرباب نعمته ، والإلتحاق بخدمة أخرى. وقد يكون هذا في كثير من الأحيان خصماً للأول ممّا أوقعه في دائرة العداوات والمكائد الكثيرة التي عانى منها في حياته⁽⁵⁾. عن المكانة التي احتلتها تونس أشاد ابن خلدون في مقدّمته بجميع مظاهرها على يد قبائل عربية استوطنت بها على مرّ عصور حضارية السالفة ، وذلك بقوله : " وكذا حال تونس فيما فضل فيها بالحضارة من الدولة الصنهاجة والمؤحدين من بعدهم " ⁽⁶⁾. حيث يمكن القول أنّ تونس اشتهرت بفضل البطون العلمية التي أثبتت جدارة علمية في مختلف العلوم .

(1) ابن قنفذ القسنطيني : هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب الشهير بابن الخطيب والمعروف بان قنفذ القسنطيني (ت809هـ/1340) من مواليد قسنطينة سنة (776هـ/1358م). التنبكتي : المصدر السابق ، ج1 ، 108 . ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 224 .

(2) هو محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ الزركشي ، وميلاده يقدر حسب ما يذكر بحدود (820هـ/1418م) . الزركشي : المصدر السابق ، ص "ج" .

(3) ابن الشماع : الأدلة البينية ، ص الواجهة .

(4) ابن خلدون : المقدمة ، ص 11. حفناوي بعلي: دليل الأنيس والجليس في رحلات وشهيرات موطن العتاب والأحباب منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين ، ط1 ، الجزائر ، 2003م، ص 265. علاوة عمارة : المرجع السابق ، ص 170.

(5) ابن خلدون : المقدمة ، ص 12 .

(6) ابن خلدون : العبر، ج6 ، ص 124 .

ب- تأثير المناصب السياسية على كتاباته التاريخية : تولى مهام عدّة أهمّها:

- **الحجابه لدى صاحب بجاية:** عمل ابن خلدون حاجباً لدى سلطان بجاية بن أبي عبد الله ويعتبر منصبه هذا الأول له في الأندلس، ويُعرّف ابن خلدون الحجابه في المغرب فيقول: "الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته" ؛ حيث يُعتبر الحاجب هو المسؤول عن شؤون الناس إذ يملك في يده زمام أمور الدولة كافة، وهو الأمر الذي يتطلب أن يكون صاحب هذه الوظيفة على قدر عالٍ من العلم والثقافة والنباهة، وقد اجتمعت هذه الصفات في ابن خلدون، فكان مصدر ثقة للعديد من السلاطين الذين استعانوا به لاسترجاع ملكهم.

- **الحجابه لدى صاحب قسنطينة:** تسلّم ابن خلدون الحجابه بقرار من السلطان أبي العباس بعد مقتل أمير بجاية ، وذلك لمساعدة ابن خلدون له في استعادة ملكه، لكنّه لم يمكث طويلاً في هذا المنصب لكثرة استعانة الناس به عند السلطان.

- **السفارة:** استعمل سلطان المغرب عبدالعزيز ابن خلدون ليقوي علاقته مع أهل بلاد رِيّاح، فعينه سفيراً فيها لعلاقته الطيبة مع أهلها، كما شغل سفيراً للسلطان أبي حمّو في منطقة الدوادة أيضاً ليوطد العلاقة بين أهلها والسلطان، وبعد فترة ترك ابن خلدون السفارة ثمّ خرج إلى أحياء أولاد عريف، ومكث في قلعة أبي سلامة قرابة الأربعة أعوام تفرغ خلالها للكتابة، فخرج بمقدّمته المشهورة مع أجزاء من التاريخ⁽¹⁾.

- **في الأندلس:** طلب السلطان أبو عبد الله بن الأحمر من ابن خلدون أن يذهب إلى ملك قشتالة عام (765هـ/1365م) لإقامة الصلح بينهما، فرحبّ به ملك قشتالة بشدّة، وطلب منه أن يبقى في قشتالة على أن يردّ له ملك أجداده، لكنّ ابن خلدون رفض ورجع إلى السلطان ابن الأحمر مبشراً إياه بأداء ما أرسله لأجله⁽²⁾.

- **في مصر:** شغل ابن خلدون مناصب ومهمّات عدّة في مصر منها:

• **القضاء الخاص بالمالكيّة:** شغل ابن خلدون منصب قضاء المالكيّة، حيث كان أولها عام (786هـ/1386م) بأمر من الملك الظاهر برقوق، إذ خوّله لذلك ما كان يملكه من معارف وخبرات، ثمّ أعيد تعيينه بذات المنصب عام (801هـ/1396م) ، أمّا المرة الثالثة فكانت بأمر من الملك السلطان فرج عام (803هـ/1399م)، فيما كانت الرابعة سنة (804هـ/1400م)، أمّا المرّة الخامسة فكانت عام (807هـ/1403م) والنّي لم تدم لأكثر من أربعة أشهر بسبب وفاته.

• **وظيفة التدريس:** عمل ابن خلدون في وظيفة التدريس في مصر في أماكن عدّة، حيث كانت بدايته مدرساً في جامع الأزهر، ثم انتقل إلى مدرسة القمحيّة بأمر من صلاح الدين بسبب وفاة بعض المدرسين

(1) يوسف قطريب : ابن خلدون أديباً ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2015 ، ص 14 .

(2) نفس المرجع ، ص 15 .

فيها، كما شغل وظيفة التدريس في مدرسة الظاهرية أو البرقوقية، كما عمل كمدرس لمادة الحديث في مدرسة صرغتمش عام (791هـ/1391م) .

• **منصب ولاية خانقاه بيبيرس:** شغل ابن خلدون هذا المنصب خلفاً لشرف الدين الأشقر، وذلك بعد عودته من أداء فريضة الحج عام (790هـ/1390م) ، بطلب من السلطان الظاهر لتوسعة رزقه⁽¹⁾.
ج- **تأثير شيوخه على كتاباته التاريخية:** نلخص ما أشير في عدة مصادر ومراجع تاريخية تناولت شيوخ ابن خلدون بالتفصيل:

- **أبو عبد الله محمد بن سعد برال الأنصاري:** أبرز شيوخه من الجالية الأندلسية - بلنسية-، اقتبس منه ابن خلدون قصائد ودروس في علم الفقه⁽²⁾.

- **محمد بن جابر الوادي آشي:** سمع ابن خلدون من العالم التونسي الأندلسي كتب دينية مثل كتاب الموطأ باعتباره إمام المحدثين حسب ابن خلدون⁽³⁾.

- **أبي عبد الله الهواري المنستيري:** صاحب الشرح المعروف لكتاب جامع الأمهات لابن الحاجب عرفه ابن خلدون بقاضي الجماعة⁽⁴⁾.

- **الآبلي:** العالم الجامع للعلوم النقلية والعقلية عنه أخذ ابن خلدون وقرأ كتب التعاليم وعدة فنون لكونه كان مجالساً لمجلسه⁽⁵⁾.

- **عبد المهين كاتب سلطان أبي الحسن:** صاحب القلم الأعلى بفاس اعلى ولاية ديوان الكتابة لأبي الحسن المريني، الذي قال عنه ابن خلدون أنه لازمه وأخذ عنه سماعاً وإجازة الأمهات الست وكتب عدة في الفقه كالموطأ والسير لابن اسحاق وكتاب ابن صلاح الحديث⁽⁶⁾.

- **ابنا الامام:** كل من الشيخين أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى اللذان ارتحلا إلى تونس ويقال أن ابن خلدون لم يستقي عنهما خاصة أبي موسى علومه مباشرة ، وإنما عن أستاذهما الآبلي⁽⁷⁾ .

(1) زينب الخضيرى: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، د ط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1989 ، ص 29.

(2) عبد الرحمن ابن خلدون : رحلة ابن خلدون ، تعليق: محمد بن تاويت الطنجي ط1، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص36. محمد طه الحاجري : ابن خلدون - بين حياة العلم ودنيا السياسة- ، ط1 دار النهضة العربية ، بيروت ، ص18.

(3) نفس المصدر ، ص39. نفس المرجع ، ص18.

(4) نفسه ، ص ص 18 - 19.

(5) ابن خلدون : الرحلة ، ص ص 40 - 41. ابن مريم التلمساني : المصدر السابق ، ص215.

(6) ابن خلدون : الرحلة، ص40. ابن القاضي المكناسي : المصدر السابق ، ص444.

(7) ابن خلدون : الرحلة ، ص36. محمد طه الحاجري: المرجع السابق ، ص ص 48 - 49.

نضيف إلى ثلثة الشيوخ الذين تم ذكرهم كل من؛ ابن النجار، ابن الصانع، أبو عبد الله الندرومي أبو عبد الله بن أحمد بن مرزوق التلمساني وغيرهم. الذين انتفع منهم ابن خلدون في مختلف الميادين العلمية النقلية والعقلية⁽¹⁾.

د - تأثير رحلاته العلمية في كتابته التاريخية:

- **الرحلة الى المغرب** : نتيجة للظروف الصعبة التي مرت بها تونس أبرزها الطاعون الجارف الذي حل بها ، فلم يتمكن ابن خلدون من إتمام دراساته . فبعد الثلاث سنين التي ظل عاكفا في مجلس الشيخ أبي عبد الله الأبلبي شد الرحال نحن أراضي مغربية، ووصل المغرب فاستدعاه السلطان المريني أبي عنان⁽²⁾. فبعد خروجه من تونس نزل ببلاد هواره ليقوم عند كبار شيوخ المرابطين الشيخ عبد الرحمن وشتاتي ثم تحوّل بعد ذلك إلى تبسة نازلا عند الشيخ علي محمّد بن عبدون ، ليسافر إلى قفصة مقيما بها أيام عدّة وهناك التقى بالإخوة ابن مزني اللذان رافقاه إلى بلاد الزاب -بسكرة - ، فلما نهض السلطان أبا عنان إلى تلمسان وملكها وقتل سلطانها التحق به ابن خلدون فاستقبله وكان صديق رحلته إلى بجاية ثم التي اجتمع فيها أهل العلم وخاصته وجرى ذكره لانتقاء الطلبة ، ثم عين له السلطان في مجلسه لمدة ثماني سنوات وفي رحلته يقول : " سنة خمس وخمسين ، ونظمني في أهل مجلسه العلمي وألزمني شهود الصلوات معه ثم استعملني في كتابته.." ⁽³⁾.

كما اعتنى بالمؤرخ السلطان المريني أبي سالم بعد وفاة السلطان أبي عنان إذ اتخذ كاتباً لبلاطه في السر والانشاء، إذ يذكر ذلك في رحلته قائلا : " واستعملني في كتابة سره ، والنرسيل عنه ، والانشاء لمخاطباته ، وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع" ⁽⁴⁾.

- **الرحلة إلى الأندلس** : نتيجة للظروف السياسية التي حلت على بلاد المغرب ومقتل السلطان المريني أبي سالم توجه ابن خلدون إلى الأندلس بعد أن أرسل أهله إلى أخوالهم بقسنطينة ثم عرج على سبتة مبحرا نحو الأندلس ، إذ لما قدّم ابن خلدون أثنى عليه ابن رضوان عند الطاغية ، فأقام عنده ورحب به ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب⁽⁵⁾ .

(1) ابن خلدون : الرحلة ، صفحات 53 - 90 - 91. محدطه الحاجري: المرجع السابق ، ص ص 37 - 38.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 65.

(3) نفس المصدر ، ص 67.

(4) نفسه ، ص 75.

(5) نفسه ، ص ص 85 - 86.

- **الرحلة إلى بلاد المشرق** : عاد ابن خلدون أدرجه نحو بلاد المغرب وتونس ؛ ومن هذه الأخيرة رحل في منتصف شعبان سنة (784هـ / 1384م) نحو البحر الذي دام فيه أزيد من أربعين ليلة ليوافي مرسى الاسكندرية يوم الفطر⁽¹⁾. دام مدة شهر لتهيئة أوضاع الحجّ ، كما التحق بكوكبة من علماء القاهرة⁽²⁾. أكد ابن خلدون على أهميّة أداء فريضة الحج إذ أشار إلى ذلك بالقول أنّه دخل أراضي مكة المكرمة ثاني ذي الحجة وقضى بها الفريضة ثم انتقل بعدها إلى بلاد الشام تحت ولاية تيمورلنك الذي أعجب به إلا أنّه لم يدم طويلا ، ليعود أدرجة مرة ثانية إلى القاهرة بعد أن سئل عن رغبته في العودة إلى مصر فكان جوابه فإن كان السفر إلى مصر في خدمتك فنعّم⁽³⁾. كما قضى ابن خلدون أزيد من 23 سنة في مصر متوليا ولاية القضاء مرة ثالثة ورابعة وخامسة بدءا من أواخر شعبان سنة (804هـ/1401م) ، إذ كان يقوم على الحقّ والأعراض عن الأغراض، وكذا انصاف المطالب ثم عزل عن المنصب ليعاد تعيينه في شعبان سنة (807هـ/ 1404م) ليعزل مرة رابعة ويعين للمرة الخامسة شعبان سنة (808هـ/1406م) إلى يوم وفاته⁽⁴⁾.

هـ - **تأثير كتاباته على تلاميذه**: ساهمت آراء ابن خلدون وثقافته الفكرية التي استقاها ممن سبقه - خاصة شيوخه - أو ممّن عاصروهم في ظلّ المنافسات الثقافية التي واجهها والرحلات العلمية التي جابها من نطاق لآخر شرقا وغربا، وكذا المهام التي تولّاها رغم أنّه كان محل أنظار السلطة والمجتمع من جهة والعلماء من جهة أخرى إلا أنّه واجه تهجمات عدّة حتّى من تلامذته. فقد أقرّت أغلب الدّراسات التاريخية على أنّه خير خلف لخير سلف. ومن أهمّ تلاميذته وأشهرهم نذكر: ابن الأزرق (ت 896هـ/1493م)⁽⁵⁾ وكذا المقرئ (ت 845هـ/1441م)، بالإضافة إلى البدر الدماميني (ت 827هـ/1423م)⁽⁶⁾. دون أن ننسى

(1) ابن خلدون : الرحلة ، ص199. عبد الرحمن ابن خلدون : **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا ومشرقا** ، ط1 منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ، 1979 ، ص264.

(2) ابن خلدون : التعريف ، ص 282.

(3) نفس المصدر، ص423. ابن خلدون : الرحلة ، ص295.

(4) ابن خلدون : التعريف ، ص ص 429 - 430.

(5) محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم بن مسعود أبو عبد الله الأصبجي الغرناطي الأصل المالقي الوادي أشي ويعرف بابن الأزرق ، ولد بمالقة سنة (832هـ / 1427م) ، لم تؤكد الدراسات أنه تتلمذ على يده إلا أن السخاوي يذكر أنه درس مقدمة ابن خلدون وتفحصها . أبي عبد الله ابن الأزرق (ت 896هـ/1493م) : **بدائع السلك في طبائع الملك** ، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، تح: علي سامي النشار ، القاهرة ، 2008 ، ج1، ص ص 09 - 10.

(6) بدر الدين أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر ابن محمد بن سليمان بن جعفر المخزومي القرشي المعروف الدماميني ، ولد بالاسكندرية سنة (763هـ/1362م) ، ولازم ابن خلدون . بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بكر (ت 827هـ/1423م): **العيون الغامزة على خبايا الرامزة** ، تح: الحساني حسن عبد الله ، ط2، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1994م ، ص5.

تلميذه ابن جماعة (ت819هـ / 1416م)، ابن حجر العسقلاني (ت852هـ / 1448م)⁽¹⁾. ومن تلامذته أيضا أبي عبد الله محمد الحجار الأندلسي (ت 862هـ/1458م)، أبي عمار شمس الدين أبو ياسر محمد بن عمار (ت 844هـ/1440م)⁽²⁾ وكذلك البسيلي (ت830هـ/1427م)⁽³⁾... وغيرهم.

و- **اسهامات ابن خلدون في الكتابة:** قدّم ابن خلدون الكثير من المؤلفات والكتب في مختلف المجالات والعلوم كعلم الاجتماع والتاريخ والفلسفة والفقه وعلم الكلام والمنطق وغيرها من العلوم التي برع فيها . فمن أهم المؤلفات نجد:

- **شفاء السائل لتهديب المسائل:** شرح ابن خلدون في هذا الكتاب منهج الصوفيّة وأهم نظريّاتهم وذكر الرجال المشهورين منهم وأهم مؤلفاتهم ؛ حيث ألف هذا الكتاب بناء على طلب شريحة كبيرة من الناس .
- **الباب المحصل:** كتب ابن خلدون كتابه هذا في سن لم يتجاوز العشرين عاماً، ويُعدّ أول كتاب يؤلّفه في حياته، حيث شرح فيه أحد كتب علم الكلام.

- **المقدّمة :** مقدّمة ابن خلدون إحدى أهم المؤلفات العلمية التاريخية التي دونت خلال عصره وذلك بشهادة مجموعة من العلماء والمؤرّخين ومن خلال عنوان الكتاب نوّكد على مدى سرعة الأخبار والأحداث التي احتواها فقد قسمت مقدمته إلى ستين فصلاً مقسم إلى ستة أبواب . كما ترجمت إلى عدّة لغات من التركية مرتين على يد كل من بييري سنة (1143هـ/1831م) وطبعت في القاهرة سنة 1275هـ . وكذا الصدر الأعظم جودة باشا مؤرّخ الدولة العثمانية. بالإضافة إلى ترجمتها من قبل البارون ده سالأودي سيلين إلى اللّغة الفرنسية⁽⁴⁾.

وهذه التراجم محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، كما تحفظ بها أيضا نسخة المقدمة التي صححها ابن خلدون بنفسه، وكتب على كل صفحة من صفحاتها ما يفيد ذلك، وتوج طرفها بتوقيعه

(1) علاوة عمارة : المرجع السابق ، ص ص 186 - 187.

(2) ولد آذان عصر يوم السبت 20 جمادى الثانية سنة (768هـ/1368م) بقناطر السباع نقل من قبل شيوخه بابين عمار أخذ الفقه عن ابن خلدون واشتغل مدرسا بقبة الصالح إسماعيل داخل في البيمارستان عوضا عن ابن خلدون. شمس الدين بن عمار المالكي (844هـ/1443م) : **مفتاح السعدية في شرح الألفية الحديثية، تح:** شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ط1 ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الاسلامية وتحقيق التراث والترجمة العصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014 ، ص ص 10-11.

(3) أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي العالم المفسر أخذ عن ابن خلدون وغيره ، له تقييد جليل في التفسير ارتحل إلى عدة مناطق لينهل العلم كالسودان وتونس وغيرها ، لم تقف الكتب عند مولده ووفاته وقيل أنه ولي ما حضر عند ابن عرفة عام خمس وثمانين وسبعمائة. التنبكتي : المصدر السابق ، ص ص 115 - 116.

(4) علي إبراهيم حسن: استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط ، ط3 مؤسسة الأهرام للنشر، القاهرة، 1998 ، ، ص 164.

بيدهوهي منقولة بالفتوغرافيا عن خزنة عاطف أفندي بالقسطنطينية، وتوجد في مدينة فاس نسخة من المقدمة عيها خط ابن خلدون.⁽¹⁾

تجمع مقدمة ابن خلدون علوم عدة حسب مصطلحات العصر منها علم الاجتماع (السياسيولوجي) علوم التربية (بيداغوجي)، علم الاقتصاد السياسي ، علم الجغرافيا ، العلوم الانسانية ، علم الفلسفة التاريخ ، علم الحضارات. فلذلك يمكننا القول أنّ ابن خلدون أول من أولى عناية بهذه العلوم . والأجدر بذلك أنّه أول مؤرّخ واضح لأسس علم التاريخ وقوانين تطور وازدهار المجتمعات إذ لامس في طيات المؤلفات التي دونها أهداف تاريخية منها الكشف عن القوانين التي تتحكم في تكوين المجتمعات ونشوتها وتطورها وانحطاطها والعوامل التي تؤثر في ذلك. كما أنه أشار إلى أهمية النقد التاريخي في تقييم الأحداث التاريخية . إذ يؤكد أنّ موضوع التاريخ ليس منحصرًا بالأخبار والأحداث بل يشمل كلّ تحوّل اجتماعي واقتصادي وعلمي⁽²⁾.

ز - وفاته : الشهير أنّ المؤرّخ عبد الرحمن ابن خلدون توفي في 26 رمضان 808هـ الموافق لـ 16 مارس 1404م في القاهرة عن عمر ناهز 69 عاماً⁽³⁾. إلا أنّ الدراسات التاريخية فقد اختلفت في تعيين تاريخ وفاته ما بين سنة (808هـ / 1406م)⁽⁴⁾ ، وسنة (807هـ / 1405م)⁽⁵⁾ لكنّها اتفقت عن مكان دفنه أنّه توفي بالقاهرة - دفن بمقابر الصوفية في رمضان وكان يشغل آنذاك منصب قاضي المالكية بها - بعد أن أكرمه سلطانها الظاهر برقوق وولاه هذا المنصب ، فالوفاة كانت فجأة بعد مرحلة عصيبة ذاق فيها مرارة الحياة ، حيث أفقد الطّاعون والديه والكثير من شيوخه⁽⁶⁾، كما أفقده البحر زوجته وولده وهو ما جعله يتخبّط على مناصب كثيرة بين العزل والعودة والاحتفاظ بزّيّ بلاده. لكن بالعودة إلى مصدره الذي تركه لنا ، فقد ارتأى على سنة (808هـ / 1406م) تاريخاً لوفاته ، كما وقفت على

(1) علي إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ص 165 - 166.

(2) شرف الدين خليل : ابن خلدون ، ط 1، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت ، 1995، ص ص 43 - 46.

(3) زينب الخضيرى: المرجع السابق، ص ص 29 - 30 .

(4) محمد بن محمد مخلوف : المصدر السابق ، ص 228 .

(5) الشيخ أبو عمران : المرجع السابق ، ص 16 . عبد الغني عبد الله يسري: معجم المؤرخين المسلمين القرن الثاني

عشر الهجري ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991 ، ص 75 . عبد الحميد سعد زغول : ابن خلدون مؤرّخاً : مجلة عالم الفكر ، ع2 ، القاهرة ، سبتمبر ، 1983م ، ص 11 .

(6) يسري عبد الغني : نفس المرجع ، ص 75. الشيخ أبو عمران : نفس المرجع ، ص 16. عبد الحميد زغول : نفس

المرجع، ص 11.

ذلك العديد من المصادر بتحديد يوم الأربعاء 25 من شهر رمضان سنة (808هـ/1406م) تاريخا لوفاته (1) .

2-دراسة المصدر "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر" :

أ- مضمون الكتاب :

هو كتاب كامل اسمه "العبرُ في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والامازيغ ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر؛ إذ يحتوي المؤلف على ثلاثة كتب يحتوي الكتاب الأول على مقممة قصيرة ثم عرضا للكتاب ، ويسمى هذا الجزء مقممة ابن خلدون المشهورة وهو في مجلد واحد (2) .

فالكتاب الثاني فتناول فيه ابن خلدون أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد وفيه إلماع ببعض من عاصرهم من الأمم والمشاهير ودولهم مثل: السريانيين والفرس والقبط واليونان والرُّوم والأتراك... وغيرهم. ويقع هذا الكتاب في أربعة مجلداتٍ من المجلد الثاني إلى المجلد الخامس حيث افتتح هذا الكتاب عن الكلام في أصل الخليقة وأنساب الأمم المختلفة معتمدا في ذلك على الروايات المنقولة عن العهد القديم، ثم تحدث عن تاريخ العرب في الجاهلية واليهود واليونان والفرس أمّا الجزء الكبير منه فتناول بالدراسة الدولة الإسلامية والدول المتصلة بها في ذلك الوقت وكذا ظهور الإسلام وحياة الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية وبني العباس وتاريخ الفاطميين في المغرب ومصروتاريخ القرامطة وتاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى بداية دولة بني الأحمر في غرناطة ودولة الإسلام في صقلية والدول النُصرانية في اسبانياوتاريخ بني بويه والتُّرك والسلاجقة والحروب الصليبية ودول المماليك في مصر (3) .

أمّا الكتاب الثالث فتناول فيه أخبار البربر ومواليهم من زناتة ، وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان بديار المغرب خاصّة من الملك والدول ، أيتناول تاريخ شمال إفريقيا ، وجاء هذا الكتاب في مجلدين السادس والسابع ، فالكتاب تناول تاريخ البربر وقبائلهم الشهيرة مثل زناتة وتواتة ومصمودة منذ أقدم عصورها حتى عصره ، كما تناول تاريخ المرابطين والموحدين ، متطرقا إلى تاريخ الدول البربرية التي عاصرها مثل دولة بني حفص وبني عبد الواد ودولة بني مرين (4) .

ب- أسلوبه: اتخذ ابن خلدون في تدوين مؤلفه أسلوب حديث ، يتميز بالوضوح وسهولة التعبير وطرح الأفكار والأخبار ممّا ساهم في تناسق وترابط الأفكار فيما بينها . كما أنّ الكتابة اتصفت بالسلاسة ودقة

(1) يسري عبد الغني : المرجع السابق ، ص 75.

(2) عبد الله عنان : ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، ط1، مطبعة الكتاب المصرية ، القاهرة ، 1933 ، ص 129.

(3) نفس المرجع ، ص 130. ابن خلدون : العبر ، ط1، بيت الأفكار الدولية ، الرياض وعمان ، 2008 ، ص 331.

(4) نفسه ، ص 130.

الألفاظ والتعابير. فوصفه عدة مؤرخين من بينهم المؤرخ علي إبراهيم حسن في كتابه يقول : "وله أسلوبان، كل له نعتة الخاص: أسلوب رديء لازمه في كتابه المقدمّة تأثر فيه بحالة اللّغة العربية في تونس والجزائر ومراكش والأندلس. وأسلوب جيد لازمه في مصر بعد أن تعلم وعلم في الأزهر الشريف وبعد رحلته إلى شبه جزيرة العرب"⁽¹⁾. ومن هنا يمكننا القول أن المؤرخ قد ركز على ذكر أهمية رحلة ابن خلدون نحو بلاد المشرق واستفادته من خلالها في ميدان الأدب والبلاغة ، إذ تكوّنت شخصيته الأدبية ممّا ساهم في توضيح معانيها بكتابه المقدمّة والعبر .

ويضيف الدكتور طه حسين في كتابه فلسفة ابن خلدون الاجتماعية عن أسلوب ابن خلدون أنّه شبيه بأسلوب معاصريه ، لكونه مُضمحل جدا، تتزايد فيه العبارات المسجعة ؛ أي أنّه لا يمكنه التخلص من قيود الشجع والمحسّنات البديعية والاستعارات والمقارنات التي يكثر فيها التكلف ، وهذا ما كان شائعا في عصره. والأدهى من ذلك كثرة المغالطات في استعمال الكلمات والخلط بين الألفاظ الصائبة وغير الصائبة. بالإضافة إلى الاطناب في معالجة الأفكار من جهة، وأحيانا للعكس استعمل الاختصار المخل بالمعنى الغامض⁽²⁾.

لعلّ أحسن من يمثل أسلوب ابن خلدون إشارة محقق كتاب المقدمّة إلى أنّ ابن خلدون قد رفض أسلوب كتاب الرسائل السلطانية بالطريقة التقليدية ، وبحث في مضامين المواضيع فلذلك عليه أن يستجمع قواه لانتاج أسلوب خاص وبدايات الأمور تتطلب جهدا ووعي ودراية بالأمور الخاصّة باللّغة العربية وأقسامها للتركيز على جوهر الأمور وعرضها بطريقة يمكن للقارئ استيعابها والاقتباس منها⁽³⁾. إذ وقفنا على رأي ثالث فإننا نقف على تعبير عبد الله عنان عن أسلوب ابن خلدون الذي لم ينكر وجود بعض النواقص إذ يعقب عن ذلك قائلا : "ولابن خلدون أسلوب خاصّ فيه العرض والتعبير ، وكما أنّ مقدمته تمتاز بطرافة موضوعاتها فهي أيضا تمتاز بروعة أسلوبها الأدبي الذي يجمع بين البساطة وقوّة التعبير ودقّة التدليل، وحسن الأداء والتناسق..". ويضيف قائلا : "ويكتب ابن خلدون تاريخه بنفس الأسلوب القوي المرسل، وفي أحيان كثيرة يرتفع إلى ذروة القوة في التعبير..، فتبدو عباراته قصيرة عن بيان مقاصده ويعتوها الغموض واللّبس أو يعتوها نوع من الرّكاكة والضعف وتتخللها الألفاظ الغريبة"⁽⁴⁾.

(1) علي إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص 164.

(2) طه حسين : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية - تحليل ونقد - ، تر: محمد عبد الله عنان ، ط1 ، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، مصر ، 1925 ، ص29.

(3) ابن خلدون : المقدمة ، ط دار يعرب ، دمشق ، 2004 ، ص 10.

(4) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص136.

نستنتج من خلال الآراء الثلاثة اختلاف المؤرخين المعاصرين حول أسلوب ابن خلدون فقد تميز الأسلوب بما يلي: أولاً ؛ أسلوب أدبي متميز استعمل فيه قوة الصورة وكلمات وصفية زادت أسلوبه جمالا وقوة كقوله عن خالد يعاتب إخوانه قائلا: **بردع قروم من قروم قبيلتنا بني كعب لاواها الغريم وطاب**(1). فالصورة التي استعملها في هذا البيت تدل على قوة التعبير، كما أنه استعمل كلمات وصفية تعيد الأسلوب جمالا وقوة مثل قوله: "غمامة عظيمة". وفي موضع آخر "منارة من ذهب". ثانيا؛ أسلوب رديء ، إذ كثر على أسلوبه وعباراته ضعف القصر وتعبير لغوي ضعيف وألفاظ خاطئة أحيانا(2).

ج - منهج المؤلف: انتهج ابن خلدون منهجا تاريخيا جديدا مقسما مؤلفه إلى كتب ثم إلى عدة فصول متداخلة بينها ومتصلة ببعضها البعض، متتبعا لتاريخ كل الدول التي ذكرت من التأسيس إلى السقوط مع مراعاة نقاط التواصل والتداخل بين مختلف الدول(3). فبالرغم من اختلاف منهجه عن معاصريه. حيث شاع في عصره تنظيم الموسوعات التاريخية في شكل جداول مرتبة وفق السنين. كما أن الحوادث جمعت بطريقة الحوليات ؛ أي حسب السنين رغم تباعدها وتباينها زمنيا. فلم يكن ابن خلدون السباق إلى طريقة الفصول والدول المتصلة فقد سبقه إليها مجموعة من المؤرخين المسلمين الذين ألفوا مدونات تعود جذورها إلى القرنين الثالث والرابع مثل: فتوح مصر والشام للواقدي ، فتوح البلدان للبلاذري، فتوح مصر لابن عبد الحكم مروج الذهب للمسعودي(4).

فموضوع التاريخ لا ينحصر عند ابن خلدون بالأخبار والأحداث المتعلقة بالحروب والفتوحات وتاريخ الدول والملوك بل هو شامل لمختلف مجالات الحياة التغيرات التي تطرأ عليها فالتاريخ هو باختصار تاريخ المجتمعات والحضارات وهذه الرؤية للتاريخ جعلت المؤرخين يعتبرون ابن خلدون أول من حاول كتابة تاريخ الحضارة بالمفهوم العصري(5).

فقد رأى ابن خلدون أن مهمة المؤرخ صعبة وعويصة ودقيقة، لكون كتابة التاريخ ليست بمجرد سرد للأحداث والوقائع بل عملية استقصاء للعلل. فعلى المؤرخ أن يتقصى الحقائق ويمحص الأخبار قبل إثباتها ثم يعدد ابن خلدون جملة الأخطاء التي يقع فيها أغلبية الباحثين المؤرخين في تفسيرهم للأعمال التاريخية أبرزها: الثقة بالناقلين والرواة ، التشيع للآراء والمذاهب، الاطمئنان إلى الشائعات والمعروف

(1) ابن خلدون: العير ، ج1، ص319.

(2) نفس المصدر ، ص ص 366 - 367.

(3) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص135.

(4) نفس المرجع ، ص 136.

(5) خليل شرف الدين : المرجع السابق ، ص46.

المشهور من الأخبار دون التمهيد، الذهول عن المقاصد وتوهم الصدق ، الجهل بتطبيق الأحوال على الواقع ، قياس الماضي على الحاضر ، ولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان⁽¹⁾.
 د-أصول نسخ كتاب ابن خلدون وتراجيمها: ظلّ تراث ابن خلدون رغم مكانته التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والدينية محتجبا إلى قرون متقدمة نتيجة عدم اكتمال كل أجزاءه وتداول فقرات ومقتطفات صغيرة من مقدمته وتاريخه.

فأول ما نشر المقدمّة على شكل مقاطع من تاريخه المدون القطعة الأولى من تراثه بباريس سنة (1841م) التي اعتنى بها ونشرها المستشرق نؤيل دي قرجيه وقيل مقتطفات من كتاب العبر يتضمن تاريخ بني الأغلب ودولة الاسلام في صقلية، مرفقة بترجمة فرنسية تحت عنوان:

hist. de l'Afrique sous les aghlabides et la Sicile sous la domination (

musulmane) أما سنة 1858م برزت مقدمة ابن خلدون بباريس مكونا في ثلاثة مجلدات أصدرها المستشرق كاترمير عن نسخة مخطوطة بالمكتبة الملكية ضمن مجموعة أطلق عليها " مذكرات ومقتطفات من مخطوطات مكتبة الملك"؛ وهي بذلك تتضمن المجلدات السادس عشر إلى الثامن عشر. وفي نفس السنة تمّ نشر المقدمة بمصر لأول مرة (1274هـ/1858م) تحت اشراف الشيخ المصري نصر الهوريني عن نسخة مخطوطة أخرى تشمل بالديباجة فقرة إهداء للمؤلف لم ترد بنسخة باريس ونشرت المقدمة في بيروت سنة 1879م وغيرها كثر. كما أولى مطبعة بولاق بإخراج تراث ابن خلدون العبر كلّها، وظهر مرارا وتكرارا في سبعة مجلدات وتمّ طبعه سنة (1284هـ/1868م) واعتمد في إخراجها على عدّة نسخ مخطوطة أغلبها منقوصة الأجزاء أو المقاطع ولكنها متممة لبعضها البعض. ونقلت المقدمة على نفس النسخة المخطوطة التي نقلت عنها طبعة سنة (1274هـ/1858م). فقد تضمنت آخر نسخة ذكرت أنفا فقرة الإهداء التي لها أهميّة خاصّة في التعريف عن تاريخ النسخة التي تضمنتها وقيمتها ففيها يتقدّم المؤلف بإهداء هذه النسخة من كتابه إلى خزنة مولاه السلطان أبو فارس قائلا: "بعثتها إلى خزانتهم الموقفة لطلبة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم"⁽²⁾.

توصّلت البحوث بعد ذلك إلى وجود نسخة من مجلدين أرسلها ابن خلدون إلى فاس لا زالت إلى يومنا هذا بمكتبة جامع القرويين عثر عليها من قبل الأستاذ ألفرد بالbel، وذكرها ضمن الفهرست الخاص بالمكتبة، وأعاد الأستاذ المستشرق ليفي بروفنسال تصحيح الاكتشاف بالتحقيق، ونشرت هذه الدراسة بالمجلة الآسيوية مرفقة بصورة فوتوغرافية لصيغة الوقف المرقومة على غلاف أحد المجلدين هما الثالث والخامس وهذا الأخير يتمتع بصيغة الوقف (21 صفر سنة 799هـ/1399م) كما تتضمن إشارة من

(1) خليل شرف الدين: المرجع السابق ، ص ص 47 - 48.

(2) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 176.

الناسخ تنفيذ النقل من الأصل المعتمد لمؤلفه وتعتبر نسخة بني مريّناتم النسخ بعد أن أمضي على كتابة المؤلف تقريبا 15 سنة؛ وهي الفترة التي تزامنت مع مكوث ابن خلدون بالقاهرة وإعادة الاعتبار لكتابه بالتقحيح والتهديب والزيادة لجميع أقسام الكتاب. كما توجد بدار الكتب المتمثلة في مجموعة مصطفى باشا نسخة مخطوطة من كتاب العبر في عشرة مجلدات ينقصها المجلد السابع عن النسخة الكاملة المطبوعة⁽¹⁾. نستنتج ممّا سبق أنّ نسخة كتاب العبر الشهيرة عن مطبعة بولاق وليدة مجموع النسخ المذكورة إذ تعتبر من أكمل النسخ رغم المغالطات والأخطاء التي تواجدت بها والانتقادات التي تعرضت إليها من مختلف الباحثين العرب والغربيين وكذا المستشرقين.

كثيرا ما أثار المستشرقين إلى أهمية اقتباس معلومات من مدونات ابن خلدون الخاصّة ببلاد المشرق والمغرب؛ فلذلك ترجمت أقسام الكتاب إلى لغات أجنبية عدّة أهمّها:

- ترجمة البارون للمقدّمة إلى اللّغة الفرنسية بين سنتين (1823- 1828م) تحت عنوان :
Les prolégomènes d ibn khaldoun (par M ,deslame Membre de l'institut)
- في الترجمة على مصادر مصرية للمقريزي والعيني وغيرهما؛ وهي في ثلاثة مجلّدات ونشرت هذه النسخة مرتين المرّة الأولى في الجزائر سنة 1863م والثانية في نفس البلد بين سنتي (1852- 1856م).
- ترجمة المقدّمة إلى اللّغة التركية أوائل القرن الثامن عشر من قبل بييري زاده ، وأتمّ الترجمة كلّ من دوزي وجود فرى دمومبين والمستشرق بل .
- ترجمة قطع من المقدّمة إلى الألمانية من قبل تيزنهاوزن وكذا بقلم تورنبرج وفون هامروفون وهي تخصّ تاريخ بني عقيل واحتلال الفرنج للشواطئ السوريّة أيّام الصليبيين. كما أضفى على الترجمة أودين روزنتال ترجمة خاصة بأراء بن خلدون عن الدول.
- ترجمه قطع من المقدّمة إلى اللّغة الايطالية ؛ وذلك بقلم كل من الأستاذ لانشي- وهي تخصّ تاريخ صقلية -.

- كما ترجمت إلى لغات أخرى مثل : اللّغة الانجليزية بقلم كاسلس كي ، والأستاذ فلنت . بالإضافة إلى اللّغة اللاتينية والرّوسية⁽²⁾.

هـ- قيمة الكتاب: رغم تباين فصول الكتاب في القيمة التاريخية إلاّ أنّه يعد مصدر رئيسيا وهامًا مقارنة بالمؤلفات التي دوّنت من قبل المعاصرين. فإن كانت هناك انتقادات عدّة للمدونة في بعض أجزاءها التي توضح النقص في أبسط الأحداث وفي قيمة الوثائق التي سميت منها. فإن قيل على قلم بعض الدراسات بضعف أسلوبه كما ذكرنا سابقا فبالعودة إلى تاريخ البربر فإننا نقف على أخبار عظيمة القيمة تتناول حياة

(1) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 178.

(2) نفس المرجع ، ص ص 178-180.

البربر والعرب بالمغرب الاسلامي. فكتاب العبر أثنى البحوث التاريخية المتعلقة بالبلاد المغربية لأن المؤرخ دون معلومات أصيلة جمعها بنفسه خلال اتصالاته بالقبائل التي التقى بهم وأرتحاله بين مختلف الدول خاصة المجلدين الأخيرين من مدونة العبر إذ يقول المؤرخون المستشرقون الذين تعمقوا في دراسة تاريخ المغرب: "لولا كتاب العبر لما استطعنا أن نعرف شيئا عن تاريخ البلاد والشعوب المغربية خلال العصور المذكورة"⁽¹⁾.

كما احتوى وتضمن كتاب العبر أحوال المشرق وتاريخه أكثر من ضعف ما احتواه من أحوال المغرب وتاريخه وهذا دليل على إضافة هذه المعلومات بعد انتقاله إلى القطر المصري مخالفا بذلك قصده من التدوين خاصة بعد قوله في مقدمة المقدمّة: "أنا ذاكرٌ في كتاب هذا ما أمكنني به في هذا القطر المغربي إمّا صريحا أو مندرجا في أخباره وتلويحا ، لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار..."⁽²⁾.

و- منهجية ابن خلدون في التعامل مع مصادر كتاب "العبر": وقفنا على دراسة هامة قام بها الباحث محمد علي الأحمد تحت عنوان: نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ - ابن خلدون نموذجا- التي نشرت بمجلة إسلامية المعرفة تناول فيها كيفية تعامل ابن خلدون مع المصادر. ويمكن أن نلخصها في الورقة التالية:

ساهمت البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها ابن خلدون وكذا رحلاته العلمية التي جابها مغربا ومشرقا في توسيع دائرة معارفه واطلاعه على مصادر ثمينة وذات قيمة، بالإضافة إلى المهام التي تولها سواء السياسية والادارية التي فتحت له أبواب كبرى والخزائن والمرتببات الخاصة والعمامة ومن خلال مدوناته العبر والمقدمة يمكننا الوقوف على المنهجية في التعامل مع المصادر⁽³⁾ أبرزها:

1- المصادر الإسلامية: اتسم الفكر الخلدوني في شتى المجالات بسمة الدين الإسلامي الذي فطر به وتربى عليه فلذلك استقى معلوماته بالاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وقصص الأنبياء إذ جاء في فكر ابن خلدون ونظرياته المقولة التالية: "ولیکن أوّل ما تلزم به نفسك وتنسب إليه فعلك"⁽⁴⁾.

(1) ساطح الحصري : المرجع السابق ، ص ص 98 - 99.

(2) نفس المرجع ، ص 99. محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 56.

(3) محمد علي الأحمد : نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ - ابن خلدون نموذجا- ، مجلة إسلامية "المعرفة" السنة الثالثة عشرة ، ع51، الجزائر ، شتاء 1428هـ/2007م ، ص 29.

(4) مصطفى الشكعة : الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته ، ط3 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 1992 ، ص93.

المُلاحَظ لمدونة ابن خلدون فإنَّ بناءها ومنهجيتها في الأخذ عن المصادر الإسلامية ذات ألفاظ ومصطلحات وألفاظ واستدلالات ومحتويات إسلامية باعتباره الدين الإسلامي للعرب والمؤرخين والذين استقى منهم أمثال: الواقدي ، المسعودي ، الطُّبري ، ابن الأثير ، أبي حيان ، ابن حزم.. وغيرهم⁽¹⁾.
فالدلائل الخلدونية عن الاقتباسات وأهميّة المصادر العربية الإسلامية تبرز من خلال المدح والذم فقد أشار إلى وقوع بعض المؤرخين في مغالطات أثناء النُّقل قائلا: " وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه"⁽²⁾. ثم يقول عن مؤرخين آخرين موثوق بأخبارهم مثل الطُّبري إذ نقف على قوله:"أنه كان يصلي في كلِّ يومٍ مائة ركعة نافلة"⁽³⁾.
يُعرِّج المؤرِّخ أو مليل في كتابه التاريخي ذاكرة تركيز ابن خلدون على السمعودي واتّخاذه نموذجا معتبرا كتابه "مروج الذهب" أهمّ المصادر العربيّة الإسلاميّة لكونه سجّل تاريخ العالم فأصبح إثر ذلك : "أصلاً يقتدى به من يأتي من المؤرخين من بعده"⁽⁴⁾. ومن هنا يمكننا القول لولا ضاعت العلوم والاختلاف نعمة التدوين والكتابة التاريخية بالرغم من تعدد الأساليب والطرق وكذا الانتقادات التي تعرّضت لها المصنّفات سابقاً.

2 - المصادر الأخرى: استقى ابن خلدون مواده وموارده وأخباره من عدّة مصادر متنوّعة الحقول والبيئة الاجتماعيّة والتنظيمات والأفراد الذين يعتبرون مواد تاريخية. فينبغي الإشارة إلى أنّ مصادر التاريخ تتحضر في الأخبار التي استمدّها من الكتب أو يسمعها من رواتها المباشرين أو غير المباشرين⁽⁵⁾. لم يكن الاهتمام بالمصادر الأخرى كالوثائق التاريخية والآثار منحصراً على ذلك فقط ، فقد كان النّاقل للأخبار والرّوايات والمشاهد كما هو الشأن فيما يخص تاريخ البربر والعرب. ففي مستوى النُّقل استخدم المنهج التجريبي في الدراسات التاريخية إذ تميز عصره بتوسع دائرة المصادر المتعلقة بعلم العمران البشري الذي يعد المقياس الرئيسي الضابط للتدوين التاريخي حسب الدراسات المعاصرة⁽⁶⁾.

3 -المصادر غير العربية: كثيرا ما اعتمد ابن خلدون مصادر غير عربية معتبرا إياها رافدالمادته التاريخية المدونة في كتابه العبر-، لكن يُعاب عليه عدم التزامه أثناء الاقتباس بما وضعه من قواعد

(1) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص30.

(2) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ص11.

(3) نفس المصدر، ص15.

(4) علي أو مليل : الخطاب التاريخي - دراسة لمنهجية ابن خلدون - ، ط3، المركز الثقافي العربي للنشر - دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 1975 ، ص132.

(5) نفس المرجع ، ص132. حسين عاصي : ابن خلدون مؤرخا ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991 ص118.

(6) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص32.

رصينة في التعامل مع المصادر. وكذلك عرف بالتساهل من خلال الاستفادة من المصادر الأوروبية واللاتينية، فقد واكب اقتباسه مكوثه في الأندلس -أيام بني الأحمر-⁽¹⁾.

ز- دراسة نقدية لكتاب العبر (المحاسن العيوب):

ز-1-المحاسن : يعدُّ ابن خلدون مبتكر علم فلسفة التاريخ بشهادة عدَّة علماء عرب وغربيين⁽²⁾.

- التاريخ من منظور ابن خلدون جم الفوائد شريف الغاية يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم والملوك والدُّول وسياستهم⁽³⁾.

- قواعد المنهج التاريخي عند ابن خلدون قائمة على: العلم بقواعد السياسة وعلم العمران (قانون التشابه والاقْتباس) ،تعليل الحوادث وربطها بأسبابها (قانون السببية)، قانون التطوُّر ، قانون الامكان والاستحالة تنويع أساليب النُّقل والاقْتباس من المصادر التاريخية (مشاهدة، روايات ، مصادر عربيَّة مصادر غير عربيَّة ، مصادر أخرى).

- يعدُّ كتاب العبر مصدر رئيسي للباحثين في تاريخ الدول والشعوب في العصور التاريخية المذكورة آنفا مغربا ومشرقا (تاريخ البربر والعرب تاريخ التُّرك والمماليك وتيمورلنك)⁽⁴⁾. كما يتميِّز ابن خلدون بأسلوب منمَّق مليء بالزخرفة اللغوية كسابقه من المؤرِّخين⁽⁵⁾.

ز-2-العيوب : فقد جاء في مقال محمَّد الأحمد عن بدوي عبد الرَّحمن أن ابن خلدون يؤخذ مأخذ أبرزها: - غلب على الدِّراسات التاريخية عند ابن خلدون الطابع الأدبي الذي كلُّه إثارة ووعظ وكلام أدبي مزين بالمحسِّنات البديعيَّة حسب بعض الدِّراسات التاريخية.كما تتميز أساليب الكتابة بالاطناب والاختصار المخل بالمعنى أحيانا إذ أنه أثناء النقل من النُّصوص اللاتينية كان يختصر بشدة. وكثيرا لا تتوافق معلوماته مع المعلومات الأصلية.

- كثرة التصرُّف الذي يفقد النُّصوص معانيها سواء كان ذلك بالتقديم أو التأخير أو بضمِّ النُّصوص رغم تحديد بدايات النُّقل ونهايتها إلا أنَّ الدِّقة كثيرا ما تغيب في النقل من المصادر غير العربية⁽⁶⁾.

وخلاصةُ المبحث يمكننا القول أنَّ؛ ابن خلدون يعدُّ من أبرز العلماء والأدباء والمفكرين المسلمين الدِّين أسهموا بإبداعاتهم وابتكاراتهم في شتَّى الميادين ولا تزال كتاباته مصدرا موثوقا ورسميا لعدَّة دراسات

(1) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص33.

(2) نفس المرجع ، ص11.

(3) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ص 11. ابن خلدون : المقدمة ، ص 4.

(4) حسين عاصي : المرجع السابق ، ص ص 189 - 190.

(5) محمد علي الأحمد : المرجع السابق ، ص35.

(6) حسين عاصي : المرجع السابق ، ص 95.

ومنطلقات لنظريات جديدة في مجال التاريخ وما يعرف في كتاباته بفن العمران البشري وقف على أسس وآراء ومناهج للبحث مسجلا كفاءات لضبط الأحداث ومؤكدا على نزاهة وصدق الباحث أثناء الحكم فلا يمكننا أن نقول أنه ليس مؤرخ فقط وإنما هو من أبرز العلماء الذين شهدتهم الحضارة العربية الإسلامية رغم المآخذ التي أخذت عليه وعلى منهجه ونظرياته فيما يخص مواضيع عدة مثل العصبية.

أما المقرئ فهو نموذج لعالم ومؤرخ كبير في العصور الوسطى تقن بكتابات حتى لقب مؤرخ الحركة الصليبية باعتباره ممثلا لهذه الدراسات ، فقد تميز بمنهجه العلمي الدقيق بفضل تكوينه العلمي واحتكاكه بكبار العلماء والمحدثين أمثال أستاذه ابن خلدون ، أو نتيجة إطلاعه على أمهات الكتب.

المبحث الثاني : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والشاميين؛ نموذج(ابن سعيد صاحب " المغرب في حلى المغرب" وابن العديم صاحب " بغية الطلب"): - وقد تم اختيار النموذج نتيجة التزامن التاريخي بينهما مشرقا ومغربا-

2-1- المؤلف ابن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م) صاحب " المغرب في حلى المغرب":

1- مولده ونشأته : هو أبو الحسن علي بن سعيد بن موسى بن عبد الملك بن سعيد المعروف بابن سعيد المغربي وُلد في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة 610هـ الموافق ل فبراير 1214م ، في قلعة يحصب من أعمال غرناطة ، وكانت هذه القلعة مقرا لإمارة بني سعيد⁽¹⁾. يرجع نسبه إلى الصحابي الجليل عمار بن ياسر، وقيل بعض المؤرخين أن أحد أحفاد الصحابي عمار بن ياسر قدم إلى الأندلس في عهد الفتح أو بعده بقليل وهو عبد الله ابن سعد بن عمار الذي حلّ بالقلعة والتي ستعرف بعد ذلك بقلعة بني سعيد ، وبعد مقتل عبد الله بن سعد على يد الداخل اختفى ظهور هذه الأسرة في مسرح الأحداث حتى يثور أحد أفرادها وهو خلف بن سعيد في زمن ملوك الطوائف. ويستعيد القلعة وتوابعها⁽²⁾ كان جده لوالده شجاعا مقداما أظهر ولاءه للمرابطين ، مما أثار حقد أهل الأندلس عليه فاضطر ليلجأ إلى القلعة ثم انظم بعد ذلك للموحدين⁽³⁾.

أما والده أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد فقد كان عالما شغوفا بالاطلاع على الكتب ، كان شاعرا وأديبا، من فضلاء الأندلس ، يعتبر المرابي الأول لابن سعيد الذي أخذ منه الأخلاق

⁽¹⁾ ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا ، تح: اسماعيل العربي ، ط1 ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1970 ، ص 05. محمد جابر الأنصاري : التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992، ص82.

⁽²⁾ محمد الأنصاري: ابن سعيد المغربي - حياته وآثاره - ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، بيروت ، ماي 1966 ص 54.

⁽³⁾ شوقي ضيف : المغرب في حلى المغرب ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1964 ، ص02.

والعلم والشعر ، فكان يدرّبه على قول الشعر بنفسه. انتقل بعد ذلك مع والده إلى اشبيلية في العاشرة من عمره حيث قضى ابن سعيد طفولته في اشبيلية وتلقى العلم على أيدي علماء الأدب والنحو ومن أبرزهم : البطليوس - أبو علي الشلوين النحوي - أبو الحسن الدباج (1) .

2- العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية عند ابن سعيد :

أ- **شيوخه:** تعددت الحقول التي استقاها ابن سعيد من شيوخه ، وفي هذه الورقة سنذكر مجموعة من شيوخه الذين انتهل منهم أبرزهم:

- والده موسى بن محمد سعيد (ت 640هـ/1242م): كانت العلاقة بينه ووالده ليست علاقة اجتماعية فقط وإنما أكثر من ذلك فقد تميزت بطابع علمي دقيق فتناقل عنه التأليف والتصنيف مثل كتاب معجم والدي واجب الأدب(2).

- أبو يحيى أبو بكر بن هشام القرطبي (ت 640هـ/1242م): أديب محنك وبارز من أعلام النثر دون لولاة قرطبة كأبي العلاء المأمون الموحدي ، له أشعار وموشحات عدة اشار إليه ابن سعيد من خلال الاقتباسات (3).

- الأعلام البطليوس (ت 642هـ/1244م): هو الأديب النحوي أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسين بن السيد البطليوس ولد سنة (444هـ/1052م) ، اشتهر بإقراء كتب الأدب ، وله شروح في كتابي الكامل للمبرد ، والأمالى للقالى. أجمعت المصادر التاريخية على أنه توفي في منتصف رجب من سنة (521هـ/1129م)(4).

ب- **تأثير رحلاته العلمية على كتابته التاريخية (رحلاته بين المغرب والمشرق):** قام ابن سعيد برحلات كثيرة في عدد من دول المغرب العربي الاسلامي وشرقه ، فالتقى بعدة علماء وأدباء وشعراء نازلا ببلاط الأمراء كونه مغربياً . ثم توجه للمشرق فجالس بعضهم وتقرّب من السلاطين ؛ حيث

(1) أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي: رايات المبرزين وغايات المميزين ، تح: محمد رضوان الداية ، ط1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987 ، ص16.

(2) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص ص128-129.

(3) نفس المرجع ، ص129.

(4) أبي الوليد الوشي وابن السيد البطليوسي : كتاب القرط على الكامل - وهي الطرر والحواشي على الكامل للمبرد - تح: ظهور أحمد أظهر، ط1، المطبعة العربية ، 1980 ، ص ص 73-83. ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى اختصار القدر المعلى في تاريخ المحلي ، تح: إبراهيم الأبياري ، ط1 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة 1959 ، ص157.

تبدأ رحلاته منذ أن خرج من غرناطة نحو إشبيلية ليلتقى بشخصيات علمية زادت من علمه وخبرته ، ومن أبرز هذه الشخصيات التي التقى بها :

- أبو محمد عبد الحقّ الزهري القرطبي من حفاظ الأندلس وأدبائها ومؤرخيها ، التقى به في إشبيلية وكانت بينهما مجالسات كثيرة وسجلات شعرية . فكان والده يكرمه على حفظه (1).
- الشاعر أبو بكر الصّابوني التقى به كذلك في إشبيلية وجالسه وسمع منه شعرا وأنشد عنه (2).
- إبراهيم بن سهل وهو شاعر أندلسي لازمه ابن سعيد كثيرا في مرحلة الشباب وكان حديثهما شعرا أكثر منه نثرا، وقد ذكره ابن سعيد كثيرا في مؤلفاته.. وغيره من العلماء (3).

وبعد تدهور الأوضاع في إشبيلية قرر والد ابن سعيد مغادرتها فانتقل مع ابنه ابن سعيد إلى الجنوب الشرقي من المنطقة الواقعة بين مرسية ومالقة . ثم التقى ابن سعيد في قرمونة بابن البلاج القرموني قبل أن يتوجه إلى مالقة ويقيم فيها مدة من الزمن ملتقيا بقاضيها ابن عسكر المالقي ليعقد النية بعدها لزيارة البقاع المقدسة ، وآخر أخبار ابن سعيد في الأندلس كانت عام (636هـ/1238م) عندما كان مارا بمرسيه مع والده ليشد الرحال نحو تونس بعد ذلك (4).

الرحلة الأولى : كانت تونس في ظلّ الإمارة الحفصية المشجعة للعلم والعلماء لهذا لجأ إليها معظم علماء الأندلس بعد تدهور الأوضاع في هذه الأخيرة من بينهم ابن سعيد الذي رافقه في هذه الرحلة والده خاصة أن أحدا من بني سعيد وهو أبو عبد الله بن الحسين كان قائدا بارزا في الدولة الحفصية آنذاك. كما خدم ابن سعيد ووالده أمير تونس أبي زكرياء الحفصي (625هـ-1228م/647هـ-1249م) ؛ حيث امتدحه ابن سعيد في قصائده وذكر صفاته ومحاسنه . دون أن ننسى تولي ابن سعيد قراءة ديوان المظالم لأبي زكرياء الحفصي بفضل وساطة ابن عمه . لكن هذا الأخير سرعان ما انقلب عليه وسعى جاهدا لتأخيره عن قراءة ديوان المظالم بسبب تقربه من الوزير ابن جامع وهو أحد منافسي ابن عم ابن سعيد وأمام مواصلة مساعي ابن عمه لأذنيه طلب ابن سعيد من الوزير أن يتركه يرحل للمشرق فرفض طلبه

(1) أبو عبد الله محمد بن خليل : اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي لابن سعيد ، تح: إبراهيم الأبياري ، ط1 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1959 ، ص 135. محمد الأنصاري : التفاعل الثقافي ، ص 88.

(2) نفس المصدر ، ص 69. نفس المرجع ، ص 88.

(3) يسرى عبد الغني عبد الله : ديوان بن سهل الأندلسي ، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 ، ص ص 05-06.

(4) محمد الأنصاري : التفاعل الثقافي ، ص ص 90.

وبعد وفاة الوزير ابن جامع عزم ابن سعيد الرحيل عن تونس وإقامته فيها مكنته من الالتقاء بالعديد من العلماء منهم الكاتب الأديب أبي العباس الغساني الذي كان كاتباً للأمير أبي زكرياء الحفصي⁽¹⁾.

الرحلة الثانية : توجه ابن سعيد مع والده إلى مصر وكان سلطان هذه الأخيرة آنذاك الملك صالح نجم الدين أيوب (637هـ - 647هـ/1240م - 1249م) ، فبعد وصوله إلى الإسكندرية سنة (639هـ/1242م) ترك ابن سعيد والده الذي أنهكه السفر ورحل إلى القاهرة . لكنه سرعان ما رجع للإسكندرية بعد ما اشتد التعب على والده الذي توفي عام (640هـ/1243م)⁽²⁾.

فبعد ذلك رجع إلى القاهرة وظل بها ثلاثة سنوات حتى عام (643هـ/1242م) ؛ حيث التقى خلال فترة إقامته هناك أن يكون علاقات وصدقات مع العديد من شعرائها وأدبائها وعلمائها من بينهم كمال الدين ابن العديم الذي كانت تربطه علاقات قوية بابن السعيد، فشجعه على الرحيل معه إلى حلب فلبى طلبه ورحل إلى هناك أين تعرف على الملك الناصر وأصبح من مجالسيه الذين يستمع إليهم ويحدثهم في جلساته العلمية والشعرية. ليشتد الرحال بعد ذلك إلى دمشق ويلتقي بملكها توران شاه وحضر مجلس خلوته والتقى بالعديد من أهل الأدب والعلم والشعر وظل بها سنة ما بين (647هـ - 648هـ/1249 - 1250م)، ثم رحل من دمشق وإلى بغداد ومنها للبصرة ليزور البقاع المقدسة ، وبعد ذلك قرر العودة للمغرب فعند عودته مر بحلب لتوديع ملكها الناصر يوسف ، ليتوجه من جديد نحو تونس وعند وصوله إليها كانت تشهد فيها الإمارة الحفصية ازدهارا خاصة بعد تولي الأمير أبي عبد الله المستنصر (647-675هـ/1249م-1277م) الذي كان مشجعا للعلم والعلماء ، ليقم ابن سعيد في كنفه لمدة أربعة عشرة سنة وينال إثر ذلك درجة رفيعة ليرتحل بعدها إلى المشرق وعند وصوله للإسكندرية سأل عن الملك الناصر فعلم بقتله من طرف التتار، ونفس الشيء لصديقه ابن العديم ففجع بهذه الأخبار فقرر الرحيل إلى ناحية خرسان وسار بين عبادان وقزوين وصولا إلى بلاد العجم ، ثم عاد ليستقر به المقام في تونس عام (675هـ/1277م)⁽³⁾. فقد ظن بعض المؤرخين أن ابن سعيد قد جال وصال غربي إفريقية ورأى مصب نهر السنغال ، أو لعله نقل هذه الأخبار عن الرحالة ابن فاطمة صاحب الرحلة نحو جنوبي مراكش ، دون أن توغل إلى المنطقة⁽⁴⁾.

(1) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص ص 90 - 106. عبد الرحمان حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ، ط1، دار الفكر دمشق ، 1995 ، ص 489.

(2) ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، ط1 ، دار التراث الإسلامي، بيروت، 1999 ص 113.

(3) عبد الرحمان حميدة : المرجع السابق ، ص ص 489-491 .

(4) زكي محمد حسين : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ط1، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981 ، ص 122.

ج- مؤلفات ابن سعيد: كانت مؤلفاته كثيرة ومتنوعة، هذا التنوع دليل على منزلته الأدبية العالية وسعة إطلاعه وغلبة الطابع الأدبي على أسلوبه وتفكيره، وإجادته في التاريخ وأدب الرحلات وغير ذلك ؛ حيث يقول في هذا الصدد ناصر الدين سعيدوني: "عُرِفَ أبو الحسن علي المغربي بكثرة تأليفه وتنوع اهتماماته وممّا يعزّز رأينا هذا أنّ جُلَّ مؤلفات ابن سعيد وهي تربو عن ستة وأربعين كتابا ضاع جُلّها ولم يصل منها إلا القليل". وقد ختم سعيدوني حديثه عن مؤلفات ابن سعيد مقسّما إياها بحسب موضوعاتها إلى:

✓ كتب الأدب والمؤانسة وهي :

- ملوكُ النَّبْعِ .
- المقتطفُ في أزاهير الظرف .
- كتابُ المُحَلَّى بالأشعار .
- حلُّ الرِّسائل .
- رسالةُ الغراميات .
- ريحانةُ الأدب في المحاضرة .
- المرقصات والمطريات .
- راياتُ المبرزين وغايات المميّزين .
- حياةُ المحل وجنا النحل⁽¹⁾.

د- تأثير عصره على كتابته التاريخية : ارتحل وجال ابن سعيد مجموعة من الأقطار الإسلامية ممّا سمح له الاتّصال بكبار علمائها وأمرائها وسلطينها فعاش على إثر ذلك في مراكز ثقافية عدّة مُطلعا ومُسجلا أوضاع بيئاتها السياسية والاجتماعية والثقافية ، فقد عايش المؤرّخ خلال القرن السّابع الهجري/الثالث عشر الميلادي الذي شهد تحولات وتغيّرات جذريّة في الخارطة السياسية والجغرافية للعالم الاسلامي إذ اختفت دويلات وأسر حاكمة لذلك انتقلت الرّيادة والمراكز من عظمى المدن إلى مدن أخرى. كما أن اتّجاهات وخصائص الفكر والعلم تجددت واتّسمت بالدّقة العلمية⁽²⁾.

تنامت الدويلات الاسلامية أثناء الحقبة محلّ الدراسة، إذ شهد العصر مطلع القرن كبرى الدويلات مشرقا ومغربا أبرزها الدولة الأيوبية(مصر والشّام) ، والموحّدية (الأندلس ، المغرب الاسلامي) اللّتان

(1) محمد عزلاوي : كتاب ابن سعيد المغربي في التراجم الاختيارات الأدبية ، مجلة مقاربات ، جامعة الجلفة ، 2020، مج 6 ع 01 ، ص ص128-129.

(2) محمد الأنصاري: ابن سعيد المغربي (610-685هـ/1213-1285م) - حياته وآثاره - ، أطروحة مقدمة للدائرة العربية بالجامعة الأمريكية لنيل شهادة الماجستير ، بيروت ، 1966 ، ص09.

تصدت لقوى خارجية غازية على المناطق التابعة لها، بالإضافة إلى الأوضاع الداخلية المزرية فالضعف الذي عرفه العالم الاسلامي وكذا سقوط بغداد عند إقدام هولاء سنة (656هـ/1258م) وأد نكبة ثقافية أثرت على العالم الاسلامي. ولولا الوجود المملوكي لكان من المحتمل أن يتحول الوجه الحضاري للمنطقة وتتعرض الآثار لمصير غامض ، فبفضلهم تنامى التدوين والتصنيف رغم أنه لم يكن مثل أيام الأيوبيين⁽¹⁾ فالوجود المملوكي رغم أنه لم يسمح بالاندثار التام للتأليف والعلوم إلا أنها بالمقارنة مع الفترة الأيوبية قد شهدت ركودا بسبب توالي العوامل كطغيان الطابع الديني (النزعة السنية) واشتداد قوته من جهة ، ومن جهة أخرى عرفت المنطقة سيطرة الشكل والزخرفة في ميدان الأدب والفنون وكذا قوة التوجه العلمي نحو الجمع والنقل والاختصار والشرح في حقل التأليف والتصنيف⁽²⁾.

فيمكننا القول أن القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي قد شهد إلغاء للمذهب الشيعي في مصر من قبل صلاح الدين واستشهاد السهروردي صاحب الفلسفة الاستشراقية على يده بطلب. أما ببلاد المغرب فقد تنامت صراعات العلماء مع السلطة والدليل على ذلك اعتماد أسلوب النفي والتهجير عنوة مثل مكان الحال للمؤرخ والعالم ابن رشد من قبل الخليفة الموحي أبو يوسف المنصور، لكون الموحيين عرفوا بعدائهم الشديد للفلسفة والفلاسفة والتفلسف ومنعت إثر ذلك كتبه من التداول⁽³⁾. كما طبع العصر بطابع التقليد فلذلك أصبح النشاط الفكري هدفه فهم التراث وتقليده لتحقيق تلاؤم مع ما كان سائدا على عهد أسلافهم، ونتيجة لهذا الوضع تميز هذا العصر بزيادة الأعمال الجماعية الشبيهة بالموسوعات أو الأعمال التلخيصية التفسيرية الخاصة بالشروحات، والمنتبج لأمتهات الكتب فإنه يقتنع اقتناعا كبيرا بالانتشار الواسع لهذه الظاهرة، ففي حقل النصوص التاريخية وتاريخ الدول فقد ألف كبار المؤرخين كتبهم أمثال: المنتظم لعبد الرحمن بن الجوزي(597هـ/1201م)⁽⁴⁾ لابن الأثير (630هـ/1232م) ، المعجم لعبد الواحد المراكشي(621هـ/1224م)، أما المغرب والمشرق لابن سعيد فإنهما يندرجان ضمن النصوص الشعرية التاريخية⁽⁵⁾.

(1) محمد الأنصاري : ابن سعيد المغربي ، ص10.

(2) نفس المرجع ، ص11.

(3) نفسه ، ص12.

(4) هو الشيخ المؤرخ العربي القرشي التيمي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي المكنى بأبي الفرج ، أما نسبه فقد اختلف العلماء في ذلك فقليل نسبة لدار جده التي تحتوي جوزة أو إلى بيع الجوز، وقيل كذلك نسبة لمشرفة الجوز ببغداد. ففي ميدان التاريخ يعتبر من موسوعي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . صاحب كتاب المنتظم . أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ/1201م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، ط2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995 ص ص 13-36.

(5) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص 14-15.

وفي الأخير يجدر الإشارة إلى أن هذه المظاهر الثقافية التي عرّفها العصر ما هي إلا نتاج عوامل عدّة ساهمت في ذلك أبرزها: إشراف الدولة على معاهد العلم وزيادة عنايتها بالمكتبات وخرائن الكتب العامّة والخاصّة بهدف حفظ التراث الاسلامي ، دون أن ننسى قوّة الاحتكاك الذي عرفه رجال العلم فيما بينهم⁽¹⁾.

هـ-إسهاماته في الكتابة التاريخية: تنوّعت وتعددت الدراسات التاريخية التي تناولها ابن سعيد نذكر أبرزها:

- الطالع السعيد: يشير إليه حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون قائلاً عن المؤلف تواريخ الصعيد: "والطالع السعيد الجامع لأسماء فضلاء الصعيد في ذكر أعيانها"⁽²⁾.

- لذّة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام : بالعودة إلى عنوانه فإننا نؤكدُ تعرض المؤرّخ لتاريخ الأمم العجيبة التي دخلت الاسلام واعتنقته ويقول كذلك حاجي خليفة عنه : " لذّة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام في نحو مجلدين لعلي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة"⁽³⁾.

- كنوز المطالب في آل طالب: ذكر هذا المؤلف لابن سعيد ضمن المؤلفات التي امتلكها الصّفي قائلاً أنّه من أهمّ الكتب التي تضمّنت معلومات ثريّة عن آل أبي طالب⁽⁴⁾.

- الغصونُ اليناعة في شعراء المائة السابعة: جاء في كتاب الجغرافيا أنّ دار الكتب المصرية تحتفظ بنسخة مصورة منه والأصل بخطّ المؤلف⁽⁵⁾.

- المشرق في حلى المشرق: ألفه المؤرّخ الأديب أبي الحسن سعيد بن علي الغرناطي لصاحبه بن محي الدين الجزري⁽⁶⁾.

- نشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب: يشير محقق كتاب الجغرافيا إلى وجود نسخة خطيّة من الكتاب في مكتبة توبنجن بألمانيا متناولا في هذه النسخة كلّ ما يتعلّق بتاريخ العرب في العصر الجاهلي ونشرت على يد المستشرق Trumer تحت عنوان : "ibn said sgeschte der vorislamsh en araber" متناولا في هذه النسخة كلّ ما يتعلّق بتاريخ العرب في العصر الجاهلي⁽⁷⁾.

(1) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص 16.

(2) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج 1 ، ص 297. ابن سعيد المغربي : الجغرافيا ، ص 20.

(3) حاجي خليفة : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 1548 . ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 20.

(4) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج 8 ، ص 228.

(5) ابن سعيد المغربي : الجغرافيا ، ص 23.

(6) نفس المصدر ، ص ص 16-17. حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج 2، ص 1693.

(7) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 19.

و- وفاته : توفي ابن السعيد كما تذكر إحدى الروايات بدمشق بعد عودته من رحلته الثانية عام (673هـ/1274م) على قول تغري بردي ، وترى روايات أخرى حدوث وفاته إلى ما بعد التاريخ السالف الذكر ، وفي تونس بالذات على حد قول الشيوطي والمقري فيحدّد ذلك عام (685هـ/1286م)⁽¹⁾.

2-دراسة المصدر "المغرب في حلى المغرب" :

أ- مضمون الكتاب: يعدّ كتاب المسهب للحجازي النّواة الأولى لكتاب المغرب باعتباره يحتوي معلومات وأخبار تخصّ بني سعيد أيام جدهم عبد الملك ، إلا أنّ المسهب مفقود لا يعرف عنه الكثير فقد انصبّ في المغرب ولم يصل كتابا. وممّا وصلنا عن الكتاب أنّ "جاحظ المغرب صاحب المسهب أبو محمّد عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم الحجازي هو أوّل من أسمى هذا التصنيف وفتح بابيه لمن بعده من بني سعيد"⁽²⁾. تمّ تدوين المؤلف بالموارثة في مائة وخمسة عشر عامًا ، ونقحت النّسخة على يد كبار أدباء الأندلس لكون سبب التّأليف يعود إلى كون أبا عبد الله محمّد بن إبراهيم الحجازي وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد بالقرب من غرناطة سنة (530هـ/1136م) وهو تحت السّلطة المرابطيّة آنذاك⁽³⁾.

يشمل الكتاب 15 سفرًا مقسما على النّحو الآتي:6 منها لتاريخ مصر ، 3 لبلاد المغرب 6لتاريخ الأندلس جمعت هذه الأخيرة تحت تسمية: "كتاب وشى الطرس في حلى جزيرة الأندلس" وهي النّسخة التي تعاني من النقص والإضطراب في الأخبار والمعلومات المطروحة ، فالجزء الأوّل من الكتاب يشمل تاريخ الأندلس وعلمائها -؛ أي الأسفار الثلاثة من نصوص القطعة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر في التصنيف العام للكتاب - ؛ وهو عبارة عن نصوص تاريخية وحقائق أدبية تسد الفراغ الأدبي التاريخي لمصنفات منشورة - إذ يعدّ النص المخطوط المحقق قيمة مضافة⁽⁴⁾. أمّا الجزء الثاني فيعد جزءا مكمّلا لقسم الأندلس من مصنّف المغرب في حلى المغرب دونه المؤرّخ الخامس علي بن موسى لصديقه ابن العديم في حلب⁽⁵⁾.

اعتمدنا في دراستنا هذه على نسخة محققة من قبل الدكتور شوقي ضيف الذي يشير إلى إطلّاعه على النّسخة النفيسة التي خطّ ابن سعيد آخر المؤلّفين الّذين توارثوا المؤلّف مدة 125 سنة وهم:

(1) عبد الرحمان حميدة : المرجع السابق ، ص 490. ابن سعيد المغربي : الجغرافيا ، ص ص 13-14.

(2) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج 1 ، ص 35.

(3) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 01.

(4) نفسه ، ج 1 ، مقدمة الطبعة.

(5) نفسه ، ج 2 ، ص مقدمة 01.

- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحجازي - المؤلف الأول - .
- عبد الملك ابن سعيد ؛أضاف ما أغفله الحجازي -المؤلف الثاني- .
- محمد ابن سعيد ؛ ولاه والده الأعمال الجديدة -المؤلف الثالث- .
- موسى بن محمد ابن سعيد - المؤلف الرابع- .
- علي بن موسى ؛المؤلف الخامس الذي التقى به المؤرخ ابن العديم في بلاد الشام .
- أبو الحسين علي ابن سعيد المغربي - المؤلف الأخير للكتاب-(1).

فالكتاب حسب محمد عزلاوي تناول فيه مؤلفنا الحديث عن بلاد المغرب جغرافيا وسياسيا وثقافيا كما تناول فيه أيضا أعلام المغرب والغرب، وقد قسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام جاءت بالعناوين التالية:

- كتاب العرس في حلى غرب الأندلس .
- كتاب الشفاء للعس في حلى موسطة الأندلس .
- كتاب الأنس في حلى شرق الأندلس(2).

وقد ذكر في هذه الأقسام الثلاثة الممالك والمدن والأقاليم الأندلسية مبرزا مواقعها الجغرافية وسكانها ومناخها وحياتها السياسية والاجتماعية والثقافية ، ليتناول بعد ذلك الجانب البشري فترجم لعدد كبير من الأعلام من الملوك والأمراء والقضاة والعلماء والكتّاب والشعراء في كل بلد من بلدان تلك الأقاليم ، فترجم لهم تراجم موجزة توقف فيها عند أنسابهم وأسمائهم ومنازلهم . وذكر نماذج من أدبهم وأشعارهم وقد تجاوز عدد التراجم في هذا الكتاب 640 ترجمة ، أمّا من حيث منهج ابن سعيد في الترجمة للأعلام في كتاب المغرب في حلى المغرب أن يتحدث عن البلد ثمّ يتناول أعلامه ومشاهيره من مختلف الفئات(3).

ب - نشرُ وأصولُ نسخ المخطوط : ارتأينا أن نقف على كتابي المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب بعد تدوينهما تحت عنوان : " فلك العرب المحيط بلسان العرب ، المحتوى على كتاب المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب" . فقطعة كتاب المغرب في حلى المغرب تشمل 181 ورقة ظلت محفوظة في دار الكتب المصرية إلى غاية أواخر القرن الماضي حتّى نفض غبارها مدير الدار المستشرق vollers ، ومع مرور الوقت تمّ الوصول إلى وجود قطع بدور أخرى في حاله رثة سواء التي وجدت بجامع المؤيد في القاهرة (تضم 865 ورقة) ، أمّا النسخة المخطوطة فقد وجدت على قسمين 1050 ورقة بدار الكتب المصرية و536 ورقة بالأندلس(4).

(1) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج 1 ، ص ص 01-07.

(2) محمد عزلاوي : المرجع السابق ، ص 131.

(3) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص 63.

(4) ابن سعيد المغربي : الجغرافيا ، ص ص 17-18.

بعد المستشرق vollers الذي أولى عناية بالمخطوطة لأول مرةً فيها هو المستشرق فولارز يشرف على ترتيب قطع الكتاب ، وينشر جزءا منها تحت عنوان: " fragmente ans dem Maghreb des ibn said " ، وطبع الجزء الخاص منها بابن طولون. كما سار على نفس النهج المستشرق k.tallquist الذي نشر الجزء الرابع منه الخاص بتاريخ الأخشيديين ثم ترجمه إلى اللغة الألمانية (اليدن 1899م) ، أما سنة 1947م توجهت بعثة تصوير المخطوطات في الجامعة العربية إلى تصوير آخر لكتاب " المغرب في حلى المغرب " وحفظت بلصقورة من أعمال سوهاج متضمنا حوالي 250 ورقة مكملًا بذلك المقطع الخاص بالأندلس المحفوظ بدار الكتب المصرية ؛ وهي بالذات النسخة التي نشر منها الدكتور شوقي ضيف قسما ضمن سلسلة ذخائر العرب الصادر عن دائرة المعارف ، كما حازت باهتمام مؤرخين آخرين أمثال الدكاترة: محمد زكي ، حسين شوقي ، سيدة كاشف الدين أعادوا نشر الجزء الرابع المذكور آنفا بمصر . بالإضافة إلى ذلك طبعت قطعة من المغرب عن صقلية نشرها الدكتور ضمن كتاب العيد المئوي لميلاد ميشيل أماري وقد صدر الكتاب سنة 1910⁽¹⁾.

ج - منهج المؤلف في تحرير نصوص الكتاب : يشير علي ابن سعيد إلى المنهج في كتابيه المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب من خلال النصوص المنصوص عليها قائلا: "كل من التصنيفين مرتب على البلاد ، متى ذكر بلد ذكرت كوره وأتكلم عليه... ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولى التواريخ لا يجب إغفائها ثم نأخذ في الطبقات واحدة بعد أخرى ، وهي خمسة طبقات : طبقة الأمراء طبقة الرؤساء ، طبقة العلماء ، طبقة الشعراء ، طبقة اللغيف"⁽²⁾.

وهذا المنهج طبقه ابن سعيد على النص المتعلق بتاريخ الأندلس إذ بدأ حديثه عن الأندلس وخصائصه وفضائلها ، ثم خرج متناولاً كور الأندلس واحدة تلوى الأخرى ليقسم الأندلس بعدها إلى أقسام (غرب موسطة - شرق) ، كما أفرد لكل قسم من الأقسام الثلاثة كتابا خاصا فسمّى كتاب الغرب " كتاب العرس في حلى غرب الأندلس " ، وكتاب الموسطة " ، " كتاب الشفاء للعس في حلى كتاب الأندلس " وكتاب الشرق " كتاب الأندلس في حلى شرق الأندلس"⁽³⁾.

وبعد تقسيم الأندلس وكورها إلى كتب اتخذ تقسيما آخر؛ وهو الكتاب الواحد إلى ثلاثة كتب . وهذه الأخيرة إلى ممالك وجاء التقسيم على النحو الآتي:

1- قسم الغرب: قسّم إلى سبع ممالك (مملكة قرطبة، مملكة إشبيلية ، مملكة بطليوس ، مملكة شلب مملكة باجة ، مملكة اشبونة ، مملكة مالقة) .

(1) ابن سعيد المغربي : الجغرافيا ، ص 18. محمد الأنصاري : المرجع السابق ، ص 142.

(2) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج 1، ص 09. (للمزيد من المعلومات ينظر إلى الملحق رقم 02).

(3) نفس المصدر ، ج 1، ص 10.

2- قسم الموسطة: قسّم إلى أربعة كتب (مملكة طليطلة ، مملكة الجيانية ، مملكة إلبيرة ، مملكة المرية).

3- قسم الشرق: قسّم إلى ستة كتب هي (مملكة تدمير، مملكة بليينية ، مملكة طرطوشة، مملكة السهلة ، مملكة النجر ، مملكة الميورقية)⁽¹⁾.

فمن خلال هذا التقسيم، قسمت الممالك إلى مجموعة كور فمثلا: الكتاب الخاص بالحلة الذهبية في الكورة القرطبية قسم إلى خمسة كتب :

- كتاب النغم المطربة في حلى حضرة قرطبة.

- كتاب الصبيحة الغراء في حلى حضرة الزهراء.

- كتاب البدائع الباهرة في حلى حضرة الزاهرة.

- كتاب الوردة في حلى مدينة شقندة.

- كتاب الجرعة السيغة في حلى قرية وزغة⁽²⁾.

تناول المؤرخ بهذا النموذج كلّ الكتب حسب الكور حتّى أدرج هذا النوع من الكتابة ضمن التراجم البلدانية العامّة ، كما ترجم المؤلف لعدّة أعلام من الملوك والأمراء والقضاة والكتاب والشعراء بكل منطقة من الأقاليم المذكورة آنفا، فقد كانت الترجمة موجزة ، إذ وقف فيها على أنسابهم وأسمائهم ومنازلهم وذكرت نماذج عدّة من آدابهم وأشعارهم وقد تجاوز عدد التراجم في هذا الكتاب 640 ترجمة⁽³⁾. وكانت طريقته على النحو التالي فيما يخص الترجمة للأعلام : الحديث عن البلد وأعلامها من حيث الفئات الاجتماعية ونموذجا عن ذلك: من الكتب التي احتوتها الأندلس كتاب الفردوس في حلى مملكة بطليوس إحدى ممالك شمال الأندلس تناول كتاب سمّاه " كتاب الأمثال الشاردة في حلى مدينة ماردة". تطرق فيها لترجمة العالم الجليل أبو الزبيع سليمان بن محمّد بن أصيغ بن وانسوس⁽⁴⁾.

نستخلص ممّا سبق أنّ كتابات ابن سعيد تتمتع بالدقة وتعدد الحلقات وترابطها إذ اعتنى عناية شديدة بمختلف النواحي المكاني، فقد كان كثيرا ما يورد تراجم الرجال وأشعارهم حسب مدنهم وكورهم، كما أنّه كثيرا ما كان يراعي النواحي الزمانية فأورد التراجم حسب التسلسل الزمني، بالإضافة إلى الاعتناء بالتأحية الاجتماعية من جهة أخرى ، فبدأ دراسته بالملوك والأمراء فالأعيان والعلماء والشعراء بالرغم من أنّ بعض الرجال لم يتطرّق إلى تراجمهم لكونهم اشتهروا إمّا بالجد أو الهزل ، فلذلك غالبا ما ركز

(1) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص ص 10-11.

(2) نفس المصدر ، ج1، ص36.

(3) محمد عزلاوي : المرجع السابق ، ص131.

(4) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج1، ص361.

المؤرخون على القسم الخاص بالأندلس الذي يمثل أحسن نموذج لكتاب المغرب باعتباره أوفى الأقسام المعبرة عنه وأكثرها غنى بالمادة العلمية والتاريخية والشعرية بحكم صلة الكتاب كله بالبيئة الثقافية في الأندلس فيبدأ القسم الأندلسي في الحديث عن الأندلس وصفاتها الثقافية وميزاتها التاريخية وكورها باعتبارها إقليمًا واحدًا ذا شخصية مستقلة بارزة، وبعد المقدمة قسم هذا القسم الأندلسي إلى ثلاث أقسام وهو يسمى كل قسم جديد كتابًا باعتبار الأقاليم الجغرافية الرئيسية التي تتكوّن فيها الأندلس من الغرب وموسطة وشرق - ثم يقسم كل قسم إلى ممالك كبرى كما أورد سابقًا -، وهذا المنهج المتشعب المتنوع يعتبر من أصعب المناهج ولذلك لصعوبة تحديد هوية الكتاب على وجه الدقة⁽¹⁾.

د - أسلوبه: يتميز أسلوب ابن سعيد المغربي بعدة سمات منها:

- أسلوبه الأدبي (خبري - سردي): إذ لم يكتف في تراجمه للأعلام أو ذكره للأخبار على السرد فقط بل أرفق ذلك بآثارها الأدبية فمثلا عندما تحدث في كتابه " كتاب النّهلة في حلى مملكة السهلة" عن ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك (بن رزين) قائلاً عنه: " ورث الرياسة عن ملوك عضدوا مؤازرهم وشدوا دون المحارم مآزرهم". ثم يذكر من شعره قوله:

وروض كساه الظل وشيا مجددا فأضحى مُقيما للنفوس ومقعدا⁽²⁾ .

- التقليد: التقليد طابع صبغت به المؤلفات التي دونت خلال المرحلة التاريخية التي عايشها والغاية منه فهم التراث ونقله للأجيال⁽³⁾.

- أسلوبه يتسم بالبساطة والسهولة: نظرا لفصاحته اللغوية الخالية من الغرابة فقد أوردت الأبيات الشعرية بوضوح معانيها وألفاظها ، وهذه الصفة تظهر جلية في قول الشاعر أبو الحسن بن فندلة:

ودارت حميا الكأس بيني وبينه فدبت ديببا ليس يحسنه النمل⁽⁴⁾

- اهتمام ابن سعيد بالنقد الأدبي : يعتبر المؤرخ ابن سعيد أبرز المؤرخين المهتمين بالنقد الخاص بالتقويم والأحكام لاحتواء كتاب " وشى الطرس" على تراجم أنساب أهل الأندلس هذا من جهة ومن جهة أخرى عرف بنقده لمعاصريه من أدباء ومؤرخين وأشعارهم ومن أمثلة ذلك : قوله عن الزاهد أبو وهب عبد الرحمن العباسي من كتاب رغد العيش في حلى قريش مايلي: " وكان مُنْقَطِعِ القرين في الزهد والورع" وغيرها من المواضع⁽⁵⁾.

(1) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص ص 139-140.

(2) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج2، ص428.

(3) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص 15.

(4) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص246.

(5) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 63.

ومن أمثلة اهتمام ابن سعيد بنقذ الشعر والنثر الفني الذي أولاه عناية شديدة نذكر: قوله في ترجمة أبي الوليد أحمد بن زيدون المخزومي عن صاحب القلائد مايلى: " وظهر كالبدر ليلة تمامة ، فجاء من القول بسحر ، وقلده أبيه نحر"⁽¹⁾.

- استخدامه للأساليب البلاغية السجع والتشبيه.
- أسلوب الدمج بين المنهج الموضوعي والتراجم والبلدان: إذ وضع عناوين رئيسية بأسماء الكتب ثم يذكر الترجمة والأحداث التي وقعت أيام عصره وفق الكور التي ينتمون إليها.
- وضوح الثقافة الدينية في أسلوبه: من خلال افتتاحيات الكتاب فتكررت البسمة كقوله بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه فهذا الكتاب الثالث⁽²⁾.
هـ - مصادر الكتاب: أشار الباحث عزلاوي محمد في بحثه إلى مجموع مصادر ابن سعيد في كتاباته مقسما إياها الى قسمين:

أ- المصادر المكتوبة : كثيرا ما كان يحيل ابن سعيد في مؤلفاته وخاصة في كتاب "المغرب في حلى المغرب" على وجود طائفة كبيرة من المصادر المغربية والمشرقية منها تاريخ بغداد لابن الساعي وتاريخ حلب لابن العديم ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، وبيتمة الظهر للثعالبي ، والمقتبس لابن حيان الأندلسي والجدوة للحميدي وأحيانا يذكر أسماء الكتاب بدل الكتب فيذكر الشهاب وأظنه الخفاجي، والتاج بن حمويه الدمشقي.

ب- المصادر الشفوية: مصادر لا يخلو منها كتاب في المجموعة المذكورة في كتاب "المغرب" و"الغصون اليناعة"، ويكثر هذا اللون من المصادر في كتاب " المرقصات والمطربات"؛ وهو يشير إلى هذه المصادر بقوله : ذكر والدي أو ذكر الحضرمي أو حدثني محمد الصولي وهكذا⁽³⁾. أما الأنصاري فيشير بالقول أن المؤرخ ابن سعيد اعتمد في تدوين كتابه " المغرب في حلى المغرب" على ثلاثة أنواع من المصادر وهي؛ المشاهد والروايات الشفوية والكتب الجغرافية والتاريخية الأدبية السابقة لتأليفه أو المعاصرة له ومعظمها من أمهات المصادر الأندلسية الهامة وقد بلغ عدد هذه المصادر 45 كتابا فيما يختص بالقسم الأندلسي وحده الذي تضمن 647 كتابا فيما يختص بالقسم الأندلسي وحده الذي تضمن 6747 ترجمة⁽⁴⁾.

(1) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص63.

(2) نفس المصدر، ج1، ص360. ج2 ، ص03.

(3) محمد عزلاوي: المرجع السابق ، ص ص 134-135.

(4) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص 141.

يعتبر كتاب المغرب أهم مصدر للأدب الأندلسي عبر عصور خاصة في عهد الموحدين سواء مادته الشعرية الكبيرة التي يريدها والأخبار التاريخية والثقافية والعمرانية التي يذكرها تمثلاً مستندا أولياً هاما لأي دراسة خاصة الثقافة الأندلسية أو الشعر الأندلسي والمؤشحات والزجل في الأندلس⁽¹⁾.

و - قيمة الكتاب : إن لم يكن من المبالغ أن نقول كتاب "المغرب في حلى المغرب" كان مدرسة نظامية لابن سعيد ضمن التراجم البلدانية باعتبار هذا المؤلف هو المحدد للتكوين العلمي المنهجي ولاتجاه الفكري عنده إذ يشير ابن سعيد إلى علاقته الوطيدة بهذا الكتاب في كتابه المغرب والمشرق ودورها الجلي في إتمام رسمها الواقع أن كتاب المغرب كتاب جغرافي تاريخي أدبي والهدف منه تقديم نماذج رائعة للشعر الأندلسي التاريخي منذ أقدم العصور وفقا لنظام المملكة إلى غاية عصره متفوقا في مواده ومعلوماته وما جاء في الكتب التاريخية⁽²⁾.

ز - دراسة نقدية للكتاب (المحاسن والعيوب) : نستخلص من خلال ما تطرقنا إليه مايلي:

ز-1- المحاسن : تميّز ابن سعيد وكتابه بما يلي:

- كانت حياته حافلة بالترحال والتجوال إذ صالَ وجالَ العديد من مدن الأندلس والمشرق والمغرب مما سهّل عليه تدوين العديد من الأخبار والمعلومات.

- التقاء ابن سعيد بالعديد من العلماء والمؤرخين والأدباء الذين نهل منهم العديد من العلوم والكتب التي قوت فيه حسن المعرفة التاريخية والنقد الأدبي والتاريخي.

- يعتبر تاريخ المغرب في حلى المغرب من أهم المصادر التي حفظت لنا تاريخ الأندلس وآدابها.

- أسلوبه واضح المعالم يتمتع بالسهولة والسلاسة في طرح الأفكار لابتعاده عن استخدام الألفاظ الغامضة.

- تعدد المصادر المستعملة في الكتابة ما بين مصادر مكتوبة وأخرى شفوية .

ز-2- العيوب: يعاب على ابن سعيد وكتابه مايلي:

- عدم الاستقرار في بلد واحدة أثر على كتاباته حيث أنّ بعض المؤلفات التي دونها لم تصلنا أو تعرضت للاندثار.

- التقليد يقتل روح الابداع والتجديد لكونه صبغة العصر.

- أسلوبه أحيانا تكثرت فيه المحسنات البديعية.

- رغم تعدد وتنوع مصنفات ابن سعيد إلا أنّ الصبغة الأدبية الغالبة ، إذ جمع بين فروع علمية كالتاريخ والجغرافيا وبين الميل الأدبي.

(1) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص 169.

(2) نفس المرجع ، ص ص 124-141

2-2- المؤلف ابن العديم (ت 660هـ/1260م) صاحب " بغية الطلب " :

1- مولده ونشأته : كمال الدين⁽¹⁾ عمر بن أحمد ، العقيلي بن أبي الفضل هبة الله بن أبي غانم محمد بن هبة الله بن قاضي حلب أبي الحسن أحمد بن يحيى منقرية ربيعة بن عقيل⁽²⁾ ينتمي إلى أسرة بني أبي جرادة؛ وهي أسرة علمية ذات جاه وثروة ومكانة في حلب ، كان أجداده يسكنون البصرة ، فرحل من بينهم موسى بن عيسى بن أبي جرادة إلى حلب ، بعد سنة (200هـ/815م) واستوطنها، وولد فيها كمال الدين⁽³⁾ . ولد ابن العديم سنة (583هـ/1188م)، هذا ما ذهب إليه الذهبي . أمّا الحموي فيرى أنه ولد سنة (588هـ/1193م) ، ويرى كذلك ابن العماد أن ولادته كانت لبضع سنين وثمانين ولم يحدّد سنة ولادته ، ثمّ التحق بالمكتب ليتلقى تعليمه الأوّل وهو في السن السابعة حفظ القرآن الكريم وهو في السن التاسعة من عمره وقرأه بالعشر عند بلوغه 18 سنة⁽⁴⁾ . حيث كان لوالده الأثر الكبير في تعليمه ، فحفظ المتون الفقهية ومختصر الإمام القدوري وكتاب اللمع في أصول الفقه لأبي اسحاق الشيرازي ، سمع الحديث من أهل حلب والواردون عليها منهم عمه أبي غانم محمد بن هبة الله والشيخ افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي⁽⁵⁾ .

عند زيارته للموصل التقى بالشيخ أبو محمد المعافي بن اسماعيل الذي يعتبر مصدرا له ، وسمع الحديث أيضا عن الشيخ إسماعيل بن أبي البركات بن منصور الموصللي الربيعي، التقى ببعض علماء دمشق كالشيخ تاج الدين الكندي الذي قرأ عليه كثيرا من مسموعاته، ويقول ابن العديم أيضا: " قال لي والدي: احفظ اللمع... وهو الضياء بن دهن الحصى"⁽⁶⁾ . بالإضافة إلى ذلك كان والده يحثه على الكتابة لأنه كان ردي الخطّ ، فأتقن الخطّ وكتب مضحاً بخطّ يده .

أمّا من ناحية أسرته ، فقد تزوج مرتان فالزوجة الأولى من أعيان أهل حلب طلقها ، ليتزوج بابنة الشيخ بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد المعروف بابن العجمي وهو من كبار أهل حلب منزلة وجاها

(1) المهدي عبد الرواضية : الإتجاهات التاريخية في حلب ومنهج مؤرخها ابن العديم من خلال كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب ، مجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، الأردن ، 2017 ، مج11 ، ع 3 ، ص 26 .

(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء، مج14، ص 206.

(3) المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص 26.

(4) ياقوت الحموي : معجم الأديباء ، ج5 ، ص ص 2084 - 2083.

(5) عمر بن أحمد بن أبي جرادة ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح: سهيل زكار ، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، 1988 ، ج6 ، ص 641.

(6) ابن العديم: تذكرة ابن العديم ، ط1 ، تح : إبراهيم صالح ، دار الكتب الوطنية ، أبوظبي ، 2010 ، ص 09.

رزق بثلاثة أولاد وبنت واحدة كلهم ذوي شأن في العلم، حيث حرص ابن العديم على تعليم أبنائه ليبلغوا ما بلغه هو وأجداده من مكانة في العلم، وكان ثري له أملاك ونعم كثيرة⁽¹⁾.

عندما اكتمل تكوينه العلمي وتوفرت لديه القدرة على التدريس والإفادة، تولى سنة (616هـ/1219م) التدريس في أكبر مدارس حلب (مدرسة شاديخت) ، وفي سنة (634هـ/1236م) درس في مدرسة الحلاويين⁽²⁾. إلى جانب التدريس تولى الوزارة مرتين : الأولى للملك عبد العزيز ابن الملك الظاهر غازي والثانية للناصر آخر ملوك بني أيوب⁽³⁾ من جهة أخرى كان ابن العديم محدثا حافظا ، مؤرخا صادقا فقيها حنفيا مفتيا.. كل هذه الصفات وغيرها ومكانته من العلم أحاطت حوله كوكبة من العلماء في تلك الفترة ، فكون صداقات مع عدد منهم، نذكر البعض منهم : ياقوت الحموي أثناء إقامته في حلب في آخر ستة سنوات من حياته فأنتى كل واحدٍ منهما على الآخر في كتبهما⁽⁴⁾ المبارك بن أحمد المعروف بابن الشعار الموصلي الذي كان كثير التردد على حلب وتوفي بها، وعلي موسى بن محمد الأندلسي ابن سعيد المغربي ، الذي التقاه في القاهرة سنة (643هـ/1245م) وتوتقت الصحبة بينهما . بالإضافة إلى ذلك أنه كانت له صلة بالملوك والأمراء من بني أيوب ببلاد الشام ومصر، فكان لدى صاحب حلب الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب ، ثم ابنه الملك غياث الدين محمد وآخر ملوكهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف وصارت له منزلة رفيعة من الدولة الناصرية الصلاحية ، وكان له تواصل بملوك دمشق وحمص وغيرهم من الملوك ، فأصبح بعد ذلك رسولا إلى عاصمة الخلافة بغداد ، ثم إلى مصر وبلاد الروم ، ثم العديد من السفارات الداخلية في بلاد الشام والجزيرة ، ولعل آخر سفيرة رسمية أداها ابن العديم كانت سنة (658هـ/1259م) قبل وصول المغول للشام ، حيث أرسله الملك الناصر يوسف صاحب دمشق إلى الديار المصرية رسولا يستنجد المصريين لقتال التتار⁽⁵⁾. ومن أبنائه نذكر :

أ- ابنه الأول: أحمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله ، ولد في الرابع من جمادى الأولى سنة (612هـ/1214م)، الذي سمع كتاب بغية الطلب وقام باستدراك بعض المواد التي حانت المنيّة دون تدوينها من طرف والده.

(1) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ، ج16، ص 54.

(2) ابن الفوطي : مجمع الآداب ، ج4، ص 211.

(3) ابن كثير : البداية والنهاية ، ط2 ، دار الفكر، بيروت ، 1986 ، ج13 ، ص 236.

(4) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ، ج5 ، ص ص 2089-2091.

(5) المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص ص 28-29.

ب . ابنه الثاني : مجد الدين عبد الرحمان بن عمر بن احمد بن هبة الله ، ولد سنة (613هـ/1215م) كان عالما بالمذهب ، عارفا بالأدب وهو أول حنفي خطب بجامع الحاكم ، تولى قضاء الشام ، وترأس الحنفية بمصر والشام ، توفي سنة (677هـ/1279م).

ج. ابنه الثالث : محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله ، قاضي حماة، ولد سنة(635هـ/1237م) وتوفي سنة (695هـ/1297م) ، كان عالماً .

3- العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية عند ابن العديم :

أ- تأثير عصره في كتابته التاريخية : عاش ابن العديم خلال فترة مليئة بالأحداث التاريخية الهامة؛ وهي في حدود القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، حيث شهد لدولتين وهما الدولة الأيوبية والمملوكية اللتان حكمتا بلاد الشام لمدة تقارب ثلاثة قرون ونصف ، اللتان صمدتا في وجه الخطر الصليبي والمغولي وانتصرتا عليهما ، كان لهاتين الدولتين مسؤولية الدفاع عن بلاد الشام من خطر التتار الذين هجموا على البلاد في القرن (7هـ/13م) أمّا من الناحية الداخلية فقد شهد العصر الأيوبي صراعات داخلية خاصة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي (ت 589هـ/1193م) حيث حصل نزاع بين أبنائه ونتيجة لذلك ظهرت عصبية عسكرية، حيث اعتمد كل حاكم على عصبية قدمت ولائها له⁽¹⁾ .

تمكن بعد ذلك المماليك الذين جاءوا بعد الأيوبيين من أن يحكموا بلاد الشام ومصر بعد أن طردوا الصليبيين ، وأن يصدوا تيار الغزو المغولي الجارف وينقذوا بلاد الشام ، أمّا المغول فقد استعمروا الشام لفترة طويلة لكنها على شكل موجات متتابعة تفصلها فترات زمنية⁽²⁾ . أمّا من ناحية الثقافة فقد شهدت الشام في هذا العصر ازدهارا ويتجلى ذلك في نشاط الحركة الثقافية في المساجد والمدارس والزوايا حيث استغلت لنشر العلم والمعرفة ، ونشطت كذلك الحركة الأدبية في العصر الأيوبي خاصة من ناحية الأدب والنثر وأصبح التقنن في المحيّنات البديعية والصور البيانية، وانتشرت كتب لمؤرخين تناولوا أخبار الدولة الإسلامية واتّجه آخرون نحو شرح تراجم العظماء⁽³⁾ . ولهذا حرص السلاطين على استرضاء العلماء وتقريبهم إليهم وتكليفهم بمناصب ومسؤوليات سامية في الدولة للاستفادة منهم .

كما هو معروف أنّ ابن العديم ينتمي إلى أسرة بني جرادة ، التي كان لها الفضل في إثراء الحياة السياسية والعلمية في حلب ، حيث كان معظم أفرادها من العلماء والفقهاء والقضاة والشعراء يحتلون مناصب رفيعة- تحديدا أجداد ابن العديم كانوا قضاة في حلب - . هذا ما انعكس على شخصيته العلمية

(1) سحر أحمد مهدي : المرجع السابق ، ص ص 362-363.

(2) محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو الماغولي للعالم الاسلامي ، ط2، منشورات مؤسسة الرسالة بيروت ، 1986 ، ص71.

(3) عاشور سعيد عبد الفتاح: مصر والشام ، ص ص 135-136.

التي جعلته يتفوق على بني عصره في مختلف العلوم، ويحتل مكانة متميزة لدى ملوك وحكام عصره وأولوا له مهام متعددة (1) .

عاصر ابن العديم ثلاثة ملوك لحلب وهم الملك الظاهر غازي (ت613هـ/1205م) والملك عبد العزيز ابن الملك الظاهر (ت634هـ/1237م) والملك الناصر يوسف (ت658هـ/1260م) (2)، ارتقى ابن العديم في المناصب السياسية إلى أن كلف بإنابة في سلطنة دمشق زمن الملك الناصر يوسف (3) بالإضافة إلى توليه عدة مناصب إدارية ، فقد ولى القضاء بمصر أصبح قاضي القضاة الحنفية ، وكان له دور تربوي حيث أوكل له مهام التدريس في مدارس لها مكانة رفيعة مثل مدرسة شاديخت (4) - كما أشرنا لذلك سابقا-، كما أنشأ مدارس ومؤسسات تعليمية كالمدرسة العديمية بحلب (5).

ب - مؤلفاته: ذكر مترجموه عشرة من كتبه وهي :

- الأخبار المستفادة من ذكر بني أبي جرادة : صنّفه بطلب من صديقه الحموي .
- تذكرة ابن العديم : الذي حققه إبراهيم صالح، ألفه ابن العديم بعد كتاب البغية ؛ حيث يجمع فيه بين الأحداث التاريخية ونوادر الأخبار الأدبية والقصائد ونوادر التراجم (6) والكتاب كله أشعار له قالها في مناسبات متنوعة مرتبة بشكل قوافي (7).

- زبدة الحلب من تاريخ حلب : فهو ملخص لكتاب البغية ، إذ يقول عنه ابن العديم : "إنه منتزع من تاريخي الكبير للشهباء المرتب على الحروف والأسماء" (8). يتناول جزءه الأول الذي حققه سهيل زكار الذي يبدأ ببداية حلب حتى نهاية سنة (754هـ/1354م) ، ويحوي اسم حلب وتاريخها منذ القدم وسبب تسميتها وملوكها ، وجاء الكتاب على شكل حوليات ، أمّا الجزء الثاني من الكتاب فقد حققه سامي الدهان

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ص 57.

(2) سحر مهدي أحمد : المرجع السابق ، ص 364.

(3) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقضان ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1977، ص 159.

(4) ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ص 44.

(5) سحر مهدي أحمد : المرجع السابق ، ص 365.

(6) ابن العديم : التذكرة ، ص 22.

(7) سحر أحمد مهدي : المرجع السابق ، ص 368.

(8) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تح: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1996، ص 05.

وتناول فيه تاريخ حلب منذ سنة(754هـ/1354م) إلى غاية سنة (569هـ/1369م) مسجلا فيه جميع الأحداث السياسية والحربية والاقتصادية (1).

• الذراري في ذكر الذراري: صنّفه للملك الظاهر غازي (613هـ/1213م) يوم ولد ولده العزيز سنة (610هـ/1210م) ، يتناول هذا الكتاب أهمية الأهل وكيفية الاعتناء بهم من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية والخبر والشعر واستخدم الحكايات والنوادر الطريفة التي تعلي همم الرجال في تنشئة الأبناء على الخصال الطيبة وغرس الأفكار الطيبة التي تعينهم على تحقيق أهدافهم من أجل الوصول إلى أسمى المراتب (2) ، يتألف الكتاب من جزء واحد يشمل ثلاثة عشرة بابا ، كل باب يتناول موضوع يخص تربية الأهل والعناية بهم وكيفية التعامل معهم مستشهدا بروايات حدثت بين الخلفاء وأهلهم (3).

• كتاب الوصلة إلى الحبيب في الطيبات والطيبات : الذي حققه تشارلز بيري الذي يحتوي على عشرة أبواب كلها تتناول التوابل والأطعمة المختلفة والمخللات والصابون، وهو يختلف عن باقي كتبه من حيث المواضيع ، حيث تطرق في مختلف كتبه لمختلف المجالات بأسلوب جميل ومشوق استخدم الشعر لتوثيق الأحداث (4).

• كتاب بلوغ الآمال مما حوى الكمال : عبارة عن شعر (5).

ج-وفاته : عندما وصل التتار مشارف حلب سنة (657هـ/1257م) هرب صاحبها الملك الناصر إلى برزة القريبة من دمشق ومعه ابن العديم الذي أكمل رحلته إلى مصر، ولما انتصر المسلمون على التتار في معركة عين جالوت سنة (658هـ/1258م) بقيادة المظفر قطز ، عاد ابن العديم إلى حلب لكنه لم يحتمل الخراب الذي لحق بها ، فشد الرحال مرة ثانية إلى القاهرة ، إذ لم يعيش بها طويلا وتوفي بها في العشرين من جمادى الأولى سنة (660هـ/1260م)، ودفن بسفح المقطم (6).

(1) سحر أحمد مهدي : المرجع السابق ، ص 367.

(2) ابن العديم: الدراري في ذكرى الدراري، تح: علاء عبد الوهاب محمد، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 1984 ص 08.

(3) نفس المصدر ، ص 35.

(4) سحر أحمد مهدي : المرجع السابق ، ص 36.

(5) المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص 30.

(6) ابن العديم : التنكرة ، ص ص 17-18.

2- دراسة المصدر "بغية الطلب في تاريخ حلب" :

أ. **مضمون الكتاب** : وهو من أجل كتبه أدركته المنيّة قبل إكمال تبييضه ، طبع ما وجد منه بخطه المنسوب إليه بدمشق سنة 1988م بتحقيق الدكتور سهيل زكار الذي تكلم فيه عن حلب منذ الفتح الاسلامي حتى عصره وترجم فيه لكل من سكنها أو زارها من العلماء، كما ترجم فيه للعالم وللحاكم وللأديب⁽¹⁾ .

يحتلّ كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب" مكانة مرموقة وأهمية بالغة ضمن المؤلفات التاريخية التي دونها ابن العديم ؛ فهو يعتبر المصدر الرئيسي عن حياة ابن العديم وتاريخ أسرته. إذ يقع المؤلف في أربعين مجلداً كبيراً لم يبق منه سوى عشرة مجلداً تتناول نشاطات رجال أسرة ابن العديم في مختلف المجالات (السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية)⁽²⁾. فالجزء الأول يتضمّن مقدّمة طوبوغرافية عن بلاد الشام الشماليّة (سوريا)، بالإضافة إلى ما جاء في القراءان الكريم والأحاديث النبوية عن فضائل بلاد الشام وحلب وأخبارها. كما تحدث فيه عن الإمكانات الاقتصادية لمنطقة حلب متعرضاً للجوانب الاجتماعية خاصّة ما يخصّ هجرات القبائل العربية مرفقاً ذلك بالملاحم العامّة العمرانية لحلب وما جاورها. فمباشرة بعد المقدمة وضع ابن العديم معجماً مرتباً أبجدياً ترجم فيه بإسهاب لكلّ الذين نشأوا أو ترعرعوا في بلاد الشام من جهةٍ أو مروا عليها والبعض الآخر أقاموا فيها لفترات معينة قصيرة أو طويلة سواء كانت شخصية سياسية أو علمية أو ثقافية أو دينية أو حربية- قبل الإسلام أو بعدها-. وقد بلغ عدد المترجمين في الأجزاء التاسعة الباقية من الكتاب حوالي ألفين وثمانين شخصاً. ولم يهتم المؤرّخ بتراجم الرجال فقط وإنما تطرق كذلك لتراجم النساء في جزء خاص بهم رتبه ترتيباً أبجدياً كذلك مكمل ذلك في جزء خاص بمجهولي النسب - قيل أنّه من التراجم المفقودة -⁽³⁾.

ب. **منهج المؤلف** : بالعودة لمنهجه في هذا المؤلف نجده أنّه يقترب كثيراً من منهج الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1070م) في كتابه "تاريخ مدينة السلام". ويشبه أيضاً منهجه الحافظ ابن عساكر (ت 571هـ/1175م) في كتابه "تاريخ مدينة دمشق". وتظهر أوجه التشابه بين المؤلفين الثلاثة في الاطار العام لكتابتهم حول مدنهم : بغداد - دمشق - حلب من حيث وضع مقدّمة جغرافية لكل إقليم من هذه الأقاليم ، إذ خصّص الخطيب البغدادي الجزء الأول من كتابه للكلام عن مدينة بغداد من حيث تأسيسها

(1) سحر أحمد مهدي : المرجع السابق ، ص 366

(2) أنور محمود زنتاتي : دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي ، ط1 ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان ، 2011 ص170.

(3) رانيا عمر أبو الفتوح: ابن العديم مؤرخاً (588- 660هـ / 1192-1262م) ، ط1، دار الآفاق العربية ، القاهرة 2013 ، ص106.

وخطتها وفضائلها ومحاسن أهلها وذكر نهريها الدجلة والفرات ، كما تطرّق لمساجدها وكلّ ما تعلّق بالمدينة ، أمّا الحافظ ابن العساكر فقد خصّص المجلدين الأولين للحديث عن مدينة دمشق وفضائلها ومعالمها وساق في ذلك الأحاديث والروايات الكثيرة. أما ابن العديم فقد سار على نفس خطى سابقيه حيث تطرّق في الجزء الأوّل للكلام عن مدينة حلب وما جاورها ، وما لها من أنهار وبحيرات ومعالم ثرائية وعمرانية ودينية ، فقد اقتصر في كتابه على مدينة حلب وما يتصل بها من قرى دون التطرّق إلى باقي الأقاليم. أمّا من حيث مادة هذه المقدّمة الجغرافية فقد كانت قيمة حيث تناول المنطقة التي شملها إقليم حلب ، ورصد أقوال الجغرافيين وإفاداتهم حيث يقول روزنتال : "إنّ ابن العديم يستحقّ الذّكر لا لأنّ لبعض تراجمه خصائص تاريخية ، بل لأنّ المقدّمة التاريخية..."⁽¹⁾.

يعود اهتمام ابن العديم بالمقدّمة لأنّ أجزاء الكتاب مرتبطة بها فيمن يترجم له من رجالها ويظهر بوضوح منهج ابن العديم في إثبات التراجم التي اقتصر فيها على الترجمة لرجال حلب وعلماؤها وحكامها من المسلمين وغيرهم على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم وتنوع معارفهم وعلومهم والترجمة لكلّ من مرّ بحلب أو أقام فيها من غير أهلها ، متجاوزا الترجمة لمن هجر حلب من أبنائها⁽²⁾ ، أمّا من ناحية التحقيق والنقد التاريخي فقد امتاز ابن العديم بنظرته النقدية الفاحصة لكل ما يورده من روايات وأخبار. إذ لم يكن ناقلًا للنصوص والروايات من غير تمحيص ولا تثبيت ، بل كان ناقدًا لها ومعلقًا عليها بالتصحيح أو المخالفة والموافقة، ومقارنا بين الأقوال من حيث قوتها وضعفها⁽³⁾.

المعروف أنّ ابن العديم في كتابه "بغية الطلب" انتهج منهجا تاريخيا شاملا ومتنوعا يقوم على جمع المعلومات من مصادر عدة معتمدا المراجعة النقدية لها وتقييمها باستخدام أدلة وبراهين، والغرض من ذلك تقييم مدى صحتها وموثوقيتها ويظهر منهجه بشكل جدي في إثبات التراجم مرتبا إيّاها ترتيبا هجائيا ملتزما أساليب عدّة منها: ذكر الاسم الأوّل من الشخصية المترجمة ، ثم أبائه وأجداده ملحقا ذلك بترجمة مثل : ذكر حرف الجيم في آباء الأحمدين ، ذكر من اسم أبيه جعفر عن أبو الحسن البغدادي⁽⁴⁾. وكذا تحديد العناوين المتداخلة للأسماء المتشابهة مثل حرف الميم في آباء الأحمدين منتبعا ذلك بترجمة (النسب ، الاختصاص بالاضافة إلى إثبات النصوص عنه في مصادر وروايات ونتاجه الشعري)⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ فرانز روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، ط 2، مؤسسة الرسالة، 1983 ، ص ص 233-234.

⁽²⁾ المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص 46.

⁽³⁾ نفس المرجع ، ص 50.

⁽⁴⁾ ابن العديم : بغية الطلب ، ج2، ص595.

⁽⁵⁾ نفس المصدر، ج 3 ، ص1027.

- الأعلام والشخصيات التي وقف ابن العديم على اختلاف في تسميتهم: اعتمد أسلوب الترجيح فمثلا ترجمته لأبي ليلى الأنصاري مرتين مرة في حرف الدال على ما قيل في اسمه داوود قائلاً: "اسم أبي ليلى داوود بن بلال ولقبه أيسر"⁽¹⁾. وفي مواضع أخرى عن الكنى ذكر .

- دمج الترجمة لشخصين وجعلها ترجمة واحدة مثل: ترجمة أبي عبد الله الشلبي خادم المتنبى⁽²⁾ .
- الترجمة لجماعات تجمعهم القبيلة والنسب أو الصنائع مثل بنو الصفري الذي يستهل ذلك بالقول: "جماعة يقال لهم بنو الصفري من موالى صالح بن علي بن عبد الله بن العباس..."⁽³⁾.

بالرغم من اتّصاح منهجه إلا أنه قد يكون هناك بعض العيوب والتحفظات في منهجه مثل تفاوت التراجم طولاً وقصراً فهناك من كتب عنه ثلاث كلمات كالشيخ أحمد بن حمزة الهراوي الذي قال عنه: "شيخ الصوفية بهراة"⁽⁴⁾، والبعض الآخر كتب عنه أزيد من مائة صفحة مثل الشاعر الأديب أبي الطيب المتنبى⁽⁵⁾.

ج. أسلوبه: تميز أسلوب ابن العديم في تدوين مؤلفاته التاريخية خاصة كتابه "بغية الطلب" بما يلي :
- الاختصار: توجه ابن العديم إلى الاختصار رغم المعلومات الوفيرة التي احتوتها مئات المصادر التي اعتمدها في كتابه والفترة الزمنية الطويلة الممتدة من قبل الاسلام وحتى قبل وفاته. دون أن ننسى العمق الجغرافي الضخيم اتّضح من خلال تراجم الأشخاص الشاملة لمختلف في أنحاء العالم الاسلامي وهذا دليل على امتلاكه لملاكمة الاختصار التي لا تخل بالمعنى⁽⁶⁾.

فقد جاء في ترجمته للحسين بن علي بن أبي طالب مايلي: "ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو عبد الله بن الحسن الهاشمي القرشي وأمّه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سبط رسول الله ﷺ وريحانته .."⁽⁷⁾. حتى لا يفقد المعاني أو يخل بحيثيات التراجم الكثيرة ومعلوماتها الضخمة اتّخذ طريقة الاختصار بإسناد الروايات أو المصادر التي تطرقت للترجمة دون ذكر معلوماتها كقوله عن الحسين بن عبد الله الخادم: " روى عنه أبو عمر ولاحق بن الحسين بن عمران بن أبي الورد الأندلسي"⁽⁸⁾.

(1) ابن العديم : بغية الطلب ، ج7 ، ص3439.

(2) نفس المصدر ، ج10، ص ص 4514 - 4515.

(3) نفسه ، ج10 ، ص4765.

(4) نفسه ، ج2 ، ص1023.

(5) نفسه ، ج2 ، ص639.

(6) رانيا أبو الفتوح : المرجع السابق ، ص109.

(7) ابن العديم : بغية الطلب ، ج6 ، ص2562.

(8) نفس المصدر ، ج6 ، ص 2511.

وفي مواضع أخرى حين يتحدث عن فضائل المدن والأقاليم التي زارها يذكر مجموع المؤرخين والجغرافيين الرواة الذين تطرقوا للموضوع دون الاسهاب في ذكر الأخبار والمعلومات التي تخصها كقوله عن فضائل بلاد الشام: "أخبرني الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب بقراءتي عليه بقلعة حلب حماها الله والقاضي أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن الشيرازي.."(1).

- التركيز على ذكر سمات الشخصية(الانبساط والانطواء): اتخذ ابن العديم في مؤلفه أساليب عدّة للتعريف بسمات الشخصية التي ترجم لها سواء التي تتعلق بالذات أو خارجها، فقد وقفنا على اختلافات واضحة أثناء الترجمة سواء كان أديب أو محدث أو فقيه أو غيرهم ، إذ تمّ توضيح السمات الخاصة بالتراجم على الطريقة التي فيها إسهاب معلومات لا غير المختصرة ، وأحيانا يغيب التركيز على سمات الشخصية خاصة أثناء اعتماده لطريقة ذكر اسم المترجم واسم والده وأجداده عادة لا يزيد في ذلك عن ثلاثة أسماء كقوله: "أبو الحسن بن أبي جعفر القاضي العقيلي...وهذا أبو الحسن هو جدّ جدّ أبي..."(2).

- النصوص المباشرة التي كتبها من معرفته الشخصية، وتقاريراته الذاتية جاءت بلغة سليمة تخلو من اللحن، وتجنب السجع والمحسنات البديعية في كلامه، بل كتب بلغة بعيدة عن التصنع(3).

اللافت للانتباه تعدد طرق التعريف بالشخصيات . فما نحن نقف على أسلوب ذكر كنية المترجم كنحو القول " أبو بكر الامام عن الفقيه أحمد بن يحيى بن صفوان الأنطاكي"(4). وكذا " أبو الوفا العبدي" عن الشيخ " راجح بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد"(5).

- اعتماده التحقيق والنقد التاريخي : لم يكتفِ ابن العديم بذكر الروايات والاقتناس من المصادر فقط وإنما تميزت كتاباته بنظرة نقدية فاحصة وصارمة بينت حس المؤرخين الدقيق عنده الذي يعتمد على التمحيص والتثبت والنقد والتعليق بالتصحيح والتصويب أو المخالفة والموافقة للأخبار والمعلومات؛ وهذا دليل على سعه إطلاعه ونفسه التاريخي العميق(6).

د. مصادر الكتاب ومنهجه في النقل : تذكر بعض الدراسات التاريخية أنّ ابن العديم دون أجزاء مؤلفه باعتماد منهج المحدثين الذي يبدأ بذكر السند ثم يرفقه بالرواية الواردة ولو كان الاختلاف قليلا بالرغم من

(1) ابن العديم : بغية الطلب ، ج 1 ، ص 335.

(2) نفس المصدر ، ج 3 ، ص 1222. رانيا أبو الفتوح : المرجع السابق ، ص 110.

(3) المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص 55.

(4) ابن العديم : بغية الطلب ، ج 3 ، ص 1229.

(5) نفس المصدر، ج 8 ، ص 3547.

(6) المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص 50.

اختلاف الآراء حول منهجه وطريقته في طرح الأخبار والأفكار. فالبعض يربأه قطع سياق الحدث التاريخي واهتم بالخبر، والبعض الآخر يرى أنه كان كثير الامعان والدقة والحرص في مراعاة الأمانة العلمية وذلك برد كل خبر إلى صاحبه ، فيما أنّ صحة المنهج التاريخي يتطلب الوقوف على مدى صحة ما يروي به معرفة المصادر بالمقارنة ، ونفس الطريقة اعتمدها ابن العديم في كتابه إذ عرف بحرصه الشديد في نسب كل رواية إلى صاحبها ، أمّا أثناء فقدانه للروايات المسندة فإنّه يتخذ طريقة النقل من الكتب المخطوطة مُتخذًا التوثيق الدقيق في ذكر اسم الكتاب بالكامل واسم صاحبه بالكامل أيضا مضيفا إلى ذلك وصفا للكتاب المخطوط ومكان وجوده، وأحيانا اسم ناسخه أو مالكة⁽¹⁾ .

أمّا من حيث مصادره فقد كان ابن العديم كثيرا ما يرفق رواية الخبر بالمصدر الذي اقتبسها منه إذ أكدت آراء المؤرخين على أن أغلب مصادره موثوقة وهامة⁽²⁾. كما أنه اعتمد على مصادر متنوعة أغلبها مصادر مكتوبة سواء كانت تاريخية أو جغرافية أو أدبية أو شفهية تلقاها من شيوخه الذين التقاهم سواء في حلب أو في رحلاته العلمية وهذا ما أعطاهم صفة التنوع. فمن هنا فإن ما نلاحظه في مؤلفه هذا هو استفادته من المصادر المسيحية لأخذ معلومات معينة⁽³⁾. ومن أبرز المصادر الموثوقة التي اعتمدها نذكر: كتب البلدان لابن عساكر وابن القلانسي وابن الأثير والعظيمي ، بالإضافة إلى كتب الفتوح للبلاذري والواقدي وابن حوقل والبلخي⁽⁴⁾ .

وقوفي على مختلف أجزاء كتاب ابن العديم (12 جزء) يجعلني أقول أن مصادر الكتاب متنوعة بين الروايات الشفهية واللقاءات مع الشخصيات من جهة والمصادر المكتوبة من جهة أخرى. وقد اعتمد على الروايات بشكل كبير باعتباره تتلمذ على يد ثلثة من الشيوخ. وفي أغلب الأحيان كان ينقل الأخبار عن أجداده وشيوخ أسرته الذين اعتلوا مناصب رفيعة في الدولة مما ساعده على التقاء كبار الشيوخ والطريقة التي اعتمدها أثناء ترجمته للشخصيات إما العودة إلى المصادر المكتوبة وذلك إذا كانت الشخصية لم يعاصرها ، وإذا عاصرها فإنه كثيرا ما يتوجه للقائها - أي يقتبس المعلومات منها مباشرة- فإن لم يتمكن من ذلك فإنه يسعى إلى إقتباس معلوماته من أقربائه أو أصدقائه أو ممّن حوله. وفي هذه الورقة نقف على بعض الدراسات التي اعتمدها المؤلف في كتابه البغية:

(1) رانيا أبو الفتوح : المرجع السابق ، ص108. (للمزيد من المعلومات ينظر إلى الملحق رقم 03).

(2) نفس المرجع ، ص106.

(3) المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص 366.

(4) رانيا أبو الفتوح : المرجع السابق ، ص 106-107.

د-1- الروايات الشفوية: استمدَّ ابن العديم معلوماته عن الشخصيات المترجمة من مجموع الروايات التي سمعها من شيوخه وعبر عنها بألفاظ متنوعة وكثيرة مثل: قال ، أخبرنا ، روى عنه ، حدثنا. ومن أمثلة ذلك :

- عن رفاة بن شداد: "أخبرنا أبو محمد المعافي بن إسماعيل بن الحسين بن أبي سنان- إجازة- قال: أخبرنا.."(1).

- عن أحمد بن المغيرة ،أبو الوليد المصيصي الحدي: " روى عنه: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل.."(2).

- عن خالد بن الريان المحاربي: "حدثنا محمد بن علي: قال: حدثنا محمد بن الحسين بن قتيبة قال: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى قال : حدثنا أبي عن جدي قال: كان عمر بن عبد العزيز ينهى سليمان بن عبد الملك..."(3).

بالعودة إلى الجزء الثاني عشر الخاص بالفهارس من كتاب " بغية الطلب" فإننا نقف على أزيد من 2000 راوي اعتمدهم ابن العديم في توثيق معلومات التراجم، لكنَّها تتميز بمعاصرة الراوي للشخصية المترجمة ففي عدَّة مواضع يشير إلى ذلك نذكر من ذلك :

- أثناء الإشارة إلى عماد الدين الزكي صاحب سنجار جاء في كتاب ابن العديم : "قال لي عمي: فخرجت أنا ووالدك والتقينا وقدّم من ناحية الأحص ودخل حلب وأقام بها فلم يجد في قلعتها من الذخائر والأموال إلاّ الض قليل..."(4).

- وفي موضع آخر عندما تحدث عن آق سنقر بن عبد الله البرسقي جاء: " فأخبرني والدي أبو الحسن أحمد وعمي أبو غانم محمد ، وحديث أحدهما ربما يزيد على الآخر، قال: سمعنا جدك - يعنيان- أباهما أبا الفضل هبه الله..."(5). كما وقفنا على روايات سمعها أو شاهدها أو قرأها ابن العديم بنفسه عن التراجم التي ترجمتها ممن كان من معاصريه. ومن أمثلة ذلك قوله :

- أثناء حديثه عن الحسين بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن حسين الكرابيسي يذكر أنه شاهد في جزء بخط أبي المكارم محمد بن عبد الملك بن أحمد بن أبي جرادة(6). وفي موضع آخر أثناء حديثه عن

(1) ابن العديم : بغية الطلب ، ج8 ، ص3673.

(2) نفس المصدر ، ج2 ، ص610 .

(3) نفسه ، ج7 ، ص3028.

(4) نفسه ، ج8 ، ص3859.

(5) نفسه ، ج4 ، ص1964.

(6) نفسه ، ج6 ، ص2515.

الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان يقول: "قرأت في جزء أحضره إليّ الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي بن الحافظ.."⁽¹⁾. كما أنه ذكر ما سمعه بلسان الوزير القاضي الأكرم أبا الحسن علي بن يوسف الشيباني عن أحمد بن محمد بن مفرح العشاب قائلاً: "لما ورد أحمد العشاب حلب اجتمعت به..."⁽²⁾. وفي مكان آخر تحدّث عن الشيخ أحمد بن محمد بن أبي سعدان قائلاً : "وقال: سمعت أبا القاسم الرّازي يقول: سمعت أبا بكر يقول : من صحب الصّوفية فليصحبهم بلا نفسٍ ولا قلبٍ ولا ملك..."⁽³⁾.

د-2- اللقاءات بأصحاب التراجم : تميّز ابن العديم عن مؤرّخي عصره بزيارته لشخصيات عدّة توطنت حلب أو وفدت إليها وكذا من خلال سفرياته المتواصلة بتكليف إداري من قبل السّلطة الأيوبية التي سمحت له بزيارة كبار الشيوخ لأخذ أخبارهم والمعلومات التي بين أيديهم . وممّا جاء في كتابه:
- لقاء ابن العديم بابن باطيش إذ يقول عنه: "وسئل عن مولده وأنا أسمع فقال: في يوم الأحد السادس عشر من المحرم من سنة خمس وسبعين وخمسمائة بالموصل"⁽⁴⁾.

- لقائه بالشاعر أسعد بن يحيى بن وهبان السلمى الشهير بالبهاء السنجاري حيث يقول ابن العديم أنّه أنشده عدة مقاطع من شعره ، وألّفها له في جزء بخطه ، ثم ورد إليه إلى حلب سنة إحدى عشر وستمائة⁽⁵⁾... وغيرها كثير.

د-3- المصادر المكتوبة: اعتمد ابن العديم على زخم كبير من المصادر المكتوبة مركزا على ذكرها:
- تاريخ العظيمي للعظيمي (ت بعد 558هـ/1263م) : هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن نزار أبو عبد الله التنوخي الحلبي ، ويعرف بابن العظيمي مؤرّخ له عناية بالتاريخ وتأليفه ، ومن أبرز تأليفه "تاريخ حلب"⁽⁶⁾. وكتاب تاريخ العظيمي؛ يتناول تاريخ للعرب والاسلام منذ بدء الخليقة وحتى سنة (538هـ/1242م) وهو في حقيقة الأمر عبارة عن كتابين : فالكتاب الأوّل ؛ الأصغر من الورقة (1-25

(1) ابن العديم : بغية الطلب ، ج6 ، ص2528.

(2) نفس المصدر ، ج3 ، ص1032.

(3) نفسه ، ج3 ، ص ص 1066 - 1067.

(4) ابن باطيش(575-655هـ-1180-1285م): هو إسماعيل بن أبي البركات هبة الله بن محمد بن أبي الرضا الملقب بابن باطيش الموصلية، والمكنى بعماد الدين أبو المجد ولد في الحديثة 16 محرم 575هـ الموافق لـ 22 حزيران 1179م وتوفي سنة (655هـ/1258م) تاركا مجموعة مصنفات منها "كتاب أقصى الأمل في علم الجدل" ، وكتاب "طبقات الفقهاء الشافعية". نفسه ، ج4 ، ص ص 1837-1838. ميسون ذنون العبايجي: ابن باطيش الموصلية (ت655هـ/1257م)

وتشابه طبقات الفقهاء الشافعية ، مجلة دراسات موصلية ، جامعة الموصل ، 2012 ، ع37 ، ص ص 60-68.

(5) أسعد بن يحيى الشهير بالبهاء السنجاري: فقيه وشاعر ولد بسنجان 11 جمادى الأولى سنة (533هـ/1139م) وتوفي بها سنة (624هـ/1227م)، أنشد عدة مقاطع شعرية أدبية عندما استوطن حلب. نفسه ، ج4 ، ص ص 1583-1584.

(6) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص133.

ورقة) أرخ فيه العظيمي للأنبياء والخلفاء والملوك منذ ما قبل الخليقة وحتى أيامه ، تناول فيه كل واحد من الأنبياء حتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، مرفقا ذلك بسيرته - اختصار - ، ثم شرع يتحدث عن الخلفاء الراشدين فالأمويين والعباسيين وكان آخرهم المقتدى (530-555هـ/1136-1160م). وبعد ذلك يورد أسماء ملوك الدولة الساسانية ومن ثم أشار إلى مجموع المصادر، ومن هنا بدأ ما يعرف بالكتاب الثاني الذي ذكر فيه الأخبار بطريقة الحوليات سنة سنة⁽¹⁾.

اعتمد ابن العديم كتاب العظيمي عندما أشار إلى زكي بن آق سنقر قائلاً: "وقال العظيمي: سنة اثنتين وخمسائة في جمادى الآخرة منها وصل الأمير عماد الدين قسم الدولة أبو سعيد زكي بن آق سنقر قسم الدولة إلى حلب وملكها.."⁽²⁾. وفي موضع آخر يشير إلى ترحاله نحو الموصل قائلاً: "وقال العظيمي: وفي جمادى الآخرة - يعني - سنة ثلاث وعشرين وخمسائة عاد الأمير عماد الدين قسم الدولة زكي من عند السلطان إلى الموصل"⁽³⁾.

- تاريخ أبي شجاع محمد بن علي بن الدهان الفرضي (ت 592هـ/1195م): هو محمد بن علي بن مغيث بن الدهان الفرضي الحاسب المؤرخ البغدادي، قطن دمشق⁽⁴⁾. اقتبس من كتابه ابن العديم حوادث سنة إحدى وأربعين وخمسائة منها مقتل عماد الدين الزنكي قائلاً: "وفي هذه السنة قتل عماد الدين زكي ليلة الأحد سادس شهر ربيع الآخر على قلعة جعبر قتله خادم له اسمه يزنقش..."⁽⁵⁾.

- تاريخ حمدان بن عبد الرحيم الأثاري (ت نحو 520هـ/1125م): هو حمدان بن عبد الرحيم بن حمدان التميمي أبو الفوارس الأثاري الحلبي طبيب ومؤرخ وأديب - نسبه يعود إلى أثارب الواقعة بين حلب وأنطاكية -، صنف كتاب " الفوت " في تاريخ حلب (من سنة 490هـ/1097م) وما بعدها⁽⁶⁾. نقل عنه ابن العديم عندما أشار إلى مملوك الأمير برسق ألا وهو؛ آسنقر بن عبد الله البرسقي قائلاً عن حمدان فيما نقله عن خطه: " وحدثني رجل منها: أنه كان له والدة عجوز لما سمعت بفتكة البرسقي.."⁽⁷⁾.

(1) محمد بن علي العظيمي الحلبي (483-556هـ/1090-1161م): تاريخ حلب ، تح: إبراهيم زعرور، دط ، دون دار النشر والتوزيع ، دمشق ، 1984 ، ص ص 29-30. إحسان عباس : شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1988 ، ص ص 51-52.

(2) ابن العديم : بغية الطلب ، ج8 ، ص3846.

(3) نفس المصدر ، ج8 ، ص3847.

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج13 ، ص13.

(5) ابن العديم : المصدر السابق ، ج8 ، ص 3854.

(6) الزركلي : الأعلام ، ج2 ، ص 274.

(7) ابن العديم : بغية الطلب ، ج4 ، 1970.

- تاريخ الحافظ أبي الطاهر السلفي (ت 576هـ/1180م): هو الامام العلامة والمفتي أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني الجرواني ، يُكنى السلفي لأن جدّه أحمد كان يلقب بالسلفي -أي كان على مذهب السلف -، توفي بالاسكندرية سنة (576هـ/1180م) بعد رحلاته العديدة نحو مدن ودول كثيرة ، فقد سمع أثناءها أخبارا من كبار شيوخها منها: بغداد ، الاسكندرية تاركا زحما من المؤلفات التي فقدت أغلبها⁽¹⁾. نقل عنه ابن العديم أخبار آق سنقر كذلك عندما ولي على العراق ، ثم انتقل إلى ديار مضر ودار ملكه الموصل ثم حلب وغيرها من المدن الشامية . حيث يذكر ذلك بالقول: "وقرأت بخط الحافظ أبي الطاهر السلفي ، وسنقر البرسقي ولي العراق..."⁽²⁾.

- معجم شيوخ الحافظ أبي المواهب الحسين بن هبة الله بن صصرى (ت 586هـ/1191م): الامام الحافظ الرئيس النبيل أبو المواهب الحسن ابن العدل أبي البركات هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسين بن صصرى ، الثعلبي ، البلدي ، الدمشقي ، الشافعي. ولد سنة (537هـ/1143م) سمع من جده عدّة أخبار ، ولازم كبار المؤرخين والشيوخ أمثال: ابن عساكر. وارتحل إلى عدّة مدن منها حماة الموصل ، حلب. وجمع معجم شيوخه وصنف التصانيف منها: "فضائل الصحابة"، و"عوالي ابن عيينة" وكذا "فضائل القدس" وغيرها ثم أنه وقف خزانة له⁽³⁾.

اعتمده ابن العديم في ترجمته لداوود بن محمد بن الحسن بن خالد عندما أشار إلى وفاته قائلا أنه وقف على معجم شيوخ الحافظ أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن صصرى بخطه وخرج فيه حديثا عن داوود بن محمد الخالدي وقال: "بعده توفي هذا الشيخ (رحمه الله) في يوم عيد الأضحى سنة ثلاث وسبعين وخمسائة بالموصل فيما حكاه لي أخي عن بعض أصحاب هذا الشيخ فكم يسمه"⁽⁴⁾. بالإضافة إلى هذه المصادر هناك ثلثة من المصادر المذكورة صراحة في طيّات الأجزاء ، وما هذه إلاّ نماذج على سبيل المثال لا الحصر.

هـ - قيمة الكتاب : قيمة هذا الكتاب تتجلى في الرصد الدقيق للأخبار المتعلقة بالتراجم التي ترجم لها من رجال حلب وعلمائهم وأعيانها وكبار حكامها من المسلمين وغيرهم على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم وتنوع علومهم ومعارفهم والترجمة لكل من سكن حلب أو مرّ بها أو أقام بهم من غير أهلها⁽⁵⁾.

(1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج21، ص ص 5-39.

(2) ابن العديم : المصدر السابق ، ج4 ، ص 1968.

(3) الذهبي : المصدر السابق ، ج21، ص ص 264-265.

(4) ابن العديم : بغية الطلب ، ج7 ، ص 3465.

(5) المهدي عيد الروايفية: المرجع السابق ، ص47.

فقد اتفقت الدراسات حول مكانة ابن العديم وقيمة مؤلفهم " بغية الطلب" تاريخيا إذ يقول فرانز روزنتا لأن ابن العديم من المؤرخين الذين يستحقون ذكرهم في طيات المصادر التاريخية لأن بعض تراجمه خصائص تاريخية ، ولكونه أعطى بتأليفه انطلاقة حميدة لمؤرخي حلب. فألف إثر ذلك ابن العجمي مؤلفه " كنوز الذهب في تاريخ حلب " ، وكذا ابن الشحنة ألف كتابه " الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب"⁽¹⁾.

ومن هنا يمكننا القول أن؛ الكتابة التاريخية عند ابن العديم وضعت إطارا مفتحا وواسعا للكتابة عن حلب ، بالرغم من الأوضاع السياسية المزرية التي عصفت بالمنطقة سواء الحروب الصليبية أو الأوضاع الداخلية السياسية المزرية فالنصوص والتراجم التي حفظها لنا التاريخ على يد ابن العديم تبين لنا تنوع الخصائص والمناهج آنذاك على نحو واسع رغم الصبغة الأدبية التي صبغت بها.

و - دراسة نقدية للكتاب (المحاسن والعيوب) : بغية الطلب لابن العديم هو كتاب تاريخي يتناول تاريخ مدينة حلب وبلاد الشام ، فبالرغم من أهمية الكتاب ودوره في توثيق التاريخ ، إلا أنه تعرض لبعض الانتقادات :

و-1- المحاسن : يتميز ابن العديم كغيره من المؤرخين المعاصرين له بمميزات شخصية كمؤلف وقيمة تاريخية لكتابه " بغية الطلب" وفيمايلي بعض المحاسن :

- تميزت شخصية ابن العديم بثقافتها الواسعة التي شملت عدة جوانب علمية بفضل اللقاءات والرحلات العلمية، مما ساهم في تكوين شخصيته التي ألفت لنا كتاب البغية وغيرها من المؤلفات في ميادين عدة كالتاريخ والأدب والفقه⁽²⁾.

- غنى كتابه بالمعلومات التاريخية: يشمل الكتاب أحداث وأخبار سياسية وعسكرية ، مقدّما وصفا دقيقا للحضارات والثقافات التي تعاقبت على المنطقة ، بالإضافة إلى اشتماله على تراجم لشخصيات مهمة وبارزة لعبت دورا هاما في تشكيل معالم حلب وبلاد الشام والموصل كسنجار⁽³⁾ ، أمثال : إسماعيل بن أبي الفتح السنجاري⁽⁴⁾.

(1) فرانز روزنتال : المرجع السابق ، ص 233.

(2) المهدي عيد الروايفية: المرجع السابق ، ص30.

(3) سنجار: مدينة معروفة نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل قرابة ثلاثة أيام وهي واقعة في لحف جبل عال . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج3، ص 262.

(4) إسماعيل بن أبي الفتح السنجاري: شاعر اجتمع به ابن العديم بسنجان وروى عنه ، وأتشدّه من شعره وذكر له أنه دخل حلب سنة ثلاث عشر وستمائة ، حينما كان الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بحلب. ابن العديم : بغية الطلب ، ج4 ص ص 1847-1848.

- الشُّمولية : يُعطي الكتاب فترة زمنية وحيث جغرافي شامل لحلب وبلاد الشام مند العصور القديمة إلى العصور الوسطى، متناولا الجوانب المختلفة للتاريخ الحلبى(عسكريا، سياسيا ، اجتماعيا ، اقتصاديا ثقافيا) ومن المواضيع العسكرية التي أشار إليها على سبيل المثال دور مدينة مرج دابق⁽¹⁾ الجهادي كإحدى أبواب الغزو شمال حلب ومجمع الجيوش والأجناد⁽²⁾.
- الدقة والمصداقية : عرف ابن العديم بدقة ومصداقية المعلومات المقدمة مع مراعاة توثيق أغلب المعلومات بالمصادر والروايات ، بالاضافة إلى اكتشاف الأخطاء والأوهام في بعض الروايات ؛ حيثعقب ابن العديم على معلومات منقولة عن تاريخ ابن عساكر قال بعد أن نقل رواية عن تاريخ ابن عساكر وقع الخطأ فيها."قلت: هكذا جاء في هذه الرواية: فيهم الأشعث بن قيس؟. وهو وهمٌ فاحش فإن هذه القصة كانت في سنة إحدى وخمسين أو في سنة خمسين ، والأشعث مات في سنة أربعين قبل هذه الواقعة بإحدى عشرة سنة . وقد ذكرنا فيما نقلنا عن ابن ديزيل أن الذي طلب منهم معاوية إحضار حجر إليه هو محمد ابن الأشعث". واستغرب كذلك من الحافظ أبا القاسم الذي أخذ القصة دون الاسناد ولم ينتبه لهذا الخطأ الوهم⁽³⁾.
- الأسلوب الأدبي التاريخي: أسلوبه الأدبي سلسٌ وممتع ، حيث يجمع بين الدقة التاريخية والسرد الأدبي لجذب القارئ إلى إكمال قراءة الكتاب كاملا ، والدليل على ذلك نقله مجموع الأشعار والقصائد ذات الألفاظ المحتشمة بعيدا عن ألفاظ المُجون والخليعة . ومن القصائد التي أشار إليها قوله عن رفض حرمة بن عسلة هجاء الحارث بن جبلة الغساني قائلا: " وأنَّ الإله تنصفته بأنَّ لا أعق وأنَّ لا أحوبا"⁽⁴⁾.
- وأحيانا كان يرفض ابن العديم إتمام قطع القصائد لما فيها من ألفاظ غير مستحسنة ؛ وهذا ما لاحظناه عندما أورد أبياتا شعرية للحسين بن علي أبو طالب التميمي النقاش الأنطاكي التي نقلها من كتاب الديرة للشمشاطي. إذ يقول عن ذلك: "وأضربنا عن ذكره لما فيه من الألفاظ المستهجنة .."⁽⁵⁾.
- الأهمية الثقافية التي تعدت الأهمية التاريخية للكتاب (الحفاظ على التراث): يعدُّ كتاب ابن العديم مصدرا هامًا لنشر الثقافة المشرقية الحلبية⁽⁶⁾.

(1) مرج دابق : قرية قرب حلب -شمالها- ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان إذا غزى، وبه قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج2، ص 416.

(2) ابن العديم : المصدر السابق، ج1، ص47.

(3) نفس المصدر ، ج5، ص ص 2021-2121.

(4) نفسه ، ج5، ص 2186.

(5) نفسه ، ج6 ، ص2726.

(6) نفسه ، ج1، ص13.

- توثيق الأعلام والأعيان والرصد الدقيق للقبائل: يقدّم الكتاب تراجم وثيقة للعديد من الشخصيات التي قطنت حلب (علماء ، أدباء ، حكماء ، سياسيين ، تجار) ، وعن القبائل مثلا التي قطنت حلب يشير ابن العديم إلى مجموع القبائل التي نزلت حلب ونواحيها أمثال: أولاد عمر بن كلاب ، قريش ، ولد قشير حمير ، ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ؛ فقد جاء الرصد وفق الرواية بدقة فمثلا عند حديثه عن قبيلة قريش التي نزلت حلب وأعمالها يؤكد بالضبط من هم من أبناء بني هاشم ألا وهم كل من صالح بن علي بن عبد الله بن عباس نزيل ظاهر حلب ، بالاضافة إلى أولاده كعيسى . حيث كان لهم دور كبير في نشر الثقافة العمرانية إذ شيّد الوالد قصره المعروف ببطياس - على يسار حلب إلى النيرب - ، مزخرفا إيّاه بالفسيفساء وكسور الرخام⁽¹⁾.

و-2- العيوب: وقتت بعض الدراسات التاريخية على ذكر انتقادات موضوعية عن شخص ابن العديم وكتاباته التاريخية من خلال دراسة كتابه " بغيّة الطلب " أهمها:

- الانحياز السياسي: تشير بعض الدراسات إلى اشتباه تأثر ابن العديم أثناء تدوينه للمعلومات بالأوضاع والتغيرات السياسية والاجتماعية ممّا قد يؤثر على موضوعية الكتاب ، وأحيانا نتوقف على بعض المعلومات التي تخدم مصالح جهات معينة أو تعكس وجهات نظر جهات معينة ؛ أي الانحياز والتحيز لبعض الدول (السّلطة الأيوبية) والشخصيات على حساب الجهات الأخرى (عدائه لآل البيت) مما يؤثر بالسلب على الحقائق التاريخية⁽²⁾.

- غياب الترتيب المنطقي للموضوعات: نعني بذلك عدم وجود ترتيب منطقي في الموضوعات كما أنّها غير مترابطة ولا يوجد تسلسل منطقي بينها .

- غياب الوحدة الموضوعية: أي عناوين ومواضيع الكتاب متفرقة ، ولا توجد وحدة موضوعية تجمعها وهذا يعتبر من العراقيل التي تصعب على القارئ الاستفادة التامة من المعلومات المقدمة في أجزاء الكتاب. بالاضافة إلى غياب الترابط والتنظيم ؛ لكون الكتاب غير مبوب إلى فصول ومباحث وإنما اعتمد الطريقة الأبجدية ، وهذه الطريقة تجعل القارئ يفقد التركيز والتماسك⁽³⁾.

- عدم التحقق من جميع المصادر: لم يلتزم ابن العديم بالتحقق الدقيق من أغلب المصادر التي يستند إليها ، فقد ذكرت بعض الروايات والأحداث دون توثيقها بمصادر موثوقة ؛ وهذا يثير لبس وشكوك حول مدى صحة المعلومة المذكورة في طيات الكتاب مثل : رواية عن مشاركة الامام الحسين في غزوة

(1) ابن العديم : المصدر السابق ، ج1، ص ص 528-529.

(2) سليمان فتح الله ورشيد شبيب : ابن العديم ما بين الرحلة والاستقرار ، مجلة التربية للعلوم الانسانية ، جامعة الموصل 2023 ، مج3 ، ع9 ، ص 221.

(3) المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص ص 47-48.

القسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية ، التي لم تذكر في مصادر أخرى ولم يذكرها حتى ابن عساكر في كتابه " تاريخ دمشق" (1).

- الوقوع في بعض الأخطاء التاريخية : مثل أي مؤرخ يتقصى الحقائق التاريخية ؛ وهذا يعود إلى الاعتماد على مصادر غير موثوقة أو تفسيرات خاطئة لوجهات نظر بعض الرواة أو المؤرخين.

- عدم التفصيل الكافي في ذكر الأحداث الخاصة ببعض الشخصيات والأحداث: لخص كتاب "بغية الطلب" تاريخ حلب وبلاد الشام . مما يصعب على القارئ الحصول على المعلومات مفصلة وشاملة حول بعض الأحداث التاريخية مثل ما جاء في ذكره لشخصيات مختصرة كأحمد بن جعفر مشكان المصيبي ، خالد بن الحصين السكسكي ، أبو إسحاق الفزاري (2).

خلاصة المبحث الثاني يمكننا القول أن؛ العالمين ابن سعيد وابن العديم كلاهما يصنّفان ضمن أبرز كتاب العصور الوسطى من خلال الدراسات التاريخية والأدبية التي ألّفت بخطّهما، وما تركوه لنا من آثار ومؤلفات موثوقة لكتابة التاريخ خاصّة المعلومات التي احتواها كتابي " المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد ، و"بغية الطلب في تاريخ حلب " ، منتهجين بذلك المنهج التاريخي لتسهيل تتبع الأحداث والوقائع ودراسة التراجم التي احتوتها الكتب.

المبحث الثالث :نتائج الدراسة المقارنة

3-1- نتائج الدراسة المقارنة بين كتابات المؤرخين (المقريزي وابن خلدون) :

اعتمدنا في هذه الدراسة على دراسات سابقة واستنتاجاتنا، وجاء فيها مايلي:

أ- من حيث حقول الكتابة التاريخية : تعددت واختلفت الحقول المعرفية التي تناولها كل من ابن خلدون والمقريزي فقد تطرق للمجتمع وفنائه وللدولة ومقوماتها ، كما تحدثا عن الاقتصاد الذي كان له دور كبير في بناء الدولة أو انهيارها حسب رأيهما ولهذا أخذ حصة الأسد من كتابات المقريزي وابن خلدون ، فهذا الأخير تطرق له في كتبه المختلفة لهذا كانت آراءه في مجال الاقتصاد متفرقة في مؤلفاته ، كما أنه أسقطها في سياق حديثه عن الأحداث التاريخية أو ضمنية في حديثه عن الظواهر الاجتماعية ولهذا لم يخصص لها مؤلفا خاصا بها ، على عكس تلميذه المقريزي الذي اهتم بالقضايا ذات الصلة بالاقتصاد وخصص لها كتابا مستقلة ، ومن أهم هذه الكتب نجد كتاب " إغاثة الأمة في كشف الغمة " الذي ألّفه في ظروف اقتصادية قاسية في مصر ما بين (796هـ-808هـ / 1396-1404م) تميزت بانتشار وباء

(1) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج14 ، ص111. علي ناصر جابر الحدراوي : قراءة في كتاب ترجمة الامام الحسين في كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعية ، العراق ، 2017 ، ج5 ، ص43-495.

(2) ابن العديم : بغية الطلب ، ج2، ص 608. ج7 ، ص3026. ج10 ، ص4322.

الطاعون والمجاعة حيث تطرق إلى الأسباب المؤدية إلى هذه الأزمة وما نتج عنها من مخلفات ومختلف الحلول للخروج من هذه الأزمة ، وتطرق إلى طبيعة النقود السائدة في مصر⁽¹⁾.

ب- من حيث المنهج التاريخي عند ابن خلدون والمقريزي : كان أصحاب التصانيف العربية في القرون الهجرية السابقة يعتمدون على نقل الأخبار والأحداث فقط ، حيث كانوا مجرد ناقلين من الذين سبقوهم دون التمحيص فيها أو دراستها ، وهذا ما نتج عنه غياب وظيفة المؤرخ وعوضها ما يسمّى الروائي الذي أضاف إلى الكتابة التاريخية روايات وأساطير تسرد أحداث لا يتقبلها العقل أحيانا، وأمام هذا الوضع الذي تميزت به الكتابة التاريخية آنذاك جاء ابن خلدون كمنقذ للتاريخ فحول المعلومات التاريخية من مجردة وجامدة إلى معلومات ممنهجة وفق قوانين التاريخ وبصبغة اجتماعية ؛ أي أنه ألغى المنهج السابق المعتمد على النقل والسرد فقط دون التدقيق في مدى صحة المعلومات . ونفس النهج انتهجه المقريزي في كتاباته التاريخية حيث كان ينقل المعلومات وفق منطق العقل ويقوم بتمحيصها ، كما يراقب الأحداث ومدى تطورها من أجل فهم الأحداث وتطورها التاريخي أي فهم الماضي انطلاقا من قوانين الحاضر⁽²⁾.

من جهة أخرى نجد طرح ابن خلدون الذي يبدأ من نقد جذري للخطاب التاريخي التقليدي ، لكأنه ينطلق أيضا من اهتمامه بموقعه الشخصي من التاريخ ، فالتاريخ عنده يحتاج إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن النظر والتنقيح ، لأن الأخبار في نظره إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني وقياس الغائب منها الشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يأمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق⁽³⁾.

وقد دعا ابن خلدون من خلال تجاوز الذاتية والالتزام بالموضوعية في درس التاريخ حيث يقول : "إن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لا بُد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله"⁽⁴⁾؛ وبهذا نلاحظ أن ابن خلدون أراد أن ينقل بالتاريخ من الفن إلى العلم ومن التأمل إلى المنهج وإحداث قطيعة مع التقليد والجدال الفقهي ، إن التغيير الذي مارسه ابن خلدون في الكتابة التاريخية خلق تأطيرا جديدا لعلم التاريخ يستطيع فهم أسباب حدوث الحدث التاريخي، وربطه بشروط وقوعه، ومن هذا المنطلق يمكن أن نعتبر عمل ابن خلدون خاصّة " المقدمّة " ، ميلاد تاريخ عربي جديد كعلم مؤسس له بمرجعية نظرية لازمة، تضع الحدود المنهجية الفاصلة بين علوم الدين وعلم التاريخ ؛ فالأولى تعتمد على

(1) تقي الدين أحمد المقريزي: إغاثة الأمة في كشف الغمة ، تح : كرم حلمي فرحات ، غين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2007، ص30.

(2) علي أومليل : المرجع السابق ، ص82.

(3) نذير معيزي : أسس المنهج التاريخي عند ابن خلدون، جامعة يحي فارس المدية ، الجزائر، 2021 ، ص03.

(4) ابن خلدون : المقدمة ، ص126.

الجرح والتعديل ، بينما الثاني يستعمل فيه قانون المطابقة ، أو ما اصطلح عليه ابن خلدون مبدأ الإمكان والاستحالة⁽¹⁾.

فبالرغم من واقعية وموضوعية ابن خلدون في طرحه للمعلومات التاريخية إلا أننا نجد في بعض نصوصه يؤمن بالغيبيات أو ما يسمّى بالسحر والطلّاسم وغيرها من الممارسات الذي خصص لها مجالا في الفصل الثامن والعشرين من مقدمته ، وهذا لا يتنافى مع مميزات الدارس للمجتمع لأنّ هذه الممارسات موجودة حقاً في المجتمع ودراسته للعمران البشري ألزمه التطرق لها فيقول في تعريفها: "هي علوم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، إمّا بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأوّل هو السحر، والثاني هو الطلسمات"⁽²⁾. ونفس الشيء عند المقرئزي نلاحظ أنّه ذهب في نفس الاتجاه، خاصّة وأنّه كان عالماً بالتنجيم، بالتالي نجده يربط بعض الظواهر والأحداث بعلم الغيبيات. كما كان يفسرها بالأقدار الإلهية فيقول على سبيل المثال في الاعتاض: "أبو علي منصور بن العزيز بالله أبي تميم معد ، ولد بالقصر من القاهرة"⁽³⁾. فبالعودة إلى التنظير الذي نظر له ابن خلدون في المقدمّة فإننا نجد ينقل التاريخ من حالته كفكر إلى مرحلة التاريخ كعلم له شروطه وتنظيراته⁽⁴⁾.

أمّا بالعودة إلى المقرئزي ومنهجه في التدوين التاريخي من خلال كتابه الخطط نجده يهتم بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية؛ ففي هذا الكتاب نجده مثلاً يقدّم أسباب ظهور النّظام الإقطاعي بمصر خلال الفترة المملوكية، فيربط وجوده بالطبيعة العسكرية للنّظام المملوكي ونشأته. كما تطرق للقوى المستفيدة منه ويصنّفها ترتيباً من الأمراء والأجناد ثم في الأخير القسم المحبس على الجوامع والمدارس فيعرض من خلاله مظاهر الأزمة التي عاشتها الدولة المملوكية ويربطها بشكل منطقي مع الإقطاع الذي كان من أبرز أسبابها. فمن خلال هذا النموذج نجد أن المقرئزي خرج عن النهج المتداول في طريقة كتابة الخبر التاريخي، فقد استهلّ الحديث عن الأسباب والعوامل المؤدّية للظاهرة، ثم ربطها بالمؤثرات الخارجية والداخلية ليخلص لنتائجها وتأثيراتها، كما أنه حافظ على كرونولوجية الأزمنة التي تناولتها دراسته⁽⁵⁾.

ج- من حيث منهجه في التعامل مع المصادر: اعتمد كلا من ابن خلدون والمقرئزي على نفس أنواع المصادر ، حيث اعتمدا على ثلاثة مواد مصدريّة وهي:

(1) زكرياء الهكار: ابن خلدون والمقرئزي - دراسة مقارنة في المنهج والحقول والمصادر - ، مجلة الدراسات والبحوث دم ، دت ، ص 07.

(2) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ط دار الفكر، ج 1 ، ص 655.

(3) المقرئزي: الخطط ، ج 4 ، ص 71.

(4) زكرياء الهكار: المرجع السابق ، ص 08.

(5) علي بركات: الإقطاع العسكري المملوكي: قراءة في خطط المقرئزي، مجلة إبداع، مصر ، 2012، مج 20، ص 115.

1- الاستشهادُ بآياتٍ قرآنيةٍ وأحاديثٍ نبويّةٍ : وقد استغل كل من ابن خلدون والمقريزي النصوص الدينية المقتبسة من القرآن الكريم والحديث الشريف مستشهدان بآيات قرآنيةٍ وأحاديثٍ نبويّةٍ لما لها من مصداقية.

2- المصادر الشفويّة: والتي كانت من رجال السُلطة والفكر والأدب والصناع والتّجار... وغيرهم.

4- المصادر المكتوبة : المتمثلة في غالبيتها على كتب جغرافية وفلسفية ودينية، فابن خلدون اعتمد على عدّة مؤرّخين من بينهم ابن حزم الذي يتكرر عنده كثيرا فاستعمله لتأكيد الأنساب ومقارنتها بغيرها من المصادر الأخرى، كما اعتمد على المسعودي في كتاب "مروج الذهب" ، وكذا البكري في كتاب "المسالك والممالك" (1).

أمّا المقريزي فقد اعتمد على عدّة مصادر فنقل عن المتصوفة والفقهاء كشهاب الدّين السهروردي والشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس (2) ، كما اعتمد على كتب التاريخ العام ككتاب معجم البلدان لياقوت الحموي والمسعودي والبكري (3). دون أن ننسى اعتماده على مراسيم صادرة عن الدولة لإحصاء عدد الوفيات ، وما يميزه في ذكر المصادر أنّه يذكر اسم الكتاب وصاحبه حيث يقول مثلا: " وأنشد أبو عمر الكندي في كتاب - الأمراء - لسعيد القاص أبياتا " (4).

3-2- نتائج الدّراسة المقارنة بين كتابات المؤرّخين (ابن سعيد المغربي وابن العديم):

أ- من حيث حقول الكتابة التاريخية : تتوزعت وتعددت حقول الكتابة التاريخية التي تناولها كل من ابن سعيد المغربي وابن العديم الحلبي في مؤلّفاتهما ؛ فقد تطرقا لعدّة مواضيع متعلّقة سواء ببلاد المغرب والأندلس من جهة أو ببلاد الشّام (حلب وما جاورها) من جهة أخرى. من خلال تناول عدّة ميادين كالتاريخ والجغرافيا والأدب والعلوم والطب وغيرها، فلذلك صنّفت تأليفهم " المغرب في حلى المغرب " و"بغية الطّلب في تاريخ حلب" ضمن أبرز المصادر التاريخية قيمة في العصور الوسطى (5). فبالرّغم من تشابه مواضيع المصدرين في بعض النّقاط إلّا أنّ غاية مضامين التّأليف تختلف فابن سعيد كان يسعى من خلال كتابه الذي يشمل خمسة عشرة سفرا عن تاريخ المغرب والأندلس وعلمائها وكذا تاريخ مصر إلى جمعالتراث الأدبي التاريخي العربي وحفظ آثار وتاريخ الأفراد الذين عاشوا بهذه الكور طبقة بعدها طبقة (1)، على غرار ابن العديم الذي تناوله نشاطات رجال أسرته والشخصيات التي عاشت حلب وما

(1) ابن خلدون : المقدمة ، ص 120 .

(2) المقريزي : الخطط ، ص 567.

(3) نفس المصدر ، ص 795.

(4) نفسه ، ص 671.

(5) محمد الأنصاري: المرجع السابق ، ص 169. فرانز روزنتال : المرجع السابق ، ص 233.

(1) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج 1، ص 09.

جاورها مستعرضا بعض الأوضاع السياسية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والملاحم الثقافية وكذا الآراء الدينية لبعض الشيوخ والعلماء سواء كانوا رجالا أو نساء⁽²⁾.

كتاب ابن سعيد أُلّف بالموارثة عكس ابن العديم؛ أُلّفه جماعة من بني سعيد فأنفقوا في تأليفه تقريبا 115 سنة، مودعين فيه عدّة كتب في ميادين مختلفة (الأدب والتاريخ من الدّرجة الأولى وغيرها)⁽³⁾ على عكس كتاب ابن العديم فقد تولّد كنتاج لتأثيره بمدارس أدبية تاريخية شامية باعتبار العلماء بحلب كانوا مصدر للرواية التاريخية منذ القرون الأولى مثل " كتاب سير الثغور " لأبي عمرو عثمان بن عبد الله بن إبراهيم الطرسوسي (ت نحو 401هـ/1010م)⁽⁴⁾؛ الذي وصفه الوزير أبي الفاضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة(ت391هـ/1000م)⁽⁵⁾ وغيرهم. فقد شكل كتاب "بغية الطلب" نموذجا للتأليف التاريخي حسب الدراسات الحديثة سواء عن حلب أو ما جاورها ومصدرها هاما للأخذ والاختصار والتذليل لدى العديد من الكتاب الذين ساروا على نهجه حتّى مطلع القرن العشرين. مثل: ابن حبيب الحلبي(ت 779هـ/1378م) صاحب كتاب " حضرة النّديم من تاريخ ابن العديم"⁽⁶⁾.

ب - من حيث المنهج التاريخي عند ابن سعيد وابن العديم : شمل كتاب ابن سعيد موضوعات متنوعة ومختلفة كالتاريخ والجغرافيا والمجتمع والأدب الشعري والأدب النثري وتراجم بأنواعهم وأصنافهم ملوكا وشعراء وزُهّاد ونحوهم. ومن هنا يمكننا الوقوف على منهجية ابن سعيد القائمة على عمل موسوعي والتي تبرز المنهج التاريخي الذي يبدأ حركته على نسق التاريخ بدءًا من سنة (180هـ/797م) ضمن حدث "غزو الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد ، وقفل مثقلا بالغانم"⁽⁷⁾ ، مُشيرًا إلى تأثير الأحداث التاريخية على الأوضاع السياسية والتطورات الاجتماعية. واللافت للانتباه أنّ ابن سعيد رغم أنه بدأ دراسته تاريخيا بذكر السنوات فإنّه سرعان ما يتحوّل إلى تصوير الترجمات ؛ فقد ترجم للمنصور أبي عامر مجد المعافري دون أنّ يرفق ذلك بتاريخ ما عادا في نهاية الترجمة⁽¹⁾.

(2) رانيا أبو الفتوح : المرجع السابق ، ص106. أبو محمود الزناتي : المرجع السابق ، ص170.

(3) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق ، ج1، ص01.

(4) أبو عمرو الطرسوسي: نسبه يعود إلى طرسوس التي ولد فيها وتلقى علومه ، ولقي عددا من شيوخه وروى عنهم

الحديث أمثال ابن العلاف البغدادي . أبرز كتبه " سير الثغور". إحسان عباس : المرجع السابق ، ص37-39.

(5) إحسان عباس : المرجع السابق ، ص40.

(6) سبط ابن العجمي (ت884هـ/1480م) : كنوز الذهب في تاريخ حلب ، تح: شوقي شعت وفالح البكور ، ط1، دار

القلم العربي ، حلب ، 1996 ، ج1 ، ص11.

(7) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص40.

(1) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص199.

أمّا ابن العديم يتضح من خلال تتبّع منهجه أنّه استخدم في تراجمه لمختلف شرائح المجتمع (الخلفاء والملوك والأمراء والسلاطين والوزراء والسياسيين والقضاة والوزراء والقراء والمحدثين والفقهاء والأدباء واللغويين والنحاة والشعراء والأطباء والصيادلة والصوفية والفلاسفة والتجار وكل من ذم أو حمد خصاله) طريقة الحروف الهجائية (أ- ب- ت - ث...) ملتزماً أسلوب ذكر فيه الاسم الأول ثم الآباء والأجداد حتى آخر سياقه النسب ، ليلحق بعد الانتهاء من الأسماء المكتملة بالترجمة لمن يعرف والده بالكنية (فلان ابن فلان) ، والترجمة لمن لم يقف من اسمه إلا على الاسم الأول متبوعاً بالشهرة ، أمّا فيما يخص ترجمة الأمراء والملوك والحكام فتتبع عصورهم السياسية وبيان مشاركتهم في الأحداث الكائنة في عهدهم ، وما وقع لهم من وقائع ومجريات⁽²⁾.

ج- من حيث منهجه في التعامل مع المصادر: بالرّجوع إلى طريقه توثيق ترجمات وذكر الآثار الأدبية فابن سعيد في كتابه "المغرب في حلى المغرب" يذكر الزّمان والمكان والرّجال مع تحديد مراكزهم والأحداث التي ارتبطت بهم من أدب جميل أو نادرة لطيفة ، كما أنّه كان يرفق كتاباته بمصادرها كقوله: "وذكره الثعالبي في اليتيمة وأنشد له الشقندي ما تقدّم في رسالته ، والحجازي في الحديقة"⁽³⁾. وأحياناً يذكر الكتاب لوحده كقوله: "من المقتبس أن أباه قتل مع يزيد بن عمر بن هبيرة"⁽⁴⁾. وفي موضع آخر ينسب الكتاب إلى كاتبه قائلاً: " وذكره ابن حيان في المقتبس"⁽⁵⁾.

أمّا ابن العديم فقد اتبع طريقة توثيق المصادر التي استند إليها قائمة على النقل المباشر بخطوط أصحابها وغير المباشر من الروايات والمصادر بأمانة ، مولياً عناية كبيرة لبيان موثوقية النسخ . كما أنه اعتمد طرائق عدة أثناء النقل ؛ فعند النقل من كاتب واحد فإنّه يذكر ذلك بالقول " عن فلان " مثل قوله: "عن يعقوب بن شعيب"⁽⁶⁾، وإذا كان عن أكثر من كاتب فإنّه يشير إلى ذلك بالقول " روى عنه أو أنشدني أو سمعت أو قرأت بخط فلان وفلان "مثل قوله عن الربيع بن خيثم: "روى عنه هلال بن يساف وأبو عمرو عامر بن شرحبيل للشعبي.."⁽¹⁾.

(2) المهدي عيد الرواضية : المرجع السابق ، ص ص 47-48.

(3) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 85.

(4) نفس المصدر ، ج1 ، ص 60.

(5) نفسه ، ج1 ، ص 63.

(6) نفسه ، ج2 ، ص 631.

(1) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج 8 ، ص 3565.

وفي الأخير يمكننا القول أن؛ ابن سعيد وابن العديم كلاهما يصنّفان ضمن أهمّش علماء ومؤرّخي الدراسات التاريخية والأدبية خلال الفترة محلّ الدراسة لما تركوه لنا من آثار ومؤلفات موثوقة لكتابة التاريخ منتهجين في ذلك المنهج التاريخي الحولي الملائم لتتبع الأحداث والتراجم التي احتوتها الكتب خاصة كتابي " المغرب في حلى المغرب " وكتاب " بغية الطلب " .

خلاصة الفصل الرابع يمكننا القول ؛ أنّ الكتابات التاريخية لأغلب المؤرّخين لم تكن مجرد سرد للروايات والأحداث التاريخية الخاصة بالدول، وإنما تعدّت ذلك بالنقد والتمحيص للروايات خاصة في كتابات ابن خلدون والمقريزي وابن العديم وابن سعيد هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بيّنت مصنفاتهم التاريخية ولعمهم بالتراجم فإمّا عند سرد الأحداث يتوقف المؤرّشخ لترجمة الشخصيات صاحبة الحدث أو المشاركة فيه والعكس؛ فقد احتوت العديد من التراجم أحداث عاشها صاحب الترجمة ، والملفت للانتباه قوّة الأسلوب الأدبي في طرح وبناء الكتابات محل الدراسة الذي يتميز بالسلاسة والسهولة والوضوح حتى يسهل للقارئ فهم المعلومات رغم تراجم الكتابة بين الاطناب تارة والايجاز والاختصار تارة أخرى حسب قيمة المعلومة العلمية والتاريخية التي جمعت في مصادر عدة متنوعة الحقول.

الفصل الخامس : دراسة مقارنة بين الكتاب المغاربة والكتاب العراقي الحجازي

المبحث الأول : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والعراقيين نموذج (ابن الفوطي

"تلخيص مجمع الآداب " وأبو العباس الغبريني صاحب "عنوان الدرّاية")

المبحث الثاني: دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والحجازيين نموذج(تقي الدين

الفاسي صاحب "العقدُ الثمين" وعمر بن فهد الهاشمي صاحب "الدّر الكمين")

المبحث الثالث: نتائج الدّراسة المقارنة

الفصل الخامس: دراسة مقارنة بين الكتابات المغاربية والتدوين العراقي الحجازي

تناولت في هذا الفصل بالرّصد والتمحيص والتّحليل نماذج لدراساتٍ تاريخيّةٍ مغاربيّةٍ من جهةٍ ومن جهةٍ أخرى مدوّنة عراقية حجازيّة في الفترة ما بين القرنين (7- 9هـ/13-15م)، وذلك باعتماد المنهج المقارن الذي لا يخلو من الدّراسة الوصفية - اعتمدت نفس الطريقة التي اعتمدها في الفصل الثالث -.

المبحث الأوّل : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرّخين المغاربية والعراقيين؛ نموذج (ابن الفوطي "مجمع الآداب" و" أبو العباس الغبريني صاحب "عنوان الدراية"):

زخرت العراق وبلاد الحجاز ببروز ثلّة من المؤرّخين مثلها مثل مصر وبلاد الشام ، الذين ألفوا مؤلّفات يشهد لها التاريخ في العصور الوسطى أولت لها الدراسات الأكاديمية عناية شديدة من خلال الدراسة الوصفية والمقارنة للمؤرّخ من جهة ومؤلّفه من جهة أخرى ، ونحن في هذه الورقة سنقف على بعض الدراسات من النطاقين في ظل المقارنة مع كتابات مغاربية ، وأولها نموذج مقارن بين كتاب "تلخيص مجمع الآداب" لابن الفوطي وكتاب "عنوان الدراية" للغبريني - تم اختيار النموذجين لكون للمؤلفين نفس الحقل ألا وهو التراجم -

1-1- المؤلف ابن الفوطي (723هـ/1323م) صاحب " تلخيص مجمع الآداب" :

1- مولده ونسبه: ذكر ابن عماد الحنبلي اسم وسلسلة نسب ابن الفوطي على الصورة الآتية: "كمال الدّين أبو الفضائل عبد الرزاق بن أحمد بن محمّد بن أحمد ابن عمر بن أبي المعالي الفضل بن العباس بن عبد الله بن معن بن زائدة الشيباني"، وأضاف أنه مروزي الأصل.⁽¹⁾ وقد ذُكرت صيغة سلسلة النسب ذاتها عند ابن رجب⁽²⁾ وابن حجر العسقلاني⁽³⁾، في حين اكتفى الذهبي بذكر نسبه إلى جدّه ابن أبي المعالي الشيباني فقال: "كمال الدّين أبو الفضائل عبد الرزاق بن أحمد بن محمّد بن أبي المعالي الشيباني"⁽⁴⁾ وأورد أنّه ينتسب إلى الأمير معن بن زائدة⁽⁵⁾، واشتهر بابن الفوطي نسبة إلى جده من قبل أمّه الذي كان يباعاً للفوط - وهي ضرب من الثياب -⁽⁶⁾ وبابن الصّابوني أيضاً⁽⁷⁾.

(1) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، ج6 ، ص60.

(2) عبد الرحمان بن أحمد البغدادي ابن رجب (ت795هـ/1394م): الذيل عند طبقة الحنابلة، تح: محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، 1953، م، ج2، ص374.

(3) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج2، ص364.

(4) شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1979 ، ج6 ، ص1493.

(5) ابن رجب : المصدر السابق، ج2، ص374. الصفدي: أعيان العصر، ج3، ص62.

(6) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ، ج6 ، ص60.

(7) الذهبي: المصدر السابق، ج6 ، ص1493.

وُلد ابن الفوطي في درب القواس بدار الخلافة في بغداد⁽¹⁾ سنة اثنتين وأربعين وستمئة للهجرة⁽²⁾ وذلك في السابع عشر من محرّم⁽³⁾. كان من أهل العلم والوقار من طبقة الأعيان - وهي طبقة تلي طبقة الأمراء -⁽⁴⁾، وقام والده في مولده بدعوة أحد كبار المنجمين ألا وهو مجد الدين بن محمد بركة الموصلبي البغدادي⁽⁵⁾. فقد كانت عائلة ابن الفوطي محاطة بأهل العلم والإمامة والأدب، فكان الأديب أبي النّجم النّبّاتي المعري له معرفة بوالديه وهو من الأئمة الأعيان والقراء⁽⁶⁾. ظل ابن الفوطي في بغداد وعاش في كنف أسرته منذ ولادته حتى سنة (656هـ/1256م) التي شهدت واقعة أسره من المغول مع أخيه⁽⁷⁾.

2- العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية لابن الفوطي:

أ- تأثير ثقافة أسرته وأقاربه في تكوين ثقافته:

والد ابن الفوطي هو تاج الدين أحمد بن محمد، تمّ ذكّره في مقدمة كتاب ابن الفوطي في كتابه "تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب"⁽⁸⁾، فقد كان يسكن في المحلة الخانوتية المجاورة لدار الخلافة العباسية ببغداد الشرقية وهم من أهل الثراء والوجاهة والجاه، وبذلك يسكن إلى جواره كثير من العلماء والأدباء⁽⁹⁾، له أخ اسمه عبد الوهاب ويلقب "بدرّ الدين"⁽¹⁰⁾، وكانا في جملة أسرى المغول من بغداد⁽¹¹⁾ ولما أخلي سبيله افتدى أخيه وذكر ذلك في ترجمته لعزّ الدين أبو الفضل بيكلار بن مجد الدين

(1) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرين ، ط3، دار الشعب، القاهرة، 1975م، ج2، ص342.

(2) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص63.

(3) ابن رجب: المصدر السابق، ج2، ص374. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج6، ص60. ناجي المعروف: المرجع السابق ، ج2، ص342.

(4) جواد مصطفى: مقدمة تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم، دمشق، 1962، ج4، ص41.

(5) الذي قال عنه ابن الفوطي في ترجمته: "المنجم الذي اشتغل بالنجوم واشتهر". عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي: مجمع الآداب في معجم الألقاب، ط1، تح: محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 1416هـ، مج5 ص29. جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص10.

(6) نفس المصدر ، مج 5، ص29.

(7) ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص343.

(8) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص10.

(9) ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص342.

(10) محمد رضا الشيبلي: مؤرخ العراق ابن الفوطي، ط1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق ، 1958، ج2، ص225.

(11) محمد مفيد آل ياسين: الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، ط1، الدار العربية للطباعة، رسالة دكتوراه منشورة، بغداد، 1979م، ص198. محمد رضا الشيبلي: المرجع السابق، ج2، ص225.

بن عبد المجيد التبريزي فقال: " ولمّا اشتريت -يعني افتديت- أخي بدر الدين عبد الوهاب ساعدني وأنفذ لي مائة دينار"⁽¹⁾.

أمّا والدته فمن بيت الظهيري؛ وهو بيت كان معروفًا بالرئاسة والتقدم في الدولة العباسية⁽²⁾. فقد ذكر ابن الفوطي في كتابه "تلخيص مجمع الآداب" عمّ والدته وكان من بيت الحجابة والتقدم والكتابة والرئاسة، شغل حاجبا بباب النبوي ثمّ بباب المراتب، كمال الدين أبو شجاع محمد بن سعيد بن محمد بن الظهيري البغدادي، فقال عنه: "كان من أكابر الحجاب... وهذا كمال الدين المذكور هو عمّ والدتي"⁽³⁾ وخاله زكيّ الدين أحمد وجدّ أمّه عفيف الدين، الذي ذكرهم في ترجمة المحدث الصوفي كمال الدين الزيلع البغدادي فقال: "كان من أصحاب جدّي لأمي عفيف الدين أبي القاسم ابن الظهيري، وكتب له إجازة مع خالي زكيّ الدين أحمد"⁽⁴⁾.

فأُسرة أم ابن الفوطي ورثت العلم والأدب خلفا عن سلف⁽⁵⁾، أمّا خال والده هو موفق الدين عبد القاهر بن محمد بن الفوطي، ترجم له فقال: "كان من الأدباء الأعيان والفضلاء والبلغاء أرباب البيان الفُصحاء"⁽⁶⁾، وابن خال والده قوام الدين أبو الفضل بن موفق الدين، وقال فيه: "كان شائبا نكيا اشتغل على والده شيخنا موفق الدين"⁽⁷⁾. ابنه بن أبي المعالي الفضل، وُلد سنة خمس وثمانين وستمائة⁽⁸⁾. ذكر الصفدي في كتابه "أعيان العصر" أنّ لديه ولدين حيث قال: "وخلف ولدين"⁽⁹⁾، لكن أشار ابن الفوطي أنه كان لديه أولاد قبل عودته إلى العراق، وكلمة الابن تعني الولد في ذلك العصر⁽¹⁰⁾، حيث أشار إلى ذلك في ترجمته للكاتب ابن النيار البغدادي الناصري حين قال: "وقد كتب الإجازة لي ولأولادي سنة ثمان وسبعين، ولما قدمت العراق كان شيخا بالرباط المستجد"⁽¹¹⁾.

(1) محمد رضا الشيباني: المرجع السابق، ج2، ص225.

(2) ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص342. جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص10.

(3) ابن الفوطي: مجمع الآداب، مج4، ص228.

(4) نفس المصدر، مج4، ص238.

(5) محمد رضا الشيباني: المرجع السابق، ج2، ص132.

(6) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج5، ص623.

(7) عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي: مجمع الآداب في معجم الألقاب، ط1، تح: جواد مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم، دمشق، 1967، ج4، ق4، ص828.

(8) شهبة أحمد ابن قاضي الدمشقي: تاريخ ابن قاضي شهبة، تح: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية دمشق، 1994م، ج1، مج2، ص704-705.

(9) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص63.

(10) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص19.

(11) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص244.

ب - تأثير تعلمه في كتابته التاريخية:

بدأ ابن الفوطي دراسته قبيل واقعة أسره ببغداد، وتلقّى علومه الأولى على كبار العلماء والمحدثين وحضر منذ الصّبا مجالس أهل العرفان من الوعاظ والصّوفية والأدباء والرّواة⁽¹⁾، فقد هيّأه والده منذ الصّغر لنشأة دراسية شملت الأدب وعلم الحديث المشهور عند الحنابلة⁽²⁾. كثرت سماعته في هذه الفترة وحرس والده على أنّ يحضر معه المجالس لعلماء ومشايخ حنابلة وصوفيين وأدباء، كان منهم كمال الدّين أبو الحسن علي عسكر بن إبراهيم الحمويّ؛ وهو من جيرانه في المحلة الخانوتية الذي سمعوا عليه كتاب معجم الأدباء بروايته عن مصنّفه ياقوت مولاهم⁽³⁾، والشاعر فخر الدّين الخفاجي⁽⁴⁾.

كما درس على يد خال والده، موفق الدّين عبد القاهر بن محمد بن الفوطي، وترجم له فقال: "وهو الذي اشغني في الآداب وربّاني، وكان خال والدي وحفظني المقامات الحريريّة، وأسمعني بقرائه جامع الترمذي وغيره"⁽⁵⁾، بالإضافة إلى حفظه المقامات الحريرية والأحاديث الثمانية على يد محي الدّين يوسف بن الجوزي، فقد كان في صحبته ابن خال والده قوام الدين أبو الفضل محمّد بن موفق الدّين عبد القهار بن محمّد بن الفوطي، وقال في ترجمته: "وكان رفيقي في حفظ المقامات الحريرية وفي سماع الأحاديث النبويّة على شيخنا الصّاحب الشّهيد مّحي الدّين يوسف بن الجوزي"⁽⁶⁾.

حضر مجلس الوعاظ الصوفي والشاعر عماد الدّين أبو عبد الله الأحمد بن غانم بن عبد الكريم الأصفهاني المعروف بالكاغدي، والذي وصفه في ترجمة له: "حضرت مجلسه في خدمة والدي. وله تصانيف حسان وكلام عال وشعر كثير على طريقتهم"⁽⁷⁾، كما درس اللّغة العربية وأتقن اللّغة المغولية واللّغة الفارسية حينما سافر إلى بلاد الفرس⁽⁸⁾، وأشار لذلك الصفدي في كتابه "أعيانُ العصر وأعوان النّصر" بقوله: "له شعر كثير بالعربي وبالعجمي"⁽⁹⁾، ليوصل دراسته بمراغة في أذربيجان بعد خلاصه من الأسر واستمر في حلقات المجالس على يد كبار العلماء حين طاف البلاد الفارسيّة وعدّة بلدان⁽¹⁰⁾.

(1) ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص ص342-343.

(2) محمد مفيد آل ياسين: المرجع السابق، ص198.

(3) ابن الفوطي: مجمع الآداب، مج4، ص202.

(4) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص14.

(5) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج5، ص623.

(6) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق4، ص ص828-829.

(7) ابن الفوطي: مجمع الآداب، ج4، ق2، ص843.

(8) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص21.

(9) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص63.

(10) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج6، ص1493. الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص62.

ج- تأثير عصره على كتابته التاريخية: نشأ ابن الفوطي في عصر من عصور الانتقال الذي شهدت الفتن والحروب، والتهمت فيه الفتن من تصانيف المصنّفين وأسفار العلماء والمؤلفين⁽¹⁾، حيث عاصر الفترة المظلمة التي بدأت بانحلال الدولة العباسية واستيلاء المغول على العراق⁽²⁾، والتي أصبحت تعرف بالدولة الإيلخانية⁽³⁾ وعاش في ظلها سبعة وستين عاماً⁽⁴⁾. عهد زمن السلطان الأعظم "هولاكو"⁽⁵⁾، ثم ابنه الإيلخان أباقا⁽⁶⁾، ثم عاصر السلطان أحمد توكدار الذي تحول إلى الإسلام، وعهد الإيلخان كيخاتو ثم الإيلخان بايدو⁽⁷⁾، ممّا سمح له أن يشرف على كبرى خزائن الكتب وينسقها⁽⁸⁾ كمكتبة المستنصرية في بغداد ومكتبة دار الرصد في مراوغة وغير ذلك في مكاتب أخرى عامّة وخاصّة⁽⁹⁾.

كان لابن الفوطي نصيب من الحكمة والمعرفة حتّى خلال مدّة أسره التي امتدت من ست وخمسين وستمائة إلى تسع وخمسين وستمائة⁽¹⁰⁾، فقد حظي بلقاء الحكيم الصوفي قطب الدّين أبو الفضائل ياقوت الأهرّي، سنة سبع وخمسين وستمائة في أهر، وهو لم يتجاوز الخامس عشرة سنة⁽¹¹⁾ أما سنة ثمان وخمسين وستمائة، التقى بالطبيب الصّوفي كمال الدّين أبو الفضل النخجواني عند قطب الدّين الأهرّي⁽¹²⁾.

د- تأثير شيوخة في كتابته التاريخية: أشهر أساتذته ؛ الفيلسوف السّعيد نصير الدّين الطوسي - وزير هولاكو -⁽¹³⁾. الذي صار معلمه سنة ستين وستمائة وظلّ ملازماً له ثلاث عشرة سنة وهو مخلصه من

(1) محمد رضا الشبيبي: المرجع السابق، ج1، ص10.

(2) نفس المصدر، ج1، ص04.

(3) حمود مضغان عيال سلمان: ابن الفوطي مؤرخاً، ط1، طبعة وزارة الثقافة مطبعة السفير، عمان، 2014، ص22.

(4) نفس المرجع، ص27.

(5) ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص344.

(6) حمود مضغان: المرجع السابق، ص27.

(7) نفس المرجع، ص28.

(8) محمد رضا الشبيبي: المرجع السابق، ج1، ص04.

(9) نفس المرجع، ج2، ص22. ابن رجب: المصدر السابق، ج2، ص374.

(10) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص15.

(11) أشار إليه ابن الفوطي في ترجمته قائلاً: "رأيتُه سنة سبع وخمسين وستمائة وكنت أسيراً فدعا لي وأنفذني إلى كليبر إلى صاحبه شمس الدّين". ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق4، ص664.

(12) ترجم له ابن الفوطي قائلاً: "كان حكيماً فاضلاً له معرفة بالتدبير والعلاج والتقيرير... وكان قد رأى لي مناماً وأنا يومئذ

صغير السنّ أسيرٌ وبشرني بالخلّاص وأن يرتفع قدري فحصل لي". ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ص242.

(13) محمد رضا الشبيبي: المرجع السابق، ج1، ص04.

الأسر فكان يُعنى كثيرا بشؤونه⁽¹⁾، أخذ عنه علوم الأوائل والأدب والتاريخ والشعر والنثر⁽²⁾، وكان يتردد لمجالس السعيد نصير الدين الطوسي جملة من الشيوخ، ممّا تسنى لابن الفوطي ملاقاتهم والكتابة عنهم فكان الشيخ كمال الدين أبو الفضل البلخي البزار واحد منهم، وكان يجتمع في حانوته كبار العلماء والأكابر، ووصفه بقوله: "وكان خلو المحاضرة طيب الفاكهة، كتبت عنه بمراغة"⁽³⁾، وشيخه المؤرخ تاج الدين بن أنجب المعروف "ابن الساعي"، فقد أشار ابن رجب إلى قرب ابن الفوطي من شيخه وقال: "ذيل على تاريخ ابن الساعي شيخه نحو من ثمانين مجلدة"⁽⁴⁾.

أمّا ما أترى ثقافة ابن الفوطي هو تنوع علوم مشايخه، أمثال مشايخ الفقه نذكر: المُقرئ مجد الدين عبد الصمد⁽⁵⁾، والفقيه ابن دردانة⁽⁶⁾... وغيرهم، كما أنّه كان شديد الاهتمام بعلم الحديث ولقي الكثير من رجال الحديث، كان يحضر مجالس الحديث ببغداد كل يوم اثنين وخميس بجامع الخليفة وبالرباط النوري⁽⁷⁾، وما يبرز اهتمامه بعلم الحديث هو عدد تراجمه لعلماء الحديث والفقه في كتابه "تلخيص معجم الألقاب"، أمّا مشايخ الأدب، نذكر أمثال الأديب فخر الدين أبو الفضل بن أحمد الجندي⁽⁸⁾.

أمّا في ميدان التاريخ فقد نهله من عدة مشايخ برزوا في الميدان وتركوا لنا موسوعات وكتب عظمية أمثال عالم الحوادث والتاريخ ابن الساعي، تاج الدين أبي طالب⁽⁹⁾. بالمُجمل ذكر ابن الفوطي أنّ عدد مشايخه بلغ خمس مائة شيخ بالسمع والإجازة⁽¹⁰⁾، نذكر منهم: نصير الدين أبي جعفر⁽¹¹⁾، وجمال الدين بن المهنا الحسني⁽¹²⁾، ومُخي الدين الحريري⁽¹³⁾، وظهير الدين الكازروني⁽¹⁴⁾... وغيرهم.

(1) ابن رجب: المصدر السابق، ج2، ص374.

(2) نفس المصدر، ج2، ص374. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج6، ص1493.

(3) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص212.

(4) نفس المصدر، مج4، ص375.

(5) نفسه، مج5، ص25.

(6) نفسه، مج5، ص76-77.

(7) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق4، ص731.

(8) نفس المصدر، ج4، ق3، ص436.

(9) نفسه، ج4، ق3، ص355.

(10) الذهبي: المصدر السابق، ج6، ص1494.

(11) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق4، ص812.

(12) نفس المصدر، ج4، ق4، ص814.

(13) نفسه، ج4، ق4، ص817.

(14) نفسه، ج4، ق4، ص821.

هـ - مذهبه: ورد ذكر ابن الفوطي في قائمة الحنابلة في كتاب "الدليل على طبقات الحنابلة" لابن رجب⁽¹⁾ مما يشير على أنه حنبلي المذهب على الرغم من عدم ذكر أية معلومات صريحة عن مذهبه في كتب التاريخ عند أبرز المؤرخين مثل الذهبي والصّفيدي وابن عماد الحنبلي. ويمكن أن يستدل على ذلك أيضا أن أبوه كان يُسمعه على مجالس كبراء المذهب الحنبلي⁽²⁾ بالمدرسة المستنصرية كمُحَيِّ الدّين يوسف بن الجوزي⁽³⁾، وابن الواضح الشهرستاني⁽⁴⁾، والفقهاء الحنبلي كمال الدّين أبو الحسن الحمويّ البغدادي⁽⁵⁾. كما صاحب الشاعر والمُقرئ الحنبلي مُحَبِّ الدّين الموصلّي. ووصفه فقال: "ورثب فقيها بالمدرسة المستنصرية في الطائفة الأحمدية (الحنبلية) وهو صديقي وصاحبي كتبت عنه، وله شعر مطبوع"⁽⁶⁾.

كان ابن الفوطي صوفي المشرب بل كان خياله صوفيا بحثا وله طريقته الخاصة في التصوف⁽⁷⁾ وهو من أكثر المؤرخين عناية بالتصوّف والمتصوّفين في عصره وغيره من العصور⁽⁸⁾، بيد أنه تأثر باكرا بشيخه الواعظ الصّوفي عماد الدّين أبو عبد الله الأحمّد بن غانم بن عبد الكريم الأصفهاني، الذي كان يحضر مجالسه مع والده وغيرهم من المشايخ الصوفيين⁽⁹⁾، فقد كان له عدد مشايخ كبار من أقطاب الصوفية لا يقل عن عدد أساتذته ومشايخ اجازته في الفقه والحديث، منهم العالم الصوفي مُحَيِّ الدّين الحكيم الحريمي⁽¹⁰⁾. عند وفاته دفن في مقبرة صوفية ولم يدفن بمقبرة الحنابلة بباب حرب في غرب بغداد⁽¹¹⁾.

و - تأثير رحلاته وإجازته العلميّة في كتابته التاريخية:

رغبة ابن الفوطي في طلب العلم دفعته إلى الأخذ من عدّة مشايخ وتحصيل اجازاتهم، فقد تحدّث في معجمه عن صلته ورابطته بأصدقائه ومشايخ اجازاته وكان كثير التّنقل والأسفار وأقام في عدّة بلدان في ممالك المغول بين العراق وأذربيجان وبلاد الفرس وغير ذلك وأتاحت له الالتقاء بالعلماء والأدباء واستجاز منهم، فقيّوت ثقافته بالدراسة، والمحاضرة، والورقة والمُجالسة⁽¹⁾. درس الحديث مبكرا في بغداد

(1) ابن رجب: المصدر السابق، ج2، ص 374-379. ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص342.

(2) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص11.

(3) محمد مفيد آل ياسين: المرجع السابق، ص198.

(4) ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص342.

(5) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق2، ص192.

(6) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج5، ص25-26.

(7) محمد رضا الشبيبي: المرجع السابق، ج2، ص17.

(8) نفس المصدر، ج2، ص05.

(9) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص843. ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص343.

(10) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج5، ص76. محمد رضا الشبيبي: المرجع السابق، ج2، ص17-26.

(11) ناجي معروف: المرجع السابق، ج2، ص343.

(1) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص22.

قبل غزو المغول على يد الفقيه المحدث المدرّس كمال الدّين أبو الحسن بن وضّاح الشهرباني وأجازه، وقال في ترجمته: " قلت ولي منه إجازة وكان صديق والدي وقد رأيته قبيل الواقعة"⁽²⁾. درس في مكّة وفي دمشق على يد شيخ الحرم الشّريف قطب الدّين القسطلاني حيث قال في ترجمته: "وكتب لنا الإجازة من مكّة الإجازة (كذا)، ومن دمشق أيضا"⁽³⁾.

سمع مجالس الأحاديث النبويّة للفقيه كمال الدّين بن أبي بكر ابن الحمويّ الدّمشقيّ واستجاز منه وقال في ترجمته له: "سمع صحيح الإمام أبي عبد الله محمّد بن اسماعيل البخاري... وكتب لنا الإجازة بخطه"⁽⁴⁾. ودرس بالمدرسة الفخرية المعروفة بدار الذهب على يد الفقيه المدرّس مجد الدّين بن جعفر الواسطي وأجازه، حيث قال: "وأما قدمت من مراغة، سنة تسع وسبعين اجتمعت به وكتبت عنه وكتب لي الإجازة"⁽⁵⁾. بالإضافة إلى دراسته على يد ابن النّيار الأسدي البغداديّ الناصريّ الكاتب المحدث الذي ترجم له وقال: "كتبت عنه وأجاز لي جميع مسموعاته ومروياته"⁽⁶⁾. كما استجاز من الشيخ المحدث قوام الدين أبو عبد الأحمّد بن عبد الرّشيد الرجائي الأصفهاني حين ترجم له وقال: "شيخ حسن الهيئة وفاوضته في ذكر فضلاء أصفهان واستجزته فكتب لي في الإجازة"⁽⁷⁾.

لما سافر إلى السّلطانية التقى بالشيخ المحدث ابن القطان وهو قوام الدّين أبو الفضل بن عبد الأعلى الأصفهاني، وأجازه فأشار إلى ذلك في ترجمته قائلا: "وكتب لي الإجازة بجميع مروياته ومسموعاته ومصنّفاته"⁽⁸⁾. كما درس ببغداد عند المقرئ ابن الخطيب الطيّب، وترجم وقال: "وكتب لي الإجازة وأنفذها الي مراوغة سنة سبعين وستمائة"⁽⁹⁾. اهتمّ بقراءة الفقه والحديث، فكان ينتقل بين جامع الخليفة والرباط النّوري لسمع مجالس التذكير⁽¹⁰⁾. تلقى إجازة من مدرسة ماردين على يد العالم الفقيه فخر الدّين بن خميس المارديني، ووصفه في ترجمة له قائلا: "عنده جماعة من المتفقيين في الدّين، كتب لنا

(2) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص205.

(3) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق4، ص686.

(4) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص235.

(5) نفس المصدر، مج4، ص473.

(6) نفسه، مج4، ص236.

(7) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق4، ص827.

(8) نفس المصدر، ج4، ق4، ص870.

(9) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج5، ص16.

(10) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق4، ص731.

الإجازة بجميع مسموعاته ورواياته⁽¹⁾.

سافر إلى تبريز ودرس في جامع تبريز على يد الفقيه فخر الدين أبو جعفر بن عمر الجذراني التبريزي، فكتب عنه قائلاً: "رأيتُه بجامع تبريز وحضرت في زاويته واستجزته فأنعم وكتب لي الإجازة وروى لي عن والده الشيخ العارف نجم الدين"⁽²⁾. كما حضر مجالس قاضي قضاة تبريز مكي الدين بن عبد الحميد القزويني واستجاز منه، فورد ذلك في ترجمة له وقال: "سمعتُ عليه ثلاث مجالس من كتاب شرح السنة وكتب لي الإجازة بجميع مقولاته ومنقولاته"⁽³⁾. كما سمع لمجالس قاضي تبريز وقاضي القضاة بأذربيجان مكي الدين بن عبد الحميد القزويني، ووصفه فقال: "كان من أجل القضاة، وأعلمهم بالفقه والأصول...وكنت سمعت عليه مجلساً من المصابيح، وكتب لي الإجازة"⁽⁴⁾. كما أجازه أيضاً الشيخ التبريزي المحقق فخر الدين بن أبي الفتح الجعفري فأشار إلى ذلك في ترجمته قائلاً: "قُبلة المحققين وبقية المتكلمين، كتب لي في الإجازة..."⁽⁵⁾.

درس التفسير وأجازه المفسر الواعظ قطب الدين بن عبد اللطيف العتيقي، وأشار إليه في ترجمته حين قال: "حضرتُ مجلسه واستدعاني إلى داره وكتب لي الإجازة بخطه"⁽⁶⁾. أجازه الفقيه المحقق كمال الدين الأفيضي؛ حيث قال في ترجمته: "وكتب لي الإجازة بجميع مروياته ومسموعاته"⁽⁷⁾. كما درس الأدب، والشعر والنظم، وأجازه الأديب فخر الدين أبو الفضل بن أحمد الجندي وقال في سيرته: "ورأيتُه وحضرت في خدمته وكان كامل الذات حميد الأخلاق، وكتبْتُ عنه من أشعاره وأجاز لي رواية مسموعاته"⁽⁸⁾.

ز - مؤلفاته وآثاره: بعد أن تلقى ابن الفوطي علم الأدب والفقه، أقبل على دراسة علوم التاريخ التي احتلَّت جزء كبير من ثقافته. اهتمَّ بالتصنيف بعد أن عاد إلى بغداد، واهتمَّ بعلم الأنساب والأنسب من علوم التاريخ⁽⁹⁾ ومن أوائل مشايخه الذين كان لهم أثر عليه وسار على دربهم، حاكم بغداد صاحب الديوان علاء الدين بن الربيع الجويني، وهو الذي طلب منه العودة وتدوين التاريخ والوقائع. قال في سيرته: "وأعاد رُونقَ الخلافة... وكتب سيرته على ما تشهد به تواريخ الشهور والأيام، وهو الذي أعادني إلى

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق3، ص59.

(2) نفس المصدر، ج4، ق3، ص266.

(3) نفسه، ج4، ق3، ص78-79.

(4) نفسه، ج4، ق3، ص54.

(5) نفسه، ج4، ق3، ص303.

(6) نفسه، ج4، ق4، ص660.

(7) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص236.

(8) نفس المصدر، مج4، ص436.

(9) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص45.

مدينة السلام وفوض إليّ كتابة التاريخ والحوادث"⁽¹⁾، أما المؤرخ تاج الدين بن أنجب المعروف بابن الساعي فيعد من أقرب الأساتذة إليه ، فقد ذكره وروي عنه مائة وأربعة وثلاثين رواية توزعت على مختلف كتبه ⁽²⁾ بقوله "ذكره شيخنا تاج الدين...!" وهو من المكثرين في النقل عن أستاذه ابن الساعي في أكثر من موضع في كتابه "تلخيص مجمع الألقاب"⁽³⁾.

ومنّ الملاحظ أنّه سار في منهجه من خلال قائمة مؤلفاته في التراجم والتصنيف، حيث أنّه صنف كثيرا من كتبه. وتألّفه كتاب "المعلم الأتابكي" بالتماس من صاحب شهرزور هو نتيجة محاكاة لمعلمه ابن الساعي الذي ألّف كتاب "الزبد الطيبة المجذولة" بالتماس من عماد الدولة الهمداني⁽⁴⁾، وذكر تلميذه الذهبي التماس شيخه ابن الفوطي منه ترجمة بعض العلماء⁽⁵⁾. مكّنه عمله مشرفا على خزائن الكتب وتنسيقها بالمكتبة المستنصرية من الاطلاع على مختلف المصنفات والكتب خاصّة التاريخية منها، وأشار الذهبي إلى ذلك حين قال: "فله اطلاع عظيم ورأى كتباً لا تحصى"⁽⁶⁾.

كما مكّنه ذلك من تكوين معارف وعلاقات مع كبار العلماء والأدباء. كتب عن كثير من مدرسي المدرسة المستنصرية، أمثال الخطيب شيخ رباط الشونيزية "المحيّا العباسي" مدرس الحنفية بالمدرسة⁽⁷⁾ وكان صديقه قوام الدين النعماني الكتبي، وهو من مرتادي المدرسة المستنصرية، يعرض عليه ما يحصل من كتب نفيسة بخطوط الأدباء من بلاد الشام⁽⁸⁾.

وقد وصف الذهبي في كتابه "تذكرة الحفاظ" غزارة إنتاجه العلمي حين قال: "كتب من التواريخ ما لا يوصف، ومصنّفاته وقر بعير... فظفر بكتب نفيسة وحصل من التواريخ ما لا مزيد عليه... وعمل تاريخا كبيرا لم يبيّضه"⁽⁹⁾.

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ، ج4، ق2، ص1035.

(2) حمود مضغان: المرجع السابق، ص104.

(3) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص08.

(4) علاء مصري النهر: التكوين الثقافي لمؤرخي المشرق الإسلامي في القرن السابع الهجري (13م) وأثره في مؤلفاتهم

(ابن الساعي نموذجاً)، بحث مستخلص من رسالة دكتوراه، جامعة الاسكندرية، مصر، 2019م، ص219.

(5) الذهبي: المعجم المختص ، ص145.

(6) نفس المصدر، ص144-145.

(7) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص108.

(8) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق4، ص810.

(9) الذهبي: تذكرة الحفاظ ، ج6، ص1493.

أمّا ابن رجب، وصف آثاره في كتابه "الدليل على طبقات الحنابلة"، وقال: "قرأ وكتب الكثير بخطه المريح، وصنّف فبالأخبار والتاريخ والأنساب شيئاً كثيراً"⁽¹⁾. رجع إلى مائة وسبعة وثلاثين مصنفاً في بناء تراجمه لتسعمائة وخمس وتسعين ترجمة⁽²⁾.

لكن ضاعت منها تصانيف كثيرة بسبب الفتن التي وقعت في سلطنة أبي سعيد المغولي والتي احترقت فيها مدارس ومعاهد علمية كثيرة وخزائن ودور كتب عظيمة، ممّا يفسر وصول تصانيف لمؤرخين ولمؤلفين متأخرين من معاصريه أو القريبين من عصره كابن الجوزي وغيرهم وهناك أسباب أخرى كون مؤلفاته شهدت موجة من الفكر مست مصالح رؤساء وزعماء، وترجمته لبعض الفلاسفة المتحاملين على الإسلام ولبعض أرباب الفنون والمغنيين، ممّا أدّى إلى إتلاف وإفساد بعض تصانيفه كما فعلوا بتصانيف شيخه رشيد الدين الطبيب⁽³⁾. أمّا المصنّفات والكتب التي درست، نذكر أهمّها:

1. مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب: مختصر إسمه "معجم الألقاب"⁽⁴⁾. هو أعظم كتب الألقاب في تاريخ العرب على حدّ وصف الدكتور المحقّق مصطفى جواد⁽⁵⁾. أشار الى الكتاب عدد من المؤرخين أمثال حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون"⁽⁶⁾ وذكره الذهبي في كتابه "تذكرة الحفاظ" قائلاً: "دونه في خمسين مجلداً سمّاه (مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب)"⁽⁷⁾، وذكره أيضاً في كتابه المعجم المختصر: "وخرّج معجماً بشيوخه وبلغوا خمسمائة شيخ"⁽⁸⁾.

كما أشار للكتاب ابن الفوطي نفسه في كتابه "تلخيص مجمع الآداب"، حيث يقول: "ذكر في مراجع كتابة هذا الكتاب أعني مجمع الألقاب"⁽⁹⁾، متطرّقاً إليه في باب القاف⁽¹⁰⁾ وباب الفاء⁽¹¹⁾ من جزئه الرابع وباب العين من الجزء نفسه⁽¹²⁾. فكتاب "مجمع الآداب" عكس ثقافته ومعارفه، جمع فيه بين لقاءاته الشخصية ومسموعاته عن شيوخه وأساتذته، وبين قراءاته لمختلف الكتب والمصنّفات سواء التي كان

(1) ابن رجب: المصدر السابق، ج2، ص374.

(2) حمود مضغان: المرجع السابق، ص104.

(3) محمد رضا الشيباني: المرجع السابق، ج1، ص09.

(4) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1 ص279.

(5) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص07.

(6) حاجي خليفة: المصدر السابق، ج1، ص279.

(7) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج6، ص1493.

(8) الذهبي: المعجم المختص، ص144.

(9) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق3، ص513.

(10) نفس المصدر، ج4، ق2، ص1154.

(11) نفسه، ج4، ق2، ص1227.

(12) نفسه، ج4، ق1، ص41.

مشرفا عنها في مكتبتي الرصد والمستنصرية⁽¹⁾ أو التي كانت تعرض عليه من رواد المكتبة⁽²⁾ من مختلف الأصقاع. اعتمد في تأليفه اعتمادا كبيرا على "تاريخ ابن الساعي" وكان أثر ثقافة معلمه ابن الساعي "المؤرخ الجبل" كما وصفه الذهبي جلياً بين صفحات كتابه⁽³⁾.

2. كتاب حوادث التاريخ: أشار إليه ابن الفوطي في كتابه "تلخيص معجم الألقاب" في ترجمته للأمير فلك الدين ابن عبد الله المستعصي، وقال: "ذكرت في التاريخ أكثرها"⁽⁴⁾، وفي ترجمته للفقير قطب الدين الفضلي التبريزي، حيث قال: "ونكرته مستوفى في التاريخ"⁽⁵⁾. وكان ابن الفوطي قد ألف الكتاب بطلب من حاكم بغداد صاحب الديوان - كما أشرنا إليه سابقا علاء الدين الجويني - ، الذي أشار إليه قائلاً "وفوض إليّ كتابة التاريخ والحوادث"⁽⁶⁾. كما ورد ذكره عند جملة من المؤرخين أمثال الذهبي حين قال: "وله كتاب (التواريخ) على الحوادث"⁽⁷⁾.

3. درر الأصداف في غرر الأوصاف: وهو كتاب كبير يتألف من عشرين مجلداً مصنف على التواريخ كما وصفه الذهبي في ترجمته له قائلاً: "وهو كتاب كبير جدا، دونه في عشرين مجلداً، وجمعه من ألف كتاب مصنف من التواريخ والدواوين والأنساب"⁽⁸⁾. وذكره الصفدي، حيث قال: "مرتب على وضع الوجود من المبدأ إلى المعاد"⁽⁹⁾. أما ابن الفوطي فقد ذكر الكتاب في ترجمة لأحدهم قائلاً: "كتبت منه إلى (كذا) كتاب درر الأصداف في غرر الأوصاف"⁽¹⁰⁾.

4. تذكرة الرصد: هو أول كتاب قام بتأليفه بمراغة. ذكره في ترجمة الأمير الفهستاني عضد الدين منوچهر حين قال: "مليح الخط، كتب لي أبياتا بالفارسية في تذكرة من قصد الرصد"⁽¹¹⁾، وورد في ترجمة الأمير الإيجي قطب الدين بن مظفر الدين محمد، وقال: "ذكرته في تذكرة الرصد سنة سبعين وستمائة... اشتغل بالأدب وسألته أن يكتب لي في ذكر من قصد الرصد"⁽¹²⁾.

(1) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص07.

(2) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ، ج4، ق4، ص810.

(3) علاء مصري النهر: المرجع السابق، ص203.

(4) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق3، ص514.

(5) نفس المصدر، ج4، ق4، ص700.

(6) نفسه ، ج4، ق2، ص1035.

(7) الذهبي: تذكرة الحفاظ ، ج6، ص1493.

(8) نفس المصدر، ج6، ص1493.

(9) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص63.

(10) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4 ، ق1، ص280.

(11) نفس المصدر، ج4 ، ق1، ص408.

(12) نفسه ، ج4، ق4، ص681.

5. حوادث المائة السابعة: هو اسم مختصر لكتاب "حوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة"، أشار إليه الذهبي باسم "الحوادث الجامعة"⁽¹⁾، وأسماه المؤرخ حاجي خليفة "الحوادث الجامعة في الوفيات"⁽²⁾. هناك جملة من الأسباب والتحقيقات عن الأصول المخطوطة تبين استحالة أن يُنسب الكتاب لابن الفوطي، وأن مؤلف الكتاب لا يزال مفقوداً الى حد الآن. فكان المحقق جواد مصطفى من المعنيين بالتصحيح والتعليق على المخطوطة الأصلية، والذي استنتج مجموعة من الأسباب نذكر منها غياب ذاتية ابن الفوطي المعهودة بين صفحات كتابه "تلخيص معجم الألقاب" وخط مخطوطة كتاب "الحوادث" يخالف خطه في مخطوطاته وغيرها من الأسباب.⁽³⁾ وكان للمحقق محمد رضا الشببيبي⁽⁴⁾ ذات الرأي.

6. الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة: ورد ذكره عند الذهبي بالصيغة التالية: "وكتاب (الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة) في عدة مجلدات"⁽⁵⁾، وعند الصنفي: "الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة" (وفيات 54). فقد ذكره ابن الفوطي في ترجمته لعز الدين بن ما أراد الله البغدادي: وقال: "وكتبت عنه في كتابي نظم الدرر الناصعة في عراء أهل المائة السابعة"⁽⁶⁾، كما ذكره في ترجمته للفقير المقرئ الأديب عماد الدين بن علوات الشيباني، حيث قال: "كتبت شعره في أعار أهل العصر"⁽⁷⁾. وفي ترجمته للأديب علاء الدين بن محمود الحنفي، حين قال: "وأعطاني بها نسخة كتبت منها في كتاب نظم الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة"⁽⁸⁾، وكان لكتاب شيخه ابن الساعي "الطائف المعاني في شعراء زمامي" أثر في تأليفه لكتابه هذا⁽⁹⁾. وكذا في ترجمته للصوفي فخر الدين بن جعفر الأمدي حين قال "وقد كتبت شعره في شعراء العصر"⁽¹⁰⁾.

ي- وظائفه ومرتبته: رتب ابن الفوطي خازناً، وهو طالب علم لخزانة كتب الرصد بمراعة في أذربيجان التابعة لدار العلم والحكمة والرصد، وهي أول أكاديمية علمية في القرون الوسطى، أنشأها نصير الدين

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج6، ص1493.

(2) حاجي خليفة: المرجع السابق، ج1، ص279.

(3) جواد مصطفى: ابن الفوطي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1967م، ع 14 ص78-84.

(4) محمد رضا الشببيبي: المرجع السابق، ج1، ص372.

(5) الذهبي: المصدر السابق، ج6، ص1493.

(6) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق1، ص253.

(7) نفس المصدر، ج4، ق2، ص838.

(8) نفسه، ج4، ق2، ص1102.

(9) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص17.

(10) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق3، ص89.

الطوسي، شملت أربعمئة ألف مجلد⁽¹⁾. عمل بها ما يقارب عشرة سنة⁽²⁾. يتمثل دوره في الإشراف على الناحية العلمية والإدارية للمكتبة ويزودها بالكتب والمصنّفات الجديدة، كما يحقق في دقة الفهارس وتنظيمها، وهو الذي يسمى اليوم أمين المكتبة⁽³⁾.

وكان بيده مفاتيح خزانة الرصد التي وليّ ابنه مفاتيحها بعد عودته إلى العراق، فقد أشار إلى ذلك في ترجمته للحكيم قوام الدين البزري حين قال: "وكتب إليّ أبياتاً يلتمس فيها مفتاح الرصد"⁽⁴⁾. ثم عاد إلى العراق وفوّض إليه حاكم العراق أمر الإشراف على الخزانة المستنصرية⁽⁵⁾ شغل بها رتبة مشرفاً وخازن⁽⁶⁾. كانت الخزانة تابعة لدار كتب المستنصرية، التي قيل إنَّها احتوت على ثمانين ألف مجلد⁽⁷⁾. وقد وصفها ابن الفوطي في ترجمته قطب جيهان الخالدي قال: "والتي لا يوجد مثلها في العالم"⁽⁸⁾.

استسقى من الفنون وعلم التأريخ والأنساب وأصول التعليم وتنظيم المكتبات وأصول المخطوطة⁽⁹⁾ وروى ما كان يسمعه وما يشاهده من رواد المكتبة⁽¹⁰⁾ من ملوك، وأمراء، وشعراء، وعلماء، وأدباء ومشايخ فقهاء. أتقن فن الكتابة والوراقة⁽¹¹⁾، وكان من كبار الخطّاطين والنساخ، فأتقن خط النسخ والتعليق⁽¹²⁾. مدحه الذهبي "وخط منسوب رشيق"⁽¹³⁾، وتبعه الصفدي "وأما خطّه فلم أرى أقوى منه ولا أبرع"⁽¹⁴⁾، فقد

(1) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص17.

(2) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج6، ص1493.

(3) محمد حسن الزبيدي: ملامح من النهضة العلمية في العراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دط، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1980م، ص32.

(4) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق4، ص797.

(5) نفس المصدر، ج4، ق2، ص1035.

(6) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص29.

(7) نفس المرجع، ج4، ص28.

(8) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق4، ص634.

(9) محمد رضا الشيبلي: المرجع السابق، ج1، ص04.

(10) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص21.

(11) محمد رضا الشيبلي: المرجع السابق، ج2، ص20.

(12) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص42.

(13) الذهبي: المصدر السابق، ج6، ص1493.

(14) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص62.

كان ابن رجب "وكتب الكثير بخطه المليح"⁽¹⁾. برع في نسخ الكتب وتدوين المذكرات⁽²⁾، ويبدو أن الوراقة هي المهنة التي كان يرتزق من مزاولتها على الأكثر بعد عودته إلى بغداد. بالإضافة على المتاجرة بالكتب التي يقوم بشرائها وإعادة بيعها⁽³⁾. بالإضافة إلى الإشراف على الخزانة للحصول على بعض المال، لأن مشاهرة المشرف مقارنة من وقف دار الكتب قدرها سبعة دنانير في كل شهر، وخمسة أرتال من الخبز ورطلان من اللحمي كل يوم⁽⁴⁾. كما شغل إشراف الأوقاف⁽⁵⁾، لكن تمّ عزله سنة اثني عشرة وسبعمائة من قبل القاضي ابن العاقولي⁽⁶⁾، وهو ما يوضح سبب رهنه لداره حين ذكر تعامله مع التاج عزّ الدين الخواري لقاء إشرافه على وقف الأديبة شهدة بنت الأبري، حيث ترجم له وقال: "وعلى ذلك رهنّت داري على مائة دينار"⁽⁷⁾.

خدم ابن الفوطي الكثيرين وأشار بتواضع إلى من خدمهم وأحسنوا إليه وقدموا له الإعانات. فممن خدم الكاتب ابن النيار الأسديّ الناصري، حيث ترجم له قائلا: " من البيت المعروف بالرئاسة... رأيتّه واجتمعت بخدمته وشرفني بحضوره في منزلي"⁽⁸⁾، وكذا القاضي كمال الدين الأفطسي في قوله: "ثمّ اجتمعت بخدمته بسلطانية شروريان في المحرم سنة سبع وسبعمائة"⁽⁹⁾، وخدم خازن كتب المستنصرية مّحيّ الدين الخالدي المخرومي الشبذيّ مشيرا بالقول: "وكنّ أتردّد إلى خدمته وأنفذ لي ثوبا من الشبذي"⁽¹⁰⁾، بالإضافة إلى الناسخ صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الارمويّ واستحسنه، وذكر ذلك في ترجمة الكاتب ابن الشوا التبريزي حين قال: "وقدم بغداد واتّفق ان اجتمعت به في خدمة وسأل عني فذكر له حالي فلما خرجت من عنده أنفذ لي ثوبا من التافتا ودرهم، جزاه الله خيرا"⁽¹¹⁾. على الرّغم من مكانته ومنصبه كمشرف وخازن على أكبر خزانة كتب في ذلك الوقت وذا سعة في العلم والمعارف، إلاّ أنّه لم يكن ذا سعة في الرّزق.

(1) ابن رجب: المصدر السابق، ج2، ص373.

(2) محمد رضا الشببي: المرجع السابق، ج1، ص04.

(3) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص ص20-21.

(4) الملك الأشرف الغساني: المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، دار البيان، بغداد، 1975م ج2، ص459.

(5) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق1، ص125-126.

(6) نفس المصدر، ج4، ق4، ص139.

(7) نفسه، ج4، ق1، ص125-126.

(8) ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص236.

(9) نفس المصدر، مج4، ص155.

(10) نفسه، مج4، ص113.

(11) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق3، ص79.

ح-مكانته العلمية:

كان ابن الفوطي مطلع على شؤون وتاريخ وثقافة ممالك المغول وممالك العالم الاسلامي في منتصف القرن السابع الى صدر القرن الثامن ومرد ذلك الى اجتهاده وطبيعة أعماله في الدولة وقربه من المسؤولين وانعكس اجتهاده في كتابه "شذرات عن الأندلس والمغربين الأقصى والأدنى فالديار المصرية والشامية إلى البلاد العربية"⁽¹⁾ ما رفع مكانة ابن الفوطي ووصفه بمؤرخ الآفاق هو زيادته في تصانيفه على ما كتب مؤرخي عصره وما قبل عصره الذهبي ، فهو مؤرخ يعتبر التاريخ فناً من الفنون الرفيعة. درس الأدب واللغة العربية، وتعلم اللغة الفارسية واللغة المغولية⁽²⁾.

قام بمدح ابن الفوطي الكثير من المؤرخين وهو ما يوضح مكانته بين العلماء والطلاب، نعتة تلميذه الذهبي بمؤرخ الدنيا في كتابه "معجم المختصر"، وقال: "المحدث البارح المتفنن مؤرخ الدنيا" وأضاف "فاق علماء الآفاق في علم التاريخ وأيام الناس"⁽³⁾، و"مفخر أهل العراق"⁽⁴⁾. ووصفه ابن عماد الحنبلي "بمؤرخ الآفاق"⁽⁵⁾ وأضاف قائلاً: "كان ظريفاً متواضعاً حسن الأخلاق"⁽⁶⁾. كما مدحه الصفدي في كتابه "أعوان العصر" ولقبه بصاحب التصانيف، حيث قال: "له يد في ترصيع التراجم مجيده، وذهنه في جميع ذلك سيال، وإلى كل فن ميال، أمّا خطه فلم أرى أقوى منه ولا أبرع"⁽⁷⁾. تم تكليفه بالإشراف على أدباء وكبار العلماء الخازن الكاتب الخطاط العظيم جمال الدين ياقوت⁽⁸⁾، والقاضي المدرس فخر الدين النقتازي⁽⁹⁾. كان لابن الفوطي مشيخة بها مجالس ومسموعات، واستجاز بها طلابه، أمثال الذهبي الذي قال عنه: "وأجاز لنا غير مرة"، وأضاف: "خرج معجماً بشيوخه"⁽¹⁰⁾.

وقد ذكر الصفدي إجازة ابن الفوطي لشيخه الذهبي قائلاً: "وقد أجاز لشيخنا الذهبي مروياته"⁽¹¹⁾. كما أشار إلى مشيخته على لسانه حين قال: "قال: ومشاخي الذين أروي عنهم"⁽¹²⁾. بالإضافة إلى ذلك ذكر ابن قاض شهبه في كتابه "تاريخ ابن قاض شهبه" أنّ ابنه أبو المعالي محمد

(1) محمد رضا الشبيبي: المرجع السابق، ج1، ص03-04.

(2) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص43-44.

(3) الذهبي: المعجم المختص ، ص144.

(4) الذهبي: تذكرة الحفاظ ، ج6، ص1493.

(5) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج6، ص60.

(6) نفس المصدر، ج6، ص61.

(7) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص62.

(8) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ، ج4، ق4، ص832.

(9) نفس المصدر ، ج4، ق3، ص332-333..

(10) الذهبي: المعجم المختص ، ص144.

(11) الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص62.

(12) نفس المصدر، ج3، ص63.

سمع من والده ومن غيرهم من المشايخ وقال: "سمع من والده ومن الرشيد بن أبي القاسم... وخرج له والده مشيخة"⁽¹⁾. كما ذكر ابن رجب مجالسه أيضا قائلا: "روى لنا عنه ولده أبو المعالي محمد، وغيره ببغداد. وقد سمع منه محمود بن خليفة وغيره من بلاد الشام"⁽²⁾.

أشار ابن الفوطي إلى مشيخته في ترجمته للمحقق الشيخ التبريزي فخر الدين بن أبي الفتوح الجعفري حين قال "وكتب لنا الوصية النافعة التي ذكرتها في المشيخة"⁽³⁾، وفي ترجمته للأديب الخطيب عماد الدين بن العزيزي السروري حين قال: "وكان يتردد إلي ويحضر كتبه عندي وكتب لي من فوائده ما خرجه عنه في المشيخة"⁽⁴⁾.

على الرغم من مكانة ابن الفوطي إلا أن البعض انتقلوا من المدح إلى النقد كالذهبي في كتابه "المعجم المختص بالمحدثين" بقوله: "ومع سعة معرفته لم يكن بالثبوت فيما يترجمه... يأخذ في جوائزهم ويجاوز في إطرأهم"⁽⁵⁾، وتبعه ابن رجب في ذلك⁽⁶⁾. تولى أمر خزانة المستنصرية إلى أن وافته المنية فقد قال عنه الذهبي وتبعه في ذلك ابن رجب: "ولي خزن كتب المستنصرية فبقي عليها ولها إلى أن مات"⁽⁷⁾.

ز-وفاته: اختلفت المصادر التاريخية حول تاريخ وفاة المؤرخ العراقي الفذ عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي؛ فهذا الشوكاني في كتابه "البدر الطالع" يشير إلى الثالث محرم سنة (722هـ/1322م)⁽⁸⁾. أمّا الذهبي في كتابه "المعجم المختص" فيؤكد أن تاريخ وفاته يُصادف أول عام (723هـ/1323م) أن تاريخ وفاته عن عمر يناهز 81 سنة⁽⁹⁾. حيث يوافقه على ذلك العسقلاني إذ برهن برأي الذهبي قائلا: "قال الذهبي: "... مات سنة 723هـ"⁽¹⁰⁾. لكن الأجدد بالقول أن أغلب المصادر التاريخية اتفقت على وفاته

(1) ابن قاضي شهبه: المصدر السابق، مج2، ج1، ص705.

(2) ابن رجب: المصدر السابق، ج2، ص376.

(3) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج4، ق3، ص303.

(4) ابن الفوطي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص859.

(5) الذهبي: المعجم المختص، ص144.

(6) نفس المصدر، ص375.

(7) الذهبي: المصدر السابق، ج6، ص1493. ابن رجب: المصدر السابق، ج2، ص374.

(8) الشوكاني: البدر الطالع، ج1، ص357.

(9) الذهبي: المعجم المختص، ص145.

(10) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، مكتب المطبوعات الإسلامية بيروت، 2002، ج5، ص169.

سنة (723هـ/1323م) بعد أن أصيب بمرض الفالج أزيد من 7 أشهر ببغداد بعد رجوعه من تبريز سنة (718هـ/1318م) ، ودفن في مقبرة تعرف باسم "الشونيزية"⁽¹⁾.

3-دراسة المصدر "تلخيص معجم الألقاب" :

أ- مضمون كتاب "تلخيص معجم الألقاب" ونسخه:

هو تلخيص لمصنّفه "مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب"، لم يبق من كتاب "تلخيص معجم الألقاب" سوى الجزء الرابع والخامس منه فقط بخط ابن الفوطي⁽²⁾. وهو كتاب جمع فيه نخبة الرجال والشيوخ الذين سمع منهم أو سمع عنهم.

المعروف أن ابن الفوطي ألف كتابا كبيرا أطلق عليه تسمية "مجمع الآداب في معجم الألقاب"؛ إذ يعتبر هذا الميدان من أوسع الفنون عند العرب والمسلمين القدامى والمعاصرين ، فقد احتوى هذا الكتاب بأجزائه الستة أفانين الألقاب ووقارة الملقبين؛ وهذا دليل على الثقافة الواسعة إذ وقف على كبرى المكتبات التي كانت في عصره. واعتلى رئاستها كالدّار المستنصرية ببغداد التي شملت كتبا متنوعة الحقول كالتاريخ والأدب ، وبذلك يُصنّف الكتاب ضمن أجمع كتب التاريخ للتراجم ذوات الألقاب - أرخ فيه للملوك والسلاطين والأعيان والعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم - . فامتدت الكتابة عنده من أيام الجاهلية إلى غاية الربع الأول من القرن الثامن للهجرة⁽³⁾.

أمّا كتاب "تلخيص معجم الآداب" فإنه يعد من جملة التأليف التي دونها ابن الفوطي لطلاب العلم بحلقة من حرف الكاف مع التصحيح والتعليق؛ يعني بذلك لم يصلنا كاملا. فحسب ما جاء في كتاب حاجي خليفة "كشف الظنون" فإن كتاب "مجمع الآداب" كتبه في 50 مجلدا لم يتم التوصل إليها إلا المجلد الرابع والخامس والمجلد الرابع يبدأ بعز الدين وينتهي بحرف القاف. أما الخامس فيحتوي على حرف الكاف واللام والميم⁽⁴⁾.

وتسمية الكتاب بتلخيص معجم الآداب لم يذكر إلا في نهاية الجزء الرابع إذ قال المؤلّف بنفسه أنّ نهاية الجزء الرابع من كتاب "تلخيص معجم الآداب" علقه جامعه ومصنّفه وواضعه ومؤلّفه ابن الفوطي سنة (712هـ/1312م)⁽⁵⁾.

حفظ الكتاب فوائد عدّة في مختلف الميادين كالأدب والشعر والتاريخ والنثر الإخواني والنثر الديواني التي لم تقف الدراسات التاريخية عليها ، بالإضافة إلى مجموع التراجم التي ألفها عن أعيان عصره؛ إذ أنّ

(1) ناجي معروف: المرجع السابق ، ج2، ص ص 287-343.

(2) جواد مصطفى: المرجع السابق، ج4، ص 67. ابن الفوطي: المصدر السابق، مج4، ص 02.

(3) ابن الفوطي: معجم الآداب ، مج1، ص ص 10-11.

(4) نفس المصدر ، مج4، ص ص 02-03.

(5) الزركلي: الأعلام ، ج 8 ، ص 297.

هذا الأخير شهد تراجع الكتابات العربية ببلاد المشرق لاسيما العراق والجزيرة وصبغت آنذاك باللغة الفارسية على عهد المغول⁽¹⁾.

فقد اختلفت الدراسات حول وصف كتاب " تلخيص معجم الآداب " لابن الفوطي الشامل للجزئين الرابع والخامس بسبب نقص الأول في بدايته والثاني في آخره، أمّا الجزء الرابع فقد أفصح عنه الأستاذ محمّد رضا الشيببي سنة (1338هـ/1920م) ؛ الذي وقع على نسخة منه في خزائن بعض الكتب الظاهرية بدمشق وصور نسخة منه سنة (1357هـ/1938م) ورتبها في مكتبة المتحف العراقية بمديرية الآثار العامّة ببغداد ونفسها التي نسخها المحقق مصطفى جواد مرتين: الأولى سنة 1943م ، والثانية ما بين من سنتين (1962م - 1967م)⁽²⁾.

بالعودة إلى كتاب ابن الفوطي " تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب " فإننا نستنتج أنّ المؤرّخ تحرّى التراجم مؤلفه وفق الألقاب ، لكن ما توصلت إليه الدراسات الحديثة الإحصائية خاصّة تؤكد غير ذلك ، كون المؤرّخ اعتمد في تأليفه على منهج انتقاء الشخصيات المترجم لما اتخذ مسلكين ألا وهما المسلك الأوّل ؛ القائم على الترجمة وفق الألقاب لتميزهم دينياً وأدبياً وفي مختلف العلوم ، أمّا المسلك الثاني ؛ فهو قائم على الترجمة وفق الألقاب لمن اعتلى السّلطة (سياسياً أو إدارياً أو عسكرياً).
المسلك الأوّل (الإنتماء النقابي والعلمي) : وصل عدد الدّين ترجم لهم ابن الفوطي على هذا الأساس ألفاً وتسعمائة وخمسة وسبعين شخصية مترجم لها . ويمكن تقسيمهم على النحو الآتي⁽³⁾:

ميدان المترجمين	عدددهم
الفقه	498
الأدباء	330
المحدثين	273
الشّعراء	252
الخطاطون والنّسخ	51
الأطباء	21
المؤرّخين	30

يتّضح من خلال هذا الجدول أنّ أغلب الدّين أرّخ لهم ابن الفوطي علماء دين أو أدباء من الدّرجة الأولى، أمّا المؤرّخين فعدددهم قليل 30 مؤرّخ ، ويعود ذلك إلى كون أغلب المؤرّخين هم علماء دين من الدّرجة الأولى فكتاباتهم شملت مراحل التاريخ الإسلامي ومواضيعها الدينية التي سادت القرون الأولى

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ، ج4، ق1، ص46.

(2) نفس المصدر ، ج4، ق1، ص ص 67-68.

(3) حمود مضغان : المرجع السابق ، ص85.

الهجرية واستمرت في القرون الوسطى من العصر الوسيط . وتجدر الإشارة إلى أنّ المترجمين لهم تخصصوا في ميادين أخرى كعلم الفلك والفلسفة والهندسة وغيرها .
المسلك الثاني (الانتماء الوظيفي) : وصل تعداد المترجمين لهم ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين تقلدوا مناصب في مختلف المجالات (السياسة ، الإدارة ، الإقتصاد ، العسكري) ، وهم مصنّفين حسب تعدادهم على النحو الآتي⁽¹⁾:

ميدان المترجمين	عدددهم
الأمراء وقادة الجند	264
الكتّاب وموظفي الديوان	257
القضاة	160
الخلفاء والحكام	153
المدرسين والمؤدبين	84
الوزراء	71

يتّضح من خلال الجدول أنّ ابن الفوطي قد عاصر شخصيات عدّة متنوعة ومتعددة التخصصات والميادين الشغل ، التقى بهم أو عاصرهم في مختلف مراحل حياته في الفترة الممتدة من ما قبل الإسلام إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي متّقللاً خلالها في أماكن وبلدان عديدة بدءاً من بغداد وغيرها من المدن العراقية (الموصل ، واسط ، البصرة ، أربيل ، الحلة ، تكريت) ، ثمّ بلاد فارس وما وراء النهرين ، وصولاً إلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس .

ب- نسخ وتحقيقات الكتاب :

كما تعدّدت أوصاف كتاب " تلخيص معجم الآداب " ؛ فكلُّ مؤرّخ أو محقّق يصف النسخة التي وقف عليها على حسب مواصفاتها ، فالنسخة التي ذكرت سابقاً والتي إطلع عليها المحقّق مصطفى جواد مختلفة عن الأولى التي صورها من حيث التجليد والترتيب ، فلذلك قام بإعادة نسخها مرّة ثانية؛ فهي نسخة كانت ببغداد ثمّ انتقلت إلى الحجاز ، وبعدها دمشق لتودّع في خزائن الكتب الظاهرية بدمشق⁽²⁾ .
وعلى رأس المؤرّخين الذين وصفوا الكتاب نقف على وصف الأستاذ عيسى اسكندر معروف والمؤرّخ الدكتور يوسف العش؛ فالأول إطلع على نسخة مصورة بالفونتستات بدار الكتب الظاهرية مشيراً إلى الجزء الرابع الذي يُعدُّ مجلداً كبيراً يقع في 482 صفحة بقطع ربع عرض، وطول يتراوح 24 سم وعرض 17 سم. استخدم في تدوينه حبرين أسود وأحمر معتمداً طريقة التبويب والترتيب المنظم لكلِّ

(1) حمود مضغان : المرجع السابق ، ص 86.

(2) محمد رضا الشبيبي: المرجع السابق ، ج 2، ص 08. زكية الدليمي: المرجع السابق ، ص 69.

صفحة 10 اسماء منظمة بطريقة الجدولة لتسهيل فهمها وتسريع قراءتها، فدوّن باللون الأسود الجدول الخاص بالألقاب والأنساب والمحتوى الخاص بهم ، أمّا باللون الأحمر فقد حدّد أسماء المترجمين . ففي بداية الجدولة دون بالحبر الأسود نسب كلّ شخصيّة مترجمة مثل: البصري - البغدادي وغيرهم⁽¹⁾.

أمّا الدكتور يوسف العش فقد إطلع على نسخة مصورة بدار الكتب الظاهرية تختلف عن نسخة زميله المعلوف يُقال أنّها أكثر اتّضاحاً فقد جاء في كتابه " فهرس المخطوطات " أنّ كتابه " تلخيص مجمع الآداب " لم يؤلّف مثله على عهده أو بعده ، إذ جمع في أجزائه تراجم رجال الاسلام مرتباً إيّاهم ترتيباً هجائياً على طريقة حروف الألقاب ثمّ الأسماء مصنّفاً ذلك على خمسة جداول: فالجدول الأوّل للألقاب ، أمّا الثاني للأسماء وأبائهم ، والثالث لأنسابهم ، والرابع لاختصاصهم ليصل إلى الخامس الشامل لكل ما يتعلق بترجمة الشخصية بايجاز . ولم يخل بالترتيب من بداية إلى نهاية المجلدين . فقد جعل الجداول الأربعة في صفحة خاصة والترجمة في الصفحة المواجهة ، فهذا الجزء يبدأ بعزّ الدّين الحسن بن يوسف بن الحسن الموصلّي البغدادي ، وينتهي بالقول وإيل ابن حجر الحضرمي الصّحابي ، وقد اشتملت كل صفحة 10 أسماءٍ حدد لها جداول مستعرضة بعدها ، وأحياناً يذكر الأسماء بين الجداول المستعرضة ؛ وهذا يصنّف ضمن الاضافات التي أوردّها المؤلّف بعد تدوينه للكتاب ، أمّا خطوط الترجمة فهي متنوعة بين الخط الكبير والصغير مُتخذاً الطريقة المستوية على الورقة أو العرضية أو المائلة حسبما يراه المؤلّف وتمضي عليه يده وأحياناً نلاحظ خروج الكتابة عن الجدول لكبرها أو لاضافات إليها فقد وصلت عدد التراجم تقريباً 2500 ترجمة ، وافترض أنّ الكتاب عدد نسخه ثمانى مجلّدات⁽²⁾.

اختلفت الدراسات حول قياس النسخة إذ يشير الدكتور يوسف العشالي أن قياس المصدر 255 ورقة ، 25 × 15 سم ، عدد أسطرها لا يطرد 3 سم حاشيه تشمل تعليقات ، أمّا نوع الخطّ فهو فارسي متقن في الأسماء لكّنه يتميّز بالاستعجال في التراجم⁽³⁾. أمّا الشيبيني فيذكر أثناء إشارته إلى خصائص النسخة كونها تبلغ 250 ورقة ، عدد تراجمها تقريباً 2500 ترجمة⁽⁴⁾، أمّا كوركيس عواد فقد وقف على نسختين الأولى فيها فوائد عديدة تحت رقم 353 ، 354 ، 355 ؛ 24 في 18 سم مختلة ترتيب الأوراق سنة 1866م ، ونسخة وصفها هي ترجمة البندنجي ، وقد كتبها محمّد بن خضر بن محمد سنة 1943م تحت رقم 256 ، 16×203 سم ؛ 384 صفحة ، 22 س. أمّا النسخة الثانية من ترجمة البندنجي عليها تعليقات بخطّ الأب أنستاس ماري الكرملّي كانت هذه النسخة عند محمّد توفيق البندنجي تحت رقم

(1) زكية النليمي: المرجع السابق ، ص70.

(2) يوسف العش: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - التاريخ وملحقاته - ، ط1، مطبعة دمشق ، دمشق 1366هـ/1947م، ص165.

(3) نفس المرجع ، ص165.

(4) محمد رضا الشيبيني: المرجع السابق ، ج2، ص08.

1319 20.5×14سم؛ 617 ص ؛ 19 س⁽¹⁾. ومن هنا يمكننا القول أن الجزء الرابع تكررت عملية نسخه لأنه يعاني من عدة تشويهاً للتراجم المذكورة . أمّا الجزء الخامس فقد عثر على نسخة منه في الهند ، وتولى طباعتها الأستاذ الباكستاني الهندي محمد عبد القدوس القاسمي⁽²⁾ .

أشرنا سابقاً إلى كتاب " مجمع الآداب " الذي لخصه ابن الفوطي بعدما كان في خمسة أجزاء ، وما وصلنا منه إلا الجزئين الرابع والخامس . فالجزء الرابع يشمل 3216 ترجمة لمن حملوا ألقاباً تبدأ بحروف العين والغين والقاف ؛ وهو يقع في أربعة أقسام حققهم مصطفى جواد ، وتم نشرهم من قبل وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق سنة 1962م ، أمّا الجزء الخامس فيحمل تراجم تبدأ بحروف الكاف واللام والميم والنون ، طبع في مدينة لاهور الباكستانية في مجلدين بين سنتي (1939 - 1947 م) ، وطبع من قبل محمد عبد القدوس القاسمي⁽³⁾ .

ج- أسلوب ابن فوطي في عرض مادته التاريخية :

المعروف على ابن الفوطي اتّخاذه أسلوباً متقدماً عن معاصريه في عرض مادته التاريخية ؛ وهذا الأسلوب أو النهج يتميّز بالتنسيق والترتيب المجدول منطلقه ذكر اللقب ثم سلسلة التسمية ، وصولاً إلى ذكر الإلتناء القبلي والجغرافي والوظيفي . ومؤلفه محلّ الدّراسة " تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب " يوضّح ذلك على غرار مؤلفاته الأخرى⁽⁴⁾ .

شاع نهج الجدولة في عصر المؤرّخ ابن الفوطي القائم على التحري في سرد أسماء التراجم القائم على ذكر اللقب ثم الكنية ثم الاسم فسلسلة النسب ، وصولاً إلى الإلتناء الأسري أو القبلي ثم الإلتناء الجغرافي ثم التخصص العلمي ، ثم الإلتناء الوظيفي . وفي هذا الموضوع نثبت اعتماده أثناء ذكر الإلتناء على ذكر الأصل والفروع . كقوله: " العلوي العبيدي الحلبي "⁽⁵⁾ أثناء ترجمته لعزّ الدين أبو عبد الله الميين بن محمد بن المهنا .

(1) كوركيس عواد : المخطوطات التاريخية في خزانة كتب المتحف العراقي ببغداد ، ط1 ، مطبعة الرابطة ، بغداد 1957 ، ص52 .

(2) زكية الدليمي: المرجع السابق ، ص71 .

(3) ابن الفوطي : مقدمة مصطفى جواد لكتاب تلخيص مجمع الآداب ، دط ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم ، دمشق 1962 ، ج 4 ، ص 73 .

(4) انتهج ابن الفوطي نفس النهج بين مؤلفي " تلخيص مجمع الآداب " وكتاب " تلقيح الأفهام في المختلف والمؤتلف " وهو الجدولة . الصفدي : أعيان العصر ، ج3 ، ص 63 .

(5) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج4 ، ف1 ، ص 141 .

أما عن الانتماء الجغرافي فقد انتهج أسلوب ذكر مكان مولد الترجمة فالهجرات التي قام بها بالترتيب في حال وجودها الزمني. كقوله " السمرقندي ثم البغدادي" (1) أثناء ترجمته لفخر الدين إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز ، مرتب الحنفية المعدل .

اعتلت التخصصات العلمية مكانة مرموقة عند مترجميه وذلك لتبيان درجة توجهاتهم الثقافية والغرض من ذكرها توضيح إختلاف مستويات التراجم، فانتهج منهج ذكر التخصص الأول الذي يميز الشخصية المترجم لها ثم التخصص الأول وهو ما كان شائعاً في كتابات معاصريه ومن سبقوه تاريخياً كقوله:

- أثناء حديثه عن ترجمة فخر الدين أبو العباس أحمد بن فائز بن المحسن البغدادي أنه "المفرد الفقهاء" (2) ؛ أي غلب على تخصصه قراءة القرآن الكريم ثم بدرجة أقل الفقه .
- قوله عن شخصية عز الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن جذا أنه " الكاتب المعدل" (3) أي غلب على تخصص الكتابة والرئاسة ميزة عائلته ثم الاعتدال في اتخاذ القرارات التي تخص ديوان الرئاسة آنذاك .

المؤلف للانتباه للقارئ اتخذ ابن الفوطي أسلوب تبرير إطلاق الألقاب على التراجم بدءاً من رجال القرنين الأول والثاني الهجريين وما قبل الإسلام ، لكنه تخلّى عن الأسلوب بدءاً من تراجم القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين معتمداً أسلوب الذكر دون التعليل ؛ ويرجع ذلك إلى شيوع الألقاب في عصره مثل:

- قوله في ترجمة " عقاب الحرب أبو عبد الرحمان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي الخليفة" (4) . مباشرة أي ترجمة دون تعليل التخصص .

د- منهج ابن الفوطي في كتابة " تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب " : وقفت عدة دراسات على دراسة منهج ابن الفوطي باعتبار هذا الأخير لم يشير إلى ذلك في بدايات كتاباته وهناك من يرد ذلك إلى فقدان أجزاء من مؤلفه الذي حال دون ذلك ، لكن بالرجوع إلى مؤلفه وجدته قد اعتمد خلال طرح معلومات كتابه طريقة الترتيب على الحروف فقد جعل بداية كل حرف معنون مرتبط بالكتاب كقوله: "كتاب العين من كتاب مجمع الآداب في معجم الألقاب"، " كتاب الفاء من كتاب مجمع الآداب في معجم الألقاب" (5) . ومن أهم الدراسات التي حسب نظرنا توافقت مع استنتاجاتنا دراسة حمود مضغان عيال

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ، ج 4 ، ق 3 ، ص 63 .

(2) نفس المصدر ، ج 4 ، ق 3 ، ص 96 .

(3) نفسه ، ج 4 ، ق 1 ، ص 06 .

(4) نفسه ، ج 4 ، ق 1 ، ص 557 .

(5) نفسه ، ج 4 ، ق 1 ، ص 01 . ج 4 ، ق 3 ، ص 05 .

سلمان في مؤلفه " ابن الفوطي مؤرخاً " الذي توصل إلى الأسس التي اعتمدها المؤلف في كتابته ألا وهي:

- **التحقق من المعلومات قبل الشروع في اعتمادها** : تميّز ابن الفوطي بميزة التحقق من المعلومات والأخبار التي احتواها كتابه سواءً بالوقوف عليها دون أي تعديل ، أو بالتعديل والتصويب ويبدو ذلك واضحاً أثناء تحريره للتراجم كقوله عن الشيخ عماد الدين أبي البركات عبد الواحد بن عبد العزيز الدرگزيني بما أنه يكنى أبي البركات فإنه يصنّف ضمن التراجم التي تبدأ بالباء ، وحين وصل إلى المعلومات الخاصة به أشار إلى ذلك بالقول " ولما تحققت اسمه أحببت أن أنكره ههنا ولا أخل بذكره " فلذلك اعتمده مرّة بالكنية ومرّة أخرى بالاسم⁽¹⁾ .

- **اعتماده على مصادر متعددة** : عرف ابن الفوطي بسعة إطلاعه ، والدليل على ذلك حرصه على تعدد المصادر في الترجمة الواحدة من خلال اللقاءات وما سمعه عن الشخصية ممّن حوله ، وكذا مدونات شيوخه فمثلاً عند حديثه عن عز الدين أبي مظفر النيسابوري اعتمد على ما ذكره له شيخه أبو الفضل بن المهنا الحسيني ، وما كتبه له بخطه⁽²⁾ .

- **اعتماده على معلومات المصادر وتقييم معلوماتها** : لم يكتف ابن الفوطي بالمعلومات التي وردت في المصادر المعتمدة في مؤلفه وإنما كان يذكر المعلومة وتقييمها من حيث الموثوقية أو العلم كلما أمكنه ذلك . ومثال على ذلك أثناء ترجمته لفخر الدين أبي سعيد مبارکشاه المرورودي استقى معلومات تخصّه قائلاً : " وسمعت ممّن أنقبه أن فخر الدين مبارکشاه كان قد اتخذ داراً طبية ..."⁽³⁾. وفي موضع آخر يقول: "وذكر لي مولانا نصير الدين الطوسي أن مبارکشاه توفي سنة إثنين وستمائة"⁽⁴⁾ .

كما اعتمد في ذكره لبعض المعلومات غير الموثوقة عبارات تدل على ذلك كقوله في ترجمته لعزّ الدين أبي محمّد الحسين بن حزميل الفوري مايلي: " ذكرُوا أن بعض أهل بغداد سافر عن العراق "⁽⁵⁾ .

- **تصحيح الروايات في حال توفر ما يناقضها** : حرص ابن الفوطي على تصحيح الروايات المُستقاة التي توجب التحري عنها فأثناء تحريره عن نسب " الحدّادي " ، قال اتصلت به وسألته عن جدّه فكانت الإجابة " كان جدنا معه مفتاح الكعبة المعظمة ولذلك عرفنا بهذا النسب " . ونتيجة لعدم اقتناعه ذكر ابن الفوطي العبارة التالية : " وهذا لا اعتداد به ولا اعتماد عليه "⁽⁶⁾ .

(1) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج 4 ، ق 2 ، ص 773 . حمود مضغان : المرجع السابق ، ص 89 .

(2) نفس المصدر ، ج 4 ، ق 1 ، ص 208-209 .

(3) نفسه ، ج 4 ، ق 3 ، ص 290 . 291 . حمود مضغان : المرجع السابق ، ص 90-91 .

(4) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج 4 ، ق 3 ، ص 291 .

(5) نفس المصدر ، ج 4 ، ق 1 ، ص 120 .

(6) نفسه ، ج 4 ، ق 3 ، ص 101 . حمود مضغان : المرجع السابق ، ص 92 .

- متابعة المادة التاريخية العلمية وتحديثها: بالرغم من اتمام ابن الفوطي تحرير جزئه الرابع (712هـ/ 1313م)، إلا أنه تضمّن معلومات وأخبار تعود إلى ما بعد هذا التاريخ وحتى قبيل وفاته سنة (723هـ/ 1423م)⁽¹⁾؛ وهذا دليل على متابعتة للتحديثات ويضف إليها كل ما هو مستجد ويعدّله⁽²⁾.

- عرض الروايات المتناقضة دون ترجيح في الحالات التي لم يتوافر له: تحرّى ابن الفوطي التعقيب على الروايات التي تحتمل الخطأ والنقص، ففي ترجمته لعلاء الدين أبي الفضل هند وبن وجيه الدين زكي نقل روايتين: الأولى؛ تقول: "لم يبق الآن بخراسان أجل من بيت عزّ الدين وهو من أولاد ظاهر بن الحسين الخزاعي"، والثانية تقول: "أن جماعة من أهل خراسان ذكروا له أنه لا يتعلّق بطاهر بن الحسين"⁽³⁾.

- الدقة في النقل من المصادر: تتّضح من خلال المقارنة بين المصادر التي استمد منها المعلومات وكذا الإلتزام الحرفي بالمضامين أو غير الحرفي. بالإضافة إلى إقتصاره على ما يخدم مؤلفه أثناء الأخذ من الموارد وبيّنت المقارنة دقته في الإستقاء وعدم الإخلال بالمحتوى⁽⁴⁾.

هـ- دراسة مصادر كتاب "تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب": اعتمد نوعين من الموارد ألا وهي: أولاً - الموارد الشفوية: أولى ابن الفوطي إهتماماً كبيراً بهذا الجانب إذ بلغ عدد التراجم التي استسقى منها مادته أزيد من ثمانمائة وواحد وخمسين ترجمة، معتمداً أساليب عدة للتوصل إليها سواء الإتصال المباشر بأصحاب التراجم، أو بمن لهم إتصال به من الأهل والأقارب والأصدقاء، أو بمن لهم علاقة بهم كشيوخهم أو تلاميذهم ومن جهة أخرى اعتمد على موارد لم تحدد أسماء أصحابها (مجهولة الهوية). والجدول التالي يوضّح ذلك⁽⁵⁾:

نوع المصدر	المصدر	عدد التراجم
شفوي	الاتصال المباشر بمن ترجم لهم	750
	الاتصال المباشر بالأهل والأقارب والأصدقاء	28
	الاتصال المباشر بمن له علاقة به	17
	الاتصال المباشر بشيوخ الشخصية المترجم لها	36
	مصادر شفوية غير محددة	20

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج 4، ق 4، ص 888.

(2) نفس المصدر، ج 4، ق 1، ص 60.

(3) نفسه، ج 4، ق 2، ص 1110.

(4) محمود مضعان: المرجع السابق، ص ص 93 - 94.

(5) نفس المرجع، ص 101-162. (للمزيد من المعلومات ينظر إلى الملحق رقم 04).

وفي هذه الورقة سنوضح ذلك بالأدلة والبراهين :

1- الإتصال المباشر بأصحاب التراجم : توقفنا في ذلك عن عدة مواضع أهمها :

- قوله عن فخر الدين أبو بكر بن علي بن أبي بكر بن خليل السلغريّ الأمير الكاتب : " تعرّفْتُ به وترددت إليه مع الصدر مجد الدين الفضل " (1) .

- قوله عن الإمام الفقيه عفيف الدين أبو محمود إدريس بن محمّد بن عثمان الشوشي : " وكنْتُ أتردد إليه وينشدني الأشعار ويحدثني عن بلده " (2) وغيرها .

2- الإتصال بأهل المترجم وأقاربه : وقف ابن الفوطي على تراجم عدة استقى معلوماتهم من خلال الإتصال بالأقارب (حوالي 28 ترجمة) (3) ، ومن المواضع التي تؤكّد ذلك :

- عند حديثه عن عزّ الدين أبو محمّد الحسن بن علي بن محمّد بن الأيزر العلوي قال : " روى لنا عنه ولده شيخنا نصير الدين أبو جعفر " (4) .

- حديثه عن عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن محمود بن مودود ابن بلد سجي الموصلية الحنفي المدرس المحدث قائلاً : " ذكره أخوه شيخنا مجد الدين أبو الفضل في مشيخته ... " (5) .. وغيرها .

3- الإتصال المباشر بشيوخه وتلاميذه ومن لهم علاقة بالشخصية المترجم لها : يشير حمود مضغان إلى أزيد من 36 شخصية (6) مترجم لها . نقف على البعض منها فيما يلي :

- عند حديثه عن عزّ الدين أبو الشكر بن حامد الساعي المقرئ يقول : " روى لنا شيخنا رشيد الدين أبو عبد الله محمّد بن أبي القاسم المقرئ وغيره " (7) .

- في حديثه عن عزّ الدين أبو أحمد علي بن الحسن بن شرفشاه بن منصور العبّاسي الأصفهاني المتصوف يقول : " حدّثني عنه السيّد شرف الدين أبو العبّاس أحمد ابن أبي نفشة الحسين " (8) .

5- موارد لم يحدّد أسماء أصحابها (مجهولة الهوية أو المصدر) : يتّضح ذلك من اتّخاذ ابن الفوطي معلومات تراجم من أشخاص مجهولي الاسم ، فلذلك اتّخذ وضعيات أخرى إمّا بذكر مصطلح " ذكر لي " أو " بلغني " ومن المواضع التي وقفت عليها :

(1) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج4 ، ق3 ، ص 133 .

(2) نفس المصدر ، ج4 ، ق1 ، ص 468 - 469 .

(3) حمود مضغان ، المرجع السابق ، ص 102 .

(4) ابن الفوطي المصدر السابق ، ج4 ، ق1 ، ص 82 .

(5) نفس المصدر ، ج4 ، ق2 ، ص 762 .

(6) حمود مضغان : المرجع السابق ، ص 102 .

(7) ابن الفوطي : المصدر السابق ، ج4 ، ق1 ، ص 62 .

(8) نفس المصدر ، ج4 ، ق1 ، ص 247 - 248 .

- عند حديثه عن الشيخ الرئيس عزّ الدّين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن مبادر الأسدي السّندي يقول :
" بلغني أنّه نزلت به سرية من العرب... " (1) .
- عند حديثه عن فخر الدّين أبو سعيد مبارکشاه بن الحسين المرورودي الفقيه قال: " ذكر لي مولانا نصير الدّين الطّوسي أن مبارکشاه توفي سنة إثنيتين وستمئة " (2) .
- ثانياً - الموارد المدوّنة : اعتمد ابن الفوطي في تدوين مادته التاريخية على موارد مدوّنة عدّة سواء أكانت مصنّفات تاريخية وأدبية ، أو غيرها من المدونات الأخرى كالأجازات أو سجلات المحاكم والعقود الرّسمية.. وغيرها (3) . وهذا الجدول يوضّح ذلك :

نوع المصدر	المصدر	عدد التراجم
مدون	مصنّفات تاريخية وأدبية	995
	مدونات مترجميه	695
	الاجازات العلميّة	18
	السّماعات المدوّنة	11
	سجلات المحاكم	11
	مصادر مدوّنة غير محددة	25
	بدون مصادر	395
	تراجم مدوّنة غير مكتملة المحتوى	215

من خلال الجدول نلاحظ تنوّع وتعدد المصنّفات التاريخية والأدبية المعتمدة في تدوين التراجم فحسب حمود مضغان وصل عدد المصنّفات أزيد من 137 مصنّفاً ، حرّر بما يعادل 995 ترجمة والأجدر بالذكر اعتماده على كبار المؤرّخين الذين سبقوه أو عاصروه أو اطّلع على مدوناتهم خلال رحلاته العلمية . ومن أبرز الذين استقى من مصنّفاتهم ومدوناتهم معلوماته نذكر: ابن السّاعي ، ابن الديبشي ، ابن النّجار ، القزويني ، ابن الأثير... وغيرهم كثر . ومن أمثلة هذه الاقتباسات مايلي :

• مصنّفات تاج الدّين ابن السّاعي (ت593هـ/1197م): استقى منه ابن الفوطي العديد من مادته التاريخية ، إذ بلغ مجموع التراجم التي نقلها عنه 134 ترجمة (4) موزعة على عدّة كتب مثل: التاريخية "الجامع المختصرة" ، "لطائف المعاني في ذكر شعراء زمني" ، "طبقات الفقهاء"... وغيرها. ومن أمثلة ذلك:

(1) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج4 ، ق1، ص 240 .

(2) نفس المصدر، ج4 ، ق3، ص 291 .

(3) حمود مضغان : المرجع السابق ، ص ص104-161 .

(4) نفس المرجع ، ص 104.

- اعتماد كتاب " تاريخ ابن الساعي " في ترجمته لعزّ الدين أبو العباس الهبتي قائلاً : " ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب بن أنجب في تاريخه .."(1) ... وغيرها من المواضع .
- مصنّفات محمّد بن سعيد بن يحيى المعروف بابن الديبشي (ت 637هـ/1240م) : بلغ مجموع التراجم التي نقلها عنه ابن الفوطي 105 ترجمة(2) أبرزها :
- عند ترجمته لفخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن المبارك البغدادي المقرئ قال : "روي عنه محمّد بن سعيد ابن الديبشي وتوفي في ذي الحجة سنة تسع وستمئة"(3) وغيرها من المواضع .
- مصنّفات أبو عبد الله محمّد بن محمود المعروف بابن النّجار البغدادي (ت 643هـ/1246م) : بلغ عدد التراجم المنقولة عن مؤلّفاته 39 ترجمة(4). ومن أبرز ما جاء في الكتاب ما يلي :
- عند ترجمته للمحدث البغدادي عزّ الدين أبو المعالي أحمد يقول ابن الفوطي : " ذكره الحافظ محبّ الدين أبو عبد الله بن النّجار في تاريخه وقال : كان من أولاد المحدثين المعروفين بالطلب.." (5) .
- و- دراسة نقدية لكتاب " تلخيص معجم الألقاب " لا تخلو أي دراسة من النّقائص ، لكن يظّل المؤلّف بغزارته العلمية والثقافية يكتسي أهمية عظمى في دراسته للحياة الثقافية ببلاد المشرق عامّة والعراق خاصّة وهذه بعض الدّراسات النّقدية التي وضحت محاسن الكتاب وبعض النّقائص :
- و-1- المحاسن :أثر ابن الفوطي في الدّراسات المعاصرة ، وها نحن نقف من خلال هذه النّقاط على بعض محاسن كتابات ابن الفوطي من خلال كتابه "التلخيص":
- معاصرة ابن الفوطي لمرحلة انتقالية في تاريخ العراق ألا وهي نهاية العصر العبّاسي ووقوع بغداد تحت الهيمنة المغولية ساهم في تكوين ثقافته وتحريره لكتاب تاريخي يشهد له التاريخ وكذا المؤرّخين من جهة إلى جانب الترحال العلمي وتولّيه رئاسة خزائن الكتب مثل خزانة دار الرّصد بمراعة والخزانة المستنصرية حتّى قال عنه الصّفدي " شيخنا المحقق العلامة"(6).
- الدّراسة المحلية الخاصّة بالعراق تكاد تكون شاملة المادة التاريخية .
- سعة البحث بدت واضحة في مؤلّفه؛ وذلك نتيجة احتواء الكتاب نصوصا متنوّعة الميادين خاصّة المصنّفات التاريخية والأدبية التي وصل عددها ما يقارب 995 مصنّف(7).

(1) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج 4 ، ق 1، ص 07 .

(2) حمود مضغان : المرجع السابق ، ص 106 .

(3) ابن الفوطي : المصدر السابق ، ج 4 ، ق 3، ص 63 .

(4) حمود مضغان : المرجع السابق ، ص 106 .

(5) ابن الفوطي : المصدر السابق ، ج 4 ، ق 1، ص 04 .

(6) الصّفدي : الوافي بالوفيات ، ج 1 ، ص 282-283.

(7) حمود مضغان : المرجع السابق ، ص 162 .

- يؤكد المؤرخين المعاصرين أن كتابات ابن الفوطي أبرزت قيام حركة فكرية واسعة المعالم والحقول في العراق ، مبرزين أن ذلك يعود إلى انتشار واستمرار التعليم والاتصال العلمي رغم التوغل المغولي حتى قيل عنه " كان أوجد زمانه" (1) .

- استعماله لأسلوب أدبي ولغة بسيطة وسليمة أثناء التحري (2) .

و-2- العيوب: يؤخذ على الكتاب مأخذ قليلة حسب ما وصلنا أبرزها :

- الاختصار المخلّ في ترجمة بعض التراجم ؛ وهذا يعود لقلّة المعلومات التي توصل لها أو فقدانها نتيجة الاضطرابات السياسية التي مرّت بها المنطقة مثل ما هو الحال في ذكره لترجمة فخر الدين سركيس بن عبد الله الأرمني في سطر واحد قائلاً: " كان من الأمراء المصريين ، وله آثار حسنة بمصر والقاهرة" (3) على غرار التراجم البغدادية التي أخذت صفحات من الأجزاء .

- الترجمة لبعض ذوي الاختصاص الأدبي وابداءه لرأيه بالايجاب أو السلب حول أشعارهم وقصائدهم والمعروف أن ابن الفوطي لم يكن أديبا وشاعرا ، وإنما كان علما بالمتون والاسناد والتاريخ وعالما بالرجال والأنساب . مثل قوله عن الشاعر والأديب قطب الدين أحمد بن سعد العجلي أنه كان يتميّر عن غيره بالفطنة وبعد ذلك ذكر له خمسة من أشعاره (4) .

- اعتماده في بعض الروايات على الشك في نسبة الأبيات التي توصل إليها كقوله " كذا ذكر والشعر ليس له " (5) ... وغيرها .

يمكننا القول أن أغلب الدراسات التاريخية المشرقية التي وقفت بالدراسة والتحليل على دراسة حياة ابن الفوطي أو كتاباته أكدت بوضوح وثقة استعماله الموضوعي العقلي للمعلومات أثناء تحريره للتراجم كما أن مختلف آراءه حول بعض النقاط التي تضمنها المؤلف تدل على عقلانيته وحبه لعلم التاريخ وفراسته . ومن هنا تتجلى المكانة التاريخية والأهمية العلمية لمؤلفه " التلخيص " الثري فكريا من جهة ومن جهة أخرى تميزه بمنهج واضح مفهوم ألا وهو الجدولة الذي ساد طيات المؤلف دون تقطع أو اخلال . فهذا جعل كتابه يكتسب أهمية لدى الكتاب والمؤرخين المعاصرين ، ويناقش في جلسات علمية بكبرى الجامعات العراقية وخارجها .

(1) عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ/1505م): طبقات المفسرين ، تح: علي محمد عمر ، ط1، مكتبة وهبي ، القاهرة 1336هـ ، ج 1 ، ص256 .

(2) زكية الدليمي: المرجع السابق ، ص305 .

(3) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج 4 ، ق3 ، ص174 .

(4) نفس المصدر ، ج 4 ، ق4 ، ص 615 . زكية الدليمي: المرجع السابق ، ص110-111 .

(5) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج 4 ، ق3 ، ص505 .

1-2- المؤلف أبو العباس الغبريني (704هـ/1304م) صاحب " عنوان الدراية" :

1- مولده ونشأته: هو أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني وكنيته أبو العباس (1) ولقب بالغبريني نسبة إلى بني غبرين أو بني غبري من القبائل البربرية في المغرب (2) من أمازيغ وادي سيباو ولد سنة 644هـ/1246م (3) نشأته الأولى كانت في موطن عشيرته الكائن في ضواحي عزازقة في أعالي وادي سيباو بالقرب من مدينة بجاية وقيل في بجاية بالذات (4) أحاط الغموض أسرة الغبريني فلم يتطرق مُترجموه إلى أصله ونسبه ، وهذا ما يثبت الاختلاف الذي وقع بينهم حول اسم والده أحمد أو محمد، وللغبريني تراجم في عدّة مؤلفات من ضمنها : الوفيات لابن الخطيب القسنطيني ولقط الفرائد لأبي القاضي والديباج لابن فرحون والأعلام للزركلي وشجرة النور الزكية لابن مخلوف (5)، وقد جاء عنه في وفيات ابن الخطيب كونه "الفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية" (6) .

2- العوامل المؤثرة في كتابته التاريخية للغبريني:

أ- تأثير تعليمه في كتابته التاريخية : انطلق في العلم منذ صغره ، فانكبّ على حفظ القرآن الكريم وعلوم الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك من العلوم التي كانت سائدة في عصره. تلقى العلوم من يد عدّة مشايخ حتّى قيل أنّه وصل عددهم قرابة سبعون شيخا من شيوخ المغرب الأوسط (الجزائر) والأندلس وإفريقية (تونس) (7).

شملت دراسته العديد من المؤلفات في شتى التخصصات خاصّة الدراسات الدينية التي نالت حصة الأسد من اهتماماته ، حيث كان لكل شيخ من الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم طريقته ومنهجه في التدريس والتي كانت تتميز بالحوار تارة وبالمناقشة تارة أخرى وأحيانا البرهنة (8). ويذكر الغبريني بأنّه درس نوعين من العلوم وهما : علوم الدراية - علوم الرواية : فالأولى؛ يقصد بها علم الفقه وعلم أصول الدين وأصول الفقه والتصوف وعلم العربية... أمّا الثانية؛ فيقصد بها علوم التفسير والحديث والفقه والعربية... (9). حيث درس عدّة كتب ومؤلفات في هذه العلوم . ومن أشهر شيوخه نجد :

(1) نجاة بلعباس ، محمد مرتاض: الغبريني مترجم سير علماء بجاية، مجلة الفضاء المغاربي، مج2 ، ع04 ، جامعة تلمسان، دت ، ص 54 .

(2) أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية مقدمة المحقق (رابح بونار)، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 23.

(3) أبو عمران الشيخ وآخرون : معجم مشاهير المغاربة ، منشورات حلب، دط ، الجزائر ، 2004، ص 363 .

(4) نفس المرجع ، ص363.

(5) الغبريني : المصدر السابق ، ص 12.

(6) ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات ، تح : عادل نويهض ، ط4 ، دار الآفاق الحديثة ، بيروت، 1983، ص 338.

(7) الغبريني : المصدر السابق ، ص ص 9-10 .

(8) نجاة بلعباس ومحمد مرتاض : المرجع السابق ، ص 54 .

(9) الغبريني : المصدر السابق ، ص 25 .

- الشيخ أبي محمد عبد العزيز القيسي وأبي عبد الله بن عبادة حيث قال في مؤلفه عنوان الدّرية " قرأت عليهما وسمعتُ منهما ، وتفقهت بهما ومازلت أحضر مجلسهما للاستفادة والنّفع... " ، فالشيخان كانا متمكنين من علم الفقه فتلقاه الغبريني عنهما بالتبسيط والفهم والقراءة ، فكان يحضر مجلسهما للاستفادة منهما في العلوم الفقهيّة خاصّة موطأ الإمام مالك وغيرها من الكتب .
- الشيخ أبي محمّد عبد الحقّ ابن ربيع : أخذ عنه علم التصوف وبعض علوم الرّواية (1).
- الفقيه أبو العبّاس أحمد بن خالد المالقي (ت 7/13هـم) : قرأ عليه المستصف للغزالي والارشاد وعلم المنطق والطب .
- الشيخ أبو عبد الله التّميمي (ت 7/13هـم) : قرأ عليه علوم اللّغة العربية وقال عنه : " لازمته مدّة طويلة وما رأيتُ في علم العربيّة مثله وانتفعتُ به ما انتفعَ بغيره ، وقرأت عليه النّحو واللّغة والأدب والنّصريف".
- الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمّد الصّدفي (ت 7/13هـم) : استفاد منه وحدثه بكتاب " أحكام القرآن" للطّبري ، كما استفاد منه في علم الحديث النبوي .
- الشيخ أبو عبد الله محمّد بن صالح الأنصاري (ت 7/13هـم) : تعلّق به الغبريني كثيرا وتتلّمذ على يديه كما درس على يديه عدّة علوم كالعلوم الشرعيّة واللّغويّة ، واستفاد منه خاصّة في علم الحديث حيث أخذ عنه موطأ الإمام مالك (2).
- ب- تأثير عصره في كتابته التاريخية : اتّفق المؤرّخون على أنّ الغبريني ولىّ القضاء في مواضع عدّة آخرها مدينة بجاية فكان في حكمه شديد مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه وحفظ لفروعه ، وقيام على النّوازل وتحقيق للمسائل ولما ولى خطة القضاء ترك حضور اللّوائم وسلك طريق اليأس من مداخلة الناس ومن أشعاره :

ولا تنكحن سرك المكنون خاطبه واجعل لميته بين الحشا جدثا

ولا تقل نفثة المصدور راحته كم نافث روحه من صدره نفثا (3) .

عايش الغبريني مختلف الأحداث التي مرّت ببجاية خاصّة وعلى المغرب الأوسط بصفة عامّة فكانت له اتصالات بالمسؤولين وغيرهم من رجال الدولة ويجالس الكبار ، ويناقش الحكام ويدلي برأيه في المسائل الهامة ، ولا يستبعد أنه كان له الدور في سياسة بلده لأنها كانت في أيدي من يملكون الجاه والعلم (4).

(1) نجاه بلعباس ومحمد مرتاض : المرجع السابق ، ص ص 54-55 .

(2) الغبريني : المصدر السابق ، ص ص 311-318 .

(3) أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي : تأريخ قضاء الأندلس ، دط، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت 1983، ص 132.

(4) الغبريني : المصدر السابق ، ص 10.

وبما أن الغبريني قد تتلمذ على عدة مشايخ فقد تأثر إلى حد كبير بسلوك فئة قليلة من شيوخه من الزهاد والمتصوفين، المؤمنين بقدرة قيام البعض الناس بعمل المعجزات، فسلك سبيلهم كلهم ، وهذا ما ذهب إليه النباهي حول زهد الغبريني بعد ولايته للقضاء، حيث سلك طريق اليأس من مُداخلة الناس⁽¹⁾ .

ج-وفاته : بعدما وصل أبو البقاء خالد لإمارة بجاية بعد أبيه زكرياء سنة (700هـ/1300م) حاول أن يقارب بين تونس وبجاية المهددتين بخطر بني مَرين ، وفعلا قام بعدة محاولات ، لكنَّ البعض من حاشيته لم يرغبوا في فكرته بعث أبو البقاء وفد إلى تونس للصُّلح مع ابن عمه أبي عصيدة صاحب تونس ، الذي كان يتكوّن من أبي زكرياء الحفصي ومن الشيخ أبي العباس الغبريني ، اللذان قاما بالمهمة بتونس ، لكنَّ أثناء هذه المدّة فعلت الوشاية فعلتها من قبل الحاشية الراضية للصُّلح.⁽²⁾ وكان الغبريني هو الهدف من هذه الوشائيات ، فاتّهم بالتواطؤ مع البلاط الحفصي في تونس ضد أبو البقاء في بجاية والتخطيط لثورة ضد أبو البقاء⁽³⁾، وغيرها من التُّهم التي اقتنع بها الأمير أبي البقاء الذي أمر بالقبض على الغبريني ثم قتله (704هـ/1304م) ، ويذكر ابن خلدون أن من دبر المؤامرة ضد الغبريني هو ظافر الكبير الذي كان من المحظوظين في البلاط الحفصي في بجاية وأنَّ الذي قتله يسمّى منصور التركي⁽⁴⁾ .

هناك خلاف في تاريخ وفاة الغبريني ، فابن الخطيب القسنطيني ذكر في وفياته أنه توفي سنة (704هـ/1304م) وابن فرحون ذكر في الديباج أنه توفي سنة (604هـ/1204م)، والقاضي النباهي يذكر أن تاريخ وفاته سنة (704هـ/1304م) ، ويؤيد هذه الرواية ابن خلدون ، والحفناوي صاحب تعريف الخلف ، وابن شنب في مقدمته لعنوان الدراية وهي رواية مرجوحة: وقد "حرض السلطان ضده فقتل عام 704هـ/1304م"⁽⁵⁾ . بعد وفاته أجمعت المصادر على الإشارة لأهمّ مؤلفات الغبريني التي تكها دون التفصيل ألا وهي: الأريعون الذي يسمّى "المورد الأصفى" ، " الفصول الجامعة " "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"⁽⁶⁾ .

(1) الغبريني : المصدر السابق ، ص ص 10-11.

(2) محمد العروسي مطوي : السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 1986 ، ص 293 .

(3) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 316.

(4) نفس المصدر ، ج 6 ، ص 294.

(5) زينب قوني : أبو الحسن الغبريني وكتابه عنوان الدراية ، مجلة الأثير ، جامعة حمى لخضر الوادي ، ديسمبر 2016 ع 27، ص 282.

(6) بدر الدين القرافي (ت1008هـ): توشيح الديباج وحلة الابتهاج ، تح: علي عمر ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر القاهرة ، 2004 ، ص 47 . عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص ص 248-249.

2-دراسة المصدر " عنوان الدّرية" :

أ- مضمون الكتاب: يعدُّ كتاب " عنوان الدّرية " من أهمّ الكتب التي ألّفت في مجال التراجم ، فقد مكنا من الاطّلاع على حيثيات الوقائع والأحداث الخاصة بالحياة العلمية والثقافية لبجاية خلال القرن السّابع الهجري حيث يقول : " وإني رأيتُ أنْ أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذا المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات...أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته وعرفت مرتبته في العلم ومكانته"⁽¹⁾. إذن الغبريني أراد من تأليفه لهذا الكتاب أن يعرف بالعلماء الذين عرفوا في بجاية في السنة السّابعة الهجرية مع ذكر صفاتهم ومزاياهم لتعمّ الفائدة للدارس والباحث، ولهذا نجد أن الغبريني افتتح كتابه بذكر بعض الشيوخ المشهورين في نهاية القرن السادس للهجرة تبركا بهم ، ثمّ وضع تراجم العلماء في القرن السابع للهجرة ممن كان لهم زاد كثير في العلم من حيث ذكر صفاتهم وأحوالهم العلمية لتقريبها للقارئ ، وعمل مقارنة بالشيوخ الذين درسوه ولهذا فقد حمل كتابه جمعا من الشخصيات الرائدة " فهو قدّ قرن كلّ علم من علوم الدّرية أو علوم الترواية بالشيوخ الذين درسوا له هذا العلم أو ذلك..."⁽²⁾ .

تميز الغبريني بالأمانة العلمية في مؤلفه ويتّضح ذلك من خلال ربط العلماء المترجم لهم بأسانيدهم ومصادرهم الأولى بالإضافة إلى تسجيله للأحداث التاريخية المهمة التي حدثت في حياتهم، من جهة أخرى نجد أنّ الغبريني استعمل الشّعْر والنثر أثناء سرده لنصوصه بأسلوب سهل وواضح من دون تكلف أو تصنع فعن ذلك يقول الأديب عبده قليقة عن أسلوبه كونه سهل وساطع فلا نجد له تعقرا ولا توعرا وإنما يطلق نفسه على سجيته فتسقط الكلمات بخفة على أفكارها، أوتجذب الأفكار كسوتها اللغوية إليها جذبا رقيقا لطيفا ممتعا⁽³⁾ .

أمّا من حيث محتوى الكتاب فقد تطرق الغبريني فيه إلى ترجمة لعلماء قطنوا ببجاية في فترة حدّدها المؤلّف وهي المائة السابعة للهجرة، بالإضافة إلى علماء عاشوا ببجاية أواخر المائة السادسة للهجرة حيث يقول : "وإني قد رأيتُ أنْ أذكر من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات ، وجعل ما بعدها مبدء اللمسرات ، وأذكر من اشتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته ، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته ، وقد رأيتُ أنْ أصل بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبي مدين ، والشيخ أبي علي المسيلي ، والفقيد أبي محمد عبد الحق الأشبيلي رحمهم الله...لقرب عهدهم بهذه المائة لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم"⁽⁴⁾ فالغبريني كما أشرنا سابقا تطرق لمختلف الأخبار المتعلقة بحياة العلماء الذين ترجم لهم والبالغ عددهم

(1) زينب قوني : المرجع السابق ، ص20.

(2) عبده عبد العزيز قليقة: من التراث الأدب للمغرب العربي ، دط ، عالم الكتب للنشر، القاهرة، 1979م، ص 123.

(3) نفس المرجع ، ص 124.

(4) الغبريني : المصدر السابق، ص 55. (للمزيد من المعلومات ينظر إلى الملحق رقم 05).

مائة وثمانية عالمٍ ، وقد صنّف عادل نويهض العلماء المترجم لهم في هذا المؤلف إلى ثلاثة أصناف وهي :

- تراجم البجائين والجزائريين ومن يتصل بهم .
- تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها .
- تراجم الغرباء الوافدين إليها من المشرق⁽¹⁾.

شهدت الحياة الثقافية إبّان عصر الغبريني بروز حركة فكرية مزدهرة قادها مجموعة من علماء بجاية وبعض الأندلسيين المهاجرين ، حيثُ إعتد المؤلف على ثلاثة محاور في ترجمته للعلماء وهي : محور الفقه وما يحتويه من علوم الدين والتفسير والحديث، محور الأدب بشقيه الشّعر والنثر بالإضافة للمدائح الدينيّة ، ومحور المباحث الفلسفية والتصوّف بنوعيه السّني والفلسفي⁽²⁾.

وهذا ما يثبت تنوع اتجاهات العلماء المترجم لهم ، فنجد أن الدراسات الدينية أخذت نصيب الأسد من الاهتمام خاصّة الفقه المالكي ، يليها الأدب الذي برع فيه مجموعة من العلماء فتطور الشعر والنثر وارتقى . أمّا التصوف فانقسم الى مجالين وهما السني الذي امتاز علماءه بالالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، أساسه الدعوة إلى الله والزهد ، معتمدين على الوعظ والتذكير بالآخرة ، وهناك من لجأ لمنهج التخويف في الدعوة إلى الله . أمّا منهج التصوّف الفلسفي الذي يعتمد على المجاهدات النفسية بكثرة الصيام وإطالة القيام والتجهد والتعسف في أمور الدنيا والزهد فيها ، ومجاهدات أخرى تتمثل في كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم روحانية ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها ، فيتعرض الصوفي للمواهب الربانية والفتح الإلهي⁽³⁾.

انتشر هذا النّوع من التصوف ببجاية كثيرا ولهذا نجد أنّ الغبريني اهتمّ بالترجمة لعلماء التصوف ببجاية فتطرق لأفكارهم وطرقهم وتأثر بهم حيث يقول: "ولقيت كثيرا من مشايخ الصّوفية استفدت منهم واخذت عنهم في بسط رموزهم وفتح مقفل كنوزهم، وحدثوني عن أناس فضلاء منهم"⁽⁴⁾. ولأنّ بجاية كانت منارة للعلماء وخاصّة المتصوفين منهم ، استغل الغبريني تواجدهم وترجم للعديد من شيوخ التصوف ومن أهمّ هؤلاء نجد الشّيخ الصوفي المشهور في كل مدن المغرب الاسلامي أبا مدين شعيب، الذي اختار بجاية موطنًا له حيث يقول الغبريني فيه: "إنّه الشيخ المحقق، الواصل القطب، شيخ مشايخ الإسلام في عصره ، إمام العباد والزهاد... فتح الله عليه بمواهب قلبية وأسرار ربانيّة"⁽⁵⁾.

(1) الغبريني : المصدر السابق، ص 36.

(2) نفس المصدر، ص 41 .

(3) نجاة بلعباس ومحمد مرتاض: المرجع السابق ، ص 57 .

(4) نفس المرجع ، ص 309.

(5) الغبريني : المصدر السابق، ص 22 .

ب- **تحقيقات الكتاب**: يشيد الحفناوي في كتابه " تعريف الخلف برجال السلف " في حديثه عن كتابه عنوان الدّرية فيقول: " وكتابه كتاب رجل خبير بما يقول، ودليل على أنه من الفحول "؛ ويقصد بذلك كتاب " عنوان الدّرية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية" للعلامة أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني الذي حقّقه لأول مرة محمّد بن أبي شنب، وطبع بالمطبعة الثعالبيّة عام (1328هـ/1910م) ثمّ طبع للمرّة الثانية سنة 1969 م بفهارس، وأعاد تحقيقه عادل نويهض وطبعه ببيروت، يشير المحقق راجح بونار إلى السبب الذي جعله يعيد طبعه هو أهميته الأدبيّة والعلميّة التي يظنّ عليها كمصدر أساسي للحركة الثقافية في بجاية والقطر الجزائري عامّة، في القرن (07هـ/14م) وهو مرجع لا يستغني عنه كل دارس، مؤرّخ أو باحث اجتماعي⁽¹⁾.

ج- **أسلوبه**: فالغبريني اعتمد في تراجمه على سهولة الأسلوب وبساطة الألفاظ لإيصال الفكرة للقارئ بشكل واضح، وكمثال لأسلوبه فقد تأثر كثيرا بالسجع حيث لازمه في كتابه، كما أنّه استعمل كثيرا الجمل القصيرة والتزيينات اللفظية، فعمد في كل ترجماته إلى صيغ وعبارات تكاد تكون واحدة في الأسلوب مثل قوله: " **الفقيه المجتهد المحصل المتقن**" كوصف للعالم المترجم له⁽²⁾، من جهة أخرى نجد أنّ الغبريني لم يعتمد في مؤلفه هذا على التقسيم المتعارف عليه حاليا وهو الأبواب والفصول والمباحث ولم يصنف العلماء حسب العلوم التي برعوا فيها، بل لجأ إلى تقسيمهم حسب عامل الزمن حيث بدأ بثلاثة علماء ينتمون لأواخر القرن السادس الهجري وتطرق بعد ذلك إلى ترجمة لعلماء القرن السابع الهجري، محددًا المكان بجاية التي كانت منارا للعلم والعلماء والثقافة⁽³⁾.

د- **قيمة الكتاب**: بقراءة متمعنة في محتوى "عنوان الدّرية" تلمس جوانب من قيمته؛ على اعتبار أنه نقل لنا صورة حية عن الحياة الفكرية والأدبية في مدينة بجاية، على مدى أكثر من قرن من الزمن وقد جاء في مقدمة المحقق الأول للكتاب (ابن أبي شنب) في هذا السياق بأنه كتاب: " تلوح أنوار الحقائق من سبل عباراته ويعقب شذا عرف المعارف من بيان إشاراته، أورد فيه مؤلفه من تراجم علماء عصره وأخبار مصره، ما يحتاجه المتشوق إلى فرائد الفوائد، والمتشوق إلى أوابد العوائد مع ذكر وفياتهم ومؤلفاتهم وسيرهم في مذاهبهم، وعاداتهم واستطراد الأحاديث الشريفة والآثار الصالحة المنيفة والمباحث الفقهية والفتاوى الشرعية، وغير ذلك مما لا يحصى"⁽⁴⁾.

القارئ للكتاب يتبين له أنّ أسلوبه واضح سهل رشيق العبارة، ولكنّه لا يحتوي على مادة فكرية غزيرة وعذر الغبريني فيه أنّه كتاب تراجم لأعلام بجاية المعاصرين له، فرغم هذا الرأي الأخير وما يؤخذ على الكتاب من حيث حجم التراجم والتفاوت فيها، إذ وردت تراجم في صفحات عديدة، فيما لم

(1) الغبريني: المصدر السابق، ص 50.

(2) نفس المصدر، ص ص 12-13.

(3) زينب قوني: المرجع السابق، ص 283.

(4) الغبريني: المصدر السابق، ص 53.

تتجاوز ترجمات أخرى نصف صفحة - فإنه يبقى مرجعا هاما للعديد من المؤرخين والباحثين على حقبة زمنية مزدهرة عاشتها بجاية . وعليه فهذا الكتاب مدونة ثرية المحتوى متنوع المحاور من الفقه إلى الأدب بشعره ونثره ، إلى جانب المباحث الفلسفية والتصوف بجمعها بين المعلومات التاريخية والنصوص الأدبية التي تنتظر أن نوليها العناية بالدراسة والبحث .

هـ - منهجه من خلال كتاب "عنوان الدراية": سار الغبريني عى نهج مؤرخي التراجم في تدوين معلومات مؤلفة فقد أشرنا أثناء تناولنا لأسلوبه أنه استخدم السجع والجمال لقصيرة المزينة أدبيا ولفظيا إذ نلاحظ ذلك منطلقا من مقدمته التي احتوت أربعين سطرا سجعا بسيطا⁽¹⁾ . فبالرغم من سهولة وبساطة الأسلوب إلا أن المؤلف تميز بالشمولية المعرفية ، فقد تناول مجموعة من تراجم الشخصيات التي تتلمذ على يدها أو سمع عنها أخبار عدّة أقوام أو عاصرهم زمنيا مبيّنا أنسابهم وعلومهم وشيوخهم ورحلاتهم حافظا لنا تاريخ بجاية الفكري مثل إشارته أثناء نقله لعدة أبيات شعرية لكبار الأدباء كأبي مدين شعيب الغوث⁽²⁾ والاجتماعي فقد تحدث عن حياة الغسّالين والغسّالات ببجاية على سبيل المثال⁽³⁾ ، والاقتصادي كتناوله أثناء حديثه عن التراجم الأسواق البجائية وما تحتويه من سلع وبضائع⁽⁴⁾ .

ساهم التكوين العلمي والفكري المتنوع الحقول للغبريني في ظهور ملكة النقد الذاتي ، رغم تركيزه أحيانا على محاسن المترجمين والابتعاد عن القدح فيهم وهذا ما جاء في قوله عن ترجمة العالم أبي عبد الله الأصولي قائلا: "لأبي ما زلت انقد على من يذكر فضل أهل العلم ثم يغمز في شأنهم ويشير إلى القادح فلا أريد أن أذكر إلا الخير إن أريد إلا الإصلاح"⁽⁵⁾ . وهو النهج الذي اتبعه محققه عادل نويهض . تجدر الإشارة إلى قلة الموارد التي اعتمدها الغبريني أثناء سرده ووصفه للأحداث والأخبار والتراجم بل اعتمد على المشاهدة الذاتية للأوضاع حتى تسهل له الترجمة ، أو السماع لمن قطن المنطقة وكانت له دراية بهذه الأخبار ذاكرة سند هذا السماع مثل ما هو سائد عند الرواة . ومن هنا يمكننا القول أن مؤلف الغبريني يعدّ مصدرا موثوقا أرخ للجغرافية البجائية ووضع الأسس الأولى للكتابة التاريخية بالمدينة والمنطقة ، ومن بين المؤرخين الذين اعتبروه منفذا رئيسيا لبداية التدوين المؤرخ الفذ عادل نويهض صاحي مؤلف "معجم أعلام الجزائر" الذي يعتبر من أبرز المؤلفات المدونة عن تراجم المغرب الأوسط عامّة وبجاية ضمنها وذلك لاعتماده على مؤلف الغبريني "عنوان الدراية" وتحقيقه له من جهة ، ثم أضفى عليها تراجم أخرى شاملة للمغرب الأوسط⁽⁶⁾ .

(1) الغبريني : عنوان الدراية ، ص ص 19-20 . عادل نويهض : مقدمة تحقيق عنوان الدراية ، ص 12 .

(2) الغبريني : المصدر السابق ، ص ص 30-32 .

(3) نفس المصدر ، ص 178 .

(4) نفسه ، ص ص 45-46 .

(5) نفسه ، ص 211 .

(6) عادل نويهض : مقدمة تحقيق عنوان الدراية ، ص 15 .

و- دراسة مصادر كتاب " عنوان الدراية " :

- اللقاءات : تبين لنا موارد الغبريني المنحى التاريخي في تدوينه للأخبار ووصفه للتراجم، مؤكداً تأثره بالرواة الذين تتلمذ على أيديهم كما ذكرنا سابقاً أثناء تناولنا لمنهجه ، وهذا جعل العديد من المؤرخين المعاصرين يوضحون سمات الاقتباس التي تعتمد على نقل الأخبار والمعلومات من ذوي الأصل والإختصاص الذين يتمتعون بالثقة اللازمة ولهم مكانة مرموقة من شيوخه البارزين في عصره سواءً أكانوا مؤرخين أو رجال دين وأدب الذين أغلبهم بجائين الموطن ، ومن أمثلة الذين شاهدتهم وسجل عن لسانهم أخبارهم كالشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن هنين بن الغمار الأنصاري البلسني (693هـ/1294م) الذي قال عنه أنه رآه ببجاية ولقاه بتونس وكان أكثر من اللقاء الأول واستفاد من أخلاقه وتمكن من الاطلاع على أحكامه حضورياً⁽¹⁾. وفي موضع آخر عندما تحدث عن الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي ، قال أنه التقى به وذكر له أنه دخل بجاية سنة 597هـ⁽²⁾.

- الاطلاع على الدواوين والسجلات :

استقى الغبريني مادته العلمية عن طريق التقرب لذوي السلطة ، والدليل على ذلك إشارته أثناء حديثه عن القاضي الفقيه " أبو تميم بن جبارة بن خلفون البردوي (ت584هـ/1189م) إلى السجل الذي رآه قائلاً : " وقد رأيت التسجيل عليه في بعض كتب القضاء الكائنة بمودع بجاية حرسها الله"⁽³⁾.

- الاقتباس من الوثائق :

إطلع الغبريني على مجموعة من الوثائق التي احتفظ بها سكان المنطقة سواءً كانت رسمية أو غير رسمية خلال الحقبة محل الدراسة ، فأثناء حديثه عن عدة تراجم أبدى ذلك بالرأي قائلاً مثلاً: في حديثه عن الشيخ أبي زكرياء الزواوي (ت611هـ/1214م) أنه يذكر بالنص تاريخ وفاته عن خط الشيخ المقرئ أبي العباس بن الخراط⁽⁴⁾. ويضيف أثناء حديثه عن الشيخ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي (ت633هـ/1235م) قائلاً عن ذلك : " رأيت من كلامه كثيراً من رسائل ومخاطبات كلها مغلقات ومقفلات...."⁽⁵⁾.

(1) الغبريني : عنوان الدراية ، ص ص 119-20 . السعيد عقبة : المؤرخ أبو العباس أحمد الغبريني (644-704 هـ /

1246-1304م) وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، مجلة المعارف للبحوث

والدراسات التاريخية، ع07 ، الوادي ، نوفمبر 2016 ، ص 384.

(2) الغبريني : المصدر السابق ، ص ص 156-157.

(3) نفس المصدر ، ص 206.

(4) نفسه ، ص ص 127-128

(5) نفسه ، ص ص 269-270.

- المشاهدة :

المشاهدة أو الملاحظة وسيلة علمية تاريخية بحثاً لاثبات وتأكيد المعلومات والأخبار، فقد حصل الغبريني على ذلك من خلال مشاهدته الخاصة قائلًا عن شيخه الفذّ أبي العباس أحمد بن عيسى الغماري (ت 682هـ/1283م) الذي تتلمذ على يده وسمع عنه كل ما يخص علم الحديث قائلًا : " وكان ممن يُستفاد بالنظر إليه والمثول بين يديه ، وكانت دروسه منقحة الأيراد، عذبة المورد بقريب ما يستفاد حضرت دروسه وشاهدتها"⁽¹⁾، وأحيانًا يصف أصحاب التراجم دون ذكر مصطلح شاهد أو شاهدت ومن خلال العبارة يتأكد القارئ لمشاهدته ذلك : فمثلاً عن حديثه عن الشيخ أبي محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري (ت 675هـ/1275م) وصف خطّه الذي شاهده قائلًا : " له خُطوط جميلة ...، كان يكتب الشرقي والغربي على فنون من ريحاني وتحساني وديواني ..."⁽²⁾ .

- الإطلاع على الكتب والمدونات :

عرف الغبريني بسعة اطلاعه على مختلف الكتب المدونة قبل عصره أو خلال عصره المتنوعة الحقول والميادين ، ولم يكتف بالاطلاع وإنما اهتم بدراستها سواء بالوصف أو التحليل أو النقد، ومن التأليف التي وقف عليها " فهرست " أبي عبد الله محمد عبد الحق التلمساني⁽³⁾ ، كتاب " التذكرة في أصول علوم الدين " لأبي علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (توفي أواخر القرن 6هـ/12م)⁽⁴⁾، كتاب " الوافي " للشيخ أبي الحسن علي الحرابي التبجيني⁽⁵⁾ ... وغيرهم كثير.

- الاستعانة ببقايا النقوش الأثرية : بجاية تاريخيا معروفة منذ الأزلي بتشبيد الحصون والقلاع والقصور والقبور التي زخرت بكتابات تعتبر ثراثا ماديا للمنطقة، وليس ذلك وليد العصور الوسطى ، فقد اعتمد الغبريني تلك المعلومات المدونة على القبور كمصادر مادية للمؤلف "عنوان الدراية" ، ومن أمثلة ذلك : ذكر تواريخ وفاة عدّة شيوخ من خلال الشواهد التي على رأس قبورهم ، فقد قال عن الشيخ أبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري(ت 675هـ/1275م) : "توفي رحمه الله في الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول من عام خمسة وسبعين وستمائة ودفن بخارج باب المرسى ، وكان له مشهد لا يكون إلا لمثله ، وتاريخ وفاته في رخامة وضعت لحدا على قبره وكتب فيها بيتان"⁽⁶⁾.

- المشافهة والسماغ للشيوخ : استعمل الغبريني ألفاظ كدليل على ذلك مثل "سمعت"، "أخبرني" أبرزها :

(1) الغبريني : عنوان الدراية ، ص 93 .

(2) نفس المصدر ، ص 57.

(3) نفسه ، ص 29.

Charbonneau Aicha:poète de bougie au 7 éme siècle de l hégire, la RevueAfricaine, Année 04,(1859-1860),O.P.U. Alger , 1985, pp34-35.

(4) الغبريني : عنوان الدراية ، ص 33 .

(5) نفس المصدر ، ص 143 .

(6) نفسه ، ص 60 .

- عن أخبار الشيخ علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله أنه كان يتمتع بالكرامات دون غيره من الشيوخ قائلًا: "أخبرني غير واحد عن الفقيه أبي يوسف الزواوي -رحمه الله- أنه قال:مشيت إلى الفقيه الحسن.."⁽¹⁾. ويضف قائلًا: "وسمعت عنه - رضي الله عنه- أنه حج ثمان عشرة حجة بعضها في آخر المائة السادسة وبعضها بعد المائة"⁽²⁾ وغيرها من الروايات .

توقفت الدراسات الحديثة متتبعه طرق استعمال الغبريني للأسناد ، فتوصلت إلى استعماله للمسند الموصول كقوله: "حدثنا أبو العباس بن خضر عن الخطيب أبي بكر سيد الناس عن أبي العباس ابح مقدام..."⁽³⁾. كما اتخذ من المسند المقطوع سبيلا لترجمة شيوخه من خلال ذكر اسم الشيخ دون عنعنة بعده كقوله: "أخبرني شيخنا الفقيه أبو محمد عبد العزيز .."⁽⁴⁾. بالإضافة إلى انتهاجه للأسناد إلى مجهول ؛ أي دون ذكر أسماء الرواة الذين سمع عنهم كقوله: " ما سمعتُ عن غير واحد"⁽⁵⁾، أو "سمعت ممن أتق به "⁽⁶⁾.. وغيرها. وفي أحيان كثيرة كان يذكر لفظ "يقال" ، " ذكر لي " دون ذكر الزاوي كقوله عن الشيخ أبي محمد عطية الله بن منصور الزواوي (توفي خلال القرن 7هـ/13م) قال: " وذكر لي أن اسمه الذي سمي به لم يكن عطية الله .."⁽⁷⁾.

ز. دراسة نقدية لكتاب الغبريني "عنوان الدراية": وقفنا على عدة دراسات لمؤرخين قدامى ومعاصرين تناولت مؤلف الغبريني بالوصف والتحليل ، واستنبطنا محاسن وعيوب المؤلف حسب نظرتهم أهمها:
ز-1- المحاسن : توافقت رؤى المؤرخين القدامى والمعاصرين في ذكر محاسن كتابات الغبريني في كتابه " عنوان الدراية" أهمها :

- مؤلف الغبريني " عنوان الدراية" يتميز بالدقة والجمع بين الدراية والرواية .تميز أسلوبه وعباراته بالسلاسة والوضوح والسهولة فقد أورد في مؤلفه ما يحتاجه القارئ المتشوق لمن فرائد الفوائد والمتشوق إلى غرائب العادات⁽⁸⁾.

- تربيته الدينية والعلمية كانت القاعدة الأساسية لكتاباتة في علوم الدراية والرواية⁽⁹⁾ .

(1) الغبريني : عنوان الدراية ، ص 137 .

(2) نفس المصدر ، ص 138.

(3) نفسه ، ص 87.

(4) نفسه ، ص 145 .

(5) نفسه ، ص 150.

(6) نفسه ، ص 135 .

(7) نفسه ، ص 136.

(8) نفسه ، تح: رابح بونار ، ص 53 .

(9) نفسه ، ص 09 .

- عرف بكتابه الغبريني بعلماء المائة السابعة ببجاية ، إذ يؤكّد في ذكره لسبب تأليفه أنّه على طالب العلم أن يعلم شؤون الأئمة الذين بهم يُقنّدى ، وبسلوك سننهم السوي يهتدى ⁽¹⁾. ومن هنا يمكننا القول أنّه أراد من تدوينه للمؤلف التعريف بالعلماء وذكر صفاتهم ومزاياهم، لتكون الفائدة واسعة للمتلقين .
- بالرغم من عدم انتهاج الغبريني لمنهج أغلب معاصريه وهو تقسيم الكتاب إلى أبواب ثمّ فصول فباحث ، ولم يصنفه حسب العلوم التي استقاها إلاّ أنّ منهج مؤلفه القائم على سرد أسماء العلماء وفقا لعاملي الزمن والانتقاء لم يؤثر على محتوى ومضمون الكتاب.
- عنوان الكتاب يتوافق مع المادة التي دوتها ، إذ يقول في هذا السياق " وإني رأيت أن أنكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة " ⁽²⁾؛ فلذلك أغلب الدراسات تؤكد أنّ الكتاب يعتبر سجلا ثريا تاريخيا وأدبيا لما احتواه من دراسات تاريخية ونصوص أدبية .
- ز-2- العيوب : يؤخذ على الكتاب مجموعة من المآخذ أبرزها :
- حجم التراجم والتفاوت الكبير إذ نجد بعض التراجم قد شملت صفحات عدّة ، والبعض الآخر لم يشمل إلاّ بضعة أسطر ⁽³⁾.
- انتقد الباحث ساعد غلاب كتاب الغبريني كونه لم يقتصر في كتابه على علماء بجاية فقط أو الواردين إليها كما هو مذكور في عنوان المؤلف من جهة ، ومن جهة أخرى ذكر بعض من هم ليسوا علماء مثل أبي عبد الله العربي الذي قال فيه هو من الأميين كشيبان الراعي ⁽⁴⁾.
- انتقد في اتّخاذه للمنامات والرؤى كمصدر للتدوين ، ويظهر ذلك جلياً في ترجمته لأبي مدين أثناء تفسير العين التي تغرب فيها الشمس في قصّة ذي القرنين (من سورة الكهف 86) ، والأجدر بالذّكر تفسير القرآن بالقرآن الكريم ثم السنة النبويّة فأقوال الصحابة والتابعين ⁽⁵⁾ .
- مغالاة الغبريني في ذكر بعض الكرامات والخوارق دون التفريق بينها ⁽⁶⁾، بالإضافة إلى تركيزه على ذكر القبور وأماكنها مؤكّداً ضرورة زيارتها ⁽⁷⁾.

(1) الغبريني: عنوان الدراية ، ص ص 54-55.

(2) نفس المصدر ، ص 55.

(3) نفسه ، ص 20.

(4) نفسه ، ص 51 . ساعد غلاب : دراسة وصفية تحليلية لكتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني (ت714هـ/1314م) ، حوليات التاريخ والجغرافيا ، ع12، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، ديسمبر 2017، ص 56.

(5) نفس المرجع، ص 56.

(6) الغبريني :المصدر السابق ، صفحات 26-27-210-295.

(7) ساعد غلاب : المرجع السابق ، ص 57. الغبريني: نفس المصدر ، صفحات 28-35-125-189.

وفي الأخير يمكننا القول أنّ الغبريني مؤرّخ وعلامة وقاضي فذ ، منحنا صورة ولمحة مميزة لبجاية حاضرة المغرب الأوسط من خلال كتابه " عنوان الدراية" علميا وثقافيا ، وليس ذلك فقط وإنما اجتماعيا واقتصاديا ، وهذا بفضل جهود علمائها الذين استوطنوها بالأصل أو قدموا إليها من المدن المغربية والمشرقي والأندلسية.

المبحث الثاني: دراسة مقارنة بين كتابات المؤرّخين المغاربة والحجازيين نموذج(تقي الدين الفاسي صاحب "العقد الثمين" وعمر بن فهد الهاشمي صاحب"الدُر الكمين")

2-1- المؤلف تقي الدين الفاسي (ت 832هـ/1428م) صاحب "العقد الثمين":

1- مولده ونشأته: هو الإمام محمّد بن أحمد بن علي بن محمّد⁽¹⁾ بن عبد الرّحمان بن محمّد بن أحمد بن علي بن عبد الرّحمان بن سعيد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرّحمان بن عبد الله بن علي بن حمود بن ميمون بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن إدريس بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، يلقب بتقي الدين الحسيني الفاسي المكّي المالكي ، قاضي المالكية بمكّة⁽²⁾ ، تعود أصول عائلته إلى مدينة فاس في المغرب- يتصل نسبه إلى إدريس الأوّل -، وهي أسرة ذات نسب حسيني علوي ولد ليلة الجمعة العشرين من ربيع الأوّل سنة خمس وسبعين وسبعمئة بمكّة ، بعد ذلك انتقل رفقة والدته وأخيه نجم الدين عبد اللطيف عند خالهما محبّ الدين النويري بالمدينة المنورة - لأنّه كان قاضي الحرمين الشريفين -⁽³⁾.

ولد تقي الدين الفاسي ليلة الجمعة عشرين ربيع الأوّل سنة (775هـ/1373م) بمكّة المكرمة حسب ما ذكرنا التي انتقل إليها مع والدته وأخيه عن خاله النويري - ، لينشأ في أسرة ذات علم وجاه هناك فوالده أحمد بن علي كان من كبار المفتيين والقضاة ، أما والدته هي سعادة بنت القاضي محمد بن أحمد النويري . قضى سنواته الأولى بالمدينة المنورة ثم عاد أدراجه إلى مكة المكرمة شابا ، لينطلق في رحلته العلمية التي أساسها جمع المادة العلمية عن كبار شيوخ مكّة المكرمة والبلدان العربية الإسلامية المجاورة لها بدءا من سنة (789هـ/1386م)⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ إحسان زانون عبد اللطيف الثامري: الكتابات الأثرية في مصادر تقي الدين الفاسي في كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج7، ع 1، 2013 م، ص 58.

⁽²⁾ محمد بن أحمد الحسيني المكّي: ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: محمد صالح بن عبد العزيز المراد، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، دت، ج1، ص 15.

⁽³⁾ إحسان زانون : المرجع السابق ، ص 58. أحمد بن داوود بن وتند : الأخبار الطوال ، تح: عبد المنعم عامر ، جمال الدين شيال ، ط1، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1960 م ، ص 334.

⁽⁴⁾ محمد الحبيب الهيلة : المرجع السابق ، ص 114.

2- العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية عند تقي الدين الفاسي:

أ- تأثير شيوخه ورحلاته في كتابته التاريخية : نشأ الإمام تقي الدين الفاسي بمكة المكرمة والمدينة المنورة حيث حفظ القرآن الكريم والأربعين النووية وباب الإشارات ثم كتاب الرسالة لأبي زيد المالكي والعمدة سنة (788هـ/1385م) ومختصر ابن حاجب وكذا ألفية ابن مالك. كما سمع بالمدينة من فاطمة ابنة الشهاب الحرزي ، والبرهان ابن فرحون وغيرهم. وسمع ببلده من ابن الصديق والشهاب ابن ناصح والقاضي نور الدين علي بن أحمد النويري، وبعدها انتقل للقاهرة فقرأ بها على البلقيني وابن الملقن والعراقي والهيتمي وغيرهم. دخل دمشق قرأ بها على أبي هريرة عبد الرحمن، وابن حافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي وعلى علي بن محمد بن أبي المجد الدمشقي ، وقرأ كذلك ببيت المقدس على الشهاب بن العلائي وغيره وبغزة والرملة ونابلس . وفي اليمن سمع بها من عبد الرحمن بن حيدر الدهقلي والشهاب أحمد بن محمد بن عياش الدمشقي ، بلغ عدد شيوخه بالسماع والاجازة نحو خمسمائة شيخ . كما أخذ علم الحديث عن العراقي والجمال بن ظهيرة ، والشهاب ابن حجي حيث أذنوا له بتدريسه في حين أخذ الفقه عن الشريف عبد الرحمن بن أبي الخير الحسني والتاج بهرام والزين خلف وأبي عبد الله الوانوعي ، وأذنوا له بالإفتاء والتدريس ، اهتم الامام تقي الدين بعلم الحديث عناية كبيرة وكتب الكثير وانتفع الناس به وأخذوا عنه ودرّس وافتي وحَدَّث بالحرمين والقاهرة ودمشق واليمن⁽¹⁾.

عُرِفَ الفاسي باتقانه لعلم التاريخ إلى جانب ورعهِ بالعلوم الدينية، فقد اعتنى بتاريخ مگة المكرمة وأخبارها مترجماً لأعيانها ومتتبعا لمختلف الجوانب (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الدينية) ليفتح المجال مرة أخرى لتلاميذه نحو البحث والتقصي في هذا الميدان التاريخي⁽²⁾.

ب- تأثر تلامذته بكتابه : تتلمذ على يد الإمام العديد من الطلبة سواء من مگة أو من خارجها أهمهم:

- تقي الدين محمد بن فهد (ت 871هـ/1466م): دَوَّن مؤلفات عدَّة إثر تأثره به منها " كتاب عمدة المُنتجِل وبلغة المرتحل " ، وكتاب " الدررُ الفائقة والأخبارُ الراققة"⁽³⁾ .

- نجمُ الدين أبو القاسم وأبو حفص محمد (ت 880هـ/1476م): صاحب " اتحاف الوري " و" الدرُّ الكمين " الذي جعله ذيلًا لكتاب شيخة الفاسي " العقدُ الثمينُ " ⁽⁴⁾.

- حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي (ت 855هـ/1449م): الشهير بالأهدل، سمع من الفاسي⁽⁵⁾.

(1) الفاسي: العقد الثمين، ص 331. التتبعي: نيل الابتهاج، ص 518. الشوكاني: البدر الطالع، ج 2، ص 114. السخاوي:

الضوء اللامع، ج 7، ص 18. السخاوي: الاعلان بالتوبيخ، ص 149. عمر بن فهد: الدر الكمين، ج 1، ص 5 .

(2) محمد الحبيب الهيلة : المرجع السابق ، ص 114.

(3) عمر بن فهد الهاشمي المكي: معجم الشيوخ ، تح :مجد الزاهي، ط1، منشورات دار الطباعة للبحث والنشر والتوزيع

السعودية ، 1982 ، ص 11. نفس المرجع ، ص ص 113-114.

(4) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ص 16.

(5) نفس المصدر ، ص 158 .

- محمّد بن محمّد بن عمر بن محمّد القرشي الهاشمي الجعفري (ت846هـ/1440م): الشهير بابن الأعرس قاضي القضاة شمس الدّين ، سمع من تقيّ الدّين الفاسي ديباجة كتابه "تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام" (1) .

- محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن الرضي إبراهيم الطّبري الأصل (ت894هـ/1488م): مكّي أمّه زينب ابنة عبد الله بن المحب الطبري ، سمع عن عدّة شيوخ (2).

- أم هانئ زينب ابنة العلامة تقيّ الدّين أبي الفضل توفيت سنة (885هـ/1479م) : ابنة العلامة تقيّ الدّين بن فهد ، سمعت عن عدّة شيوخ مختلف العلوم الدّينية والعقلية (3) .

- هبة الله ابنة عبد الله الحبشية توفيت سنة (881هـ/1475م): مستولدة عند العلامة تقيّ الدّين بن فهد قدمت مكّة المكرّمة لتتهل من أمّهات الكتب ، فلذلك سمعت من عدّة شوخ كابن الجزري (4) .

ج- مؤلفاته التاريخية: ألف الامام المؤرّخ تقيّ الدّين الفاسي عدّة مؤلفات مختلفة الميادين (علم التاريخ والحديث والفقّه) فيما يخصّ مكّضة المكرّمة نذكر منها :

- كتاب " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " ؛ الذي يشمل مجموعة من تراجم الرّجال المكّيين البارزين ، أو من وفد مكّة المكرّمة- الكتاب محلّ الدّراسة لاحقاً - .

- كتاب " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " ؛ الذي اختصره وسماه " تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام " كما أطلق عليه تسميّة "عجالة القرى للرّاغب في تاريخ أم القرى" ؛ الذي اختصره من كتاب العقد الثمين لكنّه لم يكمله وهو مطبوع سنة 1956م في جزئين متتاولاً من خلاله تاريخ مكّة المكرّمة (5).

بالإضافة إلى مصادر أخرى ساهمت في إثراء خزائن المدرسة المكّية آنذاك نذكر منها مختصر تحت عنوان "تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام"، ومختصر " هادي ذوي الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام"- اختصره من الكتاب السابق- ، وكذا كتاب " الزهور المقتطفة من تاريخ مكّة المشرفة"- اختصره من الكتاب السابق- ، دون أن ننسى مختصر آخر سماه " ترويح الصّدور باختصار الزهور". كما أنذّه دون كتاب عبارة عن ذيل لكتاب الذهبي " سير أعلام النّبلاء " ؛ وهو في مجلّدين ، ونضف إلى مجموع الكتب المذكورة كتابي " إرشاد النّاسك إلى معرفة المناسك" . وكتاب " المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولادة مكّة الشّرفاء". وهذه ما هي إلا ما وصل في طيات ترجمته ، ويجب التذكير إلى وجود مؤلفات أخرى

(1) عمر بن فهد: معجم الشيوخ ، ص 273.

(2) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 1 ، ص 219.

(3) عمر بن فهد: المصدر السابق ، ص 397.

(4) نفس المصدر ، ص 407.

(5) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 7 ، ص 19.

دونها الفاسي فقدت مع الزمن - تجدر الإشارة إلى أن أغلب كتب الفاسي فقدت وسرقت لإشتراطه في ووقفها وألا تعار لمكي- (1) .

د-وفاته : حسب أغلب المصدر والدراسات التاريخية المتقدمة فإن الإمام المؤرخ تقي الدين الفاسي توفي في ليلة الأربعاء الثالث من شوال سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة هجرية بمكة المكرمة، فقد صلى عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة الشريفة ، ودفن بالمعلاة بقبر الشيخ الفذ علي بن أبي الكرم الشولي بوصية منه ، وبوفاته لم تخلف الحجاز مثله حسب المقريري متأسفا بوفاته(2).

2-التعريف بالمصدر " كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " :

أ- نسبة الكتاب للمؤلف وسبب تأليف الكتاب: تطرقت العديد من الدراسات التاريخية لمؤلف "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" مؤكدة نسبة للمؤرخ الحافظ تقي الدين الفاسي ومن الدلالات التاريخية التي تثبت سبقه التدوين عن تاريخ مكة المكرمة وأعلامها نذكر :

- يذكر التبتكتي في كتابه " نيل الإبتهاج " أن محمداً بن أحمد بن علي تقي الدين الفاسي عمل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين في أربع مجلدات (3) .

- يقول الشوكاني في كتابه " البدر الطالع " أن تقي الدين الفاسي كان ذا يد طولي في التاريخ وعمل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين في أربع مجلدات (4).

- السخاوي في كتابه " الإعلان بالتوبيخ " أشار إلى الكتاب باسم آخر ألا وهو " تاريخ مكة " قائلاً "والتقي الفاسي في تاريخ مكة " ؛ يعني بذلك كتاب " العقد الثمين " (5) .

- أما عمر بن فهد في كتابه " الدر الكمين "نسب الكتاب للمؤرخ تقي الدين الفاسي عندما ترجم له قائلاً أنه كتب تصانيف تبرز تاريخ مكة المشرفة يشمل مجموعة من التراجم مرتبا إياه على حروف المعجم خلا المحمّدون والأحمدون سمّاه " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " في أربع مجلدات (6).

ومن هنا نستنتج أن كتاب العقد الثمين يعدّ من أبرز التأليف الفاسي التاريخية جمع فيه تراجم الرجال والنساء المكيين والوافدين إلى مكة من أقدم العصور التاريخية إلى عصره، يميّز بالشمولية والعمق والضبط في تواريخ الميلاد والرحلات واعتلاء المناصب السياسية والوفاة . فلذلك اختصر عدّة مرّات (7).

(1) السخاوي : الضوء اللامع ، ج7 ، ص19.

(2) نفس المصدر، ج7، ص ص 19-20 . السيوطي : طبقات الحفاظ ، تح : لجنة من كبار العلماء بإشراف الناشر ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983 ، ص 550.

(3) التبتكتي : نيل الإبتهاج ، ص 518 .

(4) الشوكاني : البدر الطالع ، ج2 ، ص 114 .

(5) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص 149.

(6) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج1 ، ص ص 07 - 08 .

(7) محمد الحبيب الهيلة : المرجع السابق ، ص 123.

أما السبب الذي دفع الفاسي الاهتمام بتاريخ مگة المشرفة والتأليف لها هو قلة المصادر المتخصصة لدراسة تاريخ مگة منذ عهد الأزرقى سنة (250هـ/865م) والفاكهي سنة (270م/885م) اللذين دونا كتبهم عنها وأولا إهتماما وعناية لتاريخها باعتبارها قبلة الإسلام والمسلمين . إذ يقول الفاسي في كتابه " شفاء الغرام" مايلي : " أما بعد : فإنه لما وفقني الله للأشغال بالعلم الشريف تشوقت نفسي كثيرا إلى ما كان بعد الإمام ... الأزرقى المكي مؤلف "أخبار مگة" رحمه الله" (1). فنتيجة لانقطاع أخبار مگة الشريفة منذ عهدهما أي خلال القرن (3هـ/9م) مما أحدث فجوة تاريخية في التدوين التاريخي (2) . ويعود هذا الإخلال إلى أنه ما وجد الفاسي مصدرا عن تاريخ مگة المكرمة منذ عهد المؤرخين المذكورين . ويضيف مؤرخ ثالث اسمه زيد بن هاشم يقول أنه لم يقف على مصدره . وإنما علم بذلك من رسالة أرسلها لسيده أبي العباس الميورقي رآها الفاسي في كتاب الجواهر - لابن شاش المذكور- ، بخط الميورقي جاء فيها " وقد خطر للضعيف - مع المتاعب التي يعانيتها من كل وجه - إثبات تواريخ لمگة المعظمة في نحو خمس كراريس...". وغيرها من الإشارات التي تحملها طيات مصادر أخرى لكنها ليست شاملة لتاريخ مگة أو متخصصة في ذلك (3) .

ب - مضمون الكتاب :

يعتبر كتاب " العقد الثمين " من أهم المؤلفات التي دونها الفاسي في ميدان علم التاريخ ؛ حيث جمع من خلاله مجموع تراجم المكيين مرتبا إياهم على ترتيب حروف المعجم . كما أضفى على هذه التراجم ما كان في ذهنه ؛ وهي تراجم مدركة من قبله وغير مدركة (4) . فالكتاب يشمل واجهة باللون الأحمر الأجواري مزخرفا باللون الذهبي ، وفي وسط الكتاب مدون عنوانه " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " ؛ وهذا النموذج من واجهة المصادر في العصر الوسيط كان شائعا خلال عصره ، وتحت العنوان مكتوب اسم المؤلف الكامل كالعادة مرفوقا بتاريخه الميلادي والوفاة (775-832هـ) ، بالإضافة إلى ذكر دار النشر ألا وهي مؤسسة الرسالة . فقد بدأ المؤلف مقدمة استهلها بالبسملة والصلاة على النبي ﷺ والثناء والحمد على الله (5) .

وبذلك يعد هذا الكتاب المصدر الوافي لتراجم أعيان أهل مگة ومن سكنها أو مات بها من الصحابة والزواة والفقهاء والولاة والأعيان وغيرهم في مدة ثمانية قرون ، انتهج مؤلف الكتاب نهج سابقه من العلماء ؛ حيث أفرد مصنفات خاصة لتراجم أهل البلد، ونجد أن المؤلف - تقي الدين الفاسي - اهتم كثيرا بالتاريخ لمگة المشرفة ولترجمة أعلامها ومن حل بها من أهل العلم ، وقد جعله في أربعة مجلدات

(1) الفاسي : شفاء الغرام ، ص 02 . طرفة عبد العزيز العبيكان : المرجع السابق ، ص 27.

(2) نفس المرجع ، ص 27

(3) الفاسي : العقد الثمين ، ج 1 ، ص ص 09 - 10 .

(4) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 05.

(5) نفسه ، ج 1 ، ص 04 . (المزيد من المعلومات ينظر إلى الملحق رقم 06).

وهي: **الأول** ؛ تكلم فيه عن مكة وتاريخها وفضائلها وأثارها ومعالمها ومساحتها وحدودها ، ثم تطرّق بسيرة موجزة للنبي صلى الله عليه وسلم التي سمّاها الجواهر السنية في السيرة النبوية . **أمّا الثاني** ؛ فتناول فيه التراجم من الألف إلى نهاية حرف الظاء . **والثالث** ؛ شمل التراجم من حرف العين إلى نهايته . وصولاً إلى **الرابع** تطرّق فيه لمجموع التراجم من حرف الغين إلى حرف الياء ، ثمّ ذيل كتاب بأبواب في الكنى والألقاب والأنساب وتراجم النساء⁽¹⁾ .

نستنتج ممّا سبق أنّ كتاب الفاسي قد وضع المعالم الأساسية الأولى للمدرسة التاريخية المكيّة التي برزت بوادرها الأولى في كتابات الأزرقى والفاكهي ، ومن هنا نلاحظ إدراكه القوي لمختلف التراجم من ولاية مكة وفضائلها وأئمتها ومؤذنيها وأعيانها من أهل العلم والرّواية وغيرهم ممّن سكنها أو مات فيها ، وتراجم جماعة ممّن وسع المسجد الحرام ، وكذا تتبّع لمجموع الأحداث والأخبار التي تخصّ مكة المشرفة معتمداً على ملاحظته ومشاهداته للأوضاع ولقاءاته لكبار الشيوخ ومختلف الموارد التي عثر عليها في ظلّ رحلاته العلمية القائمة على البحث والتقصي العلمي والمعرفي وأحياناً يصل إلى قطيعة ابستمولوجية لأحداث ينفي من خلالها معلومات كانت خاطئة سائدة منذ الأزل⁽²⁾ .

ج - تحقيقات الكتاب : خلال تتبّعي لكتاب " العقد الثمين " فإنّني لاحظت أنّ الكتاب حقق من قبل أربعة باحثين ألا وهم ؛ محمّد حامد الفيقي وابنه محمّد الطيب محقق الجزء الأول ؛ الذي يعدّ تحقيقاً متواضعاً لوجود عدّة أخطاء فيه وطبع من قبل مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة (1379هـ/1959م) ، أما الأجزاء من الثاني إلى السابع فقد حققت كلّها من قبل المحقق فؤاد سيّد الذي ضبطها ضبطاً موضوعياً وطبعت من قبل نفس المطبعة ما بين سنتي (1381 - 1387هـ/1962 - 1967م) ، أمّا الجزء الأخير الثامن فقد حقق من قبل محمود الطنّاحي الذي سار على نهج فؤاد سيد وطبع من قبل نفس المطبعة سنة (1388هـ/1969م) لينشر مصوّراً من قبل مؤسسة الرّسالة ببيروت سنة (1406هـ/1956م)⁽³⁾ .

د - أسلوبه ومنهجه من خلال كتاب " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ": انتهج الفاسي في تدوين مؤلّفه " العقد الثمين " منهج من سبقوه في التأليف حسب التراجم في نطاقات جغرافية متعددة خلال فترات زمنيّة مختلفة سواء بمصر أو بلاد الشّام أو العراق أمثال :

- ابن عساكر (ت571هـ/1176م) في كتابه " تاريخ دمشق " : فقد ربّّب ابن عساكر تاريخه الذي يحوي كلّ من حلّ بدمشق أو اجتياز بها ، أو بأعمالها ، مبرزاً منهجه بقوله " وبدأتُ بذكر من اسمه منهم أحمد

(1) تقي الدين الفاسي : العقد الثمين ، ج1 ، ص ص 3-4 .

(2) تقي الدين الفاسي : الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تح: علي عمر ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد 2001م ، ص14 .

(3) الفاسي : المصدر السابق ، واجهات الأجزاء الثمانية .

لأنَّ الإبتداء بمن وافق اسمه اسم المصطفى أحمد ثمَّ ذكرتهم بعد ذلك على ترتيب الحروف⁽¹⁾ ، وهو نفس منهج الفاسي في كتابه .

- البغدادي (ت436هـ/1045م) في كتابه "تاريخ بغداد" : يعكس تاريخ بغداد للبغدادي المنهج السائد خلال عصره ، فقد حاول الترجمة لسائر العلماء الذين عاشوا ببغداد أو زاروها منذ إنشائها حتَّى عصره معتمداً تصانيف عدَّة مختلفة الميادين⁽²⁾ .

- أبي النعمان (ت470هـ/1038م) في كتابه "أخبار أصفهان" : جاء في كتابه أنَّه نهج منهج الترتيب على حروف المعجم لئيسهل الوقوف عليه ؛ وهو نفس نهج الفاسي في كتابه⁽³⁾ .

كما أنَّه تأثر بأعمدة المدرسة التاريخية المكيَّة الذين دوَّنوا مؤلفاتهم في قرونٍ سابقة لعصره نذكر منهم :
- الأزرقى (ت250هـ/865م) : دوَّن كتابه " أخبار مَكَّة " على نهج سابقه وهو نفس منهج الفاسي القائم على عرض الواقع التاريخي بترتيب زمني يبرز براعة التأليف ، وهو أسلوب منهجي في غاية الرُّوعة لكش من أراد قراءة علم التاريخ⁽⁴⁾ .

- الفاكهي (ت280هـ/985م) : سار الفاكهي في كتابه " تاريخ مَكَّة " على المنهج الموسوعي القائم على النقل من علم إلى علم ، ومن فرح إلى حزن ، باذلاً جهداً كبيراً في نقل ما رآه في مَكَّة والمسجد الحرام وبنائه وأساطينه ، وشرفاته ، وسقفه⁽⁵⁾ .

هـ - مصادرُ كتاب "العقدُ الثمينُ في تاريخ البلدِ الأمين" : تنوّعت المصادر التي اعتمدها الفاسي في تأليفه لكتابه "العقدُ الثمينُ" ؛ وذلك يعود إلى اتِّساع ثقافته وحبُّه لإطِّلاع والتَّرحال طلباً للعلم . حيث اعتمد في تدوينه لأخبار مَكَّة المشرِّفة على المعلومات التي وجدها منقوشة على شواهد الرُّخام والنُّقوش المحفورة

(1) أبو القاسم علي ابن عساكر (ت571هـ/1176م) : تاريخ دمشق ، تح: محب الدين العمري ، ط1 ، دار الفكر للطباعة للنشر ، دمشق ، 1995 ، ص 05 . طلال بن سعود الرعجاني : موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق ، ط1 ، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر المدينة المنورة ، 2004 ، ج1 ، ص 82 .

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2004 ، ج1 ، ص 24 .

(3) أحمد أبي النعمان (ت430هـ/1039م) : كتاب ذكر أخبار أصفهان ، تح : سيدكسروفي حسن ، ط1 ، دار الكتاب العلمية للنشر ، بيروت دت ، مج1 ، ص 01 . مسعود القحطاني : تخريج أحاديث كتاب ذكر أخبار أصفهان ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه جامعة أم القرى ، السعودية ، 1422 هـ ، ص ص 27 - 32 .

(4) أبي الوليد الأزرقى (ت250هـ/837م) : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تح : عبد الملك دهيش ، ط1 ، مكتبة الأسدي للنشر السعودية ، 2003م ، ص ص 23 - 24 .

(5) الفاكهي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 47 .

على الحجارة والأخشاب في أبنية القبور والمباني ، بالإضافة إلى ما علّمه من أخبار الثقات ، وما شاهده بنفسه ورسخ في ذهنه⁽¹⁾.

بالإضافة إلى إنتهاله مجموعة من المعلومات التي تخصّ مكّة من كبار المؤرّخين الذين سبقوه كأبو الوليد الأزرق في كتابه " أخبار مكّة " والفاكهي في كتابه " أخبار مكّة " ومن بين الدلالات التي تؤكد إقتباسه من كتاباتهم مايلي :

- عند تناوله للباب الرابع عشر مثلاً المُعْتَوْنُ " في ذكر شيء من أخبار الحجر الأسود" يقول عن رواية جاءت في كتاب " تاريخ الأزرق " عن ابن إسحاق : أن الله عزّ وجلّ استودع الركن أباقيس ...⁽²⁾.

- عند تناوله أيضاً للباب العاشر المُعْتَوْن " في ثواب دخول الكعبة المُعظمة" روى عن الفاكهي رواية من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول : " من دخله - يعني البيت - فصلّى فيه ، خرج من دنوبه كيوم ولدته أمّه "⁽³⁾.

استقى كذلك معلومات عن مجموع التراجم من مصادر تاريخية لها وزن ألفها كبار المؤرّخين السابقين لعصره والذين عاصروه نذكر منها :

- كتاب " تاريخ دمشق " لابن عساكر: من الإقتباسات التي جاءت في الكتاب تؤكد أنه أخذ عنه قوله "أخبره سماعاً عن أبي الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر الدمشقي حضوراً"⁽⁴⁾.

- كتاب "أسد الغابة" لابن الأثير: وقال ابن الأثير "أخرجه ابن مندّة وأبو نعيم " ؛ وذلك عند حديثه عن أحمد بن حفص بن المغيرة المخزومي⁽⁵⁾.

- كتاب " الكامل في التاريخ " لابن الأثير : عندما ترجم لمحمّد بن المغيرة المخزومي أخذ عن ابن الأثير تناوله لولايته قائلاً : " وذكره ابن الأثير أنه ولي مكّة بعد ذلك لصاحب الرّنج "⁽⁶⁾.

- كتاب "تاريخ مصر" للقطب الحلبي: أشار إلى ذكر القطب الحلبي محمّد بن أبي إسماعيل الهمداني وذلك عند حديثه عن أبو الحسن بن أبي إسماعيل الهمداني الصوفي⁽⁷⁾.

(1) طرفة العبيكان : المرجع السابق ، ص 28 . الفاسي : شفاء الغرام ، ج 1 ، ص ص 2 - 3 .

(2) الفاسي : العقد الثمين ، ج 1 ، ص 73 .

(3) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 65 .

(4) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج 3 ، ص 34 . ج 4 ، ص 99 .

(5) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط 1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2012 ، ج 1 ، ص 53 . الفاسي : العقد الثمين ، ج 3 ، ص 36 .

(6) الفاسي : نفس المصدر ، ج 2 ، ص 247 .

(7) نفسه ، ج 2 ، ص 150 . ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 110 .

- كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه: أشار إليه متاولا ولاية عمرو بن سعيد بن العاص لمكة⁽¹⁾ .
- كتاب " طبقات القرآن " للذهبي: أشار إليه عند تناوله لترجمة تخصّ عفيف الدين الدلاصي قائلاً "وذكره الذهبي في طبقات القراء ، ومنها كتبت هذه الترجمة"⁽²⁾.
- كتاب " الإستيعاب " لابن عبد البر: أشار إلى أنه اقتبس منه معلوماته التي تخصّ ترجمة عكرمة بن عامر بن كلاب القرشي العبدري قائلاً في نهاية حديثه " هكذا ذكره ابن عبد البر "⁽³⁾.
- و-دراسة نقدية لكتاب "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين":
- و-1- المحاسن : تتميز كتابات الفاسي التاريخية خاصّة " العقد الثمين " بمجموعة من المميزات التي تميّزه عن باقي المصادر نذكر منها :
- سعة إطلاع الفاسي ساهم في وضعه للمعالم الأساسية في المدرسة المكيّة خلال عصره .
- تأثر الفاسي بمناهج المؤرخين المكيين الذين سبقوه بمؤلفاتهم ، وكان ذلك الداعم لتأليف كتابه على نفس منهجهم القائم على الترتيب حسب الحروف بطريقة الموسوعات .
- تعدّد المحققين للكتاب أبرز الأجزاء بحلل مختلفة مضبوطة وموضوعية .
- الكتاب يُعدّ المصدر الأساسي لتراجم أهل مكّة ومن نزل فيها أو جاورها⁽⁴⁾ .
- تمتع الفاسي بأسلوبه السلس في طرح المعلومات التي تخصّ التراجم ؛ وهذا يُسهل على القارئ قراءة الكتاب والبحث في طيّاته .
- ألاحظ الأمانة العلميّة في كلّ أجزاء الكتاب ويعود ذلك إلى دقة ذكر المصادر مرفقة لكل معلومة ويكاد الفاسي يرفق في الترجمة الواحدة أكثر من أربعة مصادر أحياناً . كما إعتد الفاسي على مؤلّفات تاريخية موسوعية لكبار المؤرخين المشاركة⁽⁵⁾ .
- و-2- العيوب: يؤخذ على كتابات الفاسي التاريخية حسب نظرنا ما يلي :
- الإهتمام المفرط بدراسة تراجم مكّة المشرفة دون غيرها .
- كان بإمكان الفاسي الربط بين النّطاقين المغربي والمكّي بإعتباره مؤرّخ مغربي نزيل مكّة ، وهذا يزيد من مكانة المؤلّف التاريخية في ظلّ إبراز إسهامات العلماء المغاربة بمكّة المكرّمة .
- غرضه من التّأليف حسب رأيه هو أن يجعل من مؤلّفه مصدر إنتقالي بين كتابات الأزرقى والفاكهي من جهةٍ وعصره من جهةٍ أخرى ؛ أي الهدف ليس تدوين تاريخ مكّة بقدر ما هو تتبع لتراجم سابقه⁽⁶⁾ .

(1) الفاسي : العقد الثمين ، ج6 ، ص 390 .

(2) نفس المصدر ، ج5 ، ص 197 .

(3) نفسه ، ج6 ، ص 119 .

(4) نفسه ، ج1 ، ص 04 .

(5) طرفة العبيكان : المرجع السابق ، ص 28 .

(6) الفاسي : شفاء الغرام ، ص 02 .

2-2- المؤلف عمر بن فهد الهاشمي (ت 880هـ/1476م) صاحب " الدر الكمين":

1- مولده ونشأته: هو محمد بن محمد بن محمد بن فهد القرشي الهاشمي المكي، اشتهر بعمر ولد بمكة في جمادى الآخرة سنة (812هـ / 1408م)، نشأ بها كما ينشأ أبناء العلماء، حفظ القرآن الكريم وكتبا في الحديث ألفه والده، ليتطرق بعد ذلك لفقهِ الإمام أحمد بن حنبل فأخذ يحفظ كتابا فيه، وقبل أن يكمل حفظه حوله والده إلى فقهِ الإمام الشافعي، فاقبل على دراسته، واشتغل بكتبه، موزاتا مع ذلك أقبل على حفظ أصول كتب النحو ومتونه، سمع من الوافدين إلى مكة المكرمة عن مجالس العلم وشيوخه المبرزين في فنونه المختلفة في مصر والشام وغيرهما ، فرغب في حضور تلك المجالس ومقابلة شيوخها فبدأت رحلته العلمية من مصر حيث زارها في أخريات سنة (835هـ/1431م) ودخل القاهرة في الرابع والعشرين من شهر محرم سنة (836هـ/1432م)، والتقى بشيوخها وعلمائها ، فسمع منهم وحضر مجالسهم ، وأخذ عنهم ولازم شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر ، فأخذ عنه في التدريس والفتوى ثم ارتحل إلى الشام في رمضان من نفس السنة مارا بغزة والخليل والقدس الشريف وأخذ من شيوخها⁽¹⁾

ترجع أصول عائلة ابن فهد إلى محمد ابن الحنفية ثالث أولاد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومنذ انتقال هذه العائلة من أصفون في صعيد مصر إلى مكة المكرمة برز منها كثير من أبنائها وشاركوا في مختلف المجالات العلمية وخصوصا في الحديث والتاريخ والآداب ، واشتهر منها أربعة حفاظ وهم: التقي بن فهد ، ابنه النجم بن فهد، وابنه العز بن فهد، وابنه جار الله بن فهد، قال الشيخ الكتاني : "وأنت إذا تأملت قل أن تجد في بيت في الإسلام أربعة من الحفاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد يتوارثون الحفظ والإسناد وغير هذا البيت"⁽²⁾، والباحث في أخبار عائلة مؤرخنا تؤكد شيوع علمهم وذيوع صيتهم نابع من حياتهم العلمية المتألقة ، ويتميزون عن علماء عصرهم ، فقد وجد من بين رجالها عدد من ذوي الثقافات الفقهية والأدبية والنحوية، ووجد منهم المهتمون بنقل التراث العلمي وفهرسته وتنظيم مادته ، والعناية بحفظ وتجليد المصنّفات العلمية المحفوظة لديهم⁽³⁾.

هناك عدّة عوامل ساهمت في تميز عائلة مؤرخنا منها إعتزازهم بالانتماء إلى آل البيت ، حيث يرجع نسبهم إلى محمد الشهير بابن الحنفية بن علي كرم الله وجهه، أمّا العامل الثاني فهو الثقافة الدينية التي نشأ عليها آل فهد ، والتي كان منبعها النظرة المثالية للتعليم والعمل به ، أمّا العامل الثالث فهو

(1) عمر بن فهد: إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تح: فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، مصر د ت، ج1، ص ص 8-9 .

(2) عمر بن فهد : الدر الكمين، ج1، ص ص 05-06.

(3) سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن:النجم ابن فهد مؤرخا ، رسالة دكتوراء في التاريخ الاسلامي، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1994، ص 69.

المكانة الاجتماعية لآل فهد ، وما تمتعت به أسرة مؤرخنا من ثراء وثروات طائلة، بعضها موروث والبعض الآخر كسب عن طريق التجارة، حيث كانت لهم أملاك في مكة ومصر⁽¹⁾.

2- العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية عن ابن فهد:

أ- تأثير رحلاته العلمية في كتابته التاريخية: أمّا عن رحلاته حيث اتخذ قرار السفر سنة (835هـ/1431م) كان عمره آنذاك ثلاثة وعشرون سنة وذلك بعد إكتماله الأخذ عن والده ، والتلقي عن مشايخ بلده، فبعد انتهاء موسم الحج للعام نفسه ، رحل صحبة الراكب المصري ، فدخل المدينة المنورة حيث أقام فيها ثلاثة أيام ، ثم استأنف رحلته للقاهرة ، فقد كانت القاهرة آنذاك قبلة للعلماء ومن أكبر مراكز العلم في العالم الإسلامي ، فاتصل بعلمائها وتفقه عليهم مثل شهاب الدين الواسطي والبدر البوصيري، والزّين العقبلي ، ولازم أثناء إقامته هناك شيخ الإسلام ابن حجر وتلمذ عليه وأخذ عنه الكثير ، ثم بقي في القاهرة أكثر من سبعة أشهر لينتقل بعد ذلك إلى جهة أخرى وهي الشام ، التي كانت هي الأخرى تزخر بمشاهير العلماء ، حيث كان ابن فهد ينتقل بين مدنها ويجتمع بشيوخها ، فاستفاد من العلامة الحافظ ابن الناصر الدين وأخذ عنه وسافر معه إلى حلب حيث التقى هناك بكبير علمائها آنذاك البرهان الحلبي ، ليعود إلى القاهرة مارا بغزة والخليل والقدس والرملة وبعلمك وغيرها⁽²⁾.

بعد ذلك رجع إلى الشام وبالتحديد للعلامة البرهان الحلبي الذي أراد أن ينتفع منه أكثر، فكان له ذلك حيث بقي عنده أكثر من شهرين عاكفا فيها على الاستفادة منه. ليشرع مرة أخرى في تنقلاته بين مدن الشام ومصر، كما اهتم في تنقلاته هاته بمطالعة الكتب ولقائه عدة شيوخ والأخذ عنهم ، حارصا على نسخ عدد كبير من المخطوطات ، واستمرت مدة طوافه بين مدن الشام ومصر مدة طويلة ، وبعد هذه الرحلة وجه اهتمامه للتأليف ، لكن لم يمكث كثيرا حتى عاد إلى ترحاله ، فبدأ بالقاهرة ونهل من معين أئمة الحفاظ والمسندين، ثم عاد لمكة وأخذ عن الإمام أبي الحسن الأبي ، والعلامة أبي الفتح المراغي والمقرئ أبي العباس الشوايطي⁽³⁾.

ب- تأثير شيوخه في كتابته التاريخية: فقد ورد في ترجمة مؤرخ الشام ابن طولون للحفاظ الواردين إلى صالحية دمشق أنّ شيوخ عمر بن فهد يزيدون عن ألفي شيخ، ولا غرابة في أن يتلقى مؤرخنا العلم من هذا العدد الهائل من المشايخ فتتقلباته الكثيرة ولمدة طويلة خير دليل على ذلك ، فقد اجتمع له في صغره وشبابه من السّماعات والإجازات ما لم يجتمع لغيره، بالإضافة لحبه للعلم دفعه للامعان في الدرس والتحصيل⁽⁴⁾. ويرى في هذا رفيقه في رحلاته السّخاوي إذ يقول: "وعرف العالي والنّازل، وقمش في

(1) سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق ، ص ص 104-105

(2) نفس المرجع ، ص 105.

(3) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 6 ، ص 130

(4) سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق ، ص 108.

طول هذه المدة ، بل وبعدها أيضا عن دب ودرج ، وأخذ عن هو مثله ، وممن هو دونه ممن هو في عداد من يأخذ عنه، ولم يتحاشى من ذلك كله، حتى أنه سمع مني بمكة جملة من تصانيفي " (1).
وقد تنوعت مجالات المشايخ الذين أخذ عنهم النجم بن فهد ، فمنهم المحدث والفقير والمؤرخ واللغوي والأديب ، الشاعر وعالم الرياضيات والفلك والطب والمنطق وغير ذلك من العلوم ، ومن شيوخه الذين أثروا ثقافته وفكره بعد والده نجد نجم الدين المرجاني(ت825هـ/1424م) وابن طولوبغا تلميذ الحافظ الذهبي(ت825هـ/1424م) وابن سلامة(ت828هـ/1427م) ، وابن المحب الحنبلي(ت828هـ/1427م) وخطيب مسجد الحرام كمال الدين ابن ظهيرة (ت829هـ/1428م) والعلامة المفنن البرماوي(ت831هـ/1425م) وقاضي مكة وخطيبها محمد النويري(ت832هـ/1428م) وشمس الدين ابن الجزري(ت833هـ/1429م) وابن زكنون(ت837هـ/1433م) وحافظ بلاد الشام البرهان الحلبي(ت841هـ/1437م) والمقريزي (ت845هـ/1441م) وغيرهم من الشيوخ والعلماء الذين أخذ وسمع منهم(2).

ج- تأثر تلاميذه بكتاباتة : اشتهر النجم ابن فهد بنباهته وذكائه هذا ما جعله وجهة للعديد من الطلبة ومن تلاميذه البارزين أبناؤه يحي وعبد العزيز ، وصاحبه السخاوي والسُّيوطي ، نذكر أيضا: ابراهيم بن محمد الخجندي المدني(ت898هـ/1502م) قرأ على النجم الثلاثيات وهو أحد أعيان المدينة المنورة (3)
أحمد بن الحسين بن العليف ولد عام(851هـ/1447م) لازم النجم في مكة، أحمد بن علي الفاكهي الشَّهاب بن النور ولد عام(868هـ/1463م) ممن تتلمذ على النجم ، بالإضافة إلى أحمد بن محمد القسطلاني ولد عام(851هـ/1447م) قرأ على النجم في مكة عام(884هـ/1479م)(4). أما أبو بكر بن زيد الجراعي الدمشقي ولد عام (852هـ/1421م) وهو إمام حنبلي بالشام، قرأ مسند الامام أحمد كاملا على النجم عام (875هـ/1470م)، بالإضافة إلى عبد الرحمان بن أحمد بن فهد وهو ابن أخ النجم ؛ ولد عام(841هـ/1436م) بالهند اهتم به النجم فاسمعه وأجاز له جمعا من الشيوخ ، برع في النحو والشعر عبد الرحمان بن محمد البريهاري المعروف بابن عثمان ، لازم النجم كثيرا واستفاد منه (5). دون أن ننسى محمد بن أبي القاسم البرنتيشي من عرب الأندلس؛ ولد عام (859هـ/1454م) سمع عن النجم بمكة محمد بن عمر التونسي يعرف بابن عزم، تخرج بالنجم في كتابة الطباق ، أتى عليه بأبيات من شعره :

يا ابن فهد يا عمر جادك الفتح ودر
إنما الناس نجومٌ بينهم أنتَ قمرٌ(6).

(1) السخاوي : المصدر السابق ، ج6، ص 128

(2) نفس المصدر ، ج1، ص 119

(3) نفسه ، ج1 ، ص ص 119-120.

(4) سعاد بنت ابراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق، ص 159.

(5) نفس المرجع ، ص ص 161-162.

(6) نفسه ، ص ص 163-164.

د- مؤلفاته: أمّا عن مؤلفاته فوجدتها تتنوع ؛ ففي الحديث وعلومه نقف على مجموعة مدونات ومؤلفات أهمّها :كتاب البلدانيات - كتاب المخضرمين - كتاب المدلسين - كتاب المؤاخي بينهم - تخريج الأربعين حديثاً - جمع مرويات والده سلسلة للعيدين الفطر والاضحى ...⁽¹⁾.

• أمّا في ميدان المعاجم والشيخات : نذكر منها : تراجم شيوخ شيوخه - مشيخة زينب بنت عبد الله الياضي - مشيخة سارة بنت العزّ بن جماعة- مشيخة عبد الرّحمان بن ابي بكر بن زريق⁽²⁾ .

• مؤلفات تاريخية : تميزت كتب النّجم باختصاصها في تاريخ مگة المكرمة ، هذا راجع لقدسيّة المكان لدى المسلمين واهتمامهم بكل ما له صلة بها، ولهذا كان من الضروري التوجه نحو التدوين لكل الأحداث والوقائع للعصر الذي كان يعيشه المؤرّخ⁽³⁾، ومن أهمّ مؤلفاته التاريخية التي تركها النّجم في تاريخ مگة لدينا:

- كتاب إتحاف الوري بأخبار أمّ القرى : عبارة عن موسوعة تاريخية جاء في أربعة مجلدات ضخمة عدد صفحاته ألفان وأربعمائة وتسعة وسبعون صفحة⁽⁴⁾ تطرّق فيه لتاريخ النّشاط الانساني بمختلف ميادينه لفترة تجاوزت تسعة قرون ونصف ، فقد اشتهر هذا الكتاب كثيرا لدى المؤرّخين وهذا ما يبرزه إشارتهم له في مؤلفاتهم، كما حظي أيضا بسلسلة من الدّيول منها كتاب " بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أمّ القرى " لعبد العزيز بن فهد، دون النّجم في هذا الكتاب حوادث كل عام على حدى بعنوان ذلك العام وينهي حوادثه بذكر الوفيات، فسرّد الأحداث بكل دقة وبأدلة عن طريق الوثائق والأخبار المهمة ، تناول الأحداث حسب تسلسلها الزّمني لوقوعها. والكتاب يشمل أخبار النّزاع على الإمارة ومراسيم العزل والتولية للأمرء والقضاة والأئمة، بالإضافة لأخبار الحرم المكي من حيث توسعته، المساجد ومختلف المؤسسات التعليمية والاجتماعية وغيرها...⁽⁵⁾.

ه- وفاته: أمّا وفاته فبعد أن تربع مؤرّخنا على الهرم العلمي ، وأصبح شيخ العلوم في مگة بعد أن قضى حياته في طلب العلم من جهة والعطاء والانتاج المثمر من جهة أخرى ، انتقلت روحه إلى بارئها يقول ابنه العزّ: " وعرض له ثقل، وانقطع عن البروز نحو عشرين يوماً ، كان فيها حاضر الدّهن ويكثر من الشّهادة، حتّى كانت آخر كلامه عند خروج روحه في وقت الزّوال من يوم الجمعة في السابع من شهر رمضان عام (880هـ/1480م) وصلّى عليه عصر يومه"⁽⁶⁾ .

(1) سعاد بنت ابراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق ، ص 176.

(2) نفس المرجع ، ص ص 177-178.

(3) نفسه، ص 196.

(4) نفسه ، ص 197.

(5) نفسه، ص 198.

(6) السخاوي : المصدر السابق ، ج6، ص 131.

2-دراسة المصدر "كتاب الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" :

أ- مضمون الكتاب : كتاب قيم يعني بالترجمة لأهل مَكَّةَ ومن لهم صلة بها من المجاورين ، أو من لهم مآثر طيبة فيها ، والكتاب هو ذيلٌ على كتاب العقد الثمين للفاسي، ترجم فيه ابن فهد لمعاصريه ، أمّا خطة الكتاب ، فاعتمد في مقدّمته على إضاءة يسيرة ركّز فيها على أهميّة علم التاريخ ، واعتناء السلف الصالح بتدوينه ، وذكر فيها أبرز المؤرّخين حسب طبقاتهم ، تطرّق الى سبب تأليفه لهذا الكتاب، المؤلف يعتمد على النّظام المعجمي، فهو مرتب على حروف الهجاء ، وقسم ابن فهد كتابه الى أبواب وفصول كالتالي :

- الباب الأوّل: تطرّق لترجمة الأعلام بحسب أسمائهم المعروفة ، وهو أكثر الأبواب مادة.
- الباب الثاني : ترجم فيه للرجال المعروفين بكناهم، سواء من عرف بكُنْيَتِهِ ولم يعرف له اسم، أو من عرف بكُنْيَتِهِ وإن كان اسمه معروفًا، وذكر أنّ منهجه فيمن غلبت كُنْيَتُهُ على اسمه اختصّال الترجمة على الكنية والنسب ، وفي آخر هذا الباب ذكر أربعة فصولٍ مُتسلسلةٍ وهي :
- الفصل الأوّل : فيمن اشتهر بلقبه مُضَافًا الى لفظ الدّين مثل : أميْنُ الدّين - بهاءُ الدّين.
- الفصل الثاني : فيمن اشتهر بالنسبة الى أبيه أو جده ، وعرف باسمه ، وهنا قد يجمع أكثر من شخص في ترجمة واحدة.

- الفصل الثالث : في المعروفين بأنسابهم إلى قبيلة مثل " البربري" أو الى بلد مثل " الهمداني" .
 - الفصل الرابع : فيمن نسب إلى أبيه أو جده ولم يعرف اسمه مثل قوله : ابن طَبِيقِ المِصرِي (1).
- أمّا تراجم النّساء فقد أفرد لها بابًا خاصًا بعد ان انتهى ترجمته للرجال ، وقد بدأها بباب تراجم فيه للنساء المعروفات بأسمائهن ثمّ ألحقه بفصل في الكنى من النساء ، ليضيف ثلاثة تراجم لنسوة عرفن بلفظ (والدة فلان) وختم تراجم النّساء بترجمة واحدة لامرأة عرفت بلقبها وليس لها اسم وهي "الحليّة".وقد اعتمد ابن فهد في طبيعة تراجمه على الشمول النوعي فهو لم يقتصر على نوع من الأعيان ، فقد تنوعت تراجمه فشملت الأمراء والقضاة والعلماء والمستشارين والتجار وأصحاب المهن ، نُزلاء مَكَّةَ والمجاورين فيها ، ولم يكتف بالترجمة للمشهورين ، بل ترجم للمغمورين والمجازيب وغيرهم (2).

ب - تحقيقات الكتاب : يعتبر كتاب " الدر الكمين " من أثنى المؤلّفات التاريخية التي دُوْنَتْ عن تراجم أهل مَكَّةَ ، ومن لهم ارتباط بها أو من ترك أثر طيب بها . والمؤلّف يتضمّن على عدّة نسخ خطية جمعها المؤرّخين ألا وهي :

(1) سعاد بنت ابراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق ، ص ص 200 - 202.(للمزيد من المعلومات ينظر الى الملحق

- نسخة بمكتبة رضا رامبو بالهند (تحت رقم 3613): تمّ تصويرها من قبل معهد إحياء المخطوطات العربية سنة (1371هـ/1961م) على الفيلم 3032؛ وهي تحت رقم المجموع العام 632/405 ، وتاريخ نسخها سنة 934هجري. منها نسخ مطبوعة في معهد البحوث العلمية ، وكذا بمعهد إحياء التراث الإسلامي التابع لجامعة أم القرى. أمّا عن عدد أوراقها فتتضمن 250 ورقة عن النسخة الأصلية ومقاسها 175*520 ملم لكن الذي وصلهم فقط 224 ورقة . كما وصف الباحثين أوراق هذه النسخة قائلين أنها تتميز بتعدد خطوط الكتابة ، والدليل واضح في المقدّمة التي قسمت من حيث الكتابة إلى قسمين كل قسم بخط مختلف عن الثاني هذا من جهة ومن جهة أخرى استنتجت مما وصلت إليه عند وصف الكتاب وجود كلمات ناقصة وفراغات في بعض التراجم وأحياناً بياض واضح. الملفت للانتباه تكرار الأخطاء اللغوية والعلمية المصوبة من قبل النّاسخ. أمّا عن اسم النّاسخ فمجهول لم يذكر لا في الفهرسة ولا الخاتمة وإنّما ذكر في الخاتمة أنّ النقل تمّ من نسخة بخطّ المؤلّف في مكّة المكرمة . أمّا تاريخ إتمام النّقل فهو يوافق يوم الاثنين 2 ذي القعدة 934هـ⁽¹⁾.

- نسخة المكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة (السعودية)؛ وهي نسخة مصورة تحت رقم 75 سنة 1059هجري.

- نسخة بالمكتبة الفيضية بمكّة المكرمة غير معروفة الرّقم ولا المصدر ولا المضمون⁽²⁾.

ج- أسلوبه ومنهجه من خلال كتاب "الدرّ الكمينُ بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" : يعتبر كتاب النّجم بن فهد ذيل على كتاب العقد الثمين عن تقي الدين الفاسي حيث انتهج نفس الأسلوب والمنهج ، إذ نجده مثلاً في مقدّمة الكتاب تطرّق لأهمية علم التاريخ ومدى اهتمام السلف بتدوينه ، كما تطرّق لأبرز المؤرخين حسب طبقاتهم. أما سبب تأليفه للكتاب ومنهجه فقد اعتمد النظام المعجمي القائم على ترتيب حروف الهجاء⁽³⁾ .

أمّا عن مادة التراجم فهي تختلف من حيث الطول والقصر على حسب المعلومات التي جمعت عن المترجم ، وعلى حسب قيمته الاجتماعية والسياسية والعلمية والدينية ، فغالبا ما يختم النّجم تراجمه برواية متواترة سمعها منه أو أثر له تركه أو شعر أنشده إيّاه⁽⁴⁾.

دون أنّ ننسى حرصه على اتّباع منهج المحدثين عند روايته للحديث في ذكر السند مهما تعدد رواته، مستعملاً مقاييسهم في الحكم على قوّة وضعف الحديث نحو قوله " حديث صحيح، متفق عليه، أخرجه الأئمة السّنة في كتبهم..."، ومن ناحية أخرى نجد أنّ النّجم في تراجمه لم يقتصر على نوع معين من الأعيان فاتبع الشمول النوعي ؛ حيث شملت تراجمه الأمراء ، القضاة، العلماء، القوّاد والمستشارين

(1) سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق ، ص ص 198-199.

(2) نفس المرجع ، ص ص 198-199.

(3) نفسه ، ص 200.

(4) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 1 ، ص 33. سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق ، ص 202.

التجار وأصحاب المهن ، نُزلاء مَكَّة وغيرهم وترجم للمغمورين والمجاذيب...⁽⁵⁾. ومن هنا نلاحظ أنّ ابن فهد منهجه متعدد الجوانب ، أحيانا يبرز من خلاله صبغة المحدث ، وأحيانا أخرى يغلب على كتاباته صبغة المؤرخ⁽¹⁾.

نستنتج من خلال تتبع كتابات النجم بن فهد أثناء ترجمته للشخصيات مجموعة من العناصر التي تؤكد ذلك وهي كالتالي :

▪ يذكر اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ؛ فلم يقتصر على ذكر أربعة أجداد للمترجم بل أحيانا يصل إلى ذكر أكثر من عشرين جد للمترجم، مثل الترجمة لمن ينتسبون إلى كبار الصّحابة ، والبعض الآخر يصل إلى ذكر أمّه⁽²⁾.

▪ يذكر الصّفات التي تدل على مكانته العلمية مثل قوله: " صالحًا ورِعًا ، الإمام العلامة - الحافظ الكبير - المُقرئ المُجود - نائب أمير مَكَّة - قاضي القضاة.."⁽³⁾.

▪ يذكر مولده ونشأته.

▪ يذكر شيوخ وشيخات المترجم وسماعته وإجازاته.

▪ يذكر الرّحلات العلميّة والتجاريّة ، وأحيانا لا يذكر نوع الرّحلة بل يذكر ما لقيته في سفره من قبول⁽⁴⁾.

▪ اهتم كثيرا بالانتاج العلمي للمترجم ، وذكر أهمّ مصنّفاته وآراء العلماء فيه ، ويصّف خطّه ومدى جودته وكثرة تأليفه نحو قوله : " كتب بخطّه كثيرا ..."⁽⁵⁾.

▪ تطرّق في ترجمته لأمرء مَكَّة للحوادث التي جرّت في عهدهم ونزاعاتهم وأسباب عزلهم، أمّا القضاة فذكر في ترجمته لهم تواريخ التوليّة والعزل والوظائف التي باسروها.

▪ اهتمّ ببيت المترجم فإن كان من أسرة ذات مكانة رفيعة وأصل عريق ، وقد يشير إلى قدر المترجم نفسه وعُلو قدره نحو قوله: " وكان وجيهاً في التجارة"⁽⁶⁾.

▪ يُصدّر أحكاما على المترجم سواء بالمدح أو الذم حسب أخلاقه ومعاملاته نحو قوله : " كان خادمَ مولد النبي صلّى الله عليه وسلّم"⁽⁷⁾.

⁽⁵⁾ نفس المرجع ، ص 203.

⁽¹⁾ إبراهيم بن حمود المشيقح : تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد ، ط1، د دار للطبع والنشر ، القصيم ، 1987 ، ص 208.

⁽²⁾ عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 1 ، ص 33.

⁽³⁾ نفس المصدر ، ج 1 ، ص 201-460. سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق، ص 204.

⁽⁴⁾ عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 198.

⁽⁵⁾ نفس المصدر ، ج 2 ، ص 1148. سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق، ص 205.

⁽⁶⁾ عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 726.

⁽⁷⁾ نفس المصدر ، ج 2 ، ص 720.

▪ يضبط تاريخ الوفاة باليوم والشهر والسنة ، ويُحدّد مكانها ووقت صلاة الجنّازة وتشيعها⁽¹⁾، وإذا لم يكن على علم متى تُوفى يقول "وما عَلِمْتُ متى مات". وهناك تراجم ذكر فيها فقط وفاتها يشير إلى ذلك بقوله مباشرة دون حياته العلمية أو مولده : " مات ليلة ... " ⁽²⁾ .

توصلنا من خلال تتبع منهج المؤلّف إلى عدّة نقاط :

a. اعتماد الترتيب الهجائي أثناء الترجمة ما عدا من كان اسمه محمّد أو أحمد فقد أولاهُ عنايةً شديدةً تيمناً باسم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وقد عُنُونُ التراجم بـ " المحمّدون . الأحمّدون " ⁽³⁾ .

2 . التفاوت في حجم ما كُتِبَ عن أصحاب التراجم من حيث الإيجاز والاسهاب ؛ إذ يظهر ذلك جلياً أثناء ترجمته لكبار أعيان القرن التاسع ، فمثلاً عند ترجمته للشّريف أمير مَكَّة بركات بن حسن بن عجلان وابنه محمّد بن بركات اتّجه نحو الاطناب والاسهاب ، إذ أَلَفَ عن أمير مَكَّة 08 أوراق (صفحات محقّقة) ⁽⁴⁾ ، وميزة الاطناب تخصّ الأشراف وذوي المكانة والشّهرة العلمية الإجتماعية .

أمّا الإيجازُ فيظهر جلياً في ترجمته لمن عاش قبله أو عاصروه ، ولم يكن ذو مكانة علمية أو إجتماعية مثل ترجمته للصّالح الزّاهد عبد الله بن عبد اللّطيف الحضرمي المقرئ الذي لم يتعدّى 7 أسطر ذاكراً شهرته بالعراقي ثمّ شهرته العلمية الصّالح الزاهد الولي ، ثمّ كنيته وعقيدته ، مباشرةً انتقل إلى وفاته ومكان دفنه - رحمه الله - ⁽⁵⁾ .

3 . عدمُ إغفالِ النِّساء أثناء الترجمة ، حيث وضع لهنّ باباً خاصّاً سمّاه " بابٌ في النِّساء " معتمداً الترتيب الهجائي أيضاً، وذلك في آخر كتابه بدءاً من الصفحة 1396 إلى غاية 1564 ، مُضيفاً فصلاً في الكنى من النِّساء ، وأولى النِّساء اللّاتي بدأ بهنّ : . الشّيخة المباركة آسية بنت جار الله بن صالح بن أبي المنصور أحمد بن عبد الملك (ت 873هـ / 1468م) بمكّة ⁽⁶⁾ ، أمّا في فصل الكنى من النِّساء أولى من بدأ منهنّ الشّيخة أمّ حبيبة بنت أحمد زوجة الشيخ محمّد الجزولي (ت 867هـ / 1463 م) بمكّة ⁽⁷⁾ .

4 . وضع ابن فهد باباً خاصّاً بالكنى فيمن اشتهر بلقبه مضاف إلى الدّين بدأ بأمين الدّين الزين ⁽⁸⁾ بالإضافة إلى من اشتهر بالنِّسبة إلى أبيه أوجده وعرف بأبيه ، وبدأه بابن أبي الأصغ ⁽⁹⁾ ، ولمن هم

(1) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 1 ، ص 58 . سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق ، ص 207 .

(2) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 726 . سعاد بنت إبراهيم بن محمد الحسن : المرجع السابق ، ص 208 .

(3) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 01-428 . إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 208 .

(4) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 647 - 654 .

(5) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 916 . إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 208 .

(6) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 1396 - 1398 . إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 208 .

(7) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 1566 .

(8) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 1340 .

(9) نفسه ، ج 2 ، ص 1349 .

معروفين بأنسابهم إلى قبيلة أو بلد أو لقب مفرد غير مضاف إلى الدين وبدأه بالأبوقيري⁽¹⁾ ، وأخيراً تطرق لمن نسب إلى أبيه أو جده ولم يعرف اسمه بدأه بأمين التكرارة⁽²⁾ .

5 . اتخذ ابن فهد نفس نهج شيخه تقي الدين الفاسي في كتابه " العقد الثمين " مُتَمِّمًا للسيرة النَّشِي انطلق في تحريرها شيخه⁽³⁾ .

اتَّضح من خلال تتبع طَيَّاتِ المؤلَّفِ المُحقِّق أنَّ ابن فهد تميَّز عن غيره من المؤرِّخين بذكره للأحاديث النَّبوية الشريفة مع الرَّواية وسندها موافقة وبدلاً⁽⁴⁾ . فقد قال عنه المحقق " وللمحدثين معتمداً نافعاً والرَّواية الواسع وجمع - حفظه الله- إلى شريف النَّسب ..."⁽⁵⁾ . ومن نماذج الرَّوايات قوله " قال : ثنا ابن عون ، عن الشعبي ، قال : سمعتُ النُّعمان بن بشير - رضي الله عنهما يقول : سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم . يقول : " إِنَّ الحلالَ بيِّنٌ وَإِنَّ الحرامَ بيِّنٌ وَإِنَّ بينَ ذلكَ أمورَ مشتبهاتٍ ..."⁽⁶⁾ .

6. تمثلت مَكَّة المكرمة المركز الرئيسي للدراسة عند ابن فهد حيث غلب على المؤلَّف تراجم الرِّجال والنِّساء التوجه المكشي إمَّا بالموطن أو بالحج والعمرة أو بالترحال لطلب العلم ، متتبِّعاً طريقة القيمة والأهمية العلمية أو التأثير الاجتماعي ، والشرط الأساسي الوحيد هو الوفاة بمكَّة⁽⁷⁾ .

7. لم يقيد ابن فهد دراسته بزمن أو فترة معيَّنة لمن ترجم لهم ، كما هو سائد عند العديد ممن عاصره بنطاقات جغرافية أخرى ، فقد أكَّدتْ عناوين مؤلفاتهم ذلك مثلاً السخاوي في كتابه ترجم لتراجم تخصُّ الفترة الزمنية الضَّبط القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي تحت عنوان " الضوء اللامع لأهل التاسع"⁽⁸⁾؛ وهو ما كان شائعاً عند شيوخهم كابن حجر العسقلاني الذي ترجم لأعيان المائة الثامنة في كتابه الدرر الكامنة"⁽⁹⁾ .

(1) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 2 ، ص 1367 .

(2) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 1394 .

(3) إبراهيم المشيقح: المرجع السابق، ص 209 .

(4) عمر بن فهد : المصدر السابق ، مقدمة التحقيق ، ج 1 ، ص 34 . إبراهيم المشيقح: المرجع السابق ، ص 209 .

(5) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 12 .

(6) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 1044 .

(7) إبراهيم المشيقح: المرجع السابق ، ص 209 .

(8) يقول السخاوي: " وبعد فهذا كتاب من أهم ما به يعتنى جمعت فيه من علمه من أهل هذا القرن الذي أوله سنة إحدى وثمانمائة . ختم بالحسنى من سائر العلماء والقضاة والأمراء والمباشرين والوزراء .." . السخاوي : الضوء اللامع ج 1 ، ص 05 .

(9) يقول العسقلاني: " فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة إحدى وسبعمائة إلى آخر سنة ثمان مائة من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتّاب والوزراء والأدباء والشعراء .." . العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج 1 ، مقدمة المؤلف (ج-1) . عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 718 .

- 8 . الأمانة العلمية ميزة من ميزات ابن فهد؛ حيث يتضح ذلك في ذكره المصدر الذي استقى منه معلوماته ، فمثلاً عند تناوله لترجمته خشقدم الظاهري برقوق الخصي يقول: " وذكره شيخنا ابن حجر في إثباته. فقال: كان شهماً يحب الصدقة وفيه عصبية مع سوء خلقٍ إلى الغاية..."(1). كان خزندار للسلطات ثم صرف عنها، واستقر زماماً إلى أن مات، إزاء مرض بالقولنج ثم تعافى لينتسب مراراً حتى مات في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ودُفن بالقرب من مشهد الليث من القرافة الصغرى(2).
- 9 . عُرف ابن فهد بالصدق والدقة في تحري الأخبار، والدليل على ذلك حرصه على ذكر تواريخ المولد - الوفاة ووقت الصلاة عليه والرحلات - تولى عدة مناصب ، وكأمثلة على ذلك نذكر(3):
- عند ترجمة أحمد بن إبراهيم بن أحمد المرشدي المكي الشافعي يقول " وُلِدَ في سنة واحد وستين وسبعمئة بمكة "(4).
- عند ترجمته لداود بن عبد الصمد القرشي الكردي العجمي المجذوب يقول:"مات في آخر ليلة الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وثمانمائة بمكة ، وُصلي عليه ضحى عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة "(5).
- عند ترجمته لصفية ابنة محمد بن عنقة بن عمر البسكري يقول:" وُلِدَتْ بالمدينة الشريفة وحضرت بها في الأولى في ثاني عشري ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وسبعمئة على جدّها لأمتها..."(6).
- عند ترجمته لأحمد محمد النويري القرشي يقول أنه تولى حبة مكة المكرمة شريكاً لأخيه إسماعيل سنة (830هـ/1424م) ، ثم لما مات أخوه استقلَّ بها سنة (839هـ/1427م) ، واستمر بيده إلى سنة (842هـ/1436م)(7).
- وخلص القول فإنَّ عمر ابن فهد من حيث المنهج عُرف بدمجه لمنهج المحدثين والمؤرخين مُعتمداً الوصف والكشف عن أخبار التراجم العلمية ، وليس ذلك فقط فقد سمح له المنهج التاريخي على تقصي الأوضاع السياسية التي سادت عصره بمكة المكرمة ، كما أمدنا بالمعلومات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لكي نستكمل الصورة الكاملة للأوضاع آنذاك ، وهذه الطريقة جعلته ومؤلفه يصنّفون ضمن رواد المدرسة المكية والمصريّة الذين ترجموا للأعيان بمناهج صادقة الرواية ، حسنة الطرح التاريخي وصادقة الأخبار .

(1) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 2 ، ص 718 . ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر ، ج 4 ، ص ص 27 - 28 .

(2) عمر بن فهد : نفس المصدر ، ج 2 ، ص 725 .

(3) إبراهيم المشيقح: المرجع السابق ، ص 210 .

(4) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 3 ، ص ص 1478 - 1479 .

(5) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 725 .

(6) نفسه ، ج 3 ، ص ص 1478 - 1479 .

(7) نفسه ، ج 1 ، ص 510 .

د- قيمة الكتاب: يعتبر الكتاب ثرياً بالمادة التاريخية المتنوعة سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية والدينية، كما أنه يمتاز بعمق أفكاره وشموليته ، معتمداً الأسلوب الوصفي لتوضيح سمات وملامح المنطقة خلال عصره (1).

اكتسب كتاب ابن فهد " الدر الكمين بذيل العقد الثمين " قيمة تاريخية وعلمية وذلك لما تضمنه من معلومات شتى مختلفة الميادين ، فالمتطلع على المؤلف فإنه يظن أنه خاص بالتراجم فقط لكنه شامل (2).
ففي حقيقة الأمر فإن ابن فهد يعد عالماً بارزاً خلال عصره خاصة لتقننه في علم التاريخ وارتباطه الوطيد بعلم التاريخ ، كما أنه يمثل أحد رواة تاريخ مكة - قبة المسلمين - ، اعتبار الكتاب احتوى تاريخ مكة بصورة شاملة على نهج سابقه كالفاهي صاحب كتاب " أخبار مكة " أو شيخه تقي الدين الفاسي صاحب العقد الثمين (3).

تتضح المكانة العلمية والتاريخية لكتاب بما شمله من تراجم الرجال والنساء المكيين أو تراجم البلدان الذي جالها وصالها مشرقاً ، كما أنه لم يشمل فترة عصره فقط وإنما شمل أزيد من سبع قرون ، واللافت للإنتباه تناول ابن فهد أخبار وأحداث وأشعار قل ما نجدها في مؤلفات أخرى مدونة بعقلانية وبأسلوب أدبي محض (4). فقد تحرى الدقة والصدق والأمانة العلمية في النقل من المصادر مما أضفى قيمة علمية للكتاب ليصبح محل إهتمام المؤرخين الذين استقوا منه معلومات خاصة بالحياة الثقافية بمكة المكرمة التي محورها مجموع التراجم المترجم لها على مر العصور التاريخية (5).

فبالعودة إلى الكتابات التاريخية في بدايات العصر الوسيط فإننا نجدتها تتخذ من ميدان التراجم ميداناً رئيسياً لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين ، أما ابن فهد فلم يتخذ نفس المسلك بل اعتمد في تدوينه على موارد ثلاثية التصنيف (كتب المتقدمين الذين سبقوه زمنياً ، السماع مما عاصره خاصة شيوخه المعلومات التي توصل إليها بفضل رحلاته العلمية) ترجم فيها للعام والخاص ، القريب والبعيد (6).

ه- مصادر كتاب " الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين": إن المتمعن لكتاب ابن فهد" الدر الكمين" فإنه يلاحظ جهوده لجعل المؤلف متكامل بإعتباره تكملة لكتاب تقي الدين الفاسي"العقد

(1) عمر بن فهد: الدر الكمين ، ج1 ، ص 208.

(2) إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 202.

(3) انتهج الفاهي في كتابه على المنهج الموسوعي ، واحتفظ على معلومات مفقودة وثرية . ابن العباس الفاهي المكي (ت285هـ/895م) : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح : عبد المالك بن دهيش ، ط2، دار خضر للطباعة والنشر بيروت ، 1994 ، ج1 ، ص 34 .

(4) إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 202 . الفاسي : العقد الثمين ، ج1 ، ص 7 .

(5) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ص 34 (مقدمة المحقق) . إبراهيم المشيقح: المرجع السابق ، ص 203 .

(6) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ص 33 (مقدمة المحقق) .

الشمين" ، فهذا التكامل فرض عليه البحث والتقصي عن المصادر التي تساعده على احتواء أخبار الفترة والأحداث والتراجم الخاصة بها ، وفي هذه الدراسة سنتطرق لعرض مصادر الكتاب على النحو الآتي :

1 . المجموعة الأولى : تشمل مجموع تراجم الأعيان المعاصرين للمؤلف ابن فهد ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث طبقاتٍ كلُّ طبقةٍ تختلف عن الطبقة الأخرى من حيث الفترة الزمنية أو منطلق التوثيق مثبتين نماذج عن ذلك:

أ . طبقة رجال مكة : لم يكن ابن فهد بحاجة إلى استعمال مصادر لتوثيق أخبار رجال مكة ، باعتبار أغلبهم من شيوخه أو تلاميذه أو من جالسهم وأجازوه⁽¹⁾ مثل :

- عند ترجمته لمحمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن عبد المحسن المقدسي السخاوي يقول: "سمعت عليه المجلس الأول منه ، وهو الذي أدب الشئخة وجوّد عليه القرآن ..."⁽²⁾ ؛ يعني بذلك التقى به وسمع عنه .

- عند ترجمته لصفية ابنة عبد الكريم بن علي بن الحسين بن علي الشيباني الطبري يقول : "تزوجها جدي أبو عبد الله جمال الدين"⁽³⁾؛ أي حضر زواج جدّه منها .

- عند ترجمته لزهير بن محمد بن عاصم المكي العتكي ، القومي صاحب الحبشي يقول : " وأجاز لي رواية ديوانه ، وهو كثير الوجود بأيدي الناس"⁽⁴⁾ .

ب . طبقة الرجال الوافدين إلى مكة : التقى ابن فهد بالكثير من الرّشجال الذين قَدِموا إلى مكة وتجاوز معهم في شؤون عدّة ليتوصل إلى معلومات عن حياتهم العلمية ويسجلها⁽⁵⁾ ومن أمثلة ذلك :

- عند ترجمته لسالم بن عبد السلام بن علوان ابن الربيعي يقول : " وجاور بمكة غير سنة ، ونفع الله به خلقاً كثيراً وكان رجلاً الرجال قولاً بالحق ، منكرًا على أبناء الدنيا ، عالماً فاضلاً ، ورعاً زاهداً..."⁽⁶⁾.

- عند ترجمته لسليمان بن علي بن أبي زريع الهرمي يقول " نزيل مكة"⁽⁷⁾.

ج . طبقة الرّجال الذين إرتحل إليهم ابن فهد : شيوخه خارج مكة المكرمة نقل عنهم الكثير من المعارف كما قرأ لهم عدّة كتبٍ وناقشهم نذكر من بين ذلك :

(1) إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 215 .

(2) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 1 ، ص 23 .

(3) نفس المصدر ، ج 3 ، ص 1478 .

(4) نفسه ، ج 2 ، ص 744 .

(5) إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 215 .

(6) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 747 .

(7) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 760 .

- عند ترجمته لصاحب الحافظة القرية في التاريخ علي بن معمر بن علي البجائي الأصل يقول : "سمعتُ منه وأُشدني كثيراً من نظمه ، وجمعتُ منه ما وجدته فجاء في مجلد" (1) .
- المجموعة الثانية : تشمل مجموع الأعيان الذين لم يعاصرهم ابن فهد وماتوا قبل القرن التاسع ، ويمكن تقسيمهم إلى طبقتين :
- أ. الطبقة الأولى : وتمثل موارد العلماء المعاصرين له ولكنهم سبقوه في الولادة نذكر منهم :
- ابن حجر العسقلاني(ت852/هـ/1448م) : استقاد ابن فهد من مؤلفاته أبرزها " تهذيب التهذيب الدرر الكامنة ، أنباء الغمر ، لسان الميزان " ، ومن أمثلة ما اقتبسه ابن فهد نذكر :
- عند ترجمته للضحاك بن مخلد الشيباني يقول أنه نقل جملة المعلومات من كتاب تهذيب التهذيب لشيخنا أبي الفضل ابن حجر - رحمه الله - (2) .
- ابن قاضي شهبه (ت851/هـ/1447م):استقى منه معلومات تخص الشيخ الصالح أحمد اليرنقي الدمشقي المكي ، وفي نهاية الترجمة يشير إلى ذلك بالقول: " نقلت هذه الترجمة من كتاب ذيل الأعلام لابن قاضي شهبه " (3) .
- الخزرجي (ت812/هـ/1441م): نقل عنه جملة الأخبار الخاصة بترجمة أبو بكر بن يوسف المكي من كتابه تاريخ اليمن (4) .
- ب. الطبقة الثانية : موارد خاصة بالعلماء الذين لم يعاصرهم أمثال :
- أبو شامة (ت656/هـ/1266م): استقى منه معلومات تخص عمر الشهير بالملأ ، إذ أشار إلى ذلك بالقول أن مجموع المعلومات ذكرها أبو شامة في الروضتين ، ونقل فيها بعض الترجمة عن العماد الكاتب (5) .
- القاضي عياض (ت476/هـ/1083م): نقل عنه معلومات تخص الشيخ الفقيه عبد الله بن سعيد بن نافع متولاً سيرته العلمية وأنه أخذ عنه ورآه في مشيخته من كتابه المدارك بالصبط الطبقة الخامسة (6) .
- أبي نعيم (ت470/هـ/1038م): نقل عنه أخبار عمرو بن عثمان المكي أحد الأئمة المتصوفة أنه مات بعد السنة الثلاثمائة وقيل قبل ذلك من خلال كتابه تاريخ أهل أصبهان (7) .

(1) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 1 ، ص 167 .

(2) نفس المصدر ، ج 2 ، ص ص 779-780 . العسقلاني : تهذيب التهذيب ، ج 4 ، ص 395.

(3) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 579 . السخاوي : الضوء اللامع ، ج 2 ، ص 261.

(4) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1300 .

(5) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 1151 .

(6) نفسه ، ج 2 ، ص 913 .

(7) نفسه ، ج 2 ، ص 1156 .

- المجموعة الثالثة : وتمثل الرجال الذين سبقوه بأزيد من قرن ، لكنّه لم يتحصّل على موارد كتبت عنهم فأتخذ ابن فهد طريقة العودة إلى أحد أقربائهم أو الرجوع إلى مصادر أخرى مثل النقوش و الآثار مثل: النقوش على الحجارة أو الشواهد على القبور مترجماً للشخصية من خلال (المولد - الوفاة-ذكر بعض المعلومات الشخصية) (1).
- فقد نقل معلوماته بأمانة وصدق ومن الروافد التي استقى منها مادته التاريخية و العلمية نذكر أبرزها :
- كتاب إتحاف الوري بأخبار أم القرى للمؤرخ ابن فهد : أخذ عنه معلومات تخصّت ترجمة بريم خجا بن قشتدي ناظر المسجد الحرام المكي و هذا يعني أنّه ألّف من قبل عنه(2).
- كتاب البلدانيات لابن عساكر: استعمله في ترجمته لعبد الله بن إبراهيم بن عبد الله المغربي المرجاني التونسي الأصل المكي المولد ، عندما تناول شيوخه الذين سمع عنهم من بينهم الشيخ أبي المعالي الصّالحي غالب (3) .
- كتاب تاريخ ابن الأثير : الذي نقل عنه عند ترجمته لأحمد بن محمّد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي بالضبط عندما أشار إلى كتابته لمجموعة من الكتب لمؤرخين كبار مثل ابن حجر وأبي الفتح المراغي (4) .
- كتاب تاريخ ابن خلكان : أخذ عنه عند ترجمته للملك العادل محمود بن زنكي بن آق سنقر حيث أضفى إلى مجموع ما دوّنه كوّن هذا الملك له ولايات كثيرة و أفعالاً من الخير مشهورة (5) .
- كتاب تاريخ حلب لابن العديم : اعتمد ابن فهد عن ترجمته لعدّة تراجم مثل أبو محمّد علوان بن عبد الله بن علوان الأسدي الحلبي قائلاً أنّه جاء في كتاب " تاريخ حلب " عن شخصه كونه " زاهداً ورعاً فقيها " ولقاءاته بعلماء مثل العماد بن يونس (6) .
- طبقات الفقهاء لابن سمر الذي أخذ عنه عند ترجمته لعلي بن محمّد بن إبراهيم الجعدي الذي مات بمكة مجاوراً في القعدة سنة إحدى وثمانين وخمسائة (7) .
- من خلال الدّراسة نستنتج ما هذه الكتب والإشارات إلّا نماذج من مجموع المؤلّفات المذكورة في النصوص التي ألّف من خلالها ابن فهد كتابه "الدّر الكمين" المتنوّعة الحقول ، والمؤلّفة من كبار

(1) إبراهيم المشيقح: المرجع السابق ، ص 216 .

(2) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 1 ، ص 658. عمر بن فهد : إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تح : عبد الكريم علي باز ، ط1، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، 1988 ، ج 4 ، ص 260.

(3) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 2 ، ص 905.

(4) نفس المصدر، ج 1 ، ص 551.

(5) نفسه ، ج 2 ، ص ص 1188-1189.

(6) نفسه ، ج 2 ، ص 980.

(7) نفسه ، ج 2 ، ص 1049.

المحدثين والمؤرخين والأدباء والشعراء المنتمين لكبرى المدارس التاريخية خاصة المشرقية والمغربية مثل: الذهبي ، الأزرقى ، الكتبي ، ابن فرحون ، القطب الحلبي ، الفاكهي وغيرهم .

و- دراسة نقدية لكتاب "الدُر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين": من خلال الدراسات التي وقفت عليها استنتجت مجموعة من المحاسن والمآخذ لكتابات ابن فهد التاريخية من خلال كتابه "الدُر الكمين" وهي على النحو الآتي:

و-1- المحاسن: تميّز ابن فهد من خلال كتاباته التاريخية التي تضمّنّها كتابه "الدُر الكمين" بما يلي :

- ساهم التكوين العلمي والرحلات العلمية في بناء شخصيّة ابن فهد التاريخية حيث تلقى العديد من العلوم من كبار شيوخ المشرق الإسلامي، مكّة المكرمة خاصّة ورحلاته نحو العراق - الشام - القاهرة عامّة⁽¹⁾ .

- ابن فهد منذ نعومة أظافره اتّجه إلى العلوم الدّينية فحفظ القرآن الكريم متردداً على كبرى المجالس وهذا ما ساهم في تقوية ذاكرته واتباعه لعلم التاريخ ، لأنّه أكثر من دراسته لكتب الحديث والسيرة النبوية⁽²⁾ .

- مثلت مصر قبلة ثانية لإبن فهد التي من خلالها وصل إلى النّضوج الفكري والإتساع العلمي⁽³⁾ .

- يعتبر ابن فهد تلميذ المقرئزي، وكانت بينهما علاقة وثيقة مما جعل أستاذه يقول عنه أنّه محدث الحجاز ووصفه بالذكاء والفطنة، فيما أنّ المقرئزي مؤرخاً فقد أدرك الإتقان التاريخي لإبن فهد ليتمنى له الرشاد في كتابة التاريخ . ليؤلف لنا إثر ذلك كتابه متأثراً بالمدرسة التاريخية المصرية والمغربية⁽⁴⁾ .

- كتاب ابن فهد يتميز بخصوصيّة الكشف عن الجوانب العلمية في حياة الشخصية المترجم لها⁽⁵⁾ .

- منهج ابن فهد يبيّن تركيزه التام على دراسة العلاقة التي تربط المماليك بقضاة مكّة المكرمة والدليل على ذلك فإنّ أغلب المترجمين لهم إشتغلوا بمناصب قضائية آنذاك مثل : قاضي القضاة كمال الدّين أبو البركات⁽⁶⁾ .

- ربط ابن فهد بين منهجين ألا وهما منهج المحدثين والمؤرخين ، إذ دمّج بينهما في تراجمه فلم يعقل الجانبين أثناء الترجمة للشخصيّة فمثلاً عند ترجمته لمحمّد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي أشار إلى

(1) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 9 ، ص 281 . ج 10 ، ص 128 . تقي الدين الفاسي : العقد الثمين ، ج 3 ، ص

262. الشوكاني : البدر الطالع، ج 2 ، ص 292 . ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج 3 ، ص 422 .

(2) السخاوي : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 126 .

(3) نفس المصدر ، ج 6 ، ص 129 .

(4) نفسه ، ج 6 ، ص 130 .

(5) إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 211 .

(6) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 277.

كونه علامة، قاضي قضاة، فقيه، ناب في القضاء بمكة المكرمة ، ولي نظر المسجد الحرام، ثم ولي الخطابة والنظر والحسبة⁽¹⁾ .

- تميّز ابن فهد بتعدد موارد كتابه وتنوعها ؛ وهذا دليل على حبه للإطلاع وصدق وأمانته العلمية⁽²⁾ و-2- العيوب: قليلة المآخذ التي أخذت على كتابات ابن فهد التاريخية خاصة كتابه " الدرّ الكمين " لكننا نقف على بعض المآخذ أهمها :

- تدوين ابن فهد لكتابه يبيّن منحاه الديني أكثر من التاريخي⁽³⁾ .
- اتباع ابن فهد مناهج سابقه ومعاصريه متأثراً بمدارس خارج مكة المكرمة منها المدرسة المصرية وهذا ما لم يمنح للمدرسة المكية صبغتها الخاصة⁽⁴⁾ .
- اطلاع ابن فهد على كتاب " العقد الثمين " ومعرفته لمواطن قوته وضعفه، جعل كتابه يمثل ذيل له. فقد أكمل المحقق فهارس الكتاب ، ممّا ساهم في سهولة وصول القارئ للمعلومات، وإن لم يكن كذلك كان من الصعب الوصول إلى التراجم إلا بالبحث والتقصي لأجزائه حسب نظرنا⁽⁵⁾ .

المبحث الثالث: نتائج الدراسة المقارنة

3-1- نتائج الدراسة المقارنة بين كتابات المؤرخين ("ابن الفوطي" و"الغبريني") :

أ- من حيث حقول الكتابة التاريخية: بالعودة إلى محتوى كتاب ابن الفوطي " تلخيص مجمع الآداب في مُعجم الألقاب " خاصة الجزئين الرابع والخامس الذي جمع فيه تراجم الرجال والشيوخ من ذوي المكانة العلمية والاجتماعية بداية من أيام الجاهلية إلى غاية الربع الأول من القرن الثامن للهجرة⁽⁶⁾ ، أمّا كتاب الغبريني؛ فيتضمن مجموعة تراجم كذلك خلال العصرين الموحد والحفصي⁽⁷⁾ (المائة السابعة للهجرة) يعني أنّ كلا العصرين يندرجان ضمن كتب التراجم والسير ومصادر الطبقات .

(1) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 335- 343 . إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 212 .

(2) نفس المرجع ، ص ص 215- 218 .

(3) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 6 ، ص 129 .

(4) إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 165 .

(5) نفس المرجع : ص 187 .

(6) ابن الفوطي : مجمع الآداب ، مج 1 ، ص 11 .

(7) الغبريني : عنوان الدراية ، ص 15 .

فالكتاب ابن الفوطي يشمل تراجم مشرقية لاسيما ببلاد العراق والجزيرة⁽¹⁾ ، أمّا كتاب الغبريني فيشمل على تراجم لعلماء المغرب الأوسط عامّة خاصّةً البجائيين⁽²⁾ . وهما نطاقين مختلفين . شملت كتابات الغبريني وابن الفوطي التاريخية مختلف مجالات الحياة بالنطاقين (السياسية - الإقتصادية - الإجتماعية - الثقافية - الدينية) حسب نظرنا .

اختلاف فترة الدّراسة في كتابات كلا المؤرّخين فمؤلّف "عنوان الدّراية" حدّد في فترة المائة السابعة للهجرة حيث ترجم لكبار الفقهاء والعلماء الذين عاشوا في هذه الفترة مع ذكر بعض الذين سبقوا هذه الفترة (نهاية المائة السادسة) ؛ أي الذين عاصروهم أو عصرهم كان قريباً من عصره⁽³⁾ . أمّا ابن الفوطي فقد ألّف لتراجم شاملة لفترة طويلة منذ أيام الجاهلية إلى غاية القرن الثامن الهجري⁽⁴⁾ .

بالعودة إلى كتاب " عنوان الدراية " للغبريني فإننا نقف على ميزة ميّزته عن غيره كونه اختتم كتابه ببرناج فريد من نوعه لم يعتمد على أحد في تدوين مؤلفه (كتب التراجم والطبقات) أشار من خلال كتابه إلى مشيختهم ومدوناتهم وأثنى على كتاباتهم ، أمّا ابن الفوطي فقد اختتم أجزاء مؤلفه بخاتمة وفهارس عامّة وتفصيلية وجداول المستدرك⁽⁵⁾ .

ب- من حيث المنهج التاريخي عند (ابن الفوطي والغبريني): يتفق كل من ابن الفوطي والغبريني في كتاباتهما التاريخية على اتّباع المنهج القائم على الترتيب حسب الحروف ، لكن الغبريني ارتكز منهجه على العنونة بالحروف مبيّناً ذلك بقوله " كتاب العين " ، " كتاب الفاء " أي على شكل كتب خاصّة⁽⁶⁾ . أمّا الغبريني فقد انتهج منهج مؤرّخي التراجم القائمة على الترجمة حسب الحروف مع محاولة ربط العلماء المترجم لهم بأسانيفهم ومصادرهم الأولى ؛ وهو منهج انفرد فيه عن معاصريه . وإن عدنا إلى هذا النوع من المناهج فهي معروفة عند علماء الحديث آنذاك . بالإضافة إلى إرفاق ذلك بمجموع الأحداث التاريخية السائدة والتي لها أهميّة بالغة بحياته أو حياة من ترجم لهم⁽⁷⁾ . كما أنّني ألاحظ من جهة أخرى اتّباع الغبريني لأسلوب أدبي نثري أو شعري يُقال عنه أسلوب سهلّ وساطع جاذب للقارئ⁽⁸⁾ . على غرار ابن الفوطي الذي اتّخذ أسلوب معاصريه في عرض الأحداث والتراجم المتميّز بالترتيب المجدول⁽⁹⁾ .

(1) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج4 ، ق1 ، ص 46 .

(2) الغبريني : عنوان الدراية ، ص 20 .

(3) نفس المصدر ، ص 20 .

(4) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج1 ، ص 11 .

(5) نفس المصدر ، ج4 ، ق1 ، ص 637 . الغبريني : المصدر السابق ، ص 355 .

(6) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج4 ، ق1 ، ص 01 . ج4 ، ق3 ، ص 05 .

(7) محمد مرتاض : المرجع السابق ، ص 56 .

(8) عبد العزيز قلقيلة : المرجع السابق ، ص 123 .

(9) الصفدي : أعيان العصر ، ج3 ، ص 63 .

استنتجت ممّا سبق أنّ كلا المؤرّخين يتمتّعان بمنهجهما أو أسلوبها المنفرد الذي يتفقان فيه في تدوين التراجم ، ويختلفان في الإضافات على المنهج بطرق وأساليب جديدة مثل الأسلوب الدّعائي للأمرء وكبار الأعيان والعلماء... وغيرهم .

ج- من حيث منهجه في التعامل مع المصادر: نستنتج من خلال دراستنا أنّ كلا المؤرّخين اعتمدا في تدوين كتابهما سواء " عنوان الدراية " أو " تلخيص مجمع الآداب " على موارد متنوعة ومختلفة الميادين تتميّز بالشمولية ، مؤلّين إهتماماً كبيراً بما سمعوه من كبار الشيوخ أو من أهاليهم وأهالي المترجمين أو بلقائهم المباشر بمن ترجم لهم ، بالإضافة إلى مجموعة من المصادر المدوّنة التي برزت فيها المصنّفات التاريخية والأدبية التي تعود لكبار المؤرّخين الذين سبقوهم أو عاصروهم .

فبالعودة إلى مصادر ابن الفوطي فإننا نقف على عدّة مصنّفات المؤرّخين الكبار استقى منها معلوماته مثل : كتاب " الجامع المختصر " لابن السّاعي وكتابات ابن النّجار البغدادي وغيرهما⁽¹⁾ . إلى جانب إطلاعه على سجلات إدارية ؛ أمّا الغريبي فقد اطّلع كذلك من سجلات ووثائق إدارية وبرز ذلك من خلال الذكر أثناء الترجمة ، ومن المؤلفات التاريخية التي وقف عليها الغريبي كتاب " التذكرة في أصول علوم الدين " للمسيلي ، كتاب " الوافي " للجبيني... وغيرهما⁽²⁾ . ألاحظ كذلك أنّ كلا الكتّابين يتميّزان من حيث أنواع مصادر المادة التاريخية المستخدمة في الكتابات للتراجم ، وعدد استخدام كل مصدر ، بالإضافة إلى استخدامهما لبعض كتابات مؤرّخي الحديث - وذلك لتأثرهما بشيوخهما - .

3-2- نتائج الدراسة المقارنة بين كتابات المؤرّخين (تقي الدّين الفاسي " و "عمر بن فهد الهاشمي") :
 أ- من حيث حقول الكتابة التاريخية : أثناء دراستي لكتابات تقي الدّين الفاسي من خلال كتاب " العقد الثمين " وكتابات ابن فهد من خلال كتاب " الدرّ الكمين " فإننا نلاحظ تأثر ابن فهد بشيخه الفاسي من حيث تنوع الحقول التي ألّف فيها من خلال التراجم إذ تطرّق كلاهما لدراسة تراجم الفترة التاريخية محل الدّراسة ما بين القرنين (8 - 9هـ/14-15م) كما أنّ دراستهما شملت مختلف مجالات الحياة (السياسية - الإجتماعية - الإقتصادية - الثقافية - الدينية) التي صوّرت في أسطر التراجم المكّين وصفحاتها .
 متتبعين أخبار مكة المكرمة حسب ما شهد أو وصله من معلومات . حيث اتّضح من خلال المؤرّخين سعيهما إلى إستكمال جمع وتلخيص ما توصل إليه السابقون متمنيين الأحداث التاريخية التي تلي تلك الفترة إذ نقل الفاسي في كتابه " أخبار مكة " من " تاريخ مكة " للأزرقى والفاكهي ، وعن الفاسي نقل ابن

(1) حمود مضغان : المرجع السابق ، ص ص 104 - 161 .

(2) الغريبي : عنوان الدراية ، ص 143 .

فهد عن الفاسي نفس الأخبار مكملاً إيّاها بعد تلك الفترة⁽¹⁾؛ يعني بذلك تأثر كلا المؤرخين بكتابات مكّيّة سابقة لعهدهم وإكمالها .

أتضح ممّا سبق أنّ كتابات كلا المؤرخين حول أخبار مَكّة المكرمة أضفت على المدرسة التاريخية المكّيّة سواء أكانت كتب تراجم وطبقات أو غيرها ، إلا أنّ كتاب الفاسي " العقد الثمين " عُرف بضخامته جامعاً ثلثة من التراجم المكيين منذ بداية التاريخ الإسلامي إلى غاية عصره . فقد وصلنا منه ثمانية أجزاء محققة من قبل أربعة محققين⁽²⁾ . على غرار كتاب ابن فهد " الدرّ الكمين " الذي يعتبر ذيل لكتاب الفاسي أرخ منذ القرن الأول الهجري شاملاً تراجم لمكيين غطى من خلاله رجالات مَكّة ممّن جاء في كتاب الفاسي أو سهى شيخه عن ذكرهم ، وجاء في ثلاثة أجزاء إضافة إلى مقدمة المحقق عبد الملك بن دهيش⁽³⁾ .

فمن خلال متابعتي للمؤلفين فإنني لاحظت تناول المؤرخين للنواحي السياسية والإدارية من الدرّجة الأولى خاصّة الأحداث التي عاصرها كلا المؤرخين وكانا شاهدي عيان عليها ، وهذا يضيفي على المؤلف قيمة تاريخية باعتبارهما مصدرين أساسيين لها . وليس ذلك فقط وإنّما قد صورنا لنا الحياة الإجتماعية مبرزين مكانة التراجم التي احتواها المؤلفين في أواسط المجتمع المكي والمشرقي من خلال شهرتهم العلمية ، كما أنّ المؤلفين لم يركزا على ذكر الطبقة السياسية فحسب ، بل يذكران أعمال تراجم أثرت على المجتمع آنذاك داخل وخارج مَكّة ومن أمثلة ذلك :

- جاء في كتاب " العقد الثمين " للفاسي ترجمة لمحمّد بن حسب الله القرشي الأموي المكي الذي عرف بإحسانه لعامّة المجتمع حتى اشتهر بلقب الرّعيم دون إعتلائه المكانة السياسية⁽⁴⁾ .
- جاء في كتاب " الدرّ الكمين " لعمر ابن فهد ترجمة لخليفة الجزائر صاحب التأثير الإجتماعي فقد قيل عنه " كان ذا المال وفيه نفع للفقراء ، وكان أهل الصّلاح يعتمدون عليه "⁽⁵⁾ .

ب- من حيث المنهج التاريخي عند المؤرخين (تقي الدين الفاسي" و "عمر بن فهد الهاشمي") :
تعتبر كتابات المؤرخين التاريخية مصادر أساسية في التدوين التاريخي والديني للفترة الزمنية محلّ الدراسة مشرقاً ومغرباً لما احتوته مصادرهم من معلومات وأخبار عصرهم ، معتمدين نفس المنهج إذ تؤكد الدراسات التاريخية اطلاع ابن فهد الدقيق على كتاب " العقد الثمين " للفاسي وتحديداه لمواطن القوّة والضعف التي جاءت في طيّاته ويضيفي عليها معلومات تم ذكرها من قبل المحقق محمود محمد الطباخي

(1) تقي الدين الفاسي : الزهور المقتطفة ، ص 16 .

(2) عمر بن فهد : الدرّ الكمين ، ج 1 ، ص 08 .

(3) نفس المصدر ، ص ص 31 . 32 (مقدمة المحقق) .

(4) الفاسي : العقد الثمين ، ج 1 ، ص 455 .

(5) عمر بن فهد : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 721 .

الذي حقق كتاب " العقد الثمين "قائلاً في تهميش الكتاب " من هنا إلى آخر الترجمة من ك . وهو من زيادات ابن فهد تلميذ المصنّف " (1) .

رغم الإضافات التي أضفاها ابن فهد على كتاب "العقد الثمين" الفاسي شيخه ، إلا أنه عُرف بالالتزام وأمانته العلمية لمنهجه الأصلي باعتباره مكملاً للمسيرة ، وبذلك إبقاء روح الكتابة واحدة من ناحية الأسلوب والمنهج (2) .

الإلتزام لا يعني التشبث بما سار عليه شيخه ، وإنما أحياناً ألاحظ خروج ابن فهد عن منهج شيخه الفاسي تجنباً لمواطن الضعف التي كان يراها حسب رأيه مثلاً : النساء اللواتي ترجم لهنّ هناك البعض منهن لم تكن مشهوراتٍ أو نوات مكانة إجتماعية وعلمية أو لهنّ علاقة بالأسرة الحاكمة أو زوجات شخصيات علمية بل كانت من عائلة إحدى النساء أو الرجال المترجم لهن فقط عمل بركة إبنة عبد الرحمان بن عبد العزيز النويري التي لم يذكرها لها أي إنجاز فقط كونها أخت أبي الفضل ، أمها إنه إبراهيم الجيلاني ، وينتهي بتاريخ وفاتها (3) .

صبغة المحدث عند عمر ابن فهد بدت واضحة في كتاباته على غرار الفاسي ، فكانت ابن فهد يضيف على تراجمه بعض الأحاديث الشريفة مثل ما جاء فيما يلي :

- عند ترجمته لعبد الرحمان بن يحيى الزهري قاضي مكة ذكر حديث عن حفصة بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن جده عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قال المؤمن : الله أكبر الله أكبر وقال أحدكم : أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ... ، فقال أحدكم : لا إله إلا الله من نفسه دخل الجنة " (4) .

نستنتج مما سبق التأثير الوطيد بين مؤرخي العصر الوسيط بمكة المكرمة ، فكلا المؤرخين تأثرا بمدارس سبقتهم ودونوا إثر ذلك مؤلفاتهم ؛ فالفاسي استفاد من صنّف قبله وما تلقاه من أخبار ومعلومات ليجرّر لنا مؤلفاً يميّز بالتنسيق العلمي (5) . أمّا ابن فهد فقد تأثر من شيخه الفاسي ليتم عملهُ على نفس النهج ويعتبر ذيلًا مكملاً لكتابه (6) .

ج- من حيث منهجه في التعامل مع المصادر: حتمية التأثير بين كتابات المؤرخين تقي الدين الفاسي وعمر ابن فهد واضحة وجليّة لاعتمادهما نفس الموارد أثناء ترجمتهما للتراجم التي تضمنتها مؤلفاتهم

(1) الفاسي : العقد الثمين ، ج8 ، ص 304 ، إبراهيم المشيخ : المرجع السابق ، ص 187 .

(2) أحمد المشيخ : المرجع السابق ، ص 188 .

(3) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج3 ، ص 1404 .

(4) نفس المصدر ، ج2 ، ص 834 .

(5) محمد الحبيب الهيلة : المرجع السابق ، ص 115 .

(6) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ص 32 (مقدمة المحقق) .

التاريخية " العقد الثمين " و " الدر الكمين " كما أنّهما يختلفان في ذكرهما لبعض الموارد المستعملة أثناء التحرير، وإن اختلفت المصادر فالطريقة واحدة بينهما .

فوجد تقيّ الدين الفاسي اعتمد في تحريره لأصحاب التراجم التي سبقت القرن الثامن الهجري/ السابع عشر الميلادي، ومن الموارد التي أتبعها تقيّ الدين الفاسي في كتابه عن هذه الحقبة الزمنية مايلي:

- كتابي " تاريخ الإسلام " و "ميزان الاعتدال" للذهبي : الذي استقى منهما معلومات تخصّ تراجم عدّة منها : محمّد بن حامد بن الحارث البغدادي وغيره⁽¹⁾.

- كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر: الذي استقى منه أخبار عن ترجمة محمّد بن عبد الرّحمان بن عثمان الأنصاري الخزرجي⁽²⁾.

- كتاب "أسد الغابة" لابن الأثير: نقل عنه الفاسي معلومات تخصّ أحمد بن حفص المخزومي⁽³⁾.

- كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير: استقى منه الفاسي أخبار بعض التراجم التي احتواها مؤلفه.

- كتاب "الإستيعاب" لابن عبد البر: أشار فيه لترجمة عكرمة بن كلاب القرشي العبدي⁽⁴⁾.

كما اعتمد على مصادر معاصرة له أو روايات عن أشخاص التقى بهم ، فلذلك لم يكن بحاجة إلى موارد أخرى لتحرير تراجم مؤلفه، لأنّه معاصر لهم بالموطن المكيّ أو بالإستقرار بل ربّما نقل عنهم مباشرة تراجم حياتهم⁽⁵⁾.

أمّا ابن فهد فقد سار على نفس نهج شيخه في عرض مادته إذ اعتمد على موارد عدّة في الترجمة للرجال والنساء الذين لم يعاصرهم ومن أهمّ الكتب التي إعتدها نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب البلدانيات لابن عساكر⁽⁶⁾، وكتاب تاريخ ابن الأثير⁽⁷⁾، وتاريخ ابن خلكان⁽⁸⁾، بالإضافة إلى تاريخ الأزرقى⁽⁹⁾، وتاريخ الإسلام للذهبي⁽¹⁰⁾، وغيرهم كثر في ميادين متنوعة كعلم الحديث والأدب والتاريخ التي هي من تأليف كبار المؤرّخين الذين ينتمون لكبرى المدارس التاريخية آنذاك .

(1) الفاسي : العقد الثمين ، ج 1 ، ص 452 .

(2) نفس المصدر ، ج 2 ، ص 107 .

(3) نفسه ، ج 3 ، ص 36 .

(4) نفسه ، ج 1 ، ص 119 .

(5) إبراهيم المشيقح : المرجع السابق ، ص 186 .

(6) عمر بن فهد : الدر الكمين ، ج 1 ، صفحات 186 - 192 - 466 . ج 2 ، ص 851 .

(7) نفس المصدر ، ج 1 ، ص 470 .

(8) نفسه ، ج 1 ، ص 120 .

(9) نفسه ، ج 1 ، ص 56 . ج 2 ، ص 1628 .

(10) نفسه ، ج 2 ، ص 995 .

كما اعتمد ابن فهد على غرار تقي الدين الفاسي على مورد اشتهر في عصره لكن الفاسي لم يُؤل له أهمية وهو مصدر الكتابة القائم على اعتماد شواهد القبور المكتوبة والمدون فيها تاريخ وفاة المترجمين لهم مثل ما جاء في ترجمة محمّد عبد الكريم بن عبد الرحمان الشيباني قائلاً الفاسي : " رأيت خطة في شهادة بمكتب مؤرخ بثاني عشر ربيع الأوّل سنة إثنيتين وتسعين وستمائة" (1) . ومن هنا نلاحظ التشابه الكبير في تعامل كلا المؤرخين مع التراجم معتمدين جملة مصادر تاريخية .

خلاصة الفصل الخامس يمكننا القول أنّ ؛ الكتابات التاريخية لأغلب المؤرخين تميّزت بأساليب ومناهج متنوعة الحقول ، استقاز منها عدة باحثين خاصّة كتابات ابن الفوطي والغبريني وكذا تقي الدين الفاسي وعمر ابن فهد، باعتبارها كتب تراجم شاملة لمختلف شرائح المجتمع المغاربي والمشرقي . استخدم في تدوينها أساليب أدبيّة تميّز بالسهولة والسلاسة بل اهتمّ مؤرخيها بالوصف والنقد والتمحيص والتعليق على بعض الروايات التي تتضمنها مؤلفاتهم ، كاشفين عن أحداث وأخبار لم يتوصل لها من سبقوهم بمكّة عبر القرون الماضية .

(1) عمر بن فهد : الدر الكمين، ج1 ، ص 151 .

خاتمة

خاتمة :

- نستنتج ممّا سبق أنّ الكتابات التاريخية ببلاد المشرق والمغرب ما بين القرنين (7 - 9هـ / 13 - 15م) شهدت ما يلي :
- تعدد المصادر التاريخية التي تؤرّخ لمناطق العالم الإسلامي ما بين القرنين (7 - 9هـ / 13 - 15م) في مختلف المجالات (السياسية . الإقتصادية . الإجتماعية) .
 - أغلب الكتابات المشرقيّة والمغربيّة صيغ أسلوبها بلغةٍ سلسةٍ سهلة مشوّقة ، تتسمّ بالسرد والوصف وروعة التصوير مما أكسبها جمالية وتميّز أدبي وتاريخي .
 - أضفت الكتابات التاريخية قيم إيمانية تجسّدت في محتوياتها خاصة أنّ أغلب المؤرّخين برعوا في ميدان الحديث قبل تأليفهم لمؤلفاتهم التاريخية التي برعوا فيها أمثال : السخاوي ، ابن الجزري السمهودي، المحب الطبري، ابن أبي أصيبعة. على غرار كبار المؤرّخين أمثال ابن خلدون ، المقرئزي الغريني ، ابن فهد ... وغيرهم كثير .
 - ساهمت عواملٌ عدة في ازدهار الكتابة التاريخية المشرقية والمغربية في الفترة محلّ الدراسة ، ويعود ذلك إلى عوامل عدّة داخلية كالإستقرار السياسي والمذهبي أو تأثير الإضطرابات على الأوضاع الداخلية بالإضافة إلى إهتمام السُلطة بالعلماء والمؤرّخين وإحتوائهم لهم نتيجة عوامل طارئة تخصّ نطاقهم أدت إلى ارتحالهم . إذ تؤكّد أغلب الدّراسات دور الرحلة في تأصيل روابط التواصل من المنطقتين .
 - تتشابه اتجاهات الكتابة التاريخية بالنّطاقين مما ساهم في تحريرهم لمؤلفات يصعب المقارنة بينها ما عدا البعض منها .
 - عملية رصد الكتابات التاريخية بالنّطاقين خلال القرون (7 - 9هـ / 13-15م) عملية شاقة للباحث وذلك بسبب ضياع عدّة مؤلفات تاريخية .
 - الكتابة التاريخية عند مؤرّخي المشرق والمغرب الاسلامي سارت على نهج متطوّر في تأريخ التاريخ حيث حفظوا لنا من خلال كتبهم نصوص تاريخية ذات أهمية عظيمة من خلالها توصلنا إلى معرفة مؤرّخي السلطة ، وإبراز دور الأسر العلمية ، تاريخ النّطاقات محلّ الدّراسة ، تتبع المناهج التاريخية السائدة قبل وخلال الفترة محلّ الدّراسة .
 - تأثر منهج الكتابة التاريخية بجملة عوامل سواء أكانت أوضاع العصور التي عاشها المؤرّخين أو يعود ذلك لتكوينهم العلمي ، إذ تضافرت جهود عدة لتكوين شخصية المؤرّخ ؛ وهذا يفسّر لنا وجود قواسم مشتركة بين رواد المدرسة التاريخية بالمنطقتين خلال الفترة محل الدراسة .
 - اصطبغت المرحلة ببيروز نماذج من الكتابة التاريخية ذات توجيه نحو البلاط اهتمت بسيرة الأسر الحاكمة وبطولات الحكام والسلاطين وصراعاتهم الداخليّة والخارجية .
 - أغلب المؤرّخين الذين دونوا مؤلفاتهم في الفترة محلّ الدّراسة جمعوا بين التاريخ من جهة والفقّه والأدب وعلوم أخرى من جهة ثانية ، وهذا دليل وثيق على علاقة التاريخ بمختلف العلوم .

- بروز مؤرخين كبار بمؤلفاتهم التاريخية وهم: ابن خلدون، المقرئزي، ابن العديم، ابن سعيد ، الغبريني ابن الفوطي، الفاسي، ابن فهد تميزوا في دراستهم بإتقان فن التراجم . فعند وصفهم للتراجم يسردون مختلف الأحداث الخاصة بالنطاقات محل الدراسة بأساليب سهلة وبسيطة خالية من غرابة الألفاظ ، يمكن فهم معانيها لتداول مصطلحاتها عبر العصور .

- استخدم المؤرخون أسلوب وصفي إخباري مليء بالمحسنات البديعية والصُّور البيانية التي تزيد من جماليات المؤلف .

- أثناء المقارنة بين جل المؤلفات التي تم التطرق إليها لاحظت مايلي :

1- تشابه الطرح التاريخي بين ابن خلدون والمقرئزي القائم على النقل والسرد للأخبار والوقائع يدل على أخذ التلميذ النجيب المقرئزي عن شيخه ابن خلدون واعتمادهما على نفس المصادر ، رغم القطيعة بينهما في المنهج.

2- تنوع المواضيع التي تناولها كل من ابن سعيد وابن العديم في تدوينهما للمؤلفين محل الدراسة ضمن التاريخ المحلي نوقشت بأساليب ومناهج ومصادر متنوعة تتشابه تارة وتختلف تارة أخرى، رغم اختلاف النطاقات مشرقا ومغربا ، ويعود ذلك لتأليف ابن سعيد مؤلفه بالموارثة على عكس كتاب ابن العديم دون فرادى.

3- كلا من مؤلفي ابن الفوطي والغبريني محل الدراسة يندرجان ضمن كتب التراجم والسير، ويختلفان من حيث الفترة الزمنية للدراسة .

4- تأثر واضح لابن فهد بشيخه الفاسي في تدوين مؤلفه حتى قيل أن مؤلف التلميذ تلخيص مكمل لشيخه ، والدليل على ذلك طبيعة عناوين المؤلفين " العقد الثمين" و" الدر الكمين" ، وكذا تشابه الأسلوب والمنهج.

وأخيراً نأمل أن تُسدَّ دراساتنا فراغ المقارنات التي تقف عائقا أمام الباحثين ، ومهما بذلتُ من جهد فستبقى الدراسة ناقصة ، لأنَّ الكمال لله عز وجل ، كما نأملُ أن يَسُدَّ الباحثون الأكاديميون كلَّ نقص بدراساتهم وأن يُزوِّدونا بمقارناتهم للمصادر التاريخية لتبيان أوجه التشابه والاختلاف بينها خاصة مصادر الفترة ما بين (ق7-9هـ/13-15م) لناخذ بدراساتهم في المستقبل القريب .

نسأل الله عز وجل أن يأخذ بأيدينا إلى كل ما فيه خير وصواب إنَّه نعمة من نعم المولى الهادي لكلِّ صوابٍ .

الملاحق

الملاحق:

الملحق رقم (01): مقتطف عن سبب تأليف المقريري كتابه " الخطط"

فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة، وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب. إلا أنها ليست بمرتبة على مثال، ولا مهذبة بطريقة ما نسج على منوال. فأردت أن أخلص منها أبناء ما بديار مصر من الآثار الباقية، عن الأمم الماضية والقرون الحالية، وما بقى بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم، ولم يبق إلا أن يحور رسمها الفناء والعدم.

وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة، وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع، وحوته من المباني البديعة الأوضاع، مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأمائل، والتنويه بذكر الذى شادها من سراة الأعاضم والأفاضل. وأنشر خلال ذلك نكتاً لطيفة، وحكماً بديعة شريفة، من خير إطالة ولا إكثار، ولا إجحاف مخل بالغرض ولا اختصار، بل وسط بين الطرفين، وطريق بين بين.

فلهذا سميته «كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار».

وإنى لأرجو أن يحظى -إن شاء الله تعالى- عند الملوك، ولا ينبو عنه طباع العامى والصعلوك، ويجله العالم المنتهى، ويعجب به الطالب المبتدئ، وترضاه خلائق العابد الناسك، ولا يمجحه سمع الخليع الفاتك، ويتخذة أهل البطالة والرفاهية سمرأ، ويعدده أولو

المصدر: المقريري: الخطط، ج1، ص06.

الملحق رقم (02): نموذج من منهج ابن سعيد المغربي في التدوين التاريخي

كِتَابُ وَشَى الطُّرْسِ فِي حُلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ

الذي صنفه بالموارثة في مائة وخمس عشرة سنة
سنة من أهل الأندلس :

أبو محمد الحجاري	عبد الملك بن سعيد
أحمد بن عبد الملك	محمد بن عبد الملك
موسى بن محمد	علي بن موسى

ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة كتب ، هي :

- ١- كتاب الطُّرْسِ فِي حُلَى غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ
- ٢- كتاب الشَّفَاهِ اللَّعْسِ فِي حُلَى مَوْسَطَةِ الْأَنْدَلُسِ
- ٣- كتاب الْأَنْسِ فِي حُلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ

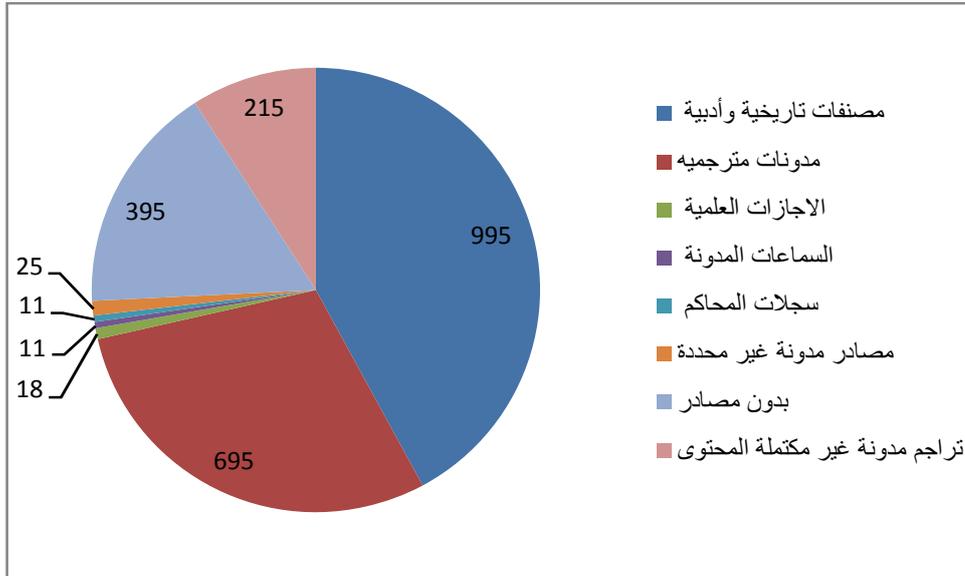
المصدر : ابن سعيد المغربي : المغرب ، ج1، ص33.

الملحق رقم (03): نماذج عن مجموع المصادر التاريخية التي اعتمدها ابن
العديم في تدوين مؤلفه "بغية الطلب"

رقم الصفحة	المؤلف	اسم الكتاب
٢٦٩٧ - ٤٠١٠ - ٤١٦٥	محمد بن محمود النجار	التاريخ المجدد لعروة السلام
٤١٩١ - ٤١٩٥ - ٤٢٣٥		
٤٢٤٠ - ٤٢٦٩ - ٤٥٩٢	محمد بن علي بن شعيب	تاريخ مختصر
٢٨٤٩	ابن يونس	تاريخ مصر
٢٨١٥ - ٢٥٥٧	عبيد الله بن محمد بن سعيد	تاريخ مصر وذكر ولائها
٨٢٣	الخالديان	تاريخ الموصل
٤٤٠	ابن الأزدق	تاريخ ميافارقين
٢٢٠١	محمد بن الحسن الزبيدي	تاريخ النعمانيين
٢٤٤٦	أبو عبد الله الحاكم	تاريخ نيسابور
٨٥٥	غير معروف المؤلف	تاريخ
١٧٦	ابراهيم بن حبيب السقطي	تاريخ
٢٥٣٢	احمد بن محمد الخزامي	تاريخ
١١٠٩	ثابت بن سنان	تاريخ
٢٤٧٢ - ٢٥٣٧	الحسن بن علي الداري	تاريخ
٢٧٤٢ - ٢٦٦٧ - ٢٤٩٢	حماد بن هبة الله الحراني	تاريخ
١٥٣٣ - ١٢٩٤ - ٨٢	حمدان بن عبد الرحيم	تاريخ
٤٢٣٨ - ١٩٦٩	خليفة بن خياط	تاريخ
٣٩٧٨	سعيد بن البطريق	تاريخ
٥٨١ - ٨٤	سعيد بن كثير	تاريخ
٢٤٧ - ٥٨٠ - ٢١٦٩ - ٢١٧٦	السليل بن أحمد	تاريخ
٤٢٩١	عبد الله بن أحمد الفرغاني	تاريخ
٦٨٠	القطربلي وأبن أبي الأزهر	تاريخ
٩٣١ - ٩٢٠ - ٦٥٣ - ١٠٩		
١٩٢٠ - ٢٥٥٣	عبد الواحد بن مسعود	تاريخ
١٨٢٦ - ١٩٥٨ - ١٩٦٧		
٢٦٥٦ - ٢٦٩٩ - ٤٢٦٦		
٧٦١ - ٩٠٥ - ١٩٧٧ - ٢٢٣١	علي بن مرشد	تاريخ
٢٤٩٤ - ٢٤٩٧ - ٢٥١٦		

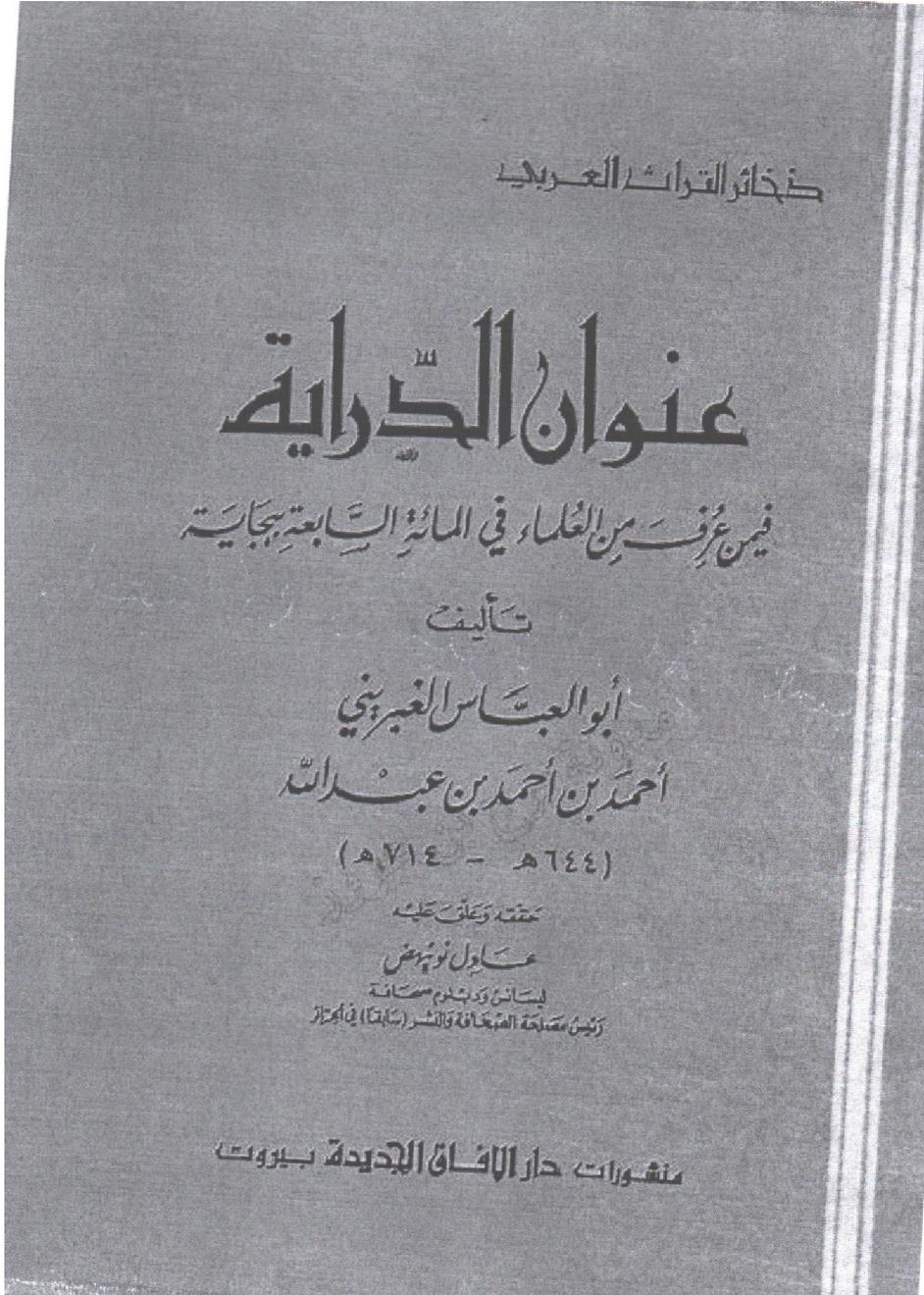
المصدر: ابن العديم : بغية الطلب ، ج 12 ، ص 5847.

الملحق رقم (04): دائرة نسبية تمثل توزيع التراجم الذين ترجم لهم حسب المصادر المدونة (كتاب تلخيص ابن الفوطي)



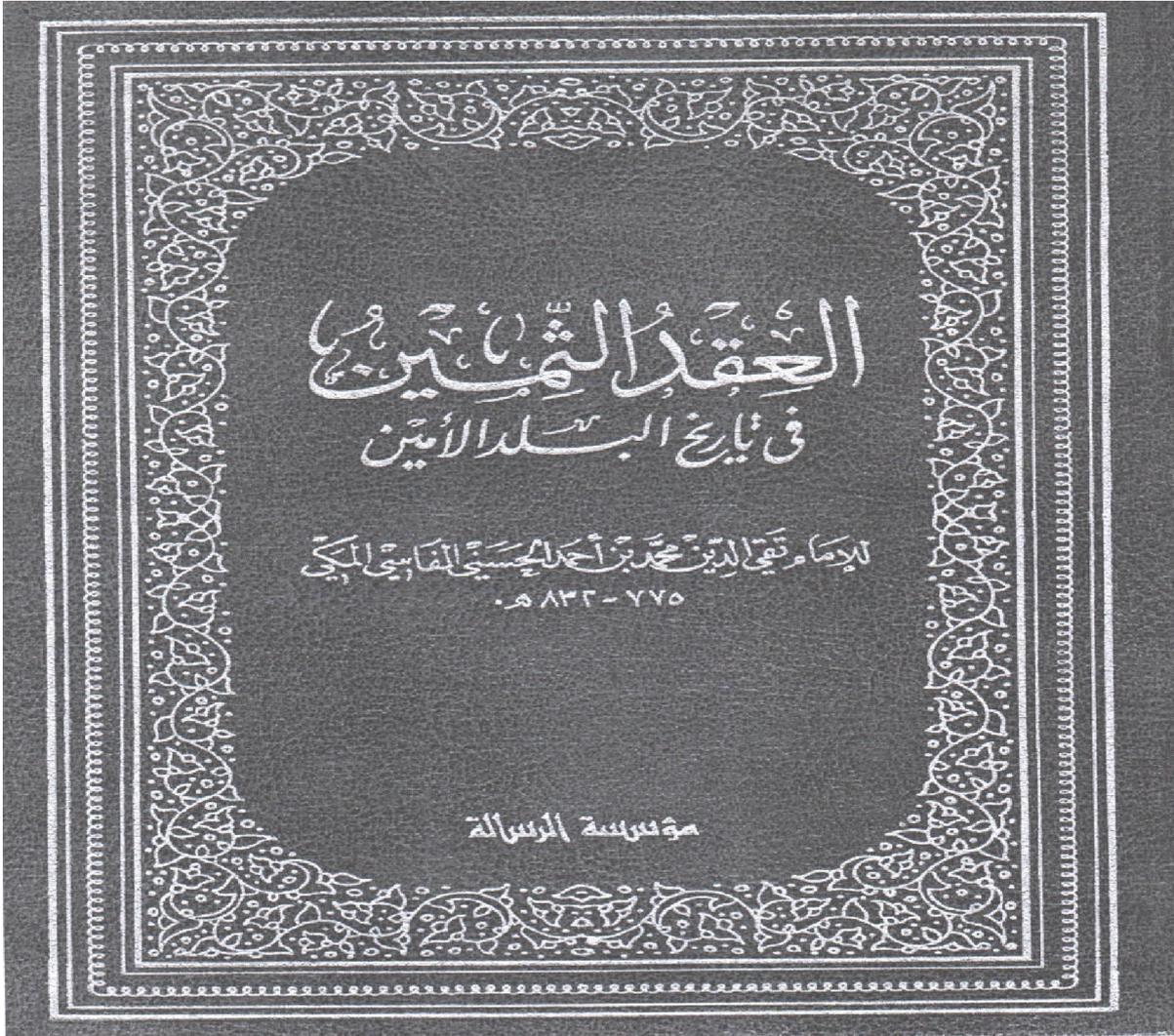
المرجع: حمود مضغان : المرجع السابق ، ص ص 104- 161 .

الملحق رقم (05): واجهة كتاب الغبريني " عنوان الدراية "



المصدر: الغبريني : عنوان الدراية ، واجهة الكتاب.

الملحق رقم (06): واجهة كتاب " العقد الثمين " لتقي الدين الفاسي



المصدر: الفاسي: العقد الثمين، واجهة الكتاب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم بالرسم العثماني: برواية ورش بقرأة الإمام نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق، القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

1-المصادر :

1. ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت658هـ/1259م):
 - إعتاب الكتاب ، تح : صالح الأشر ، ط1 ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1961م .
 - المعجم في أصحاب القاضي الصدي ، تح : إبراهيم الأبياري ، ط1 ، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني ، بيروت - القاهرة ، 1989م.
 - التكملة لكتاب الصلة ، تح : عبد السلام الهراس ، ط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1995م.

2. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت 630هـ/1232م):
 - اللباب في تهذيب الأنساب ، دط ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دت.
 - الكامل في التاريخ - تاريخ ابن الأثير- ، دط ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، دت .
 - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تح : عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة القاهرة ، 1963م .

- الكامل في التاريخ ، تصحيح: محمد يوسف الدقاق ، ط4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م.
 - الكامل في التاريخ ، ط4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م.
 - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2012م.

3. ابن الأحمر، أبي الوليد إسماعيل (ت708هـ/1308م):
 - مستودع العلامة ومستبدع العلامة ، اعتمادا على نسختين ، تح : محمد التركي التونسي ، محمد بن تاويت التطواني، المركز الجامعي للبحث العلمي (مولاي الحسن للبحوث) ، كلية الآداب والعلوم السياسية الرباط ، 1964م.

- أعلام المغرب والأندلس - وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان - ، تح : محمد رضوان الداية ، دط ، مؤسسة الرسالة ، وهران ، 1975م .

- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن من كتاب نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان تح : محمد رضوان الداية ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1976م.

- أعلام المغرب والأندلس . هو كتاب نثير الجمان في شعر نظمنا وإياه الزمان ، تح: محمد رضوان الداية ، ط2 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987م.

- تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تح : هاني سلامة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد الظاهر 2001م.

- 1 - تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001م.
4. الأدفوي ، الشافعي أبي الفضل كمال الدين (ت748هـ/1348م) :
- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تح: سعد محمد حسن وطه الحاجري ، د ط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر، 1966م.
5. ابن الأزرق أبي عبد الله (ت896هـ/1493م) :
- بدائع السلك في طبائع الملك ، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، تح: علي سامي النشار ، القاهرة ، 2008م.
6. الأزرق ، أبي الوليد(ت250هـ/837م):
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تح : عبد الملك دهيش ، ط1 ، مكتبة الأسدي للنشر السعودية 2003 .
7. الأصفهاني، عماد الدين (ت597هـ/1201م):
- سنا البرق الشامي (562هـ/1166م - 583هـ/1187م) ، تح: فتحية النبراوي ، دط ، مكتبة الخانجي ، مصر، 1979م.
8. ابن أبي أصيبعة ، أحمد ابن القاسم السعدي الخزرجي (ت668هـ/1269م):
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح: عامر النجار، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1996م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دط ، المطبعة الوهبية ، مصر، 1882م.
9. الأندلسي ، أبي عبد الله محمد بن محمد(ت521هـ/1149م) :
- الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، تونس 1287م.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، تح : محمود علي حماية ، ط3 ، دار المعارف للنشر القاهرة ، 1984م .
10. البرادي ، أبي القاسم بن إبراهيم (ت810هـ/1407م):
- الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات ، تصحيح وتعليق : أحمد بن سعود السيابي ، ط1 دار الحكمة ، لندن ، 2014م.
11. البغدادي ، ابن رجب (ت795هـ/1393م):
- الذيل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، دت.
12. البغدادي ، الخطيب أبو بكر بن علي بن ثابت (ت463هـ/1071م) :
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تح : مصطفى عبد القادر عطا، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2004م.

13. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق (ت 739هـ/1339م):
- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة ، والبقاع تح: علي محمد البجاوي ، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1954م.
14. ابن بكر أبو عبد الله محمد (ت827هـ/1423م):
- العيون الغامزة على خبايا الرامزة ، تح: الحساني حسن عبد الله ، ط2، الناشر، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1994م .
15. البكري ،أبي عبيد (ت487هـ/1094م):
- المغرب في ذكر بلاد إفريقية المغرب ، دط ، مكتبة المثني ، بغاد ، دت .
16. البلاذري ، أبي العباس أحمد (ت279هـ/892م):
- فتوح البلدان ، تح: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، دط ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، دت.
17. البلوي ، خالد بن عيسى(ت780هـ/1378م):
تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تح: الحسن السائح ، دط ، نشر اللجنة المركزية، الرباط 1978م.
18. البيدق ، أبي بكر علي الصنهاجي(كان حياً 6هـ/1182م):
- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1971م.
- كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور ، دط ، دار المنصورة للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971م.
19. ابن بيطار، ضياء الدين أبو محمد ابن بلبان (ت 646هـ/1248م):
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، تح : عبد الحليم منتصر، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، 1995م.
20. الترمذي ، أبي عيسى (ت679هـ/1279م) :
- الجامع الكبير، تح ، بشار عواد معروف ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996م.
21. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن(ت874هـ/1469م) :
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تح: محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور ، دط ، الهيئة العامة المصرية ، القاهرة ، 1984م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ط2 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1998م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، د ط ، مطبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة ، القاهرة (مصر) ، 2016م.

22. التلمساني ، أبي عبد الله الشريف (ت771هـ/1369م):
 - روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار ﷺ، مخطوط خزانة مكتبة المؤسسة الملك عبد العزيز
 الدار البيضاء ، دت ، رقم المخطوط 381 ، ورقة 189.
 - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة: محمد ابن أبي شنب، دط ، طبع في المطبعة
 الثعالبية الجزائر، 1908م.
 - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تح : محمد بن أبي شنب ، ط1 ، مطبوعات الجامعية
 الجزائر، 1986م .
 - مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، تح : محمد علي فركوس ، ط1 ، المكتبة الملكية
 مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998م.
 23. التلمساني ، المالكي أبي العباس أحمد بن زكري (900هـ/1443م):
 - غاية المرام في شرح مقدمة الامام ، تح: محند أوادير مشنان ، ط1 ، دار التراث ناشرون- دار ابن
 حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر- بيروت ، 2005م.
 24. التنسي ، محمد بن عبد الله (ت899هـ/1494م):
 - نظم الدر والعقيان ، تح: نوري سودان، دار النشر فرانس شتاينر بقسبادن ، بيروت، 1980م .
 - الطراز في شرح ضيظ الخراز، تح : أحمد بن أحمد شرشال ، دط ، مجمع الملك فهد للطباعة
 المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، 2000م.
 - تاريخ بن زيان ملوك تلمسان، تح، محمود آغا بوعبيد، دط، طبعة وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان
 عاصمة الثقافة الإسلامية ، الجزائر، 2011م.
 25. الثعالبي ، عبد الرحمن (875هـ/1471م) :
 - تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تح: علي معوض - عادل عبد
 الموجود ، ط1، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان ، 1418 هـ .
 - غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد - فهرسة مرويات المؤلفات - ، تح: محمد شايب شريف ، ط1
 دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2005م .
 26. الجرجاني ، السيد الشريف علي بن محمد (ت816هـ/1413م):
 - شرح المواقف- ومعه حاشيتنا السيالكوتي والحلبي- ضبط وتصحيح: محمود عمر الدمياطي ، ط1
 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م .
 27. الجرجاني ، محمد بن علي بن محمد (729هـ/1329م):
 - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، تح: عبد القادر حسين طبعة منقحة ، مكتبة الآداب للنشر
 القاهرة ، 1997م .

28. الجزري ، ابن صقيل (ت701هـ/1301م):
 - المقامات الزينية ، ط1، دار المسيرة ، عمان ، 1980م.
29. ابن الجزري، الدمشقي شمس الدين (ت833هـ/1428م):
 - غاية النهاية في طبقات القراء، تح وتص: ج، برجستراسر، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1971م.
- النشر في القراءات العشر ، تح : علي محمد الضباع ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 2009م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، تح: ناصر محمدي محمد جاد ، ط1، دار الآفاق للنشر والتوزيع، القاهرة 2010 م.
30. الجزنائي ، علي (ت 807هـ/1405م):
 - جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تر: عبد الوهاب ابن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية القاهرة، 1991 م .
31. ابن جماعة ، بدر الدين أبو عبد الله الكناني(ت767هـ/1366م):
 - مشيخة قاضي القضاة ، تح : موفق بن عبد الله ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988م.
32. ابن الجوزي سبط ، شمس الدين يوسف(ت656هـ/1257م):
 - مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تح : إبراهيم الزبيق ، ط1 ، دار الرسالة العلمية ، بيروت 2013م.
33. ابن الحاج النميري ، إبراهيم بن عبد الله (ت768هـ/1367م):
 - فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، إعداد: محمد ابن شقرون ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 م .
34. بن حبيب ، حسن بن عمر (ت779هـ/1377م):
 - تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه ، تح: محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، ط1 ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1982م.
35. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت852هـ/1448م):
 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، ط1 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1994م.
- لسان الميزان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة ، ط1، مكتب المطبوعات الاسلامية ، بيروت 2002م.
36. أبو حمو، موسى الثاني(ت791هـ/1390م):

- كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، دط ، المطبعة التونسية للنشر، تونس ، 1279هـ .
- كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك ، تح : محمود بوترة ، دار النعمان - دار شيماء للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م.
37. الحموي ، شهاب الدين (ت626هـ/1229م):
- معجم البلدان ، دط ، دار صادر ، بيروت ، 1977م.
- معجم البلدان ، ط3 ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
38. الحنفي ، محمد بن أحمد ابن إلياس (ت 930هـ/ 1523م) :
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تح: محمد مصطفى ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1982م.
39. ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم (ت368هـ/978م):
- صورة الأرض ، دط ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت ، 1992م .
40. الخزاعي ، علي بن محمد ابن مسعود (ت 789هـ/1387م) :
- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تح : إحسان عباس ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985م .
41. الخزجي ، علي (ت 812هـ/1410م) :
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تصحيح : محمد بسيوني عسل ، د ط ، مطبعة الهلال الفجالة ، مصر ، 1911م.
42. ابن الخطيب البغدادي، أبي بكر بن أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/1071م):
- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواديها، تح: بشار عواد معروف ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2001م .
43. ابن الخطيب، لسان الدين (ت776هـ/1375م):
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح: محمد عبد الله عنان ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1977م.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تح: السعدية فاغية ، د دار النشر، الرباط ، 1989م .
44. ابن خلدون، أبي زكرياء يحيى (ت780هـ/1379م)::
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تح : بوزيان الدراجي ، دط ، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007م .
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تح: عبد الحميد حاجيات، طبعة خاصة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011م.
45. ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت808هـ/1404م):
- المقدمة ، د ط ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ، 1968م.

- التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دط ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت ، 1979م.
- شفاء السائل وتهذيب المسائل ، تح: محمد مطيع الحافظ ، ط1 ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت- دمشق ، 1996م .
- كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار وضبط المتن: خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، 2001م.
- رحلة ابن خلدون ، تعليق: محمد بن تاويت الطنجي ط1، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م .
- المقدمة ، تح: عبد الله محمد الدرويش ، ط1 ، دار البلخي ، مكتبة الهداية ، دمشق ، 2004م .
- مقدمة ابن خلدون ، تح: عبد الله محمد الدرويش ط1، دار يعرب للتوزيع ، دمشق ، 2004م.
- العبر ، ط1، بيت الأفكار الدولية ، الرياض وعمان ، 2008م.
46. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس الشافعي (ت681هـ/1282م):
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس ، ط1 ، دار صادر، بيروت ، 1978م.
47. الداودي ، شمس الدين (ت975هـ/1538م) :
- طبقات المفسرين ، ضبط لجنة من العلماء ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م.
48. ابن الدباغ القيرواني، عبد الرحمن بن محمد (ت696هـ/1296م):
- مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، تح: هـ.رتير، دط ، دار صادر، بيروت، دت.
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق: إبراهيم شتوح ، ط2 ، مكتبة الخانجي مصر، 1968م.
49. الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت696هـ/1297م) :
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تعليق : أبو الفضل التتوخي ، تح: محمد الأحمد أبو النور - محمد ماضوت ، ط2 ، مكتبة الخانجي للنشر المكتبة العتيقة ، مصر - تونس ، 1968م.
50. ابن الدبيثي محمد بن سعيد (ت627هـ/1228م):
- المختصر المحتاج إليه من تأريخ الحافظ أبي عبد الله ، تح: مصطفى جواد، ط1، مطبعة الزمان بغداد ، دت.
51. الدرجيني ، أبي العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ/1270م):
- كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، تح: إبراهيم طلاي مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1974م.
52. ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن ايدير العلائي المعروف (ت809هـ/1406م) :
- الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين ، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، مر: أحمد المسند دراج ، دط ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي المملكة العربية السعودية ، 1986م.

53. الدينوي ، أبو حنيفة بن داوود بن وتند أحمد (ت282هـ/896م):
 - الأخبار الطوال ، تح: عبد المنعم عامر ، جمال الدين شيال ، ط1، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1960م.
54. الذهبي ، شمس الدين بن عثمان (ت748هـ/1348م) :
 - كتاب تذكرة الحفاظ ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1958م.
 - تذكرة الحفاظ ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م.
 - سير أعلام النبلاء ، تح : بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان ، ط1 ، مؤسسة الرسالة 1984م.
- معجم شيوخ الذهبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - حوادث وفيات (631-640هـ) - ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1998م.
55. الرازي ، محمد بن محمد قطب الدين (ت 766هـ/1365م):
 - الإلهيات من المحاكمات بين شرحي الإشارات ، ط1، ميراث مكتوب، د م ، 2000م.
 56. ابن رجب ، عبد الرحمان بن أحمد البغدادي (ت795هـ/1394م):
 - الذيل عند طبقة الحنابلة، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1953م.
 57. الرصاع ، أبي عبد الله الأنصاري (ت894هـ/1489م) :
 - فهرست الرصاع ، تح: محمد العنابي، ط1 ، المكتبة العتيقة للنشر، تونس ، 1967م.
 - شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية ، تح: محمد أبو الأجفان ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993م.
58. الروحي ، أبي الحسن علي بن عبد الرحمان (ت611هـ/1215م) :
 - بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تح : محمد زينهم محمد غرب ، دط ، مكتبة الثقافة الدينية مصر (بور سعيد) ، دت.
59. الزبيدي ، عفيف الدين عثمان بن علي الناشري(ت848هـ/1445م) :
 - الدر النظم لرواية حفص عن عاصم ، تح: خليل رجب الكبيسي ، ط1 ، دار مجد للنشر والتوزيع عمان ، 2016م.
60. ابن أبي زرع الفاسي ، علي بن عبد الله (ت 741هـ/1340م):
 - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 م.
61. الزركشي ، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم (ت794هـ/1392م) :
 - تاريخ الدولتين الموحدية والمرابطية ، تح : محمد مازود ، المكتبة العتيقة ، ط2، تونس ، 1966 م.

62. أبي زكرياء، يحيى (ت471هـ/1079م):
 - كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء ، تح: إسماعيل العربي ، دط ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1979 م .
63. ابن زيان أبي يعقوب التادلي (ت617هـ/1220م):
 - التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتى ، تح: أحمد التوفيق ، ط2، منشورات كلية الآداب ومطبعة النجاح الجديدة ، الرباط-الدار البيضاء ، 1997م.
64. ابن الساعي البغدادي، تاج الدين(ت674هـ/1276م) :
 - مختصر أخبار الخلفاء ، ط1 ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، 1309هـ.
65. السبكي ، تاج الدين (771هـ/1370م):
 - طبقات الشافعية الكبرى ، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، دط ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1918 م .
- معيد النعيم ومبيد النقم ، تح : محمد على النجار ، أبو زيد شلبي ، محمد أبو العيون ، ط1 ، طبع بدار الكتاب العربي بمصر، القاهرة ، 1948 م .
- معجم الشيوخ، تح : بشار عواد معروف وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004م.
66. السخاوي شمس الدين(ت902هـ/1497م):
 - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دت.
 - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، طبع أسعد طرابزونى الحسيني، المدينة المنورة ، 1979م.
 الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تر: صالح أحمد العلي، ط1 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
 - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دط ، دار الجبل ، بيروت ، 1992 م .
- التبر المسبوك في ذيل السلوك، تح: نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، مر: سعيد بن عبد الفتاح عاشور، دط ، دار الكتب والوثائق القومية ومركز تحقيق التراث ، القاهرة، 2002 م .
67. ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت685هـ/1286م) :
 - الغصون الياض في محاسن شعراء المائة السابعة ، تح : إبراهيم الأبياري ، دط ، دار المعارف مصر، 1945م.
- المغرب في حلى المغرب ، تح: شوقي ضيف ، القاهرة، 1964 م .
68. السلامي ، أبي المعالي محمد رافع (ت 774هـ/1372م):
 - تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار ، ط2 ، دار العربية للموسوعات ، بيروت، 2000 م .
69. السنوسي ، أبي عبد الله (ت 895هـ/1490م):
 - أم البراهين، تح : خالد زهري ، ط2 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 2009م.

70. السيوطي ، عبد الرحمن (ت911هـ/1505م):
 - كتاب لب الباب في تحرير الأنساب ، ط1، مكتبة المثنى ، بغداد ، د ت .
 - نظم العقيان في أعيان الأعيان ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1927م.
 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، طبع بمطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة ، 1965م.
 - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1968م.
 - طبقات الحفاظ ، تح : لجنة من كبار العلماء بإشراف الناشر ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983م.
 - طبقات المفسرين ، تح: علي محمد عمر ، ط1، مكتبة وهبي ، القاهرة ، 1336هـ.
 - تدريب الرواي ، تح : أبو قتيبة الفاريابي ، ط2 مكتبة الكوثر، بيروت ، 1415هـ.
 - الأشباه والنظائر في النحو، تح : غزير الشيخ ، دط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م.
 71. الشافعي ، إبراهيم بن محمد بن خليل (ت 841هـ /1441م) :
 - نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط ، تح: علاء الدين علي رضا، ط1 ، دار الحديث القاهرة ، 1988م.
 72. ابن شداد ، أبو المحاسن بهاء الدين(ت683هـ/1284م):
 - الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح : يحيى زكريا عبارة ، ط1، منشورات وزارة الثقافة دمشق ، 1991م.
 - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في سيرة صلاح الدين ، تح : جمال الدين الشيال ، ط2 مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1994 م .
 - سيرة صلاح الدين الأيوبي المسمى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، دط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012 م .
 73. ابن الشماخ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت863هـ/1459م):
 - اختصار القدر المعلى في تاريخ المحلي ، تح: إبراهيم الأبياري ، ط1 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة 1959م.
 - الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح: محمد الطاهر المعموري، دط ، دار العربية للكتاب ، تونس، 1984م.
 - رايات المبرزين وغايات المميزين ، تح: محمد رضوان الداية ، ط1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987م.

74. الصفدي ، صلاح الدين (ت 764هـ/1363م):
 - تحفة ذوي الألباب ، تح : إحسان نمت وآخرون ، ط1 ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1992م.
 - أعيان العصر وأعوان النصر، ط1، تح: علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر، بيروت، 1998م.
 - الوافي بالوفيات ، تح: أحمد أرناؤوط وتركي مصطفى ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2000م.
75. الصيرفي ابن داود (ت900هـ/1495م) :
 - نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تح: حسين حبشي ، دط ، مطبعة دار الكتاب ، القاهرة 1970م.
76. ابن الضياء المكي، أبو البقاء بهاء الدين(ت854هـ/1450م):
 - تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المشرفة والقبر الشريف ، تح : علاء الأزهرى- أيمن الأزهرى ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م.
 77. ابن الطقطقا ، محمد بن علي(ت709هـ/1309م):
 - الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دط ، دار صادر ، بيروت دت .
 78. العبدري ، أبو عبد الله (ت737هـ/1337م) :
 - كتاب المدخل ، دط ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، دت.
 79. ابن العجمي، سبط (ت884هـ/1480م) :
 - كنوز الذهب في تاريخ حلب ، تح: شوقي شعت وفالح البكور ، ط1، دار القلم العربي ، حلب 1996م.
80. ابن العديم ، عمر بن أحمد بن أبي جرادة(ت660هـ/1262م):
 - شذرات الذهب في أخبار الذهب، طبعة دار المسيرة، بيروت، 1351م.
 - الدراري في ذكرى الدراري، تح: علاء عبد الوهاب محمد، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة 1984م.
 - بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح: سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1988م.
 - تذكرة ابن العديم ، ط1، تح: إبراهيم صالح ، دار الكتب الوطنية ، أبوظبي ، 2010م.
 - زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تح: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1996م.
81. ابن عذاري المراكشي، أبو العباسأحمد (ت716هـ/1316م) :
 - البيان في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين - ، تح : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط1 دار الغرب الإسلامي - دار الثقافة ، بيروت - الدار البيضاء ، 1985م.

- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تح: بشار عود معروف - محمود شار عواد ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2013 م .
82. ابن عساكر، أبو القاسم علي (ت571هـ/1176م):
 - دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، ط فاس ، 1314 هـ .
 - تاريخ دمشق، تح: محب الدين العمروي ، ط1 ، دار الفكر للطباعة للنشر ، دمشق، 1995م .
83. العظيمي ، الحلبي محمد بن علي (ت 556هـ/1161م):
 - تاريخ حلب ، تح: إبراهيم زعرور، دط ، دون دار النشر والتوزيع ، دمشق ، 1984 م .
84. العقباني ، أبي عثمان سعيد بن محمد (ت 811هـ/1408م) :
 - كتاب الوسيلة بذات الله وصفاته ، تح: نزار حمادي ، ط1 ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت، 2008م .
85. ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ/1678م):
 - شذرات الذهب ، تح: عبد القادر الأرنؤوط - محمد الأرنؤوط ، ط1 ، دار ابن كثير، دمشق- بيروت 1989م .
86. بن عمار ، أبو العباس سيدي أحمد(ت430هـ/1048م):
 - نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، دط ، طبع بمطبعة فونتانة ، الجزائر ، 1902م .
87. ابن عمار المالكي، شمس الدين (768هـ/ 844هـ) :
 - مفتاح السعدية في شرح الالفية الحديثية، تح: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، ط1، مركز نعمان للبحوث والدراسات الاسلامية وتحقيق التراث والترجمة العصرية للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2014م .
88. العمري ، ابن فضل بن يحيي شهاب الدين أحمد (ت 749هـ/1349م):
 - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2010م .
89. ابن عنبة ، جمال الدين أحمد (ت828هـ/1424م):
 - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني ، ط2 ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1961م .
90. العيني ، بدر الدين محمود(ت 851هـ/1451م):
 - السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة (784-801/1384-1399م) من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر العيني ، تح: إيمان عمر شكري ط1، مكتبة مدبولي للنشر - دار الصفا للطباعة ، القاهرة ، 2002 م .

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تح: محمود رزق محمود ، ط2 ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث - ، القاهرة ، 2010م.
91. الغبريني ، أبو العباس أحمد بن أحمد (ت714هـ/1314م) :
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، مقدمة المحقق (رابح بونار)، ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ط1 ، دار البصائر للتوزيع والنشر الجزائر، 2007م.
92. الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد (505هـ/1111م) :
- المستصفي من علم الأصول ، تح : أحمد زكي حماد ، ط1 ، دار الميمان للنشر والتوزيع والشركة العالمية للنشر والترجمة والتدريب ، الرياض ، دت .
93. الفارسي ، علاء الدين علي بن بلبان (739هـ/1338م) :
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حيان ، تح : كمال يوسف الحوت ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1971م.
94. الفاسي ، تقي الدين (ت832هـ / 1429م) :
- ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تح: محمد صالح بن عبد العزيز المراد، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، دت.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تح : لجنة كبار العلماء والأدباء ، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاهه - مكتبة النهضة الحديثة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، 1956م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تح : فؤاد سيّد ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1986م.
- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد 2001م.
95. الفاكهي ، المكي ابن العباس (ت285هـ/895م) :
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح : عبد المالك بن دهيش ، ط2، دار خضر للطباعة والنشر بيروت ، 1994م.
96. أبو الفداء ، شهاب الدين(ت732هـ/1331م):
- تقويم البلدان ، ط1، دار صادر، بيروت ، دت.
97. أبي الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ/1201م):
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، ط2 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1995م.

98. ابن فرحون المالكي ، القاضي إبراهيم بن نور الدين (ت799هـ/1396م)::
 - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح : محمد الأحمد أبو النور، دار التراث ، القاهرة 1972م .
 - تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، تح : حسين محمد علي شكري ط1، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1416هـ.
 99. ابن فضل العمري ، بن يحيى شهاب الدين أحمد :
 - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تح: كامل سليمان الجبوري ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت 2010م.
 100. بن فهد ، المكّي عمر (ت885هـ/1480م):
 - إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تح: فهميم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع مصر، دت.
 - معجم الشيوخ ، تح :محمد الزاهي، ط1، منشورات دار الطباعة للبحث والنشر والتوزيع ، السعودية 1982م.
 - غاية المرام بأخبار سلطة البلد الحرام ، تح: فهميم محمد شلتوت ، ط1 ، جامعة أم القرى، السعودية 1988م.
 - الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تح : عبد الملك بن دهيس ، ط1 ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2000م.
 101. الفهري اللبي ، أبي جعفر أحمد بن يوسف (691هـ/ 1291م):
 - تحفة المجد الصريح في كتاب شرح الفصيح ، تح: عبد الملك التيتي ، مكة المكرمة ، 1997م.
 102. ابن الفوطي ، عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي (ت723هـ/1324م):
 - تلخيص مجمع الآداب من معجم الألقاب ، تح: مصطفى جواد ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، دت.
 - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، دط ، المكتبة العربية ، بغداد ، دت.
 - مقدمة مصطفى جواد لكتاب تلخيص مجمع الآداب ، دط ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، 1962 م .
 - مجمع الآداب في معجم الألقاب، ط1، تح: جواد مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1967م.
 - مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تح: محمد الكاظم ، ط1 ، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران، 1416هـ.

103. الفيروز أبادي، الشيرازي الشافعي مجد الدين محمد (ت 817هـ/1415م) :
- القاموس المحيط ، ط1، طبعة جديدة لنوان، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1995م.
104. الفيومي، شمس الدين الشيخ محمد(ت871هـ/1466م):
- الكواكب الدرية تحميس البردة البوصيرية في مدح خير البرية ، تح: عبد الرحمان محمد ، دط ، طبع مطبعة البهية المصرية، مصر ، 1356هـ.
105. القابسي ، أبو الحسن علي (403هـ/1013م):
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، تح : أحمد خالد ، ط1 ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1986 م.
106. ابن قاضي الدمشقي، شهبة أحمد(ت851هـ/1448م) :
- طبقات الشافعية ، تصحيح : عبد العليم خان ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1987 م.
- تاريخ ابن قاضي شهبة، تح: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق 1994م. القاضي عياض، أبو الفضل المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد (ت476هـ/1149م):
- تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تح: محمد الطالبي، د ط ، طبع بالمطبعة الرسمية الجمهورية التونسية ، 1968م.
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تح: بشير البكوش . محمد العروسي المطوي ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1994م.
107. القرافي، بدر الدين (ت1008هـ/1599م):
- توشيح الديباج وحلة الابتهاج، تح: علي عمر ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة ، 2004م.
108. القزويني، زكريا (ت682هـ/1283م):
- آثار البلاد وأخبار العباد ، ط1، دار صادر، بيروت ، دت.
109. القزويني، محمد بن عبد الرحمن (ت729هـ/1338م) :
- تلخيص المفتاح ، ط1 طبعة جديدة مصححة ملونة ، مكتبة لسان العرب ، مكتبة البشري، كراتشي 2010 م .
110. القشيري، أبو القاسم(ت465هـ/1073م):
- الرسالة القشيرية تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، دط ، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، 1989م.
111. ابن القطان المراكشي(ت628هـ/1230م):
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1990م.

112. القفطي، جمال الدين (ت646هـ/1248م):
 - إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية ، القاهرة - بيروت ، 1986م.
113. القلقشندي ، أبو العباس (ت821هـ/1418م):
 - صبح الأعشى ، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1922 م .
 - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح : إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت . 1980 م .
114. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد (ت810هـ/1407م):
 - أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح : محمد الفاسي، أدولف فور، دط ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، 1965م.
 - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تح : محمد الشاذلي النيفر- عبد المجيد التركي ، دط ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968م.
 - كتاب الوفيات ، تح: عادل نويهض، ط4 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983م.
 - وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام ، تقديم وتعليق: سليمان الصيد المحامي دط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1984م.
 - شرف الطالب في أنسى المطالب ، تح : عبد العزيز صغير دخان ، ط1 ، مكتبة الرشد ناشرون الرياض، 2003 م .
115. القيرواني، محمد بن أبي القاسم الرعيني(ت1068هـ/1690م) :
 - كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، تونس 1286 هـ .
116. الكافيحي ، محي الدين محمد بن سليمان(ت879هـ/1474م) :
 - التسيير في قواعد التفسير ، تح : مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط1 ، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع القاهرة ، 1998م.
117. الكتيبي ، محمد شاکر(ت764هـ/1363م) :
 - فوات الوفيات ، تح : إحسان عباس ، دط ، دار صادر ، بيروت ، 1973م.
118. ابن كثير، الحافظ الدمشقي(ت774هـ/1373م):
 - البداية والنهاية ، ط2 ، دار الفكر، بيروت ، 1986م.
 - البداية والنهاية ، دط ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1990م.
 - تفسير القرآن الكريم ، تح : ابن حزم ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2000م.
 - طبقات الفقهاء الشافعيين ، تح : أنور الباز، ط1 ، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ، 2004م.

119. ابن الكردبوس التوزري، أبو مروان (كان حيًا 575هـ/1179م) :
 - الإكتفاء في أخبار الخلفاء ، تح : صالح الغامدي ، ط1 ، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية المدينة المنورة ، 2008 م .
120. اللبلي، أحمد بن يوسف الفهري (691هـ/1291م):
 - تحفة المجد الصريح في كتاب شرح الفصيح ، تح: عبد الملك التبيتي ، مكة المكرمة ، 1997م .
121. المالكي، عبد الرحمان المكودي الفاسي(ت1096هـ/1685م):
 - شرح ألفية ابن مالك ، ط1 ، شركة دار المشاريع ، بيروت (لبنان) ، 2005 م .
122. المجاري ، الأندلسي أبو عبد الله محمد(ت862هـ/1458م):
 - برنامج المجاري ، تح : محمد أبو الأجنان ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982م .
123. مجهول ، مؤلف:
 - زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، دط ، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م .
124. مجهول ، مؤلف:
 - كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، دت .
125. مجهول، كاتب:
 - الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد ، دط ، دار النشر المغربية الدار البيضاء ، 1985م .
126. المراكشي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري (703هـ/1301م):
 - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تح : إحسان عباس ، طبعة دار الثقافة ، بيروت 1973م .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تح : محمد بن شريفة ، دط ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، المملكة المغربية ، 1984م .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تح : إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد ط1، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2012م .
127. المراكشي، عبد الواحد(ت647هـ/1250م) :
 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان- محمد العربي العلمي ، ط1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1949م .
- وثائق المرابطين والموحدين ، تح: حسين مؤنس ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، 1997م .

128. ابن مرزوق التلمساني، أبي عبد الله محمد (ت781هـ/1379م):
 - المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح: ماريا خيسوس بغيرا ، دط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م.
 - المناقب المرزوقية ، دراسة وتحقيق: سلوى الزهراي ، ط1 ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء (المملكة المغربية) ، 2008م.
129. المغيلي، محمد علي بن عبد الكريم (ت909هـ/1504م):
 - تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين ، تح: محمد خير رمضان يوسف ، ط1 ، دار الحزم بيروت ، 1994م .
 - رسالتان في أهل الذمة ، تح: عبد المجيد الخيالي ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م .
 - لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب، تح: أبو بكر بلقاسم ضيف، ط1، دار ابن حزم، بيروت 2006م.
130. المقدسي، الدمشقي أبو شامة (ت665هـ/1266م):
 - تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تح : عزة العطار الحسين ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1974م.
 - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تعليق: محمد الصناوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2003م.
131. المقري، أبي العباس أحمد التلمساني (ت759هـ/1358م):
 - القواعد ، تح: أحمد بن عبد الله بن حميد ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، دت .
 - أزهار الرياض في أخبار الرياض، دط ، صندوق احياء التراث الاسلامي، المملكة المغربية - الامارات العربية ، دت.
 - أزهار الرياض في أخبار عياض ، تح: مصطفى السقا وآخرون ، دط، مطبعة فضالة العجمية ، الرباط 1978م.
- عمل طب لمن حب، تح: بدر بن عبد الإله العمراني ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م.
132. المقرئ، تقي الدين (ت845هـ/1442م):
 - فضل آل البيت ، تح: محمد أحمد عاشور، ط1، دار الاعتصام ، بيروت ، 1972م.
 - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، تح: محمد زينهم ومديح الشرقاوي ط1 ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1997م.
 - السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1997م.

- المواظ ولاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرزية ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت ، 1998م.
- رسائل المقرزي، تح: رمضان البديري ، أحمد مصطفى قاسم ، ط1، دار الحديث ، القاهرة ، 1998م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تح: عبد الحميد المسني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تح: محمود الجليلي ، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 2002م.
- إغاثة الأمة في كشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، غين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية مصر، 2007م.
133. المنذري، زكي الدين عبد العظيم عبد القوي (ت656هـ/1453م) :
- التكملة لوفيات النقلة ، تح : بشار عواد معروف ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م.
134. النباهي ، المالقي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت بعد792هـ/1390م):
- تاريخ قضاة الأندلسي - سماه كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاة والفتيا - تح : لجنة إحياء التراث العربي ، ط5 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983م.
136. أبي النعيم ، أحمد(ت430هـ/1039م):
- كتاب ذكر أخبار أصفهان ، تح : سيد كسروفي حسن ، ط1 ، دار الكتاب العلمية للنشر ، بيروت دت.
135. النعيمي ، عبد القادر بن محمد (ت978هـ/1571م):
- الدارس في تاريخ المدارس ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م.
136. النووي، محي الدين بن شرف(ت676هـ/1278م):
- التقريب والتسيير لمعرفة سنن البشير النذير، تح: محمد عثمان الخشت، ط1، دار الكتاب العربي للنشر ، بيروت، 1985م.
- منهاج الطالبين وعمدة المفتين ، تح : محمد ظاهر شعبان ، ط1 ، دار المنهاج ، جدة ، 2005م.
137. النووي ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت732هـ/1332م) :
- نهاية الأرب في فنون الأدب تح : مفيد قميحة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م.
138. الهاشمي ، عز الدين عبد العزيز بن عمر(ت922هـ/1517م):
- غاية المرام بأخبار سلطة البلد الحرام، تح: فهيم محمد شلتوت، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1988م.

139. ابن هشام، عبد الملك (ت125هـ/743م):
 - السيرة النبوية (سيرة ابن هاشم)، تح: مصطفى السقا وآخرون، دط ، دار إحياء التراث العربي بيروت (لبنان)، دت.
 140. الهذاني، أبي بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي (ت584هـ/1189م):
 - كتاب عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب ، تح: عبد الله كنون ، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1973م.
 141. الوادي آشي التونسي ، شمس الدين بن جابر (ت749هـ/1348م) :
 - برنامج ابن جابر الوادي آشي ، تح: محمد الحبيب الهيلة ، ط1 ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي ، تونس ، 1981م.
 142. الوشي، أبي الوليد وابن السيد البطليوسي (ت521هـ/1127م) :
 - كتاب القرط على الكامل - وهي الطرر والحواشي على الكامل للمبرد - ، تح: ظهور أحمد أظهر ط1، المطبعة العربية ، 1980م.
 143. الونشريسي، أبي العباس يحي (ت914هـ/1508م):
 - المعيار المغرب والجامع عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، إشراف: محمد حجي ، دط ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- دار الغرب الإسلامي ، الرباط - بيروت ، 1981م.
 - كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية ، تعليق: محمد الأمين بلغيث ، لاقوميك 1985م.
 144. اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت768هـ/1367م):
 - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1997م.
 145. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت بعد 292هـ/905م) :
 - كتاب البلدان ، دط ، المكتبة المرتضوية والمكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف (العراق) ، 1918م.
 146. بن يوسف ، أبو عبد الله محمد (ت307هـ/997م) :
 - مفاتيح العلوم ، تصحيح : عبد العزيز فايد وأخيه ، طبعة مطبعة الشرق ، القاهرة ، 1342هـ.
 147. اليونيني، قطب الدين موسى (ت726هـ/1326م) :
 - ذيل مرآة الزمان ، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند، 1945م.
 2- المراجع بالعربية:
 1. آل ياسين محمد مفيد:
 - الحياة الفكرية في العراق (في القرن السابع الهجري) ، ط1، دار العربية للطباعة ، بغداد 1979م.

2. الألباني محمد ناصر:
- صحيح الترغيب والترهيب ، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2000م.
3. أمين أحمد:
- ضحى الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان) ، 1935م.
4. الأنصاري محمد جابر:
- التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1992م.
5. أواميل علي :
- الخطاب التاريخي - دراسة لمنهجية ابن خلدون - ، ط3، المركز الثقافي العربي للنشر - دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 1975م.
6. بخّاز إبراهيم وآخرون:
- معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر_ قسم المغرب الإسلامي ، ط2 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000م.
7. البحراني يوسف:
- لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم الرجال الحديث ، تح: محمد صادق، بحر العلوم ، ط 1 ، مكتبة فخداوي ، المنامة ، 2008م .
8. بدران عبد القادر :
- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، دط ، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق 1379هـ.
9. بركة حسن أحمد حسن:
- المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، 2015م.
10. بعلي حفناوي:
- دليل الأنيس والجليس في رحلات وشهيرات موطن العتاب والأحباب ، ط1 ، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، 2003م .
11. البغدادي ، أحمد مبارك:
- مختصر تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله - ﷺ - من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية للخزاعي (ت789هـ/1387م) ، ط1 ، مكتبة السندس (صهيب الزين وإخوانه) الكويت ، 1990م .

12. البغدادي إسماعيل باشا :
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد عبد القادر عطا
دط ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1941م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، د ط ، مؤسسة التاريخ العربي ووكالة المعارف
الجليلة ، استانبول ، 1951م.
13. بكري أمين:
- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ط2 ، دون دار نشر ، حلب ، 1978م.
14. بل ألفرد :
- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ط 3 ، دار الغرب الإسلامي
بيروت ، 1987م .
15. بنين أحمد شوقي:
- دراسة في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي ، ط2، المطبعة والوراقة الوطنية الحبي المحدي
مراكش، 2004م .
16. بورويبة رشيد وآخرون :
- الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي - ، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984م.
17. بورويبة رشيد:
- الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1977م.
18. البوعبدلي المهدي:
- الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، جمع وإعداد : عبد الرحمن دويب ، ط1 ، عالم المعرفة
الجزائر، 2013م.
19. بوعزيز يحي :
- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1995م.
- تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، دط ، تلمسان عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر، 2007م.
20. ببيضون جميل، عودات أحمد ، الناظور شحادة:
- تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري ، ط1، دار الأمل للنشر
والتوزيع ، اربد، 1989م.
21. بن تاويت محمد الطنجي:
- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ، ط1، دار الثقافة ، الدار البيضاء، 1983م.

22. تدمري عمر عبد السلام :
 - الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى ، ط1 ، دار فلسطين للتأليف والترجمة بيروت ، 1972م.
23. ترحيني حمد أحمد:
 - المؤرخون والتأريخ عند العرب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ودار الريف ، بيروت ، دت .
24. التركماني أحمد محمد:
 - التعريف بمذهب الشيعة الإمامية، ط1، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، 1983م.
25. التليسي بشير رضاني :
 - الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي - خلال القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي-، ط1 دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2003م.
26. التنبكتي ، أحمد بابا(ت1036هـ/1627م):
 - كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج ، تح: محمد مطيع ، دط ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 2000 م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم: عبد الحميد الهزامة ، ط2، منشورات دار الكتاب ، طرابلس 2000م.
27. الجبراني حسين :
 - الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول ، ط1 ، دار غيداء للنشر ، عمان ، 2017م.
28. الجديع بن يوسف عبد الله:
 - تسيير علم أصول الفقه ، ط1 ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، 1997م.
29. بن جني أبو الفتح عثمان:
 - الخصائص ، تح: محمد علي النجار، ط2 ، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، دت .
30. جواد مصطفى ، سوسة أحمد :
 - دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا ، ط1، مطبعة المجمع العلمي العراقي مدينة المنصورة ، 1958م.
31. جورجى زيدان:
 - تاريخ آداب اللغة العربية ، دط ، دار الهلال ، القاهرة ، 1931م.
32. الجيلالي عبد الرحمان:
 - تاريخ الجزائر العام، ط1، المطبعة العربية ، الجزائر، 1953م.

33. الحاجري محمد طه:
- ابن خلدون - بين حياة العلم ودنيا السياسة- ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980م .
34. حاجي ، خليفة مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ/1656م):
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول ، تح: محمد عبد القادر الأرنؤوط تقديم : أكمل الدين أوغلي ، ط1 مكتبة إرسিকা ، اسطنبول ، 2010م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت.
35. حاجيات عبد الحميد:
- أبو حمو موسى الزياني - حياته وآثاره ، دط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974م.
36. حركات إبراهيم :
- المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين) ، ط1 ، دار الرشاد ، الدار البيضاء ، 1978م.
37. الحريري محمد عيسى:
- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م-869هـ/1465م)، ط2 دار العلم ، مصر ، 1987م.
38. حساني أحمد:
- مباحث في اللسانيات ، ط2 ، منشورات علمية الدراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية المتحدة (دبي) ، 2013م.
39. حساني مختار :
- تاريخ الدولة الزيانية- الأحوال السياسية- ، د ط ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2009م.
40. حسن إبراهيم علي:
- استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط ، ط3 مؤسسة الأهرام للنشر ، القاهرة ، 1998م.
41. حسني عبد الوهاب حسن :
- كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ، مراجعة : محمد العروسي المطوي- بشير البكوش ط1 ، دار الغرب الإسلامي - بيت الحكمة ، بيروت- تونس ، 1990م.
42. حسين زكي محمد:
- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ط1، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981م.
43. حسين طه :
- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية - تحليل ونقد- ، تر: محمد عبد الله عنان ، ط1 ، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر ، مصر ، 1925م.

44. حسين محمد الخضر:
- حياة ابن خلدون ومثّل من الفلسفة الاجتماعية ، دط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة 2012 م.
45. الحفناوي محمد:
- تعريف الخلف برجال السلف ، دط ، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر، 1906 م .
46. حمادة محمد ماهر:
- وثائق الحروب الصليبية والغزو الماغولي للعالم الإسلامي، ط2، منشورات مؤسسة الرسالة بيروت ، 1986 م .
47. الحمداني طارق :
- التدوين التاريخي في العراق ، ط1 ، شركة بيت الورق للنشر ، بغداد ، 2010م.
- التاريخ الغياثي الفصل الخامس- دراسة وتحقيق - كلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد، 1975م.
48. الحمداني قحطان أحمد:
- المدخل على العلوم السياسية ، ط1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2012م.
49. حمزة عبد اللطيف:
- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، ط1، دار الفكر العربي ، القاهرة 1968م.
- القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ، ط1 ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، مصر 1962م.
50. حميدة عبد الرحمن:
- أعلام الجغرافيين العرب ، ط2 ، دار الفكر، دمشق ، 1995 م.
51. حميدي يوسف بن عبد العزيز:
- ياقوت الحموي مؤرخاً- من خلال كتاب معجم البلدان - ، ط1 ، منشورات ضفاف لبنان ، 2014م.
52. خالد جيله أحمد:
- المدارس والنظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، 2001م.
53. الخضيرى زينب:
- فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، د ط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1989م.
54. الخطيب سليمان عبد الدايم:
- فلسفة التاريخ عند المقرئزي ، قسم الفلسفة الإسلامية ، كلية العلوم ، جامعة المنايا ، دت.

55. خليل أبو عبد الله محمد:
- اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي لابن سعيد ، تح: إبراهيم الأبياري ، ط1 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1959م.
56. خليل شوقي:
- أطلس التاريخ العربي الاسلامي ، ط1، دار الفكر ، دمشق ، 2005م.
57. الداني عثمان بن سعيد:
- التسيير في القراءات السبع ، تح : أوتو. بيرتزل، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م.
58. الدعجاني طلال سعود:
- موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق ، ط1 ، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، المملكة العربية السعودية ، 2004 .
59. الدوري عبد العزيز :
- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ط2، دار الغرب، بيروت (لبنان) ، 1986م.
60. ديب محي الدين ،محمد أحمد قاسم:
- علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني) ، ط1 ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، 2003م.
61. الرازي قطب الدين :
- الإلهيات من المحاكمات بين شرحي الإشارات ، ط1 ، ميراث مكتوب ، د م ، 2000م.
62. الربيعي بلقيس عيدان لويس:
- المقرئ منهج وموارده في كتاب اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، كلية التربية للبنات جامعة بغداد، 2007م.
63. رزق محمود سليم:
- الأدب العربي في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث ، دط ، مطابع دار الكتاب العربي القاهرة ، 1957م.
- موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، دط ، المطبعة النموذجية ، القاهرة 1962م.
64. الرعجاني طلال بن سعود :
- موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق ، ط1 ، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر المدينة المنورة ، 2004م.
65. الزبيدي محمد حسن:
- ملامح من النهضة العلمية في العراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين، دط، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1980م.

66. الزحيلي محمد :
- ابن كثير الدمشقي(الحافظ ، المفسر ، المؤرخ ، المفسر)، ط1، دار القلم للنشر، دمشق، 1995م.
67. الزركلي خير الدين:
- الأعلام، ط 7 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1986م.
68. الزناتي أنور محمود:
- دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي ، ط1 ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان ، 2011م.
69. زيادة محمد مصطفى:
- المؤرخون في مصر في القرن الخامس الميلادي (القرن التاسع الهجري)، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م.
70. زيتون محمد محمد :
- القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1988م.
71. الزيدي مفيدة :
- العصر المملوكي ، ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2009م.
72. السامرائي ظمياء محمد عباس :
- المنهج التاريخي عند القلقشندي - دراسة تحليلية- ، ط1 ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، 2001م.
73. سدور محمد جمال الدين :
- الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ، ط1 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1938م.
74. سعد الله أبو القاسم:
- تاريخ الجزائر الثقافي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م.
75. سعيدوني ناصر الدين:
- من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي- تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين- ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1999م.
76. سلهب حسن:
- علم الكلام والتاريخ- إشكالية العقيدة في الكتابة التاريخية الإسلامية - ، ط1 ، مركز الحضارة والتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، 2011م.
77. السملالي بن إبراهيم :
- الإعلام بمن حل مراكز وأعمار من الأعلام ، مراجعة : عبد الوهاب ابن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1993م.

78. سهلي عبد الله:
 - الأطوار العقديّة في المذهب الأشعري ، ط1 ، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع الرياض ، 2014م.
 79. السيد أبو مصطفى كمال:
 - تاريخ مدينة بلنسة الأندلسية في العصر الإسلامي(95 - 495هـ/714 - 1102م)، ط1 ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، دت .
 80. السيّد عبد العزيز سالم :
 - التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1986م.
 - مناهج البحث في تاريخ الإسلام والآثار الإسلامية، ط1، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية 2010م.
 81. الشافعي حسن محمود:
 - المدخل إلى دراسة علم الكلام ، ط2 ، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، باكستان ، 2001م.
 82. شاكر مصطفى:
 - تاريخ العرب والمؤرخون - دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام - ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت (لبنان) ، 1979م.
 83. الشاهدي الحسن :
 - أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ، ط1 ، منشورات عكاظ ، الرباط ، 1990م.
 84. شاوش الحاج بن رمضان:
 - باقة السوسان في التعريف محاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2011 م.
 85. شرف الدين خليل :
 - ابن خلدون ، ط1، دار ومكتبه الهلال للطباعة والنشر ، بيروت ، 1995م.
 86. شقرون محمد بن أحمد:
 - مظاهر الثقافة المغربية - دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني -، د ط ، دار الثقافة للتوزيع ، الدار البيضاء، 1985م.
 87. الشكعة مصطفى :
 - الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته ، ط3 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، 1992م.
 88. شلبي أحمد:
 - تاريخ التربية الإسلامية ، دط ، دار الكشاف للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1954م.
 89. الشوكاني محمد بن علي:
 - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دط ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، دت.

90. الشيبني محمد رضا:
- مؤرخ العراق ابن الفوطي، ط1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق ، 1958م.
91. الصابوني محمد علي :
- التبيان في علوم القرآن ، ط3 ، دار إحسان للنشر والتوزيع ، إيران ، 2003م.
92. الصعيدي عبد الحكيم عبد اللطيف:
- الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، دم النشر، 1996م.
93. ضيف ابن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري بشير:
- فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث - نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول -
مراجعة: عثمان بدري ، ط 2 منقحة ، منشورات تالة ، الجزائر ، 2007م .
94. ضيف شوقي :
- تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات - ليبيا- تونس- صقلية ، دار المعارف للنشر، القاهرة
1992م .
95. الطالب محمد:
- دائرة المعارف التونسية ، ط1 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، قرطاج ، 1994م.
96. طقوش سهيل محمد :
- تاريخ الممالك في مصر وبلاد الشام ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1997.
97. طلس محمد أسعد:
- التربية والتعليم في الإسلام ، ط1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012.
98. الطمار محمد :
- تاريخ الأدب الجزائري ، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م .
99. طه جمال أحمد:
- مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448 هـ/ 1056 م) إلى (668 هـ / 1269 م)، دار
الوفاء، الإسكندرية ، 2001م.
100. طولي أحمد:
- الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي ، تصدير: الشاذلي بويحي ، ط1 ، مطبعة الرسمية
للجمهورية التونسية ، منشورات لكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، القيروان ، 1996م.
101. عاشور سعيد عبد الفتاح:
- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ط1 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1972م .
- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، طبعة دار النهضة العربية ، بيروت، 1983م.

102. عاصي حسين :
- ابن خلدون مؤرخا ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991م .
103. عامر أحمد:
- الدولة الحفصية- صفحات خالدة من تاريخنا المجيد- ، ط1 ، دار الكتب الشرقية ، تونس 1972م.
104. عباس إحسان :
- شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1988م.
105. عبد التواب عبد الرحمن محمود:
- قايتباي المحمودي ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1978م .
106. عبد العزيز محمد عادل:
- التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر الجديدة ، 1987م.
107. عبد الغني عبد الله يسرى:
- ديوان بن سهل الأندلسي ، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002م .
108. عبد القادر نور الدين:
- صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، ط2 ، دار الحضارة بئر توتة (الجزائر) ، 2006م .
109. عبده قاسم قاسم :
- ماهية الحروب الصليبية ، ط1 ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1990م.
110. العبيدي التوازي إبراهيم:
- تاريخ التربية بتونس ، دط ، نشر الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1967م.
111. العبيكان طرفة عبد العزيز :
- الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، ط1 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1966م.
112. عتيق عبد العزيز:
- علم العروض والقافية ، دط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1987م.
113. بن عربي أبو بكر:
- أحكام القرآن ، تخرنج : محمد عبد القادر عطا ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م.
114. عز الدين محمد كمال الدين:
- المقرئزي مؤرخا ، ط1، عالم الكتب ، بيروت ، 1990م.

115. العزاوي عباس :
- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، دط ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد 1957م .
116. العزاوي عبد الرحمان حسين :
- التاريخ والمؤرخون في العراق (334-447هـ/945-1055م) ، دط ، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر ، بغداد ، 1993م.
- المغرب العربي في العصر الإسلامي ، ط1 ، دار الخليج للنشر ، عمان ، 2010م .
117. العرش يوسف:
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - التاريخ وملحقاته - ، ط1، مطبعة دمشق ، دمشق 1366هـ/1947م.
118. العصيمي أمل مطر :
- المدارس في مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي - دراسة استقرائية تحليلية تاريخية - ، دط ، دار الطبع ، دم ، 2009م.
119. العطارى جلال يوسف:
- حركة التأليف العلمي في مصر والشام في العصر المملوكي الأول ، ط1 ، دار الفكر ، عمان 2011م .
120. عطية أحمد عبد الحليم:
- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، دط ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة ، 1991م.
121. عفيفي عبد الحكيم:
- موسوعة 1000 مدينة اسلامية ، ط1 أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، 2000م .
122. علي حسن حسن:
- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس- عصر المرابطين والموحدين - ، ط1 ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1980م .
123. عليان مصطفى زكي:
- المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999م.
124. عمارة علاوة:
- دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي ، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون (الجزائر) ، 2008م.
125. عمارة محمد:
- السلفية ، ط1 ، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة ، دت.

126. عمران الشيخ وآخرون :
- معجم مشاهير المغاربة ، منشورات حلب، دط ، الجزائر ، 2004م.
127. عنان عبد الرحمان :
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، ط3 ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1966م.
128. عنان محمد عبد الله :
- ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، ط1، مطبعة الكتاب المصرية ، القاهرة ، 1933م.
- مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري ، ط1 ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، 1969م.
129. عواد كوركيس :
- المخطوطات التاريخية في خزانة كتب المتحف العراقي ببغداد ، ط1، مطبعة الرابطة ، بغداد 1957م.
130. عيسى أحمد :
- تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012م.
131. غالب حسين :
- بيان العرب الجديد ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1971م.
132. غرام عبد الوهاب :
- مجال السلطان الغوري ، ط1 ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2012م.
133. غساني الملك الأشرف :
- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، دار البيان، بغداد، 1975م.
134. فتوح رانيا عمر :
- ابن العديم مؤرخا (588 - 660 هـ / 1192-1262م)، ط1، دار الآفاق العربية ، القاهرة 2013م.
135. فرغلي إبراهيم :
- الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري ، ط1 ، دار العربي للنشر والتوزيع القاهرة ، 2000م.
- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، تر: عبد الرحمان البدوي ، ط1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981م .
136. الفضيلي عبد الهادي :
- مختصر الصرف ، دط ، دار القلم ، بيروت ، دت .
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، دط ، دت .

- 137.فكري أحمد:
- مساجد الإسلام- مسجد القيروان- ، ط1 ، دار العالم العربي للنشر، القاهرة ، 2009م.
- 138.الفلوجي ، مهند عبد العزيز :
- معجم الفردوس ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض، 2012م.
- 139.فهيمي عبد العليم :
- جامع المؤيد شيخ ، ط1 ، مطابع هيئة الآثار المصرية ، القاهرة ، د.ت.
- 140.فوزي محمد فاروق:
- التدوين التاريخي عند المسلمين ، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة 2004م.
- 141.الفيلاي عبد العزيز:
- بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، ط1 ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة ، 2014م.
- تلمسان في العهد الزياني ، دط موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002م.
- 142.قاسم البوني أحمد: التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف ، تح: دحماني سعيد ، دط دار الهدى ، عين مليلة ، 2001م.
- 143.القاضي أبي العباس أحمد المكناسي :
- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجار في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمد أبو النور، ط1، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، 1971م.
- درة الحجال في أسماء الرجال ، تح : محمد الأحمد أبو النور، ط1 ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة 1971م .
- جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دط ، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ، 1973م.
- 144.القحطاني مسعود :
- تخريج أحاديث كتاب ذكر أخبار أصفهان ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه جامعة أم القرى السعودية ، 1422هـ .
- 145.بن قرية صالح وآخرون:
- تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، دط ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر ، 2007م.
- 146.قريب الله حسن الفاتح:
- فلسفة وحدة الوجود ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1997م.

- 147.قطريب يوسف :
- ابن خلدون أديبا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2015م .
- 148.قليلة عبده عبد العزيز :
- من التراث الأدب للمغرب العربي ، دط ، عالم الكتب للنشر، القاهرة ، 1979م.
- 149.قمي عباس:
- الكنى والألقاب ، ط5 ، مكتبة الصدد ، طهران ، 1259م.
- 150.الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير محمد بن جعفر :
- الأزهار العطرات الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ط حجرية ، فاس 1314هـ .
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبع حجر، فاس 1316هـ.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات ، تح : إحسان عباس ، ط2 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982م.
- 151.كحالة عمر رضا:
- معجم المؤلفين ، دون دار الطبعة ، دمشق، 1957-1961م.
- 152.كربخال، مارمول (ت1008هـ/1600م):
- وصف إفريقيا، تح: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983م.
- وصف إفريقيا ، تح: محمد حجي وآخرون ، دط ، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1989م.
- 153.كرد علي :
- خطط الشام ، ط2 ، مكتبة النوري ، دمشق ، دت .
- 154.المامي محمد المختار محمد:
- المذهب المالكي-مدارسه ومؤلفاته، خصائصه وسماته -، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين (الإمارات)،2002م.
- 155.مجهول كاتب:
- الطب العربي التونسي في عشرة قرون ، تح: أحمد بن ميلاد ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس 1999م.
- 156.محفوظ محمد:
- تراجم المؤلفين التونسيين ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1984م.

157. محمد عاشور أماني:
- الأصول النيرات من القراءات ، ط3 ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، 2011م .
158. محمد فهيم حسين:
- أدب الرحلات ، طبعة سلسلة كتب ثقافية الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، الكويت ، يناير 1978م.
159. مختار عمر أحمد:
- النشاط الثقافي في ليبيا - من الفتح الاسلامي حتى بداية العصر التركي - ، ط1، مكتبة لسان العرب ، منشورات الجاهة الليبية ، كلية التربية ، ليبيا ، 1971م.
160. مديرس المديرس عبد الرحمان :
- المدينة المنورة في العصر المملوكي- دراسة تاريخية - ، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، المدينة المنورة ، 2001م.
161. المرادي، أبي الفضل:
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ط3 ، دار البشائر الإسلامية - دار ابن حزم ، بيروت 1988م.
162. المشيخ إبراهيم بن حمود:
- تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد ، ط1، د دار للطبع والنشر ، القصيم ، 1987م.
163. مصطفى جواد:
- مقدمة تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي، وزارة الثقافة والارشاد القومي مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم، دمشق، 1962م.
164. مضغان عيال سلمان حمود:
- ابن الفوطي مؤرخا، ط1 ، طبعة وزارة الثقافة مطبعة السفير، عمان، 2014م.
165. مطوي محمد العروسي :
- السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1986م.
166. معروف ناجي :
- مدارس واسط ، ط 1 ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، 1966م.
- المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة ، ط1 ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، 1965م.
- تاريخ علماء المستنصرين، ط3، دار الشعب، القاهرة، 1975م.

167. المعيزي نذير :
- أسس المنهج التاريخي عند ابن خلدون، جامعة يحي فارس المدينة ، الجزائر، 2021م.
168. المقري التلمساني أحمد بن محمد:
- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: إحسان عباس ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، دت.
169. المنوني محمد:
- المصادر العربية لتاريخ المغرب - من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث - ، دط ، مؤسسة نبشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1983م.
- حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989م.
170. مؤنس حسين :
- عالم الإسلام ، دط ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1973م.
171. النبراوي فتيحة :
- علم التاريخ - دراسة في مناهج البحث - ، دط ، القاهرة ، 1993م.
172. النشار السيد السيد:
- تاريخ المكتبات في مصر - العصر المملوكي - ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1993م.
173. نواب عواطف محمد يوسف:
- الرحلات المغربية والأندلسية - مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7 و 8 الهجريين دراسة تحليلية مقارنة- ، ط1 ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996م.
174. نويهض عادل :
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2 ، مؤسسة نويهض، بيروت 1980م.
- معجم المفسرين - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - ، ط3 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ، 1988م.
175. النيفر محمد:
- عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من علم أديب ، تح: وإس: على النيفر، ط1، دار الغرب الإسلامي ، 1996م.
176. هايل نوفل:
- تاريخ الكتب والمكتبات ، ط2 ، جامعة دمشق ، دمشق ، 1987م.
177. الهيلة محمد الحبيب :
- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ، ط1 ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، 1994م.

178. الوافي علي عبد الواحد:
 - عبد الرحمان بن خلدون (حياته وآثاره ومظاهر عبقريته) ، دط ، مكتبة مصر للنشر الجمهورية العربية المتحدة ، 2009م.
179. يزيك قاسم:
 - التاريخ ومنهج البحث التاريخي ، ط1 ، دار الفكر اللبناني للطباعة ، بيروت ، 1990م.
180. يسري طه ياسين:
 - لسان الدين بن الخطيب ومنهجه في كتابه أوصاف الناس في التواريخ والصلوات ، دط ، الجامعة العراقية العراق ، دت.
181. يسري عبد الغني عبد الله:
 - معجم المؤرخين المسلمين القرن الثاني عشر الهجري ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1411هـ / 1991م .
- 3- المراجع المترجمة :
1. أغناطيوس كراتشكوفيسكي:
 2. إنجرامس دبليو إتش:
 3. أندري جوليان شارل:
 4. بروكلمان كارل:
- تاريخ إفريقيا الشمالية ، تر: محمد مزالي وبشرى سلامة ، ط1، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1969م.
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تر: صلاح الدين عثمان هاشم ، د ط ، كتاب الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1961م.
- تاريخ الأدب العربي ، تر: عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1977م.
- حضارة العرب، تر: عادل زعيتر ، دط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012م.
- حضر موت (1934 - 1935)، تر: سعيد عبد الخير النوبان، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2001م.
- الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زييري من القرن 10 إلى القرن 12م ، تح: حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993م.
5. روجي إدريس الهادي:
 6. روزنتال فرانز:
- علم التأريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، ط 2، مؤسسة الرسالة، 1983م.

7. لوبون غوستاف:

4- الرسائل الجامعية :

1. بنت إبراهيم بن محمد الحسن سعاد:

- النجم ابن فهد مؤرخا ، رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1994م.

2. آل ياسين محمد مفيد:

- الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، ط1، الدار العربية للطباعة، رسالة دكتوراه منشورة بغداد، 1979م.

3. الأنصاري محمد:

- ابن سعيد المغربي (610-685هـ/1213-1285م) - حياته وآثاره - أطروحة مقدمة للدائرة العربية بالجامعة الأمريكية لنيل شهادة الماجستير ، بيروت ، 1966م .

4. بوزيدي أحمد :

- العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهرز، فاس ، 2008م .

5. حميدي الحسين منذر:

- مكاتب مصر وبلاد الشام في عصر المماليك ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الجنان ، طرابلس- لبنان ، 2014م .

6. سندي هدى :

- منهاج الكتابة التاريخية للمدينة المنورة في القرن الثامن الهجري ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 2006/2007م .

7. طويلب عبد الله:

- الروابط الثقافية بين الدولة المرينية ودولة بني نصر في الأندلس (ق 07-10هـ/13-16م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة تلمسان ، 1430هـ - 2009م .

8. الكريف محمد رضا:

- الدرر المكنونة في نوازل مازونة لمسائل النكاح والإيلاء واللعان والظهار والعدد والرضاع والنفقات أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية شعبة الفقه وأصوله جامعة أحمد بن بلة ، وهران 2015-2016م .

9. لقريز العربي :

- مدارس السلطان أبي الحسن (مدارس سيدي أبي مدين نموذجا - دراسة فنية وأثرية) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان ، 2011م .

10. أبو ليل رقية عبد الله أحمد:
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (الأوضاع الاقتصادية) ، أطروحة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، 2011م.
11. مالكي سليمان عبد الغني :
- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (بعد منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري) ، رسالة دكتوراه كلية الآداب ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة (1401هـ/1981م) .
12. مفتي نادية بنت عابد أحمد:
- تاريخ التعليم في المشرق الإسلامي ، إشراف محمود محمد كناوي بحث لنيل درجة الماجستير في التوعية الإسلامية ، جامعة أم القرى ، 1408هـ.
13. النهر علاء مصري:
- التكوين الثقافي لمؤرخي المشرق الإسلامي في القرن السابع الهجري (13م) وأثره في مؤلفاتهم (ابن الساعي نموذجاً)، بحث مستخلص من رسالة دكتوراه، جامعة الاسكندرية، مصر، 2019م.
- 5- الرحلات :
1. ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد (ت779هـ/1377م):
- تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان مصطفى القصاص ط1 ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1987م.
2. ابن جبير، أبو الحسن محمد (ت614هـ/1218م) :
- الرحلة ، ط1، دار صادر، بيروت، د.ت.
3. ابن الحاج ، النميري(ت768هـ/1367م) :
- فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، إعداد: محمد ابن شقرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990م .
- الرحلة المغربية ، تقديم: سعد بوفلاحة ، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، بونة (الجزائر)2007م.
4. ابن رشد الفهري، محب الدين(ت721هـ/1321م):
- ملء العيبة في جمع طول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطيبة ، تح : محمد الحبيب بن خوجة ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988م .
5. العبدري ، أبي عبد الله محمد بن سعود (ت700هـ/1300م) :
- رحلة العبدري ، تح : علي إبراهيم كردي ، تقديم : شاكر الفخام ، ط2 ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2005م .

6. القلصادي، أبي الحسن (ت891هـ/1491م) :
- رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجنان ، دط ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1978م.
 7. المقري، أبي العباس أحمد التلمساني(ت759هـ/1358م):
- رحلة المقري إلى المغرب والمشرق ، تح: محمد بن معمر، دط ، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2004م.
 8. الورثيلاني، سيدي الحسين بن محمد (ت1193هـ/1780م):
- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دط ، طبع في مطبعة بيبير فونتانا الشرقية ، الجزائر 1908م.
- 6- الدوريات :**
1. بنت أحمد بت فردوس:
- أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة ، الكتاب الثاني، ع2، دم ، يناير مارس1437هـ/2016م.
 2. الأحمد محمد علي :
- نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ - ابن خلدون نموذجا- ، مجلة إسلامية "المعرفة" السنة الثالثة عشرة ، ع51، الجزائر ، شتاء 1428هـ/2007م .
 3. بالعربي خالد:
- ملامح الحركة العلمية في تلمسان خلال القرن (8هـ/14م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، ع2، 2002-2003م.
 4. بركات علي:
- الإقطاع العسكري المملوكي: قراءة في خطط المقريري ، مجلة إبداع، مج 20 مصر، 2012م.
 5. بكار محمد فرحات:
- المدارس المغربية في عصر بني مرين (668-869هـ/1269-1465م) ، المجلة الليبية العالمية جامعة بنغازي، ع19 ، ليبيا ، 2017م.
 - سمات الكتابة التاريخية في عصر بني مرين (610-869هـ/1213-1465م)، المجلة الليبية العالمية، ع16، جامعة بنغازي، ليبيا، 2017م.
 6. بلعباس نجاة ، محمد مرتاض:
- الغبريني مترجم سير علماء بجاية ، مجلة الفضاء المغاربي ، مج2 ، ع04 ، جامعة تلمسان ، دت.
 7. بلعربي خالد:
- بنية الجهاز القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الزياني ، مجلة كان التاريخية - دورية الكتروني محكمة- ، السنة الرابعة ، ع12، دم ، يونيو 2011م .

8. بهجت يونس سوسن :
 - الأسواق في المشرق الاسلامي (العراق - بلاد فارس - بلاد ما وراء النهر) في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى نهاية العصر البويهي ، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع42 ، بغداد، 2015م.
9. بوساخ فايزة:
 - المدارس العلمية بتلمسان على عهد نبي زيان-إشعاع فكري وحضاري- ، مجلة عصور الحديثة ع2 ، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، جامعة وهران ، الجزائر، 1432/2011هـ.
10. بوسعد الطيب :
 - المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث التاريخي خلال القرون الهجرية الأولى (2 . 3 . 4 هـ / 8 . 9 . 10 م)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع6، المركز الجامعي غرداية ذوالحجة 1430هـ/ديسمبر 2009 م.
11. بوشقيف عائشة:
 - إسهام مدارس تلمسان في الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين (8-9هـ/14-15م) ، مجلة القرطاس، ع3 ، جانفي 2017 م .
12. البوعبدلي المهدي:
 - الرباط والنفادفي وهران، مجلة الثقافة الإسلامية ، ع6 ، الجزائر، 2010م.
13. بوعزيز يحي :
 - الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد ابن مرزوق وأحمد ابن قنقد الخطيب ، مجلة دراسات جزائرية ، الجزائر، 1997 م .
14. بوعيايد محمد:
 - من آثارنا المغمورة: بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد لأبي زكرياء يحي بن خلدون، مجلة الأصالة، السنة 3، ع13، الجزائر، 1973م.
15. الحباشنة خلدون خليل :
 - المقرئ ومنهجه في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مجلة دراسات ، مج 46 ، ع 02 ، دم ، 2019م.
16. بن حدة يوسف:
 - التاريخ وأدب المناقب من خلال مخطوط مناقب أحمد التباسي (ت928هـ/1522م)، المجلة المغربية للمخطوطات ، مج16، ع1 ، جامعة الجزائر2، 2020م.
17. الحدراوي علي ناصر جابر:
 - قراءة في كتاب ترجمة الامام الحسين في كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعية، ج5، ع43 ، العراق، 2017م.

18. حساين عبد الكريم: حقول التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني: التاريخ السياسي والتراجم نموذجاً المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 03، ع06 الجزائر، ديسمبر 2017م.
19. حمادة مصطفى إسماعيل السيد :
- عبد الواحد المراكشي ومنهجه في كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المجلة العلمية بكلية اللغة العربية ، ع24، ج 4 ، أسيوط، 2015م.
20. خلفاوي فريد:
- ملامح التعليمية في مقدمة ابن خلدون ، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية اللغوية ، مج4 ، ع3 الوادي، ديسمبر 2021م.
21. بن خويا ادريس وبرماتي وفاطمة:
- الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي: من المهد إلى الحد، مجلة الذاكرة ، تصدر عن مخبر التراث في الجنوب الشرقي الجزائري، ع7، الجزائر، ماي 2016م.
22. دحماني أحمد:
- لامية الشاطبي حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع - دراسة وصفية تحليلية - ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، ع37 ، العام الخامس ، يناير 2018م.
23. ذانون عبد اللطيف الثامري إحسان:
- الكتابات الأثرية في مصادر تقي الدين الفاسي في كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج7، ع1، الأردن ، 2013م.
24. ذنون العبايجي ميسون:
- ابن باطيش الموصلي (ت655هـ/1257م) وتشابه طبقات الفقهاء الشافعية ، مجلة دراسات موصلية، ع37 ، جامعة الموصل ، 2012م.
25. الرادادي خالد بن قاسم:
- المدخل إلى علم الشمائل النبوية، حوليات كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية مج2 ، ع36 ، الإسكندرية ، دت.
26. الزاهري سلوى :
- المناقب المرزوقية لابن مرزوق التلمساني ، مجلة عصور، وهران (الجزائر)، ع6-7 ، جوان-ديسمبر 2005/ ذو القعدة 1426هـ.
27. الزاوي الحسن ، برواق مليكة:
- البعد الجمالي للعمارة العثمانية بمدينة الجزائر - دراسة معمارية أثرية وجمالية لجامع كتشاوة - مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ، ع6 ، الجزائر، 2017م.

28. زغلول عبد الحميد سعد :
- ابن خلدون مؤرخاً : مجلة عالم الفكر ، ع2 ، القاهرة ، سبتمبر ، 1983م.
29. السعيد عقبة:
- المؤرخ أبو العباس أحمد الغبريني (644-704هـ / 1246-1304م) وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، ع07 الوادي ، نوفمبر 2016م.
30. سمين وسن ،محمد أمين آسيا، تامر هادي:
- السيرة الذاتية لابن الدباغ (ت605هـ/1208م)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ملحق، ع50 العراق، 2015م.
31. الشاوي عدنان محمود :
- الثقافة والتعليم في العصر المريني (667-759هـ/1269-1359م) ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ع 8 ، مج23، تكريت ، 2015م.
32. أبو شنب سعيد زكي:
- دراسة بصرية لشاهد قبر أبي قاسم الزليجي بتونس (ت902هـ/1496م) نشر جديد ودراسة مقارنة في قواعد المنظور، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، مج22، ع2، القاهرة ، 2021م.
33. الصراف علي زهير هاشم:
- المنهج التاريخي في المصنفات التاريخية في القرن 9هـ (حافظ ابرو وابن عربشاه نموذجاً) مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، مركز دراسات الكوفة، السنة الثالثة عشر، ع24 ، جامعة الكوفة ، 2019م.
34. الصيد سليمان:
- ابن قنفذ القسنطيني حياته وكتابه وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام ، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع13، قسنطينة (الجزائر)، 2001م.
35. عبان عبد الرحمان:
- إبراهيم بن محمد بن علي التازي (ت866هـ) نزيل وهران - حياته وآثاره الشعرية- ، مجلة الأثر ع25 ، الجزائر، جوان 2016م.
36. عبد الرواضية المهدي:
- الإتجاهات التاريخية في حلب ومنهج مؤرخها ابن العديم من خلال كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب ، مجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج11 ، ع 3 ، الأردن ، 2017م.

37. أبو عبدلي المهدي:
- مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر، مجلة الأصالة ، مجلة تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، دط ، مطبعة البعث، ع1 ، قسنطينة ، 1392هـ/1972م.
38. عزرودي نصيرة:
- الإنتاج المعرفي لعلماء قسنطينة خلال العصر الوسيط_ دراسة إحصائية تحليلية، مجلة عصور الجديدة، ع18، عدد خاص بقسنطينة ، صيف أوت 1436هـ/2015م .
39. عزلاوي محمد :
- كتاب ابن سعيد المغربي في التراجم الاختيارات الأدبية ، مجلة مقاربات، مج 6 ، ع 01 ، جامعة الجلفة ، 2020م.
40. علي عبد الله حارث :
- هجرة سكان الأندلس إلى بلاد المغرب وتأثيرهم في الجوانب السياسية والفكرية والمعمارية خلال (القرن 7 - 9هـ/13 - 15م)، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، مج27 ، ع5، بابل ، 2019م.
41. بن عمات الزهرة:
- الشيخ إبراهيم التازي ومآثره بوهران مجلة عصور، ع1 ، الجزائر، 2010م.
42. عيساوي مها :
- أبو حمو الزياني(السلطان الأديب)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها جامعة تبسة ، ع1 ، الجزائر ، 01 - 03 - 2007م.
43. غلاب ساعد :
- دراسة وصفية تحليلية لكتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني (ت714هـ/1314م) ، حوليات التاريخ والجغرافيا ، ع12، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، ديسمبر 2017م.
44. فتح الله سليمان وشكيب رشيد:
- ابن العديم ما بين الرحلة والاستقرار ، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، مج3 ، ع9 ، جامعة الموصل 2023م.
45. قشي فاطمة الزهراء :
- معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات ، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ع19- 20 ، الجزائر، جانفي - جوان ، 2003م.
46. قوني زينب:
- أبو الحسن الغبريني وكتابه عنوان الدراية ، مجلة الأثير ، جامعة حمى لخضر، ع27 ، الوادي ديسمبر 2016م.

47. قويع عبد القادر:
- دور ابن القنفذ القسنطيني في تأريخ الحياة السياسية والدينية للجزائر الحفصية، مجلة عصور الجديدة ، ع3، عدد خاص ، الجزائر، خريف1432-2011 / شتاء1433هـ-2012م .
48. كروم عيسى :
- أحباس الكتب المخطوطة في المغرب الأوسط- مواصفاتها وأشكال الانتفاع بها (7-10هـ/13-16م)- ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، ع7، الجزائر، 2016م.
49. محصر وردة:
- يحي بن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ ، مجلة أنثروبولوجيا الأديان ، مجلة علمية أكاديمية محكمة مخبر أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها دراسة سوسيو أنثروبولوجيا ، جامعة أبي بكر بلقايد، ع10 تلمسان، 2011م.
50. مزرعي سمير :
- الكتابات التاريخية (البداية، التطور، أنواع الكتابات)، مجلة كان التاريخية ، دورة إلكترونية ، السنة التاسعة ، ع34 ، ديسمبر 2016م.
51. مصطفىاوي رشيد :
- بجاية في عهد الحماديين ، مجلة الأصالة ، السنة الأولى ، صادرة عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، ع1 ، الجزائر ، 1971 م.
52. مصطفى جواد:
- ابن الفوطي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ع14، العراق، 1967م.
53. مهداوي محمد:
- الشيخ التنسي التلمساني مؤرخ الدولة الزيانية (ق9هـ/15م) ، مجلة الفضاء المغاربي، جامعة تلمسان ، دت .
54. نشيدة رافعي :
- شخصية ابن حماد الصنهاجي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية ، ع18، جامعة وهران (الجزائر)، جمادى الأولى 1434هـ / مارس 2013م.
55. الهكار زكرياء:
- ابن خلدون والمقريري - دراسة مقارنة في المنهج والحقول والمصادر - ، مجلة الدراسات والبحوث دم ، دت .
56. يسرى عبد الغني عبد الله :
- المقريري خلدوني يكتب عن الخطط والملوك ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية - ، مجلة محكمة دورية -، ع5 ، الجزائر ، ماي 2016م.

7- مراجع بالأجنبية:

1. (Ch)–brosse Lard :
 - **les inscriptions de Tlemcen**, in revue Africaine, 3éme année ,N14 ,1858.
2. (G) .Marçais :
 - **les villes d'arccélébres tlemcan** ,édition du tell , algérie , 2003.
3. .W .Marsais, G, Marçais :
 - **les monulents arabes de Tlemcen**. Paris , 1903.
4. Charbonneau Aicha:
 - **poète de bougie au 7 éme siècle de l hégire** , la Revue Africaine, Année 04,(1859–1860),O.P.U. Alger , 1985.
5. Muratti, p:
 - **le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tébassa**, R, AF,81,1937.
6. Trowsset (p):
 - **rechorches sur le humes tripolitanus de chotl el_Djerid à la frontier Tuniso libyenne** ,paris,1974.

المخلص بالاعتراف

الملخص باللغتين:

الكتابات التاريخية المشرقية والمغربية بين القرنين (7-9هـ/13-15م) - دراسة مقارنة لنماذج مختارة -

ملخص باللغة العربية:

شهد العالم الإسلامي في نطاقيه المشرقي والمغربي تطورات تاريخية مواكبة للتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ميّزها النماء الفكري على عهد عدة دول إسلامية؛ ويعود الفضل في هذا الازدهار إلى دور ثلة من المؤرخين والعلماء الذين ساهموا بكتابتهم في إثراء الخزائن بالكتب والموسوعات متعددة الميادين أهمها علم التاريخ الشامل لمختلف مناحي حياة المجتمعات.

والفترة الممتدة ما بين القرنين السابع إلى غاية التاسع الهجري / الثالث عشر إلى غاية الخامس عشر الميلادي كانت فترة رخاء وثراء فكري بالنطاقين بفضل الرحلات بينهما رغم الغارات الخارجية والمشاكل الاجتماعية، إلا أنّ التواصل الحضاري كان الصمام نحو تأصيل الثقافة والتاريخ.

فهذه العوامل ساهمت في وضع قاعدة فكرية شاملة لمختلف العلوم سواء النقلية أو العقلية خاصة علم التاريخ الذي ظهر بكتابات مؤرخين ومشايخ كبار فبرز إثر ذلك بالمشرق الإسلامي خلال الفترة محل دراسته مؤرخين بمؤلفاتهم الموسوعية أقل ما يقال عنها مثل: المقرئ صاحب "الخطط"، ابن العديم صاحب "البغية"، ابن الفوطي صاحب "تلخيص مجمع الآداب"، ابن فهد صاحب "الدر الكمين". كما برز بالمغرب الإسلامي شيخ المؤرخين ابن خلدون صاحب "العبر"، ابن سعيد المغربي صاحب "المغرب في حلى المغرب"، الغبريني صاحب "عنوان الدراية"، تقي الدين الفاسي صاحب "العقد الثمين" الذين تنوعت كتاباتهم لتنوع الحقول التاريخية كالتاريخ العام والخاص، السير والتراجم، تاريخ المدن والبلدان.

والغرض من هذه الدراسة تتبع آثار المؤرخين المشاركة والمغاربة وتوضيح مواطن التأثير والتأثر من جهة، التشابه والاختلاف في كتاباتهم التاريخية من جهة أخرى. كما أسمو من خلال هذا البحث إلى المساهمة ولو بقليل في ميدان التاريخ بدراسة مقارنة اعتمدت في تحريرها على أسس ومبادئ التلميذ وشيخه، انتهاج نفس المنهج التاريخي، الالتقاء بين المؤرخين والأخذ بينهما، ولتحقيق الغرض اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع مقسمة الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول كل فصل قسم إلى ثلاثة مباحث، لأخلص في نهاية العمل إلى بعض الاستنتاجات.

الكلمات المفتاحية: المشرق الإسلامي، المغرب الإسلامي، الكتابات التاريخية، المنهج المقارن، علم التاريخ، التأثير التاريخي.

The eastern and western historical writings between the two centuries**(7- 9M /13 -15D)****– A comparison study for selected samples–**

The Islamic world witnessed in its eastern and western extensions some historical developments to convey political, social and economical changes that was characterized by the conceptual improvement in many Islamic countries. The purpose behind this accession is the role of several historians who contributed with their writing in ricking the bookcases and the encyclopedia in multi fields among them the extensor history that deals with various society aspects.

The era between (7-9M/13 -15D) was marked by the notional prosperity in the two extensions due to the voyages between them though the external rails and the social problems .However, the cultural communication was the window towards rocking culture and history.

These factors contributed in establishing a connectional base for different sciences either the unwritten ones or the mental ones especially history that showed many writings for several historians and senior sheikhs which led to the prominence in the Islamic eastern during that era with their encyclopaedical products like:El Makrizi who wrote "Elkhota, Ibn El Adim for his " Elba Ghia" Ibn El voti writh his work "Resume of decency academy" and Ibn Fahd for "The El Dur Alkamin".As it emerged the biggest historians in the Islamic western Ibn khaldoun for his" the moral ", Ibn said El Maghrébi for " the West in the sweeten of the West" ,El Ghabrini for " knowing title" ,Taki Din El fassi " The precions contract" and all the ones who diversified their writings for the divergence of history fields like the general history and the specefic history , the bios and the versions and the history of cities and countries.

The purpose frome This stdy is to follow historians path either the eastrn or the western and to clarify the affection and the slobber from one side and the similarities and differences from the oller side . As I highlight in this research the input in history field to study comparisonghy the basics and the

principles of a student and his teacher , To achieve this point , I selected three groups of sources that is devided into an introduction , four chapters in which each chapter is devided three section in order to arrive at the end to some canclusions .

Key words : Islamic eastern , Islamic western , historical writing , comparison methodology , history , historical affection .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

إهداء	/
شكر وتقدير	/
مقدمة	أ
أ- طرح الموضوع	أ
ب - الإشكالية المطروحة	د
ج- دواعي اختيار الموضوع:	ج
د- الهدف من الدراسة:	هـ
هـ - الإطار الزماني والمكاني:	ج
و- خطة البحث	د
ز- المنهج المتبع في الدراسة:	هـ
ح- الدراسات السابقة:	هـ
1-دراسة المصادر والمراجع	هـ
أ- المصادر:	و
ب- المراجع:	ح
ج- مقالات:	ح
قائمة الاختصارات:	10
الفصل الأول : ملامح الكتابة التاريخية المشرقية ما بين (ق7-9هـ/13-15م)	12
تمهيد	12
1-المبحث الأول: طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي (مصر - بلاد الشام)	13
1-1- طبيعة الحياة الثقافية المصرية ما بين (ق7-9هـ/13-15م):	13
1-2- طبيعة الحياة الثقافية الشامية ما بين (ق7-9هـ/13-15م):	34
المبحث الثاني: طبيعة الحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي(الحجاز - العراق)	57
1-2- طبيعة الحياة الثقافية ببلاد الحجاز ما بين(ق7-9هـ/13-15م) :	57

- 73.....: 2-2- طبيعة الحياة الثقافية في العراق (ق7- 9هـ/13-15م)
- المبحث الثالث: حركة التأليف التاريخي ببلاد المشرق الإسلامي وتطور مناهجها ما بين القرنين
80 : (07-9هـ/13-15م)
- 81..... : 1-3- حركة التأليف التاريخي بمصر وتطور مناهجها ما بين (ق 07- 9هـ / 13-15م) :
- 87.....: 2-3- حركة التأليف التاريخي ببلاد الشام وتطور مناهجها ما بين (ق07- 9هـ/13-15م):
- 93.....: 3-3 - حركة التأليف التاريخي ببلاد الحجاز ما بين (ق7-9هـ/13-15م):
97. 4-3- تطور حركة التأليف التاريخي بالعراق وتطور مناهجها ما بين (ق07- 09هـ/13-15م):
- 105.....: خلاصة الفصل الأول:
- 107.....: الفصل الثاني: خصائص المدرسة التاريخية المغربية ما بين (ق7 - 9هـ / 13- 15م):
- 107..... تمهيد.
- 108.....: المبحث الأول: عوامل ازدهار الحركة الفكرية والتاريخية ببلاد المغرب الإسلامي:
- 108 : 1-1- المغرب الأوسط ما بين (ق7-9هـ/13-15م)
- 164.....: 2-1- المغرب الأدنى ما بين (ق7-9هـ/13-15م):
- 195.....: 3-1- المغرب الأقصى ما بين (ق7-9هـ/13-15م)
- 221: المبحث الثاني: التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط ومناهجه:
- 221.....: 1-2- دوافع الكتابة التاريخية بالمغرب الأوسط ما بين (ق7- 9هـ/13-15م):
- 225.....: 2-2- ملامح الكتابة التاريخية في المغرب الأوسط وتطور مناهجها:
- 251.....: المبحث الثالث : الكتابة التاريخية بالمغربين الأدنى والأقصى ومناهجهما
- 251: 1-3- كتابة التاريخ بالمغرب الأدنى:
- 269: 2-3- كتابة التاريخ بالمغرب الأقصى:
- 274.....: خلاصة الفصل الثاني:
- 276.....: الفصل الثالث: نماذج عن مؤرخي المشرق والمغرب الإسلامي وكتاباتهم التاريخية
- 276..... تمهيد.
- 276.....: المبحث الأول: التعريف بكبار مؤرخي مصر والشام وكتاباتهم
- 276.....: 1-1- التعريف بكبار مؤرخي مصر وكتاباتهم:

- 1-2- التّعريف بكبار مؤرّخي بلاد الشّام وكتاباتهم: 303
- المبحث الثاني : التعريف بكبار مؤرّخي الحجاز والعراق وكتاباتهم 313
- 1-2- التّعريف بكبار مؤرّخي الحجاز وكتاباتهم: 313
- 2-2- التّعريف بكبار مؤرّخي العراق وكتاباتهم: 318
- المبحث الثالث : نماذج عن التّأليف التاريخي ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة 325
- 1-3- المغرب الأوسط: 325
- 2-3- المغرب الأدنى : 335
- 3-3- المغرب الأقصى: 347
- 354 خلاصة الفصل الثالث:
- 355 الفصل الرابع : دراسة مقارنة بين الكتابات المغاربية والتدوين المصري الشامي:
- 355 تمهيد:
- المبحث الأوّل:دراسة مقارنة بين كتابات المؤرّخين المغاربة والمصريين؛ نموذج (المقريزي صاحب "الخطط"، ابن خلدون صاحب "العبر"):
- 355 1-1- المؤلّف تقي الدّين المقريزي (ت845هـ/1441م) صاحب "الخطط":
- 378 2-1- المؤلّف عبد الرّحمن ابن خلدون (ت808هـ/1404م) صاحب " العبر":
- المبحث الثاني : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرّخين المغاربة والشاميين؛ نموذج(ابن سعيد صاحب " المغرب في حلى المغرب" وابن العديم صاحب " بغية الطلب"): 395
- 395 1-2- المؤلّف ابن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م) صاحب " المغرب في حلى المغرب":
- 409 2-2- المؤلّف ابن العديم(ت660هـ/1260م) صاحب " بغية الطلب " :
- 426 المبحث الثالث :نتائج الدراسة المقارنة.....
- 426 1-3- نتائج الدراسة المقارنة بين كتابات المؤرّخين (المقريزي وابن خلدون) :
- 429 2-3- نتائج الدّراسة المقارنة بين كتابات المؤرّخين(ابن سعيد المغربي وابن العديم):
- 432 خلاصة الفصل الرابع :
- 434 الفصل الخامس: دراسة مقارنة بين الكتابات المغاربيّة والتدوين العراقي الحجازي
- 434 تمهيد:

المبحث الأول : دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والعراقيين؛ نموذج (ابن الفوطي "مجمع الآداب" و" أبو العباس الغبريني صاحب "عنوان الدراية"):	434
1-1- المؤلف ابن الفوطي(723هـ/1323م) صاحب " تلخيص مجمع الآداب "	434
1-2- المؤلف أبو العباس الغبريني(704هـ/1304م) صاحب " عنوان الدراية "	463
المبحث الثاني: دراسة مقارنة بين كتابات المؤرخين المغاربة والحجازيين نموذج(تقي الدين الفاسي صاحب "العقد الثمين" وعمر بن فهد الهاشمي صاحب"الدُر الكمين")	474
1-2- المؤلف تقي الدين الفاسي (ت832هـ/1428م) صاحب " العقد الثمين":	474
2-2- المؤلف عمر بن فهد الهاشمي (ت880هـ/1476م) صاحب " الدُر الكمين":	483
المبحث الثالث: نتائج الدراسة المقارنة.....	498
1-3- نتائج الدراسة المقارنة بين كتابات المؤرخين ("ابن الفوطي" و"الغبريني") :	498
2-3- نتائج الدراسة المقارنة بين كتابات المؤرخين(تقي الدين الفاسي " و "عمر بن فهد الهاشمي") :	500
504..... خلاصة الفصل الخامس :	504
506..... خاتمة :	506
509..... الملاحق:	509
517..... قائمة المصادر والمراجع :	517
564..... الملخص باللغتين:	564
564..... ملخص باللغة العربية:	564
565..... ملخص باللغة الانجليزية:	565
568..... فهرس المحتويات :	568

...